

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)

الجزء السادس عشر

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

مطبوعات جامعة الملك خالد

الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)



القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ – ق ١٥هـ/ ق ٧ – ق ٢١م)



أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

مطبوعات جامعة الملك خالد

الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي بن عبد الله

القول المكتوب في تاريخ الجنوب ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس - ط٢

-. أبها ، ١٤٤١هـ ، (الجزء السادس عشر)

٦٠٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧- ١٩٠٧ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك : ٧ - ١٩٢٣ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٦)

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥ ١٤٤١/٦٦٧

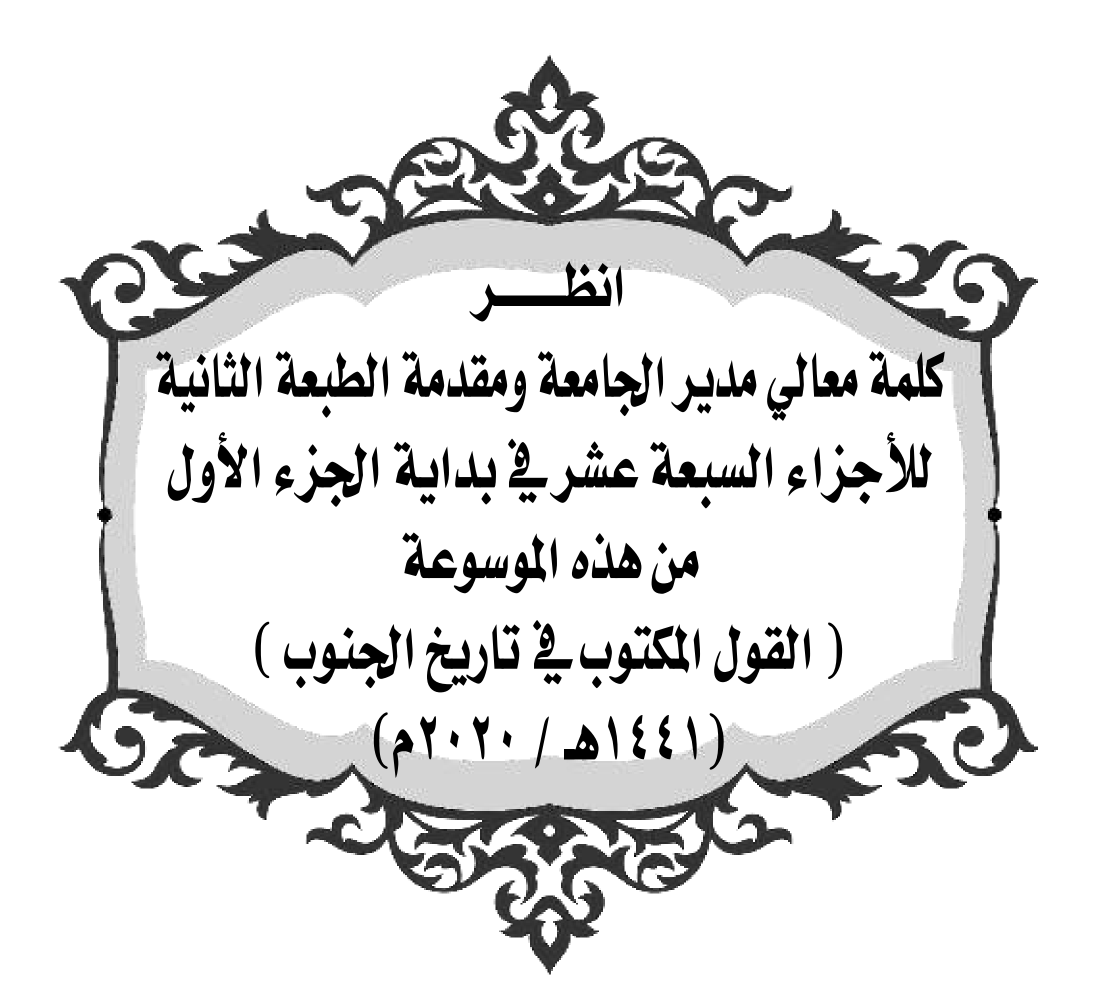
رقم الإيداع : ١٤٤١/٦٦٧
ردمك: ٧- ١٩٠٧ - ٠٣-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٧- ١٩٢٣ - ٠٣-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٦)

مطبوعات جامعة الملك خالد

الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الرياض: مطابع الحميضي



انظـــر
كلمة معالي مدير الجامعة ومقدمة الطبعة الثانية
للأجزاء السبعة عشر في بداية الجزء الأول
من هذه الموسوعة
(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)
(١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

مقدمة الطبعة الأولى (١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)

الحمـد لله الواحـد الفرد الصمـد، والصلاة والسـلام على أفضـل الخلق، وسيد البشرية الرسول الكريم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ﷺ، وعلى آله وصحابته ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. هذه المقدمة للمجلد السادس عشر من موسوعة: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. اما الخمسة عشر جزءاً التي سبقت هذا الجزء فهي:

١. **القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجـا).** (الرياض: مطابع مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). (الجزء الأول) . (٥٦٧صفحة) .

٢. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (عسـيروالقنفـذة).** (الرياضـ : مطابـع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .(الجزء الثاني). (٥٢٧صفحة).

٣. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسيرونجران).** (الرياض:مطابع الحميضي، ٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م).(الجزء الثالث).(٦٢٥صفحة).

٤. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان، والقنفذة).**(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢).(الجزء الرابع) . (٥٧٢صفحة) .

٥. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (الباحـة، وعسـير) .** (الرياضـ: مطابـع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م) . (الجزء الخامس) (٦٠٥صفحة) .

٦. **القـول المكتوب في تاريخ الجنـوب (جازان، وعسير، ونجران)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).(الجزء السادس) .(٥٥٠ صفحة) .

٧. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة، وعسير، ونجران) .**(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)(الجزء السابع) . (٥٤٦صفحة) .

٨. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب (نجـران، وعسـير، والباحـة) .** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) . (الجزء الثامن). (٥٢٥صفحة) .

٩. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، نجران، جازان، رنية، تربة، الخرمة)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . (الجزء التاسع) . (٥٧٦ صفحة) .

١٠. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة، ونجران، وعسير).**(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .٠ الجزء العاشر) . (٥٧٣صفحة) .

١١. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) .**(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) .(الجزء الحادي عشر) . (٥٧٥صفحة) .

١٢. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة).** (الجزء الثاني عشر) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) (٥٨٠ صفحة) .

١٣. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر) (٥٨٦صفحة).

١٤. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (أجزاء من الحجاز واليمن وما بينهما).** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) .(الجزء الرابع عشر). (٥٨٣صفحة).

١٥. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (نجران وعسير وغيرهما)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) (الجزء الخامس عشر) (٥٩١صفحة).

والجزء رقم (١٦) عنوانه : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (جازان والسروات وماحولها)**، ويتكون من خمسة أقسام رئيسية، ومقدمة ،وبعض الملاحق المحدودة، وهي على النحو الآتي :

١. **القسم الأول: تاريخ الحياة العلمية في المخلاف السليماني(منطقة جازان) خلال القرن (١١هـ/١٧م)**. وهذه الدراسة علمية موثقة عن منطقة جازان وحياة أهلها العلمية خلال قرن من الزمان، القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) .

٢. **القسم الثاني : حاضرة صبيا في بعض البحوث الطلابية (دراسة تاريخية حضارية حديثة)**، وقد نشرنا دراستين عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد صبيا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهي من عمل مجموعة من طلابي خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) .

٣. **القسم الثالث : وقفة وآراء مع السروات في المصادر والمراجع والبحث العلمي :** وهذا القسم يتكون من عملين علميين الأول: محاولة الإجابة على سؤال هو: هل نالت السروات حقها من البحث والتواثيق ؟ . والثاني: فحص كتاب: أبو علي الهجري : التعليقات والنوادر، وما يحتوي عليه من معلومات وإشارات تاريخية وحضارية عن بلاد السروات.

٤. **القسم الرابع : بحوث لغوية وأدبية في أجزاء من الجنوب السعودي .** ويحتوي هذا القسم على دراستين لباحثين جيدين من جنوب المملكة العربية السعودية (منطقة عسير تحديداً) . ومادة هذين البحثين تدور في فلك اللغة والأدب .

٥. **القسم الخامس : بحث في تاريخ جّرش وبلجرشي، وتصويبات وتعقيبات على بحوث وكتب عن بلاد تهامة والسراة** . وتحتوي دراسة جُرش وبلجرشي على وجهات نظر تستحق منا الدراسة والتأمل، كما أن هذا البحث لا يخلو من معلومات جيدة تتعلق بأرض وسكان بلجرشي الغامدية في العصر الحديث .

وأقول : إن هذا السفر لم يخرج للنور إلا بعد المرور بالعديد من العقبات منذ جمع المادة، ومراجعتها، وترتيبها، والتوقف والتأمل في كثير من أجزائها. ولا ندعي الكمال فيما استطعنا دراسته ونشره، ونأمل من كل قارئ أو باحث ألا يبخل على أخيه بالتصويب والتصحيح فيما يجد من أخطاء أو سلبيات منهجية أو علمية أو غيرها . كما أشكر كل من ساعدني وقدم لي أي توجيه، أو توضيح، أو تعديل، أو تصحيح . وأشكر أيضاً من قام على صف الكتاب منذ البداية حتى النهاية، وأشكر أيضاً أخي وزميلي الأستاذ الدكتور عباس بن علي السوسوة الذي راجع جميع مسودات الكتاب إملائياً ونحوياً . وأسأل الله عز وجل أن يسخرنا لفعل الخير، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعل ما نقوم به في ميدان العلم والبحث العلمي حجة لنا لا حجة علينا يوم نلقى ربنا عز وجل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين .

إعداد

العبد الفقير الراجي رحمة مولاه، غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الهنوئي الأزدي
في مدينة جازان في غرة شهر رجب
عام (١٤٤٠هـ الموافق ٨/ مارس /٢٠١٩م)



القسم الأول

تـــاريـــخ الحـــيـــاة الـعـلـمـيـة
في المـــخـــلاف الـسـلـيـمـاني
(مـــنـــطـــقـــة جـــــــازان)
خـلال الـقـرن (١١هـــ / ١٧م)

القسم الأول

تاريخ الحياة العلمية في المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال القرن (١١هـ/ق١٧م) . بقلم . أ . خالد بن حسين بن محسن خرمي [١]

(١) الأستاذ خالد خرمي من مواليد قرية البختة بمنطقة جازان عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .بدأ مراحل تعليمه الأولى (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية في بلاد جازان، ثم التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع أبها وحصل على درجة البكالوريوس في علم التاريخ والحضارة من كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة الملك خالد عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، يعمل في ميدان التربية والتعليم منذ تخرجه حتى الآن (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، وتدرج من معلم إلى مشرف تربوي في إدارة تعليم جازان . حصل على درجة الماجستير في التاريخ الحديث بجامعة الملك خالد عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، كما حصل على شهادة دبلوم مصادر تعلم من جامعة جازان عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) . وحصل أيضا على العديد من الدورات في مجالات علمية وتربوية عديدة، كما قدم بعض الدورات في بعض الأنشطة لشرائح عديدة من الطلاب والمعلمين . والأستاذ خالد خرمي جاد ومجتهد في أداء عمله، وعلى قدر من الأخلاق والأدب ولطف المعشر. (ابن جريس) .

أولاً : مدخل[١] :

تقع منطقة المخلاف السليماني (بلاد جازان) ضمن الأجزاء التهامية في جنوب المملكة العربية السعودية . وهي أوطان ذات تاريخ وحضارة من العصور القديمة وعبر أطوار التاريخ الإسلامي . والسائح في منطقة جازان يلاحظ تنوع تضاريسها ، من السواحل إلى السهول فالجبال . كما أنها ذات استيطان بشري منذ عصور ما قبل الإسلام بآلاف السنين[٢] . وذكرت هذه البلاد في بعض كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط والحديث وصدر عنها بعض الدراسات الحديثة في هيئة كتب وبحوث ورسائل علمية[٣] . ومازالت تستحق المزيد من البحوث العلمية الرصينة، وذلك لما جرى على أرضها من أحداث وتحولات تاريخية وحضارية عبر أطوار التاريخ [٤] .

ومنطقة جازان ضمن اهتماماتي العلمية البحثية، وقد أصدرت عنها بعض الدراسات الأكاديمية خلال الثلاثين سنة الماضية [٥] ، ومازلنا نسعى إلى نشر كل جديد عنها في ميدان البحث العلمي، ونستحث الباحثين والمؤرخين من أبنائها ليدرسوا أوضاعها التاريخية والحضارية والتنموية [٦] .

وفي هذا المجلد السادس عشر من موسوعتنا : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، ننشر دراسة علمية أكاديمية عن منطقة جازان عنوانها : **تاريخ الحياة العلمية في المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال القرن (١١هـ/١٧م)**، وهي لأحد أبنائها

---

(١) هذا المدخل من إعداد صاحب كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .

(٢) هذا ما شاهدته ووقفت عليه أثناء تجوالي في منطقة جازان وأجزاء من بلاد تهامة والسراة خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، انظر ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان، والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، ج٤، ص ٢٦-٧٦، ٢٢٧-٣٠٢. للمزيد انظر محمد بن أحمد معبِّر. الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي : في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-١٥هـ/ق٨-٢١م) . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) . (١١٠٤صفحة) . (ابن جريس) .

(٣) من يبحث في فهارس المكتبات الورقية والرقمية فإنه سوف يجد عشرات الدراسات المتنوعة في ميادينها العلمية عن المخلاف السليماني (منطقة جازان) منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا المعاصر . (ابن جريس) .

(٤) منطقة جازان غنية بموروثها التاريخي والحضاري من العهود القديمة إلى وقتنا الحاضر ، ونأمل من جامعة جازان أن تنشئ بعض المراكز العلمية البحثية التي تدرس أرض وسكان هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٥) هناك عشرات الكتب والبحوث التي صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية عن بلاد تهامة والسراة، وكان لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) نصيب جيد من تلك البحوث . انظر : مؤلفات غيثان بن جريس الورقية، وانظر موقعه الإليكتروني (Prof-ghithan.com) . (ابن جريس) .

(٦) إن صلاتي مع منطقة جازان من خلال زيارة أرضها وتدريس بناتها وأبنائها في الجامعة تعود إلى أربعين عاماً . فكانت أول مرة أزور أجزاء من منطقة جازان تعود إلى منتصف التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وأقول لأبناء هذه البلاد : إن دياركم ذات تاريخ وحضارة مهمة فاجتهدوا في دراستها ، والحفاظ على موروثها الحضاري" . (ابن جريس) .

وواحد من طلابنا المجتهدين[١]. ولاندعي الكمال في هذا البحث، لكننا نعلم أنه خضع لإشراف ومراجعة علمية من قبل أساتذة وقسم أكاديمي[٢]، وإذا شابه بعض النقص، فذلك من عمل البشر، لكنه يحتوي على معلومات وتحليلات علمية جيدة تصور شيئاً من تاريخ الحياة العلمية والفكرية والثقافية لمنطقة جازانٍ في بداية العصر الحديث وبخاصة خلال القرن (١١هـ/١٧م)، وآمل أن تفتح أبواباً لبحوث وموضوعات علمية جديدة، كما آمل أن يأتي في المستقبل من يكمل ما لم يأت به الباحث، أو يصحح ما وقع فيه من نقص أو خطاء. (والله من وراء القصد).

ثانياً : مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد : حظيت الدراسات السياسية بنصيب وافر من اهتمام الباحثين والمؤرخين، بينما لم تنل الدراسات الحضارية هذا القدر من الاهتمام، وربما يعود ذلك إلى قلة المصادر وندرتها مما جعلٍ الكثيرين يعزفون عن هذا الاتجاه. ولما كانت الدراسات الحضارية تمثل سجلاً حياً لتاريخ الأمم ورقيها وتطورها وازدهارها، فقد رأى القائمون على قسم التاريخ بجامعة الملك خالد ضرورة الاهتمام بالجانب الحضاري، وتشجيع المتقدمين للتسجيل على اختيار موضوعات تتعلق بهذا الجانب. وبناءً على ذلك جاء اختياري لموضوع، **الحياة العلمية بالمخلاف السليمان (منطقة جازان) في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي**، لما لهذه الفترة من ظهور عدد من العلماء بذلك الصقع كان لهم أثر بارز في التعليم في المنطقة. وذلك إلى جانب عوامل شجعتني على خوض غمار هذا الموضوع من أبرزها:

(١) تشجيع بعض الأساتذة المهتمين بتاريخ المخلاف في العصر الحديث على الكتابة في هذا الموضوع، وتقليلهم من حجم مشكلة ندرة المادة العلمية في بعض موضوعات البحث، ومعاونتهم لي بإنارة السبل المؤدية إلى المعلومات المتعلقة وأخص بالذكر الدكتور علي بن

---

(١) صاحب البحث الأستاذ خالد بن حسين بن محسن خرمي (انظر ترجمته في صفحة سابقة)، وهو أحد طلابنا في مرحلتي البكالوريوس ثم الماجستير في جامعة الملك خالد، وهذه الدراسة رسالة ماجستير من قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد بأبها، تم إنجازها ومناقشتها عام (١٤٣٠-١٤٣١هـ)، ورغب صاحبها (خرمي) أن تُطبع ضمن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، حتى تنتشر ويستفيد الباحثون من مادتها العلمية، وأرجو أن تعم فائدتها، وتحقق نتائج إيجابية لخدمة أرض وسكان منطقة المخلاف السليماني. (ابن جريس).

(٢) أشرف الزميل الدكتور سعد بن سعيد الحميدي على رسالة الطالب، وشارك في مناقشة البحث الدكتوران هاني بن زامل المهنا، وسعيد بن مشبب القحطاني، ومُنح الطالب درجة الماجستير من قسم التاريخ (جامعة الملك خالد) في (٣/رجب/ ١٤٣١هـ). (ابن جريس).

حسـين الصميلي إذ يأتي في طليعة المتخصصـين المعنيين بتاريخ المنطقة .(٢) الاقتناع بأهمية الاتجاه إلى دراسـة الموضوعات الحضـارية، رغبة شخصية من الباحث، لما لها أثر على الدراسات التاريخية في تقديري والكشف عن جوانب قد تثري الحياة السياسية والاجتماعيـة معاً . (٣) إن دراسـة الحياة العلمية في أي مجتمع من المجتمعات يكشـف عن حقيقة وضـع ذلك المجتمع، وهي رصد لنموه الاجتماعي والثقافي، لذلك كان الدافع إلى دراسـة الحياة العلمية في القرن الحادي عشـر الهجري/ السابع عشر الميلادي هو الوقـوف على نمو وتطور مجتمع منطقة جازان الاجتماعي والثقافي . ويبرز جهود علماء المخلاف السـليماني التي بذلوها من أجل اليقظة العلميـة والفكرية في المنطقة وحملوا مسؤولية النهوض بها . (٤) من الواضح أن المخلاف السليماني في فترة بحثنا لم يحظ باهتمام الباحثين ولم ينل نصـيبه الوافر من الدراسـة والبحث لا في الجانب السياسي ولا الحضـاري أو غيرهما من الجوانب، وحيث لم تفرد دراسة مستقلة تبرز كل النواحي العلمية للمخلاف السـليماني خلال الفترة المحددة للدراسة مما شجعني أكثر لدراسة الجانب الحضـاري . (٥) ظهور مجموعة من المصـادر المخطوطة التي تحوي إشـارات عديدة لجوانب الحياة العلمية بالمخلاف خلال القرن الحادي عشر الهجري .

ويعود اختياري لعام (١٠٠٠هـ/١٥٨٨م) ، ليكون بداية هذه الدراسـة إلى كون المخلاف السليماني شهد تغيرات لها دلالتها ، حيث اعتبر هذا العام بداية تشديد قبضة الحكم العثماني عليها فقد استخدمت الدولة العثمانية العديد من التنظيمات الأساسية الجديدة في المخلاف مما أحدث تغيرات واضحة في شـتى نواحي الحياة العامة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية نَعِمَ من خلالها المخلاف بنوع من الهدوء السياسـي والازدهار الحضاري، وقد أثـر ذلك التغيَر على الأوضـاع العلمية في المخلاف وازداد نشـاطه . ويجب الإشـارة إلى أن الدراسـة توقفت عند العام (١١٠٠هـ/١٦٨٨م) ،وهو ابتداء عهد جديد في التاريخ السياسي للمخلاف السليماني تمثل بولاية الشريف أحمد بن غالب عام (١١٠١هـ/١٦٨٩م) .

وقُسمت الدراسة إلى ستة محاور مع مقدمة وخاتمة، تناول الباحث في المحور الأول الحالة السياسـية التي كان عليها المخلاف السـليماني منذ مطلع القرن الحادي عشـر الهجري، السـابع عشـر الميلادي، حينمـا كان المخلاف خاضـعاً للعثمانيين، وما أعقب خروجهم من الحروب والفوضى في المخلاف انتهت بدخوله في طور سياسي جديد تمثل بولاية الشـريف أحمـد بنٍ غالب، وكان غرضـي إبراز الظروف السياسـية التي مر بها المخلاف التي كانت سـبباً في عدم وجود مؤسسات علمية رسمية تابعة للسلطة الحاكمة حيث ظلت منوطة بالجهود الأهلية من قبل العلماء والمشائخ .

وتناول المحور الثاني العوامل المؤثرة في الحياة العلمية، ويتمثل هذا الأثر في العامل الجغرافي الذي احتل به المخلاف مركزاً هاماً في شبه الجزيرة العربية بوقوعه بين مركزين من مراكز الحضارة الإسلامية وهما اليمن والحجاز، وتأثير التجارة بين شمال الجزيرة وجنوبها على الحياة العلمية فيه، إضافة إلى آثار مرور حجاج اليمن بأراضيه ذهاباً وإياباً . وأيضاً العامل السياسي الذي اتضح رؤيته في التغيرات السياسية والإدارية والاجتماعية التي أحدثتها الدولة العثمانية كتحديد صلاحيات الولاة الأشراف من قبل المسؤول العثماني واستحداث بعض الأنظمة الإدارية وتطوير بعضها، ثم العامل الاقتصادي من حيث النشاط الاقتصادي للسكان والامتيازات التي تمتع بها المخلاف زمن الرخاء الاقتصادي، وأخيراً العامل الاجتماعي من ناحية ازدياد عدد السكان واقتصار التعليم على الحاضرة دون البادية.

أما المحور الثالث فيركز على المراكز العلمية بالمخلاف، وقد قمت بدراسة تاريخ كل مركز علمي والعوامل التي ساعدت على ظهوره وتفوقه والأسر العلمية التي ظهرت فيه وما لها من دور ظاهر في دفع عملية التعليم في المنطقة والنهوض بها، وتاريخ بعض هذه الأسر العريق الذي يعود إلى القرن السادس والسابع الهجري مثل أسرة آل الحكمي، وآل الأسدي، وآل شافع، وآل النعمان وغيرهم .

أما المحور الرابع فتناولت فيه أماكن وطرق التعلم والتعليم من حيث كان يتلقاه طلبة العلم في حلق المساجد والزوايا، وذكرت الرحلات التي يقوم بها طلبة العلم من أبناء المخلاف الذين كانوا يشدون الرحال من أجل التعلم في اليمن والحجاز، ثم بينت طريقة التعليم التي كان يسير عليها طلبة العلم في تعليمهم والتي تعود إلى جهود العلماء وإمكانياتهم حيث استخدم البعض طريقة السماع واقتصر البعض على الحفظ في تدريسه، ثم درست التقويم العلمي عن طريق الإجازات العلمية التي كان يحصل عليها طلبة العلم من المشايخ والعلماء الذين يتلقون التعليم منهم سواءً كانت إجازة علمية داخلية أو إجازة علمية خارجية.

ودرس العنصر الخامس العلوم التي تناولها طلبة العلم ودرسوها، وأسماء العلماء المتخصصين في تدريسها، واتجاه البعض إلى التصنيف فيها . أما العنصر السادس فركز على إسهام العلماء في الحياة العامة، فلقد كان للتعليم إسهامات طيبة تمثلت في مساهمة العلماء في تجنيب المجتمع ويلات الحروب والفتن، ثم جهودهم في محاربة البدع الضالة ووعظ الناس وإرشادهم إلى طريق الإسلام الصحيح الذي فيه مصلحة دينهم ودنياهم إلى جانب رعاية مصالح الناس العامة، وكذلك علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة . أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة .

ثالثاً: لمحة عن الحياة السياسية في المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال القرن (١١هـ/ق١٧م):

١. المخلاف السليماني[1]. تحت الحكم العثماني:

سمي المخلاف السليماني بهذا الاسم إما نسبة إلى الأمير سليمان بن طرف الحكمي الذي وحد بين مخلافي عثر[2]، وحكم[3] سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)، واستقل به عن الدولة الزيادية[4] في زبيد[5]، أو نسبة إلى الأشراف السليمانيين[6]، الذين تعاقبوا الحكم

---

(١) المخلاف القطر الواسع، أوالكورة، ومنه مخاليف اليمن أي كورها. انظر: عمارة بن علي الحكمي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق: حسن سليمان محمود، ط١ (مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٤٦. وياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج١، تقديم محمد بن عبدالرحمن، ط٥، (دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص ٣٩.

(٢) عثّر: بفتح أوله وتشديد ثانيه على وزن فعل كان أحد مخاليف اليمن المشهورة، ويمثل النصف الشمالي لما عرف فيما بعد بالمخلاف السليماني، وكان سوقاً من أسواق العرب في الجاهلية، ويشتهر قديماً بالسباع المفترسة، ورد ذكره على لسان شعراء الجاهلية مثل زهير بن أبي سلمى القائل:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا   ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

انظر الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (د. ط)، منشورات دار اليمامة - الرياض، (د.ت)، ص ٧٦، ٨٢، ١٢٦، ٢٦٨. ومحمد بن كرم بن منظور، لسان العرب، ج١٠، (د.ط) (دار الحديث للنشر - القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ص١١١. وعبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، ج٤، ط١، (دار الجنان - بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ١٥٧. وأبو العباس ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، (د. ط)، (دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٢هـ)، ص ٥٠. محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ج١، (مطبعة العاني - بغداد، ١٩٧٦م)، ص ٤٢٢.

(٣) حَكَم: نسبة إلى حكم بن سعد العشيرة بن مذحج، وملوكه من بني عبد الجد ويحوي هذا المخلاف الكثير من المدن المندثرة مثل الساعد والخصوف وهجر والسقيفتين وغيرها. انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٦٨، ٢٥٨. ومحمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، ج٢، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، (مكتبة الخانجي - القاهرة، (د.ت)، ص ٤٠٥.

(٤) الدولة الزيادية: نسبة إلى الأمير محمد بن زياد الذي أسسها في تهامة اليمن سنة (٢٠٣هـ/٨١٩م)، وقد استمرت هذه الدولة حتى سقوطها سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)، انظر: عمارة الحكمي، المصدر السابق، ص ١٦٥، ١٦٦، وتاج الدين عبدالباقي بن عبد المجيد، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي ومحمد بن أحمد السنباني، ط١، (دار الحكمة - صنعاء، ١٩٨٨م)، ص ٥٠-٧٦.

(٥) زبيد: مدينة يمنية مشهورة بسهل تهامة اليمن، أسست في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، على يد محمد بن زياد سنة (٢٠٤هـ/٨٢٠م)، وقد سميت بذلك لوقوعها في قلب واد مشهور بهذا الاسم. انظر. الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٤٣، ١٤٨، وجمال الدين يوسف بن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة "تاريخ المستبصر"، تصحيح وضبط: أوسكر لوفغرين، (مطبعة بريل - ليدن، ١٩٥١م)، ص ٦٧. وعبدالرحمن بن عبد الله الحضرمي، تهامة في التاريخ، ط١، (المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، ٢٠٠٥م)، ص ٢٦٩.

(٦) الأشراف السليمانيون: ينسبون إلى سليمان بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. انظر: محمد بن حيدر النعمي، الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف، نسخة مخطوطة، نسخت في سنة (١٣٥٧هـ)، مصورة من مكتبة محمد بن علي الحكمي - الرياض، ص٢١. وعلي بن أحمد بن حزم، جمهرة النسب، تحقيق: عبدالسلام هارون، (د. ط)، (دار المعارف - مصر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص ٤٧.

فيه بفروعهم المختلفة حتى سقوط الإمارة القطبية[١]، آخر أسر الأشراف السليمانيين على يد حاكم مكة الشريف أبو نمي بن بركات[٢]، سنة (٩٣٤هـ / ١٥٣٦م)، وبسط نفوذه على المخلاف السليماني [٣]، وبعد سنتين من نفوذ أشراف مكة وقع المخلاف السليماني تحت السيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان بن سليم خان [٤]، بعد أن نجح قائده سليمان الخادم [٥] في الاستيلاء عليه أثناء عودته من حملته على بلاد الهند سنة (٩٤٥هـ/١٥٣٨م)، وتم له طرد نائب الشريف أبي نمي بن بركات ثم عين نائباً من قبله على الإقليم وزوده ببعض القوات، ثم ربطه بالقائد العثماني في تهامة اليمن مصطفى عزة[٦] الذي قام مباشرة بإرسال الكشاف[٧] إلى سائر بلدان تهامة ومن ضمن ذلك المخلاف السليماني [٨].

---

(١) الإمارة القطبية: نسبة إلى الشريف قطب الدين بن محمد بن هاشم والد مؤسس هذه الإمارة الأمير خالد بن قطب الدين الذي بدأ حكمه لها سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، وقد استمر أحفاده يحكمون هذه الإمارة حوالي مائة وأربعين عاماً حتى سقوطها. انظر: محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ط٢، (دار اليمامة - الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٢٠٢، وأحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة، ط١، (مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص١٥٧.

(٢) الشريف أبو نمي بن بركات: ولد سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م)، تولى الحكم في إمارة مكة بعد وفاة والده سنة (٩٣١هـ/١٥٤٢م) وقد بلغت الإمارة في عهده أوج اتساعها، كانت وفاته سنة (٩٩٢هـ/١٥٨٤م). انظر: عبد الله بن علي النعمان، العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني، تحقيق: علي بن حسين الصميلي، رسالة دكتوراه، لم تنشر، (جامعة الملك عبدالعزيز - جدة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ٣٦٥. وهو جزء من كتاب المؤلف المذكور هنا وسيرد ذكر جزء المخطوط الذي رجع إليه الباحث بتفاصيله.

(٣) انظر: قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني، البرق اليماني في الفتح العثماني، إشراف: حمد الجاسر، (د.ط)، (دار اليمامة - الرياض، ١٣٨٧هـ)، ص ٨٧، ٨٨.

(٤) سليمان بن سليم خان: أبرز سلاطين الدولة العثمانية، تولى السلطنة سنة (٩٢٦هـ/١٥١٨م)، وتوفي سنة (٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، وبلغت الدولة العثمانية في عهده أوج اتساعها. انظر: نجم الدين محمد بن أحمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج٣، تعليق: خليل المنصور، (د.ط)، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ت)، ص١٤٠. وأبي الفلاح عبدالحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٨، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت)، ص ٣٧٥. وحسين بن أحمد العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، مراجعة وتصحيح محمد سالم، ط١، (مكتبة الإرشاد - صنعاء - ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٧٠.

(٥) سليمان الخادم: أحد القادة العثمانيين في القرن العاشر الهجري، اسند إليه السلطان سليمان بن سليم خان قيادة الحملة العسكرية إلى بلاد الهند للتصدي للبرتغاليين، وطردهم من السواحل الهندية، وقد تمكن في حملته من إحباط مخططات البرتغاليين في سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية بإسقاطه للوحدات السياسية في تهامة اليمن، فاتخذ من زبيد مقرا له، ثم عُين فيها بعد كاشفا للمخلاف السليماني وظل في منصبه حتى قتل سنة (٩٧٣هـ/١٥٦٥م)، بسبب تقصيره في حماية المحمل اليمني المتجه إلى مكة. انظر: النعمان، المصدر السابق، محقق، ص١٩٣.

(٦) مصطفى عزة: القائد العثماني الذي استخلفه سليمان الخادم في تهامة اليمن فاتخذ من زبيد مقراً له، ثم عُين فيما بعد كاشفا للمخلاف السليماني وظل في منصبه حتى قتل سنة (٩٧٣هـ/١٥٦٥م) بسبب تقصيره في حماية المحمل اليمني المتجه إلى مكة. انظر: النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ١٩٣.

(٧) الكشاف: هم الذين يقومون بجمع المال. انظر: النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٢٩.

(٨) انظر: النهرواني، المصدر السابق، ص ٨٧، ٨٨.

ومنذ ذلك الوقتٍ خضع المخلاف السليماني لسيطرة العثمانيين لفترة استمرت واحداً وتسعين عاماً إلا أنه مع خضوع المخلاف السليماني للدولة العثمانية ظلت بعض بقايا أسرة آل القبطي وأبناء عمومتهم آل الخواجي[١] يحكمون أجزاء من المخلاف السليماني [٢]، ونتيجة لمقاومة أئمة اليمن ومحاولتهم قطع خطوط الإمدادات العثمانية، وتشتيت قواهم بفتح جبهات أخرى عليهم، وضربهم من الخلف عن طريق بعض الحملات العسكرية على المخلاف من وقت لآخر ،فضَّل القادة العثمانيون التنازل عن جزء من شمالي المخلاف[٣] لشريف مكة أبو نمي واكتفوا من سكان هذه الجهات بإظهار الطاعة، والمبالغ السنوية التي يأخذونها منهم[٤] ومن هنا ركَّز العثمانيون اهتمامهم في السيطرة الفعلية على مدينة أبو عريش عاصمة المخلاف وبندر جازان[٥]، وذلك لضمان عدم ضربهم من الخلف في حالة مهاجمة القوات اليمنية لهم، أو تعاونهم مع أسر وقبائل المخلاف ضد العثمانيين، ولضمان سلامة خطوط إمداداتهم من الحجاز[٦].

ويمكن القول بأن المخلاف السليماني خلال فترة بحثنا كان يتكون من الوحدات السياسية الآتية: (١) مدينة أبو عريش وبندر جازان تحت سيطرة العثمانيين .

---

(١) آل الخواجي : نسبة إلى الشريف محمد بن حسين بن أحمد بن حسين بن عيسى بن أبي القاسم بن أحمد بن علي، وهو الملقب " بالخواجي " ، بن سليمان بن غانم بن يحي بن حازم ينتهي نسبه إلى موسى الجون . كان بداية ظهور إمارتهم في النصف الثاني من القرن العاشر / السادس عشر الميلادي على يد الأمير أحمد بن حسين بن عيسى بن حسين الخواجي، وكانت قاعدة إمارتهم مدينة صبيا، وقد احتفظ آل الخواجي بزعامة صبيا حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي . انظر . عبدالله بن علي النعمان، العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني، نسخة مخطوطة بتاريخ ١٣٢٣هـ، مصورة من مكتبة الدكتور علي بن حسين الصميلي، ص ٣٤٠ . و النعمي، المصدر السابق، ص٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٢ .

(٢) انظر . النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ١٩، ٢٤، ٦٩، ٧١، ١٢٩.

(٣) شمالي المخلاف : يشمل بيش، ودرب بني شعبة، والشقيق . انظر . النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢، ٤١٣، ٣٥٩، ٣٦٥ . ومحمد بن يحي زبارة، خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون، ج٤، ط١، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤٢٣هـ، ص ٣١٥ .

(٤) انظر . النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٤٠ .

(٥) بندر جازان : البندر، كلمة فارسية، وجمعها بنادر، ولها عدة معان منها المدينة البحرية أو الساحلية والمقصود بها هنا مدينة جازان الحالية، وهي غير جازان العليا الواقعة شمال شرقي أبو عريش، وقد اندثرت وبقيت أطلالها . ولم يذكر اسم بندر جازان في المصادر إلا في حوادث القرن السابع الهجري وما بعده، حيث بدأ اسمها في الظهور باسم جازان الساحل تمييزا لها عن جازان العليا . ووردت الإشارة لها في صفة جزيرة العرب باسم باحة جازان . النظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٧٣، ٢٦٨. ومحمد بن أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية- مقاطعة جازان، ط٢، (دار اليمامة- الرياض، ١٣٩٩هـ)، ص ١٨ . وعلي بن حسين الصميلي، العلاقات بين أسر وقبائل المخلاف السليماني وولاته العثمانيين في العصر العثماني الأول، بحث منشور ضمن مداولات اللقاء العلمي السنوي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والمنعقد في الدوحة- قطر (٦-٩ صفر ١٤٢٥هـ/٢٧-٣٠ مارس ٢٠٠٤م). بعنوان دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، ص ٤٣٢. ولويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ط٣٨، دار المشرق- بيروت، ٢٠٠٠م، ص٥٠ .

(٦) انظر : النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص٤٠ .

(٢) إمارة صبيا وتخضع لسلطة الأشراف الخواجيين الذين يتبعون الدولة العثمانية. **(٣)** الحُقَار[١] ونواحيها وكانت تحت سيطرة الأشراف القطبيين . **(٤)** الجهات الواقعة شمال وادي بيش[٢] وتتبع لشريف مكة . وبسبب هذه التجزؤآت السياسية عانى المخلاف من أطماع القوى المجاورة، سواء الواقعة شماله كأشراف مكة، وأمراء بني حرام[٣] حكام حلي بن يعقوب[٤]، أو الواقعة جنوبه مثل أئمة اليمن .

استهل القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، بمرحلة سياسية في تاريخ المخلاف السليماني تمثلت في الخلاف بين الكاشف العثماني للمخلاف الأمير رضوان[٥] والشريف أحمد بن عيسى القطبي[٦]، سنة (٩٩٧ هـ/ ١٥٨٥م)، وقيام الوالي العثماني علي الجزائري[٧] في صعدة[٨]، باستدعائهما إليه لحل ذلك الخلاف، وحرصا

---

(١) الحُقَار : موضع بين الحرث والعارضة، ويتبعها عدة قرى منها المَعَنَّق، والسَّلْب، والخَشْعَةُ، والمِدب، والحازَة . انظر . العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ١٦٥، ١٨٢ .

(٢) وادي بيش : من أكبر أودية تهامة الذي يسقي عند أقصى فيضان له ما مساحته(٦٠) كم في(٣٠) كم تقريباً، ويقع شمال مدينة جازان على بعد حوالي (٧١) كم، ويتبع هذا الوادي مدينة بيش، و مسلية، وأم الخشب، والمطعن . انظر. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٦، ٢٥٩ . وعلي بن الحسين بن أحمد الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٦١ . والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٦١- ٦٢ .

(٣) بنو حرام : ينتسبون إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة . انظر. ابن حزم، المصدر السابق، ص١٨٩، وقد بدأت إمارتهم لمخلاف حلي منذ القرن الثالث الهجري . انظر: أحمد عمر الزيلعي، المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق٣-٩هـ/٩-١٥م)، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت، الرسالة ٣٩، الحولية (٧(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص١٧. وقد احتفظ بنو حرام الكنانيون بتوارث الحكم في مخلافهم حتى خضعت إمارتهم خضوعاً مباشراً لأشراف مكة المكرمة سنة (٨٧١هـ/١٤٦٧م).

(٤) حَلى (بالفتح ثم السكون على وزن ظَبْي)، وهي بلدة تقع جنوب القنفذة، وسكانها قبيلة واحدة تنقسم إلى أربعة أفخاذ هم: عبيد الأمير، والغوانمة، والعلاونة، وكنانة . انظر. الحموي، المصدر السابق ،ج٢، ص ٣٤٩ . والهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٢. ومحمد بن عبدالله بن محمد الطنجي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة : غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (د . ط)، (دار الكتاب اللبناني – بيروت، ودار الكتاب المصري – القاهرة، د .ت)، ص١٦٤. وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ط٢، (مكتبة النصر الحديثة – الرياض، ١٣٨٨ هـ)، ص ١٥٣.

(٥) الأمير رضوان : من القادة العثمانيين في بلاد اليمن، تولى كشوفية المخلاف السليماني مرتين، الأولى في سنة (٩٩٧هـ/١٥٨٥م)، والثانية في سنة (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م). انظر : النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٩٦-٤٣٤.

(٦) الشريف أحمد بن عيسى القطبي : من كبار أمراء الأشراف آل قطب الدين، تزعم لواء مقاومة العثمانيين بعد وفاة أبيه سنة ٩٨٧هـ/١٥٧٩ م، وانتصر عليهم أكثر من مرة، ثم ما لبث أن تصالح معهم حتى وفاته سنة ١٠٢٤هـ/١٦١٥م . انظر . النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٣٠ – ٤٠٠ .

(٧) علي الجزائري : من الولاة العثمانيين الذين أسندت إليهم ولاية جازان سنة ٩٩٧هـ / ١٥٨٥م، قُتل على أيدي سكان بلاد ريمة سنة ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م . انظر . النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٩٧، ٣٩٨. والصميلي، العلاقات بين أسر وقبائل المخلاف السليماني وولاته العثمانيين ، ص ٤٠٧، ٤٣٧ .

(٨) صَعْدة : من أقدم المدن اليمنية، كانت تُسمى في الجاهلية جماح، تقع شمال صنعاء على بُعد ٣٠٠كم، وتعتبر حصن الزيدية ومُستقر أئمتها منذ وصولهم إلى اليمن، ومركزاً من المراكز العلمية الزيدية في بلاد اليمن . انظر. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١١٥. ومحمد بن أحمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج١، تحقيق : إسماعيل بن علي الأكوع، (د ط)، وزارة الإعلام والثقافة – اليمن

منه على فصل الخلاف وعدم اصطدامهم أخذ أحد أبناء الشريف رهينة لديه، ثم أعادهما إلى المخلاف، وبعد عودتهما عمَّ الهدوء جهات المخلاف حتى سنة (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) حدث أن توفي الرهينة القابع عند الوالي العثماني في صعدة فأمر كاشفه على المخلاف الأغا محمد شاوش بالقبض على زوجة الشريف أحمد وأحد أبنائه والاتجاه بهما إلى صعدة ليكونا رهينة لديه عوضا عن الرهينة المتوفى، فامتثل الأغا محمد لأمر والي صعدة وقبض عليهما، وأراد التوجه بهما إلى صعدة، إلاّ أن الشريف أحمد اعترضه في الطريق وقتله واستعاد زوجته وابنه، ولم يلبث والي صعدة أن أصدر مرسوماً بالعفو عنه ولم يتخذ أي إجراء ضد قتلة كاشفه على المخلاف، وذلك نتيجة لكثرة عزل ولاة صعدة من قبل السلطان العثماني حرص ولاة صعدة على إيجاد نوع من العلاقات السيئة بين ولاة المخلاف وأشرافه[1].

واختلفت سياسة الولاة العثمانيين في تهامة اليمن تجاه المخلاف السليماني من والٍ لآخر، حيث تذكر المصادر أن الصراعات الأسرية احتدمت في إمارة صبيا بين الأشراف الخواجيين، وكثر القتل فيهم، فلما بلغ نبأ ذلك الصراع صاحب صنعاء الوزير حسن الضحاك[2]. كَلَّف واليه على صعدة الأمير مصطفى، بالإصلاح بينهم، وإلزامهم الهدوء، فأرسل بدوره مرسوماً لكاشفه على المخلاف يأمره بتنفيذ ما جاء بمرسومه، فعقد اجتماعاً في صبيا شهده قاضي أبو عريش والمشائخ الصوفية آل الحكمي، وقد خرج هذا الاجتماع بصلح تضمن عدة شروط هي: **(١)** عدم حمل السلاح من الجانبين. **(٢)** تخطيط جديد في المدينة لكل فريق لا يتعداه الآخر. **(٣)** التنكيل بالطرف المخل بشروط الصلح من قبل الوزير. **(٤)** اختيار وسطاء لمراقبة مدى التزام الطرفين بالشروط. **(٥)** الالتزام بشروط هذا الصلح من الطرفين مدّة أربع سنوات ونصف[3]. وبذلك رأت الدولة العثمانية أنه من الضروري إحكام قبضتها وسيطرتها على المخلاف أكثر من ذي قبل، وتقليص نفوذ الأشراف، وتوسيع نفوذ وسلطات الكاشف العثماني في المخلاف.

،١٤٠٤هـ، ص ٨٠. وإبراهيم بن أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، ط١، دار الكلمة – صنعاء، ١٩٨٥م، ص ٩٠٧، ٩٠٨.

(١) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٤٠.

(٢) الوزير حسن باشا (الضَّحَاك): من أشهر الولاة العثمانيين الذين تولوا ولاية اليمن، أنعم عليه السلطان مراد بالباشوية بعد وفاة الوزير الأعظم محمد باشا، وخيره الولاية التي يريدها فاختار اليمن التي مكث بها خلال الفترة (٩٨٨هـ/١٥٨٠م – ١٠١٣هـ/١٦٠٤م. انظر. محمد أمين بن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٢، (د .ط)، (دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، د. ت)، ص ٧٣- ٧٦. والعرشي، المصدر السابق، ص ٧١.

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٤. والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ص ٣١٤. وزين بن رشيد الشافعي، الروض الزاهر في سيرة التّأريخ والنّسب الظاهر "للأسر القرشية العدنانية" بمنطقة جازان، ط١، (الرياض ،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص ٣٨٨، ٣٨٩.

وبهذا أدرك كشاف المخلاف وأشرافه مدى قوة ولاة صعدة وحزمهم في التعامل مع من يريد إثارة الفتنة وإزعاج الأمن، وأنهم لن يتساهلوا مع الولاة في تجاوزاتهم على الرعايا، ومع الأشراف في تمرداتهم على الولاة، لذلك آثروا الهدوء والسكينة، خاصة في عهد الوزير حسن باشا، والوالي سنان باشا [(١)] الذي جاء من بعده واستمر إلى سنة (١٠١٦هـ/١٦٠٧م) . وبعد انتهاء فترة هذين الواليين عاد كشاف المخلاف من العثمانيين إلى الظلم والاستبداد والتحريض ؛ فتذكر المصادر أن الكشاف العثمانيين بالمخلاف عملوا للحد من نفوذ أشراف المخلاف بتحريض بعضهم ضد بعض، لاستنزاف قواهم وإضعافهم اقتصادياً، ولضمان عدم مجابهتهم للدولة العثمانية والوقوف ضدها . ومن ذلك ما قام به بعض الكشافين العثمانيين في المخلاف من دعم أحد أشراف المخلاف السليماني وهو الشريف عز الدين بن حسين الخواجي ضد الشريف أحمد بن حسين الخواجي، حرصاً على عدم اتحادهم وتعاونهم [(٢)] . ومن أمثلة ذلك أيضا قيام كاشف المخلاف الأغا شاكر [(٣)] سنة (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ، بالتعاون مع الأشراف الخواجيين إبان مهاجمتهم للأشراف القطبيين في بلادهم الحقار، وأحرقوا مساكنهم، واستولوا على أموالهم، إلا أن الأشراف القطبيين كمنوا لهم عند العودة في الطرقات ومضايق الأودية، وقتلوا كثيرا منهم، واستعادوا أموالهم، ولم يكتف الأشراف القطبيون بذلك بل واصلوا زحفهم حتى مدينة أبو عريش ولوقوف الأشراف الخواجيين بجانب كاشف المخلاف، لم يتمكن القطبيون من الاشتباك معهم أو الاستيلاء على المدينة، فعادوا إلى بلادهم [(٤)] .

ولتوقف الإمدادات العسكرية التي تصل إلى العثمانيين في اليمن وقيام الإمام القاسم بن محمد [(٥)] وابنه محمد بن القاسم [(٦)] بثورتهما، والتفاف القبائل اليمنية

---

(١) انظر . المحبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٧، ٢٢١ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٦ .

(٣) الأغا شاكر : أحد الكشاف العثمانيين الذين تولوا كشوفية المخلاف السليماني سنة ١٠٢٥هـ /١٦١٦م، وعزل في السنة نفسها . انظر . النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٥ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٦ .

(٥) الإمام القاسم بن محمد : ولد سنة ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م، دعا لنفسه بالإمامة سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م، دخل في حروب مع القوات العثمانية، وانتصر عليها في أكثر من معركة، ثم عقد صلحاً معها، وكانت وفاته سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م . انظر . المطهر بن أحمد الجرموزي، النبذة المشيرة إلى جملة من عيون السيرة في أخبار المنصور بالله رب العالمين القاسم بن محمد، تحقيق: عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، (مكتبة اليمن الكبرى – صنعاء، (د . ت) ، ص ٧١٥. وزبارة، خلاصة المتون ،ج ٤، ص ٨٨، ٨٩ . والعمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٣٣ .

(٦) محمد بن القاسم: ولد سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، تولى الإمامة بعد وفاة والده سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠ م) ، وفي عهده انتقض الصلح الذي عقده والده مع العثمانيين سنة(١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ، فثار عليهم وألحق بهم هزائم كبيرة حتى أخرجهم من اليمن، وكانت وفاته سنة (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) . انظر. إبراهيم بن

حولهما، وانتصارهما علـى العثمانيين في العديد من المواجهات العسكرية، واستعادتهما بعض المدن اليمنية الأمر الذي أدى إلى التخبط في تصرفات الولاة العثمانيين واعتمادهم على أنفسهم في توفير الموارد المالية عن طريق الظلم والاستبداد والسلب والنهب، ومصادرة الأموال وغيرها، في العديد من الأقاليم العثمانية، وكان المخلاف السليماني من الأقاليم التي أضحت ضحية لتصرفات الولاة، وعانى من ذلك، فيذكر النعمان[١] أنه في سنة (١٠٣١هـ/١٦٢١م) أسند إقليم المخلاف إلى الأغـا درويش[٢] وكان ظالما غشـوما فأخرب البلاد وأهلك العباد، وأكثر الجور والفسـاد، فشـكاه العلماء والتجار والمزارعون والضـعفاء والمساكين إلى الباشا فضـلي[٣] لكنه لم ينصفهم لأن الأغا درويـش علـى ما يبدو كان يجمع المال للباشـا فضـلي، وأن بقاءه على إقليـم المخلاف متوقف على قدر ما يرسله من الأموال، ويقال بأن الذي جمعه فضلي باشا من الأموال في عام واحد من إقليم جـازان واحـد وثلاثون ألفـا من الذهب، وذلك لكثرة الجور والمصـادرات . وعلـى الرغم من تلك الأساليب القمعية التي ارتكبها الكشاف في المخلاف، لم يكن لسكانه أي موقف إزاء هذه الأساليب، وذلك للصراعات الأسرية التي أشعلها الكشاف فيما بينهم خلال هذه الفترة [٤] .

٢. خروج العثمانيين من المخلاف السليماني (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) :

في هـذه السـنة انتقض الصـلح[٥] المبرم بـين العثمانيـين والإمام القاسـم بن محمـد في عهـد ابنـه الإمام محمـد بن القاسـم، ورغبة مـن الإمام محمد في حصـر

القاسـم ابن المؤيد، طبقات الزيدية الكبرى، ج٢، تحقيق : عبد السـلام بن عباس الوجيه، ط١، مؤسسة الإمام زيد الثقافية – عمّان، ١٤٢١هـ، ص ١٠٤٩– ١٠٦١ . ومحمد بن أبي القاسـم البحر، تحفة الدهر في نسـب الأشـراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصـر، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشـي وحسـن محمد ذياب، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ – الإمارات، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٩٧. وزبارة، خلاصة المتون ،ج ٤، ص ٢٠٨ . والعمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٣٤– ٣٦ .

(١) المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٢ .

(٢) الأغا درويش : لم أجد له ترجمة أكثر مما ورد في المتن، إلا أنه قتل في بلدة صـبيا أثناء عبوره البلدة إلى بلاد الشام سنة (١٠٣٣هـ/١٦٢٣م) . انظر . النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٤ .

(٣) فضلي باشا : تولى ولاية اليمن سنة (١٠٣١هـ/١٦٢١م)، وقد ظل في ولايتها حتى عزل عنها سنة (١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٤م)، توفي في السـنة نفسـها في مدينة أبو عريش . انظر . النعمان، المصـدر السابق ، مخطوط، ص ٣٦٤ . ومحمد بن إسـماعيل الكبسـي، اللطائف السَّـنيَّة في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق : خالد أبا زيد الأذرعي، ط١، مكتبة الجيل الجديد – صنعاء، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٣٢٦ .

(٤) الصميلي، العلاقات بين أسر وقبائل المخلاف السليماني وولاته العثمانيين في العصر العثماني الأول ، ص ٤١١ .

(٥) عُقد هذا الصـلح عام(١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م)، وأهم بنوده ما يلي: (١) تكون مدة هذا الصـلح عشرة أعوام .(٢) تعـترف الدولة العثمانية بسـلطة الإمام القاسـم بن محمـد على ما تحت يده من البـلاد وبإمامته عليهـا . (٣) يعترف الإمام القاسـم بن محمد بسـيادة الدولة العثمانية علـى اليمن . (٤) منع الجيوش العثمانية من التدخل في المنطقة الشمالية التي يحكمها الإمام القاسم بن محمد. (٥) وقف القتال الدائر بين الطرفين. (٦) إطلاق سـراح الأسـرى لدى الجانبين . انظر. الجرموزي، النبذة المشـيرة، ص ٦٥. والعرشـي، المصـدر السـابق، ص٧٥، ٧٦. والعمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصـر، ص ٢٥. ومحمد بن يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي ،ج٢، ط٤، دار التنوير– بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٠٥، ٢٠٦ .

القوات العثمانية في زبيد وضربها من الخلف، وإشغالها بالقتال في أكثر من جبهة لاستنزاف طاقتها، وقطع خطوط إمداداتها البرية من الحجاز، تمهيداً لإخراجها نهائياً من اليمن، أدرك أن ذلك لن يأتي إلا بالتعاون مع أشراف المخلاف السليماني من آل القطبي، والخواجيين؛ فوجّه إليهم رسالة يدعوهم فيها إلى التعاون معه ضد العثمانيين، والانضمام إلى قواته التي سيرسلها إلى المخلاف، والتزم لهم بما يريدون في مقابل ذلك[(١)] إضافة إلى استمرارية الجوامك[(٢)]، والمنافع والمصالح المعتادة لهم من الأتراك، فأدرك أشراف المخلاف أهمية ذلك العرض، وذلك لعلمهم بتردي أوضاع القوات العثمانية جراء الخسائر والهزائم التي تعرضوا لها في حروبهم مع الإمام محمد بن القاسم، فوجدها أشراف المخلاف فرصة سانحة لإجلاء القوات العثمانية عن بلادهم، واستعادة مكانتهم السَّابقة كطبقة حاكمة، ورغبتهم في الانتقام من هذه القوات التي طالما استنزفت أموالهم وألحقت بهم العديد من الهزائم طوال فترة حكمهم، وبعد أن ضمن الإمام محمد بن القاسم تخلي أشراف المخلاف عن الوالي العثماني، ووعدهم له بالانضمام إلى قواته التي سيرسلها إلى المخلاف، ونتيجة لهذا الاتفاق بينهم أرسل حملة عسكرية إلى المخلاف سنة (١٠٣٦ هـ/ ١٦٢٦م)، انضم إليها رؤساء وأشراف المخلاف السليماني، متجاهلين تهديد الكاشف العثماني بالانتقام منهم إذا خلعوا الطاعة، وتمكنت هذه الحملة بمؤازرة أشراف المخلاف السليماني من الاستيلاء على مدينة أبي عريش وبندر جازان، بعد انسحاب الكاشف العثماني وقواته منها إلى زبيد.[(٣)] وكان ذلك آخر عهدٍ للعثمانيين بالمخلاف السليماني في العصر العثماني الأول، ويعود الحكم فيه إلى أسره المحلية ممثلة في الأشراف آل القطبي، والأشراف آل الخواجي[(٤)]. وبهذا عاد المخلاف السليماني إلى حكامه من الأسر المحلية بعد خضوعه للقوات العثمانية مدّة واحد وتسعين عاما .

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٨ . وأحمد بن محمد الشرفي، اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، ج٣، مخطوط، مكتبة محمد جابر الخالدي – بني مالك، رقم٥٨٣١، ص ٣٢٢، ٣٢٣ . وأحمد بن محمد النمازي، خلاصة السلاف في أخبار صبيا والمخلاف، مخطوط، نسخة مصورة محفوظة في مكتبة الباحث الخاصة، ص ٦٨ – ٧٠ .

(٢) الجوامك : مفرد جامكية، وهي كلمة تركية تعني المرتَّب الذي يُدفع لموظف الدولة . انظر . عبد الرحمن بن علي بن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد، تحقيق: يوسف شلحد، دار العودة – بيروت، (د . ت)، ص ٣٨٩ . وأحمد عطية الله، القاموس الإسلامي ،ج١، ط١، (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م)، ص ٥٦٤ .

(٣) انظر . النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٨ . والمطهر بن أحمد الجرموزي، الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، ج١، تحقيق: أمة الملك إسماعيل قاسم الثور، رسالة دكتوراه، لم تنشر، (جامعة صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٤٩٦ .

(٤) انظر . النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٨ .

٣. المخلاف السليماني بعد الجلاء العثماني :

بعد خروج العثمانيين من المخلاف السليماني سنة (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م)، رجع الحكم فيه إلى أسره المحلية ممثلا في الأشراف آل القطبي، والأشراف آل الخواجي، إلا أن حالة الفوضى والانقسام عادت إلى الظهور من جديد، ودبّ الخلاف والنزاع بين أسره وقبائله، مما دعاهم إلى الاستنجاد بأئمة اليمن طوال الفترة الممتدة من سنة (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) إلى سنة (١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م)، فكان ذلك عاملاً ممهداً لأئمة اليمن بالتدخل المباشر وغير المباشر في شؤون المخلاف فتارة يقومون بدور الوسيط لحل الخلافات بين أسر وقبائل المخلاف، بل بلغ من تدخلهم المباشر أن ولّوا ولاة من قبلهم على بعض مدن المخلاف وخاصة جازان[١] وأبو عريش[٢] وقد أصبح المخلاف السليماني خلال هذه الفترة هدفا لأطماع العديد من القوى . فعلى الرغم من خروج العثمانيين من المخلاف السليماني، إلا أنهم قاموا بإرسال عدّة حملات على المخلاف أملاً في إخضاعه لنفوذهم مرة أخرى، ومن الأمثلة على ذلك ما قامت به قوات من العثمانيين بمهاجمة بندر جازان سنة (١٠٣٩هـ/١٦٣٠م)، ونهبه، وإخراب بيوته، وإحراقه، ثم خروجهم منه[٣]. وفي سنة (١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، اتجه العثمانيون إلى المخلاف ونزلوا بندر جازان ونكلوا بأهله [٤]. وفي سنة (١٠٤٣هـ/١٦٣٣م)، هاجمت بعض القوات العثمانية بندر جازان فما كان من أهله إلا الهرب[٥].

ومن القوى التي دخلت في صراع مع أشراف المخلاف خلال هذه الفترة أمراء بني حرام حُكّام حلي ابن يعقوب، وذلك لإحن قديمة بينهم[٦]، ومن الأمثلة على تلك المعارك قيام الشريف محمد بن حسين الخواجي حاكم صبيا سنة ١٠٧٢ هـ/١٦٦٢م،

(١) جازان : مدينة ساحلية على طريق حاج صنعاء، كان يطلق عليها اسم درب النجا، تقع شرق قرية حاكمة أبو عريش في طرف الحرة الغربي الشمالي . انظر . الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٩. والهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٢،٩٨. والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ١١٤ .

(٢) يحيى بن الحسين بن القاسم، أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن، نسخة مخطوطة، دار الكتب المصرية- القاهرة، رقم ١٣٤٧هـ، ص ١٦٩ . وزبارة، خلاصة المتون ،ج ٤، ص ١٣٨، ٢٧٣ .

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ،ج٢، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، (د. ط)، دار الكتاب العربي- القاهرة، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م، ص ٨٣١ . والجرموزي، الجوهرة المنيرة ،ج١، ص ٦٧٤. وزبارة، خلاصة المتون، ج٤، ص ١٣٩.

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨١ . وابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٨٣٥ .

(٥) ابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٨٣٥ . والشرفي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٩٣، ٣٩٤. وزبارة، خلاصة المتون، ج٤، ص١٤٧، ١٤٨ .

(٦) ابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٨٣٥ . والشرفي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٩٣، ٣٩٤. وزبارة، خلاصة المتون، ج٤، ص ١٤٧، ١٤٨ .

بغزو إمارة حلي ولكنه قوبل بمقاومة شديدة أدت إلى هزيمته وانكساره [١]. كما احتدم الخلاف والصراع في المخلاف بين حكّام المدن والقرى ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م)، عندما قامت قبيلة بني حبيب[٢] بمهاجمة صبيا، مما أدى إلى فرار سكانها واستعانتهم بالإمام المتوكل إسماعيل[٣]، الذي أعد حملة تمكنت من دفع خطر تلك القبيلة عن صبيا [٤].

كما أن الخلاف لم يكن محصوراً بين حكام المدن والقرى، فقد ثارت الفتن بين العائلة الواحدة، من أجل الثروة، ومن ذلك ما حدث من قتال بين أبناء الشريف أحمد بن حسين والتي انتهت بقتل الشريف محمد بن أحمد وجماعة من أنصاره [٥]، وكذلك ما حدث بين الأشراف الحوازمة من نزاع على أرض في قرية الظبية[٦]، انتهت بقتل أحد أشرافها [٧]. ومنها ما وقع من قتال بين أبناء الشريف عز الدين بن أحمد الخواجي سنة (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)، وعمهم الشريف حسين بن أحمد الخواجي لتغلبه على تركة أبيهم [٨]. وبحكم انقسام مجتمع المخلاف إلى قسمين بين الحاضرة والبادية؛ فقد ثارت العديد من المنازعات بينهم [٩]، ومن الأمثلة على تلك الحروب الحرب التي وقعت (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م)، بين الشريف محمد بن حسين الخواجي وبدو الشام [١٠]، التي

---

(١) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٠،١٧٩. وزبارة، خلاصة المتون، ج٤، ص ٣٥٦.

(٢) بنو حبيب: تقع منازلهم في وادي بيض، ووادي رملان، ويحتلون المنطقة الواقعة جنوب درب بني شعبة، وشمال الفطيحة، وبنو حبيب من وائلة من عسير. انظر. عبد الله بن علي العمودي، تحفة القارئ والسامع، ج١، تحقيق وتقديم: عبد الله بن محمد أبو داهش، (د. ط)، (مطابع الجنوب – أبها، ١٣٩٩هـ)، ص ٢٢٠.

(٣) المتوكل إسماعيل: ولد سنة (١٠١٩هـ/١٦١٠م)، وتولى الحكم بعد وفاة أخيه المؤيد عام ١٠٥٤هـ، تمكن من بسط نفوذه على جميع أجزاء اليمن، توفي عام ١٠٨٧هـ. انظر. المطهر بن أحمد الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، ج١، تحقيق: عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، ط١، (مؤسسة الإمام زيد بن علي – صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١١٤ وما بعدها. وزبارة، خلاصة المتون، ج٤، ص ٢٥٠. والحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢١٥ – ٢١٨.

(٤) يحيى بن الحسين بن القاسم، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ج١، تحقيق: أمة الغفور عبد الرحمن الأمير، ط١، (مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – صنعاء، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص ٦٩١. وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٢.

(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٥.

(٦) الظَّبْيَة: اسم لأنثى الظبي، وهي قرية جنوب شرق صبيا. انظر. نشوان الحميري، المصدر السابق، ص ٦٧. والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٧٩.

(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٢.

(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٦.

(٩) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ٢٤٤.

(١٠) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢.

انتهت بقتل الكثير من بدو الشــام. وبهذا اســتمرت الفوضى والانقســامات بين أسر و قبائل المخلاف السـليماني التي كانت سمة من سمات هذا القرن حتى استولى عليه الشريف أحمد بن غالب [١]. سـنة (١١٠١هـ)، وأصـبح خاضـعاً لنفوذه[٢]. ليشكل بذلك مرحلة جديدة في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي الذي يقع خارج نطاق دراستنا هذه.

رابعا : العوامل المؤثرة في الحياة العلمية بالمخلاف :

١. العامل الجغرافي :

يقع المخلاف السليماني في جنوب غرب الجزيرة العربية بين خط عرض (١٦- ١٨) وخط الطول (٤٢ — ٤٤) ويحده حسـب ما ذكره الزيلعي شمالاً البرك [٣]، وجنوباً شـرجة حرض[٤]. (المُوَسَّـم حالياً)، وشـرقاً سلسـلة جبـال السـروات، وغرباً البحر الأحمر[٥]. وقد أكسـب هـذا الموقع الجغرافي المخلاف السـليماني أهمية كبيرة، وذلك لكونه معبراً للقوافل التجارية التي تسـير من جنوب شـبه الجزيرة العربية إلى منطقة الحجاز ثم بلاد الشــام، حيث يفضـل أصحاب القوافل السـير فيه وذلك لطبيعة أرضه السـهلة، إضــافة إلى توفر عامل الأمن الـذي تقوم به القبائل الموجـودة في المنطقة[٦].

---

(١) الشـريف أحمـد بـن غالـب : تـولى إمـارة مكـة عـام (١٠٩٩هـ/١٦٨٨م)، إلا انـه أُزيـح عنهـا عام(١١٠١هـ/١٦٩٠م)، ثم توجـه إلى المخلاف وولي الإمارة من العام نفسـه، ثم عاد إلى الحجاز عام (١١٠٥هـ/١٦٩٤م)، ولم تطب إقامته بها فتوجه إلى تركيا وتوفي بها عام (١١٠٦هـ/ ١٦٩٥م) . انظر . علي البهكلي، المصدر السابق، ص ٨٥ . والعمودي، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٦ .

(٢) علي البهكلي، المصدر السابق، ص ٢٧ - ٧٠ .

(٣) الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية، ص ٩. ويوافقه في ذلك محمد بن منصور حاوي، ملامح الحياة العلمية والأدبية في المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال العصور الإسلامية الوسيطة (٤- ٩هـ) ،ع١، بحث منشور، مجلة العلوم الإنسانية — كلية الآداب - جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٥ . والبرك : بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر بين القحمة وحلي بن يعقوب، قيل: " سُميت باسم البرك بن وبرَة بن يعلى بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة " .انظر. الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج١ ،ص ١١٧ .

(٤) الشـرجَة: بلـدة أثرية على سـاحل البحر الأحمر، غربي مدينة المُوَسَّـم الحاليـة . انظر . محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسـان عباس، (د . ط)، (مكتبة لبنان — بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص٣١١ . وإسـماعيل بن محمد أبو الفداء، تقويم البلدان ،(د . ط)، (دار صـادر — بيروت، (د . ت)، ص ٩٠ . والحموي، المصـدر السابق، ج٣، ص ٣٨٩ و الهمداني، صفة جزيرة العـرب، صـ ٧٣، ٢٣٢، ٣٠٤. ومحمـد بن أحمد العقيلـي، الآثار التاريخية في منطقة جـازان، ط١، دار، اليمامة - الرياض، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م، ص٨٥ . والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٢٧ .

(٥) الحسـن بن أحمد عاكش، إتحاف السـادة الأشراف سكان المخلاف، نسخة مخطوطة مصورة من مكتبة علي بن حسـين الصـميلي، صـ ٤. والعقيلي، المعجـم الجغرافي، ص ١٧. والزيلعي، الأوضـاع السياسـية والعلاقات الخارجية، ص ٩ . ومحمد حاوي، المرجع السابق، ص ٥.

(٦) علي البهكلي، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ١٧ . وعلي بن محمد بن شيبان العريشي، السياحة في منطقـة جازان، نادي المدينـة المنورة، مج ١٦، ع ٣١، ٣٢، ربيع الثاني وجمادي الآخرة، ١٤٢١ هـ، ص ٢٩٤ .

فكان لهذا الموقع نتائجه الإيجابية على السكان، فقد أتاح لهم الفرصة الاحتكاك بسالكيه، والأخذ عنهم والإفادة منهم . ومما أكسب موقع المخلاف أهمية أيضاً وقوعه على طريق الحج اليمني، القادم من تهامة اليمن، وبذلك فهو همزة الوصل بين الحجاز واليمن، وكان لهذا الموقع تأثيره على الحياة العلمية ؛ وذلك نتيجة لمرور علماء اليمن وغيرهم بمدن المخلاف، والنزول بها للاستراحة في سفرهم ذهاباً وإياباً، وقد يطول هذا النزول، وقد يمتد لبضعة أشهر، إضافة إلى ترددهم على مدن المخلاف مع تكرار خروجهم للحج أو العمرة أكثر من مرة، ونتيجة لهذا التردد والنزول على أراضي المخلاف وبلدانه فتبدو الفرصة مهيأة لطلبة العلم بالمخلاف للالتقاء بهم، والأخذ عنهم، خاصة الطلاب الذين لا يتاح لهم السفر إلى اليمن (١).

بالإضافة إلى ذلك فإن موقع المخلاف السليماني له أهمية اقتصادية، فهو يقع على طريق التجارة القديم، مما جعل سكانه يتبادلون الأخذ والعطاء مع القوافل التجارية حين مرورها بأراضيهم، الأمر الذي ساعد على ازدهار ونشاط الحركة التجارية في المخلاف، وقيام بعض المدن والأسواق على هذا الطريق، ومساهمة أبناء المخلاف في الحياة الاقتصادية بمنتجات بلادهم الزراعية (٢).

ولكونه أكثر مناطق الجزيرة العربية خصوبة أرضٍ، ووفرة مياه، وآهلاً بكثرة السكان، فقد أصبح مركز جذب واستقرار بشري نظراً لتوفر مقومات الحياة الاقتصادية، التي ساعدت على ارتباط الإنسان بالأرض مما أدى بالتالي إلى استقراره ومن ثم مشاركته في جميع الميادين العملية ومن ضمنها التعليم .وقد وصفه الحسن بن أحمد عاكش فقال : " إن هذا المخلاف من أحسن المخاليف في جنوبي الجزيرة العربية " وإنه " مشتمل على أودية عظيمة، ومحاريث جسيمة، ومدن وقرى كثيرة " (٣). ومما أكسب موقعه أهمية أيضاً ؛كونه يصل بين أجزاء الجزيرة العربية الأخرى وبين دولة اليمن، ويمثل بوابة المنطقة الجنوبية للاستيراد والتصدير(٤). كما كان لموقعه أيضاً تأثير كبير على مجريات الحياة السياسية والاقتصادية و الاجتماعية والثقافية، إذ استقر فيه عدد من النازحين والطامحين من المناطق المجاورة وخاصة من الحجاز، وشاركوا في الحياة السياسية، وكان لهم تأثير على الحياة العلمية، ونافسوا سكانه في التدريس (٥).

---

(١) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٨ .

(٢) علي البهكلي، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٤ .

(٤) العريشي، السياحة في منطقة جازان، ص ٢٩٤ .

(٥) النمازي، المصدر السابق، ص ٨٠، ٨١ . والحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني المسمى " الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك "، تحقيق :

بالإضافة لذلك فوقوع المخلاف بين مركزين من مراكز الحضارة الإسلامية إحداهما بلاد اليمن المتنوعة المشارب والثقافات والمذاهب والتيارات الفكرية التي شجعت طلبة العلم بالمخلاف بالسفر إليها، والارتواء من مناهلها [١]، والأخرى مكة المكرمة منارة العلم، والمكانة الدينية، التي شجعت على استقطاب طلبة العلم من جميع أنحاء المعمورة، الأمر الذي جعلها مقصداً لطلبة علم المخلاف لشد الرحال إليها، والأخذ من علمائها[٢]، كل ذلك ساعد على وجود بيئات علمية ذوات نشاط علمي وديني وأدبي أسهمت في رُقي علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، وشتى ألوان الحضارة الإسلامية .

٢ : العامل السياسي

سارت الدولة العثمانية عقب إخضاعها اليمن بشكل عام والمخلاف السليماني بشكل خاص على أنظمة معينة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية. وقد مرت تلك التنظيمات بمراحل عديدة صدر خلالها عدد من المراسيم التي نظمت الشؤون المالية والعسكرية والإدارية في ولايات الدولة المتعددة [٣]. وانطلاقاً من حرص الدولة العثمانية على تقوية حكمها المركزي في ولاياتها العربية أصدرت قراراً يقضي بتعين كاشف للمخلاف السليماني يُعيّن من قبل القائد العام للقوات العثمانية في بلاد اليمن – سواء كان مركز القيادة في تهامة اليمن أو صنعاء أو صعدة [٤] بعد الاستيلاء عليها سنة (٩٩١ هـ/ ١٥٣٨م) – يستمد منه الأوامر والتعليمات ويرفع إليه الشكاوى والأموال وغير ذلك ويكون مسئولا أمام القائد العام عن كل ما يتعلق بالمخلاف[٥]. وقد هدفت الدولة العثمانية من ذلك إلى تقليص نفوذ أشراف المخلاف السليماني بإيجاد سلطة ثنائية ترتكز على الوالي .

كما عملت على تحديد سلطة الشريف التي من أبرزها جباية الضرائب والزكاة في أوقاتها المحددة، وقيامه ببعض المهام التي تساعد على حفظ الأمن في البلاد وحرصه الدائم على حل مشاكل أفراد قبيلته[٦]، فكان بمثابة حلقة الوصل بين الإدارة العثمانية الحاكمة آنذاك في المخلاف وبين العشائر التي يرأسها، فهو المسئول الأول عن بحث

إسماعيل بن محمد البشري، ط١، (نشر دارة الملك عبد العزيز – الرياض، ١٤٢٤هـ) ، ص ٦٥ .

(١) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٣ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٤ .

(٤) المصدر نفسه، محقق، ص ٣٥٨ – ٣٦٠ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٧٢ .

(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٤ .

أي مشكلة أو حادثة قد تقع في القبيلة فيجتهد في حلها أو معالجتها [١]، وجعلت قوانين تحدد حقوق المواطن وواجباته، وبموجب ذلك أنشئت مجالس عموم القضاء[٢]، وذلك لمناقشة القضايا المتعلقة بالنزاعات مع القبائل الأخرى، وقضايا القتل، وغيرها . واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها . وعملت الدولة العثمانية خلال فترة إدارتها وحكمها للإقليم (القرن الحادي عشر الهجري) على إيجاد الكُتَّاب في المخلاف السليماني الذين تكون مهمتهم كتابة التقارير في شتّى النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية[٣]. ومما لا شك فيه أن الدولة العثمانية هدفت من ذلك التعرف على أحوال كل ولاية من ولاياتها بسهولة خاصة إذا ما تم تعيين والٍ جديد .

ومن التعليمات التي أصدرتها لكشاف المخلاف، ألا يتخذوا أي قرار بالعقوبة أو الاعتداء على أسر وأشراف المخلاف إلا بعد إشعار ولاة تهامة اليمن بذلك، وانتظار التوجيه منهم، وكان الغرض من هذه التعليمات أن يقتصر نفوذهم على حكم البلاد باسم الدولة العثمانية . أما بالنسبة لأمر القوة الحربية، فقد كان للكاشف قوات عسكرية تركية في مدن أبو عريش وجازان وتكون تلك القوة تحت إمرته إذا أراد استخدامها، وبذلك تمكنت من إحكام قبضتها بكثير من الفاعلية على المخلاف السليماني[٤]. وبناء على تلك الأنظمة قامت الدولة بتنظيم الإدارة في المخلاف وفي مدينة أبو عريش على وجه الخصوص، ففي مجال القضاء كان يتم تعيين قاضي أبو عريش من أبناء المنطقة الموالين للدولة العثمانية، وأغدقت عليهم الأموال والهدايا في سبيل كسب ودهم، حيث تم تعيين الشيخ عمر بن أحمد بن المقبول الأسدي قاضياً لأبو عريش من قبل الكاشف العثماني في المخلاف[٥]. وهذا التودد من قبل الدولة العثمانية يعود إلى إدراكها لمكانة الشيخ الأسدي عند أهالي المنطقة، الأمر الذي ساعده على إدارة المخلاف السليماني تحت الحكم العثماني، خاصة وأن أهالي المنطقة كانوا يعتزون بمكانة الشيخ وأسرته لديهم، لكونه من العلماء الأجلاء في البلاد ،علاوة أن الدولة العثمانية أرادت بذلك كسب رضا أهالي المخلاف بتحقيق رغباتهم في تعيين من هم أهل للثقة من أبناء المنطقة نفسها وبالتالي تكسب ودَّ ورضا مجتمع المخلاف عنها باعتبارها دولة إسلامية تحتكم إلى الكتاب والسنة في تسيير مختلف أمورها، وقد كان يُطبَّق على العثمانيين

---

(١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٩ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٩ .
(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٨ .
(٤) المصدر نفسه ، مخطوط، ص ٣٥٦.
(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٤ .

جميع الأحكام الشرعية التي تُطبَّق على أبناء المخلاف السليماني [١]. كما أن المراسيم التي كانت تصل من ولاة صعدة لكشاف وأشراف المخلاف تترجم من اللغة التركية العثمانية إلى اللغة العربية بواسطة مترجمين [٢].

وبحكم وقوع المخلاف بين اليمن والحجاز فقد أصبح منطقة استقطاب لمن يخرج من تلك المناطق نتيجة لظروف سياسية أو غيرها، فطاب مقام البعض منهم في المخلاف، ونشر علومه، وأفاد أهله . وعلى رأس هؤلاء الشريف خيرات بن بشير بن أبي نمي [٣]، الذي فَضَّل البقاء والاستقرار في أبو عريش، وهناك اتخذ حلقة علمية وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب، ودرس على يديه الكثير من أبناء المخلاف خاصة في علوم اللغة العربية، فكان له إسهام في الحياة العلمية ودعم مراكز التعليم، واستمر به الحال حتى توفي في أبو عريش ولم يعد إلى بلده [٤]. ومن العلماء الذين اتخذوا من المخلاف مأوى لهم نتيجة لظروف سياسية، العالم عبدالله بن أحمد بن باوزير، أحد المجاورين بمكة المكرمة، كان لا يخشى في الله لومة لائم، فقد حدث خلاف بينه وبين الولاة العثمانيين لأنه رأى منهم عدم تطبيقهم للشريعة الإسلامية في بعض الأمور، واضطر آخر الأمر للهجرة إلى المخلاف والاستقرار في صبيا، وبقي بها فترة التقى خلالها بالعديد من العلماء وطلاب العلم الذين استفادوا منه وأفاد منهم [٥].

ومما سبق ذكره يتضح أن الدولة العثمانية عملت مجهودات في سبيل إيجاد مراكز إدارية بالمخلاف السليماني، وهكذا بلغت أهدافها بربط المخلاف مباشرة بالسلطة

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦ .

(٢) المصدر نفسه، محقق، ص ٢٩٧ .

(٣) يمكن حصر اجتهادات المؤرخين في بيان سبب خروجه في ثلاثة آراء هي :(أ) أن يكون خروجه بسبب ضعف المذهب الزيدي في مكة المكرمة الذي يعد أحد أتباعه ومؤيديه .(ب) بسبب الاضطرابات السياسية في مكة المكرمة، وتفاقم الصراع بين الأشراف " بني زيد " و" بني بركات " الذي أدى إلى هجرة العديد منهم خارج مكة.(ج) تطلعات الشريف خيرات السياسية بإقامة إمارة له في المنطقة، انظر . النمازي، المصدر السابق، ص٨٠ . وإسماعيل بن محمد الوشلي، نشر الثناء الحسن، ج٢، ط١، مكتبة الإرشاد – صنعاء ،(١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ١٨ . وعبد الرحمن بن الحسن البهكلي، خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق : ميشيل توشيرير وعدنان درويش، (د.ط)، المركز اليمني للدراسات اليمنية بصنعاء، والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٠٤ . والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٣٨٨. وعلي بن حسين الصميلي، العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير في القرن الثالث عشر الهجري، مطابع البلاد – جدة، ١٤١٩هـ، ص ٢٣ .

(٤) الوشلي، المصدر السابق ،ج٢، ص١٨. وعبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص١٠٦ . (٢) انظر. النعمان ،المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٧ .

(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٧ .

العثمانية، وأحكمت قبضتها على البلاد وإن كان هناك تقصير في إدارة تلك المراكز الجديدة إلا أن هذا مردود إلى السلطات المحلية، والنزاع المستمر بين الكشاف وأشراف المخلاف السليماني .

٣.العامل الاقتصادي

تنوع النشاط الاقتصادي بالمخلاف السليماني نتيجة لتنوع المناخ، واختلاف التضاريس، ومن أهم الأنشطة التي مارسها السكان الزراعة والتجارة، وجميع هذه الأنشطة في حواضر المخلاف، أما البادية فاقتصرت على نوع واحد من أنواع النشاط الاقتصادي وهو الرعي فقط وما يرافقه من تربية الإبل والبقر والغنم، ويتطلب هذا النوع من النشاط توفر المياه والعشب وحرية التنقل [١]. وقد أضاف البدوي إلى وظيفة الرعي وظيفة تجارية أخرى عن طريق ممارسة العمل التجاري مع المدن والقرى يبيع في الحاضرة ما عنده من سمن وأقط ومواش ويشتري ما يحتاجه[٢]. إلى جانب ذلك توجد واردات اقتصادية غير منظوره وهي مقدار من المال الذي تحصل عليه القبائل البدوية من الإتاوات التي تدفعها القوافل التجارية مقابل مرورها بأراضيها وتوفير الحماية لها[٣]. وينقسم النشاط الاقتصادي لدى الحاضرة إلى الزراعة و التجارة .

أ. الزراعة : -

تعتبر الزراعة من أهم مقومات الحياة الاقتصادية بالمخلاف السليماني واعتمدت عليها السلطة الحاكمة للمخلاف كمصدر للدخل [٤]. وفي المخلاف توجد العديد من الأراضي الواسعة الصالحة للزراعة التي تختلف كثافتها من منطقة لأخرى، وتتنوع محاصيلها الزراعية، وتعتمد الزراعة في المخلاف على مياه الأمطار، وهناك بعض المناطق التي تعتمد في زراعتها على المياه السطحية التي تتكون نتيجة لتدفق الوديان من المناطق الجبلية الى المناطق الساحلية، وقيام السكان بعمل حواجز لمياه الوديان عرفت باسم (العُقُوم)[٥] يتم من خلالها توزيع المياه على أكبر قدر من الأراضي بواسطة شبكة من القنوات أنشأها الأهالي لهذا الغرض[٦].

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٦، وعبدالرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص٢١ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨، ٤١٢ .

(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٥ .

(٤) النعمان، المصدر السابق ،مخطوط، ص٣٦٢ . والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ،ج١، ص ٣١١ .

(٥) العُقُوْم : مفردها عَقم، وتعني الحاجز. انظر . نشوان الحميري، المصدر السابق، ص ٧٤ . وهي حواجز رملية تُقام في مجرىَ الوادي لجلب جزء من السيول الجارية في الوديان والتَّحكم في المياه لسقي الأراضي الزراعية . انظر. العقيلي، الأدب الشعبي في الجنوب، ج١، ص ١٥٤ .

(٦) النعمان، المصدر السابق ،محقق ،ص ٣٩٤ . وعبد الرحمن البهكلي ، خلاصة العسجد، ص ٢٠ .

وتتوزع الأراضي الزراعية على مختلف مناطق المخلاف، ففي السهول الساحلية تمارس الزراعة فيها بكثافة حيث الأراضي الخصبة الواسعة التي تزرع الذرة البيضاء، التي تشكل الغذاء الرئيسي للأهالي، كما يتوفر علف الماشية، وفي المناطق القريبة من السواحل توجد بعض مزارع النخيل التي تعتمد على المياه السطحية، وفي المرتفعات الجبلية تتوزع المدرجات على سفوح الجبال التي تستقبل الأمطار الغزيرة المنتظمة والتي تزرع مختلف أنواع الحبوب وخاصة الذرة البيضاء، إضافة إلى الشعير، والقمح[(١)]. كما أن أشراف وأعيان المخلاف السليماني امتلكوا أراض واسعة زرعوا فيها مختلف أنواع المحاصيل، كما استصلحوا أراضٍ كثيرة خاصة أثناء فترات الاستقرار وكانت هذه المزارع تدر عليهم دخلا كبيراً يُشكّل دخلهم الرئيس[(٢)].

وكان لكمية الأمطار التي تهطل خلال العام دور في ازدهار النشاط الزراعي في المخلاف، فعندما تهطل الأمطار بكميات وفيرة تزدهر الزراعة وترخص الأسعار، وفي المقابل عندما تقل كمية الأمطار تحدث المجاعات وتصل أسعار الحبوب إلى أسعار خيالية[(٣)]. كما أنه بسبب الأراضي الزراعية نشبت نزاعات كبيرة بين الأسر الكبيرة في المخلاف السليماني، ومنها الخلاف الذي نشب بين الأشراف الحوازمة من أهل الظبية وسكان صلهبة [(٤)]. والرسوم المختلفة التي تفرض على الزراعة من أهم الإيرادات التي تصل إلى خزينة السلطة التي تحكم المخلاف، وقد استخدمت الحكومة العثمانية وساطة رؤساء القبائل بينها وبين الأهالي بغرض دفع الضرائب والزكاة في أوقاتها المحددة، وذلك تجنباً للمواجهة التي قد تنتج عنها أعمال الشغب والفتن من جراء رفض بعض أبناء المخلاف دفع تلك الأموال، وبسبب ذلك حدثت خلافات واسعة[(٥)]. وكثيراً ما كانت تتعرض مناطق المخلاف لنكبات طبيعية تؤدي إلى تلف المحاصيل ومنها الجراد الذي يجتاح المخلاف من حين إلى آخر ويأكل المزارع ويتلفها [(٦)].

ب- التجارة :

مثلت التجارة نشاطاً اقتصادياً له أهميته لدى حاضرة المخلاف السليماني، وذلك لوجود ميناء جازان المطل على البحر الأحمر، فكان لهذا الميناء تأثير كبير على النشاط

---

(١) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٢١ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٢ .
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٧، ٣٨٨ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٢
(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٦، ٤١٠ . والشرفي، المصدر السابق ،ج٣، ص ٧٠ . والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٣١١، ٣١٢ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٥ ، ٣٦٩، ٤٠٧ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٥٨٨ .

الاقتصادي في المنطقة، من خلال التجارة الداخلية فيه، أو من حيث التبادل التجاري مع المناطق المجاور للمخلاف حيث عمل على نقل المنتجات المحلية واليمنية وخاصة البن إلى جدة، ومنها إلى مصر، ووفر الميناء أيضاً جزءاً كبيراً من دخل كاشف وحاكم أبو عريش [١]. كما وجد في مدن المخلاف الرئيسية مثل جازان وأبي عريش وصبيا وغيرها أسواقاً مشهورة بعضها دائم والبعض الآخر أسبوعي، وكانت هذه الأسواق تسهم أيضاً في حجم التبادل التجاري بين مختلف أنحاء المخلاف وبين المناطق المجاورة له، مثل اليمن والحجاز والسواحل الشرقية الإفريقية[٢]. كما أن هذه الأسواق لم تكن تستهدف عملية البيع والشراء فقط، بل كانت لها عدة أهداف منها الوعظ، والإرشاد، وتعليم الناس أمور دينهم، إضافة إلى اعتبارها مركزاً للالتقاء والتعارف الاجتماعي بين أفراد وأجناس مختلفة ،كما كانت مركزاً لإذاعة أخبار السلطة الحاكمة وأوامرها [٣].

وتعد مدينة أبو عريش من أبرز مدن المخلاف التي قامت بدور مهم في تنشيط الحركة التجارية في المخلاف، وذلك لوقوعها على طريقين رئيسين أولهما : طريق القوافل الذي ينقل البضائع مثل الأقمشة والملح وغيرها عبر الطريق السروي الذي يمتد من المخلاف جنوباً حتى مدينة الطائف شمالاً [٤]، وبذلك استطاعت أبو عريش التحكم بهذا الطريق وبالقوافل التي تسلكها، والطريق الآخر، هو طريق الحج الذي يسير بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر[٥]، ولهذا أضاف هذا الموقع للمدينة أهمية اقتصادية، كما أنها تمثل سوقاً كبيراً حافلاً بالسلع، فنشطت فيها تجارة المواد الغذائية التي عمل فيها غالبية أهلها [٦]، والبعض يشتغلون بالأعمال الحرفية[٧]، وآخرون اعتمدوا على ما كان يصلهم من أرزاق وصدقات من الولاة والحكام والمحسنين[٨].

---

(١) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٤، ٤١١ .

(٤) انظر. عبدالله بن محمد أبو داهش، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠ – ١٢٠٠ هـ)، ط٢، مطبعة الجنوب– (أبها، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م)، ص٥٥ . وغيثان جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ ١٤٠٠هـ / ١٦٨٨ – ١٩٨٠)، (د . ط)، أبها، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م، ص ١٦٤ .

(٥) عمارة الحكمي، المصدر السابق، ص ٧٠، ٧١ .

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٥، ٣٩٥ .

(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨١ .

(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٧، ٤٠٢ .

ونشطت تجارة المخلاف السليماني بصورة واضحة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري ولهذا النشاط أسبابه ؛ فقد توافدت على المخلاف أعداد كثيرة من المهاجرين من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، ومنهم من كانت التجارة دافعاً له للهجرة إلى المخلاف السليماني والاستقرار فيه كالمهاجرين الحضارمة والهنود الذين جاءت هجرتهم للبلاد متأخرة عن غيرهم بهدف التجارة [١].وكانت الزكاة تجبى من سكان المخلاف السليماني الحضر والبدو على السواء، فقد حرصت السلطة الحاكمة على جبايتها رغم أن بعض البدو كانوا يرفضون دفعها في بعض الأحيان، كما كان يحدث خلاف دائم بين الأشراف وكشاف المخلاف بسبب جباية الزكاة، وذلك على أساس أنهم لم يدخلوا في الخزينة سوى قدر يسير من تلك الجباية، إضافة لتمرد بعض القبائل على الشريف وعدم قبولها دفع الزكاة[٢].

واهتمت الدولة العثمانية خلال القرن الحادي عشر الهجري بتنظيم الأمور المالية للمخلاف السليماني، فقد كان يُعرض على الكاشف العثماني دفاتر المخلاف من قبل رئيس الكتاب للنظر فيما تحويه من المصاريف والموارد على المخلاف [٣]. وتُنفق غالبية نفقات الميزانية على الموظفين، وعلى عوائد سنوية لأشراف المخلاف وشيوخ القبائل، والعلماء، وتلك النفقات مصروفات مالية وعينية [٤]. وعمل بعض الكشاف على إصلاح طرق المخلاف السليماني فأصلحوا طريق الحاج ما بين حلي والشقيق [٥] التي كانت تتعرض لغارات البدو، فعمل على مراسلتهم وقرر لهم مجابي وكساوي وصحبة في كل قافلة [٦]. ومن خلال ما سبق يتضح وفرة ألوان النشاط الاقتصادي في المخلاف السليماني، وأن حركة التجارة فيها قد نشطت خلال فترة البحث دليل تحسن الأوضاع الاقتصادية .

٤. العامل الاجتماعي

شكل موقع المخلاف السليماني بين اليمن والحجاز أهمية كبرى لسكان تلك المناطق بحيث أصبح منطقة استقطاب لمن يخرج منهم، مما أدى إلى زيادة سكانه، ومنها فرار

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٠ . وعبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٢٢، ٢٣ .

(٢) حسام بن الحسن أبو طالب، تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول ، تحقيق : عبدالله الحبشي، ط١، مطابع المفضل ، صنعاء - تعز، ١٤١١هـ، ص ١٤٥.

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦، ٣٦٤ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٣١ ،٣٣٢، ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٦٧ .

(٥) الشقيق : مدينة ساحلية على طريق الحجاز، تبعد عن مدينة جازان حوالي(١٥٠) كم شمالا . انظر . العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٣١ .

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٥ .

أسـرة آل خـيرات للمخلاف نتيجة لاشـتداد الحروب والأزمات والفـتن في بلادهم[١]. وهجرة سـكان بعض البلدان إليه كالجاليات الهندية والحضـارمة بعد نشـاط الحركة التجاريـة عقب خـروج العثمانيين، وقد كانوا في حالة من البؤس والفقر ثم سـرعان ما تحسنت أحوالهم الاقتصـادية نتيجة لتوفر فرص العمل [٢]. وخلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وجد عدد كبير من المجاورين الذين كانوا على مسـتوى اجتماعي مختلـف منهم العلماء والحرفيـون، ولم تنقطع هجراتهم للمخلاف، حتى أن كثيرا منهم نافسوا أهل المخلاف في جميع الوظائف والمدارس [٣].

وبفضـل موقع المخلاف السـليماني الجغرافي حافظ على كيانـه الاجتماعي وطرق معيشـته، الذي يمكن تقسـيم مجتمعه حسـب الواقع الاقتصـادي إلى حضـر وبدو[٤]. فالحضـر يعيشـون في المدن، ويعملـون في التجـارة والزراعة والحرف، والبدو بصـفة عامة قوم رحل يسـكنون بيوتاً من الشـعر يسـهل حملها على ظهور الجمال، والتنقل في حدودهـم الإقليمية بحثـاً عن الماء والكلأ أينما حل في أوقـات القحط والجفاف، وليس لهم أي نشـاط اقتصادي سوى ممارسة الرعي والقنص ومنتجات الماشية [٥]. وتختلف طبقات المجتمع في المخلاف اختلافاً واضحاً في كل من الحاضرة والبادية . ففي البادية لا تعتـبر المعايـير الاقتصـادية أو المعايير العلميـة الثقافية أساسـاً في تنظيم الطبقات الاجتماعيـة، بعكس الحاضـرة فإن الطبقات الاجتماعية فيها تخضـع للمعايير العلمية والثقافيـة والاقتصـادية، فمن ناحية المعايـير الثقافية والعلمية تأتـي طبقة الحكام ثم طبقة العلماء، ثم طبقة المدرسـين والوعاظ من المرشـدين، وكمعيار اقتصادي فالتجار ورؤساء العائلات يحتلون الدرجة الأولى بعد الحكام، ثم يليها ملاك الأراضي الزراعية، ثم عامة السكان ثم أصحاب الحرف [٦].

وتتمحور الزعامة لدى البدو على شـيخ القبيلة فيها، فهو المتحدث باسـمها والمعبر عن رأيها، وإليه ترجع الأمور لحسـم الخلافات، شـعوراً بالثقة فيه واحتراماً له ورضى

---

(١) النمازي، المصدر السابق، ص ٨٠ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٠ . وعبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ١٩ .
(٣) المحبي، المصـدر السـابق، ج٣، ص ٩٥ . والوشلي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨ . وعبد الرحمن البهكلي، المصدر السابق، ص ١٨ .
(٤) عبدالرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ١٣ .
(٥) المصدر نفسه، ص ١٩ — ٢٣ .
(٦) المصدر نفسه، ص ١٦ .

بحكمـه [١]، بينمـا ترتكز الزعامة لدى الحضـر في الغالب لشـيوخ الأسـر العالية ذات المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة [٢]. وعلى أسـاس تقسـيم مجتمع المخلاف إلى حضـر وبدو، فقد ظل المسـتوى المعيشـي للبدو أقل بكثير من مسـتوى معيشـة الحضر في المدن الرئيسية مثل أبي عريش وصبيا وضمد وغيرها فقد غلب على معيشتهم المجاعات وقلة الغذاء، ولم تخضع هذه القبائل للسلطات المحلية إنما كانت تبعيتهم ظاهرية فقط، وقد عانى المخلاف السـليماني من هجمـات وتعديات تلك القبائل على طريق الحج وسـلب القوافـل، مما أخـل بالنظام والأمن في المخلاف وترويع السـكان والتعدي على الحجاج والمسـافرين والتجار [٣]. وقبل الخوض في كيفية مواجهة السـلطات لتلك المشكلة، يجب معرفة الأسـباب التي كانت تؤدي الى هجوم القبائل، وكما ذكرنا سـابقا فان انخفاض مستوى المعيشة لدى البدو كان من أحد أسباب تعدياتهم على القوافل لتحسين معيشتهم ودخلهم، كما أدت شـدة الجفاف الذي كان يعم أراضـي المخلاف السليماني نتيجة قلة الأمطار، أو انعدامها في أغلب الأحيان إلى هجماتهم وتعديهم على طريق الحج وسـلب القوافل[٤]. فمن ضـمن السياسـة الجديدة للسـلطة في تدعيم مركزيتهـا في ولاياتها، بدأت تواجه مشـكلة القبائل فعمدت إلى توفير فرص العمل خاصـة في المجال العسكري كالشـرطة المحلية مستغلة في ذلك صـفاتهم القبلية وعينتهم على طرق القوافل لحفظ أمنها مع دفع مرتبات منتظمة لهم، وفي بعض الأحيان اضطرت السلطة إلى دفع أعطيات عينية ومرتبات نقدية سنوية للمشايخ ورجال القبائل لكسب ودهم ودفع شرهم [٥].

وقد حاول بعض كشـاف المخلاف اسـتمالة مشـائخ القبائل ورؤساء العشائر إليهم بطرق سـلمية، حينمـا دخل معهم في مراسـلات عديدة، ونجح في اسـتمالة عدد كبير منهـم إلى جانبـه، ورداً على ذلك وصـلته العديد من الرسـائل التي تتضـمن الاعتذار والالتـزام بعـدم التعدي على القوافل [٦]. ولكن حدث أن أجبرت السـلطة الحاكمة على اسـتخدام الشـدة والعنف معهم بإرسـال الحملات التأديبية لهم كما حدث ذلك عام (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م)، حينما أرسلت حملة تأديبية لإحدى قبائل المخلاف[٧]. كما لجأت

---

(١) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٥ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٧١٤، ٧١٥ .
(٢) النعمان، المصدر السابق ، مخطوط، ص ٣٣٤ .
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٥ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٥ .
(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٥ .
(٦) ابن الوزير، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٤٥ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج٢، ص ٧١٤ .
(٧) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٥، وابن القاسم، بهجة الزمن ٧١٤ .

السلطة الحاكمة إلى أسلوب آخر وهو ضرب القبائل بعضها ببعض، وذلك بإغراء قبيلة من قبائل المخلاف بالانضمام إليها ضد الأخرى وهكذا تضمن عدم اتحاد القبائل[١]. ومن الأساليب الأخرى التي استخدمتها أيضاً مع القبائل أسلوب المصالحة وعقد المجالس مع زعمائها لحل بعض الأزمات والإشكاليات حول بعض الأمور الهامة كمشكلة الأشراف الخواجيين في صبيا إذ عقد مجلس في صبيا جلسته عام (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م)[٢]. وتسجل المصادر وقوع العديد من الأمراض الطارئة[٣]، والسائدة[٤]، التي تتفشى بين أبناء المجتمع، وتؤدي إلى وقوع الكثير من الوفيات. ويذكر بعض المؤرخين بعض الأمراض التي ظهرت في المخلاف خلال القرن الحادي عشر الهجري، فقد ذكر عبدالله النعمان [٥]، أنه في سنة(١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م)، انتشر الجدري في جميع أنحاء المخلاف وأهلك كثيراً من الناس. وتكرر ظهور هذا المرض مرة أخرى في المخلاف سنة ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م، فمات بسببه خلق كثير [٦].

وظهر في المخلاف سنة (١٠٦٠ هـ/١٦٥٠م)، مرض يصيب الناس في الرأس والظهر، ويعرف باسم (أبو فاس) [٧]. ولم يكن في المخلاف طب حديث إلا أنه كان لدى أهله وعي صحي، فكان سكانه يواجهون هذه الأمراض بالتداوي بما يسمى الآن (بالطب العربي أو الشعبي) كالتداوي بالأعشاب، الأمر الذي دفع بعض أهالي المخلاف السليماني إلى إيجاد طرق خاصة في أساليب المعالجة من الأمراض التي تتفشى بين أبناء المجتمع، وقد ذكرت المصادر أسماء العديد من سكان المخلاف الذين اهتموا بذلك، كما أنهم لم يكتفوا بذلك بل شرعوا في الكتابة عنها[٨]. ومن ذلك ما عمله عبدالله بن علي النعمان (ت ١٠٧٨ هـ/ ١٩٦٧)، من تصحيح لكتب الطب التي ينقل

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٥، وابن القاسم، بهجة الزمن، ج٢، ص ٧٠٩ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٤ .

(٣) الأمراض الطارئة : يقصد بها الأمراض الوبائية التي كانت تعتري الإقليم من حين إلى آخر مثل الجدري، والطاعون، وغيرهما، وهذه الأمراض تنتقل إلى المخلاف من الأقاليم المجاورة، وهي تنتقل إما عن طريق الوافدين إليه من الناس أو الحجاج.

(٤) الأمراض السائدة : يقصد بها الأمراض المنتشرة في مختلف الأقاليم بصفة دائمة مثل صداع الرأس، والسعال والزكام، والملاريا وغيرها .

(٥) المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨٧ .

(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٤ .

(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٤ .

(٨) انظر : المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٤ . ومحمد بن أحمد العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، ج١، ط١، منشورات نادي جازان الأدبي، (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص ٣٨٠ .

عنها في كتابه "جواهر المغاص في مغرفة الخواص"، إذ يستدرك على الأزرق صاحب كتاب " تسهيل المنافع " في قوله عن الدخن " هو بارد يابس، وقيل حار خاصته يهيج السوداء " إلخ بنقد يرد عليه هذا القول بقوله " لا يكون طبع الشيء الحار بارد ولعله سهو من الشيخ ولا يسلم من الخطأ إلا كتاب الله "[١].

خامسا: المراكز العلمية في المخلاف السليماني (منطقة جازان) :

انتشر في المخلاف السليماني عدد من المراكز العلمية التي كان لها دور كبير في دفع الحركة العلمية في المنطقة منذ وقت مبكر . ويرتبط ظهور هذه المراكز وتحديد درجة أهميتها بتلك الأحداث السياسية والاقتصادية التي شهدها المخلاف في القرن الحادي عشر الهجري . وقد ظهر في هذه المراكز عدد من الأسر العلمية التي هيمنت على الساحة الفكرية والنشاطات العلمية، وكانت تمثل أغلبية العلماء في كل القرون، بمعنى أن لبعض هذه الأسر تاريخاً علمياً قديماً وطويلاً مثل أسرة آل الحكمي وأسرة آل الأسدي. وهناك مقومات لهذه المراكز من حيث أهميتها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى مساهمتها بفعالية كبيرة في دفع الحركة العلمية في المنطقة، وما زالت آثار هذه المساهمة ماثلة إلى وقتنا الحاضر . ومن خلال دراسة الباحث للمصادر المعاصرة لفترة البحث تبين أن هناك ثلاثة مراكز علمية في المخلاف تتفاوت من حيث الأهمية وهي :

١. مدينة أبو عريش:

تعتبر مدينة أبو عريش عاصمة المخلاف السليماني وأهم مدنه[٢]، ولها أهميتها الاستراتيجية من حيث وقوعها على طريقي التجارة والحج، إلى كل من اليمن والحجاز[٣]، وتقع جنوب وادي جازان بما يقارب أربعة أميال، وتقع شرق مدينة جازان بما يقارب (٣٥)كم[٤]، ورد ذكرها عند الهمداني بلفظ "العرش"[٥]، وأبو عريش من

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٥٦، وأحمد المشني، الشقيري، أضواء على تاريخها، ص ٨٠٧ .

(٢) علي بن حسين الصميلي، الحملات اليمنية على المخلاف السليماني في العصر العثماني الأول في جنوب غرب الجزيرة العربية (٩٤٥-١٠٣٦هـ / ١٥٣٨- ١٦٢٥م)، س ٩، ع ٣٦، مجلة الدرعية – الرياض، ذي الحجة ١٤٢٧ هـ/ يناير ٢٠٠٧ م، ص ١٢ .

(٣) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٢٣ .

(٤) حجاب بن يحي الحازمي، نبذة تأريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير (٩٣٠-١٣٥٠هـ)، ط٢، (جازان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٣١ . والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٥٨ .

(٥) صفة جزيرة العرب، ص ١٩٢ .

أقدم مدن المخلاف السليماني عمرانا[١]، ويقال بـ" أنها مدينة قديمة جدَّدها في القرن السابع جد آل الحكمي"[٢]، ووصفت هذه المدينة بأنها من[٣]:" أحسن المدن لما حوته من العمائر العظيمة، والقصور الشامخة، والقلاع المنيعة، وهي في مستقر من الأرض فسيح، بينها وبين البحر قدر ست ساعات فلكية حيث بندر جازان، والجبال قريبة منها وجميع فواكهها تجلب إليها، وهي من أصح البلاد، وهواؤها رقيق، وماؤها عذب صحيح" وإنها " مدينة عظيمة طيبة الثراء صحيحة الهواء، عذبة الماء كثيرة الخيرات"[٤].

ولأبي عريش مكانتها التاريخية منذ القدم، " إذ اشتملت على مراكز السلطة السياسية، وحظيت بتواجد العلماء[٥] "، فقد كانت عاصمة للإمارة القطبية، ثم خضعت لنفوذ شريف مكة سنة (٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م) [٦] . وبعد أن قضت الدولة العثمانية على نفوذ أشراف مكة تمكنت من الاستحواذ على إمارة أبو عريش سنة (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) [٧]. ويبدو أن أبا عريش قد اكتسبت أهميتها السياسية بسبب إقامة الكاشف العثماني بها نظراً لخصوبة أرضها ووفرة محاصيلها الزراعية لتوفير الكثير من احتياجاتهم التموينية، واتخاذها مستودعاً لعتادهم الحربي لبعدها عن الصراع مع الأئمة في اليمن[٨]. ومنذ ذلك الوقت حتى قرابة نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ظلت مدينة أبو عريش مركزاً للكاشف العثماني المقيم في المخلاف السليماني أي قرابة إحدى وتسعين سنة وكانت هذه الفترة مشحونة بالقلاقل والحروب والخلافات الداخلية[٩].

ومن خلال العرض السابق لمدينة أبو عريش نلاحظ أن مقومات المركز العلمي متوفرة فيها من حيث موقعها الاستراتيجي على طريق التجارة والحجاج، ومكانتها السياسية حيث تبوأت مكانة عظيمة كعاصمة سياسية للمخلاف السليماني . ولذا

---

(١) الحازمي، المرجع السابق، ص ١٣٢.
(٢) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب، (د.ط)، (المكتب الإسلامي- بيروت، (د.ت)، ص ١٥٣ .
(٣) عاكش، الديباج الخسرواني، ص ٦٦ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٥٩ .
(٥) عبدالله بن محمد أبو داهش، الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، (د .ط)، مطابع الجنوب – أبها، ١٤٢٣هـ، ص ٧٦ .
(٦) النهروالي، المصدر السابق، ص ٨٧، ٨٨ .
(٧) المصدر نفسه، ص ٨٧، ٨٨ .
(٨) العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٢٩٩ .
(٩) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٥٩، ٣٣٠، ٣٤٩، ٣٥٣، وغيرها .

أصبحت أبو عريش مركزاً علمياً كبيراً يتصدر المراكز العلمية الأخرى التي ظهرت في المخلاف السليماني وكانت موئل طلاب العلم من مختلف البلدان لتلقي التعليم على يد علمائها ومشايخها، فيُذكر أنها اشتهرت في القرن العاشر الهجري[١]، وأن أبا عريش " أضحى من بعد روضة أريضة أزهاره العلوم، وثمرته الاشتغال بما يقرب الى الحي القيوم "[٢].

والواقع أن مكانة أبو عريش العلمية ليست وليدة القرن العاشر الهجري فقط بل كانت تتمتع بمكانة علمية منذ القرن السابع الهجري[٣]، حيث برز فيها علماء كبار كان لهم دور بارز في دفع الحركة العلمية في المخلاف السليماني. ومهما يكن من أمر فقد زادت أهمية أبو عريش كمركز علمي في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، يفد إليه طلبة العلم من جميع أنحاء المخلاف السليماني للدراسة والتحصيل ثم يعودون إلى بلدانهم بعد الارتواء من مناهل العلم على علمائها حتى قل أن تجد في المخلاف عالماً أو قاضياً لم يتلق تعليمه في أبو عريش ويصدق عليها قول الشاعر عبد الرزاق اليمني:

حِلة العلم حلّ فيها وقاض قدرت قدره النجوم السّواري[٤]

ومما زاد من مكانة مركز أبو عريش العلمي كثرة العلماء الذين ظهروا فيها خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، حيث نجد من خلال دراسة المصادر المعاصرة لفترة البحث، أن هناك ستة وعشرين عالماً في مدينة أبي عريش اشتهروا في مجال التعليم والقضاء، مما يدل على المكانة العلمية التي حظيت بها المدينة على سائر مدن المخلاف الأخرى مما يؤهلها لأن تكون أول مركز علمي بالمخلاف السليماني خاصة خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي.

ونجد أن هناك عدداً من الأسر التي توارثت العلم والتعليم فيه وأقبلت عليهم وفود طلاب العلم للدراسة على أيديهم والانتفاع بعلمهم ومن أشهر هذه الأسر، أسرة آل

---

(١) الحازمي، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) انظر. عبدالله بن محمد أبو داهش، أهل تهامة والمخلاف السليماني، وحلي ابن يعقوب وأحوازهما في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠/ ١٠٠٩ – ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٣) البحر، المصدر السابق، ص ٧٤. وأبو داهش، أهل تهامة، ص ١٨٥.

(٤) أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٧٥.

الحكمي[١]، وهي أسـرة علمية عريقة خدم رجالها العلم والتعليم مئات السنين[٢]، ولها مكانـة دينية واجتماعية لدى الحـكام، والجمهور والوافدين[٣]، وينتسـبون إلى الحكم بن سـعد العشـيرة[٤]، أما بالنسبة لتاريخ هذه الأسرة العلمي فيعود إلى القرن السادس الهجري .

فمـن خـلال البحـث في المصـادر وجدنـا أن أول عالم ذكـر منهم هو الشـيخ علي بـن قاسـم بـن العليـف الحكمـي (ت ٦٠٤هــ/١٢٠٦م) [٥]، ولقـد امتـد تاريـخ هذه الأسـرة العلمـي مـن القرن السـادس إلى القـرن الحادي عشـر وما يليـه دون انقطاع . أما بالنسـبة لعلماء هذه الأسـرة المعاصـرين لفترة بحثنا فهم : الشـيخ أبو القاسـم بـن المهـدي بـن الهـادي الحكمـي(ت١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)[٦]، الـذي وصـفه النعمان بقولـه " فيـه ذكاء مفرط يبهـر العقول، وله فصـاحة عظيمة، قليل النظـير في الذكاء والاطـلاع"[٧]، وبأنه" له في فنون الأدب مشـاركة "[٨]، إلى جانب الشـيخ أحمد بن أبي الفتح بن صـديق الحكمي (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)[٩]، الذي وصـف بأنه "الشـيخ الإمام رفيع الشـأن، كان من كـبراء العلماء ذا مهابة وجلالة، وكان مَـن أرباب الأحوال"[١٠].

---

(١) الحازمي، المرجع السابق، ص ٧٥ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٥ .

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، آل الحكمي، مجلة العرب، ج١، س ٦، ع ٢، رجب ١٣٩١هـ/سـبتمبر ١٩٧١، ص ٧٧٥ .

(٤) الحسـن بن أحمد الهمداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين الصـفراء والبيضـاء، تحقيق : حمد الجاسـر، ط١، (الرياض: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ، ص ٢٦٠. والحموي، المصـدر السـابق، ج٢، ص ٣٢٣ . والسـمعاني، الأنسـاب، ج٢، ص٢٤٢. أحمد بن علي القلقشـندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، تحقيق : محمد عبدالرسول، (د.ط)، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي- مصر، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ص ٣٢٦. وابن دريد، المصـدر السـابق، ج٢، ص ٤٠٥. وعمر رضـا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١، ط٢، (مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٢٨٦.

(٥) يُعد من أكابر علماء أسرة آل الحكمي ،كان إماماً كبيراً، عالماً، عاملاً، وقد كان يقال له الشافعي الصغير، له مصـنفات عديدة، تخرج من مدرسـته سـتون مدرسـاً. انظر . أحمد عبد اللطيف الشـرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ط١، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٠م، ص ٢٠٧ .

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٥ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٨ .

(٧) المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٦ .

(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٦ .

(٩) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤، ١٦٥ . ومحمد بن أبي بكر بن أحمد الشّلي، عقد الجواهر والدرر في أعيان القرن الحادي عشـر، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، ط١، مكتبة الإرشـاد – صنعاء، (د . ت)، ص ٣٣٥ – ٣٣٩ . وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج٥، (د . ط)، مكتبة المثنى – بغداد ،١٩٥١م، ص ١٥٨ .

(١٠) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤ .

وكذلـك الشـيخ علي بن المهدي لحكمي (ت١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) ، الذي كان فقيهاً عالماً أديباً شـاعراً له نظم عظيم[(١)] ، ثم يأتي الشـيخ أبو القاسـم بن عليٍ بن صديقٍ الحكمي (ت ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م)[(٢)] ، الـذي وصـفه النعمـان فقـال"كان فقيهـاً عالماً أديبـاً له نظم عجيب"[(٣)]، وله مصـنف أسـماه "النبراسـ في دفع الوسـواس"[(٤)]، وكذلك الشـيخ محمد بـن عبد القادر الحكمي(ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) ، قيل بأنه كان فقيهـاً متبحراً في المذهب الشـافعي، صـاحب ورع صـحيح لم يقبض من بيت المال درهما[(٥)] ، إلى جانب الشـيخ عبد القادر بن أحمد بن صديق الحكمي (ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م) [(٦)] ، والشيخ محمد بن صديق بن محمد الحكمي (ت ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م) [(٧)] ، والشيخ المهدي بن الهادي بن المهدي الحكمي(ت١٠٢٢هـ/١٦١٣م) [(٨)] ، والشيخ أبو القاسم بن مهدي الحكمي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [(٩)] .

ثـم تليهـا في المرتبـة الثانيـة من حيـث الأهمية في هـذا المركـز العلمي أسـرة آل الأسـدي[(١٠)] ، وهي من الأسـر العلمية العريقة التي كانت معاصـرة لأسرة آل الحكمي، وتقاسـمت معها السـيادة وخدمة العلـم والتعليم[(١١)] ، فأنجبت عدداً مـن العلماء منهم قضـاة شـرعيون، ومنهم من تخصـص في علم القـراءات[(١٢)] ، ومنهم مـن ألّف الكتب النافعة[(١٣)] . وهم ينتسـبون إلى جدهم عبدالله بن علي الأسدي[(١٤)] . أما بالنسبة لتاريخ هذه الأسـرة العلمي فيعود إلى القرن السادس الهجري، وقد أمدتنا المصادر بأول عالم

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨٩ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٥ . النمازي، المصدر السابق ، ص ٧٨ .
(٣) المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٢ .
(٤) المصدر نفسه، محقق، ص ٥٣ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٠ .
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥١ .
(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٢ .
(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٤ .
(٩) العقيلي، التاريخ الأدبي، ص ٣٩٠ .
(١٠) أبو داهش، أهل تهامة ، ص ١٧٨ .
(١١) الحازمي، المرجع السابق، ص ٧٨ .
(١٢) الحازمي، المرجع السابق، ص ٤٧ .
(١٣) أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٧٨ .
(١٤) فقيه صـوفي سـكن قرية المنارة المندثرة الواقعة على وادي جازان وتزوج بها ثم رحل إلى مكة ودرس على الشـيخ عبد القادر الجيلاني في الحديث، وأخذ عنه خرقة التّصـوف، ثم عاد إلى المخلاف السـليماني . انظر . النعمان، المصـدر السـابق، محقق، ص ١٤٩ . ومحمد بن أحمد العقيلي، التصوف في تهامة، ط٢، دار البلاد ـ جدة، (د ت) ، ص ١٨٧ . ومحمد حاوي، المرجع السابق، ص ٤٥ .

ذكر منهم وهو الشيخ محمد البَلَّاع الأسدي (ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)[١]، وقد امتد تاريخ هذه الأسرة العلمي من القرن السادس إلى القرن الحادي عشر الهجري .

والعلماء الذين أنجبتهم هذه الأسرة خلال فترة بحثنا هم :الشيخ أحمد بن المقبول الأسدي (ت ١٠٢٣هـ/ ١٦٤١م) [٢]، تولى قضاء أبو عريش وكان يشتغل بالعلم والتعليم إلى جانب القضاء، وأخذ العلم عنه عدد كبير من العلماء[٣]، وبعد وفاته خلفه في منصبه ابنه الشيخ عمر بن أحمد، الذي كان على درجة علمية كبيرة أهلته لأن يكون قاضياً في مركز أبو عريش بعد وفاة أبيه زمن الدولة العثمانية[٤]، وبعد خروج العثمانيين سنة ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م)، ظل في منصبه حتى وفاته سنة(١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) [٥]. وكذلك الشيخ محمد بن أحمد الأسدي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) [٦] الذي وصفه المحبي بأنه " شيخ العلوم والمعارف، ومالك زمامها من تليد وطارف"[٧]، تخرج عليه أفواج من طلبة العلم منهم ابنه أحمد بن محمد المتوفى سنة (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [٨]، الذي وصف بأنه " أحد العلماء العاملين الفقهاء العارفين"[٩]،كذلك الشيخ أحمد بن موسى الأسَدي، الذي تولى التدريس في أبي عريش حتى وفاته سنة (١٠٣٧هـ/١٦٢٧م)[١٠]، إلى جانب الشيخ ياسين بن محمد بن أبي بكر القيراط الأسدي الذي تولى التدريس أيضا حتى وفاته سنة (١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) [١١]، وكذلك الشيخ أبو بكر بن أحمد بن محمد القيراط الأسدي (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م) [١٢]، والشيخ محمد بن أبي بكر بن أحمد القيراط الأسدي (ت١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م)[١٣]، والشيخ عيسى بن أحمد بن موسى الأسدي (ت ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م)[١٤] .

---

(١) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ١٤٩ . ومحمد بن أحمد العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان، ج١، (د ط)، (منشورات نادي مكة الثقافي)، ص ١٣٢. وأبو داهش، أهل تهامة، ص ١٨٥.

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص٣٥١. والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق ،ص٢٣٦.

(٣) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤.

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٣ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١٣ .

(٦) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ . والبغدادي، هدية العارفين، ج٦، ص ٢٨٥ .

(٧) المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ .

(٨) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥، ٣٢٦، و ج٣، ص ٣٨٣ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩ – ٢٩١ .

(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٣٥ .

(١٠) النعمان، المصدر السابق ، مخطوط، ص ٣٨٩ .

(١١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٥ .

(١٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٠ . والعقيلي، التصوف في تهامة، ص ١٦٨ .

(١٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٣ .

(١٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦١ . والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

ومـن علمـاء هـذا المركـز عـدا مـن ذكرنا، الشـيخ صـديق بـن محمد السـلاط (ت ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م)[١]، والـذي تـولى التدريسـ في أبي عريشـ إلى جانب الفتوى، وتخـرج علـى يديـه عدد مـن العلمـاء[٢]، وكذلك الشـيخ محمد بن عيسـى قلاص (ت ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م)[٣]، الذي انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى بعد الشيخ صديق السلاط، وتخرج عليه أفواج من طلبة العلم، إلى جانب الشريف خيرات بن بشير بن أبي نمي (ت ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م)، الذي وفد من الحجاز إلى أبو عريش وعمل في التدريس، واشـتهر في مجال اللغة والأدب[٤]، وكذلك شيخا القراءات السبع، الشيخ محمد بن علي بن محمد (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م)[٥]، والشيخ أحمد بن حيدر العريشي (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)[٦]، إلى جانب الشـيخ محمد بن صـديق طيب العريشـي (ت ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م)[٧]، والشيخ محمد بن أحمد بن محمد الحرري (ت ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)[٨].

٢. مدينة صبيا :

تُعد مدينة صـبيا مـن المواطن العلمية المشـهورة في المخلاف السـليماني[٩]، حيث تقـع إلى الجنوب الغربـي من جبل عكوة، وشـمال مدينة جازان بما يقـارب (٤٠كم)، وتتبعها قرى كثيرة آهلة بالسـكان[١٠]، ذكرها الهمداني ضـمن مدن وقرى المخلاف إذ يقول " وفي بلد حكم قُرى كثيرة يقال: لها المخارف، وصبيا، وأن صبيا من قرى مخلاف حكم"[١١]، وذكرها ياقوت الحموي ونسـبها إلى مخلاف عَثر[١٢]، وعلى هذا القول علّق محمد بن أحمد العقيلي قائلاً: بـ" أنّ الهمداني، وياقوت كانا يقصدان موقع صبيا الذي

(١) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦.
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨١.
(٣) عبـد الرحمـن البهكلي، خلاصـة العسـجد، صـ ١٠٣، ١٠٤. والشـلي، المصـدر السـابق، ج٢، ص ١٨. والصميلي، العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير، ص ٢٣.
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧١.
(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٢.
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٥.
(٧) المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٣.
(٨) انظر. النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٣.
(٩) أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٧٦.
(١٠) الحازمي، المرجع السـابق، ص ٣٩. ومحمد محسن مشاري، صبيا، ط١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب – الرياض، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١١.
(١١) صفة جزيرة العرب، ص ٧٦، ١٢٦.
(١٢) معجم البلدان، ج٣، ص ٤٤٥.

كان يُسمى أبو دنقور[١] والتي تلاشى عمرانها في أوائل القرن العاشر الهجري، وليست صبيا التي تقع في موقعها الحالي[٢]، وبذكرها ضمن قرى مخلاف حكم مرة، وقرى مخلاف عَثّر مرة أخرى، يفيد بوجودها ضمن مخلاف حكم قبل توحده مع مخلاف عَثّر في عهد سليمان بن طرف الحكمي ،حيث غلب اسم عَثَّر على غيره من المخاليف"[٣] ، ويرجع تأسيس صبيا في موقعها الحالي إلى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري حيث يذكر النمازي " أن أول من اختط مدينة صبيا الحالية هو الشريف دريب بن مهارش الخواجي وكان اختطاطه لها سنة (٩٥٨هـ/١٥٥١م) "[٤] .

ومن هنا برزت مدينة صبيا في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري وكانت الإمارة فيها للأشراف آل الخواجي بزعامة الشريف عيسى بن حسين بن عيسى الخواجي[٥]، ومنذ ذلك الوقت حتى أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ظلت قاعدة لإمارتهم[٦]، وكانت تلك الفترة مشحونة بالقلاقل والحروب والخلافات الداخلية . وقد لحق بهذه المدينة الدمار شأنها شأن بقية مدن المخلاف السليماني بسبب الفتنة بين الخواجيين آل مهارش[٧]، وآل عيسى بن حسين[٨]. وإلى جانب أهمية صبيا السياسية فلها أهميتها الاقتصادية أيضاً حيث تقع على طريق الحج والقوافل التجارية، وبها أسواق متنوعة، إلى جانب أهميتها الزراعية[٩].

وقد ذكر عبدالله النعمان وصفاً لهذه المدينة فقال " مدينة عامرة حسنة بها أسواق ومزارع كبيرة ومخاليف كثيرة، ومياه فائضة، ضربت بها الأمثال في المتاجرة والمصالح والأموال، وقصدها التجار من جميع الأقطار"[١٠].

---

(١) أبو دنقور : مدينة مندثرة، لم يبق منها إلا قرية صغيرة، تقع طرف وادي صبيا من ناحية الغرب . انظر. النمازي، المصدر السابق، ص ١٩ . والعقيلي، الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ١٥ .

(٢) العقيلي، الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ١٥ .

(٣) أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٧٦ .

(٤) المصدر السابق، ص ١٩ .

(٥) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٢٤ .

(٦) علي البهكلي، العقد المفصل، ص ١٠٨ .

(٧) آل مهارش : فرع من الأشراف آل الخواجي، ينتسبون إلى الشريف محمد بن حسين بن مهارش بن حسين الخواجي . انظر. النعمي، الجواهر اللطاف، ص ١٨٠ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٥٣ .

(٩) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٥٨ . ١٥٨، ١٧٥، ٣٥٢، ٤٠٩، والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٥٤. والتصوف في تهامة، ص ١٦٧ .

(١٠) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٥٨ .

وكان لمدينة صبيا مكانة علمية عالية وذلك بفضل علمائها، فقد كانت زاخرة بعدد من العلماء الذين تركوا أثراً واضحاً على حركة التعليم وتطوره في المخلاف السليماني، وهي تمثل المركز الثاني بعد مدينة أبو عريش من حيث كونها مركزاً علمياً هاماً يتردد عليه طلبة العلم من أجل العلم والأخذ من علمائه. ومن خلال قراءتنا للمصادر التي ترجمت لعلماء المخلاف خلال فترة بحثنا هذا، نجد أنه كان بها عدد من العلماء الذين كان لهم دور بارز سواء كانوا من البلدة نفسها أم من الوافدين عليها بحكم عملهم كقضاة فيها، وقد أوقف هؤلاء العلماء حياتهم للعلم فلزموا مساجدها حتى تخرج على أيديهم عدد كبير من الطلبة الذين أصبح لهم شأن كبير بعد ذلك، وقد كانوا يفدون إلى هذا المركز من جميع نواحي بلدان المخلاف السليماني الأخرى، حيث كانوا يتنقلون بين المراكز العلمية المختلفة والمتعددة للاستفادة من أكبر عدد من العلماء . ولقد وصف أحمد النمازي علماءها فقال " وكان بها الكثير من الأئمة والأكابر والعلماء النحارير كآل شافع وغيرهم ممن قاوم علماء الزيدية في الأصول والفروع وغيرها من المسائل الفقهية "[١١]. ونجد أيضاً أن في مدينة صبيا وحدها اثنين وخمسين عالماً كان لهم دور بارز في إثراء المدينة كمركز علمي.

والواقع أن مكانة صبيا العلمية ليست وليدة القرن الحادي عشر الهجري، بل كانت تتمتع بمكانة علمية منذ القرن السابع الهجري، حيث برز فيها علماء كبار كان لهم دور بارز في دفع الحركة العلمية في المخلاف السليماني . ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ أبو الحسن علي بن شافع المتوفى سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)[١٢]. ونجد أن هناك عدداً من الأسر توارثت العلم والتعليم فيه وأقبلت عليهم وفود طلاب العلم للدراسة على أيديهم والانتفاع بعلمهم .

ومن أبرز هذه الأسر أسرة آل شافع[١٣]، التي تُعد من بيوت السيادة والعلم[١٤]، وهم

---

(١١) المصدر السابق، ص ١٩ .

(١٢) رحل إلى اليمن لطلب العلم ونزل بيت الفقيه ودرس على علمائها، وبرع في علوم اللغة العربية . انظر . الأفضل الرسولي، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تحقيق : عبد الواحد الخامري، (د . ط)، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٧٨ .

(١٣) الأفضل الرسولي، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تحقيق :عبدالواحد الخامري، (د.ط)، وزارة الثقافة والسياحة ـ صنعاء، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٤٧٨ .

(١٤) العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان ،ج١، ص ١٢٢ . محمد بن أحمد العقيلي، آل شافع في صبيا، العرب، ج١، س٧، رجب- أغسطس ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٤٧

ينتسبون إلى شافع بن القاسم من الأشراف السليمانيين [١]. أما بالنسبة لتاريخ هذه الأسرة العلمي فيعود إلى القرن السابع الهجري، فمن خلال البحث في المصادر وجدنا الشيخ أبو الحسن علي بن شافع المتوفى سنة (٦٩٠هـ /١٢٩١م)، أقدم من ذكرته المصادر من هذه الأسرة [٢]. وقد امتد تاريخ هذه الأسرة من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الهجري [٣]. وذكرهم عبدالله بن علي العمودي بقوله " آل شافع الساكنون بالمدينة الصبيانية علماؤها وبيت مجدها ورؤساؤها "[٤].

وقد قامت هذه الأسرة بدور كبير في الحياة الفكرية والعلمية في المخلاف السليماني، فاهتم بعض أفرادها بخدمة العلم، وكانوا قضاة ومعلمين تخرج على أيديهم طلبة كثيرون شغلوا العديد من المناصب خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، والعلماء الذين أنجبتهم هذه الأسرة خلال فترة بحثنا هم : الشيخ عبد العليم بن الحسين بن محمد شافع (ت ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) [٥]، الذي برع في الفقه والحديث والفرائض والنحو والصرف، ثم تولى منصب القضاء والتدريس والإفتاء في صبيا وملحقاتها . ثم يأتي من بعده الشيخ الأمين بن أبي القاسم شافع (ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) [٦] الذي تعَدَّت شهرته العلمية نطاق المخلاف السليماني[٧]، وكان يوصف بأنه أعلم علماء الشافعية في زمنه[٨]، ولي قضاء صبيا إلى جانب التدريس والإفتاء، وظل طوال حياته في خدمة العلم[٩] . ثم الشيخ الزين بن عيسى بن الأمين شافع (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م) الذي اشتهر بحفظه[١٠]. ومنهم أيضاً الشيخ المرتضى بن حاتم بن محمد شافع (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) الذي تولى القضاء والتدريس والإفتاء في صبيا[١١]. ومن الأسرة كذلك الشيخ علي بن الأمين بن أبي القاسم شافع

(١) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥ .
(٢) الأفضل الرسولي، المصدر السابق، ص ٤٧٨ . ومحمد بن يوسف الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج٢، تحقيق : محمد علي الأكوع، (د . ط)، (وزارة الإعلام والثقافة – اليمن، ١٤٠٣هـ)، ص ٣١٣ .
(٣) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٤٥ .
(٤) تحفة القارئ والسامع، ج١، ص ١٤٨ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٤ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٨٧ – ٣٨٩ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦. والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ .
(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ .
(٨) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١ .
(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٥ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩١ .
(١٠) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٦ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٢ .
(١١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨٨ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٢ .

(ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م)، الذي تولى القضاء والإفتاء والتدريس أيضاً في صبيا بعد وفاة الشيخ المرتضى بن حاتم[١]. والشيخ أحمد بن علم الدين بن الحسين شافع (ت ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م) [٢]، الذي ولد في صبيا، ثم تلقى العلم على يد ابن عمه الشيخ المرتضى بن حاتم بن محمد شافع، والشيخ علي بن الأمين بن أبي القاسم شافع، ثم تولى القضاء والإفتاء والتدريس في صبيا بعد وفاة الشيخ علي بن الأمين . ومنهم كذلك الشيخ علي بن المرتضى بن حاتم شافع الذي تولى القضاء في صبيا[٣].

ثم تليها في المرتبة الثانية من حيث الأهمية أسرة آل النعمى[٤]، وهؤلاء سادة أشراف بيت علم وفضل وأدب[٥]، ويرجع نسبهم إلى السيّد نعمة الأصغر بن علي بن فليتة بن الحسين بن يوسف بن نعمة الأكبر بن علي بن داود بن سليمان بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٦] . ويعود تاريخ هذه الأسرة العلمي إلى القرن العاشر الهجري، ولقد أمدتنا المصادر بأول عالم ذكر منهم، وهو الشيخ محمد بن الحسن النعمى (ت ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م) [٧]، أقدم من ذكرته المصادر من هذه الأسرة . وامتد تاريخ هذه الأسرة من القرن العاشر الهجري إلى عصرنا الحاضر . وذكرهم محمد بن حيدر النعمي بقوله: " فيهم العلماء الأكابر والأولياء وآل الكرامات الباهرة والعلماء ذوي العلوم الزاخرة وفيهم البلغاء المصاقعة " [٨].

والعلماء الذين أنجبتهم هذه الأسرة خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي هم :

الشيخ الحسين بن محمد بن الحسن النعمي (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) [٩]، الذي وصفه ابن أبي الرجال بقوله: " كان عالماً عاملاً حاوياً لعديد المفاخر جامعاً لحميد المآثر"[١٠].

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨ .وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨ . والنمازي، المصدر السابق ،ص٧٩، وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣
(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨، وزين الشافعي، ، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .
(٤) العمودي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٤٨. والحازمي، المرجع السابق، ص ٧٢ .
(٥) المحبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦ .
(٦) النعمي، المصدر السابق، ص ٢٣، ٥٩ .
(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٢٨ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٩ .
(٨) المصدر السابق، ص ٥٩ .
(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٢، ٣٦٤، وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩١ـ ١٩٥.
(١٠) المصدر السابق، ج٢، ص ١٩١ .

وهناك أخوه الشيخ علي بن محمد بن الحسن النعمي (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م) ، الذي كان على قدر وافر من العلم والفضل[١] ، كذلك الشيخ إبراهيم بن هادي القبة النعمي (ت١٠٤٠ هـ/١٦٣٠م) [٢] ، الذي تولى قضاء صبيا للأشراف الخواجيين، وتردد في خدمتهم إلى اليمن [٣] . وكذلك الشيخ يحي القبة النعمي (ت ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م) ، الذي تردد في خدمة أشراف صبيا إلى اليمن أيضاً [٤] . ثم يأتي من بعده الشيخ علي بن الحسن بن محمد النعمي (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) [٥] . الذي يعد من كبار علماء صبيا، تولى القضاء في بلده إلى جانب قيامه بالتدريس والإفتاء، ولقد كان له خمسة أبناء قام برعايتهم وشجعهم على طلب العلم فتبوؤوا مكانة علمية كبيرة، وشغلوا مناصب قضائية ودينية وهم الشيخ أحمد (١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) [٦] ، الذي عمل إماماً وخطيباً لجامع صبيا، وابنه الثاني الحسن (ت ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) [٧] ، الذي امتدت شهرته إلى كل من اليمن ومكة المكرمة [٨] ، والابن الثالث عز الدين[٩] ، المولود سنة (١٠٣٢هـ/١٦٢٢م) [١٠] ، والذي تولى القضاء والإفتاء في صبيا، إلى جانب توليه قضاء الحج لإمام اليمن المتوكل على الله إسماعيل من سنة (١٠٥٤هـ / ١٦٤٤م) إلى سنة (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٧م) [١١] ، والابن الرابع إبراهيم[١٢] ، والخامس شبير[١٣] . ومن العلماء

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوطة، ص ٣٦٦ .

(٢) المصدر نفسه السابق، مخطوط، ص٣٧٥ . والشرفي، المصدر السابق ،ج٣، ص٣٨٣ .وزيادة خلاصة المتون، ج٤، ص ١٤٤ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٥. والشرقي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٩ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١٢، ٤١٣، والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٢-١٥٥، وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢١-٢٢٢ . والشلي، المصدر السابق، ص ٢٩٣ . والنمازي، المصدر السابق، ص٨٠، ومحمد بن محمد بن يحيى زبارة، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، ط١، مطبعة السعادة - مصر، ١٩٤٨م، ص ١٦٢ .

(٦) المحبي المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٤، ١٥٥، وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣. ص ٢٢٢.

(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٧، والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٤، ١٥٥ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٧ .

(٩) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١١، وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ .

(١٠) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١١، ١٥٥ .

(١١) المصدر نفسه، ج٣، ص١١١، ١٥٥ .

(١٢) لم تذكر المصادر التي أمكن الاطلاع عليها تاريخ ولادته ووفاته . انظر . المحبي، المصدر السابق ،ج٣، ص ١٥٥ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٣، ص ٢٢٢ .

(١٣) لم تذكر المصادر التي أمكن الاطلاع عليها تاريخ ولادته ووفاته . انظر . المحبي، المصدر السابق ،ج٣، ص ١٥٥ . وابن الرجال، المصدر السابق ،ج٣، ص ٢٢٢ .

المنسوبين إلى هذه الأسرة أيضاً الشيخ محمد بن أبي القاسم القبة النعمي[١]، الذي تولى قضاء صبيا، والشيخ المساوى بن عقيل النعمي (ت ١٠٢٦هـ/١٦١٧م) [٢]، والشيخ محمد بن المكي القبة النعمي (ت ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م)[٣]. ومنهم أيضاً الشيخ حسن بن محمد الهديسي النعمي (ت ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)[٤]، عالم بلدة وساع [٥] وفقيهها[٦]. والشيخ علي بن محمد بن الحسن النعمي(ت١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م) [٧]. والشيخ يحيى بن حسين النعمي (ت١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م) [٨]. ثم الشيخ إبراهيم بن التقي النعمي (ت ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) [٩]، والشيخ سعد الدين بن الحسن بن محمد النعمي (ت ١٠٥١هـ /١٦٤١م) [١٠]. والشيخ ناصر بن أحمد بن عيشان النعمي (ت ١٠٥٤هـ/١٦٤٤ م) [١١]، والشيخ أحمد بن سعد الدين بن الحسن النعمي (ت ١٠٦٢هـ/١٦٥١م)، الذي وصفه النعمان فقال: " العالم الأديب الفرضي الفصيح"[١٢]، و" كانت له مشاركة في سائر العلوم، وله في الفرائض فائدة طولى"[١٣]، ثم الشيخ حسن بن محمد العنقاوي القبة النعمي (ت ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م)[١٤]، فقيه قرية الملحا[١٥]، والشيخ المكي بن الحسن النعمي (ت ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) [١٦]، ومنهم أيضاً الشيخ الحسين بن محمد بن علي النعمي (ت ١٠٧٢هـ/١٦٦١م)[١٧]، الذي وصِف بأنه" كان عالماً ورعاً محققاً في الفقه

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١١، ٤١٤ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ .
(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ .
(٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٠ . والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٨٥ .
(٥) وساع : وادي شمال المخلاف السليماني وروافده من جبال الصهاليل وما حولها ويلتقي بمجرى وادي بيش. انظر. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٤١٩ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٠ .
(٧) أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٩٤ .
(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٤ .
(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٤ .
(١٠) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٧ .
(١١) المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٨
(١٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٦ .
(١٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٦ .
(١٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٦ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٨ .
(١٥) المَلْحَا : قرية قديمة تقع شمال مدينة صبيا على بعد حوالي(١٠)كم، أسسها السيد العلامة محمد بن جحيش بن عطية في القرن العاشر الهجري . انظر . محمد بن محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ج١، مركز الدراسات والبحوث، اليمني صنعاء (د . ت)، ص ٢٤ . والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٣٩٨ .
(١٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٧ .
(١٧) ابن المؤيد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٢ . وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٨ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج٢، ص ٦١٢ . و زبارة، نشر العرف، ج١، ص ٦٢٧ .

وقواعده "[١]، ومن الأسرة كذلك الشيخ علي بن الحسن بن عقيل النعمي (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)[٢]، الذي وصف بأنه" كان سيداً نبيلاً عالماً فاضلاً متولياً قضاء صبيا "، ومنهم كذلك الشيخ محمد بن علي بن حفظ الله النعمي (ت ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م)، الذي اشتهر بشعره ونثره[٣]، والشيخ حسن بن علي بن حفظ الله النعمي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨) [٤]، الذي وصفه الشلي بقوله : " كان أديباً مطبوعاً على السجع والذكاء "[٥]، ومنهم كذلك الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد النعمي (ت ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م)، الذي وصف بأنه " كان سيداً عظيم القدر، بعيد الذكر، فاضلاً عالماً فقيهاً نبيهاً صالحاً، له أبهة حسنة، وسمت حسن، انتهت إليه رئاسة الفقهاء بالمخلاف السليماني "[٦]، وأنه " له في الرسائل والإنشاءات يد تقدمه على أهل عصره بحسن عبارة وفصاحة لفظ ونباهة معنى وقد ساعده السجع بلا كلفة "[٧].

ثم تليها في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية في هذا المركز العلمي أسرة آل الدياجي[٨]، وهي من الأسر العلمية العريقة التي كان لها تاريخ علمي طويل[٩]، والموطن الأساسي لهذه الأسرة مدينة أبو عريش إلا أنها انتقلت إلى قرية الحجرين[١٠] في القرن الحادي عشر الهجري[١١]. أما بالنسبة لتاريخ هذه الأسرة العلمي فيعود إلى القرن العاشر الهجري، فأول من ذكرته المصادر من هذه الأسرة هو الفقيه صديق بن موسى الدياجي المتوفى سنة (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م) [١٢]. وبرز من هذه الأسرة علماء أجلاء خدموا العلم وساهموا في نشره، ووصفهم عبدالله النعمان بذلك فقال:" كانوا علماء صالحين

---

(١) ابن المؤيد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٢ .

(٢) الشّلي، المصدر السابق، ص ٣١٣ . و زبارة، ملحق البدر الطالع ،ج٢، ص ١٦٢ .

(٣) زبارة، ملحق البدر الطالع ،ج٢، ص ١٦٢ .

(٤) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٧ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٣٣٠ .

(٥) المحبي، المصدر السابق ،ج٢، ص ٣٦ . والشلي، المصدر السابق، ص ٣٢٨ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٨٣ . المصدر السابق، ص ٣٢٨ .

(٦) علي البهكلي، العقد المفصل، ص ٧٤ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٤ .

(٨) العمودي، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٨ . الحازمي، المرجع السابق، ص ٧٩ .

(٩) الحازمي، المرجع السابق، ص ٧٩ .

(١٠) الحجرين : مثنى حجر قرية مأهولة بالسكان تقع جنوب غرب صبيا . انظر . العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ١٤٤.

(١١) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ١٦٦ .

(١٢) من علماء المخلاف الذين رحلوا إلى اليمن لطلب العلم، وبعد تبحره في العلوم رجع إلى المخلاف وجلس للتدريس والإفتاء بمدينة أبي عريش . انظر. محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ج٣، (د . ط)، دار مكتبة الحياة – بيروت، (د . ت)، ص ٣٢١ .

لا ينقطع العلم عن أسرتهم، ولم ينقطع محلهم عن الفتوى والتدريس والقضاء[١].
ومن علماء هذه الأسرة المعاصرين لفترة بحثنا هم :الشيخ محمد بن صديق الديباجي (ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) ، الذي تولى قضاء قرية الحجرين[٢]، ثم خلفه ابنه صديق (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) في القضاء إلى جانب الفتوى[٣]، وكذلك الشيخ الهادي بن صديق الديباجي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [٤] .

ثم تليها في المرتبة الرابعة من حيث الأهمية في هذا المركز العلمي أسرة آل النمازي[٥]، التي تولت العديد من الوظائف الإدارية في المخلاف السليماني[٦]، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي[٧]، وقد سميت هذه الأسرة بالنمازي، نسبة إلى قرية (نمازة) بوادي بيش، التي قامت على أنقاضها بلدة (المَحَلَّة)[٨]. أما بالنسبة لتاريخ هذه الأسرة العلمي فيعود إلى القرن العاشر الهجري، وقد أمدتنا المصادر بأول عالم ذكر منهم وهو الشيخ صالح بن صديق بن علي النمازي (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م)،[٩] وبمتابعة التاريخ العلمي لهذه الأسرة نلاحظ أنها امتدت من القرن العاشر الهجري إلى القرن الحادي عشر الهجري . ومن علماء هذه الأسرة خلال الفترة المعاصرة لفترة بحثنا هم :الشيخ محمد بن الهادي بن يعقوب النمازي (ت ١٠٢٧هـ/١٦١٧م) الذي اشتهر بالزهد والورع والعفة[١٠]، والشيخ محمد بن أبي القاسم الحميدي النمازي (ت١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) الذي اشتهر بفصاحته[١١]، والشيخ أحمد بن مهدي بن يعقوب النمازي (ت ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م) الذي انتفع بتطبيبه خلق كثير في صبيا[١٢] .

---

(١) المصدر السابق، محقق، ص ١٦٦ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٧ .
(٣) العقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٩٠ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٠ .
(٥) أحمد بن محمد المشني، النمازي حياته ومؤلفاته، العرب، ج٣، ٤، س ٢٩، رمضان وشوال ١٤١٤هـ/ مارس أبريل ١٩٩٤م، ص ٢٠٦ ،٢٠٧ . وأبو داهش، أهل تهامة ، ص ١٩٥ .
(٦) فؤاد عبد الوهاب الشامي، تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٢٦ .
(٧) أحمد بن محمد المشني، النمازي حياته ومؤلفاته، العرب ،ج٣، ٤، س٢٩، (رمضان وشوال١٤١٤هـ/ مارس وأبريل ١٩٩٤م)، ص ٢٠٧ .
(٨) المرجع نفسه، ص ٢٠٧ .
(٩) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ١٦٨. العقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١، ص ٣٥٢ .
(١٠) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٥٢ .
(١١) المصدر نفسه، محقق، ص ٣٩٩ .
(١٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٣ .

ثـم تليهـا في المرتبة الخامسـة من حيث الأهميـة في هذا المركز العلمي أسـرة آل السـبعي[١]، وهـؤلاء بيت علم وأدب[٢]. وصـفهم محمـد بن حيدر النعمـى فقال:[٣] " السـباعية القضاة المشهورون سـكان قرية الرجيع "[٤]. ومن خلال دراستنا لجذور هذه الأسـرة في المصـادر نجد أنه لم يرد ذكر لأحد من علمائها قبل فترة هذا البحث. ومن علمائها المعاصـرين لفترة بحثنا هم: الشـيخ هادي بن عبدالله السـبعي(ت ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م)[٥]، والشـيخ هـادي بن عثمان السـبعي (ت ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م) الذي اشـتهر بجودة خطه وفصاحته[٦].

ومـن علماء هـذا المركز عـدا من ذكرنا، الشـيخ محمد بـن عبد القـادر المحلوي (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) [٧]، الـذي تنقـل بـين مراكـز المخـلاف للدراسـة علـى علمائهـا[٨]، الـذي وصـفه النعمان بقوله[٩]: " لا تجـد أحداً من أهـل العربية من جهة تهامـة إلا وللفقيـه محمد المحلوي عليه مشـيخة أو نحوها فتأدب عليه عالم لا يحصـى جيـلاً بعـد جيـل"، والشـيخ محمد بـن عيسـى بـن يوسـف الظفـاري (ت ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م)[١٠]، شـاعر المخلاف في عصـره [١١]، والشـيخ إسـماعيل بن محمد بن عبد القـادر المحلـوي (ت ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م) الذي عمل كاتباً ومستشـاراً لأشـراف صـبيا الخواجيين[١٢]، والشـيخ عثمان بن محمد ياسـين (ت ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م) الذي وصـف بأنـه علامـة فقه الشـافعية في عصـره [١٣]، والشـيخ أبو القاسـم بن محمد المرتضـى

---

(١) الحازمي، المرجع السابق، ص ٥٠ .
(٢) العقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٨٧ .
(٣) عبـد الرحمن بن أحمد البهكلي، نفح العود في سيرة دولة الشـريف حمود، تكملة الحسـن بن أحمد عاكش، دراسـة وتحقيـق وتعليق: محمد بن أحمد العقيلـي، (د . ط)، دارة الملك عبد العزيز – الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٩٥ .
(٤) الرَّجيعُ: من قرى قبيلة الجعافرة بين قريتي (البطيح) و (الحقاوية) . انظر . العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ١٩٦ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠١ . و العقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١، ص ٣٨٧ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٩ . والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٩٠ .
(٧) النعمان، المصـدر السـابق، مخطوط، ص ٣٥٧، ٣٥٨ . والمحبي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٤، والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ .
(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٧، ٣٥٨ .
(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٧ .
(١٠) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٧ .
(١١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١٨، ١٩ .
(١٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠١ .والعمودي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٥٢.
(١٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٦ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٨ .

(ت ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م)، الذي تولى قضاء قرية صلهبة [١]، مدة خمسة وعشرين عاما [٢]، والشيخ الهادي بن علي الحكمي (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) الذي وفد إلى صبيا من أبي عريش واستقر بها، واشتهر في مجال الفقه والأدب والطب [٣]، والشيخ أبو بكر ياسين عيشة (ت ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) الذي اشتهر في علم القراءات[٤]، والشيخ عز الدين بن دريب بن المطهر العماري (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م) [٥]، الذي تلقى العلم في قرية الجمالة [٦] ثم رحل لطلب العلم إلى اليمن ثم استقر به الأمر في كوكبان[٧] وولي أعمالها إلى جانب القضاء والتدريس، والشيخ يوسف العجمي (ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م)، الذي كان طبيباً ماهراً[٨]، والشيخ محمد الأمرح (ت ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) [٩] .

٣. مدينة ضمد

من مدن المخلاف السليماني العلمية [١٠]، عرفت بهذا الاسم إما نسبة إلى ضمد بن يزيد بن الحارث المذحجي[١١]، أو نسبة إلى الوادي الذي توجد عليه [١٢]، أو نسبة إلى القبيلة التي عاشت فيه[١٣]. و تقع ضمد على الضفة الشمالية لواد بنفس الاسم يمتد شمالي وادي جازان، وجنوبي وادي صبيا، ويمتد من أعالي الجبال

(١) صَلْهَبَة : بفتح الصاد وسكون اللام، قرية جنوب مدينة صبيا وأصبحت ملتصقة بها بعد التطور العمراني . انظر. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٥٩ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٩ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٩ .

(٣) الشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ . والعقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١، ص٣٨٠.

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٤٩ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٧٠، والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١١، وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٣، والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ١٩٨ .

(٦) الجَمَّالة : على صيغة جمع جَمَّال، قرية شمال غرب مدينة صبيا . انظر. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ١٣٣ .

(٧) كوكبان: مركز قضاء الطويلة حالياً، وهو من أشهر المعاقل اليمنية . انظر . الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٢ . والحموي، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٦١ . وعبد الله بن أحمد الثور، هذه هي اليمن، ط٣، دار العودة – بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٩٩-٤٠٢ . وحسين بن علي الويسي، اليمن الكبرى، ج١ ، ط٢، مكتبة الإرشاد – صنعاء، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص ٨٢ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٤ .

(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٠ .

(١٠) عبد الرحمن البهكلي، نفح العود، ص ١١١ .

(١١) الحسن بن أحمد الهمداني، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، تحقيق : محمد علي الأكوع، (د . ط)، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، (د . ت)، ص ٢٦٥ . وعاكش، المصدر السابق، ص ١٧٦ . والنعمي، المصدر السابق، ص ٥٥ .

(١٢) عاكش، المصدر السابق، ص ١٧٧ .

(١٣) العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٦٦ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٢٢ .

الواقعة إلى الشرق إلى أن يصب في البحر الأحمر غربا[١]، وتبعد ضمد عن مدينة جازان حوالي (٤٠) ميلا الى جهة الشمال الشرقي[٢]، وقد ذكرها الهمداني ضمن الهجر بالمخلاف بقوله " ثم الهجر قرية ضمد "[٣]، ويرجع تأسيسها في موقعها الحالي إلى القرن العاشر الهجري كما ذكر ذلك محمد حيدر النعمي حيث قال: " وأما ضمد فالمشهور أنه أول ما عُمِّر في زمن القاضي العلامة المجتهد حامل لواء المذهب الشريف محمد بن علي بن عمر[٤]، وبنى فيه المسجد الحجر وعَمَّر جامعه القديم الذي اجتحفه السيل عام ١٢٠١هـ "[٥]. وقد تحدّث عن مكانتها العلمية الكثير من المؤرخين فذكرها أحمد بن صالح بن أبي الرجال حيث قال[٦]: " وهذه الهجرة الضمدية – عمّرها الله بالتقوى – مطالع لشموس العلم والأدب، حتى اشتهر أنه لا يخلو عن مجتهد وشاعر، وهو كذلك لم يُعرف ولم يُسمع أنه قد خلا "، كما تحدّث عن مكانتها العلمية عالمها الحسن بن أحمد عاكش فقال:[٧] " وقد تتبعت بحسب ما اطلعت عليه من علمائهم قديماً وحديثاً فأوفوا على مائة عالم فيهم من اتصف بكمال التحقيق، وفيهم من اطلع على سائر العلوم تفسيراً وحديثاً، وفقهاً، وكلاماً، وأصولاً، وعربية، وغير ذلك من سائر العلوم العقلية والنقلية، وفيهم من صنف وتصانيفه موجودة " وأنه "يسكنها بطون من الأشراف الحوازمة، والمعافين ويسكنها القضاة البهكليون، وبنو النعمان، والعمريون حملة العلم "[٨]. وقد شهدت مدينة ضمد تطورات تاريخية خلال القرن الحادي عشر الهجري، وتوالت عليها الفتن والقلاقل إذ كانت تُحكم من قبل الأشراف الخواجيين، فقد قام حاكم صبيا الشريف أحمد بن حسين الخواجي، بمعاقبة أهلها، وأجلاهم عنها حوالي ستة أشهر، بعد أن وصلته أنباء تفيد ميل شريفها إلى الأشراف القطبة ومساعدتهم لهم ضد شريف صبيا[٩]. وإلى جانب أهميتها السياسية كانت لها أهميتها الاقتصادية أيضاً فقد كانت مركزاً تجارياً هاماً بين أبو

(١) الحازمي، المرجع السابق، ص ٢٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢، ٢٣، والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٦٦

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٧٦ .

(٤) محمد بن علي بن عمر : من علماء ضمد المشهورين الذين يُشار إليهم بالبنان، له علاقات مع إمام صنعاء وأشراف مكة، وكانت وفاته سنة (٩٩٠هـ/١٥٨٢م) . انظر . النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٤١، ٣٤٢ .

(٥) المصدر السابق، ص ٥٦ .

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٨ .

(٧) الديباج الخسرواني، ص ١٧٨ .

(٨) النعمي، المصدر السابق، ص٥٥، وعبد الرحمن البهكلي، نفح العود، ص ١١١١.

(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٧ .

عريش وصـبيا[١]، إلى جانـب أهميتها الزراعية لوقوعها على الوادي الذي نُسـبت إليه الذي وُصِف بأنه "وادٍ مبارك مشهور بالخير والبركة"[٢].

وأمـام كل هـذه المعطيات السـابقة تبوأت ضـمد مكانة علمية كبـيرة في المخلاف السـليماني، وهي تمثل المركـز الثالث من حيث كونه مركزاً علميـاً يؤمه طلبة العلم من جميـع نواحي المخـلاف السـليماني، ومن خلال اطلاعـي على المصـادر التي ترجمت لعلماء المخلافِ السـليماني خلال فترة بحثنا هذا، وجدت في مدينة ضمد وحدها اثنين وعشـرين عالماً تخرج على أيديهم أفواج من الطلبة الذين وصـلوا إلى مصـاف العلماء الكبار، وشغلوا مناصب دينية وقضائية عديدة . وفي هذا المركز العلمي توارثت عدد من الأسـر العلم والتعليم فيه، ومن أشهر هذه الأسـر، أسرة آل النعمان الضمدي [٣]، التي توارثت العلم كابرا عن كابر[٤]، وهم ينتسبون إلى جدهم الحسين بن حسن بن شبيب، ويعود تاريخ هذه الأسرة العلمي إلى القرن السابع الهجري إذ يُعد الحسين بن شبيب[٥]، أول عالم منهم ذكرته المصـادر . وامتد تاريخ هذه الأسـرة من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر وما يليه حتى نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

وعلماء هذه الأسـرة المعاصـرون لفترة هذا البحث، هم: الشـيخ علي بن محمد بن علي النعمان(ت ١٠١٦هـ/١٦٠٧ م) [٦]، الذي يُعد من كبار علماء ضمد، تولى القضاء في بلدتـه إلى جانب قيامـه بالأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر[٧]، وخَلَّف الشـيخ علي النعمان خمسـة أبناء كانوا من خيرة أهل زمانهم في العلم، وبمقتضـى عمل الشـيخ في سلك القضاء إلى جانب عمله في التجارة والزراعة أصبح مستواه المعيشي جيداً، وأتاح الفرصـة أمام أبنائه للتفرغ لطلب العلم وتلقيه والسفر إلى خارج المخلاف من أجله[٨]، فابنـه المطهر (ت ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) [٩]، أخذ العلم عن علماء المخلاف وغيرهم حتى

---

(١) الهمـداني، الإكليل، ج١، ص ٢٦٥ . والهمـداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٦ . وعاكش، الديباج الخسرواني، ص ١٧٦. والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٦٦ .

(٢) النعمي، المصدر السابق، ص ٥٥ . وعاكش، الديباج الخسرواني، ص ١٧٦ .

(٣) الحازمي، المرجع السابق، ص ٦٨ .

(٤) أحمد بن محمد المشـني، الشـقيري أضـواء على تاريخهـا، مجلة العرب، ج ١١، ١٢، س٣٠، الجماديان ١٤١٦هـ/ تشرين ١ و ٢ (اكتوبر، نوفمبر) ١٩٩٥م، ص ٨٠٤

(٥) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٨، ١٦٧.

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١، ٣٥٢ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣ .

(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ .

(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٢ .

(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩١ . والمحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤٠٣ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣ . ومحمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١ ،ط١، مطبعة السعادة – مصر، ١٣٤٨هـ، ص ٣١٠ .

أتم تحصيله العلمي ثم عكف على التدريس والإفتاء والتأليف في الفنون[١]، كذلك ابنه الثاني الشيخ أحمد (ت ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م) [٢]، المحقق في المذهب الزيدي، إلى جانب ابنه الشيخ عقيل (ت ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) [٣]، المتمكن من العلوم العربية، ثم يأتي ابنه الشيخ إبراهيم (ت ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)، الذي كان فقيهاً أديباً[٤]، وآخرهم ابنه الشيخ عبدالله (ت ١٠٧٨هـ/ ١٠٦٧م)، الذي تولى قضاء جازان[٥].

ومن علماء هذه الأسرة الشيخ أحمد بن عبده بن محمد النعمان (ت ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) الذي تولى التدريس والإفتاء [٦]، والشيخ محمد بن أحمد أبو الحصير الضمدي (ت ١٠٣٩ هـ/ ١٦٢٩ م) الذي تولى قضاء ضمد [٧]، والشيخ أبو القاسم بن الصديق الضمدي (ت ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م) [٨]، الذي استخدم طريقة الحفظ في تدريسه [٩]، وتولى قضاء زبيد في آخر حياته [١٠]، والشيخ حسين بن أحمد بن محمد النعمان (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م)، الفقيه العالم الأديب [١١]، وأنه " له في كل فن من فنون العلم قراءة وتميز حسن" [١٢]، ومنهم أيضاً الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) [١٣]، الذي تولى قضاء جازان وأبو عريش إلى جانب زبيد والمخا [١٤]، وكانت له مشاركات في كل الفنون [١٥]، ومن الأسرة كذلك

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٤ .
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٣ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٤٥، ٥١ .
(٥) ابن الوزير، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٣٢ . وابن القاسم ، بهجة الزمن ،ج١ ص ٦٨٤ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٨، ٣٧٩. والمحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤٠٤.
(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٥ . والعقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١، ص٣٩٠ .
(٨) ابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٤، ص ٨٤ ،٨٥ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢١٢ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٦٣١ .
(٩) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .
(١٠) المصدر نفسه، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٦٣١ .
(١١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٣ .
(١٢) المصدر نفسه، ص ٤١٣ .
(١٣) الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار ،ج١، ص٢٢٣ . وابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٢٠١ . وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٨،١٧٩ .ومحسن أبو طالب، المصدر السابق، ص ١٠٧ .
(١٤) المخا: مدينة يمنية مشهورة منذ القدم تقع ما بين زبيد وعدن، وقد اشتهرت بتصدير البن، وامتازت بخصوبة أرضها ووفرة محاصيلها الزراعية . انظر .الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص ٨٠ . و الحضرمي، المرجع السابق، ص ٤٥ . وعبد الواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٤، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ، ص ٤٥، ٤٦.
(١٥) ابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٦٨٤ .

الشـيخ علي بن أحمد النعمان (ت ١٠٣١هـ/١٦٢١م) [١]، الذي تضـلـع في جميع الفنون حتى بلغ درجة الفتوى والاجتهاد، إلى جانب الشـيخ حسـين بن محمد بن يحي الضمدي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)، العالم الأديب الفصـيح المصـقع"[٢]، والذي عُرف عنه العفة والكرم وحسـن الأخلاق والشيم، واشـتهر بسعة علمه[٣]، ومنهم كذلك الشيخ يحيى بن حسن الخصيب النعمان (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) [٤].

ثـم تليهـا في المرتبـة الثانيـة مـن حيـث الأهميـة في هـذا المركـز أسـرة آل الحازمي[٥]، وهـؤلاء بيـت علم وسـيادة [٦]، فيهـم علماء فضـلاء، لهـم رواية ودرايـة، في علوم السـنة[٧]، وينتسـبون إلى حـازم بـن علـي بن عيسـى بن حـازم بن حمـزة بن محمـد بن علي بـن أحمد بـن قاسـم بـن داود بـن إبراهيـم بـن محمـد بـن يحيـى بـن عبـدالله الكامـل بـن الحسـن المثنـى بـن الحسـن السـبط بـن علـي بن أبـي طالـب رضـي الله عنـه[٨]. ويعـود تاريـخ هذه الأسـرة العلميـة إلى القـرن العاشـر الهجـري، فمن خلال اسـتعراض المصـادر نجـد أن أول عالم ذكر منهم هو العلامة المخنجف بن علي بن المخنجف الحازمي (ت ١٠٠٥ هـ/ ١٥٩٦م) [٩]. وبمتابعة تاريخ هذه الأسرة العلمي نلاحظ أنه امتد من القرن العاشر وما بعده دون انقطاع .

أما علماء هذه الأسرة المعاصرين لفترة هذه الدراسة فهم : الشيخ أحمد بن الحسن ابن علي الحازمي (ت ١٠٢٦هـ/١٦١٧م)، الذي تولى التدريس والإفتاء في صـلهبة[١٠]، والشيخ موسى بن أبي القاسم بن موسى الحازمي (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)، الذي عُرف عنه الغيرة الشديدة في الدين، والصلابة في العقيدة، واشتهر بسعة علمه وصلاحه[١١]. ثم الشيخ حسن بن حميضة الحازمي(ت ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م) [١٢].

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٣ .

(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١١ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٢، ص ٢١٩، ٢٢٠. والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣، والنمازي، المصدر السابق، ص٨٠ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١١ .

(٤) العقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٧٩ .

(٥) الحازمي، المرجع السابق، ص ٥٥ .

(٦) محمد بن أحمد العقيلي، الحسن بن خالد الحازمي، العرب، ج٣، ٤، س٩، رمضان وشوال، ١٣٩٤هـ، ص ١٧٤.

(٧) هاشم بن سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، مؤسسة الطباعة. (د.ت)، ص١٦٦ .

(٨) عاكش، الديباج الخسرواني، ص ٢٤٧ .

(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٩ .

(١٠) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ . ومحمد بن أحمد العقيلي، البهاكلة علماء المخلاف، مجلة العرب، ح ٧، ٨، س٩، محرم وصفر ١٣٩٥هـ، ص ٥٥٢ . والعقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١،ص٣٨٠ .

(١١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٥ .

(١٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦١ .

وفي المرتبة الثالثة من حيث الأهمية في هذا المركز العلمي أسرة آل البهكلي[(١)]، التي تُعد من أشهر البيوت المعمورة بالعلماء والفضلاء في تهامة [(٢)]، تحدّث عن مكانتهم محمد بن أحمد العقيلي حيث قال " البهاكلة جمع بهكلي بياء النسبة اسم عرفت به جماعة أنجبت عددا من العلماء والمؤرخين في القرن الحادي عشر وما بعده، وأبقوا لنا عدداً من المؤلفات التاريخية"[(٣)]. ومن خلال دراستي لجذور هذه الأسرة في المصادر وجدت أنه لم يذكر أحد من علمائها قبل هذه الفترة. وبمتابعة التاريخ العلمي لهذه الأسرة نلاحظ أنها امتدت من القرن الحادي عشر الهجري إلى عصرنا الحاضر . والعلماء الذين أنجبتهم هذه الأسرة هم : الشيخ أحمد بن مهدي بن البهكلي (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م) [(٤)]، الذي تردد بشعره على أشراف مكة[(٥)]، وكذلك الشيخ علي بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي (ت ١١١٤هـ/١٧٠٢م)، الذي جلس للتدريس في كل من ضمد وصبيا بعد أن تولى القضاء بها من قِبَل شريف صبيا[(٦)]، إلى جانب الشيخ الحسن بن علي بن حسن البهكلي (ت ١١٥٥هـ/١٧٤٢م)، الذي تولى قضاء جازان وأبو عريش إلى جانب التدريس والإفتاء [(٧)]. ومن علماء هذا المركز عدا من ذكرنا الشيخ حسين بن أحمد الشبلي (ت ١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م) الذي تولى التدريس والإفتاء [(٨)]، إلى جانب الشيخ حسن بن علي الوضي الهذلي (ت ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤) [(٩)] .

سادساً: أماكن وطرق التعلم والتّعْليم :

عرف المخلاف السليماني (منطقة جازان) التعليم منذ العصور الإسلامية المبكرة، شأنه في ذلك شأن بقية أقاليم شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقاليم العربية والإسلامية[(١٠)]. وأشرنا أن بالمخلاف السليماني ثلاثة مراكز علمية هي أبو عريش، وصبيا، وضمد، وكانت تلك المراكز زاخرة بالعلماء والفقهاء، وغاية التعليم هي

---

(١) الحازمي، المرجع السابق، ص ٦٤ .

(٢) محمد بن محمد زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر، المطبعة السلفية – القاهرة، (د.ت)، ص ٢٧ .

(٣) العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١١٠، ١١١ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص٤١٠ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٥ .

(٥) النعمان، المصدر السابق ، مخطوط، ص٤١٠ .

(٦) عبد الرحمن البهكلي، المصدر السابق، ص ٥٥، ٩١ . وعلي البهكلي، المصدر السابق، ص ٢٣ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١١٢،١١١ .

(٧) انظر . عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ١٢٠- ١٢٧. والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١١٣ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٢ . الحازمي، المرجع السابق، ص ٢٥ .

(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٠ .

(١٠) الحازمي، المرجع السابق، ص١٨ .

فهم الإسـلام فهماً صحيحاً، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والمثل العليا الإسلامية[١] . ولم يكن التعليم منتشراً في بلدان المخلاف السليماني آنذاك كما هو عليه في الوقت الحاضـر في كل قرية ومدينة، وكان التعليم يسـير وفق الطريقة القديمة في أسـلوبه ومادته إذ لم تُعرف المدارس المنظمة بالمفهوم الحالي، سوى ما كان من كتاتيب أهلية خاصة بتعليم القران الكريم، وأمور الدين الإسلامي، ومبادئ القراءة والكتابـة، تركز على التلقين والتكرار والحفظ[٢] . وتنوعت طرق التدريس تبعاً لاختلاف طريقـة كل عـالم، كما أن الطريقة التي يتبعها هي التـي تحدد مدى فهم كل طالب، لذا يحاول كل عالم أن يختار الطريقة التي تناسـب طلابه، وتؤدي إلى نتائج أفضل في قاعة الدرس . وكانـت أماكن التعليم السـائدة في المخـلاف في ذلك الوقت مشـابهة لما كان سائداً في العالم الإسلامي آنذاك . ومن أبرز أمكنة التَّعلُم والتَّعْليم في المخلاف ما يلي :

١. المساجد والزوايا :

حظيت المسـاجد في المخلاف السـليماني باهتمام من الأسـر، مـن حيث تعميرها والاهتمام بها [٣]، وبالتالي تُقام الصـلوات في المسـاجد ويتبعهـا دروس علمية من أجل تعليم العلم ونشـره . والدراسـة في المسـاجد عـن طريق عقد الحلقـات العلمية، ويقوم بالتدريس في المساجد علماء أفاضل سبق أن دَرَسوا على شيوخ وعلماء كبار سبقوهم في المنطقة أو خارجها، وقد يكون هذا العالم قاضـي المدينة أو غيره[٤] . ولا يجلس للتعليم إلا من تَبَحَّر في العلوم الدينية أو غيرها من العلوم الأخرى[٥] . ويزاول الشيخ بعض المهن الأخرى إلى جانب التدريس مثل ممارسة التجارة والبيع والشراء في الثمار، ومثال ذلك الشـيخ علي بن محمد بن علي النعمان[٦]، ومنهم من كان يعمل في حرفة نسـخ الكتب، ومثال ذلك الشيخ محمد بن أحمد الأسدي[٧] .

وكان الشـيخ ينتقـل من مكان إلى آخر ومن مدينة إلى أُخـرى ومن قرية إلى قرية وذلـك من أجل التدريس في عدد من الأماكـن وعادة ما يكون باختياره، إلا أنه في بعض

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، ط١، مكتبة الإرشاد – صنعاء، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٧٩، ١٨٠، ٢٣١، ٢٣٢ .
(٢) الحازمي، المرجع السابق، ص ٢٠، ٢١ .
(٣) النعمي، المصدر السابق، ص ٥٦، والحازمي، المرجع السابق، ص٣٣ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٢ .
(٥) الحازمي، المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٧ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٢،٣٥٣ .
(٧) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ .

الأحيان يوفد من قبل الحاكم ومن أمثلة ذلك الشيخ علي بن عبد الرحمن بن الحسن البهكلي أحد علماء ضمد الذي عينه شريف صبيا قاضياً ومدرساً بصبيا[١]، كذلك الشيخ المطهر بن علي بن محمد النعمان الذي درَّس متنقلاً بين قرى ضمد[٢]. وقد حظي العالم أو الشيخ في المخلاف بمكانة علمية كبيرة عند الناس ولدى تلاميذه .كما حضَّ الدين الإسلامي على العلم والتّعْليم وتكريم الله لأهله بقوله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوي الَّذين يَعْلَمون والذين لا يَعْلَمُون)[٣]، وقوله أيضاً (يَرْفَعِ اللّه الَّذِين آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِين أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَات)[٤] .

والدليل على هذه المكانة التي حظي بها العالم أو الشيخ لدى تلاميذه ملازمة الطلبة له وعدم مفارقتهم إياه ومداومة الدراسة على يديه[٥]، وأيضاً المرثيات التي يسطرها الطلبة في معلميهم من العلماء والمشائخ، ومثال ذلك الشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي الذي توفي في أبي عريش وما أصاب الناس بعده من الحزن والوحشة والبكاء[٦] .

وأذكر بعض المرثيات كنموذج يبين المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها علماء المخلاف عند تلاميذهم، ومنها مرثية الشيخ محمد بن عيسى الظفاري العريشي في شيخه عمر بن عبد القادر بن محمد الحكمي المتوفى سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م)، نختار منها هذه الأبيات[٧] .

مَن لكشْف المسائل المشْكلات ... ولصَرف النّوازل المُعضلات
مَن لَطُلاَبِ عصْرنا والمرِيدَين ... وللوفدَ في جميع الجهَات
بعدُ قالواَ شيخُ المشَايخ أودَى ... عمرُ الفَردُ صاحبُ المَنْقَبات
كمْ عليه من الرجَال حَزين ... وكَئيب يُتابعُ الزَفَراتَ
وعيونُ الفنونَ تَبْكي عَليهً ... بدُمُوع سجَاجة تَترّات
شهد الله أنّه حبرُ علم ... بَارع في العلوم والأدَوَاتَ
فجزاه خيرَ الجزاءِ إلهً ... بِجنَان مرفوعةِ الدّرَجَاتِ

---

(١) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٥٥، ٥٦ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١١١.
(٢) أحمد بن محمد المشني، الشقيري أضواء على تاريخها، ص ٨٠٥، ٨٠٦ .
(٣) سورة الزمر، آية ٩ .
(٤) سورة المجادلة، آية ١١ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٧، ٣٧٨ .
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٠ .
(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٠ ،٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤ .

ومن ذلك مرثية محمد بن عيسى الظفاري نفسه في الشيخ صديق بن علي بن صديق الحكمي أحد علماء أبي عريش وكان أحد تلاميذه ؛ إذ يقول[١] :

أبا قاسم إني أسيف لفقدكم	أناوح في الأغصان كل حمام
لتبكيك مني أعين قد تفجرت	بأبحر دمع من مسيل سهام[٢]
سحاب من الرضوان تغشى ضريحكم	بعفو وغفران وخير سلام

أمّا طريقة الدراسة في المسجد فتكون على شكل حلقات متعددة تُعقد في أوقات متفاوتة وتكون في الغالب في أحد جوانب المسجد الجامع في البلدة والذي يكون الشيخ هو الإمام الرسمي له، وقد تتعدد الحلقات العلمية في المساجد بحيث ينتقل الشيخ أو العالم من مسجد إلى مسجد لعقد حلقاته العلمية ليستفيد منه أكبر عدد من الطلبة[٣]. وتكون الدراسة في هذه الحلقات عن طريق القراءة في موضوع واحد في كتب التفسير أو الحديث أو الفقه أو النحو والأدب أو التاريخ ونحو ذلك . بالإضافة إلى كون هذه الحلقات مخصصة للتعليم فإنها تعد مجلساً علمياً يحضره العلماء[٤]، وهي مفتوحة للرأي والنقاش فيما غمض من مشكلة أو استعصى من أمر، إلى جانب كونها مجالاً فكرياً لمن ضمت من الدارسين [٥] .

وقد ضم المخلاف السليماني العديد من المساجد العلمية التي كانت مناراً للعلم، وتخرج منها العديد من القضاة والخطباء والمعلمين وأصحاب النفوذ ، ومن هذه المساجد المسجد الجامع في مدينة أبو عريش الذي كان يُدَرس فيه الشيخ صديق بن محمد السلاط[٦]، والشيخ محمد بن عيسى قلاص[٧]، والشيخ أحمد بن موسى الأسدي[٨]، والشيخ المهدي بن الهادي بن المهدي الحكمي[٩]، والشيخ محمد بن عبد القادر

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٤٢ . والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٢٧٨، ٢٧٩ .

(٢) سهام : واد مشهور في تهامة اليمن، ينسب إلى سهَام بن سهمان بن الغوث بن سعد بن عدي، ويأتي من جبال حضُور غرب صنعاء وبعض المناطق حولها ويصب في البحر الأحمر . انظر . المقحفي، المرجع السابق، ج١، ص ٢١٧، ٢١٨ .

(٣) أحمد بن محمد المشني، الشقيري أضواء على تاريخها، ص ٨٠٦ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٩ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١١ .

(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ .

(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨١ .

(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٩ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٣٥ .

(٩) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٥١ .

الحكمي[١]، والشيخ أبو القاسم بن علي بن صديق الحكمي[٢]، إلى جانب مسجدي المحفدي[٣]، ومسجد الصدر أبو القاسم في مدينة أبي عريش[٤]، ومسجد العُقّدة[٥]، الذي درس فيه الشيخ عمر بن أحمد القيراط الأسدي[٦]، والشيخ ياسين بن محمد بن أبي بكر الأسدي[٧]، والشيخ محمد بن علي بن محمد المعلم[٨].

أما مساجد صبيا فكان بها المسجد الجامع الذي جلس للتدريس فيه الشيخ الأمين بن أبي القاسم شافع[٩]، والشيخ الزين بن عيسى بن الأمين شافع[١٠]، والشيخ المرتضى بن حاتم بن محمد شافع[١١]، والشيخ أحمد علم الدين بن الحسين شافع[١٢]، والشيخ الحسين بن محمد بن الحسن النعمي[١٣]، والشيخ علي ابن الأمين ابن أبي القاسم شافع[١٤]، والشيخ علي بن المرتضى بن حاتم شافع[١٥]، والشيخ علي بن الحسن بن محمد النعمي[١٦]، ومسجد صلهبة، الذي درس فيه الشيخ أحمد بن الحسن بن علي الحازمي[١٧]، والشيخ محمد بن عبد القادر المحلوي[١٨].

أما مساجد ضمد فكان بها المسجد الجامع بضمد حيث درس فيه الشيخ أحمد بن عبده بن محمد النعمان[١٩]، والشيخ علي بن عبد الرحمن بن الحسن

---

(١) المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٥٢ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٥٣ .
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٢٩ .
(٤) المصدر نفسه، محقق، ص ٨٦ .
(٥) العُقّدَة : قرية شمال مدينة أبي عريش . انظر . العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٩٧ .
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٤٦ .
(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٤٦ .
(٨) المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٥٣ .
(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٦ . وزين الشافعي، الروض الزاهر، ص٣٩٠ .
(١٠) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٥ .وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩١ .
(١١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط ،ص ٣٧٦ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٢ .
(١٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط ،ص ٤٠٨. وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .
(١٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٢ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٧٢ .
(١٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٢، وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .
(١٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٤، وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ ،٣٩٤.
(١٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط ،ص ٤١٢ . والمحبي، المصدر السابق ،ج٣، ص ١٥٢ .
(١٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٤٢ .
(١٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٤٢ .
(١٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٩ . والمحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤٠ .

البهكلي[١]، والشيخ المطهر بن علي بن محمد النعمان[٢]، الذي دَرَّسَ أيضاً في جامع الشقيري[٣]، والشيخ إبراهيم بن علي بن محمد النعمان[٤]، والشيخ عقيل بن علي بن محمد النعمان[٥]، والشيخ أحمد بن علي بن محمد النعمان[٦]، والشيخ أحمد بن الحسن بن علي الحازمي[٧]، والشيخ علي بن أحمد النعمان[٨]، والشيخ حسين بن أحمد بن محمد النعمان،[٩] والشيخ حسن بن علي الوضي الضمدي[١٠]، والشيخ حسين بن أحمد الشبلي[١١]، أما مساجد جازان فكانت تعقد بها عدد من الحلقات التعليمية وخاصة مسجد أبي بكري[١٢]، ومسجد بني عبد الأول[١٣].

كما أن بعض العلماء لم يكتف بالتدريس في المساجد الجامعة، بل كان له مكان أو خلوة في إحدى الزوايا الموجودة في المخلاف. ويتم التدريس فيها وفقاً لأصول المذهب الذي ينتمي إليه العالم وطالب العلم[١٤]. وكان لهذه الزوايا دور كبير في مدارسة القرآن وتحفيظه، وبعض علوم الصوفية، وخاصة زوايا بني الحكمي، وبني الأسدي[١٥]. وكانت هذه الزوايا مُعدَّة لسكنى الجماعات الفقيرة التي قام ببنائها عدد من أعيان وعلماء المخلاف[١٦]، كالشيخ العالم عمر بن عبد القادر الحكمي له زاوية في جامع أبي عريش وكان يُدرِّس بها سائر الفنون[١٧]، والشيخ يوسف بن محمد العجيبي (ت

---

(١) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٥٥ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١١١ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١، ٣٩٢ . والمشني، الشقيري أضواء على تاريخها، ص ٨٠٦ .
(٣) الشقيري: بالتصغير ؛ قرية من قرى وادي ضمد، تبعد عن أبي عريش حوالي(٢٥) كم شمالا. انظر. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص٢٣٠. والمشني، الشقيري أضواء على تاريخها، ص ٨٠٦ .
(٤) انظر . النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٥١ .
(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٣ .
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٤ .
(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ .
(٨) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٣ .
(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١٣ .
(١٠) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١٠ .
(١١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٢ .
(١٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦ .
(١٣) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٥ .
(١٤) العقيلي، التصوف في تهامة، ص ٢١٢ .
(١٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٢٩ . والوشلي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤١ .
(١٦) العقيلي، التصوف في تهامة، ص ١٦٧ .
(١٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٢٩ . والحازمي، المرجع السابق، ص ٢٠ .

١٠١٨هـ/١٦٠٩م)، الذي دَرَّس الطلبة في زاويته وقد انتفعوا من ذلك كثيراً[١]، وقد خلفه في مركزه بعد وفاته ابنه الشيخ ياسين الذي ظل قائماً بأمر زاويته حتى وفاته سنة (١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م)[٢] .

٢. الرحلة في طلب العلم :

بعد أن ينتهي طالب العلم من مرحلة دراسته في حلقات العلماء، يُقدم على مرحلة مكملة للمرحلة الأولى رغبةً في الاستزادة في مواصلة التعليم على أيدي علماء آخرين خارج بلده اشتهروا بالعلم، أو الرغبة في جلب كُتب نفيسة غير موجودة في بلده . وهذه المرحلة هي السفر والاغتراب في سبيل اكتساب العلم . وإذا كانت الظروف الاقتصادية لها تأثير على مرحلتي التّعليم في بلد الطالب فإن السفر والارتحال في سبيل العلم تحكمه الظروف السياسية ومشاق الطريق زيادة على الظروف الاقتصادية، فاضطراب الأمن في المخلاف السليماني وغيره يجعل المسافر معرضاً للسلب وقطع الطريق[٣]، ومشاق السفر بوسائله القديمة قد تَحد من طموح طالب العلم ويجعله يقتنع بأخذه عن علماء بلدته وما جاورها، أمّا الناحية الاقتصادية فلا شك في حاجة الطالب الشديدة إلى المال في سفره وأثناء إقامته في البلد الذي يقصده، ومن الطلاب من عالج هذه المشكلة في تلك البلدان بأعمال تعينهم على كسب المعيشة ومنها نسخ الكتب وبيعها[٤] .

أ- الرحلة إلى اليمن :

حظيت الرحلة إلى اليمن بالنصيب الأوفر من رحلة طلبة العلم من المخلاف السليماني لأسباب كثيرة منها : قربها من بلدان المخلاف السليماني[٥]، وتوفر المعونات المادية والمعيشية المخصصة لطلاب العلم الغرباء[٦]، وازدهار الحياة العلمية بها، وكثرة المراكز العلمية فيها على اختلاف مذاهبها[٧]، والترحيب بطلبة العلم من قِبل أئمة اليمن، وارتباط طلبة العلم بالمخلاف السليماني نسباً ببعض علماء اليمن بعد استقرارهم فيها. ومن هؤلاء العلماء الذين رحلوا إلى اليمن الشيخ عز الدين بن علي

---

(١) العقيلي، التصوف في تهامة، ص ٢١١، ٢١٢ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٣ . والعقيلي، التصوف في تهامة، ص ٢١١ .
(٣) ابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٣، ص ٤٦، ٤٧. وإسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج١، ص ١٢٢١.
(٤) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .
(٥) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٢٨ .
(٦) أبو داهش، الحياة الفكرية والأدبية، ص ٥٨ .
(٧) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٣٠ .

بن الحسـن النعمي[١]، المولود في عتّود[٢]، نشـأ بالدهنا[٣]، وبدأ بطلب العلم بها ثم رحل إلى بلدان المخلاف وأخذ عن علمائهَا، ثم رغب في الاستزادة من العلم فرحل إلى اليمن وأخـذ عن علمائها ومنهم القاضـي أحمد بنَ أبي الرجـال، والعلامة محمد بن إبراهيم السـحوتي وغيرهما، ثم عاد إلى وطنه وتولى القضـاء. ومنهم الشـيخ أحمد بن الحسن بن علي الحازمي، الذي ولد في صـلهبة، وبـدأ تعليمه فيها، ثم رحل إلى اليمن وأخذ عن علمائها، وبعد رجوعه من رحلته العلمية تصدّى للتعليم والإفتاء في قريته حتى وفاته عام (١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م) [٤] . ومن طلبة العلم الذين سـافروا إلى اليمن الشـيخ أبو القاسـم بن الصـديق الضمدي[٥] ؛ ولد في بيش وبدأ فيها المرحلة الأولى من تعليمه ثم سافر إلى اليمن وكان من أكبر مشـايخه فيها الشـيخ سـعيد الهبل[٦]، وبعد تمكنه من العلم تولى قضاء زبيد وطاب له المقام في اليمن فأقام هناك حتى وفاته عام (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م) .

ومن طلبة العلم الذين سـافروا إلى اليمن الشـيخ عبـد العزيز بن محمد بن عمر النعمان أخذ عن علماء ضـمد ثم رحل إلى اليمن وأخذ عن علماء زبيد، وصـعدة، وبعد عودته إلى المخلاف تولى قضـاء جازان وأبي عريش ثم أسـند إليه قضـاء زبيدٍ والمخا، وكانـت وفاته عام(١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) [٧] . ومن الذين رحلوا إلى اليمن أيضـاً الشـيخ الحسـين بن محمد بن علي النعمي ولد في مركز صـبيا وأخذ عن علمائها، ثم رغب في التزود من العلم فسـافر إلى اليمن وأخذ عن الشـيخ أحمد بن يحيى حابس في صـعدة، ثـم على الشـيخ محمـد بن عز الديـن في صـنعاء وَدَرَسَ عليه عدد من طـلاب اليمن والمخـلاف السـليماني، وطـاب لـه المقـام في صـنعاء فأقـام هنـاك حتـى وفاتـه عـام (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) [٨] . ومنهـم كذلك الشـيخ الحسـين بن محمد بن الحسـن

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢، ٤١٣. والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص١١٠- ١١٣.

(٢) عتّود: على وزن فعّول، واد مشـهور في شـمال المخلاف السـليماني، كان مأسدة في الجاهلية. انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٧٧. والحموي، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٣. والعقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٢٨٤.

(٣) الدّهْنا: قرية تقع شمال مدينة صبيا، تبعد حوالي (٩) كم منها. انظر. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص٦٠.

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨. والحازمي، المرجع السابق، ص ٤٢.

(٥) الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص٢١٢. وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٤، ٨٥.

(٦) من الفقهاء المحققين، والعلماء المبرزين، أخذ العلم عن العالم عبد الله بن أحمد المؤيدي وغيره، وأشـهر من أخذ عنه العلامة عبد الرحمن بن المنتصـر، وقد كانت وفاته في شـهارة سـنة (١٠٣٧هـ/١٦٢٧م). انظر. ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٣١- ٣٣٧.

(٧) الجرموزي، تحفة الأسـماع والأبصـار، ج١، ص ٢٢٣. وابن القاسـم، أنباء الزمن، ص ٢٠١؛ بينما أورده ابن الوزير باسم عبد العزيز بن محمد. انظر. المصدر السابق، ج١، ١٧٨، ١٧٩؛ وأورده الشوكاني باسم عبد العزيز بن أحمد. انظر: البدر الطالع، ج١، ص ٣٥٨.

(٨) ابن المؤيد، المصـدر السـابق، ج١، ص٣٩٢. وابن الوزير، المصـدر السـابق، ج١، ص ١٧٨. وزبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ج١، ص ٦٢٧.

النعمي، ولد في وساع، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى اليمن وأخذ عن علمائها، وفي صعدة حصل بينه وبين السيد علي الناصري خلاف حول التَّرضي عن عائشة – رضي الله عنها – فكان الحسين النعمي يذكر عائشة فيرضى عنها، وأما علي الناصري فلا يرى ذلك، ويبدو أنّ النّقاش قد احتدم بينهما مما كان سبباً من الأسباب التي دفعت الشيخ الحسين النعمي إلى مغادرة اليمن والعودة إلى وطنه، وبعد عودته تصدّى للتعليم والإفتاء حتى وفاته عام (١٠١٩هـ/ ١٦١٠ م)[١].

والشيخ الأمين بن أبي قاسم شافع، ولد في صبيا، وأخذ عن علماء المخلاف، ثم رحل إلى اليمن وأخذ عن علمائها، وبعد رجوعه إلى بلده تولى منصب القضاء وتصدر للتعليم والإفتاء، وتخرج على يديه عدد من طلاب العلم منهم الشيخ محمد بن عبد القادر المحلوي، وبقي على ذلك حتى وفاته سنة (١٠١٤هـ/١٦٠٥م)[٢]. والشيخ علي بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي، الذي ولد في ضمد وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى اليمن ودرس على أيدي علماء صعدة وصنعاء في الفقه والعربية ثم عاد إلى بلدته وتفرغ للتدريس فانثال على حلقته أبناء المخلاف، ثم تولى قضاء صبيا إلى جانب قيامه بالتدريس وقد توفي عام (١١١٤هـ/١٧٠٢م)[٣].
ومن الذين رحلوا في سبيل طلب العلم إلى اليمن أيضا الشيخ عز الدين بن دريب بن المطهر العماري، ولد في بلدة الجمالة، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى اليمن، ودرس بها الفقه والحديث وأشهر مشايخه هناك الشيخ أحمد بن محمد لقمان[٤]، ثم سكن كوكبان، وكان هو المرجع لأهل الإقليم في القضاء والفتوى، فأقام بها حتى وفاته عام (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)[٥]. ومنهم الشيخ المطهر بن علي بن محمد النعمان، قرأ على علماء المخلاف ثم رحل إلى اليمن وأخذ عن علماء صنعاء، ولحج[٦]، وعدن، وصعدة،

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٢ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ، ج٢، ص ١٩٢ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦ . والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص٣٩٠ .

(٣) عبدالرحمن البهكلي ،خلاصة العسجد، ص ٥٥، ٩١. والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١١١، ١١٢.

(٤) من علماء اليمن المحققين في العلوم الإسلامية، سكن شهارة فكان إمام جامعها وأحد شيوخ العلم فيها . ولاه الإمام المؤيد على بلاد الطويلة، ثم أرسله عاملاً على المخلاف السليماني، له مؤلفات وشروح وتعاليق منها : (البحور المغرقة في الرد على صاحب الصواعق المحرقة) و(حاشية على الفصول اللؤلؤية)، توفي بقرية غمَّار من بلاد رازح سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م . انظر. ابن المؤيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٣ – ١٨٥ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣٣ ـ٤٣٧ . والشوكاني، البدر الطالع ،ج١، ص ١١٨.

(٥) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص١١١ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٣، ص ١٧٣ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ١٩٨ .

(٦) لحج : مخلاف من مخاليف اليمن، ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث . انظر . الحموي، المصدر السابق، ج٥،

وأشهرهم الشيخ أحمد بن مهدي المؤيدي والشيخ سعيد الهبل، ثم عاد إلى وطنه وأصبح المرجع في الإفتاء والتدريس حتى وفاته عام (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) [١] .

والشيخ حسين بن محمد بن يحيى الضمدي، ولد في مركز ضمد وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى اليمن ودرس على أيدي علماء صعدة، ثم عاد إلى مركزه ليقوم بواجبه العلمي، وكانت وفاته عام (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [٢]. والشيخ عبد الله بن علي بن محمد النعمان، أخذ العلم عن أبيه ثم عن إخوته ثم عن علماء المخلاف في ضمد وأبو عريش وصبيا، ثم رحل إلى اليمن وأخذ عن علمائها، وبعد عودته إلى المخلاف تولى قضاء جازان، وكانت وفاته عام (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) [٣] .

ب. الرحلة إلى الحجاز:

كانت الحجاز هي الوجهة الثانية لطلبة العلم من المخلاف السليماني للأخذ عن علمائها ومجاوريها، إلا أن بُعد المسافة، ومصاعب الطريق إليها قللت من الرحلة إليها، حتى وإن اتجه طلبة العلم إليها فإن وجهتهم بقصد الحج والعمرة . ومع هذا فإن هناك شواهد عدة تدل على رحلة بعض طلبة العلم من المخلاف إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة لطَلب العلم على علمائها، والاستفادة من الحركة العلمية المزدهرة بها [٤].
ومن طلبة العلم الذين رحلوا إليها الشيخ أحمد بن المقبول الأسدي، رحل من مركز أبو عريش طلباً للعلم إلى مكة وقرأ على مشايخها في الفقه والقراءات وعلوم العربية وأدرك ما يؤهله للقضاء والإفتاء ثم عاد إلى وطنه وولي القضاء بها إلى جانب التعليم وظل على ذلك حتى وفاته (سنة ١٠٢٣هـ/ ١٦٤١م) [٥]، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الأسدي، المولود في أبي عريش وبعد أن أخذ عن علماء بلدته رحل إلى مكة للاستزادة من العلم فلازم علماءها حتى أصبح من كبار العلماء وتصدر للتدريس هناك حتى وفاته عام (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) [٦] ؛ وكان معه في تلك الرحلة ابنه أحمد الذي تصدى للإقراء

ص ١٤ . ويقع في الشمال الغربي من عدن بمسافة (٢٥) ميلا . انظر . المقحفي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٥ .

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١، ٣٩٢ . والمحبي، المصدر السابق ،ج ٤، ص ٤٠٤ .

(٢) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٤٦ .

(٤) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٣٣ .

(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١، والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٤، والشلي، المصدر السابق، ص٢٣٧.

(٦) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ . والبغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٢٨٥ .

بالمسجد الحرام حتى وفاته سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) [١].

ونذكر رحلة الشيخ حسن بن محمد الهديسي النعمي، من بلدته وساع إلى مكة وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى بلدته، وكانت وفاته عام (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) [٢]. ومن تلك الرحلات رحلة الشيخ أحمد بن أبي الفتح بن صديق الحكمي، المولود في أبو عريش، أخذ على علماء بلدته ثم رحل إلى مكة والمدينة للاستزادة من العلم فلازم علماءها ثم تصدر للتعليم هناك حتى وفاته عام (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) [٣] . ومنها رحلة الشيخ أحمد بن حيدر العريشي من أبي عريش إلى مكة، وتعلّم على أيدي علمائها حتى أصبح من شيوخ القراءات السبع، ثم لزم المجاورة والتعليم بها حتى وفاته عام (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) [٤]. ومنها رحلة الشيخ محمد الأمرح، من بلدة وساع إلى مكة وتعلم على أيدي علمائها ثم عاد إلى بلدته، وقد تردد على مكة مرارا للاستفادة من علمائها حتى وفاته عام (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) [٥] .

ومن طلبة العلم بالمخلاف السليماني من كانت رحلته إلى الحجاز بقصد التَّعَلُّم والتَّكَسُّب بقصائدهم لدى أشراف مكة والمدينة ونالوا حظاً من ذلك ومن هؤلاء رحلة الشيخ محمد بن عيسى الظفاري العريشي، الذي ولد في أبي عريش، ونشأ في صبيا وتعلم على أيدي علمائها ثم رحل إلى مكة ومدح أشرافها ونال حظاً من ذلك وكانت وفاته عام (١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م) [٦]. ومنها رحلة الشيخ أحمد بن مهدي البهكلي إلى الحجاز ومدح أشرافها ونال حظاً كثيراً من ذلك وكانت وفاته عام (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) [٧] .

وهذه الرحلات العلمية التي قام بها طلبة العلم في المخلاف السليماني مع توفر عدد من العلماء البارزين في المخلاف تدل على حق اختيار الطالب للعالم الذي يأخذ عنه علمه فلا يقتصر على عالم بعينه بل يستزيد من العلم قدر الإمكان على الرغم مما كان يَحفُ هذه الرحلات من مخاطر أمنية وحاجتها إلى التمويل المادي الذي يفتقر إليه الكثيرون، كما أنّ في هذه الرحلات بُعْداً عن الأهل والوطن إلا أنّ قسماً من الطلبة

---

(١) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥-٣٢٧. والشلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩-٢٩١ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧١. والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص٣٨٥ .
(٣) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤، ١٦٥. والشلي، المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٩ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨٢ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٠ .
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١٨.
(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧١ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٥ .

استسهلوا هذه المصاعب وتحملوا مشاق الطريق والبعد عن الأهل والوطن وعالجوا الناحية الاقتصادية بالعمل في البلاد التي رحلوا إليها بعمل متصل بالهدف العلمي الذي رحلوا من أجله كنسخ الكتب(١)، واستطاع قسم منهم التكيف والانسجام مع أهالي البلد المهاجر إليه والارتباط معهم بعلاقات اجتماعية (٢)، ويلاحظ أن هذه الرحلات العلمية لا تنحصر في رحلات الطلاب إلى المراكز العلمية المتقدمة فقط فالطلاب يرحلون إلى أي بلد يؤملون الاستفادة من علمائه .

وكان لهذه الرحلات العلمية أثرها الكبير على الطلاب القائمين بها فاتسعت مداركهم وازداد علمهم(٣) . واطلعوا على كتب لم يتيسر لهم الاطلاع عليها في بلدانهم، واستفاد بعضهم بجلب بعض هذه الكتب معه عند رجوعه(٤) ،كما كان لهذه الرحلات أثرها في إثراء ثقافة الطلاب باتصالهم بزملائهم في حلقات زبيد وصعدة وصنعاء وهؤلاء الطلاب من مذاهب مختلفة أيضاً، كما أن العلماء في اليمن ومكة المكرمة لهم طرقهم وأساليبهم التي قد يكون فيها بعض الاختلاف عن طرق وأساليب علماء المخلاف السليماني ـ كما سبق القول ـ كانوا يأخذون عن علماء بلدانهم وعلماء المخلاف السليماني أولاً ثم يقومون برحلاتهم الخارجية فاستطاعوا الجمع والمقارنة بين طرق وأساليب مشايخهم في المخلاف السليماني ومشايخهم في اليمن ومكة المكرمة .

ومن إيجابيات هذه الرحلات ارتباط الطلاب بعلاقات مع شيوخهم وزملائهم في الحلقات التعليمية(٥)، فالطالب الذي سيصبح شيخاً فيما بعد يُعلم غيره ويمنحه الشهادة ما زال يذكر اسم مشايخه في كل شهادة يمنحها لأحد طلبته سواءً كان شيخه قد منحه

---

(١) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ٨٤، ٨٥ .

(٣) وبإلقاء نظرة على علماء القرن الحادي عشر الهجري يتبين أن حوالي ربع علماء المخلاف السليماني في هذا القرن قد رحلوا من أجل الدراسة إلى الخارج، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق الأفضلية على بعض زملائهم الذين لم يقوموا برحلات علمية حيث برز في هذا القرن عدد من العلماء المقتصرين على الدراسة المحلية ومنهم الشيخ محمد بن عبد القادر المحلوي المتوفى سنة (١٠٢٥هـ/١٦١٦)، الذي وصفه عبد الله النعمان بقوله " ولا يوجد أحد من أهل العربية بجهة تهامة إلا وللفقيه محمد المحلوي عليه مشيخة أو نحوها ". وخلاصة القول أن الرحلات العلمية لها إيجابياتها الكثيرة فقد استفاد منها القائمون بها، ولو قُدر – والله أعلم – لهؤلاء العلماء البارزين والمقتصرين على الدراسة المحلية السفرٍ إلى الخارج لزاد علمهم واتسعت مداركهم إلا أنه لا يمكن اعتبار مجرد القيام بالرحلات العلمية مقياساً لمستوى العالم .

(٤) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٣ – ٤١٥ .

(٥) المصدر نفسه ،ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .

الشهادة أم لا . وقد اهتم عدد كبير من الطلاب الذين قاموا برحلات علمية بالحصول على هذه الشهادات أو الإجازات من مشايخهم الذين أخذوا عنهم في هذه الرحلات .

٣- طرق تلقي العلم وتعلمه

أ - السماع :

هو سماع لفظ الشيخ إملاء أو تحدثاً، سواء كان من حفظه أو من كتاب، وهو أرفع طرق التدريس عند الجماهير[١] . وهذه الطريقة كانت سائدة في هذا القرن - الحادي عشر الهجري - حتى أن كتب التراجم للعلماء لا تخلو من عبارة سمعت، سمع، وهي طريقة تلازم طالب العلم في بداية حياته لأنه لا يمكن أن يصل إلى مستوى عالٍ من العلم دون السماع من كثير من العلماء ومن ثم صارت هذه الطريقة مسلكاً شائعاً في كثير من حلق التدريس في المخلاف السليماني، بعد أن أدرك منسوبو التعليم فيه مدى جدوى هذه الطريقة كأسلوب تعليمي . وللسماع أنواع عديدة، منها السماع تحدثاً من حفظ الشيخ دون العودة إلى الكتاب فسار عليه بعض العلماء مثل علي بن الحسن بن محمد النعمي، الذي كان يدرس لطلابه من حفظه دون الرجوع إلى كتاب[٢] ، مما يدل على تمكنه من مادته التي يقوم بتدريسها . وقد سار على هذه الطريقة كثير من علماء الحديث لأنه يعد لديهم أعلى مراتب التعليم، كما لم تكن هذه الطريقة مخصوصة بأهل الحديث بل مارسها الكثير من علماء الفقه واللغة[٣] . وقد أمدتنا المصادر المتوفرة لدينا بأسماء الكثير من طلبة علم المخلاف الذين تلقوا تعليمهم سماعاً حيث تلقى المطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٩هـ/ ١٦٦٩م) ما عرفه من الحديث (سماعا) [٤]، وتفقه الشيخ علي بن محمد بن أبي بكر الحكمي (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) على أبيه وعمه في الحديث سماعاً[٥] . كما تفقه محمد بن صديق بن محمد الحكمي (ت ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م) ، على يد الشيخ عمر بن عبد القادر بن محمد الحكمي، في الفقه

---

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح، تحقيق : عائشة عبد الرحمن، (د . ط)، دار الكتاب – القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٢٤٥ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢ . والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢ – ١٥٥ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٩، ٣٥٨ . والمحبي، المصدر السابق، ج٤، ٤٠٤، ٤٠٥ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٣ ،ج ٤، ص ٤١٥ . والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢ – ١٥٥ .

(٥) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٩– ١٩١ . والبغدادي، هدية العارفين، ج٥، ص ٧٥٥ .

الشافعي (سماعاً) [١]. وممن أخذ سماعاً الشيخ أحمد بن الحسن بن علي الحازمي (ت ١٠٢٦هـ/١٦١٧م) [٢]، والشيخ عبد الهادي بن المقبول بن عبد الأول الزيلعي (ت ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م) [٣]، وشيوخه بالسماع والإجازة كثيرون" [٤]، والشيخ عز الدين بن دريب بن المطهر العماري (ت ١٠٧٥هـ/١٦٤٤م) [٥] .

ومن أنواع السماع أيضاً الإملاء الذي يعد أفضل أنواع السماع وأصحها ؛ وذلك لأن " المتحدث يعرف ما يُملي والكاتب يسمع ويفهم ما يكتب" [٦]، وقد يكون الإملاء من كتاب أو من حفظ العالم [٧]، ولذلك كانت تعقد حلقات للإملاء في المساجد، ومن العلماء الذين استخدموا هذه الطريقة الحسين بن محمد بن يحيى النعمان الضمدي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) الذي أملى عدّة حلقات [٨]، والشيخ علي بن الحسن بن محمد النعمي (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) [٩]. وهناك الكثير من طلبة العلم الذين تلقوا العلم بواسطة الإملاء [١٠]، ويعمد الطلاب في حلقات الإملاء إلى كتابة ما أملي عليهم .كما يقوم بعض العلماء ـ المهتمون بصحة ما ينقل عنهم ـ بإعادة القراءة لما أملاه [١١]، ويعهد بعض الحاضرين في مجالس الإملاء ـ ممن عرفوا برداءة الخط ـ لغيرهم ـ ممن عرفوا بجودة الخط وإتقانه ـ للقيام بهذه المهمة نيابة عنهم .

وقد حوت بعض المصادر المتوفرة لدينا أسماء بعض العلماء الذين اشتهروا بجودة الخط وإتقانه وكان من أشهر هؤلاء العلماء عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٩، ٣٨٢ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٨ .
(٣) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٤، ٩٥ .
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص ٩٤، ٩٥ .
(٥) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٣ . والمحبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٠، ١١١ .
(٦) عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص ١٠ .
(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١١ . والنمازي، المصدر السابق، ص٨٠ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩، ٢٢٠ .
(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١١ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩، ٢٢٠ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣ .
(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص٤١٢، ٤١٣ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢ . وزبارة، ملحق البدر الطالع ،ج٢، ص ١٦٢ .
(١٠) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨٥ .
(١١) ابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٣، ص ٤٦. وابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٢٠١ .

(ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م)[١]، وهـادي بن عثمان السـبعي (ت ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م)[٢]، وإسـماعيل بـن محمد بن عبد القـادر المحلوي (ت ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م)[٣] . ويمكن أن نضيف إلى أنوع السماع أيضاً أسلوب (السؤال والجواب) في الحلقات، وتسمى طريقة الأسـئلة أيضـاً ، وتُعد من الأنواع المفيدة كثيراً للطلاب، فهي تسـاعد على إنعاش ذاكرة المتعلم ،كما تهيئه للفهم وترفع مسـتواه التعليمي، فضـلاً عن أثرها الإيجابي في حسـن الابتكار وجودة التعليل[٤].

ولقـد أدرك طـلاب المخلاف أهمية الحـوار في رسـوخ العلم فسـعوا جادين لرفع مستواهم التعليمي عن طريق هذا المسلك العلمي القويم . يقول المحبي في وصف الشيخ عبـد الهادي بـن المقبول الزيلعـي : كان " أحد العلمـاء الزهاد جمع بـين العلم والعمل والأدب الغزير مع اطلاع وافر وذكاء وفطنة وسـؤال عما أشـكل في موضع الإفادة بحيث لا يمر على المشكل إلا بعد أن ينحل عقده ويتضح معناه ويظهر دليله "[٥] . وتأتي الأسئلة -في بعض الأحيان- من العالم نفسه ليختبر فهم الطلاب وإدراكهم لبعض المسائل، يقول ابن أبي الرجال عن الشـيخ أبو القاسم بن الصديق الضمدي: " كان يلقي على الطلاب بعض المسائل "[٦] .

ب- الحفظ :

شاعت هذه الطريقة التعليمية- التي تركزت على التلقين والمشافهة - بين الدارسين مع ظهور الإسـلام، عندما انتهجها المصـطفى- ﷺ -في تعليم الصحابة- رضوان الله عليهم- وتفقيههم في الدين، واسـتمرت كطريقة مثلى للتعليم حتى دخلت في منافسـتها طرق تعليمية أخرى، فانحسرت على نطاق ضيّق بين المتعلمين[٧]. وتتخذ طريقة الحفظ من الإلقاء الشـفهي أساسـاً تقوم عليه في أداء مهمتها التعليمية، بحيث يسرد العالم أو الشـيخ درسـه العلمي حفظاً معتمداً في ذلك على ذاكرته، وعلى الطالب أن يصغي إليه

---

(١) النعمان، المصـدر السـابق، مخطوط، ص ٤١١. وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٩، ٢٢٠ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٩ . والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٩٠ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط ،ص ٤٠٩ . والعمودي، المصدر السابق، ج١ ،ص ١٥٢ .

(٤) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٤، ٨٥ .

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص ٩٥ .

(٦) المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .

(٧) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ،ج ٢، (د . ط)، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ٣٣٧ .

إصغاءً تاماً محاولاً قدر الإمكان حفظ ما يسمع في الدرس . وبطول ملازمة العلماء يستطيع الطالب – عبر هذه الطريقة – اكتساب العلوم، وتحقيق الاستفادة المرجوة في عصر اتسم بظاهرة وجود الأصحاب الذين نعتوا بذلك لكثرة ملازمتهم لأساتذتهم، ووجودهم المستمر في دروسهم العلمية [١] ،كبعض أبناء المخلاف من تلامذة الشيخ عبد العليم بن الحسين شافع ـ مثلاً [٢] ـ، وعدد من تلامذة الشيخ أحمد بن عبده بن محمد النعمان [٣].

وكثيراً ما يقوم طالب العلم بتعليم نفسه بعد إتقانه للقراءة بحفظ القران الكريم، ثم حفظ بعض المختصرات[٤]، والمطولات، وأمهات الكتب الشرعية، والعلوم العربية، غير ملتزم بحلقة معينة أو مكان محدّد، فقد يحفظ في المنزل، أو المسجد، أو في أي مكان شاء [٥] . وإذا أصبح ذلك المختصر محفوظاً له على وجه يستغني به عن حمل الكتاب، شرع في تفهم معانيه وتدبر مسائله على شيخ من شيوخ ذلك الفن، حتى يكون جامعاً بين حفظ ذلك المختصر وفهم معانيه، ومع كونه مكرراً لدرسه يرسخ حفظه رسوخاً يأمن معه التفلت، ثم يشتغل بدرس شرح مختصر من شروحه في حلقات شيوخه[٦]. لذا فقد كانت طريقة الحفظ من الوسائل الهامة للتَّعَلُم والتَّعليم واشتهرت بها عدد من الأسر التي توارثت العلم في المخلاف على مر العصور كأسرة آل الحكمي، وآل النعمان [٧] .

ولهذا برزت ظاهرة الحفظ بين العلماء، التي تدل على مدى تمكن العالم أو الشيخ من مادته التي يقوم بتدريسها، فكان الشيخ علي بن الحسن بن محمد النعمي ـ مثلا ـ يحفظ الأخبار والآثار، ويأتي على الكشاف[٨] غيباً [٩]، كما ذُكر عن الشيخ أبو القاسم بن

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٧ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج ١، ص ١١٣ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٧ .
(٣) العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج ١، ص ١١٣ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٤٢ . والشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، ص ٢٢٧ .
(٥) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٢٤ .
(٦) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، ص ٢٢٧، ٢٢٨ .
(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٤٢ . والمحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٣، ٤٠٤ .
(٨) الكشاف : هو كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، لمؤلفه العلامة أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الشهير بالزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) . وقد تلقف بعض علماء المخلاف هذا الكتاب باهتمام خاص؛ لصلته بالزيدية. انظر. حسين بن عبد الله العمري، الإمام الشوكاني رائد عصره، دراسة في فقهه ورشده، (د . ط) ، دار الفكر– دمشق، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٥٩، ٣٦ . وخير الدين الزركلي، الأعلام، ج٧، ط١٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٩٩م، ص ١٧٨. وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، (د . ط) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١١١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٨٢٢.
(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢ . والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢ – ١٥٥ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ .

الصديق الضمدي، أنه كان أعجوبة في حفظه لقواعد الفقه[١]، ووصف الشيخ الحسين بن محمد بن يحيى النعمان بقوة حفظه وأنه "كأنما يملي من صحيفة "[٢]، كما وصف الشيخ الزين بن عيسى بن الأمين شافع بأنه" كثير الحفظ في كل شيء "[٣]. ووصف المطهر بن علي بن محمد النعمان" بجودة حفظه"[٤] .

وقد أسدت طريقة الحفظ على من تمتع بها من العلماء مزايا طيبة حيث زادت من قيمتهم ومكانتهم بين طلبة العلم في مختلف الأمصار الإسلامية، في وقت كانت الرحلة في طلب العلم والحفظ مطلباً أساسياً لطالب العلم[٥]،كما أدت هذه الطريقة - من جهة أخرى - إلى حصر الحياة الفكرية - غالباً - في مواطن العلماء الذين حملوا العلم في صدورهم ؛خصوصاً في وقت كان التركيز فيه لدراسة العلم على الحفظ دون اللجوء إلى التدوين .

ج.الإجازة :

لفظ الإجازة في الاصطلاح يدل على إذن يمنح بدون تعليم، يمنحه شيخ إلى آخر يُجيز الأول للثاني رواية أحاديث معينة رواها الأول، أو تدريس كتاب ألفه[٦]، وهي من الابتكارات الإسلامية التي نتجت إثر نضوج الحضارة عند المسلمين، فهي لفظة عربية معنى واصطلاحاً[٧]. وعُرفت الإجازات بأنها الرخصة التي يمنحها العلماء لطلابهم بعد طلب العلم عليهم[٨]، وهي بمكانة الدرجة العلمية التي تمنح لطلبة العلم في وقتنا الحاضر، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بأنه من أهل التعليم وقابل له[٩]. وهناك نوعان من الإجازات حسب ما ورد في المصادر التي ذكرت تراجم علماء المخلاف

---

(١) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .

(٢) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩، ٢٢٠ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٥ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩١ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢، ٤١٣ . والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢- ١٥٥ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ .

(٥) الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ٣١٠ .

(٦) أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، ضمن موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٥، ط٨، مكتبة النهضة الحديثة – القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٦٦ .

(٧) عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ط١، مطبعة الإرشاد – بغداد، ١٩٦٩م، ص ٢١ . سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة : عبد الرزاق محمد حسن بركات، (د . ط)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٦ .

(٨) ابن الصلاح، المصدر السابق، ص ٢٧٦ .

(٩) صابان، المرجع السابق، ص ٢٦ .

السليماني : إجازات داخلية أي حصلوا عليها من علماء المخلاف، وإجازات خارجية حصلوا عليها من المدارس خارج منطقة المخلاف مثل اليمن ومكة المكرمة، وتكون هذه الإجازات لمن قاموا برحلات علمية إلى هذه المناطق . وقد يُمنح الطالب إجازة واحدة أو اثنتين أو أكثر . ومثال الإجازة الواحدة الإجازة التي حصل عليها صديق بن محمد السلاط من الشيخ عمر بن عبد القادر بن محمد الحكمي[١] ،كذلك إجازة الشيخ الأمين بن أبي القاسم شافع للشيخ محمد بن عبد القادر المحلوي[٢] . أما الإجازات الممنوحة من شيخين مثل الإجازة التي حصل عليها الشيخ أحمد بن علم الدين بن الحسين شافع، من الشيخ المرتضى بن حاتم شافع، والشيخ علي بن الأمين شافع، حيث أهلته للقضاء، وأذنا له بالتدريس والإفتاء[٣] .

ومن أمثلة الإجازات المتعددة الإجازات التي حصل عليها الشيخ المطهر بن علي بن محمد النعمان، حيث ترك بلدة ضمد وسافر إلى عدة أماكن طلباً للعلم، فسافر إلى اليمن واجتمع بعلمائها وأخذ عنهم وأجازوه جميعاً ثم عاد إلى وطنه بعد أن أتم دراسته[٤]. أما الإجازات الداخلية والخارجية فهناك العديد منها. وعلى سبيل المثال لا الحصر من الإجازات الداخلية إجازة الشيخ أحمد بن عبده بن محمد النعمان والشيخ أحمد بن علي بن محمد النعمان ؛ للشيخ المطهر بن علي بن محمد النعمان، التي حصل عليها من علمائه في ضمد[٥]، كذلك الإجازة الممنوحة للشيخ أحمد علم الدين بن الحسين شافع[٦] . أما الإجازات الخارجية فهي متعددة مثل الإجازة التي حصل عليها الشيخ عبد الهادي بن المقبول الزيلعي[٧]، من عالم اليمن الشيخ الحسين المهلا[٨]، ومنها الإجازة التي حصل عليها الشيخ المطهر بن علي بن محمد النعمان في صعدة من

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٠، ٣٦١ .

(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٦ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١ . والمحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤٠٤ .

(٥) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤ .

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .

(٧) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٤، ٩٥ .

(٨) هو الحسين بن عبد الحفيظ بن المهلا بن سعيد الشرفي، من علماء اليمن المشهورين الذين يشار إليهم بالبنان ولي قضاء شهارة، وقد برع في جميع العلوم، وله العديد من المصنفات، منها : (المواهب القدسية شرح المنظمة البوسية)، وقد كانت وفاته سنة (١١١١هـ/١٦٩٩م). انظر. الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج ٢، ص ٨١٢ . والحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي، ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

الشيخ أحمد بن يحيى حابس[١]، والشيخ سعيد بن صلاح الهبل[٢] . وكما كان طلبة علم المخلاف يحصلون على إجازاتهم العلمية من خارج المنطقة، فقد كان علماء ومشايخ المخلاف يجيزون طلبة الأقاليم والمناطق المجاورة لهم عندما يدرسون على أيديهم فالشيخ أحمد بن أبي الفتح بن صديق الحكمي أجاز حفيد بن حجر الهيتمي عندما درس عليه[٣] . وهكذا تعود كثرة الإجازات العلمية في هذا العصر وتنوعها إلى وجود حركة علمية متقدمة في المخلاف السليماني .

سابعاً : الميادين العلمية :

١-: العلوم الشرعية :

إن مصطلح (الشريعة) له دلالة تفيد كل ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام والمصالح فهي منهج حياة كامل[٤] . ويُعنى بالعلوم الشرعية : علوم القران، وعلوم الحديث، وعلم الفقه وأصوله . وقد جعلت هذه العلوم في مجموعة واحدة لأنها تشكل الأساس للحياة العلمية والإسلامية، ولأنها كانت الدافع والمحرك الحقيقي للمسلمين للتوجه نحو الأخذ بأسباب العلم، حتى وصلوا إلى مرحلة النبوغ والنضج العلمي في شتى المجالات العلمية .

أ- علوم القرآن :

إن القران الكريم هو كلام الله، وكتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، فعنه نقله الصحابة-رضوان الله عليهم- مشافهة ولكن بطرق مختلفة في بعض الألفاظ وأداء الحروف[٥] . ولما كان للقران من أهمية في حياة المسلمين اهتموا به إيماناً وإدراكاً وتعلماً له وتعمقاً فيه، ومن ثم نشأت علوم تتعلق بالقران الكريم وأبرز هذه العلوم: علم القراءات وعلم التفسير .

---

(١) أحد مشاهير علماء الزيدية ومؤرخيها، قرأ على كبار مشائخ عصره منهم الإمام القاسم بن محمد، تولى القضاء بصعدة أيام إمامة المتوكل على الله إسماعيل، له مؤلفات منها : (المقصدة الحسن)، توفي بصعدة سنة (١٠٦١هـ/١٦٥١م) . انظر . الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢١٨ .

(٢) النعمان، المصدر السابق ، مخطوط، ص ٣٩١ . والمحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٣، ٤٠٤ .

(٣) البغدادي، هدية العارفين، ج٥، ص ١٥٨ . وكحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص ٢٢٦ .

(٤) عبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع في تدريس علوم الشريعة، ط١، دار الفيصل الثقافية - الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٩، ٥٠، ٤٦٥ .

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ج١، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٤٦٦ . وعبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع السابق، ص ٣٧٤ .

أُطلـق علـى من يحفـظ القران الكريم من المسـلمين اسـم قارئ (الجمـع قُراء) ، وهو" العلم الذي يتناول قراءة القران الكريم بحسـب رواية الصـحابة عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بطـرق مختلفة في بعضـ ألفاظه وكيفية الحـروف في أدائها[١] . وقد شُـغف عدد من أبناء المخلاف السـليماني بعلم القراءات دراسةً وتطبيقاً ، فتألق في سـاحته العلمية بعض القـراء المتميزين، مما أثروا ـ بجهودهم المتواصـلة واجتهاداتهم العلمية النَّيرة ـ هذا الجانب المهم من الدراسات القرآنية، لذلك نجد اهتمامهم بحفظه وترتيلـه، ويحرصـون على تعليمه أبناءهم منذ الصـغر، حتى إن القـران كان من المواد الأساسية التي تُدرس لهم . ومن أهم الكتب التي عُني بها طلاب العلم في علم القراءات الشَّاطِبيَّة[٢] وبلغ الاهتمام بها أن حفظها عن ظهر قلب بعض طلاب العلم[٣] .

ومـن أشـهر علمـاء المخـلاف في علـم القـراءات: أبـو بكـر ياسـين عيشـة (ت ١٠١٢هـ/١٦٠٣م) [٤]، شـيخ القراءات السبع[٥] في صـبيا، أخذ علمه في القراءات على عثمان الأقرع[٦]، وأحمد بن المقبول الأسدي (ت ١٠٢٣هـ/ ١٦١٤ م) [٧] . وبذلك أصبح فيمـا بعد يؤمه الطلاب في المخلاف السـليماني وأصـبح طلابه الذيـن تلقوا العلم على يديه من كبار القراء فيما بعد . و أحمد بن المقبول الأسدي (ت ١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م)[٨]، أخذ القراءات على مشـايخ مكة ثم عاد إلى أبي عريش، وكان المقرئ فيها . و محمد بن علـي بن محمـد (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) [٩]، مقرئ قرية العقـدة . وأحمد بن عبده بن محمـد النعمان الملقب أبو حجة (ت ١٠٤٢هــ/١٦٣٢م) [١٠]، الذي كان له تعلق بقراءة

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٨ .

(٢) الشَّاطبيَّة : منظومة في القراءات للإمام القاسم بن فُيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي عالم جليل بالقرآن وعلومه والحديث والنحو واللغة، وكانت وفاته سـنة (٥٩٠هـ/١٢٩٤م) . انظر . أحمد بن محمد بـن خلـكان، وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٤، تحقيق : إحسـان عباس، (د . ط)، دار الثقافة ـ بيروت، (د .ت)، ص ٧١– ٧٢ . والزركلي، المرجع السابق ،ج٥، ص١٨٠ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٤٤ .

(٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٤٩ .

(٥) القراءات السبع : هي القراءات التي توافر نقلها عن أئمة القراء . انظر . ابن خلدون، المصدر السابق ،ج١، ص ٤٦٨ .

(٦) من علماء المخلاف السـليماني في القرن العاشـر الهجري، ولد سـنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، برع في علوم اللغة العربيـة، درسـ عليـه الكثير من علماء المخلاف. انظر .النعمان، المصـدر السـابق، محقـق، ص ٣٤٩. والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤.

(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٤ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص٣٥٤. والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(٩) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧١ .

(١٠) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٧٩ . والمحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤ .

القرآن الكريم في حلقته بجامع ضمد، ولما ضعف بصره اقتصر على السبع المسميات، واستمر على هذا الوضع حتى وفاته، وهذا يدل على محافظته لنشر العلم ليستفيد منه مريدوه، ولا نعلم إذا كان قد ألف شيئاً في علم القراءات . و أحمد بن حيدر العريشي (ت ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) [١]، أخذ القراءات ببلدته أبو عريش ثم رحل إلى مكة المكرمة وأخذ القراءات على مشايخها، ثم تصدر للإقراء بها، وقد وصفه النعمان بقوله "شيخ القراءات السبع المحقق فيها "[٢]. وأحمد بن أبي الفتح بن صديق الحكمي (ت ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) [٣]، الذي وصفه الشّلي بقوله: "ابن كثير الإظهار والإخفاء، أبو عمر والترقيق والإمالة،كسائي القلب والإضجاع فصيح المقالة، ابن عامر التفخيم، عاصم المد والقصر، حمزة الغنّة والإدغام"[٤] . أخذ القراءات ببلدة أبي عريش، ثم رحل إلى مكة وأخذ القراءات عن مشايخها ثم استوطنها وتصدر للإقراء بها، فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم، ورغم تبحره في علم القراءات لم نجد له مصنفاً في ذلك، وربما لأنه أعطى التدريس كل وقته . والمطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)[٥] . وحسين بن محمد بن يحيى الضمدي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [٦]، وأحمد بن محمد بن أحمد الأسدي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [٧]، أخذ القراءات ببلدة أبي عريش، وعندما ذهب للحج قرأ القراءات على مشايخها ثم استوطنها وتصدر للإقراء بها، فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم، ورغم تبحره في علم القراءات لم نجد له مصنفاً فيه، وربما لأنه أعطى التدريس كل وقته .

وبما أن القران الكريم نزل باللغة العربية على رسول الله - ﷺ، فقد تكفل بإيضاح وتفسير ما أشكل على الناس[٨] - أو التبس عليهم فهمه من القران حال نزوله[٩]، ثم

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٨٢ .

(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٢ .

(٣) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤، ١٦٥. والشّلي، المصدر السابق، ص ٣٣٥- ٣٣٩ .

(٤) المصدر السابق، ص ٣٣٥ .

(٥) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠ .

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٠ .

(٧) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥، ٣٢٦ . والشلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩ .

(٨) التفسير: في اللغة مأخوذ من الفَسْر وهو الكشف والإظهار. وفي الاصطلاح هو توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة واضحة . انظر .علي بن محمد بن علي الجرجاني ،كتاب التعريفات، تحقيق : إبراهيم الإبياري، (د . ط)، (دار الريان للتراث - القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص٨٧ .

(٩) يبدو أن سبب تفسير القران رغم نزوله باللغة العربية التي يتكلم بها أهل الجزيرة العربية — أن معرفته وإدراك جل معانيه وفهم دقائقه لم يكن ميسوراً لجميع المسلمين، الذين تفاوتوا في العلم بدقائق لغتهم العربية مما اقتضى تفسير وتوضيح ما أشكل والتبس عليهم .

مضـى الصحابة – رضوان الله عليهم ـ يتناقلون هذا التفسير عن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن كجزء من الحديث المأثور عنه[١]، فكان ظهور أول أصناف التفسير نشأة التفسير بالمأثور، واستمر هذا حتى ظهور الفرق المذهبية وظهور ما يسمى بالتفسير بالرأي[٢]. ونحن هنا لا نريد التوسع حول نشأة علم التفسير وتطوره، حتى لا نخرج عن الفترة الزمنية للدراسة، إضافة إلى أن هذا ليس مجال بحثنا، وإنما سنحاول التركيز على حركة علم التفسير في المخلاف السليماني خلال فترة الدراسة المحددة بالقرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي . ويظهر أن علم التفسير كان له نصيب من الدَّرس والتدريس خلال فترتنا الزمنية، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى الكتب التي كانت تُدرس في علم التفسير، ومن هذه الكتب : الكشَّاف، و تفسير البيضاوي[٣]، وتفسير البغوي[٤]، وتفسير الجلالين[٥]، وغيرها من الكتب .

والعلماء الذين برزوا في علم التفسير درساً وتدريساً وتصنيفاً خلال فترة الدراسة هم : المطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) [٦]، الذي كان من كبار علماء التفسير والفقه والحديث والأدب، حتى أن الشوكاني قال عنه: " له قوة وملكة في العلوم ورسوخ قدم في فنون عديدة "[٧]، وقيل عنه بأنه " كان مشهوراً بالذكاء والفطنة الوقادة والحافظة الحسنة، والسليقة المطاوعة "[٨]، فبعد أن أتم دراسته داخل المخلاف وخارجه عاد إلى بلدته، وأخذ على نفسه نشر العلم، فأتى إليه طلبة العلم من أماكن بعيدة من المخلاف لينهلوا من علمه، وأصبح من أشهر علماء عصره، حتى غدا

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٩، ٤٧٠ . وعبد الله توفيق الصباغ، القراءات القرآنية وملاحظات على منهج الدرس، ط١، دار القلم- الإمارات، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ٦ .

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق ،ج١ ،ص ٤٧٠ ،٤٧١ . وعبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، (د .ط)، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٩٥، ١٩٧ .

(٣) هو " أنوار التنزيل وأسرار التأويل "، كتاب للعلامة الفقيه المفسر عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، المتوفى سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وقيل سنة (٦٩٢هـ/١٢٩٢م) . انظر . الزركلي، المرجع السابق، ج٤، ص ١١٠. وكحالة، معجم المؤلفين ، ج٢، ص ٢٦٦ .

(٤) هو كتاب للعلامة المحدث عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المولود ببغداد سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩ م، المتوفى بها سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) . انظر . كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٥) الشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٧ .

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١ ،٣٩٢ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص٢٢٣ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٣، ٤١٤ . والشوكاني، البدر الطالع ،ج٢، ص ٣١٠ .

(٧) البدر الطالع، ج٢، ص ٣١٠ .

(٨) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٣- ٤١٥ .

يُعَول على رأيه وترجيحه عند العلماء "[١]، أما مصنفه في هذا العلم فهو " الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير "[٢]، وهو لا يزال مخطوطاً في جامعة أم القرى ينتظر من يقوم بتحقيقه ونشره . وله إلى جانب ذلك العديد من المصنفات في علوم أخرى سنذكرها في أماكنها عند حديثنا عنها في العلوم الأخرى. ويبدو أن مصنفاته الأخرى لم تلق شهرة كبيرة مثل مصنفه في هذا العلم ؛ الذي أشاد به علماء اليمن ومدحه كثير من علمائها بالأشعار الرائعة، والمدائح الفائقة، وممن مدحه العلامة صلاح الدين بن أحمد المؤيدي[٣]، بقوله[٤]:

هذا الفرات فرد مشارعَ مائه	تجد الشرائعَ أُودعت في سطره
كشَّافُ كل غوامض بيانها	أسرارُ مُنزلِ ربِّنا في سره
حبسَ المعاني الرائقات برقَّة	والحَق أطلقَ والضلال بأسره
لا عيب فيه سوى وجازةِ لفظهً	معَ الاحْتواءِ على الكمالِ بأسره

وقد ذكر المطهر وصفاً لمصنفه هذا بقوله[٥]: "فدونك رخيصاً ثميناً، خَميصاً بَطيناً، حوى من أصداف التفاسير لآلئها، وأنار من مشكلات الأقاويل لياليها، ولن يسعد بحَلِّ رموزه، ويظفر بكشف كنوزه إلا من برز في علم البيان، وأشير إليه في معرفة صحيح الآثار بالبنان، وراض نفسه على دقائق مقاصد السنة والقران، هذا ومع لَطَافَة جسمه فَلَكَمْ حَوَى من لطائف، ومع حداثة سنه فكم حدث بظرائف، ومع رشاقة خده فكم رشق من مخالف، وكم مُشكل أوضحه قد أغفله الأولون (وكَأَيِّن منْ أَيَة في السَّموات والأرض يَمُرُّون عَلَيْها وهُمْ عَنْها مُعْرِضُون)[٦]، فالحمد لله الذي وفقنا لتفسيرِ آية كتابه، وأهَّلنا لإيضاح معاني خطابه، حمداً طيباً مباركاً فيه" . ومنهم: علي بن محمد بن إبراهيم الحكمي (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)[٧]، الذي كان عالماً في التفسير واللغة والأدب، أخذ عن

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٢ .

(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٢ . والمحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤ .

(٣) صلاح بن أحمد بن المهدي بن محمد المؤيدي، أحد علماء اليمن المبرزين، ولد سنة (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م)، وله إجازات في سائر الفنون من علماء مكة، ولاه الإمام المؤيد قيادة الجيوش لحرب العثمانيين في أبي عريش، له مؤلفات منها(شرح شواهد النحو) و (شرح الهداية)، وكانت وفاته (سنة ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) . انظر . ابن المؤيد، المصدر السابق ،ج١، ص ٥١٥- ٥١٨ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٢، ص ٤٤٨- ٤٦٩ .

(٤) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤- ٤٠٥ .

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٠٤ .

(٦) سورة يوسف، آية ١٠٥ .

(٧) المحبي، المصدر السابق ،ج٣، ص ١٨٩ – ١٩١ . وابن المؤيد، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢٨-١٥٣١ ؛ بينما يذكر البغدادي أن وفاته كانت سنة(١٠٤١هـ/١٦٣١م) . انظر . هدية العارفين، ج ٥، ص ٧٥٥ .

الكثير من العلماء وبعد أن بلغ في طلب العلم المكانة العالية، أخذ في نشره، وأصبح من العلماء المشهورين، وأخذ عنه الكثير من العلماء، وقد صنف كتاباً في التفسير سماه "الضنائن" [(١)]، وله إلى جانب ذلك العديد من المصنفات في علوم أخرى . والشيخ علي بن الحسن بن محمد النعمي (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)، أخذ العلم عن علماء المخلاف، حتى وصل إلى درجة عالية من العلم، حتى أنه "كان يحفظ الكشَّاف غيباً" ، وقد شهد له جماعة من أهل العلم بغزارة علمه حتى قيل عنه "كان إماماً محققاً له المؤلفات العديدة والرسائل الشهيرة" [(٢)]، ولا ندري إن كان لهذا العالم مؤلفات أو عدمه .

ب : علم الحديث

جذبت دراسة الحديث النبوي[(٣)] واستقطبت معظم اهتمامات الدارسين في المخلاف السليماني خلال فترة البحث، فقد شمَّر العلماء وطلبة العلم فيها - على حد سواء - عن ساعد الجد، باذلين أنفسهم لخدمة سنة المصطفى - ﷺ- بالرواية والتتبع بدقة تامة، باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، امتثالا لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَطِيعُوا اللّه وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ)[(٤)]، فحظي علم الحديث في المخلاف باهتمام كبير من العلماء وطلبة العلم، وبرز خلال فترة بحثنا - القرن الحادي عشر الهجري - العديد من العلماء الذين امتلأت الحلقات العلمية للدراسة عليهم . وكانت أهم المصنفات التي تدرس في حلقاتهم هي: الكتب الستة ؛ صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، واهتموا إلى جانب ذلك بجامع الأصول[(٥)]، وغيرها من المصنفات. ورغم أن جمع الحديث، وتحديد الصحيح منه والضعيف قد استكملت ضوابطه قبل القرن الخامس الهجري، إلا أن الدراسات الحديثة المتعددة الجوانب ظلت تفرز عبر القرون ولم تنقطع قط .

---

(١) وهو اسم لكتاب أكمل فيه تفسير جده إبراهيم للقرآن من أول سورة الكهف إلى آخر القران الكريم. انظر. المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٩ – ١٩١. والبغدادي، هدية العارفين، ج٥، ص ٧٥٥ . وإسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،ج٤، تصحيح: رفعت بيلكة الكليسي، (د . ط)، منشورات مكتبة المثنى – بغداد، (د . ت)، ص ٧٣ .

(٢) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ . والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢ .

(٣) الحديث : هو ما صدر عن رسول الله ـ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة . انظر : رفعت فوزي عبدالمطلب، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، ط١، مكتبة الخانجي. مصر، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م، ص ١٩. وعبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع السابق، ص ٥١، ٣٧٤ .

(٤) سورة النساء، آية ٥٩ .

(٥) جامع الأصول من أحاديث الرسول : للإمام مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير، وقد جمع فيه بين كتب الحديث والسنة، وكانت وفاته سنة (٦٠٦هـ/١٢١٠م)، انظر: الزركلي، المرجع السابق، ج٥، ص ٢٧٢ .

وكانت أمهات كتب الحديث قد صارت هي الواحة التي يعكف العلماء عليها درساً وبحثاً وتنقيباً وشرحاً . وبما أنَّ المادة كانت ثابتة والجديد هو ظهور علماء قادوا حركة علم الحديث بين فترة وأخرى، فإن الطريقة التي سيتبعها الباحث هنا هي تتبع رجال علم الحديث، وليس الهدف من ذلك هو الترجمة لهم بقدر ما هو عرض لنتاجهم العلمي من المؤلفات بحسب الترتيب الزمني لنرصد بعد ذلك ظاهرة الكثافة العلمية، أو النضوب في المحصول العلمي من المؤلفات في علم الحديث، ومع هذا قد نجد علماء مشهورين في علم الحديث كانوا حُفاظاً وأئمة لكن لم نعلم لهم مصنفات - حسب المصادر التي بين أيدينا - إلا أنهم كانوا رواداً في حركة علم الحديث. وأول أعلام علم الحديث خلال فترة الدراسة، هو المطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) [(١)]، إمام الفروع والتفسير والحديث، تميز بذكائه وحفظه، وكان أحد الرحالين لطلب الحديث، سمع في اليمن، ثم عاد إلى المخلاف، ومع هذا لم يكن له في هذا العلم سوى مختصر في الحديث[(٢)] . وأحمد بن علي بن محمد الحكمي (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م) [(٣)]، شيخ من أهل بيت حديث، أخذ الحديث عن والده وغيره، وعنه أخذ المطهر بن علي بن محمد النعمان[(٤)]، وبقدر الاعتراف بأنه كان علامة، وله "تصانيف عديدة، إلا أنه كان يؤخذ عليه قدحه في صحة حديث" افتراق الأمة "[(٥)]. والشيخ عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) [(٦)]، كان محدثاً، نحويا، أصولياً، وكان أحد الرحالين في طلب الحديث إلى اليمن، حيث سمع بصعدة، وزبيد وغيرهما، وقد تحمَّل العناء والتَّعب في سبيل طلب العلم، وتعرض للسلب من قطاع الطرق، وضربت يده اليمنى[(٧)]، وقد كانت له مكانة كبيرة عند أئمة اليمن [(٨)]، وكان إلى

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١، ٣٩٢ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار ،ج١، ص٢٢٣ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤١٣، ٤١٤ . والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٣١٠ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١ .

(٣) ابن القاسم، أنباء الزمن، ص ١٩٣. والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص٢٥٢، ٢٥٣ . والبغدادي، هدية العارفين ،ج٥، ص ١٦٢ ؛ بينما ذكر ابن الوزير أن وفاته كانت سنة (١٠٦٨هـ/١٦٥٧) . انظر . المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥ .

(٤) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٥ .

(٥) ابن القاسم، أنباء الزمن، ص ١٩٣ . وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥، ١٥٦ .

(٦) الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص٢٢٣ . وابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٢٠١ . ومحسن أبو طالب، المصدر السابق، ص ١٠٧ . بينما أورده ابن الوزير باسم عبد العزيز بن محمد . انظر . المصدر السابق، ج١، ص ١٧٨، ١٧٩ ؛ وأورده الشوكاني باسم عبد العزيز بن أحمد . انظر . البدر الطالع ،ج١، ص ٣٥٨ .

(٧) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦، ٤٧ .

(٨) الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٢ .

جانب فهمه واطلاعه حسن الخط[١]، صنف العديد من الكتب في علوم شتى، ومنها مصنفه في علم الحديث هو: تخريج أحاديث الشفا[٢]، ويقع في مجلدين، ويوجد نسخة منه في مكتبة العقيلي بجازان[٣].

ج. : علم الفقه وأصوله.

كان علم الفقه وأصوله[٤] محل اهتمام طلاب العلم في المخلاف خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، حيث حرص طلاب العلم على تلقي هذا العلم على يد كبار الفقهاء والعلماء ،كما اعتنوا عناية كبيرة بما ألف من كتب في هذا العلم، وكان للتنافس المذهبي دور واضح في ظهور عدد من المدارس المتخصصة بتدريس أحد المذاهب السائدة في المخلاف . وبما أن منطقة جازان جزء من دار الإسلام فقد عُرِفَت فيها المذاهب السنية الأربعة، المذهب الشافعي، المذهب الحنبلي، المذهب الحنفي، والمذهب المالكي . وكان المذهب الشافعي في المخلاف القرن الحادي عشر الهجري أكثر المذاهب انتشاراً .

ويمكن القول بأن الذي ساعد على الانتشار المذهبي بين العلماء حرية التعليم، حيث لم يكن هناك تدخل من قبل السلطة الزمنية في المخلاف في شئون التعليم، أو فرض مذهب معين بالقوة يلتزم به جميع أفراد المجتمع، وهذا لم يحدث على الإطلاق من قبل حكامه ؛ ولذلك كان العلماء بمختلف مذاهبهم يقومون بالتدريس في حلقاتهم وفقاً لمذاهبهم، حيث صارت كل فئة تدرس الفقه وفقاً لمذهب معين . وعندما نقول بأنه كانت توجد خلافات بين أتباع المذاهب الإسلامية، لا يعني أن هناك انقساماً فيما

---

(١) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦– ٤٧ .

(٢) هو" شفاء الأوام في المميز بين الحلال والحرام "، لمؤلفه الحسين بن بدر الدين بن محمد بن أحمد المتوفى سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) . انظر . ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢. وابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٢٠١ . وأبو طالب، المصدر السابق، ص ١٠٧. وأحمد المشني، الشقيري أضواء على تاريخها، ص ٨٠٦ .

(٣) أحمد المشني، الشقيري أضواء على تاريخها، ص ٨٠٦ .

(٤) الفقه ؛ لغة : العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة . انظر . محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت ،(١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ١٦١٤. وعبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع السابق ، ص٤٦٦، ٤٦٧ . واصطلاحا : هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية. انظر. ابن خلدون،المصدر السابق،ج٢، ص ٧٩٨ . وعبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع السابق، ص ٥٣ . أما أصول الفقه : فهو ضبط ودراسة القواعد التي يعتصم بها المجتهد عن الخطأ في الاستنباط ،كتقديم النصوص على القياس، والقرآن على السنة، ومعرفة ألفاظ نصوص هذين المصدرين، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من قواعد وأصول الفقه . انظر . جاد الحق علي جاد الحق، الفقه الإسلامي، نشأة مذاهبه أهدافها – ثمراتها، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، ع١، س١، ١٤١٩هـ، ص ٦٠ .

بينهـا، وأن كل مذهب يسـير في اتجاه بعيـد كل البعد عن المذاهب الأخـرى، وإنما كان الخلاف حول الفروع في العقيدة الإسـلامية، أو في فروع الفقه، أما الأصـول فهي ثابتة ولا تدخل في النقاش، أو تحتاج إلى اجتهاد . وقبل الحديث عن العلماء ونتاجهم العلمي، أود أن أشـير إلى أن المخـلاف السـليماني خلال القرن الحادي عشـر الهجري، شـهد تنافساً بين مذهبين هما: المذهب الشافعي[١]، والمذهب الزيدي[٢]، وسنفرد لكل مذهب من المذاهب حديثاً خاصـاً عن علمائه ونتاجهم العلمي، وسـيتم الحديث عنهما بحسب الانتشار والقبول لدى الناس في المخلاف السليماني، وليس على حسب الترتيب الزمني لأئمتها . وأن النتاج العلمي خلال فترة الدراسـة كان شروح، أو اختصارات لمؤلفات من سبقوهم من أتباع مذهبهم .

فالمذهب الشـافعي أكثر المذاهب الإسلامية انتشاراً في المخلاف السليماني، وتركز انتشاره في أسر معينة في المخلاف كآل الحكمي، وآل الأسدي في أبي عريش، وآل شافع، وآل الديباجـي في صـبيا [٣]، ولذلك برز في هذا العصـر الكثير مـن العلماء الذين كان لبعضـهم إنتاجا ولكنه لم يخرج عن نطاق المذهب . ومن المصـنفات التي كانت تدرس في حلقـات أتباع هذا المذهب المنهاج[٤]، والإرشـاد[٥]، والأثمـار[٦]، والبيان[٧]، وغيرها

---

(١) يُنسـب المذهـب الشـافعي إلى الإمام محمد بن إدريس الشـافعي، وهو أحد أئمة المذاهـب الأربعة، وقد برع في العلوم الدينية والعربية، وكانت وفاته سنة (٢٠٤هـ/ ٨٥٤م) . انظر . ابن العماد، المصدر السابق، ج٢، ص ٩ .

(٢) يُنسب المذهب الزيدي إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . المتوفى سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م. انظر. سـلوى سـعد الغالبي، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن (١٠٥٤- ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤- ١٦٧٦م)، رسـالة ماجسـتير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ٣٠ . والشجاع، المرجع السابق، ص ١٣٤. وزين الشافعي، الروض الزاهر، ص٢٧٥ .

(٣) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٥٧ .

(٤) هو "منهاج الطالبين وعمدة المفتين" : للإمام يحيى بن شرف بن مري النووي، ولد سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)، وهـو مـن كبـار علمـاء السـنة تبحـر في الفقـه والحديث، ولـه العديـد مـن المؤلفـات، كانت وفاته سـنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) . انظر . الزركلي، المرجع السابق، ج ٨، ص ١٤٩. وكحالة، معجم المؤلفين ، ج٤، ص ٩٨ .

(٥) هـو "إرشـاد الغـاوي إلى مسـالك الحـاوي"، للإمـام إسـماعيل بـن أبـي بكر الزبيـدي، المتوفى سـنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)، وهو اختصـار لكتاب الحاوي الصـغير للإمام القزويني . انظر. السـخاوي، المصدر السـابق، ج٢، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ . والشـوكاني، البدر الطالع ،ج ١، ص ١٤٢- ١٤٥. وكحالة، معجم المؤلفين ،ج١، ص ٣٦٠ .

(٦) هـو "الأثمـار في فقـه الأئمة الأطهـار"، للإمام شـرف الدين بن شـمس الدين بن أحمد بـن يحيى المتوكل على الله المتوفى سـنة (٩٦٥هـ/١٥٥٨م) . انظر . الشـوكاني، البدر الطالـع، ج١، ص ٢٨٠ . وكحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص ٨١٢ .

(٧) كتـاب شـهير في الفقه على مذهب الإمام الشـافعي، لمؤلفه الإمام يحيى بن أبـي الخير العمراني المتوفى سـنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م . انظر. عبد العزيز بن راشد السـنيدي، المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦- ٨٥٨هـ/١٢٢٩- ١٤٥٤م)، ط١، الرياض، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ،ص ٢٢٦ .

من المصنفات . ومن أشهر العلماء الذين صنفوا في هذا العلم، أو قاموا بتدريسه في حلقاتهم: الأمين بن أبي القاسم شافع (١٠١٤هـ/١٦٠٥م) [١]، أخذ العلم على أيدي علماء المخلاف في صبيا وأبي عريش، ثم رحل إلى اليمن وتفقه على علماء زبيد، ثم عاد إلى صبيا ،حيث أسندت إليه الفتوى بها، وقد عُدَّ من أفقه أهل عصره في الفقه الشافعي وأخذ عنه العلم الكثير من طلبة العلم منهم أحمد بن أبي الفتح بن صديق الحكمي (ت ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) [٢]، ومحمد بن عبد القادر المحلوي، الذي أشاد بفقهه بعض علماء زبيد عندما جاءت إليه فتاوي من المخلاف السليماني، وأجاب عليها وفي آخر الجواب قال: "عجبت لقوم يسألون من أرض الشام وعندهم الأمين" [٣]، ومصنفه في هذا العلم هو "تحقيق في فقه الشافعية" . والشيخ صديق بن محمد السلاط (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٩م) [٤]، الذي كان مفتي أبو عريش في الفقه الشافعي، إلا أننا لم نجد له مصنفاً في الفقه . ومحمد بن عبد القادر الحكمي (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م)[٥]، الذي كان متبحراً في الفقه الشافعي . والشيخ المرتضى بن حاتم بن محمد شافع (ت ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م)[٦]، الذي كان متبحراً في علوم عدة، ومصنفه في الفقه هو "تحقيق مذهب الشافعية في الفقه وأصوله"[٧] . و علي بن محمد بن أبي بكر الحكمي (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)[٨]، له مصنفان في الفقه هما "الديباج على المنهاج" و" الإتحاف مختصر التحفة لابن حجر"[٩] . ومحمد بن أحمد الأسدي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) [١٠]، وله مصنف في الفقه هو" اختصار المنهاج للنووي" . وعثمان بن محمد ياسين (ت ١٠٦٢هـ/١٦٥١م) [١١]، أفقه علماء الشافعية في زمنه بالمخلاف السليماني، ولا ندري

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦، ٣٥١ . والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤ . والشِّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

(٢) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٥-٢٣٩ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص٣٥١.

(٤) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١ .

(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٠ .

(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٧٦، وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٢ .

(٧) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٢ .

(٨) ابن المؤيد، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢٨ – ١٥٣١ . وزبارة ،خلاصة المتون ،ج٤، ص ١٤٥؛ بينما يذكر البغدادي أن وفاته كانت سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م . انظر . هدية العارفين ،ج٥،ص٧٥٥ .

(٩) هو"تحفة المحتاج على المنهاج" لمؤلفه أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر الهيتمي ،المتوفى سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٦م . انظر. كحالة، معجم المؤلفين ،ج١، ص ٦٤١، ٦٤٢

(١٠) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ . والبغدادي، هدية العارفين ٢٨٥، ج٦، ص ٢٨٥ . ومحمد بن عبد القادر بامطرف، الجامع ،ج٢، ط١، الهيئة العامة للكتاب – صنعاء،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤٨٦. وكحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٨ .

(١١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٦ . والعقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١، ص ٣٨٩ .

عمـا إذا كان لهـذا العالم مؤلفـات أو عدمه. وأحمد علم الدين بن الحسـين بن محمد شافع (ت ١٠٦٣هـ / ١٦٥٢م) (١)، كان من أكابر فقهاء الشافعية في المخلاف، ولا يمكن الجزم بأن هذا العالم قد ترك آثاراً في هذا العلم . وأحمد بن محمد بن أحمد الأسـدي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) (٢)، ومصنفه هو" طبقات الشافعية "(٣).

كما وصل المذهب الزيدي إلى بعض بلدان المخلاف السليماني خلال القرن السادس الهجري (٤)، وذلك نتيجة لاندماج مجتمعي المخلاف واليمن وتمازجهما، وتداخل الحدود المكانية بينهما (٥)، وبسبب رحلة طلبة علم المخلاف إلى مناطق النفوذ الزيدي في اليمن، ودراسـتهم على علمـاء الزيدية هناك ؛ تأثر هؤلاء الطلاب بمشـايخهم وبالمذهب الذي يتبعونه وتحمسـوا لتدريسه في بلادهم بعد رجوعهم إليها، فلقي هذا المذهب حضوراً في بعض مراكز المخلاف لدى بعض الأسر وخاصة العلويين الذين نزحوا من الحجاز خلال القرن الرابع الهجري (٦) من آل النعمان، وآل الحازمي في ضمد، وآل النعمي في صبيا (٧) ؛ وذلك لأواصـر القرابة بينهم وبين أئمة اليمن الأمر الذي أدى إلى التقريب والترحيب بالزيديـة في المخلاف . ومن المصـنفات التي كانت تُدرس في حلقـات أتباع هذا المذهب كتاب الأزهار (٨)، وكتاب غاية السول(٩)، والمجموع(١٠)، وغيرها من المصنفات .

ومن العلماء الذين اشتهروا في هذا العلم، أو يقومون بتدريسه في حلقاتهم: المطهر بـن علي بن محمـد النعمان (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) (١١)، ومصـنفه في الفقه الزيدي هو

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٨ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .

(٢) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥، ٣٢٦ . والشبلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩ .

(٣) كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص ٢٥١ .

(٤) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٤٩، ٥٠ .

(٥) وذلك خلال سـيطرة الأشـراف السـليمانيين على حرض ومـا جاورها أغلب الفـترة الزمنية الممتدة من أواخر القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع الهجريين . انظر . محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٠

(٧) المرجع نفسه، ص ٥٤ .

(٨) هـو" الأزهـار في فقـه الأئمـة الأطهار "، من أشـهر كتب الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضـى، وهو عمدة المذهب الزيدي، كانت وفاته سـنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، وعليه شـروح وحواش كثيرة . انظر . محمد بن الحسـن الحجري، الفكر السـامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج٣، عناية : أيمن صالح شعبان، (د . ط)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٦/١٩٩٥، ص ٧٥ . والحبشي، مصادر الفكر، ص ٥٨٣– ٥٨٥ .

(٩) هو" غاية السـول في علم الأصـول"، لمؤلفه حسـين بن الإمام القاسم بن محمد اليمني المتوفى سنة ١٠٥٠هـ /١٦٤٠م . انظر . البغدادي، إيضاح المكنون ،ج ٤، ص ٣٧١ .وكحالة، معجم المؤلفين ،ج١، ص ٦٣١ .

(١٠) المجموع للإمام زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م . انظر . المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤.

(١١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩١ ،٣٩٢ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص٢٢٣ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٣، ٤١٤ . والشوكاني، البدر الطالع ،ج٢، ص ٣١٠ .

"روضـ الأزهــار ولبابِ الأفكارِ" . وأحمد بن علي بــن محمد النعمان (ت ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م)[(١)] ،كانٍ فقيهــاً محققــاً في الفقــه الزيــدي، ولا يمكــن الجزم بأن هــذا العالم قــد تــرك آثــاراً في هذا العلــم . والحســين بن محمــد بن علــي النعمــي (ت١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م[(٢)] ، وله في الفقه "حواشي على علم الأزهار" . وأحمد بن علي بن محمد الحكمي (ت١٠٧٥هــ/١٦٦٤م)[(٣)] ، ولــه مصــنفان في هذا المجــال هما "الأزهــار في فقه الأئمة الأطهــار" ، و "شــرح على غاية الســول" . و عز الدين بن دريب بــن المطهر العماري (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)[(٤)] ، وله في هذا العلم مصنفان هما : " الإيضاح في أصول الدين"[(٥)] ، و "شــرح الثلاثين مســألة في أصول الدين"[(٦)] . وعبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان (ت ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م)[(٧)] ، ومصنفه في هذا العلم هو " السُّلم على معيار الأصول"[(٨)] .

٢ـ : علوم اللغة العربية :

يقول ابن خلدون إن العلوم العربية أداة لفهم الشرع، ولم توضع إلا خوفاً على العلوم الشــرعية مــن أن تعجز الأجيــال التالية عن فهمهــا لعدمٍ فهــم اللغة[(٩)] .كما ذكر بعض العلماء أهميتها لطالب العلم[(١٠)] . فلا يُعد الفقيه مشاركاً في العلوم الشرعية حتى يعرف

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٤ . والمحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤٠٤ .

(٢) ابن المؤيد، المصــدر الســابق ،ج١، ص ٣٩٢ . وابن الوزير، المصــدر السابق ،ج ١، ص ١٧٨. وابن القاسم، بهجة الزمن، ج٢، ص ٦١٢ .

(٣) ابن القاســم، أنباء الزمن، ص ١٩٣. والمحبي، المصــدر الســابق ،ج١، صــ٢٥٢، ٢٥٣. والبغدادي، هدية العارفين،ج٥، ص ١٦٢ ؛ بينما ذكر ابن الوزير أن وفاته كانت (سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م). المصدر السابق، ج١، ص١٢٥. وكحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص ٢٠٨ .

(٤) ابــن أبــي الرجال، المصــدر الســابق، ج٣، صــ ١٧٣. والمحبي، المصــدر الســابق ،ج٣، صــ ١١٠، ١١١ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ١٩٨ .

(٥) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٣. والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٠ ،١١١. والحبشي، مصادر الفكر العربي، ص ١٢٨ .

(٦) الحبشي، مصادر الفكر العربي، ص ١٢٨ .

(٧) الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار ،ج١، ص ٢٢٣ . وابن القاســم، أنباء الزمن، ص ٢٠١ . وابن الوزير، المصــدر السابق، ج١، ص ١٧٨ ،١٧٩. ومحسن أبو طالب، المصدر السابق، ص ١٠٧. والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ٣٥٨.

(٨) السُّــلم : هــو شــرح لكتاب " المعيــار لقرائح النظار" " معيــار العقول على علم الأصــول " للإمام المهدي بن أحمد بن يحيى المرتضــى. انظر . ابن أبي الرجال، المصــدر الســابق، ج٣، ص ٤٦- ٤٧. وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢ وابن القاسم، أنباء الزمن، ص ٢٠١ . ومحسن أبو طالب، المصدر السابق، ص ١٠٧. وكحالة، معجم المؤلفين ،ج١، ص ٣٢٢ .

(٩) المصدر السابق، ج١، ص ٦٣٣ .

(١٠) أحمــد بــن الحســين البيهقي، مناقب الشــافعي ،ج٢، تحقيق: الســيد أحمد صــقر، (د .ط)، مكتبة دار التراث- القاهرة، (د . ت)، ص ٤٢ .

هـذا الفن ويتقن أُصـوله[١]. وقد اهتم أبناء المخلاف السـليماني بعلـوم اللغة العربية، وحرصوا على دراستها .

أ. : علم النحو .

اعتمـد معظـم الدارسـين في المخلاف السـليماني على كُتـب أُلفت في عهد سـابق لهـم، كانت وافدة عليهم، ومن أبـرز الكتب التي اعتمدوا عليهـا في الدرس والتدريس، كتـاب شـذور الذهـب[٢]، وألفيـة ابن مالـك[٣]، وملحـة الإعـراب[٤]، والحاجبية[٥]، وقطـر الندى[٦]، وغيرها من الكتب. وعلى الرغم مـن اهتمام علماء المخلاف بما كتبه الأقدمون إلا أنه وجد عدد منهم برعوا في هذا العلم وكانت لبعضـهم مصـنفات. ومن هـؤلاء العلمـاء : المطهـر بن علي بن محمـد النعمان (ت١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) [٧]، كان عالما محققا، لغويا مفسـرا، نحويا، طبيبا، شـاعرا، له مصـنفان في هـذا العلم هما " النفحات المسـكية في الأفعال الثلاثية " و " المنقح شرح الموشح على كافية ابن الحاجب

---

(١) المحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٤٠٥ . وعبد الله بن محمد الحبشي، حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، (د.ط)، (وزارة الإعلام والثقافة – اليمن، (د . ت)، ص ١١٣ .

(٢) هـو " شـذور الذهـب في معرفة كلام العرب " كتاب في النحو لمؤلفه عبد الله بن يوسـف بـن أحمد المعروف بابن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م . انظر . الزركلي، المرجع السابق ،ج٤، ص ١٤٧. وكحالة، معجم المؤلفين ،ج٢، ص٣٠٥، ٣٠٦ .

(٣) سُميت بالألفية لأنها منظومة مكونة من ألف بيت لناظمها محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي، الذي يُعد من أئمة اللغة العربية، وقد خلّف العديد من الإسـهامات العلمية في علوم اللغة العربية وغيرها، وكانت وفاته سـنة (٦٧٢هـ /١٢٧٣م) . انظر . ابن العماد، المصـدر السـابق ،ج٥، ص ٣٣٩ . والزركلي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٣٢ . وكحالة، معجم المؤلفين ،ج٣، ص ٤٥٠ .

(٤) منظومة شهيرة في النحو لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، وهو أحد أئمة اللغة والأدب ،وكانـت وفاته سـنة (٥١٦هـ/١١٢٢م) .انظر . عبدالرحمن بن محمـد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣،مكتبة المنار– الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٧٨–٢٨٠ . وعلي بن يوسـف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٣، تحقيق: محمد أبو الفضـل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي– القاهرة، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ،ص ٢٣–٢٧. وكحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص ٦٤٥ .

(٥) نسـبةٍ إلى عثمـان بن عمر بن أبـي بكر بن يونس الكردي، فقيـه مالكي، من كبار العلمـاء بالعربية .كان أبوه حاجبا فعُرف به، له تصانيف عديدة منها : (الكافية) في النحو و(الشافية) في الصرف، وكانت وفاته سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٩م) . انظر . جلال الدين بن عبد الرحمن السـيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل، (د . ط) ،المكتبة العصرية – بيروت، (د– ت)، ص ١٣٤– ١٣٥. والزركلي، المرجع السابق ،ج٤، ص ٣٧٤ .

(٦) " قطـر النـدى وبـل الصـدى " للعلامـة عبـد الله بن يوسـف بـن أحمد بن عبـد الله بن هشـام المتوفى سـنة(٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، وقد خلف وراءه الكثير من المصنفات العلمية في النحو وغيره . انظر . الزركلي، المرجع السابق ،ج٤، ص ١٤١٧. وكحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص٣٠٥ – ٣٠٦ .

(٧) النعمان، المصـدر السـابق، مخطوط، ص ٣٩١ . والمحبي، المصدر السـابق، ج٤، ص ٤٠٣ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣ . و الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ٣١٠ .

". وعبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) [١]، عالم مجتهد، محدث، نحوي، له مصنف في النحو هو " البُغية "[٢]. و محمد بن عبد القادر المحلوي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) [٣]، " عالم العربية والأدب في المخلاف السليماني في عصره بلا مدافع ولا منافس، أخذ النحو عن الشيخ عمر بن عبد القادر بن محمد الحكمي في أبي عريش، والشيخ الأمين بن أبي القاسم شافع في صبيا . وقد وصفه النعمان بقوله" لا تجد أحداً من أهل العربية بجهة تهامة إلا وللفقيه محمد المحلوي عليه مشيخة "[٤] . وقد تأدب عليه الكثير من طلاب النحو والأدب، وعلى الرغم من مكانته العلمية إلا أن المصادر – المتوفرة بين أيدينا – لم تذكر لنا ما إذا كان صنف في ذلك أم لا. و محمد بن أحمد الأسدي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) [٥]، شيخ العلوم والمعارف، برع وأعرب في النحو قبل أن يترعرع، أخذ العلم في أبي عريش، ثم رحل إلى مكة المكرمة ولازم كبار علمائها، وأصبح من العلماء المشهورين بعد ذلك، أخذ عنه الكثير من العلماء منهم ابنه أحمد، ومصنفه في علم النحو هو " شرح على الآجرومية "[٦]. وإسماعيل بن محمد بن عبد القادر المحلوي (ت ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) [٧]، الذي وصفه النعمان بقوله " الفقيه العلامة الأديب الكاتب المنشئ "[٨]، أخذ العلم عن والده، ثم تنقل بين مراكز المخلاف للدراسة، فدرس في مدرسة آل الحكمي في أبي عريش، ثم في مدرسة آل شافع في صبيا، حتى أَلَمَّ بمعارف عصره فقهاً وحديثاً ومساحةً وعربيةً وأدباً، صنف مؤلفا في النحو أسماه[٩] " مفتاح الألباب شرح ملحة الإعراب". وأحمد بن علي بن محمد الحكمي

---

(١) الجرموزي : تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣، وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٨، ١٧٩. الشوكاني البدر الطالع، ج١، ص ٣٥٨ .

(٢) البغية : حاشية على الموشح في شرح كافية ابن الحاجب، والموشح لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن محرز الخبيصي المتوفى سنة (٧٣١هـ/١٣٣٠م) . انظر : ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص٤٦، ٤٧ .والبغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص ١٤٨. وكحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ١٧١.

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ . والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦. والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١١١.

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ .

(٥) المحبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨٣. والبغدادي، هدية العارفين ،ص ٢٨٥، ج٦، ص ٢٨. وبامطرف، المرجع السابق،ج٢، ص ٤٨٦ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١٣٦ .

(٦) الآجرومية : كتاب في النحو، في مبادئ اللغة العربية، سمي باسم مؤلفه : " محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، المعروف بابن آجروم "، المتوفى سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م). انظر .كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٦٤١، ٦٤٢ .

(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠١ . والعمودي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٥٢. والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ٣٨٧ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠١ .

(٩) الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ٣٨٧ .

(١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) [١]، ألف مصنفاً في النحو أسماه "تسهيل الصعاب في النحو واللغة والتصريف"[٢]. وعلي بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي (ت ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م) [٣]، صنف في النحو شرحا على الكافية، وقد وصف عبد الرحمن البهكلي هذا الشرح بقوله: [٤] "لم يكن له في شروحها على كثرتها نظير، والتزم فيه بذكر الخلاف بين النحويين واختار القول الراجح وإيراد الشاهد فيه والقصيدة التي هو منها وما قيلت فيه، فوفى ووفى، وأفاد وشفى، حتى قام أرباب الفضائل لإجلال مصنفه صفاً صفاً".

ب : علم اللغة .

علم اللغة، هو بيان الموضوعات اللغوية[٥]، واللسان الذي يعبر عن مختلف العلوم[٦]، ومن ثم كان الاهتمام باللغة كبيراً، بل كانت شرطاً لكثير من العلوم عند العلماء مثل علم القراءات وعلم التفسير وعلم الفقه . وقد برع في المخلاف خلال فترة بحثنا عدد من العلماء الذين اشتهروا بالفصاحة ومعرفة اللغة، ومن أبرزهم: المطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م) [٧]، الفقيه العارف الفصيح[٨]، المصنف في الكثير من العلوم المختلفة، ومنها مصنفه في اللغة المسمى" جلاء الوهوم مختصر ضياء الحلوم"[٩]. ومنهم : حسين بن محمد بن يحيى الضمدي (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [١٠]، كان من أدباء الوقت نبيهاً في غاية النباهة، وكانت له في العبارات فصاحة وبلاغة. ومن الفصحاء البارعين باللغة – أيضا – أحمد بن علي بن محمد الحكمي[١١]، والمهدي بن

---

(١) ابن القاسم، أنباء الزمن، ص ١٩٣. والمحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٥٢، ٢٥٣ . والبغدادي، هدية العارفين ،ج ٥، ص ١٦٢؛ بينما ذكر ابن الوزير أن وفاته كانت سنة (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م). انظر . المصدر السابق ،ج١، ص ١٢٥.

(٢) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٥٢ ،٢٥٣ . والبغدادي، هدية العارفين، ج٥، ص ١٦٢. وزبارة، ملحق البدر الطالع، ج٢، ص ٤١ . وكحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص ٢٠٨ .

(٣) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٥٥، ٩١ . والعقيلي، أضواء على الأدب، ج١، ص ١١٢،١١١.

(٤) خلاصة العسجد، ص ٥٥، ٩١ .

(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٦٣٥ .

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٤٣ .

(٧) سبقت ترجمته في علم التفسير، ص ١٦٤– ١٦٦ .

(٨) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٢ .

(٩) ضياء الحلوم : كتاب في اللغة لمحمد بن نشوان بن سعيد الحميري، له العديد من المصنفات في اللغة والأدب، وكانت وفاته سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) . انظر . القفطي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٤٢، ٣٤٣ . وكحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٧٥٠ .

(١٠) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١١ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩– ٢٢٠ .

(١١) ابن القاسم، أنباء الزمن، ص ١٩٣. والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٢ ،٢٥٣. وابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥ . والبغدادي، هدية العارفين ،ج٥، ص ١٦٢.

الهادي بن المهدي الحكمي[١]، ومحمد بن أبي القاسم الحميدي النمازي[٢]، الذي كان من أفصح أهل المخلاف، وهادي بن عثمان السبعي[٣]، وغيرهم .

ج ـ الأدب :

يُعَرِّف ابن خلدون علم الأدب بقوله: " هو إجادة فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، أو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف[٤]. ويعتبر القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، من أزهى عصور الأدب في المخلاف السليماني . وقد تعددت المنتجات الأدبية في المخلاف شعراً ونثراً .

ظهر في المخلاف السليماني خلال فترة دراستنا العديد من الشعراء المشهورين، الذين تنوع شعرهم بين المدح، والرثاء، والغزل، والمواعظ، والعتاب، وغيرها . والباحث هنا لا يقوم بشرح أسلوب كل شاعر فيما يتعلق بجوانب الشعر والأدب، وإنما يترجم للشعراء ويذكر دواوينهم الشعرية إن وجدت، أو مآثرهم في مجال الشعر، وإن لم يوجد ذلك يشير إلى القصائد الشعرية التي وردت في ثنايا بعض المصادر التي ترجمت لهم، وبذلك قد حقق الهدف وهو تسجيل النتاج العلمي كما هو في هذا المجال، وإذا ذكرنا بعض النماذج الشعرية فلأنها مرتبطة ببعض الحوادث المتعلقة بالشاعر، وستقوم الدراسة بذكر الشعراء بحسب ترتيب وفياتهم الزمنية .

ومن أبرز الشعراء: محمد بن عيسى بن يوسف الظفاري (ت١٠٢٧هـ/١٦١٧م)[٥]، وهو "شاعر مرموق من شعراء المخلاف السليماني، جدير بأن يطلق عليه اسم شاعر المخلاف في عصره"[٦]، أخذ العلم عن أبيه الفقيه عيسى الظفاري[٧]، ثم أتم تحصيله في مدرسة الشيخ عمر بن عبد القادر بن محمد الحكمي، ثم انتقل إلى صبيا وأخذ النحو والأدب وتوسع فيه على الشيخ محمد بن عبد القادر المحلوي، ثم تفرغ للشعر والأدب، وأخذ في التكسب بشعره ما بين الحجاز وحضرموت، فمدح علماء ووجهاء المخلاف، وأشراف مكة،

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٤ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٩ .
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٩ .
(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٦٤١، ٦٤٢ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١٨ – ٢٢ .
(٦) العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١٨ – ٢٢.
(٧) من فقهاء وأدباء المخلاف السليماني، تولى التدريس والإفتاء في أبو عريش، كانت وفاته (سنة ٩٥٦هـ/١٥٤٩م) . انظر . النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٨٦، ٨٧ .

وأمراء الأتراك، وأمراء الشِّحْر[(١)]، وله ديوان شعر[(٢)]. والشاعر: أحمد بن المقبول الأسدي (١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م)[(٣)]، كان فقيهاً شاعراً، قرأ بمكة على مشايخها في الفقه وسائر علوم الأدب والقراءات، وقد وصفه النعمان بقوله: "كان فصيحاً وله نظم عجيب"[(٤)]. ومن آثاره الأدبية قصيدة يمدح بها شيخه ابن أبي الفتح الحكمي أحد علماء أبو عريش وكان تلميذه؛ نختار منها هذه الأبيات[(٥)]:

أتاني كتاب منك يا زاكي الأصل	كمنظوم در الراح يلعب بالعقل
وراح غدا كرم المذاقة أصلا	فبورك من فرع تعالى على الأصل
وما كان تأخير الجواب لعلة	ولكنني استتبع العل بالنهل
وقلت لها أن الجواب فريضة	فقالت إذن، فانظمه فوراً بلا مهل
وذاك وجيه الدين شيخي وسيدي	سليل أبي الفتح المسربل بالفضل

والشاعر: حسين بن محمد بن يحيى الضمدي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)[(٦)]، كان من أدباء الوقت نبيهاً في غاية النباهة، واسع الإملاء للأدبيات على أنواعها وأجناسها، يُملي أدبيات المصريين ومقاطعهم والقصائد الطَّنانة عن ظهر غيب، له أشعار كثيرة منها الإلهيات والنبويات والإخوانيات والمدح والمواعظ. ومن الإلهيات قوله[(٧)]:

يا من يُقيل عثار المذنبين أَقِلْ	عثار عبد به قد زلت القدم
قد قلت يا ربنا ادعوني استجيب لكم	فقد دعونا سميعاً ما به صمم
ماذا أقول لربي حين يسألني	عند الحساب ونار الله تضطرم
وقد أتيت بذنب ما يطيق على	حمل له يذبل كلا ولا نُقَمُ

ومنهم: حسن بن علي بن حسن النعمي (ت ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م)[(٨)]، كان من

---

(١) الشِّحْر: بكسر أوله وسكون ثانيه، موقع على ساحل حضرموت بين عدن وعمان. انظر. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٠. والحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٧. ونشوان الحميري، المصدر السابق، ص٥٣. وتسمى الآن الأشْغَاء. انظر. محمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٣، ص ٤٤٧.

(٢) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٢٤٢.

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٤. والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٤.

(٥) العقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٢٥١.

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١١. وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٧) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٠.

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٧. والمحبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤ – ٣٦.

فضلاء الزمن وأدبائه وشعرائه، وعندما قدم مساعد الحسني من مكة واليا على عتود وبيش وأعمالهما بأمر الشريف زيد بن محسن (١٠٤١/١٠٥٧هـ) ، أنشد حسن النعمي مبتهجا بقدومه قائلاً [١] :

أهلاً وسهلاً أقر العين مقدمكم ... ومرحباً يا سليل السادة النُّجب
تعطرت أرضنا واخضرَّ يابسها ... وافتر مبسمها عن لؤلؤ شنب
وماس مخلافنا في روضة وزها ... تيهاً على الغوطة الغراء من حلب

وعلي بن الحسن بن محمد النعمي (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) [٢]، كان يهتز للعلم والأدب، وله نظم ونثر جيدان، فمن شعره قصيدة نبوية [٣]، ونظم في مدح شرح الأزهار [٤] وهي :

درسة الشرح نزهة للنفوس ... وبها مرهم لداء وبوس
وهي أشهى لإلفها من سلاف ... قد أديرت على ندامى الكؤوس
ولها صورة بمنظر قلبي ... هي أبهى من صورة الطاووس
فاستمروا في درسها فالمعالي ... تتهادى في حالكات الدروس

ومحمد بن علي بن حفظ الله النعمي (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) [٥]، قيل عنه أنه : "كان جمال العلماء، وتاج الحكماء، سيداً جليلاً، وأديباً نبيلاً، علم المعاني الحسان، والناسخ من وشي البلاغة، له الشعر الرائق، والنثر الفائق "[٦]، وله ديوان شعر [٧] . ومن شعره في الغزل قوله :

من لقلب مزاجه الأهواء ... وعيون أودى بهن البكاء
أيها الرسم هل تجيب سؤالاً ... لمشوق أودت به البرحاء

وله في الغزل أيضاً قوله[٨] :

(١) المحبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤ – ٣٦ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢، ٤١٣ . والمحبي، المصدر السابق ،ج٣، ص ١٥٢ – ١٥٥ . والشّلي، المصدر السابق، ص٢٩٣ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٨٠ . وزبارة، ملحق البدر الطالع، ج٢، ص ١٦٢ .
(٣) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ .
(٤) المحبي، المصدر السابق ،ج٢، ص ١٥٢– ١٥٥ .
(٥) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٧– ٦٠ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٣٣٠ .
(٦) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٧– ٦٠ .
(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٠ .
(٨) الشّلي، المصدر السابق، ص ٣٣٠ .

سمحت بوصل المستهام العاشق هيفاء خصت بالجمال الفائق
من بعد ما شحت بطيب وصالها نحوي ولم تسمح بطيف طارق

والمطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م) [(١)]، كانت له قصائد جليلة القدر، ومنها قصيدة جامعة لسور القران الكريم يتوسل بها إلى الله أولها :

بفاتحة الكتاب أجب دعائي وزهراوي كتابك والنساء

ومنهم : محمد بن أحمد الأسدي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) [(٢)]، له مصنف في هذا العلم هو" شرح الكافي في العروض والقوافي " .

وحسن بن علي بن حفظ الله النعمي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) [(٣)]، الذي كانت له أشعار رائقة بديعة، ومن ذلك قصيدته التي أرسلها إلى علي بن هادي المنسكي معتذراً له بقوله [(٤)] :

ما بعد كتبي عن الأحباب نسيان وقطع وصلي لهم والله نسيان
وكيف أسلو من الأحشاء منزلهم والقلب ربع لهم والجسم أوطان

وعز الدين بن علي بن الحسن النعمي المولود سنة (١٠٣٢هـ/١٦٢٢م) [(٥)]، وهو أحد الشعراء المغمورين في القرن الحادي عشر الهجري بالمخلاف السليماني، وقد عمل قاضيا للحج للإمام المتوكل على الله إسماعيل، وحينما ذهب بصره وخشي انقطاع معاشه أنشأ قصيدة استعطافية للإمام يقول في مطلعها[(٦)] :

إليك يداً ذا العرش من متظلم رمته قسيُّ البين من غير ظالم
يمد يداً منه ويبسط أنملاً يبيح بشكوى من أسى وجرائم
تَبَصَّرتِ الأيام مني خلسة فصالت على جسمي برمح وصارم

---

(١) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٢- ٤١٨ .

(٢) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ . والبغدادي، هدية العارفين، ج٦، ص ٢٨٥ . وبامطرف، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٨٦ . وكحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٨ .

(٣) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٧ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٣٢٨ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٨٣ .

(٤) المحبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦، والشلي، المصدر السابق، ص ٣٢٨ .

(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٢-٤١٣ . والمحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١١ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٠٥ . وعبد الله بن محمد أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ط١،ع٣، س٣، النادي الأدبي – جازان، (١٤١٩ـ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م)، ص٦٥-٦٩ .

(٦) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١١ .

وعلي بن محمد بن أبي بكر الحكمي (ت ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) [١]، وله مصنف في هذا الفن أسماه الفتح المبين "[٢] . والحسن بن علي بن حسن البهكلي (١١٥٥هـ/١٧٤٢م) [٣]، كانت له أشعار غزيرة من أجوبة ورسائل، ومراسلات بديعة الفواصل[٤]، وكان شعْره في الطبقة العليا[٥]، قال عبد الرحمن بن الحسن البهكلي : " وكثير من أشعاره ورَسائله مدونة بأيدي من يتعلق بالأدب من أهل الجهة وغيرها "[٦]. ومن آثاره الأدبية قوله[٧] :

خليلي كم أخفي هوى لا أطيقه	**وأكتم حر البين بين ضلوعي**
وحبكما فيما تجن جوانحي	**من الوجد أو مما تفيض دموعي**
مبيتي على شوك القتاد مسهداً	**وماء جفوني من دم ونجيع**

ومنهم : أحمد بن محمد بن أحمد الأسدي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) [٨]، الذي قام بنظم شذور الذهب لابن هشام في أرجوزة أسماها " قلائد النحور بتنظيم الشذور " ، كما كان له اهتمام بالشعر الغزلي ومن ذلك قوله[٩] :

دع المدامة يعلو فوقها الحبب	**رضابه وثناياه لنا أدب**
نزه فؤادك من راح الكؤوس وخذ	**راحاً من الثغر عنها يعجز العنب**
شتان بين حلال طيب عذب	**وحامض يزدريه العقل والأدب**
إذا تغزلت في خمر وفي قدح	**فما مرادي إلا الثغر والشنب**
لله در مدام بت أرشفها	**من في غزال إلى الأتراك ينتسب**
مهند اللحظ زنجي السوالف لم	**تحو الذي قد حواه العجم والعرب**

ومن آثاره أيضاً قصيدة في مدح شيخه العلامة علي بن عبدالقادر الطبري نختار منها هذه الأبيات[١٠]:

---

(١) سبقت ترجمته في علم التفسير، ص ١٦٦.
(٢) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٩- ١٩١. والبغدادي، هدية العارفين ،ج٥، ص ٧٥٥ .
(٣) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ١٢٠- ١٢٧. والعقيلي ،أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص١١٣.
(٤) عبد الرحمن البهكلي، المصدر السابق، ص ١٢٣ .
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٣ .
(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٧ .
(٧) العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١١٣.
(٨) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ٣٢٥، ٣٢٦ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩، ٢٩٠ .
(٩) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥، والشلي، المصدر السابق، ص ٢٩٠ .
(١٠) الشّلي، المصدر السابق، ص ٢٩٠ .

من أين للبدر جزء من محياك أم للصباح نصيب من ثناياك
كل المحاسن في مرآك قد جمعت فجل من قد يحلي الحسن حلاك
المفرد العلم النحرير سيدنا الجوهر الفرد في فهمي وإدراكي
يا أيها البحر يا بحر العلوم ويا رحب العطايا ورحب السائل الشاكي
إليك نظماً غدا كالبدر منتظماً لكنه فاقه في حسن أسلاك

ويذكر العقيلي[١] في كتابه التاريخ الأدبي لمنطقة جازان في حديثه عن الأدب في القرن الحادي عشر الهجري أن هناك شعراء وأدباء سَجَّل وفياتهم صاحب العقيق اليماني وغيره، بلغ عددهم (٤٣) بين كاتب، وقاض، وأديب، وشاعر، إلا أن آثارهم اغتالتها يد الضياع "، إلا أن ذلك لم يكن واقعا لما ذكره، فقد أشارت المصادر المتوفرة بين أيدينا الكثير من نتاج أدباء فترة بحثنا القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي .

أما علم النثر فيشمل الرسائل الديوانية، أو الرسائل الإخوانية، أما الرسائل الديوانية : فهي الرسائل الرسمية من السلطان أو الأمير، وقد يكون منشوراً أو تقليداً بتولية أحد ما وظيفة معينة في الدولة، أما الرسائل الإخوانية : فهي التي تكون بين شخص ما وآخر . وفي فترة الدراسة ظهر العديد من الأدباء، وكانت لهم اليد الطولى في اللغة وفصاحة اللسان . ومنهم : إسماعيل بن محمد بن عبد القادر المحلوي (ت ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م) [٢]، كان يُعد من كبار كتاب الأشراف الخواجيين في صبيا، حيث عينه الشريف أحمد بن حسين الخواجي كاتباً ومستشاراً له، وقد استمر في منصبه في عهده، وأولاده من بعده، وقد وصفه العمودي بقوله: " كان الفقيه العلامة الأديب المنشئ السباق في مضمار الفصاحة والمعدود من أهل الأناءة والرجاحة ضياء الدين إسماعيل المحلوي، ملازماً للشريف حسين بن أحمد، وكان هو النائب عنه في رسائله وجواباته، والمعد لحوادثه ومهماته "[٣] . وأحمد بن علي بن الحسن النعمي[٤] الذي عمل خطيباً لجامع صبيا . وكان يبدع أساليب بلاغية وأدبية رفيعة يحرص عليها لإثارة المشاعر، وتحفيز النفوس لاستقطاب المستمعين، ونيل استحسانهم .فقد عَمِلت خطب الجمع والأعياد على استمرار النثر في المخلاف السليماني.

---

(١) ج١، ص ٣٦١ .
(٢) العمودي، تحفة القارئ والسامع، ج١، ص ١٥٢، ١٥٣ . وعلي البهكلي، المصدر السابق، ص ٣٦ .
(٣) تحفة القارئ والسامع، ج١، ص ١٥٢، ١٥٣ .
(٤) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٥ .

وانتشرت في المخلاف أيضاً – الرسائل والمكاتبات – كجزء من النثر آنذاك– ومن ذلك ما كان يدور بين العلماء أنفسهم، أو مع الطلاب داخل المخلاف وخارجه من استفسارات علمية أو فتاوي وما شابهها، أو رسائل الشوق والاطمئنان المتبادلة. و إبراهيم بن علي بن محمد النعمي (ت ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م) [١]، الذي قيل عنه" كانت له اليد الطولى في الرسائل والإنشاءات قدمته على أهل عصره بحسن عبارة، وفصاحة لفظ، ونباهة معنى، وقد ساعده السجع بلا كلفة "[٢]. وعمر بن محمد بافضل الجازاني[٣]، الذي أرسل نثراً أدبياً متمثلاً في سؤال عن شجرة التنباك إلى العلامة علي بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي. وحسن بن علي بن حفظ الله النعمي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) [٤]، الذي أرسل إلى صديقه علي بن الهادي المنسكي رسالة نثرية . والجانب الأدبي شعراً ونثراً، يحتاج إلى متخصص في علم الأدب يتولى الاهتمام بشقيه: جمعاً، وتحقيقاً، ودراسة .

٣. علم التاريخ.

أشارت بعض المصادر إلى عدد من المهتمين ببعض الجوانب التاريخية للمخلاف السليماني، ومن أبرز العلماء خلال القرن الحادي عشر الهجري، الذين كان لهم اهتمام بعلم التاريخ درساً، أو تصنيفاً على الوجه الآتي : محمد بن عيسى قلاص (ت ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م) [٥]، الذي " كان إخبارياً علامة " . ومنهم: حسين بن محمد بن يحيى الضمدي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) [٦]، الذي " كان له معرفة تامة بأخبار هجرة ضمد، وأخبار علمائها " . ولا يمكن الجزم بأن هذا العالم قد ترك آثاراً في هذا العلم. و علي بن الحسن بن محمد النعمي (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) [٧]، الذي كان يطلع على القصص المتقدمة والمتأخرة، ويعقد الحلقات لذلك . وعبد الله بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) [٨]، الذي نشأ في أسرة علمية ساعدته على التحصيل

---

(١) علي البهكلي، العقد المفصل، ص ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤ .

(٣) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٩٩ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص ١١٢ .

(٤) المحبي، المصدر السابق ،ج٤، ص ٥٧ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٣٢٨ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٨٣ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨١ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

(٦) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩– ٢٢٠ . والأكوع، هجر العلم ،ج ٣، ص ١٢٢٢.

(٧) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٢، ١٥٣. وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢ .

(٨) ابن الوزير، المصدر السابق ،ج١، ص٢٣٢. وابن القاسم، بهجة الزمن ،ج١، ص ٦٨٤. وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠ . وزبارة، ملحق البدر الطالع، ج٢، ص ٣١١ . وكحالة، معجم المؤلفين ،ج٢، ص ٢٦٤.

منذ وقت مبكر، وقد كانت له اهتمامات بعلم التاريخ كما بين ذلك إذ يقول [١] : " فإن علم التاريخ علم جليل تدعو الحاجة إليه، ويُعرف به أهل كل عصر وعظماء كل زمان والعلماء والفصحاء في كل أوان، وبه تُعرف الحوادث والأزمان، وأحوال الناس وأوقاتها والخلائق وصفاتها، ويَعرف المتأخر ما تقدم من قبيح وحسن فيختار لنفسه ما أراد واستحسن" . أما سبب تأليفه لهذا الكتاب فقد ذكر ذلك بقوله[٢] : " لمَّا رأيت أهل زماننا قلَّ تعويلهم عليه، نازعتني نفسي إلى حرفة العلماء والسلاطين والأئمة الكبراء والعلماء الماضيين، والسلف في بلادنا قد أضربوا عن هذا الفن صفحاً، وطووا دونه كشحاً، وألقوا هذا الفن وراءهم ظهرياً، وتركوه نسياً منسياً، هذا ولم يسألني أحد وضعه ولا كلفني جمعه، وإنما رأيت الحاجة داعية إليه، وحصلت في زماننا حوادث ووفيات أكابر وعلماء ولم يمض علينا وقت يسير إلا وقد نسيناه، فوضعت هذه التذكرة لي ولمن يرغب فيها من المسلمين" أما مصنفه في علم التاريخ فهو " العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني "[٣]، ابتدأه بسنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، واختتمه بسنة (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) . ولقد قام الدكتور علي بن حسين الصميلي بتحقيق قسم منه، ويعمل الآن على تحقيق القسم الآخر، ولقد استفدت منه كثيراً في دراستي لهذا البحث، ويعتبر المصدر الرئيس الذي اعتمدت عليه .

ومنهم : علي بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي (ت ١١١٤هـ/١٧٠٢م) [٤]، ومصنفه في هذا العلم هو " العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب" ، ابتدأه بسنة (١١٠١هـ/ ١٦٩٠م)، وهي السنة التي ولي فيها الشريف أحمد بن غالب إمارة المخلاف السليماني، واختتمه بسنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م)، وهي السنة التي ترك فيها الشريف أحمد إمارته وعاد إلى الحجاز[٥]، وقد مهد كتابه هذا الطريق لكتابات تاريخية أخرى في القرون التالية له . والحسن بن علي بن حسن البهكلي (ت ١٠٥٥هـ/ ١٧٤٢م) [٦]، أخذ العلم عن خاله علي بن عبد الرحمن البهكلي السابق الذكر في حلقاته في ضمد وصبيا، ثم رحل لطلب العلم إلى كل من اليمن ومكة، وبعد

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٦٣. والعقيلي، التاريخ الأدبي ،ج١، ص٣٧١ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٦٣، ص ٦٣ . والعقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٧١ .

(٣) ولهذا الكتاب اسم آخر هو " الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان" . انظر . ابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٦٠ . والبغدادي، إيضاح المكنون، ج٤، ص ٧٠٠ . والحبشي، مصادر الفكر، ص ٤٨٨ . والأكوع، هجر العلم، ج٣ ، ص ١٢٢٠ .

(٤) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٩١،٥٥ . والعقيلي، أضواء على الأدب ،ج١، ص ١١٢،١١١ .

(٥) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص٥٧. والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص١١١- ١١٣.

(٦) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص١٢٠- ١٢٧. والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء، ج١، ص١١٣- ١١٤.

أن أدرك نصيباً من العلم عاد إلى بلدة ضمد، ثم تولى قضاء جازان، ثم أسند إليه بعد ذلك قضاء أبي عريش، وله في هذا العلم[١] تاريخ منظوم في حوادث أيامه. و علي بن محمد بن أبي بكر الحكمي (ت ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م)[٢]، وله مصنف أسماه " لمع الأخبار بمقتضى الآثار للسالكين الأخيار" . وأحمد بن أبي الفتح بن صديق الحكمي (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)[٣]، وله في هذا العلم مصنف أسماه "نسمات الأسحار في ذكر أولياء الله الأخيار"، ذكر فيه أسماء مشايخه الذين أخذ العلم عنهم . وأحمد بن محمد بن أحمد الأسدي (ت١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)[٤]، وله في هذا العلم مصنف هو " الإعلام بأعلام بلد الله الحرام "[٥]، ولا يزال مخطوطاً بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٢٨ .

٤ـ بعض العلوم التطبيقية :

أـ علم الفرائض والحساب .

اشتهر في المخلاف عدد من طلبة العلم الذين كانت لهم اهتمامات بهذا العلم[٦]؛ فممن شارك من العلماء في هذا العلم، وكانت له اهتمامات سواء في مجال التدريس أو التصنيف هم: العالم:أحمد بن علي بن محمد الحكمي (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)، ومصنفه في هذا العلم هو" تسهيل الصعاب في علمي الفرائض والحساب"[٧].

ب : علم الطب .

اشتهر في الطب بالمخلاف السليماني عدد من العلماء ومنهم : المطهر بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م)[٨]، وهو من العلماء الذين لهم مشاركات في

---

(١) عبد الرحمن البهكلي، المصدر السابق، ص١٢٠- ١٢٧. والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) انظر الحبشي، مصادر الفكر العربي، ص ٣٢٣ .

(٣) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص١٦٤، ١٦٥ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٣٣٥- ٣٣٩ .

(٤) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤. والحبشي، مصادر الفكر، ص ٤٣٦ . وكحالة، معجم المؤلفين ،ج١، ص ٢٢٦. ومحمد الحكمي، المرجع السابق، ص ٢٨ .

(٥) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥،٣٢٦ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩ .

(٦) علم الفرائض : هو معرفة فروض الورثة، وتصحيح سهام الفريضة ؛ وذلك يحتاج إلى الحسبان . انظر . ابن خلدون، المصدر السابق ،ج١، ص ٤٨٣ .كما اهتمَ به بعَض طلبة العلم الذين لهم أعمالَ تجارَية، وما تتطلبه تلك الأعمال من معرفة بالحساب .

(٧) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٢، ٢٥٣ . والحبشي، مصادر الفكر العربي، ص ٤٩٤ . وليلى الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٥٧ .

(٨) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٥ . والأكوع، هجر العلم ومعاقله، ج٣، ص ١٢٢٠ .

جميع الفنون، وله مصنفه في علم الطب المسمى "طرفة الطب"[١]. وهو مفقود . وعبد الله بن علي بن محمد النعمان (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) [٢]، الذي ألف كتاباً موسوعياً ضم علوماً جمة، رَتَّبَه على فصول، واعتمد على ترتيبه ألفبائياً، تضمنها الفصل الثاني عشر بذكره أشياء عدَّها الأطباء من السموم ومصنفه هو " جواهر المغاص في معرفة الخواص "، ولا يزال مخطوطاً، وتوجد نسخة منه في جامع صنعاء القديم تحت رقم (٢١٩) [٣]. و أحمد بن مهدي بن يعقوب النمازي (ت ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م) [٤]، الذي وصفه النعمان بقوله "كان طبيباً ناصحاً بمدينة صبيا، انتفع به خلق كثير" [٥]، ولا يمكن الجزم بأن هذا العالم قد ترك آثاراً في هذا العلم . والهادي بن المهدي بن الهادي الحكمي (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) [٦]، ومحمد بن عبد القادر المحلوي (ت ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦م) [٧]، ويوسف العجمي[٨] .

ثامناً : إسهام العلماء في الحياة العامة

كان للتعليم في المخلاف السليماني هدف تعليمي سعى لتحقيقه عدد من العلماء الأفاضل الذين بذلوا جهوداً مذكورة من أجل تحقيقه، وسعوا إلى إنشاء مجتمع إسلامي مُتَحَلٍ بتعاليمه الفاضلة يسوده الأمن والوفاق، عن طريق إيجاد فئة مثقفة تحسن الفهم والتّفكّير والتّدبير، ويعرفون طريقة معالجة الأمور والمسائل التي يتناولونها بالبحث والتّمحيص وكيفية التغلب عليها، بالاعتماد على قدراتهم العلمية . وانعكست آثار التعليم على المجتمع بحيث زادت حلقاته العلمية التي كانت مركز إشعاع فكري وزاد عدد العلماء الذين وهبوا جُل وقتهم وجهدهم من أجل تعليم أبناء المخلاف وغيرهم، وتخرج على أيديهم مئات الطلبة الذين كان لهم دور فعَّال في رُقي مجتمع المخلاف بتعيينهم في وظائف اجتماعية ساعدت على تحسينه وتقويته وتطوره وازدهاره . وتوفرت العديد من العوامل التي منحت العلماء المزيد من الفرص للاطلاع عن كثب على أحوال المجتمع، والوقوف على العديد من القضايا والمشاكل الاجتماعية التي تواجه

---

(١) ابن الوزير، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٣٢ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٦٨٤ . وابن أبي الرجال، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٦٠ . وزبارة، ملحق البدر الطالع، ج٢، ص ٣١١ . وكحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص ٢٦٤ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٥٤ . وأحمد المشني، الشقيري، أضواء على تاريخها، ص ٨٠٧ .

(٣) أحمد المشني، الشقيري، أضواء على تاريخها، ص ٨٠٧ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٣ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٣ .

(٦) العقيلي، التاريخ الأدبي، ج١، ص ٣٨٠ .

(٧) المرجع نفسه، ج١، ص ٣٨١ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٤ .

الناس ؛وذلك لاختلاطهم المتكرر مع عامة الناس في المساجد والمناسبات الاجتماعية، إضافة إلى احتكاك الطرفين من خلال الوظائف التي أوكلت مهامها للعلماء وأنيط بها خدمة الناس ،كالتّعْليم والقضاء والفتوى وغيرها، فضلاً عن اختلاطهم بعامة الناس في الأسواق، بعد أن اعتمد بعضهم على التجارة [١]، أو القيام ببعض الحرف كمصدر للرزق[٢]، وهو ما حقق لهم الانتشار وبالتالي زيادة تغلغلهم وتأثيرهم على المجتمع . ومن هذا المنطلق كان للعلماء إسهام في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية .

١.الحياة الاجتماعية :

يُعَدُّ منصب القضاء أحد المناصب المهمة في المخلاف التي استحقها العلماء عن غيرهم، ولأهمية هذا المنصب فقد حرص حكام المخلاف على أهمية توفر المؤهلات العلمية لتولي هذا المنصب، وكانت الحلقات العلمية خير معين للحكام للوصول لهدفهم بيسر وسهولة، لتوفر العلماء المؤهلين من خريجي هذه الحلقات، والمزودين بسلاح العلم والمعرفة، لذا تطلع لهذا المنصب الكثير من طلبة العلم ؛ لما له من رزق يُصْرف من بيت المال في إمارة البلدة[٣]، ولارتباطه القوي بالسلطة السياسية [٤]، وللمكانة الاجتماعية المرموقة التي تمتع بها القضاة عند الحكام والمجتمع[٥] . وكما أن طلبة العلم في الوقت الحاضر يتجهون إلى التخصصات التي يرون أفضليتها للحصول على عمل بعد إتمام التعليم، فكذلك طلبة علم المخلاف خلال فترة البحث كانت لهم أهداف من التعليم ومن بينها الوصول إلى مرتبة تؤهل الطالب لتولي منصب القضاء[٦] . لذا فقد تولى هذا المنصب بعض خريجي الحلقات، كما توارثه بعض الأسر لفترة معينة[٧] . ومن الأدوار الهامة التي أداها العلماء تجنيب المجتمع ويلات الفتن والحروب، ومن ذلك أنه لمَّا تولى الأمين بن أبي القاسم شافع قضاء صبيا، حدث أن وقعت فتنة بين الأمراء الخواجيين في صبيا، وعندما علم الأمين بذلك عمل على محاورتهم وانتهى الأمر بينهم بالصلح [٨] .

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٢ .
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨١ .
(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١، ٣٧٠ .
(٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٥، ٣٣٦ .
(٥) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٩ – ٣٩٢ .
(٦) زين الشافعي، المرجع السابق، ٣٨٩، ٣٩٠ .
(٧) عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٥٥ . والعقيلي، أضواء على الأدب والأدباء ،ج١، ص ١٢٢. وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٣ .
(٨) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١ .

ومن العلماء الذين ساهموا أيضاً في القضاء على الفتن وحل المشكلات الاجتماعية الشيخ يحيى بن حسن النعمي، الذي أصلح بين قبيلة بني شعبة وأهالي وادي بيش نتيجة لفتنة حصلت بينهم سنة (١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م)، وبعد الصلح انتهت الفتنة[١] . والعلماء الذين كان لهم دور في القضاء على الفتن الشيخ أحمد بن المقبول الأسدي، الذي بذل قُصارى جهده للصلح بين أشراف صبيا الخواجيين[٢] . وهناك من حاول المحافظة على تماسك المخلاف أيضاً الشيخ إبراهيم بن هادي النعمي، الذي عمل جاهداً للإصلاح بين الأشراف الخواجيين والأشراف الحوازمة، عقب المذبحة التي وقعت سنة (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م)، وانتهت بمقتل رئيس الأشراف الحوازمة أحمد بن مقدام وآخرين معه نتيجة لخلاف على أرض ادعى ملكيتها كلا الطرفين[٣] . وكان هناك علماء لهم دور في خدمة المجتمع، فأبو القاسم بن محمد المرتضى[٤]، تولى قضاء صلهبة مدة خمسة وعشرين عاماً متصلة، ولم تقتصر جهوده خلالها على القضاء بقدر ما كان يصنعه للناس من إصلاح وفض النزاعات مما يدل على تمسك السلطة الحاكمة به، وربما ارتياح الناس لاستمراره في منصبه خاصة أنه اشتهر بأنه كان يصدع بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم[٥] .

وهناك العديد من علماء المخلاف أثنى عليهم بعض المؤرخين الذين أُعجبوا بما وصلوا إليه من تحصيل علمي، ومكانة علمية واجتماعية مرموقة . وكان بعض علماء المخلاف يجتمعون لمناقشة وبحث قضايا بعض الإشكالات المتأزمة وخاصة التي لا يرضى أحد طرفي النزاع بقرار القاضي فيها، فكانوا يعقدون اجتماعاً للبت في تلك المشكلة .[٦] كما ساهم الكثير من خريجي الحلقات في خدمة مجتمعهم من خلال توليهم لمنصب الفتوى، وقد يُضاف هذا المنصب للمدرسين، خاصة وأنها لا تتعارض مع عمله في المدرسة[٧] .

ونورد فيما يلي – على سبيل المثال – أبرز من تولى هذا المنصب ومنهم : الأمين بن أبي القاسم شافع[٨]، الذي انتهت إليه الرئاسة في التدريس والقضاء والفتوى بمدينة

(١) النمازي، المصدر السابق، ص ٦٨ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٤ .
(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٢ . الشرفي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٣ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٣ . وزبارة، خلاصة المتون، ج٤، ص ١٤٤ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٩ . والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٩ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٩ .
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١٠ .
(٧) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٢، ٣٩٣ .
(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٣٦، ٣٥١ . وزين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١ .

صبيا، وقد انتشر ذكره في كثير من المدائن والأمصار، حتى أن بعض علماء زبيد جاءت إليه فتاوي من المخلاف السليماني فأجاب عليها وفي آخر الجواب قال: عجبت لقوم يسألون من أرض الشام وعندهم الأمين[١]. والمطهر بن علي بن محمد النعمان، الذي وصفه النعمان بقوله:[٢] "أقام ببلده عاكفاً على العبادة والفتوى وعلى التأليف في الفنون"، "وهو المعول بعمله ورأيه وترجيحه عند علماء المخلاف"[٣]. ومن العلماء الذين جمعوا بين الإفتاء والتدريس أيضا؛ الحسين بن محمد الحسن النعمي[٤]، ومحمد بن عبد القادر المحلوي[٥]، ومحمد بن عيسى قلاص[٦]، وصديق بن محمد السلاط[٧]، وحسين بن أحمد الشبلي[٨]، وأحمد بن الحسن بن علي الحازمي[٩]، وأحمد بن عبده بن محمد النعمان[١٠]، وغيرهم.

ولم يقتصر إسهام العلماء في القرن الحادي عشر الهجري على المجالات السابقة، بل كان منهم – أيضاً – الأئمة الخطباء والمحتسبون والمحاربون للبدع الضالة في المجتمع وغيره. ومما لاشك فيه أن المجتمع بحاجة إلى طاقات مؤهلة في الجوانب السابقة الذكر، فالمساجد تحتاج لأئمة متعلمين، وخطباء مؤهلين ومزودين بثقافة دينية تساعدهم على استقطاب الناس والتأثير فيهم، والوقوف في وجه البدع والضلال، والرد عليها بحجج دامغة مبنية على أساس ديني صحيح. ولا شك أن للحلقات دورا كبيراً في تزويد المجتمع بمثل هذه القدرات. ففي مجال أئمة المساجد تولى هذه الوظيفة بعض الخريجين، فقاموا بها خير قيام، ومنهم على سبيل المثال، أحمد بن علي بن الحسن النعمي[١١]، الذي عمل خطيبا لجامع صبيا. كما تجلى إسهام خطباء المخلاف واضحاً للعيان في حماستهم المتدفقة، وانبرائهم للدفاع عن المعتقد الإسلامي القويم، وتنقيته من الزيف والشوائب، ومما ذكر من ذلك – مثلاً – مجابهة علماء صبيا لبعض علماء اليمن أثناء اعتراضهم على خطيب جامع صبيا في صلاة الجمعة لدعائه للخلفاء

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١.
(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩١.
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٩٢.
(٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٢.
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٧، ٣٥٨.
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨١.
(٧) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦١، والمحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤، والشلي، المصدر السابق، ص ٢٣٦.
(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ٣٥٢.
(٩) المصدر نفسه، ، مخطوط، ص ٣٥٨.
(١٠) المصدر نفسه، ، مخطوط، ص ٣٧٨، ٣٧٩. والمحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤.
(١١) المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٥، وابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢.

الراشدين مرتبين[١]، وإصرارهم على تقديم الدعاء لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه – على غيره من الخلفاء، فما كان من العلماء إلا أن وقفوا لهم وبينوا لهم فضل الخلفاء المتقدمين - رضوان الله عليهم – ومن ضمنهم علي – رضي الله عنه -، إلا أن ذلك لا يجيز لهم تقديمه على غيره الذين سبقوه في الحكم [٢].

ومن ذلك أيضاً ما قام به الشيخ الحسين بن محمد بن الحسن النعمي[٣]، أثناء قيامه برحلاته العلمية إلى اليمن وما حصل له من تلك الرحلة من خلاف مع السيد علي الناصري في صعدة حول مسألة التَّرضي عن عائشة[٤]، - رضي الله عنها –، فقد كان الحسين يُرَضِّي عنها إذا ذكرها، فيغضب علي الناصري من ذلك ويقول له: حُقَّ لك أن ترعى غنماً، ونتيجة لذلك تصدى له الحسين وأورد له الأدلة التي تدل على فضل الصحابة ومن ضمنهم عائشة – رضوان الله عليهم -، وقد أدت المناقشة في هذه المسألة في النهاية إلى عودة الحسين النعمي إلى وطنه في صبيا. ومن المدافعين أيضاً الشيخ أحمد بن علي بن مطير الحكمي[٥]، حيث كتب رسالة ذكر فيها أن الزيدية صاروا يخالفون كثيراً من أقوال الإمام زيد بن علي ولا يذهبون إلى أقواله مع انتسابهم في المذاهب إلى اجتهاده فكيف هذه النسبة مع المخالفة.

أما وظيفة الحسبة، التي لا تقل أهمية عن الوظائف الأخرى ،بل أنها من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان بالله تعالى إذ ذكره الله تعالى مقرونا بالإيمان به عز وجل، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس تَأْمُرون بالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عن الْمُنْكَر وتُؤْمنُونَ بِاللّه) [٦]، ولا يتولاها إلا من كان على درجة كبيرة من الاستقامة وحسن الخلق

(١) تقتضي العقيدة الإسلامية الصحيحة لدى أهل السنة والجماعة وجوب حب الصحابة وموالاتهم وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب، وعدم الغلو في حب أحد منهم. انظر محمد بن صالح بن عثيمين، المجموع الثمين في فتاوى الشيخ بن عثيمين، ج١، جمع وترتيب: فهد الناصر السليمان، دار الوطن. الرياض: ١٤١٠هـ، ص ٦٧. وأبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ط٣، مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٩١-٩٨.

(٢) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٩.

(٣) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٧-٢٠٩.

(٤) مذهب الشيعة عموماً غير الرافضة فهو غلو في أهل البيت وقد لا يتبرؤون من الصحابة. انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٧-٢٠٩. أما بعض الرافضة فإنهم يتبرؤون من الصحابة ويبغضونهم، ويغالون في أهل البيت وجاوزوا الحد في حبهم حتى عبدوهم مع الله، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية. انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ٢٠٩.

(٥) ابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٥٥٣.

(٦) آل عمران، آية، ١١٠.

حيث يشرف على قضايا الناس العامة[١]، ومن مهامها مراقبة التجار وأرباب الحرف والأسعار والموازيين لمنع الغش، إضافة الإشراف على الأسواق ومراقبة الأخلاق العامة وغير ذلك[٢] . وأشهر من تولى هذه الوظيفة في القرن الحادي عشر الهجري، علي بن محمد بن علي النعمان [٣]، وأحمد بن الحسن بن علي الحازمي ،الذي درس وأفتى وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر [٤]، والزين بن عيسى بن الأمين شافع، الذي أسند إليه التدريس والإفتاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٥] .

كما كان لعلماء المخلاف إسهام في بناء المساجد والزوايا وتعميرها سواء داخل المخلاف أو غيره من البلدان الإسلامية الأخرى، ومن ذلك - مثلاً – ما قام به الشيخ ياسين بن يوسف بن محمد العجيبي (ت ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م) ، من تعمير مسجد بالحقار[٦] . ولم يتوان علماء المخلاف في تتبع أحوال الناس واستقصاء كل ما من شأنه أن يقلقهم أو يُنغص عيشهم، طارقين أبواباً عديدة للوصول إلى هذا المأرب وتحقيق هذا الغرض، ومن ذلك – مثلا- الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان[٧]، الذي بعث رسالة إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل – خلال فترة الاستنجاد بهم - أفصح فيها عن معاناة سكان المخلاف جراء الأدب[٨] الذي يؤخذ من المتخاصمين، وكثرة الاسترسال في المجابي[٩]، فضلاً عن طرقه لقضايا أخرى تهم عامة المسلمين[١٠] . كما أسهم العلماء في خدمة المجتمع النصح والإرشاد، منتهزين الفرص المناسبة للنصح والتوجيه، وذلك من أجل تذكير الناس بربهم وتبصيرهم بقواعد الدين الإسلامي الصحيحة، وقد قام بهذه المهمة العديد من العلماء وطلبة العلم، وقد كان لجهودهم صدى وأثر عميق في نفوس الناس ،كما كان للكثير من الوعاظ والمرشدين أساليب في الإقناع والتأثير على الناس وذلك لبلاغتهم وسعة علمهم، مثال ذلك الشيخ عبد القادر بن أحمد بن صديق الحكمي الذي أسدى لتلميذه أحمد بن أبي الفتح بن صديق

---

(١) الجزائري، المرجع السابق، ص ٨٥ – ٩٠ . وسامي زين العابدين حماد، مصادر التشريع الإسلامي ونظم الحكم والإدارة في الإسلام، (د . ط)، دار العلم للطباعة والنشر – جدة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ .

(٢) عصام محمد شبارو، القضاء والقضاة في الإسلام، (د.ط)، دار النهضة العربية ـ بيروت، ١٩٨٣م، ص٢١ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٨ .

(٥) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٩١ .

(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٣ .

(٧) الجرموزي، تحفة الأسماع، ج١، ص ٥١٦- ٥٣٦ . والأكوع، هجر العلم، ج٣ ،ص ١٢٢١.

(٨) الأدب : غرامة مالية تفرض على من يقوم بأعمال فوضى وتمرد على الدولة .

(٩) المجابي : ما تجمعه الدولة من الرعايا من ضرائب وخراج وزكاة . انظر . ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٩ .

(١٠) ابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٤٩٩، ٥٠١ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٥١٦- ٥٣٦ .

الحكمـي، موعظة قـال فيها: [١]، " يا أحمـد اقرأ من القران كل يوم سـبع القران، ولا تـترك هذا السـبع من القرآن كل يوم إلا لعذر يبيـح ترك الجمعة والجماعة "، كما وجه لـه موعظـة أخرى قال فيهـا: [٢] " تهجد في جوف الليل بقدر جزء مـن القرآن، ولا تترك التهجـد في جـوف الليل إلا لعذر " . وأيـاً كان الأمر فقد كان رجال العلم يقومون بإسـداء النصـح إلى أهالي المخلاف إذا رأوا منهم ابتعاداً عن الدين، فهذا الشـيخ موسـى بن أبي القاسـم بن موسـى الحازمي[٣]، قام بتحذيـر النـاس من البدع التي ليسـت من الدين في شـيء، ونهاهم عن مخالفة كتاب الله وسـنة نبيه صـلى الله عليه وسـلم، كما أوضـح لهم حث الإسـلام على الزكاة وأنها ركن من أركانه، وعلى أهمية إخراجها. وقد شـمل النصح والإرشاد العلماء أنفسهم، حيث كان العلماء يناصحون بعضهم البعض من أجل تقوى الله ونشر العلم، ومن ذلك النصائح التي وجهها الشيخ عبد العليم بن الحسين بن محمد شافع (ت ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م) لزملائه بين فيها أهمية المذاهب السنية الأربعة ووجوب التمسك بها، وعدم الانجراف وراء التيارات المذهبية الأخرى التي ليس لها أساس من الصحة[٤] .

وعُنـي علماء المخلاف بتعريف الناس وإرشـادهم لبعض الأدعية والأذكار عند الصـلاة مثل الشـيخ عبد القادر بن أحمد بن صـديق الحكمي[٥]، والشـيخ محمد بن صديق بن محمد الحكمـي [٦] . وحـذر علمـاء المخلاف من بعضـ العادات الاجتماعية السـيئة، التـي نبه على تجنبهـا وحذر منها الدين الإسـلامي الحنيف، لمـا لها من خطورة في تفتيـت المجتمع وتفتيت أوصـاله، كاللعن والسـباب – مثلا – بسوق الأدلة النـاصـعة والبراهين الواضحة لإقناع الناس بترك هذا التصـرف الذميم، فهذا أحمد بـن علي بن محمد الحكمي يطبق هذا النهج قائلا: " واللعن فُحْش وتضجر وعجز ... ولم يكن اللعن من عادة السلف ولا الخلف الصالحين وإنما نحـن بهـم مقتدون" [٧] .كما حث العلماء على قيمة الصـداقة وأهميتهـا في انتظام العلاقات الاجتماعية[٨]، مشـددين على عـدم إيذاء أفراد المجتمع[٩] . وكان أبنـاء المجتمع من الفقراء والمحتاجين محل عطف العلماء ورعايتهم، فعُرف عن الشيخ علي بن محمد بن الحسن النعمي

---

(١) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤ . والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٧ .
(٢) المحبي، المصدر السابق ،ج١، ص ١٦٤. والشّلي، المصدر السابق، ص ٢٣٧
(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٥ .
(٤) زين الشافعي، المرجع السابق، ص ٣٨٧- ٣٨٩ .
(٥) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ .
(٦) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٨٢ .
(٧) ابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٥٧٣ .
(٨) المحبي، المصدر السابق ،ج٣، ص ٩٥ .
(٩) النعمان، المصدر السابق ، مخطوط، ص ٣٧٩ .

ـ مثلاً ـ محبته للفقراء وإكرامهم ،كما عرف ذلك أيضاً عن الشيخ ياسين بن يوسف بن محمد العجيبي[١]، والشيخ محمد بن أبي بكر القيراط [٢]، بل وصل الأمر ببعض العلماء إلى اقتسام غذائه مع بعض الفقراء كالشيخ أحمد بن عبده بن محمد النعمان [٣] .

ونهض بعض العلماء برعاية الأيتام حتى يشبوا ويتحملوا المسئولية، كالشيخ ياسين بن يوسف بن محمد العجيبي (ت ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م) [٤]، الذي كان يعول فقراء، ويعمل على تربيتهم وتعليمهم في زاويته المبادئ الأساسية من قراءة وكتابة ومبادئ الحساب وحفظ ما يمكن حفظه من القرآن ،حتى يصل إلى سن معينة يكون فيها قادرا على كفاية نفسه .كما سعى العلماء إلى توجيه الفرد ليصبح عنصراً فاعلاً في المجتمع لا عالة يعتمد على الآخرين، فحثوا الناس على العمل الشريف وترك التكاسل، ومع ذلك كله أصبح بعض العلماء أنموذجاً يُحتذى للناس في تعففهم عن قبول المنح والأعطيات[٥]، مع تشديدهم على أهمية الكسب الحلال[٦] . ومن إسهاماتهم الحث على مواصلة الأعمال للحياة الآخرة، والزهد في الحياة الفانية، وقد ذكرت المصادر التي أمكن الإطلاع عليها الكثير من العلماء الذين اشتهروا بالزهد والورع مثل علي بن محمد بن علي النعمان[٧]، وناصر بن أحمد بن عيشان النعمي[٨]، ومحمد بن الهادي بن يعقوب النمازي[٩]، وياسين بن يوسف بن محمد العجيبي[١٠]، وأحمد بن عبده بن محمد النعمان[١١]، وصديق بن محمد السلاط[١٢]، وغيرهم .

٢ـ الحياة السياسية :

كان علماء المخلاف خير مُعين للسلطة، ودعائم لها في الهيمنة على العامة وامتصاص غضبهم، ومن ذلك ما قام به علماء آل النعمي من دور واضح في تهدئة

(١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٧ .

(٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٣ . والعقيلي، التصوف في تهامة، ص ٢١١ .

(٣) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٠ .

(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٩ .

(٥) المصدر نفسه، مخطوط ،ص ٣٥٣، ٣٦٣ . والعقيلي، التصوف في تهامة، ص ٢١١، ٢١٢ .

(٦) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩١ .

(٧) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ .

(٨) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٩٨ .

(٩) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥٩ .

(١٠) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٣ .

(١١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٧٨، ٣٧٩ .

(١٢) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦١ .

أهـالي المخلاف عند تأزم مشـكلتهم مع الأغا درويش، التي انتهـت بقتله[١]، ومن ذلك أيضـا مـا قام به علمـاء آل الحكمـي، عندما تأزمت المشـكلة بين كاشـف المخلاف[٢]، الأمير جعفر بن أحمد، والأمير أحمد بن عيسـى القطبي، التي انتهت بأمانهم لكاشـف المخـلاف. كما قام علماء آل الحكمي والقاضـي أحمد بن المقبول الأسـدي بالوسـاطة بـين الأمـير جعفر بن أحمد، وسـكان وادي جازان بعد خروجهم إلى وادي صـبيا جراء وصول القوات التركية من الحجاز مدداً للأمير جعفر بعد هزيمته على يد الأمير أحمد القطبي، وبالوسـاطة بينهم عاد السكان إلى أوطانهم [٣]. وقد رأت السلطات العثمانية أهمية إقحام علماء المخلاف في بعض مشاكله السياسية المتعددة لتحظى هذه السلطات بكسـب ود العلماء وتأييدهم، وبالتالي كسب الرأي العام في المخلاف لصفهم ومن ذلك ما فعله كاشـف المخلاف الأغا علي التارخي، عندما اصـطحب معه القاضـي أحمد بن المقبـول الأسـدي، والعلماء آل الحكمي، لمناقشـتهم حـول الفتنة التي وقعت في صـبيا، وكيفية القضاء عليها[٤].

وأُسلوب المناصحة للحكام من أبرز إسهامات العلماء لكشف معظم ما أعضل عليهم، أو استجد من قضايا تتعلق بسياسة الدولة وإدارتها للبلاد[٥]، وتتحفنا المصادر المتوفرة لدينا بمعلومات وافرة عن جهود العلماء في هذا الجانب، سـيما في القرن الحادي عشر الهجري، سـواء خلال فترة الحكم العثماني، أو عهد أئمة اليمن فترة الاسـتنجاد بهم، ومـن ذلك ما ذكره مؤرخنا عبدالله النعمان من قيام علماء المخلاف وتجاره ومزارعيه من رفض لتصـرفات كاشـف المخلاف الأغا درويشـ جراء الأعمال التـي اتخذها من مصادرة للأراضي وإنهاك للسكان بالضرائب - الغير شرعية - ثم شكايتهم إلى الوالي العثماني في اليمن فضـلي باشا الذي لم يشـكيهم فيه، مما أدى في نهاية الأمر إلى قتل كاشـف المخلاف الأغا درويش بصـبيا على يد الأهالي[٦]. ومن علماء المخلاف الذين دأبوا على مناصـحة الحكام ،والإنكار على تصـرفات ولاتهم المخالفة أيضاً عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان الذي استخدم سلاح التوجيه والنقد في ذلك ،كرسالته لإمام اليمن المتوكل على الله إسـماعيل التي اشـتملت على العديد من الأسـئلة التي سـطرها

(١) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٦٤.
(٢) النعمان، المصدر السابق، محقق، ص ٣٢٧ – ٣٣٣.
(٣) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٥١- ٣٥٣.
(٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٣٣٤.
(٥) الأكوع، هجر العلم، ج٣، ص ١٢٢١.
(٦) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٢.

نظماً ونثراً، ومن ذلك قوله [(١)]:

سـؤال إلى أعـيـان أهـل المذاهـب ... ومـن عـنـده فـهـم لأهـل المذاهـب
ومن غاص في بحر الأصولين فانتهى ... إلى المـنتهى منها وأعلى المـراتب
إذا لم يجد مـن قـام لله ناصـراً ... يُنفـذ حكم الشـرع في كل طالب
وأعياه أن يمضيٍ على السيرة التيٍ ... عليها مضى الأخيـار كل المذاهب
فأصبح ركن الشَّرْع والـدين واهياً ... لـذلك والأحـكـام في رأي صايب
ويجعل هـذا الأخـذ مـن بعد مفسد ... لدفـع أهـم مـنـه عـنـد النـوائـب
ويأخـذ قـدراً مـنـه فيمـا يظنه ... على السنن المقبول من غير عاتب
فـذا الـعـلـم آي مُحْـكَـمـاتُ وسُـنَّـةُ ... فريضـة عـدل مـا عـداهـا فـآيب
وليس لنا بالعقل تحليل حرمـة ... ولا غير ما يأتي مـن الله أو نبي
فقد كمل الـديـن الحنيف وبيـنَّت ... لنا السُّنة البيضاء عن شك رائب
فـمـن يقف في قـول وفـعـل ونـيَّـة ... سـوى أثـر المختـار يعـزئ لكـاذب
وليس على شيء من الدين والهدى ... فخذ بالذي ترضى به غير هائب
فكل من القصدين ياصاح قد نحا ... فـريـق مـن الشّـم الكـرام الأطـايب
فقد قال خير الرسل وهو مصدق ... بـمـا قـال في أخبـاره بالـغـرائب
بـدا الـديـن في أصـل غـريب وهكذا ... يـعـود فطوبى للغريب المواظب
فـوفُّـوا لـنـا ذا الاجـتـهـاد وحـقـه ... من البحث في طرق الدليل الثواقب
ولا تغفلوا شـيـئـاً بـحـق فإنني ... شـهـي إلـيـه راغـب أي راغـب
وحلوا لنا ما حل في القلب شبهة ... تصير علينا حجة للنواصب
وإلا فقولوا الحـق هـذا تعـارض ... يوفق فيه من حظي بالغرائـب

ثم قال: " اعلم وفقني الله وإياك أن هذه الاعتراضات إنما تصدر ممن صدره ضيق حرج عن المحامل الحسـنة، أو ممن لا خبرة له بالمقاصد المستحسنة ... والذيٍ في النفس منه الشـيء الكثير عدم التسـوية بين الرعايا في المأخوذ، وهو إنا نجد كثيراً من القبائل عليهـم مطالـب لا تنفك شـهرية أو يومية، وبعض القبائل في كثير مـن الأقطار في غاية الإراحـة ... وأمـا العمال والولاة فهـم فريقان: فريق من التقـوى والخوف لله على جانب عظيم، يراقب فيما يأخذ ويذر مراقبة الأئمة في الخوف لله تعالى ولا يتبع هوى نفسه، ولا تأخذه في حق الله لومة لائم، وفريق همه تحصيل ما يدخره من المال لنفسه، ويكسبه على

---

(١) الجرموزي، تحفة الأسماع، ج١، ص ٥١٦-٥٣٦ .

أي وجه، فيجعل صورة هذه الآداب والقوانين سبباً وذريعةً إلى تحصيل المال... "[١] .

ومن العلماء أيضاً الذين كان لهم إسهام في رعاية مصالح الناس علي بن محمد بن الحسن النعمي فقد كان ساعياً في قضاء حوائج المسلمين، ويصدع بالحق عند ولاة الأمر لا تأخذه في الله لومة لائم[٢] .

ولم يقتصر دور العلماء في الإنكار على تصرفات الحكام والولاة فقط بل شملت جوانب الحياة المختلفة ومن ذلك القيام برعاية المصالح العامة للناس، ومن ذلك ما قام به صوفية[٣] أبو عريش الذين" تبوأوا الكثير من أبنائها الإصلاح بين الناس، والسعي في الصالح العام، وبذل الجاه في قضاء أمور الجمهور، والشفاعات فيما ينوبهم لدى الحكام، يُحْتَرم جاههم وترعى حرماتهم، وهم في موضع المحبة والتجلي من الجمهور، والحكام، والوافدين" [٤]. ولهذا فإن الصوفيين كانوا يعيشون حياة روحية معتبرة، ويرون لهم زعامة محلية فريدة، كانت وراثية غالبا [٥]، بل كان لهم في هذا النفوذ الروحي المكاني، مكانة اجتماعية يقدرها الحكام ويحترمونها[٦]، لذا فقد ساند حكام المخلاف صوفية أبو عريش، وأظهروا لهم الإجلال والتقدير، خوفاً على مركزهم الروحي والسياسي لدى العامة[٧] . وللصوفية تأثير من جهة ممارستهم ضغوطاً أحياناً على بعض الحكام، وأصبح هؤلاء يحسبون لهم حسابات كثيرة فيما يرضيهم ويسخطهم[٨]، وذلك لمقامهم الرفيع لدى العامة، إذ كانوا يستطيعون إثارتهم وتحريكهم على أولئك

---

(١) الجرموزي، تحفة الأسماع، ج١، ص ٥١٦- ٥٣٦ .

(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٦٧ .

(٣) التصوف : طريقة تعبدية ابتدعت في القرن الثاني الهجري، وهي العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها . انظر . ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٥١٤ . وقد كانت بدايات ظهوره في بلدان المخلاف السليماني خلال القرن السابع الهجري . انظر . العقيلي، التصوف في تهامة، ص١١٣. وقد وجدوا في بلدان المخلاف مرتعاً لهم، ومقاماً لحياتهم الدينية، بعيداً عن ضجيج الحياة وقلاقل الحكام. انظر . عبدالله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن ،(د. ط)، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ص ٢١ .

(٤) أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٥١ .

(٥) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٥٨ .

(٦) كان حكام المخلاف يعاملون صوفية المخلاف باحترام وتقدير ومهابة، ومن ذلك قيام الأمير أحمد بن عيسى القطبي بزيارة لأحد صوفية المخلاف في منزله وهو يوسف بن محمد العجيبي . انظر . النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥٣ .

(٧) محمد حاوي، المرجع السابق، ص ٥٨ .

(٨) المرجع نفسه، ص ٥٨ .

الحكام[١]. واشتهر بهذه النزعة الصوفية العديد من أُسر المخلاف الشافعية المذهب من آل الحكمي، وآل الأسدي وغيرهم فمن أشهر علماء الصوفية الذين حظوا بالإجلال والتقدير لدى حكام المخلاف عبد القادر بن أحمد بن صديق الحكمي، الذي وصفه النعمان بقوله: " كان رجلاً صالحاً مباركاً ديناً ورعاً زاهداً، ملازم العبادة والمسجد، صاحب كرامات ومكاشفات، كان باذلاً لجاهة عند الملوك وغيرهم، مقبول الشفاعة عند الأمراء "[٢] .

كما شارك علماء المخلاف في الحفاظ على مخلافهم من خلال مشاركتهم في المناقشات التي تتعلق بكيان المخلاف واستقلاله، ومن ذلك ما ذكرناه سابقاً من تعاونهم مع أئمة اليمن لإخراج الأتراك العثمانيين من المخلاف الذي تم فعلاً من خلال تعاونهم، فقد كان علماء آل النعمي ضمن الوفد الذي خرج لمناقشة ولاة اليمن حول الترتيبات التي سيتم اتخاذها في المخلاف بعد خروج العثمانيين[٣] . ووكل لبعض علماء المخلاف العديد من المهام ومن ذلك ما أسند إليهم من وظائف إدارية في المخلاف وغيره، فقد أوكلت إدارة بندر جازان إلى القدري بن عيسى بن عقيل الزيلعي (ت ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م) [٤]. وممن أسندت لهم الإدارة أيضا عز الدين بن دريب بن المطهر العماري[٥]، الذي ولي الولاية على الطويلة من قبل الإمام المؤيد بالله محمد .

ونجد هناك العديد من العلماء الذين كانت لهم القدرة على مجابهة السلطة السياسية الحاكمة غير مبالين بمكانتهم السياسية وعواقبهم التي تكون - في الغالب - وخيمة، وإنما كان وقوفهم من باب إعادة الحق إلى أصحابه، ومن الأمثلة على ذلك محاولة شريف صبيا محمد بن حسين بن أحمد الخواجي إحياء أرض في وادي جازان إلا أن الأهالي منعوه من ذلك، وكادت الحرب أن تقع بينهم، فرُفع أمر المشكلة إلى قضاة المخلاف الذين اجتمعوا للبحث والتحقيق في تلك المشكلة، وكان القضاة من مختلف مراكز المخلاف من بينهم القاضي عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان، والقاضي محمد بن المرتضى شافع، والقاضي محمد بن أبي القاسم القبة النعمي، وغيرهم من القضاة، ونتيجة للبحث والتحقيق في هذه المسألة انتهى الأمر في ذلك إلى

(١) المرجع نفسه، ص ٥٨ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٥١ .
(٣) النمازي، المصدر السابق، ص ٧٠ .
(٤) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤٠٧. والنمازي، المصدر السابق، ص ٧٦ .
(٥) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٠، ٢٠١ .

ملكية الأرض المتنازع عليها لأهاليها ولا يمكن لشريف صبيا التصرف فيها[١] .

وأسند لبعض علماء المخلاف القضاء و التدريس في البلاد التي يرحلون إليها، وذلك بعد ثبوت جدارتهم بذلك، لا سيما وأنهم لا يرحلون – غالبا – حتى يأخذوا قدراً وافياً من العلوم في مراكز المخلاف، ومنهم القاضي أبو القاسم بن صديق الضمدي، الذي تولى القضاء في زبيد من قبَل الإمام المتوكل على الله، الذي قال لأهل زبيد إذا ظلمكم الوالي فأشكوه إلى القاضي أبو القاسم، وذلك لإنصافه، وقد بقي في هذا المنصب حتى وفاته (عام ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م) [٢]، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عمر النعمان[٣]، الذي تولى القضاء في زبيد والمخا، للإمام المتوكل على الله إسماعيل، إلى جانب الشيخ عز الدين بن دريب بن مطهر العماري[٤]، الذي أسند إليه قضاء الطويلة بعد عزله عن منصب الولاية من قبل الإمام المتوكل على الله إسماعيل .

ومن العلماء من عمل مرافقاً للحجيج إلى المشاعر المقدسة، ومن الأمثلة على ذلك تولية الإمام المتوكل على الله إسماعيل للقاضي عز الدين بن علي بن حسن النعمي[٥]، قضاء الحج اليمني، فكان يعقد الدروس، ويستقبل استفسارات وأسئلة الحجاج، ويفصل بين المتخاصمين، وقد ظل في هذا المنصب من عام (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) إلى عام (١٠٨٢هـ/١٦٧١م) . وأيضا : حسين بن محمد بن علي النعمي[٦]، الذي عمل مدرساً بصنعاء، وكذلك أحمد بن محمد الأسدي [٧]، الذي تصدر للإقراء بالمسجد الحرام، إلى جانب ابنه محمد[٨]، وكذلك أحمد بن أبي الفتح بن صديق الحكمي[٩]، والشيخ أحمد بن حيدر العريشي[١٠] .

---

(١) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٤١٠، ٤١١ .

(٢) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤، ٨٥ . وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ص ٦٣١ . والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢١٢ . والبحر، المصدر السابق، ص ٨٦ .

(٣) الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٢٣ . والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ٣٥٨ . والأكوع، هجر العلم، ج٣، ص ١٢٢١ .

(٤) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٠، ٢٠١ .

(٥) ابن أبي الرجال، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٢ . والجرموزي، تحفة الأسماع ،ج١، ص ٢٠٥ . والمحبي، المصدر السابق،ج٣، ص١١٠-١١٣ .

(٦) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٨، ١٧٩. وابن القاسم، بهجة الزمن، ج١، ٦١٢، والجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ج١، ص ٢٠٤ .

(٧) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٣ .

(٨) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٥ . والشلي، المصدر السابق، ص ٢٨٩- ٢٩١ .

(٩) المحبي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤، ١٦٥، والبغدادي، هدية العارفين، ج٥، ص ١٥٨ .

(١٠) النعمان، المصدر السابق ، مخطوط، ص ٣٨٢ .

ولبعض العلماء مهمات خاصة ،كأن يكون مستشاراً للسلطة الحاكمة ومن هؤلاء مثلاً إسماعيل بن محمد بن عبد القادر المحلوي، الذي كان كاتباً ومستشاراً لشريف صبيا حسين بن أحمد بن عيسى الخواجي وأولاده من بعده في تدبير شؤون الإمارة[١]، ومنهم من كان يقوم بما يُعرف بالسفارات يحمل رسائل أشراف صبيا إلى أئمة اليمن، وممن قام بهذه المهمة القاضي إبراهيم بن هادي القبة النعمي [٢]، كما قام بهذه المهمة العلامة يحيى القبة النعمي[٣] . وهذا يدل على أن العلماء كانوا يعملون سفراء في مهمات خاصة، وقد لا يطمئن الحكام إلا لمثل هؤلاء العلماء لأمانتهم وقدرتهم على الإقناع . في حين اقتصرت بعض مهماتهم على مرافقة الحكام في حلهم وترحالهم، ومن ذلك[٤] – مثلاً –، ما قام به شريف صبيا محمد بن أحمد بن حسين الخواجي، من زيارة لإمام اليمن، وقد كان برفقته في تلك الزيارة طبيبه يوسف العجمي، والقاضي علي بن المرتضى بن حاتم شافع، والقاضي محمد بن أبي القاسم القبة النعمي .

تاسعا : الخاتمة :

أنجزت هذه الدراسة التي تضمنت الحياة العلمية بالمخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وتمخضت عن النتائج التالية: تناولت هذه الدراسة جانباً هاماً من تاريخ المخلاف الحضاري، وهو المجال العلمي إدراكا لأهمية دراسة تاريخ التعليم في مجتمع المخلاف السليماني لمعرفه نموه الثقافي والاجتماعي . ووجدنا أثر العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في العملية التعليمية، فمن حيث العامل الجغرافي احتل المخلاف السليماني مركزاً هاماً في شبه الجزيرة العربية لتميز موقعه بين مركزين من مراكز الحضارة الإسلامية وهما اليمن والحجاز ، فكان له تأثيره على الحياة العلمية نظراً لمرور علماء اليمن وغيرهم بمدن المخلاف ذهاباً وإياباً الأمر الذي أتاح لطلابه الالتقاء بهم والأخذ منهم، فكان لهذا الموقع الجغرافي أثره الكبير على الحياة العلمية منذ القرون الهجرية الأولى وحتى الوقت الحاضر.

أما العامل السياسي فكان المخلاف من ضمن الأقاليم التي وقع تحت السيطرة العثمانية منذ عام (٩٤٥هـ/١٥٣٨م)، مع وجود أشراف المخلاف من آل القطبي وآل الخواجي الذين ظلوا يحكمون أجزاء منه تحت التبعية العثمانية، ولإحكام الدولة

(١) العمودي، المصدر السابق، ج١، ص ١٥٢، ١٥٣. وعلي البهكلي، العقد المفصل، ص ٣٦ .
(٢) النعمان، المصدر السابق، مخطوط، ص ٣٧٥ .
(٣) مصدر نفسه، مخطوط، ص ٤٠٩ .
(٤) المصدر نفسه، مخطوط، ص ٤١٤ .

العثمانية قبضتها على الإقليم اتخذت العديد من الإجراءات للحد من سلطة أشرافه بإيجاد سلطة ثنائية ترتكز على الوالي، إضافة لتحديد صلاحيات الأشراف في محاولة من الدولة لإبعاد أي فكرة لمحاولة الاستقلال ولإثارة المنافسة بينهم، وعملت الدولة العثمانية على إحداث تغيرات كبرى في النواحي السياسية والإدارية والاجتماعية في المخلاف خلال هذه الفترة كان من شأنها أن أحدثت نوعاً من الهدوء النسبي، ومن المعلوم أن الاستقرار السياسي في البلاد لابد وأن يتبعه نشاط علمي وثقافي، وهذا ما حدث في المخلاف خلال فترة بحثنا، وبعد خروج العثمانيين من المخلاف سنة (١٠٣٦ هـ/١٦٢٦م)، رجع الحكم فيه إلى أسره المحلية ممثلاً في الأشراف آل القطبي وآل الخواجي، وما تبعه من نزاع وانقسامات وفوضى كلٍ هذا أدى إلى انشغال حكامه وولاة أمره عن الاهتمام بالتعليم، مما جعله تعليماً أهلياً يعتمد على جهود عدد من العلماء والفقهاء الذين نذروا أنفسهم لخدمة العلم وطلابه. وكان للإمكانيات الاقتصادية الجيدة التي يملكها المخلاف السليماني أثرها في تحديد المستوى المعيشي للسكان الذي بدوره حدد مدى الإقبال على التعليم والاستمرار فيه، حيث أن أبناء الأسر الموسرين مادياً كانت تتاح لهم فرصة التعليم في حلقات الدرس وما يتبعها من رحلات علمية للاستزادة منه.

لقد أدى التكوين الاجتماعي للمخلاف إلى تركّز التعليم في فئات خاصة في الحاضرة دون البادية حيث أقبل أبناء المدن والقرى القريبة منها على أماكن التعليم من أجل التعلم، أما البادية فقد كاد ينعدم التعليم فيها، وذلك لطبيعة الحياة البدوية التي تمثلت في التنقل والترحال والارتباط الشديد بالصحراء والتحرر من أي ارتباط، ولقد كان من الصعب إخضاع البدوي لنظام مشترك ما دام يعيش هذه الحياة البدوية. وقد امتلأ المخلاف خلال فترة الدراسة بالعديد من العلماء الوافدين إليها، كما تعددت أسباب وفادتهم فمنهم من رغب الاستقرار فيه نتيجة للهدوء السياسي ومنهم من استقر فيه نتيجة للرخاء الاقتصادي، وقد اختلفت درجة استقرار العلماء الوافدين إلى المخلاف، فمنهم من بقي فيه حتى وفاته، والبعض الآخر استقر فترة طويلة أو قصيرة ثم عاد لموطنه الأصلي. وظهر في المخلاف عدد من المراكز العلمية التي كانت مركز إشعاع علمي وفكري يؤمه طلبة العلم، ويعود ظهورها إلى عوامل متعددة، سياسية واستراتيجية واقتصادية واجتماعية، وقد ساهمت هذه المراكز مساهمة فعَّالة في النهوض بالتعليم في المنطقة، وكان يشد إليها الرحال من قبل طلبة العلم للدراسة على أيدي علمائها ومشايخها، ومن أهم هذه المراكز العلمية مركز مدينة أبو عريش عاصمة المخلاف، التي كان يفد إليه العديد من الطلاب في المخلاف، وكان به علماء

كبار ساهموا بدور فعال وكبير في رفع شأن التعليم في المخلاف وتقدمه. ويأتي مركز صبيا حاضرة الخواجيين في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، ولقد حظي بعدد من الأسر العلمية مثل: أسرة آل شافع ،وآل النعمي، وآل الديباجي، وآل النمازي، وآل السبعي، وقد تفاوتت أعداد علماء هذه الأسر العلمية، وكان به عدد من العلماء الوفدين الذين كان لهم الفضل الكبير في النهوض بالتعليم فيه، ثم يأتي مركز ضمد في الدرجة الثالثة من حيث الأهمية العلمية وذلك لأنه يأتي الأقل عدداً من العلماء عن المراكز الأخرى، ولقد كانت لأسرة آل النعمان الدور البارز في الساحة العلمية فيه ولم يكن لها منافس في ذلك.

وكان التعليم في المخلاف السليماني يُلقن عن طريق المساجد والزوايا، فيتعلم فيها الطالب العلوم الشرعية بجميع فروعها كالقراءات والتفسير والحديث والفقه إلى جانب علوم اللغة العربية والفرائض والحساب والفلك، كما تُرك لطالب العلمٍ الحرية في اختيار المدرس والتخصص الذي يريده حيث يقضي سنوات تعليمه مرافقاً له ومتابعاً لدروسه، وشملت الدراسة جميع العلوم، ووجد العديد من العلماء الذين نبغوا في هذهٍ العلوم، ولمٍ يقتصر الأمر على دراسة تخصص واحد دون غيره وقلما نجد دارساً يجمع علماً واحداً فقط بل كان يجمع بين اثنين وثلاثة وأكثر من ذلك . كما عُرف أهل المخلاف بحبهم للعلم وتفانيهم من أجله، وكانوا حريصين أشد الحرص على تلقيه من أفواه العلماء وأهل العلم، وعُرفوا بعلو الهمة والصبر والمثابرة على تحصيل العلم ونيله، وتحملوا المشاق والمتاعب من أجله ؛ فكانوا يشدون الرحال إلى مراكزه فعُرفت عنهم الرحلات العلمية إلى كل من اليمن ومكة المكرمة من أجل التزود بالعلم، وتحملوا من أجل ذلك مشاق السفر وخطورته، وحاجة كثير منهم إلى الجمع بين التعليم والعمل في هذه البلدان لتوفير المال اللازم للمعيشة وشراء الكتب، وحقق القسم الأكبر من هؤلاء الطلاب أهدافهم من هذه الرحلات بنيل قسط كبير من العلم، وجلب كتب نفيسة غير موجودة في بلادهم، والحصول على إجازات من شيوخهم الذين درسوا عليهم، وعادوا إلى بلدانهم يحملون العلم، ويتحلون بالفضائل الجليلة، وكان فيهم علماء عاملون وقضاة عادلون قضوا حياتهم في نشر العلم ونفع العباد وحمايةٍ العقيدة، في حين فضل بعض طلبة علم المخلاف الدراسة والبقاء في المخلاف بدلاً من شد الرحال لطلب العلم مكتفين بالتزود من العلماء الوافدين إلى المخلاف .

لم يكن التعليم في المخلاف يسير وفق طريقة معينة أو نهج تعليمي منظم صادر من جهة معينة يسير عليه المدرسون في تدريسهم، بل كان يعتمد على جهود رجالات العلم الذين يقومون به حسب قدراتهم وإمكانياتهم المتاحة، بحيث استخدم بعض المدرسين في تدريسه طريقة السَّماع التي تُعد أرفع الطرق عند الجماهير، وللسماع

أنواع عديدة، منها السَّماع تحدثاً عن طريق حفظ المدرس دون العودة إلى كتاب، التي تُعد أعلى مراتب التعليم عند علماء الحديث ،كما استخدم هذه الطريقة علماء الفقه واللغة، ومن أنواع السَّماع أيضاً الإملاء الذي يُعد أفضل أنواعه وأصَحها، ويكون الإملاء من كتاب أو من حفظ العالم، ومن أنواع السماع كذلك أسلوب السؤال والجواب التي كان لها الأثر في رفع المستوى التعليمي عن طريق إنعاش ذاكرة المتعلم وحُسن ابتكاره وجودة تعْليله . في حين استخدم بعض المدرسين في تدريسه طريقة الحفظ التي تركزت على التلقين والمشافهة في التدريس معتمداً فيها على سرد درسه العلمي على ذاكرته التي يكتسب فيها الطالب علومه بطول ملازمته لمدرسه . وعُرفت طُرق التَّعلم طريقة الإجازات العلمية شأنها في ذلك شأن سائر الأقاليم العربية المجاورة، وهي الرخصة التي يمنحها العلماء لطلابهم بعد طلب العلم عليهم، وهي تشبه ما يُعرف في وقتنا الحاضر بالشهادات العلمية . وتنقسم هذه الإجازات العلمية إلى قسمين إجازات علمية داخلية يحصل عليها الطالب من علماء المخلاف أنفسهم، وإجازات علمية خارجية يحصل عليها من علماء خارج منطقة المخلاف مثل اليمن ومكة، وفي بعض الأحيان يكون للطالب أكثر من إجازة داخلية أو خارجية .

لم يكتف علماء المخلاف بتدريس العلوم في حلق الدرس فحسب بل اتجهوا إلى التصنيف في الكثير من العلوم التي انصبت في الكثَير منها على الشروح والاختصارات للكتب السابقة، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور تصانيف جديدة في علوم شتى، وقد شملت موضوعات التصنيف في العلوم التفسير والحديث والفقه والنحو والأدب والتاريخ والفرائض والحساب والطب، وهو ما اتضح جلياً في الحديث عن العلوم . وكان للعلماء إسهام كبير في إصلاح أحوال مجتمع المخلاف بالنظر في قضاياه الاجتماعية والسياسية، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها وذلك من أجل تجنيب المجتمع ويلات الفتن والحروب، وعملوا على القيام برعاية المصالح العامة للناس، فضلاً عن دورهم البارز في محاربة البدع الضالة، والدفاع عنها أمام أعدائها، وغير ذلك من الخدمات الأخرى التي كان لهم إسهام فيها، فكفلوا للمجتمع حق الحياة الآمنة المستقرة .

ومن نتائج التقدم العلمي في المخلاف زيادة عدد الدارسين الذين ساهموا في الوظائف الاجتماعية و الدينية فزاد عدد المدرسين والقضاة وأئمة المساجد ورجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واضطلع علماء المخلاف بدور هام في المجال السياسي من حيث المشاركة في إخماد بعض الفتن والثورات السياسية . وعملت السلطة المحلية على تقريب العلماء والقبول بآرائهم ونصحهم، كما عملت على توليتهم العديد من الوظائف الإدارية والقضائية .

عاشراً: المصادر والمراجع :

أولاً : المخطوطات :

١. الشريف، أحمد بن محمد: اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية ،ج٣، نسخة مخطوطة، مكتبة محمد جابر الخالدي – بني مالك، رقم ٥٨٣١ .
٢. عاكش، الحسن بن أحمد عاكش: إتحاف السادة الأشراف سكان المخلاف، نسخة مخطوطة مصورة، مكتبة علي بن حسين الصميلي .
٣. ابن القاسم، يحيى بن الحسين : أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن، نسخة مخطوطة، دار الكتب المصرية – القاهرة، رقم ١٣٤٧هـ .
٤. النعمان، عبدالله بن علي: العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني، نسخة مخطوطة بتاريخ ١٣٢٣هـ، مكتبة علي بن حسين الصميلي .
٥. النعمي، محمد بن حيدر : الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف، نسخة مخطوطة مصورة بتاريخ ١٣٥٧هـ، من مكتبة محمد بن علي الحكمي– الرياض .
٦. النمازي، أحمد بن محمد : خلاصة السلاف في أخبار صبيا والمخلاف، نسخة مخطوط مصورة من مكتبة محمد بن علي الحكمي – الرياض .

ثانياً : المصادر والمراجع العربية :

١. الأصفهاني، علي بن الحسين بن أحمد : الأغاني، ج٦، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
٢. الأعظمي، محمد مصطفى : دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج ٢، (د . ط)، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
٣. الأكوع، إسماعيل بن علي : هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط١، دار الفكر المعاصر – بيروت، ودار الفكر – دمشق، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
٤. الأنباري، عبدالرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق : إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار– الأردن، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٥. بامطرف، محمد بن عبد القادر : الجامع، ج ٢، ط١، الهيئة العامة للكتاب – صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
٦. البحر، محمد بن الطاهر بن أبي القاسم : تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر، تحقيق: عبد الله بن محمد

الحبشي و حسن محمد ذياب، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ - الإمارات، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٧. ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد الطنجي : رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (د . ط)، دار الكتاب أللباني- بيروت، و دار الكتاب المصري - القاهرة، (د . ت) .

٨. البغدادي، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح: رفعت بيلكة الكليسي، (د . ط)، منشورات مكتبة المثنى - بغداد، (د . ت).

٩. البهكلي، عبد الرحمن بن أحمد: نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، ط١، دارة الملك عبد العزيز- الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٠. البهكلي، عبدالرحمن بن الحسن : خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق : ميشيل توشيرير وعدنان درويش، (ط١)، المركز اليمني للدراسات اليمنية بصنعاء، والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ٢٠٠٠م. .

١١. البهكلي، علي بن عبد الرحمن: العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب، تحقيق : محمد بن أحمد العقيلي، (د . ط)، دار البلاد - جدة، (د . ت) .

١٢. البيهقي، أحمد بن الحسين: مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر، (د . ط)، مكتبة دار التراث القاهرة، (د . ت)

١٣. ثعلب، أبو العباس : شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، (د . ط)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٢هـ .

١٤. الثور، عبد الله بن أحمد : هذه هي اليمن، ط٣، دار العودة - بيروت، ١٩٨٥م .

١٥. جاد الحق، علي جاد الحق : الفقه الإسلامي، نشأة مذاهبه - أهدافها - ثمراتها، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد ١، س ١، ١٤١٩هـ .

١٦. الجرجاني، علي بن محمد بن علي : التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (د . ط)، دار الريان للتراث - القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

١٧. الجرموزي، المطهر بن أحمد : تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، ج١، تحقيق: عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، ط١،

مؤسسة الإمام زيد بن علي ـ صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

- الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، تحقيق : أمة الملك إسماعيل الثور، رسالة دكتوراه – غير منشورة، جامعة صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- النبذة المشيرة إلى جملة من عيون السيرة في أخبار المنصور بالله رب العالمين القاسم بن محمد، تحقيق: عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، مكتبة اليمن الكبرى – صنعاء، (د . ت) .

١٨. جريس، غيثان : عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ / ١٦٨٨ – ١٩٨٠)، أبها، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م.

١٩. الجزائري، أبو بكر جابر : منهاج المسلم، ط٣، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) .

٢٠. الجندي، محمد بن يوسف: السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (ط٢)، وزارة الإعلام والثقافة – اليمن، ١٤٠٣هـ .

٢١. الحازمي، حجاب بن يحيى : نبذة تأريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير (٩٣٠- ١٣٥٠هـ)، ط٢، جازان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٢. حاوي، محمد بن منصور : ملامح الحياة العلمية والأدبية في المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال العصور الإسلامية الوسيطة (٤ – ٩ هـ)، بحث منشور، مجلة العلوم الإنسانية –، كلية الآداب - جامعة الأزهر، العدد ١، ٢٠٠٧ م .

٢٣. الحبشي، عبد الله بن محمد : حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، (د . ط)، وزارة الإعلام والثقافة – اليمن، (د . ت) .

- الصوفية والفقهاء في اليمن، (د . ط)، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، (د. ط)، مركز الدراسات اليمنية – صنعاء، (د. ت) .

٢٤. الحجري، محمد بن أحمد : مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق : إسماعيل بن علي الأكوع، (د . ط)، وزارة الإعلام والثقافة – اليمن، ١٤٠٤هـ .

٢٥. الحجري، محمد بن الحسن:الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، عناية: أيمن صالح شعبان، (د. ط)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦/ ١٩٩٥م .

٢٦. الحضرمي، عبدالرحمن بن عبدالله : تهامة في التاريخ، ط١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، ٢٠٠٥م .

٢٧. ابـن حزم، علي بن أحمد : جمهرة النسـب، تحقيق : عبد السـلام هارون، (د . ط)، دار المعارف- مصر، ١٣٩١هـ /١٩٧١م .
٢٨. الحكمي، عمارة بن علي: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صبيا وزبيد، تحقيق: حسن سليمان محمود، ط٢، مكتبة الإرشاد – صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
٢٩. الحكمـي، محمـد بن يحيـى بن أحمـد : معجم مؤرخـي تهامـة، ط١، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .
٣٠. حماد، سـامي زين العابدين: مصادر التشريع الإسـلامي ونظم الحكم والإدارة في الإسلام، (د. ط)، دار العلم للطباعة والنشر – جدة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
٣١. حمـزة، فـؤاد : قلب جزيـرة العرب، ط٢، مكتبة النصـر الحديثـة – الرياض، ١٣٨٨هـ .
٣٢. الحمـوي، ياقوت بن عبدالله : معجم البلـدان، تقديم : محمد بن عبدالرحمن، ط ٥، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
٣٣. الحمـيري، محمد بـن عبد المنعـم : الروض المعطـار في خبر الأقطـار، تحقيق: إحسان عباس، (د . ط)، مكتبة لبنان – بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
٣٤. الحميري، نشوان بن سعيد : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تصحيح : عظيم الدين أحمد، ط٣، منشورات المدينة – صنعاء، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ ..
٣٥. ابـن خلـدون، عبد الرحمن بن محمـد: تاريخ ابن خلدون المسـمى "كتاب العبر وديـوان المبتدأ والخبر في أيـام العرب والعجم والبربر ومن عاصـرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م .
٣٦. ابـن خلـكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبنـاء الزمان،ج٤، تحقيق : إحسان عباس،(ط٢)، دار الثقافة - بيروت، (١٩٧٥م) .
٣٧. أبو داهش، عبدالله بن محمد: أهل تهامة المخلاف السليماني، وحلي ابن يعقوب وأحوازهمـا في القرون الإسـلامية الوسـيطة (٤٠٠/ ١٠٠٩ ـ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م)، ط١، الرياض ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- أهل السـراة في القـرون الإسـلامية الوسـيطة (٤٠٠ – ١٢٠ هـ)، ط٢، مطبعة الجنوب– أبها، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م .
- حوليـات سـوق حباشـة، ط١ ،ع٣، سـ٣، النـادي الأدبـي – جـازان، ١٤١٩/١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م .
- الحيـاة الفكريـة والأدبية في جنوبي البـلاد السـعودية، (د .ط)، مطابع

الجنوب – أبها، ١٤٢٣هـ .

٣٨. ابن دريد، محمد بن الحسن: الاشتقاق ،ج٢، تحقيق : عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي. القاهرة، (١٩٧٩م) .

٣٩. ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغية المستفيد، تحقيق : يوسف شلحد ،(د. ط)، دار العودة – بيروت، (د . ت) .

٤٠. ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح : مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تحقيق : عبد الرقيب مطهر، ط١، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية – صعدة، ١٤٢٥هـ .

٤١. الرسولي، الأفضل عباس: العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تحقيق: عبد الواحد الخامري، (د . ط)، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م .

٤٢. زاده، عبد اللطيف بن محمد: أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، تحقيق: محمد التونجي، (د . ط)، مكتبة الخانجي - مصر، (د . ت) .

٤٣. زبارة، محمد بن محمد : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر، (ط١)، المطبعة السلفية – القاهرة، (د . ت) .

- خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون ،ط١، مركز التراث والبحوث اليمني- صنعاء، ١٤٢٣هـ.
- ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط١، مطبعة السعادة – مصر، ١٣٤٨هـ .
- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ج١،(د .ط)، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء (د .ت) .

٤٤. الزركلي، خير الدين : الأعلام، ط١٤، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٩٩م .

٤٥. الزمخشري، محمود بن عمر : ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ج١، (د . ط)، مطبعة العاني- بغداد، ١٩٧٦ م .

٤٦. الزيلعي، أحمد بن عمر: الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، ط١، مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م .

- بنو حرام، حكام حلي، وعلاقاتهم الخارجية، مجلة كلية الآداب – جامعة الملك سعود، مج١ ،ع١، ١٤٠٨هـ .
- المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق ٣ – ٩ هـ/٩ – ٥ م) ،حوليات

كلية الآداب جامعة الكويت، الرسالة ٣٩، الحولية ٧، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .

٤٧. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ج٣، (ط٢) ، دار مكتبة الحياة– بيروت، (د . ت) .

٤٨. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور : أدب الإملاء والاستملاء، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

- الأنساب ،ج٤، ط١، دار الجنان – بيروت ،(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

٤٩. السنيدي، عبد العزيز بن راشد : المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦- ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩- ١٤٥٤م)، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٥٠. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل، (د . ط)، المكتبة العصرية – بيروت، (١٩٦٤م) .

٥١. الشافعي، زين بن رشيد : الروض الزاهر في سيرة التّأريخ والنّسب الظاهر" للأسر القرشية العدنانية " بمنطقة جازان، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٥٢. شاكر، محمود : شبه جزيرة العرب، (د . ط)، المكتب الإسلامي – بيروت، (د- ت) .

٥٣. شبارو، عصام محمد : القضاء والقضاة في الإسلام، (د . ط)، دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٨٣م .

٥٤. الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد : الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، (د . ط)، وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) .

٥٥. الشرجي، أحمد عبد اللطيف : طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ط١، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ،(١٤١٢هـ/١٩٩٠م) .

٥٦. شلبي، أحمد: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، بحث ضمن موسوعة الحضارة الإسلامية، ط ٨، مكتبة النهضة الحديثة – القاهرة، ١٩٨٧م .

٥٧. الشّلي، محمد بن أبي بكر بن أحمد : عقد الجواهر والدرر في أعيان القرن الحادي عشر، تحقيق : إبراهيم بن أحمد المقحفي، ط١، مكتبة الإرشاد – صنعاء، ١٤٢٤هـ .

٥٨. الشوكاني، محمد بن علي: أدب الطلب ومنتهى الأرب، ط١، مكتبة الإرشاد – صنعاء، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط١، مطبعة السعادة –

مصر، (١٣٤٨هـ) .

٥٩. صـابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصـطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة : عبد الرزاق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ،(١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٦٠. الصـباغ، عبـد الله توفيق : القـراءات القرآنية وملاحظات علـى منهج الدرس، ط١، دار القلم– الإمارات،(١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٦١. الصباغ، ليلى : من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع ـ دمشق ،(١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

٦٢. ابن الصـلاح، عثمان بن عبد الرحمن: مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح، تحقيق: عائشة عبدالرحمن، (د . ط)، دار الكتاب – القاهرة، ١٩٧٤م .

٦٣. الصـميلي، علي بن حسـين : الحملات اليمنية على المخلاف السليماني في العصر العثماني الأول في جنوب غرب الجزيرة العربية (٩٤٥- ١٠٣٦هـ/١٥٣٨- ١٦٢٥م)، س ٩،ع ٣٦، مجلة الدرعية – الرياض، (ذي الحجة ١٤٢٧ه / يناير ٢٠٠٧م) .

- العلاقات بين أسر وقبائل المخلاف السليماني وولاته العثمانيين في العصر العثماني الأول، بحث منشور ضمن مداولات اللقاء العلمي السنوي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والمنعقد في الدوحة ـ قطر (٦-٩ صفر ١٤٢٥هـ/٢٧- ٣مارس ٢٠٠٤م)، بعنوان دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور .
- العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير في القرن الثالث عشر الهجري، مطابع البلاد – جدة، ١٤١٩هـ .

٦٤. أبو طالب، حسام بن الحسن : تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، تحقيق: عبدالله الحبشي، ط١، مطابع المفضل ـ صنعاء .، ١٤١١هـ .

٦٥. عاكش، الحسـن بـن أحمـد : الديبـاج الخسـرواني في أخبار أعيـان المخلاف السـليماني المسـمى " الذهب المسـبوك فيمـن ظهر في المخلاف السـليماني من الملوك "، تحقيق : إسماعيل بن محمد البشري، (د. ط)، الرياض، ١٤٢٤هـ .

٦٦. ابـن عبد المجيد، تاج الديـن عبد الباقي : بهجة الزمـن في تاريخ اليمن، تحقيق : عبـدالله بن محمد الحبشـي ومحمـد بن أحمد السـنباني، ط١، دار الحكمة – صنعاء، ١٩٨٨م .

٦٧. عبـد المطلـب، رفعت فوزي: توثيق السـنة في القرن الثاني الهجـري، ط١، مكتبة الخانجي مصر،١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م .

٦٨. ابن عثيمين، محمد بن صالح : المجموع الثمين في فتاوى الشيخ بن عثيمين، ج١، جمع وترتيب: فهد الناصر السليمان، دار الوطن – الرياض، ١٤١٠هـ .
٦٩. العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى مُلك اليمن من مَلك وإمام، مراجعة وتصحيح: محمد سالم شجاب، ط١، مكتبة الإرشاد – صنَعَاء، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
٧٠. العريشي، علي بن محمد بن شيبان : "الأسواق الشعبية في منطقة جازان" بحث ألقي في نادي جازان الأدبي ضمن أنشطة الموسم الثقافي لعام ١٤١٦هـ .
- السياحة في منطقة جازان، نادي المدينة المنورة، مج ١٦،ع٣٢،٣١،ربيع الثاني وجمادي الثاني، ١٤٢١هـ .
٧١. عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي ،ج١، ط١، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ،(١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
٧٢. العقيلي، محمد بن أحمد: الآثار التاريخية في منطقة جازان، ط١، دار اليمامة. الرياض١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
- الأدب الشعبي في الجنوب، ج٢، ط٢، دار اليمامة - الرياض، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .
- أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان، ج١، (د .ط)، منشورات نادي مكة الثقافي(د. ت).
- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ،ج١، ط١، منشورات نادي جازان الأدبي ،١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ط٢، دار اليمامة - الرياض، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م .
- التصوف في تهامة، ط٢، دار البلاد – جدة، (د . ت) .
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – مقاطعة جازان، ط٢، دار اليمامة. الرياض، ١٣٩٩هـ.
- آل الحكمي، مجلة العرب، ج١، س ٦، العدد الثاني، رجب ١٣٩١هـ/ سبتمبر ١٩٧١ .
- آل شافع في صبيا، مجلة العرب ،ج١، سنة ٧، رجب، أغسطس، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- الحسن بن خالد الحازمي، مجلة العرب ،ج ٣،٤، سنة ٩، رمضان وشوال، ١٣٩٤هـ .

- البهاكلة علماء المخلاف، مجلة العرب، ج ٧،٨، سنة ٩، محرم وصفر، ١٣٩٥م .

٧٣. ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (د . ط)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د . ت)

٧٤. العمري، حسين عبد الله : الإمام الشوكاني رائد عصره، دراسة في فقهه ورشده، (د . ط)، دار الفكر– دمشق، ١٤١١هـ /١٩٩٠م .

- تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢هـ ـ ١٣٣٦هـ/١٥١٦م – ١٩١٨م)، ط٢، دار الفكر – دمشق، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٧٥. العمـودي، عبد الله بن علي : تحفة القارئ والسـامع في اختصـار تاريخ اللامع، تحقيـق : عبـد الله بـن محمد أبـو داهشـ، (د . ط)، مطابع الجنـوب – أبها، ١٣٩٩هـ .

٧٦. الغالبي، سـلوى سـعد : الإمام المتوكل على الله إسـماعيل بن القاسـم ودوره في توحيد اليمن (١٠٥٤ـ ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤ـ ١٦٧٦م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٧٧. الغزي، محمد بن أحمد: الكواكب السـائرة بأعيان المائة العاشـرة، تعليق : خليل المنصور، (د . ط)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د . ت) .

٧٨. أبو الفداء، إسماعيل بن محمد : تقويم البلدان، (د . ط)، دار صادر – بيروت، (د . ت) .

٧٩. فياض، عبد الله :الإجازات العلمية عند المسلمين، ط١، مطبعة الإرشاد – بغداد، ١٩٦٩م .

٨٠. الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب الشـيرازي : القاموسـ المحيط، تحقيق : مكتب التراث، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٨١. ابن القاسـم، يحيى بن الحسين : بهجة الزمن في تاريخ وحوادث اليمن، تحقيق : أمة الغفور عبدالرحمن الأمير، رسالة ماجستير، صنعاء، ١٤١٧هـ .

- غايـة الأمـاني في أخبار القطر اليمـاني، ج٢، تحقيق : سـعيد عبد الفتاح عاشور، (د . ط)، دار الكاتب العربي– القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

٨٢. القفطي، علي بن يوسـف : إنباه الرواة على أنباه النحاة ،ج٣، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي– القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٨٣. القلقشندي، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : محمد عبد الرسول، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي– مصر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .

٨٤. الكبسي، محمد بن إسماعيل : اللطائف السَّنِيَّة في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق: خالد أبا زيد الأذرعي، ط١، مكتبة الجيل الجديد – صنعاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٨٥. كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

- معجم المؤلفين، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٨٦. ابن المجاور، جمال الدين يوسف : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة "تاريخ المستبصر "تصحيح وضبط : اوسكر لوفغرين، (ط١)، مطبعة بريل – ليدن، ١٩٥١م .

٨٧. المحبي، محمد أمين بن فضل الله : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (د . ط)، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، (د . ت) .

٨٨. مرسي، محمد منير: التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط٢، دار عالم الكتاب الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

٨٩. مشاري، محمد محسن: صبيا، ط١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب – الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٩٠. المشني، أحمد بن محمد : الشقيري أضواء على تاريخها، مجلة العرب، ج ١١، ١٢، س٣٠، الجماديان ١٤١٦هـ / تشرين ١ و ٢ (اكتوبر، نوفمبر) ١٩٩٥م .

- النمازي حياته ومؤلفاته، مجلة العرب، ج ٣،٤، سنة ٢٩، رمضان وشوال ١٤١٤هـ/ مارس أبريل ١٩٩٤م .

٩١. معلوف، لويس : المنجد في اللغة والأعلام، ط ٣٨، دار المشرق- بيروت، ٢٠٠٠م .

٩٢. المقحفي، إبراهيم بن أحمد:معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط١، دار الكلمة – صنعاء،١٩٨٥م .

٩٣. ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب، (د . ط)، دار الحديث للنشر – القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

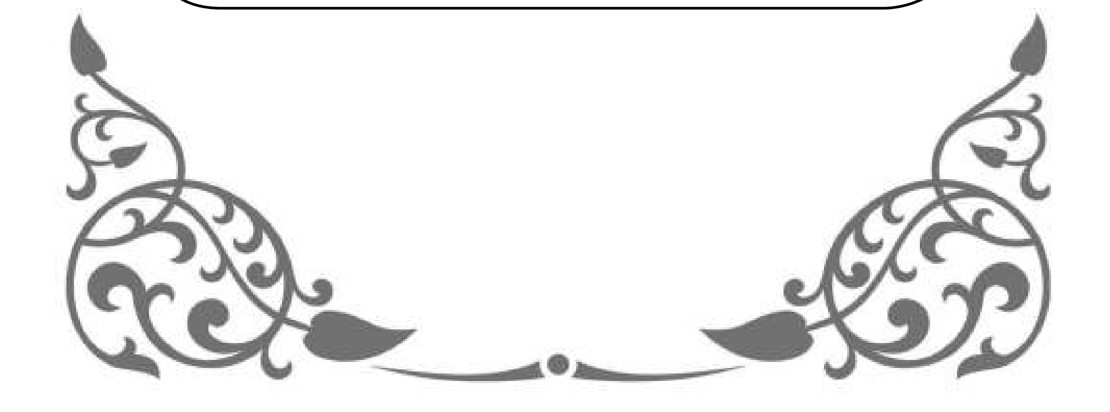
٩٤. ابن المؤيد، إبراهيم بن القاسم : طبقات الزيدية الكبرى، تحقيق : عبد السلام بن عباس الوجيه، ط١، مؤسسة الإمام زيد الثقافية – عمّان، ١٤٢١هـ .

٩٥. النعمان بن عبد الله بن علي: العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني، تحقيق: علي بن حسين الصميلي، رسالة دكتوراه، لم تنشر، جامعة الملك عبد العزيز. جدة، (١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م) .
٩٦. النعمي، هاشم بن سعيد : تاريخ عسير في الماضي والحاضر، مؤسسة الطباعة، (د – ت) .
٩٧. النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد : البرق اليماني في الفتح العثماني، (د . ط)، دار اليمامة – الرياض، ١٣٨٧هـ .
٩٨. الهمداني، الحسن بن أحمد : الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق : محمد علي الأكوع، (د . ط)، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، (د . ت) .
- كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، تحقيق : حمد الجاسر، ط١، الرياض، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (د .ط)، منشورات دار اليمامة ـ الرياض، (د.ت).
٩٩. الواسعي، عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى " فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٤، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ .
١٠٠. الوجيه، عبد السلام بن عباس: أعلام المؤلفين الزيدية، (د . ط)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – الأردن، ١٤٢٠هـ .
١٠١. ابن الوزير، عبد الله بن علي : تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي المسمى " طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى " تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم، ط١، دار المسيرة – بيروت، ١٤٠٥هـ .
١٠٢. الوشلي، إسماعيل بن محمد: نشر الثناء الحسن، ط١، مكتبة الإرشاد – صنعاء، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).
١٠٣. الويسي، حسين بن علي: اليمن الكبرى، ط٢، مكتبة الإرشاد – صنعاء، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .



القسم الثاني

حـــاضــــــرة صـبـيـا
في بـعـض الـبـحـوث الطلابـيـة
(دراسة تاريخية حضارية حديثة)



القسم الثاني

حاضرة صبيا في بعض البحوث الطلابية (دراسة تاريخية حضارية حديثة)

أولاً : مدخل:

حرصت منذ أربعين عاماً على جمع تاريخ وحضارة وتراث بلاد تهامة والسراة، وسلكت طرقاً عديدة لتحقيق هذا الهدف[1]. وكان طلابي في المرحلة الجامعية وبرامج الدراسات العليا ممن لهم فضل في جمع وحفظ شيء من تراث هذه البلاد، وذلك عندما كنت أكلفهم بإنجاز بحوث تخرجهم عن أوطانهم وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر[2]. وقد توفر لدينا حتى الآن حوالي (٤٢٠) بحثاً جميعها عن تاريخ وتراث

---

(١) من الطرق التي اتبعتها في جمع بعض تراث بلاد تهامة والسراة (١) الترحال والسير في أرجائها بهدف جمع وثائقها المحلية، والسماع من الرواة وكبار السن فيها . (٢) تصوير بعض المعالم الجغرافية مثل أسواقها الأسبوعية، وقراها القديمة، وحصونها وقلاعها، وآبارها، وسدودها، وشيء من النقوش والرسومات الصخرية المتناثرة في جبالها ووهادها . (٣) الحصول على بعض المذكرات والمدونات أو المخطوطات الموجودة عند بعض البيوتات العلمية، أو عند أشخاص لهم اهتمامات علمية وثقافية . (٤) الوقوف على بعض آثارها المادية السطحية، وجمع بعض الأدوات الأثرية التي كانت تستخدم في العديد من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية. (ابن جريس).

(٢) بدأت في الإشراف والتوجيه والمراجعة لهؤلاء الطلاب وبحوثهم منذ أصبحت رئيساً لقسم التاريخ في كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ومضيت على هذا النهج إلى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ومن ثم توفر لدينا أكثر من (٤٠٠) بحث جميعها عن موضوعات تاريخية وحضارية لبلدان السروات وتهامة، وهي موجودة في مكتبتي (مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية)، وقد فهرسها الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبِّر في كتاب بعنوان: دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (ببليوجرافيا مشروحة) (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م).

وأدب وحضارة وفكر بلاد تهامة والسراة، ومعظمها في العصر الحديث، ولا تخلو هذه البحوث من مادة علمية جديدة بالإضافة إلى وثائق تاريخية وصور فوتوغرافية لم يسبق نشرها من قبل. وقد يأتي اليوم الذي أحول جميع هذه الدراسات إلى نظام رقمي وأنشرها على الإنترنت حتى تعم فائدتها على الباحثين وطلاب العلم [(١)].

وفي هذا السفر بدأت بنشر بعض الدراسات الطلابية عن حاضرة صبيا وقد عثرت في مكتبتي على عشرة أبحاث عن بلاد صبيا في العصر الحديث، بعضها من إعداد طالب واحد وأخرى أعدها عدد من الطلاب، ويصل عددهم أحياناً في الدراسة الواحدة إلى خمسة أو ستة طلاب [(٢)]. وتم اختيار بحثين تم إنجازهما في الفترة الممتدة من (١٤١٣-١٤١٩هـ/١٩٩٣-١٩٩٩م) وهاتان الدراستان تدرسان جوانب اقتصادية واجتماعية في منطقة صبيا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) [(٣)].

وسبب اختياري منطقة صبيا عنواناً رئيسياً لهذا القسم يعود إلى عدة أسباب: **(١)** إن حاضرة صبيا جزء مهم ورئيسي من منطقة جازان، فهي المدينة الثانية بعد مدينة جازان، ولها ذكر في كتب التراث الإسلامي، وجرى على أرضها حوادث سياسية وحربية وحضارية عبر أطوار التاريخ الإسلامي، وتوسطها منطقة جازان، وتنوع تركيبتها الجغرافية والسكانية، يستحق الكثير من الدراسات العلمية الموثقة[(٤)]. **(٢)** نشري هذين البحثين لخمسة طلاب أنجزوها أثناء دراستهم في السنة الرابعة من مرحلة البكالوريوس يعني حفظ حقوقهم العلمية، مع أن هذه الدراسات يشوبها الكثير

(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، (٥٥٠صفحة) .والكتاب موجود رقمياً في موقعنا الإليكتروني(Prof-ghithan.com) . (ابن جريس) .

(١) هذا ما آمله وأتطلع إليه في المستقبل القريب، لكنها تحتاج إلى جهود فكرية وجسدية ومالية كبيرة، ونسأل الله أن يساعدني حتى أتمكن من فعل ذلك . (ابن جريس) .

(٢) كل البحوث المنشورة في هذا الكتاب جُمعت ودرست من أصحابها الطلاب قبل عشرين عاماً . وكان الأولى أن أورد ترجمة مختصرة لكل واحد منهم، لكن وجدت صعوبة في الاتصال بهم، وهذه سلبية، فأرجو المعذرة منهم ومن القارئ الكريم. (ابن جريس) .

(٣) للمزيد عن عناوين هذه البحوث وأسماء الطلاب الذين أنجزوها، انظر تفصيلات أكثر في صفحات تالية من هذا المبحث . مع أنني لم أدون سيرهم الذاتية، لأنني لا أعلم مصيرهم وأماكنهم حالياً، إلا أنهم ربما يعملون في قطاع التعليم، وجميعهم من منطقة جازان . وقد أجريت على هذه البحوث حذفا وإضافة وتعديلات، ثم حفظت حقوقهم العلمية، فنشرتها تحت أسمائهم . (ابن جريس).

(٤) لا نجد دراسات علمية تاريخية توثيقية لبلاد صبيا منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وإن ورد ذكرها في بعض الكتب والرسائل العلمية في العصر الحديث (ق١٠-١٤هـ/ ق١٦-٢٠م)، فذلك محدود وناقص . واقول إن هذه الحاضرة تستحق أن تدرس دراسة توثيقية تحليلية في عدد من الكتب والبحوث العلمية . (ابن جريس) .

من النقص، لكنها لا تخلو من مواد علمية جديدة تعكس صفحات من تاريخ هذه البلاد في العصر الحديث، ونشرها في كتاب علمي قد يشجع أولئك الطلاب (أصحابها) على دراسة بلادهم وسكانها مع مراعاة الدقة والرصانة والجودة العلمية، وأرجو ذلك. أو ربما تلفت أنظار باحثين ومؤرخين آخرين فيعيدوا النظر فيما كتب أولئك الطلاب ونشرناه . فيصوبوا الأخطاء، أو يستكملوا الناقص، أو يدرسوا موضوعات جديدة تصب في خدمة أرض وسكان مخلاف صبيا وما حولها [١] .

هذه البداية مع مخلاف (حاضرة صبيا) ، وقد يكون لي عودة أخرى في دراسات جديدة مع هذه الناحية، ومازال هناك حواضر وموضوعات كثيرة سوف ندرسها وننشرها عن منطقة جازان وغيرها من مناطق الجنوب السعودي . وجميعها موجودة في مكتبتي، وهي من جمع وإعداد عشرات الأبناء من طالباتي وطلابي في برامج البكالوريوس والماجستير والدكتوراه . ولست إلا خادماً للعلم أنشر كل جديد عن تاريخ وحضارة وفكر أهلنا وبلادنا، جنوب المملكة العربية السعودية [٢] ، أو ما يعرف باسم (بلاد تهامة والسراة) ، وأسأل الله أن يسخرنا لذلك، وأن يجعلنا أعضاء صالحين في خدمة أهلنا وأوطاننا .

---

(١) هذا ما أرجوه وأتطلع إليه من بناتنا وأبنائنا العاملين في سلك التعليم أو الدارسين في برامج الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) ، فالواجب علينا جميعاً التعاون والعمل بجد واجتهاد في كل ما يخدم ديننا وبلادنا وموروثنا الحضاري . (ابن جريس) .

(٢) هناك عشرات البحوث من إعداد طالباتي وطلابي، والكثير منها جيدة إلى حد ما، ويوجد فيها معلومات ووثائق وصور فوتوغرافية جديدة، وتعكس صفحات جيدة من تاريخ وحضارة تهامة والسراة عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

ثانياً : صفحات من تاريخ صبيا الاقتصادي خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م).
بقلم . أ. ربيع مهدي علي عطية [1] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	الجمع والالتقاط، والرعي، والصيد	١٣٧
ثانياً :	الزراعة	١٤١
ثالثاً :	الصناعات التقليدية	١٥٠
رابعاً :	التجارة	١٥٤
خامساً :	بعض المعوقات الاقتصادية	١٦٠

أولاً : الجمع والالتقاط، والرعي، والصيد :

كانت مهنة الجمع والالتقاط في منطقة صبيا ، خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) مقصورة على الأشياء الضرورية، مثل: جمع الثمار من الأشجار. ومنطقة صبيا تشتهر بشجر السدر، والناس يجمعون ثمار هذا الشجر، المعروف باسم (الكين) أو (النبق) . وهو يؤكل، والفائض يتم بيعه في الأسواق الأسبوعية، واشتهرت مجموعة من الناس بهذه المهنة ثم توارثها أبناؤهم من بعدهم . وعملية الجمع تتم في موسم معين هو موسم الخريف، فيقوم الناس بحماية أراضيهم التي يوجد بها شجر السدر ويحيطونها بالأشواك لحمايتها من الحيوانات وغيرها ، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المهنة تقل شيئاً فشيئاً إلا أنها لم تندثر تماماً فلا يزال لها عشاقها وبخاصة كبار السن من الرجال أو النساء لأنها تمثل مصدراً جيداً للرزق، وفي كل قرية يوجد شخص أو أكثر يشترون عدة أكياس من الناس ثم يجمعونها ويسافرون بها إلى بقية مدن ومناطق المملكة لبيعها بأسعار عالية .

وشجرة الأراك المعروفة باسم (الرديف) ، ذات فائدة كبيرة من ناحية الجذور أو الثمار، فالجذور يستخرج منها عيدان السواك، أما ثمارها فتسمى بـ (الكباث) وهي مادة لذيذة الطعم فيها نوع من الحرارة وتكثر هذه الثمار في فصل الصيف، غير أن جمع والتقاط هذه الثمار لا يتم بطريقة عادية كغيرها ، لأنها هشة ولا تتحمل الضغط،

---

(١) الأستاذ ربيع من أبنائي الطلاب في كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود في أبها خلال السنوات الأولى من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . وهو من الطلاب الجيدين ويعمل في مهنة التعليم في محافظة صبيا منذ ربع قرن، وحسب علمي فهو اليوم يشغل وظيفة مساعد الشؤون المدرسية في إدارة تعليم صبيا . (ابن جريس) .

لهذا فهناك أوانٍ خاصة للكباث تختص بصناعتها فئة من الناس [١]. ومازالت تمارس حتى وقتنا الحاضر. ومن الأشياء التي يتم التقاطها نبات (الغلف) ونبات (الحلص)، وهما نوعان متشابهان، ولا يبذل الإنسان أي جهد في زراعتهما لأنهما ينبتان تلقائياً بعد سقوط الأمطار، ويستعملان للأكل بعد غسلهما وطبخهما، ومن أسماء هذا النبات أيضاً (الحدل)[٢]. والشَّدَخ : بفتح الشين المعجمة المثقلة وفتح الدال المهملة ثم خاء معجمة نوع من البقول له أوراق خضراء لوزية الشكل في حجم ورقة الريحان ولا يطول أكثر من الملوخية وإذا كانت الأرض ريانة تلونت أوراقه فيكون ظاهرها أخضر وقفاه أحمر [٣]. وهو ينبت تلقائياً بعد سقوط الأمطار ولا يتدخل الإنسان في زراعته ويتم قطفه وطبخه ويمثل وجبة لذيذة عند أهل المنطقة في السابق، أما الآن فلم يعد يستعمل، وصار وجوده الآن قليلا، ويعطى أحياناً علفاً للحيوانات، إذ يعتبر وجبة لذيذة لها، ويستعمله أيضاً عدد قليل من أهل البادية .

العسفقان : بضم العين وفتح الفاء والقاف فألف ثم نون، وهو نبتة ترتفع إلى قدر نصف متر، وأوراقها كأوراق الفول السوداني، وهي من أنواع البقول تؤكل مطبوخة وتسمى أيضاً عوفقان. والخساء: بكسر الخاء المهملة وسكون السين المهملة أيضاً فألف مقصورة، شجيرة متسلقة لها أصل درني (كالفجل) حلو الطعم يأكله الإنسان والحيوان . والجلف: بكسر الجيم وسكون اللام ثم فاء نوع من الحشائش وهو نبات دقيق ترعاه الأغنام ويستفاد منه . الجوج : بضم الجيم الأولى، شجيرة شوكية لها زهر أبيض وثمر كالليمون من الحجم تؤكل في بعض الأوقات لمن يرغبها، وتوجد في القسم الجبلي من منطقة صبيا . والعرفط : بضم العين المهملة . شجر ينبت في القسم الجبلي من المنطقة وهو مشهور في كتب اللغة . وكانت أخشابه تستعمل في عمليات البناء وصنع الكراسي، أما الآن فلا تستخدم .

كانت بعض الأشجار يستفاد من فروعها في البناء أو صنع الأشياء الخاصة بأهل المنطقة، وكانت على قدر كبير من الأهمية، لكن أهميتها ما لبثت أن تلاشت شيئاً فشيئاً إلى أن انقرض الكثير منها، وهناك أخشاب كبيرة تستخدم في هياكل المنازل الرئيسية،

---

(١) لقد تجولت في محافظة صبيا بل عموم منطقة جازان في العقد الثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) وشاهدت ثمار الكباث والنبق وغيرها من ثمار الأشجار البرية تباع في أسواق صبيا ومدن جازان الأخرى . (ابن جريس).

(٢) مقابلة مع الراعي أحمد خليل أحمد (راعي أغنام) في قرية الباحر إحدى قرى منطقة صبياء في (١٤١٣/٥/٢٥هـ) (ربيع).

(٣) محمد أحمد العقيلي، المعجم النباتي، بتصرف . (ربيع) .

ولتغطية تلك المباني تستخدم أنواع أخرى من النباتات نذكر منها على سبيل المثال . (١) الحلفا : شجر معروف وهو نوعان يعرف أحدها بالقلما ، (٢) الحشيش: و (الحسر) . (٣) المرخ : بفتح الميم وسكون الراء ثم خاء معجمة ، شجر معروف في الفصحى بهذا الاسم ، وترعاه الإبل ويستعمل في البناء . (٤) القصب : ويقصد به عيدان القمح أو الذرة بعد جفافها كانت تستخدم سقفاً للمنازل أو المساجد أو جدران البيوت القديمة ولاتزال تستخدم في بعض الأماكن في المنطقة إلى وقتنا الحاضر. (٥) الطفي : بضم الطاء وكسر الفاء وهو نبات مشهور يكثر في المناطق الغنية بالمياه وتستعمل منه الحبال المعروفة . وهناك بعض الحشائش الأخرى التي كانت تستعمل لتغطية المنازل أو صنع الكراسي (المقعد) و غير ذلك [1].

وهناك العديد من النباتات التي لا يتسع المجال لذكرها كاملة ومفصلة ، وقد فصلها العقيلي في كتابه : **معجم أسماء النباتات في منطقة جازان** . واكتفيت بذكر بعضها لأنها تعتبر الأشهر على مستوى المنطقة . ومعظم هذه النباتات والأشجار المذكورة لا يتدخل الإنسان في زراعتها ، بل تنبت بعد سقوط الأمطار ، وهذا ما جعلني أدرجها ضمن الأشياء التي كان يتم جمعها والتقاطها من الأرض العامة والخاصة . وهناك بعض النباتات التي تُزرع وتعتبر طعاماً للإنسان أوالحيوانات نذكر منها :الرجلة (رجل الفرس) وهرشة الراعي ، والمريده ، والذغابيس ، والمصيص ، وبنت الظبر ، وكعابش. ونباتات أخرى تأكلها بعض الحيوانات كالرين ، والسعيّد ، والبجيرا ، واللبنة ، والحلاوة ، والقطبة ، والأفليق ، والحمض ، والأثل ، والخمة ، وأيبد ، والعلفا ، والعرفط [2].

كما كان أهل البلاد يجمعون الحطب من أغصان وجذور بعض الأشجار المحلية ، ويوجد في بعض المزارع والبساتين العديد من الثمار والمحاصيل التي كانت تجمع أو تلتقط من قبل أصحابها ، ويلتقط بعض عابري السبيل من الأشجار المثمرة في أنحاء المنطقة. ومهنة الجمع والالتقاط قديمة ومعروفة عند جميع الأمم والشعوب البدائية وأحياناً المتحضرة . ومعظم الأشياء التي كانت تجمع وتلتقط في القرون الماضية المتأخرة قلت أو اندثر بعضها ، وذلك لتطور أحوال الناس الاقتصادية ، وأصبح عند أغلبهم أعمال مربحة تدر عليه فوائد وعوائد مادية جيدة .

---

(١) مقابلة مع علي شافعي، أحد الشيوخ في مدينة صبيا ، في (١٤١٣/٤/٢٧هـ) . (ربيع) .

(٢) يوجد إسهاب كثير في عدد من صفحات البحث، لهذا اختصرناه في سطور عديدة، وآمل أن نرى من مؤرخي صبيا من يدرس التاريخ الحضاري الحديث لهذه البلاد ، وهو موضوع جدير بالاهتمام . (ابن جريس) .

كانت مهنة الرعي في منطقة صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) بدائية، فالراعي يأخذ أغنامه في الصباح إلى المناطق الرعوية ولا يعود إلا بعد الظهر، ثم يعود مرة أخرى من بعد العصر إلى المغرب، ولم يكن لدى الرعاة الخبرة اللازمة التي تمكنهم من تكوين نظام رعوي جيد من حيث أنواع الطعام، أو توليد حيواناتهم . أضف إلى ذلك أن الرعاية البيطرية للحيوانات مفقودة ففي بعض الأحيان قد يداهم الحيوانات مرض يقضي على القطيع كاملاً، وصاحب الأغنام لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع أن يعمل شيئاً تجاه ذلك . والمراعي تختلف من فصل لآخر، وهناك نباتات محببة لدى الحيوان، وأصحاب الأغنام لا يستطيعون زراعتها إلا في الفصل المخصص لها . كما أن رياح السموم التي تشتهر بها المنطقة ويطلق عليها اسم (الغبرة) تلعب دوراً في التأثير على النباتات والحشائش فلا تستفيد منها المواشي في الرعي، واشتهرت المنطقة بالحيوانات الوحشية التي تهاجم الحيوانات الأليفة . وكان الاعتماد في السابق منصباً على الموارد الطبيعية للمياه وتتمثل في الأمطار والسيول، ومياه الآبار نادراً ما تسد حاجة السكان للشرب . والرعاة يعتمدون على المناطق التي تتوفر فيها الأمطار والسيول فهم يتنقلون من مكان لآخر بحثاً عن الكلأ الذي يسد حاجة مواشيهم، وكثيراً ما يتعرض هؤلاء الرعاة للمخاطر من أجل راحة أغنامهم[١] .

وقد حاولت العثور على بعض الوثائق التاريخية التي تفصل الحديث عن أماكن الرعي في بلاد صبيا، أو أسماء مشاهير الرعاة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) فلم أعثر على شيء من ذلك، مع أنني سمعت من بعض كبار السن أن مهنة الرعي كانت من أهم المهن عند أهل المنطقة سواءً في السهول أو المرتفعات [٢] . كما أن الأستاذ العقيلي أشار إلى شيء من حياة الرعي والرعاة في منطقة جازان، وذكر عدداً من النباتات والأشجار المحببة للمواشي المحلية، ومعظمها من الأبقار، والضأن، والماعز، والحمير، وأحياناً الجمال. ونلاحظ تراجع مهنة الرعي عند أهل صبيا . بل عموم السكان في منطقة جازان وبخاصة منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، والسبب سرعة التنمية والتطور في البلاد، فلم يأت العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا وعملية الرعي قلت كثيراً بل انعدمت في أجزاء من محافظة صبيا [٣] .

---

(١) مقابلة مع محمد علي عطية، أحد شيوخ قرية الباجر التابعة لمنطقة صبيا، في (١٤١٣/٥/١٣هـ) . (ربيع) .

(٢) التقيت بالعديد من رجال ونساء حاضرة صبيا في النصف الأول من عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). (ربيع) .

(٣) هذا التقهقر في مهنة الرعي ليس في بلاد صبيا فحسب وإنما في عموم أجزاء بلاد تهامة والسراة . وتحولت مهنة الرعي مؤخراً إلى تربية الحيوانات في المنازل والحظائر، وأصبح نادراً من يخرج بمواشيه إلى المراعي العامة . (ابن جريس) .

عرف أهل صبيا الصيد البري والبحري . وتنوع تضاريس المنطقة جعل الكثير من الطيور الصغيرة والكبيرة موجودة في أرجاء البلاد . وكان الناس قديماً بدائيين في صيدهم فهم يلجأون لبعض الحيل التي يستدرجون بها الغزلان والطيور . بل كان بعضهم يعمل حفرة كبيرة أو كمائن لصيد الحيوانات المفترسة مثل: الذئاب، والنمور، والأسود وغيرها [١] .

كما مارس أهل صبيا الصيد البحري، وجميع سكان ساحل وسهول منطقة جازان عرفوا فنون الصيد البحري . وقد سمعت من بعض أعيان حاضرة صبيا وكبارها ذكرهم لأشخاص وأسر اشتهروا بمهنة الصيد البحري . وهناك قصص شعبية وأهازيج كثيرة عند أولئك الصيادين . ويبدو أن ممارسة الصيد قديماً كان بدائياً ويعتمد الصياد فيه على جهوده الذاتية، مع أن الصيادين كانوا يتعاونون فيما بينهم أثناء استعدادهم وذهابهم في البحر للصيد [٢] .

ثانياً : الزراعة :

كانت الزراعة بدائية إذ لم يكن هناك آلات حديثة لأساليب الري كالمستخدمة الآن، بل كان اعتماد السكان على مياه الأمطار والسيول . فبعد سقوط الأمطار يتجه الناس إلى أراضيهم لزراعتها وبعد أن يتم حرث الأرض يقوم المزارع برمي البذر في الأماكن التي تم حرثها، وينتظر بعد ذلك ظهور الزرع أو النبتة أياً كان نوعها، ولم تتوفر في تلك الفترة الأسمدة أو المواد المساعدة على نمو النبات كالمواد الموجودة الآن. وكانت حماية الزراعة تعتمد على طريقة واحدة وهي استخدام ما يسمى بـ (المقلاع)، وهو ما يطلق عليه عند أهل المنطقة (الميظفة)، ويتكون المقلاع من نبات الطفي يتم ربطه وتنظيمه وفق طرق متعارف عليها، ويطلق على هذه العملية اسم (الفتل أو الوظين) . وطريقة استعمال المقلاع أن يتم إمساك طرفيه بيد واحدة ويوضع في منتصفه حجر ثم يديره الشخص عدة دورات سريعة، وبعد ذلك يترك أحد طرفيه فيخرج الحجر نحو الطيور التي جاءت لأكل الزرع . وهذه العملية لا تستعمل إلا في المرحلة الأخيرة من مراحل نمو الزرع .

---

(١) هذا ما سمعته من بعض رجالات صبيا في بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) . والصيد من المهن المعروفة القديمة، وفي كتب التراث تفصيلات جيدة عن الحيل والأساليب المستخدمة من الصيادين تجاه ما يرغبون في اصطياده من الطيور والحيوانات البرية . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ الصيد البري والبحري في منطقة جازان خلال العصر الحديث من الموضوعات المهمة والجديدة، ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

وبعض الأراضي لم تكن صالحة للزراعة ولم يكن بيد صاحبها عمل شيء تجاه ذلك لأنه لم تتوفر لديه الخبرة والمواد اللازمة لاستصلاحها، أضف إلى ذلك عدم توفر الأيدي العاملة وأصحاب الخبرة في المجال الزراعي. ومع ذلك كان هناك البوادر الدالة على التقدم في الزراعة وهي حفظ مياه الأمطار والسيول والاستفادة منها سواءً للزراعة أو حماية بعض المناطق من السيول الجارية التي ربما تقضي على المنطقة وتدمرها وهي تلك السيول التي تأتي من المناطق الجبلية. ومما يؤكد هذا الكلام ما ذكره الأستاذ العقيلي في كتابه: **المخلاف السليماني**، عن عناية الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بإقامة سد لوادي صبيا عندما زار منطقة جازان في (١٦/٢/١٣٧٤هـ). فقال: " وقد رجا جلالته الأهالي في كلمتهم أن يتفضل فيأمر بإقامة سد لكي يحفظ مياه الأمطار الغزيرة الكثيرة التي تهطل على البلدة فيستفاد منها في الزراعة، ومن الناحية الأخرى يصد عن بيوت البلدة خطر اجتياح السيول لها، وقد اهتم بهذا الرجاء وأمر أن يُرسل مهندسون فنيون لدراسة المشروع تمهيداً لإقامته في أقرب وقت ممكن.

وتقوم حياة المنطقة على الزراعة فتربتها على درجة معقولة من الخصوبة والجودة، وقد جاء التحقيق الصحفي الذي أجراه مندوب جريدة الندوة مع معالي وزير الزراعة وكانت الإجابة ما نصه: " أجمعت آراء الفنيين السعوديين والخبراء الأجانب الذين استقدموا إلى هذه البلاد على أن المنطقة الجنوبية من المملكة تتوفر بها جميع الإمكانيات الزراعية اللازمة التي يمكن أن تصبح ذات أثر واضح ملموس في سد حاجة البلاد من الحاصلات الزراعية والمواد الغذائية التي تستورد منها كميات هائلة تقدر سنوياً بما لا يقل عن قيمة كافة الواردات عموماً، وهي في معظمها من الحاصلات التي تنتج فعلاً في هذه البلاد، أو التي يمكن إنتاجها بمجهود بسيط، في حين أن استيرادها يستنفد قدراً من العملة الصعبة ". إلى أن قال " إن فيها جميع المقومات اللازمة لعناصر التنمية والتحسين وزيادة الإنتاج الزراعي فالمياه العذبة متوفرة إلا أنها تذهب هباء إلى البحر، فضلاً عما تحمله من مواد الخصب مثل (السلت)، هذا إذا لم ترد مياه سيول جارفة فتدمر الوديان في بعض القرى وتحمل معها أرضاً زراعية خصبة لا يمكن أن تعوض، وتقذف بها إلى البحر " إلى قوله " وهناك الأراضي الزراعية الخصبة التي وصفت بأنها من أجود الأراضي الزراعية في هذه البلاد وفيما يجاورها من بلاد وهي بمساحات شاسعة جداً، وتتميز بوجود بعضها في صورة مسطح، وبعضها سطح ساحلي قريب من الموانئ، وبعضها على ارتفاعات متباينة من سطح البحر مما يغير من درجة الحرارة، كما هو معروف فيلطفها ويجعل من هذا التباين وسيلة لتوزيع الحاصلات، ففي الوقت

الذي نجد في المنطقة الساحلية نباتات يلائمها الجو الحار مثل السمسم والذرة الرفيعة، نجد على مسافة قريبة منها نباتات تتطلب البرودة النسبية وتزرع في مسطحات الجبال والمرتفعات مثل القمح وأشجار الفاكهة والقشطة والأشجار المثمرة) (١).

بدأت نشاطات التنمية الزراعية في منطقة جازان، بصفة خاصة في مطلع الخمسينيات وبعد أن تم بناء سد ملاكي بسعة تقريبية تبلغ (٧١) مليون متر مكعب، وفي سنة (١٩٧٠م) أنشأت وزارة الزراعة والمياه محطة اختبارية مساحتها (٥٥) هكتار . وأجريت خلال المرحلة الأولى من المشروع اختبارات لتحديد مدى تكيف مزروعات كثيرة، منها الخضروات والقطن والعلف والشمندر السكري والفواكه والذرة والدخن والقمح والفول السوداني وقد نمت جميع هذه المزروعات بنجاح في المحطة الاختبارية . و(٨٠٪) من الأرض المروية بالسيول في المنطقة المزروعة بالذرة، و (٢٠٪) تزرع خضروات تسقى من السيول أو الآبار الأنبوبية إلى جانب محاصيل السمسم والعلف . وقد جرى تدريب المساعدين الفنيين، وعمال الإرشاد الزراعي والعمال الميكانيكيين (٢). ويجري حالياً في المرحلة الثانية من المشروع، إنشاء أربعين حقلاً نموذجياً مزروعة بالذرة والخضروات في جميع أرجاء منطقة المشروع . كذلك يجري إدخال أصناف متنوعة من حبوب الذرة التي يمكن حصدها آلياً، وسيساعد مستشارون في إنتاج الدواجن، والماشية ، والتصنيع والتسويق موظفي المشروع في تحديد الجدوى الاقتصادية لتنمية مشاريع الماشية من أجل استخدام المحصول الإضافي من حبوب الذرة. كما يجري تشجيع الزراعة الآلية. ويعود السبب في ذلك جزئياً إلى نقص الأيدي العاملة في المملكة . وقد أقيم مركز خدمات كامل التجهيز في موقع المشروع(٣) . للمساعدة في جهود الميكنة، واستعمال الآلات الميكانيكية، ومن المقرر عام (١٩٧٩م/ ١٩٨٠م) إدخال أساليب الري بالرش والتنقيط (على شكل قطرات) .

وتجري الاستعدادات لبدء برنامج لتدريب (٤٠) طالباً من أجل حصولهم على الإرشادات الفنية، وتبذل وزارة الزراعة والمياه جهوداً عظيمة لجذب المهنيين السعوديين إلى هيئة موظفي المشروع، ويجري الآن استخدام الجزء الأكبر من الخمسين هكتاراً من التي تشكل حقول المحطة، وذلك لإنتاج البذور المحسنة لتوزيعها على مزارعي المنطقة . ومن أهم اتجاهات المرحلة الثانية وضع برنامج للقرى بقصد التنمية الزراعية(٤).

---

(١) محمد أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، الجزء الثاني، ص ٤٧. (ربيع) .
(٢) عبدالباسط الخطيب، سبع سنابل خضر (الرياض- وزارة الزراعة والمياه ١٩٨٠م) . ص ٣٦٣ .(ربيع).
(٣) نفس المرجع .
(٤) الخطيب، ص ٣٦٥ . (ربيع) .

وتعتبر المنطقة غنية بأنواع كثيرة من المحاصيل الزراعية سواءً في القرن الرابع عشر الهجري أو في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نظراً لصلاحية تربتها وطينتها الزراعية. والمحاصيل الزراعية الموجودة الآن في المنطقة هي نفس المحاصيل التي كانت موجودة في الماضي ولم يختلف إلا الاهتمام بهذه المحاصيل وتوفر الإمكانات اللازمة لنموها وحمايتها، بالإضافة إلى ظهور القليل من المحاصيل التي لم تكن معروفة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م). ويمكن ذكر بعض المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد صبيا كما أشار إليها الأستاذ العقيلي في كتابه المعجم النباتي[1]. فقال: **(١) الأترج:** واحدته أترجه ويسمى لدينا " ترنج " وهو من الحمضيات له لب أبيض زكي الرائحة ويؤكل. **(٢) أشب:** بفتح أوله، شجرة ذات ساق وفروع، لها أوراق مستطيلة مجدولة، ولها ثمر أخضر مثل النبق تأكله القرود، ويذكر أهل الجبال أنه إذا قطعت فروعه وعمل منها مظلة للأبقار التي تستظل تحتها يصيبها مرض يؤدي بها إلى الموت، وبعكس ذلك إذا استظلت الأبقار تحت شجرتها وهي خضراء لا يصيبها أذى، وبالطبع أن هذا القول العام لم تثبته التجربة العلمية. **(٣) البامية:** وهي من الخضر المعروفة التي تطبخ مع اللحم وتؤكل في أكثر البلاد. وهي من الخضار المرغوبة. **(٤) بدنجان:** الباذنجان معروف بهذا الاسم في سائر البلدان العربية ويزرع لدينا في البساتين مع الخضار. **(٥) البرتقال:** وهو المعروف في كتب الأدب واللغة بـ " النارنج " وهو بالنسبة إلى منطقتنا جديد حيث أنها لم تعرف زراعته إلا منذ نحو عشرين سنة وقبلها كانت ترد فاكهة مستوردة وإلى هذا التاريخ والمزروع منه قليل. **(٦) البسباس:** ويسمى في بعض البلاد الشطة وفي بعضها "فلفل أخضر" وهو يزرع في القسم الجبلي ويعرف في البادية باسم "حوائج الروم" كما يزرع في البساتين في سهول المنطقة وهو لاذع الطعم حريفه. والمعروف لدينا نوع أحمر قمعي والأصناف الموجودة حالياً فهي مستوردة، وقد بدأت تزرع محلياً. **(٧) البشام:** شجر يستاك بأغصانه فيعطر الفم وهو معروف في البادية والحاضرة قديماً وحديثاً بهذا الاسم وهو ذو ساق وله وريقات صغيرة، وقد تردد اسمه في الأشعار العربية. **(٨) البصل:** معروف ويزرع في الحزون والجبال، وفي جهتنا نوع منه صغير البصلة. **(٩) البطيخ:** يطلق لدينا على ما يسمى (الخربز) وهو يزرع موسمياً في صبيا وما حولها. **(١٠) البعيثران:** بكسر الباء الموحدة وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وكسر الثاء المثلثة ثم راء مهملة فألف ثم نون. نبتة عطرية من نوع الرياحين غبراء اللون لها أوراق مثلثة صغيرة.

---

(١) محمد أحمد العقيلي، المعجم النباتي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، ص ١١-١٢. (ربيع).

(١١) البرشومي: وهـو التين المعروف في البـلاد العربية ويوجد بكثرة في جبال صـبيا وغيرهـا . **(١٢) البرقـوق:** وهـو مـن الفاكهـة المعروفة تنبـت بسـاتينه في بعض جبال المنطقة[1] . **(١٣) البن :** بضم الباء التحتية الموحدة ثم نون، وهو شجرة القهوة المعروفة في صـبيا وبخاصة القسـم الجبلي يزرع أنواع منها، وليس في جودة البن اليمني. ويرجع أصـل نبات البن إلى الأحباش فهم أول من اكتشـفوا البن ثم زحفت زراعته إلى اليمن. وأجـزاء من منطقـة جازان. **(١٤) التين:** هذا هو الاسـم الـذي ورد في الكتاب العزيز وأشجاره في صبيا وأبي عريش وجازان وغيرها من بقية المدن . **(١٥) الثوم:** وهو النبات المعـروف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وهـو من البقول المعروفة ويزرع في الحزون والجبال. **(١٦) الثيل :** وهو نبات يفترش الأرض أشبه ما يكون (بالقرمل) من النباتات المالحة التي تنبت قرب الشـواطئ . **(١٧) الجلجلان:** بضـم الجيم الأولى وسكون اللام وكسر الجيم الثانية ثم لام وألف فنون . وهو نفس السمسم المعروف ويعصر في المنطقة بمعاصـر بدائية. **(١٨) الجوافة :** شـجر مـن الفاكهة المعروفة بهذا الاسـم ولم يعرف غرسـها في المنطقة إلا من مدة قريبة إذ لم تعرف زراعته في أوائل القرن الرابع عشـر الهجـري . **(١٩) الحبحب :** نبات معروف ومشـهور وكانـت زراعته عن طريق المزارعين الذين يضعون البذرة وينتظرون . ويكون مفروشاً على سطح الأرض وبعد نضوجه تماماً يتـم التقاطه من على الأرض . وللحبحب أهميته الكبيرة لأن وجوده قديم إلا أن زراعته أخـذت في التطور شـيئاً فشـيئاً إلى أن أصـبحت بالطـرق الحديثة كاسـتخدام البيوت المحمية وغيرها.

(٢٠) السدر : شـجر معروف ذو شـوك، ورد اسمه في القرآن الكريم وورد ذكره في الشـعر، وهو من الأشـجار المظللة المثمرة وأكثر ما ينمو على ضفاف الأودية فيتكون منه غابات وارفة الظلال زاهية الأفنان. يثمر السـدر مرة واحدة في السـنة، ويؤكل أخضـر أو يابسـاً ويسـمى النبـق، وأحياناً يسـمى (كين) . ومن خواصـه : **(أ)** : ثمرة المسـمى (النبق) بكسر النون المثقلة وسكون الباء الموحدة ثم قاف فيه خاصية ملينة. **(ب)** ومن مسحوق أوراقه يتكون مشوش لغسل شعر الرأس ذو رغوة تزيل الأوساخ العالقة بالشعر. **(ج)** يسـتعمل مسـحوق ورق السدر في حنوط الموتى وقد أشـير إلى ذلك في كتب الفقه . **(د)** تسـتعمل أخشـابه في صناعة السـفن الشراعية وفي صنع الأسـرة وغيرها. ويوجد شجر السدر عموماً في كل أجزاء منطقة جازان وأكثره يوجد في أرض صبيا.

(١) المرجع نفسه، ص ١٩، ٢٠ . (ربيع) .

(٢١) الشمطـري: بفتح الشــين وفتح الميم وســكون الطاء المهملة فــراء فياء مثناة تحتية نبات عطري قريب الشبه بالنعناع المدني ولايزال موجوداً حتى الآن ويكثر بيعه في أسـواق الروائح العطرية. **(٢٢) الطماطم:** وهي معروفة في المنطقة باسم (طماطيس) وهي تزرع في فصـل واحد مدة ثلاثة أشـهر تقريباً وهذا المحصــول مشهور عند أهالي المنطقــة ولــه عدة اســتخدامات فيــؤكل نيئاً ويــؤكل مطبوخاً ويقــال أن أكلــه نيئاً يفيد الأشــخاص المصــابين بفقر الدم . وكثيراً ما نرى أســواق المنطق مليئة بهذا المحصــول لســهولة زراعته ومكانته عند أهل البلاد خاصة وفي المملكة بصفة عامة. **(٢٣) العنب:** بكسر العين وفتح النون ثم باء وهو شجرة الفاكهة المعروفة في البلاد يوجد منه في جبال المنطقــة أنواع متوســطة في الجودة أمــا الجيد منه فيوجد في جبــال الطائف وفي جبال اليمن. وينقســم العنب إلى نوعين من حيث اللون فمنه الأبيض أو الأسود **(٢٤) العنبا :** بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء ثم ألف ممدودة، ويسمى أحياناً عنبا فلفل، وشــجرته ذات ساق وأوراق كبيرة ذات ثلاث شــعب قريبة الشبه بأوراق شجرة الخروع وهو الذي يسمى بـ (الباباي) .

(٢٥) الفجـل: ينطــق بكســر الفاء علــى الجزء الأبيضــ في الفجــل أما الورق فيقــال لــه (بقــل) ، وهــو من أنــواع البقــول التــي يأكلهــا الناس بشــكل يومــي. **(٢٦) الفـل:** بضــم الفــاء ثــم لام . وهو زهر أبيضــ جميل زكــي الرائحة . أما شــجرته فهي شــجرة معرشــة، لا يقلهــا ســاقها الضــعيف وأغصــانها متهدلــة وأوراقهــا خضــراء لوزيــة ويطلــق عليهــا في منطقــة صــبيا اســم (الرديمــة). **(٢٧) القثـا :** بكســر القــاف. وهــو مــن النباتــات الحديثــة في وفــود زراعتهــا إلى المنطقة ولم تكــن تعرف في القــديم . **(٢٨) القشطـة :** بفتــح القاف وســكون الشــين وفتح الطاء . وهــي شــجرة الفاكهــة المعروفة في مصــر وغيرها بهذا الاســم . أما اســمها المحلــي في منطقتنا فهو (الشــفلح) بفتح الشين المعجمة والفاء ثم لام مفتوحة مثقلة فحاء مهملة ويوجد بكثرة في جهات العارضــة والعبادل وجبال صــبيا وفيفا . **(٢٩) الكادي:** بفتح أوله، وهو شجر معروف برائحته العطرية الزكية ويوجد في بعض جبال وأودية صبيا وما جاورها . **(٣٠) الكـرات :** مــن البقول المعروفة ومن البقول المســتجدة في منطقتنا ولم تعرف زراعته في جهتنا إلا منذ حوالي اثنين وعشرين عاماً .

(٣١) كعابيش : وهي نبتة ترتفع قدر شــبرٍ من الأرض لها أوراق مســتطيلة صغيرة مسـننة ولها زهــر كزهر الحناء ثم تطلع طلعاً أخضــرَ في حجم بيضــة الحمام، مطرز بشــوكات رطبة وتؤكل رطبة حلوة الطعم . **(٣٢) الكناب :** بضــم الكاف وفتح النون وهي

شجيرة تتألف من قصبات تحلية أشبه ما تكون بقصب صغار نبات الدخن يطلع سنابل بها حبيبات صغيرة مدورة سوداء تطحن وتؤكل خبزة . **(٣٣) الليمون :** ومنه الحلو والحامض وله خواص دوائية معروفة ويزرع في جبال وسهول صبيا وغيرها. **(٣٤) الموز:** من الأشجار المعروفة ويوجد في منطقتنا منه نوع أصفر يسمى (زعبي) أما النوع الأخضر فيأتى به من اليمن الشقيق وله شعبيته الكبيرة في المنطقة . **(٣٥) النعناع:** نبته معروفة تزرع في المنطقة في جبال صبيا وفيفا وكذلك في السهول ويستعمل في الشاي . **(٣٦) الياسمين:** بفتح الياء بعدها ألف فسين مهملة بعدها ميم فنون وهي شجيرة ذات زهر أبيض عامر وهي من الأشجار المستوردة حديثاً إلى المنطقة . ويمكن القول أن الاهتمام بهذا المحصول كبير نظراً لشعبيته عند الناس وأصبحت أهميته لا تقتصر على أسواق المنطقة بل يشمل جميع مناطق المملكة العربية السعودية، كما أن زراعته أصبحت بكميات أكبر من السابق عكس بعض النباتات الأخرى . **(٣٧) محصول الدجر:** شجر يرتفع عن الأرض حوالي نصف متر تقريباً وتتفرع منه عدة أغصان وتحتوي على عدد كبير من الثمار، وعند نضوجها تماماً يتم جمعها ثم تجفف تحت ضوء الشمس بعد ذلك تنظف وتطبخ وكانت في السابق من الوجبات الرئيسية لسكان صبيا، إلا أن هذا المحصول أصبح نادر الوجود خاصة وأن الناس استعاضوا عن زراعته بزراعات أخرى ذات فائدة أكبر سواءً من الناحية الغذائية أو القيمة المادية إذا أرادوا بيعه، لأن نبات الدجر كان يباع بأثمان رخيصة . أما طريقة جمع الدجر فهي بدائية حيث يتم جمعه بالأيدي وهذه الطريقة لم تتطور مع الزمن نظراً لتقلص زراعته وقلة الحاجة إليه . **(٣٨) الحلبة :** نبات معروف وله شعبيته في المنطقة وتزرع في القسم الجبلي من صبيا وفي اعتقادي أنه رغم مرور أكثر من مائة عام على معرفة هذا النبات إلا أن شعبيته ترتفع يوماً بعد الآخر إذ أنه لابد من توافر الحلبة على كل وجبة غداء ويوجد لها باعة يختصون في عملها حيث يجهزونها في بيوتهم ويخرجون بها إلى الأسواق لبيعها. **(٣٩) الدبا :** بضم الدال المهملة المثقلة ثم باء موحدة فألف وقد يضاف فيقال (دبا أبو رقبة) ، وهو نوعان الأول حلو يؤكل نيئاً ومطبوخاً ، والآخر مر المذاق ويستعمل جرمه وعاء للبن ويسمى عند أهل المنطقة (دبيه) . أما طريقة طبخه فهناك طريقتان لطبخ الدبا الأولى: وهي أن يغسل ويقطع إلى أجزاء صغيرة ويطبخ مع غيره من الإدامات . أما الطريقة الثانية فهي أن يغسل الدبا ثم يوضع في التنور كاملاً وبعد حوالي نصف ساعة يتم إخراجه ويؤكل، وكلا الطريقتين مستخدمتان في عموم منطقة جازان، وهناك نوع من الدبا يسمى دبا أبو جميلة وهو نوع من الحبحب صغير الحجم وهذا النوع هو الذي يؤكل مشوياً . **(٤٠) الدخن :** من الحبوب المعروفة وتعتبر منطقة جازان بصفة

عامة من أشــهر مناطق المملكة في زراعته وإنتاجه . وزراعته تشـبه إلى حد كبير زراعة الذرة .

(٤١) الذرة : بضم الذال المعجمة وهو المزروع الأول والرئيسي في المنطقة غير أن الذرة نوعان . النوع الأول يسمى الذرة الحبشية وزراعتها قليلة ، أما النوع الثاني فهي الذرة الدقيقة وهذا النوع هو الذي تشتهر به بلاد صبيا وعموم منطقة جازان والحديث عن هذا المحصــول وحده يحتاج إلى فصل بمفرده ولكن سنتحدث عنه بنوع من الإيجاز فالذرة أو القمح تمر زراعتها بعدة مراحل ففي الســابق كان صاحب الأرض ينتظر بعد سـقوط المطر ويقوم بحرث الأرض حسـب الطريقة البدائية ثم يرمي البذرة في الأرض وتمر البذرة بعدة مراحل يطلق أهالي المنطقة على كل مرحلة اسـماً ومنها : **(أ) لزم :** وهي الفترة التي تكون البذرة فيها مرتفعة عن سـطح الأرض شـيئاً قليلاً . **(ب) شتا أو (وزرة) :** أي يكون الزرع في هذه المرحلة قد بلغ حوالي نصف متر تقريباً ويمثل في هذه المرحلـة طعاماً لذيذاً للحيوانات. **(ج) رصوف :** وفي هذه المرحلة يكون الزرع قد بلغ المتر أو أكـثر إلا أن الثمــار لم تخرج بعـد. **(د) جضم:** وهي المرحلة التي يبـدأ الثمر فيها في الظهور إلا أنه لم يصبح صالحاً للأكل بعد. **(هـ) الصفو :** وهي المرحلة التي تبدأ الثمار في النضوج حتى تصبح صالحة للأكل وتكون بيضاء اللون ويطلق عليه اسم (الخضير) لأن لون الثمرة يميل للخضــرة . أما إذا تأخر صــاحبه في أخذه فإنه يتحول إلى حب وهو الحــب المعــروف ويكون لونه إمــا أحمر أو أبيضـ. **(و) النصير:** وهـذه المرحلة هي التي يصــبح الزرع فيها صــالحاً ومكتملاً للقطع (أو العلفة) كما يسمى أهالي المنطقة هذه العملية . فتصــبح الفائدة من هذا الزرع إما للأكل حسب الطريقة المعروفة أو تستخدم طعاماً للحيوانات سـواءً الحمـير أو الجمال أو البقر أو الأغنــام أو غيرها. وخلال هذه المراحل التي تمر بها الذرة يكون صاحبها مرتبطاً بوظيفة حمايتها من الطيور التي تأتي لأكلها خاصــة في أوقات الصباح والعصــر ولم يكن لديه وسيلة لحمايتها إلا عن طريقة اسـتخدام (المقلاع) المعروف الذي سـبق الحديث عنه . كان هذا الحديث عن زراعة الـذرة قبل حـوالي (٧٠) عاماً . أما الآن فإن العملية تختلف كثيراً من حيث اسـتخدام أجهزة وآلات متقدمة (الحراثة) وحماية المحصــول بأدوية كيماوية لحماية المحاصيل من الأوبئة التي قد تقضــي على المحصــول كاملاً ، كذلك اسـتخدام الأسـمدة لإصلاح الأراضي وجعلها صــالحة للزراعة، وأيضاً استخدام آلات وأجهزة جديدة تقوم بحصد المحصول في مدة قصيرة وتحافظ على أكبر قدر منه .

وهناك بعض النباتات التي تستعمل كعلاجات لبعض الأمراض، والمنطقة غنية بهذه الأنواع من النباتات، ونذكر بعضاً منها : **(١) نبات الأسرار :** وهو من نوع السبار يحند ويقدم علفاً للماشية ولها زهرة خضراء في رأس الفرع يغش الزهرة إذا استكملت، وله حبوب كالحمص بل أصغر منه وإذا حنذت الشجرة وجد في بعض أجزائها شبه كعوب خشبية يدخن بها في البادية كمطهر للجروح . **(٢) البردقوش:** بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الدال المهملة وضم القاف ثم واو فشين معجمة . نبتة عطرية معروفة في المنطقة، وهي نبات يتداوى بمنقوع أوراقها من بعض الأمراض الجلدية. **(٣) البِرْك :** بكسر الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم كاف وهو جنس من الأعشاب العطريَة وله أوراق إبرية صغيرة بيضاء مائلة إلى الاغبرار يعمل منه عصائب على رؤوس الشباب في البادية وضمادات لرؤوس الفتيات . **(٤) البنج :** وهو المخدر المعروف، شجيرة ترتفع قدر متر أو أكثر لها أوراق خضراء غامقة ولها أكمام تفتح عن حبيبات حمراء فاقعة . يدخن بها لتسكين آلام الضروس . **(٥) الزعتر:** بفتح الزاي المعجمة كما ينطق في جهتنا أما في كتب النبات فبالصاد المهملة وبالسين . وهو نوع من النبات معروف وله خواص دوائية ذكره ابن سيده وأبو حنيفة الدينوري. **(٦) السناء:** بفتح السين المهملة المثقلة ثم نون مفتوحة فألف ممدودة وقد يضاف فيقال (سنامكي) وهي شجيرة معروفة في البلاد العربية بخاصيتها المسهلة للبطن .**(٧) الغار:** نبتة لا ترتفع كثيراً، لها وريقات في حجم النصف قرش مدورة مشبعة بالماء فغشاه بزغب ناعم ولها نوائف أشبه بنوائف (الطرف) وهي عطرية الرائحة ويستعمل في البادية ضمادات على الرؤوس. **(٨) عصف:** وهو شجر يشبه شجر القضب له أوراق بيضاوية خضراء أصغر من أوراق الليمون ومن فوائده : (أ) يتداوى بثمرته من مرض الركب يشرب نقيعه . (ب) تؤكل ثمرته كطاردة للرياح. **(٩) عين البقرة:** شجيرة ترتفع إلى قدر المتر لها فروع وأوراق كأوراق الجميز ولها ثمر كثمر الليمون ولها بذر كبذر البسباس يستعمل بخوراً لوجع الأضراس فتخدر الألم، وهي من فصيلة البنج . **(١٠) الغاقة :** وهي شجيرة مفترشة لها أوراق ذات اخضرار غامق لها جنى في حجم (جوزة الطيب) إذا فتحت وجد فيها بذرة كحبة السوداء[١] . زكية الرائحة لها فوائد دوائية أهمها: تسحق أوراقها وتخلط مع السمن وتشرب ترياقاً معروفاً في البادية يذكرون أنه مجرب ونافع بإذن الله . **(١١) غرابة :** شجرة لا يزيد طولها على قامة أو قامة ونصف وقد يكون لها جذع وقد تكون لها فروع تنبت من جذعها المدفون . ولها ورق كأوراق الغرف

---

(١) حبة السوداء، وهي الاسم المعروف بحبة الشفاء . (ربيع) .

ترعاها الماشية يستقطر من أعوادها (قطران) أسود له رائحة مقبولة حادة يتداوى به في البادية من الحكة والجرب والخنازير وبعض الجروح .

(١٢) القضب: وهو شجر ينبت غالباً في الأرض الرملية ويرتفع فوق المترين وله أوراق مستديرة خضراء تتكسر إذا عطفتها ولا يزيد حجم أوراقها عن مدار القرش. وهي مرة المذاق ترعاها الإبل ومن خواصه : **(أ)** يعمل من مسحوق أوراقه ضماد لجروح الإبل. **(ب)** تستعمل جذوعه أساساً للبيوت التي تُشاد من الأخشاب والقشاش . **(١٣) الأرواء :** بسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ممدودة. هو شجر لا يطول عن متر لونه أخضر باهت مائل إلى الاغبرار أوراقه صغيرة مستطيلة يحمل بعذوق بها حبيبات قمعية هشة خفيفة تستعمل بعد جفافها حشواً للمتكآت في المجالس ومن خواصه المعروفة والمجربة: **(أ)** يوضع قمعه على الجرح الدامي فيقال أنه يوقف النزيف . **(ب)** ترعاه المواشي. **(١٤) الرقم:** يستعمل لإزالة البياض الذي يصيب العين ويعرف بـ (الرقعة) . وأخيراً يمكن القول أن هذه النباتات والمحاصيل الزراعية سواءً المستخدم منها للأكل أو للتداوي ليست كل ما يوجد في بلاد صبيا ؛ بل إن هناك بعض الأشجار والأعشاب والنباتات يستفاد منها من عدة أغراض.

ثالثاً : الصناعات التقليدية :

منطقة صبيا، غنية بأنواع كثيرة من الصناعات اليدوية، ونذكر أهمها: **(١) صناعة الأواني الفخارية**[1] . وطريقة صناعتها تشكيل الطين على أشكال مختلفة حسب الحاجة، أو حسب الشكل الذي يريده الخزفي، ويوضع هذا الشكل في أفران خاصة، وهذه الصناعة لها شهرة كبيرة في بلاد صبيا منذ القدم وحتى يومنا هذا، وكان الناس يعتمدون عليها اعتماداً كلياً إذ لم تكن تتوفر لهم الأواني الحديثة، وتتركز صناعة الأواني الفخارية في المنطقة الواقعة بين مدينة صبيا، وبيش وتسمى أبو القعائد . وتزداد الحاجة لهذه المصنوعات في شهر رمضان المبارك[2] .

(٢) صناعة السرر الخشبية (المقعد) : وتقوم هذه الصناعة على استغلال أخشاب أشجار السدر والسلم والأثل . ويتكون السرير من أرجل أربع وساقين ويكون الوسط في

---

(١) من معلومات الباحث، ومقابلة مع علي شافعي أحد شيوخ المنطقة في (١٤١٣/٤/١٧هـ) . (ربيع) .

(٢) تشتهر منطقة جازان بالصناعات الفخارية، ومازلنا نشاهد الكثير من المصنوعات في أسواق المنطقة الشعبية والحديثة، وهذه الحرفة تستحق أن تدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في رسالة الماجستير أو الدكتوراه . (ابن جريس) .

بداية الأمر مفرغاً، ثم بعد ذلك يربط بالحبال التي تصنع محلياً من سعف النخيل، وهذه السرر يوجد منها الكبير والصغير والمتوسط ويسمى الصغير منها (الغزالي). ولا يخلو أي بيت من بيوت المنطقة من هذه السرر رغم انتشار صناعة السرر الحديدية، وكثير من الناس يرتاح في النوم على هذه السرر[١]. **(٣) صناعة الشدود:** ومفردها شد، وهي سرج يوضع على ظهور الحمير، وتصنع من القش الذي يوضع داخل جلد الضأن ثم يشج ويشد بحبال النايلون. **(٤) الصناعات الحجرية :** وتعتمد اعتماداً كلياً على عملية النحت، وأهم هذه الصناعات **(أ) صناعة المطاحن:** وتقوم على قوة بدنية كبيرة، لأن الصانع يقوم بنحت الصخور الصلبة حتى يصبح شكلها مناسباً لطحن الحبوب. وتتكون المطحنة من سطح حجري يسمى مطحنة، وعمود من الحجر يسمى وادي المطحنة[٢]. **(ب) صناعة الرحى :** وهي طبقتان من الصخر منحوتة على شكل دائري متساو لها مقبض من الأعلى، يقوم العامل بصب الحبوب في تجويف في المنتصف، ثم يحرك الطبقة العلوية منه بشكل دائري وبذلك تتم عملية طحن الحبوب[٣]. **(ج) صناعة المغاش :** وهي أوان مجوفة من الوسط يوضع بها اللحم عند طهيه، وهذه الصناعة صعبة للغاية لأنها تتطلب الصبر والفن والجهد المتواصل. ووجبة المغش مشهورة في المنطقة ومرغوبة، وبخاصة وجبة الغذاء، وفي هذه الأيام نلاحظ ازدياد ميل الناس إلى هذا النوع من الطعام. **(د) المشهق :** هذا المصطلح المتعارف عليه عند أهل صبيا وتشبه المشاهق الطاوات وتستخدم لتحميص البن والفصفص، واستخدام المشاهق الآن أصبح نادراً جداً [٤].

(هـ) الجبن: بكسر الجيم وفتح الباء وهي دلات مصنوعة من الطين وتطبخ فيها القهوة، وحلَ محلها الآن الدلات المعروفة، إلا أن كبار السن مازالوا يحتفظون بالجبنة لأنهم يتلذذون لقهوتها. وتعرف عند السودانيين بالاسم نفسه ويطلق عليها في اليمن

---

(١) هذا كلام صحيح، فقد زرت مؤخراً بعض الأسر في محافظة صبيا وبيش ووادي جازان، وشاهدت الكثير من السرر الخشبية، وكبار السن من الرجال والنساء يفضلونها على السرر الحديثة. (ابن جريس).

(٢) مقابلة مع عيسى أحمد عثاثي، مدرس مادة التاريخ في مدرسة الباحرا الثانوية في (١٤١٣/٥/٢٩هـ) (ربيع).

(٣) الرحى معروفة عند جميع سكان تهامة والسراة، وقد شاهدت بعض أنواعها في مناطق جازان وعسير والباحة، وهي تتفاوت في الأحجام، حتى إن بعضها كبير جداً، ولا يستطيع حملها أو نقلها إلا فريق كبير من الرجال. (ابن جريس).

(٤) حبذا يا أستاذ ربيع أن تتوسع في هذه الدراسة، كما أرجو أن تجمع المصطلحات والمفردات اللغوية المستخدمة في الطعام والشراب، واللباس والزينة، وكذلك الزراعة، والمهن والحرف والصناعات التقليدية. (ابن جريس).

(جمنة) وجمعها جمين وجمان . **(و) الفناجين:** وهي أوعية تصب فيها القهوة، ويوجد على أطرافها الخارجية بعض النقوش الفنية التي تضفي عليها رونقاً وجمالاً تدل على الفن الذي تمتع به هؤلاء الصناع . وبالرغم من منافسة الصواني الزجاجية للفناجين فاستعمالها مازال محبباً لدى بعض سكان المنطقة. **(ز)المركب:** موقد صغير يوضع به الفحم ويشبه في استخدامه الدافور المستعمل الآن. واستخدام المركب الآن أصبح نادراً جداً نظراً للتطور في استخدام أدوات أقل تكلفة وأكثر منفعة[١] . **(ح) الجرار:** وهي أوعية يوضع فيها ماء الشرب للتبريد، ويفضل أن توضع في مكان مظلل، ويوجد أنواع أخرى صغيرة من هذه الجرار إحداها تسمى الشاطرة والأخرى تسمى الرجبية[٢] نسبة إلى شهر رجب حيث يكثر استعمالها فيه. **(ط)التنانير:** أفران تصنع من الطين تشكل بطريقة معينة وتستخدم لصناعة الخبز وطهي اللحوم وهو ما يسمى عند أهل المنطقة باسم الحنيذ (المندي) . وتوجد التنانير في معظم بيوت المنطقة واستعمالها لايزال إلى وقتنا الحاضر لكن ليس كالسابق، ولايزال الكثير من أهالي المنطقة يعشقون الأكلات التي يتم عملها عن طريق هذه التنانير لأنها تكسبها نكهة خاصة. **(ي)الحياسي:** أوعية من الفخار يوضع بها الطعام عند أكله، وحل محلها الآن الصحون المعدنية والصينية والبلاستيكية والزجاجية[٣] .

(٥) المصنوعات الحديدية : هذا النوع من الصناعة يعود إلى الوراء قروناً عديدة لأن ظروف المعيشة في الماضي أجبرت الإنسان على هذه الأنواع من الصناعات ليستطيع عن طريقها الحصول على قوته ومن هذه الصناعات : السكاكين، والفؤوس، والمخارش، والقاروع، والأزمين وبعض الأدوات التي تستعمل لحرث الأرض الزراعية، وكذلك طاولات مقرعة من الأعلى يوضع فيها الماء والبعض الآخر يوضع فيه الحبوب لكي يسهل على الحيوانات أكله بسهولة . ويقدر عدد الصناع الممارسين لهذه المهنة في منطقة صبيا، بخمسة عشر صانعاً، وتنشط هذه المهنة في عيد الأضحى المبارك وخاصة صناعة السكاكين[٤] . **(٦) صناعة الزيوت النباتية (السمسم) :** تعد منطقة

---

(١) تاريخ الصناعات التقليدية في عموم منطقة جازان من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس) .

(٢) أكرر القول للمؤرخين واللغويين والباحثين في منطقة جازان على أن هناك الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغوية المحلية تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية . وأرجو أن تقوم الكليات والأقسام المعنية في جامعة جازان بهذه المهمة العلمية. (ابن جريس) .

(٣) ما أشرت إليه يا ربيع نماذج محدودة من الحرف والصناعات التقليدية، وأرجو منك أو من أحد الباحثين الجادين في بلادكم أن يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٤) الصناعات الحديدية من أنشط الحرف في مجتمعات تهامة والسراة، وذلك لأهمية الأدوات الحديدية

صبيا الأولى بالمملكة العربية السعودية في صناعة زيت السمسم لتوفر جميع الموارد الخاصة بهذا النوع من نبات وأيد عاملة وأماكن مخصصة لهذه الصناعة. والمادة الأولية لهذه الحرفة هو نبات السِّمسم ويطلق عليه أهل المنطقة اسم (الجلجلان) وطريقة إعداده يحضر الشخص الإبل سواءً ذكراً أم أنثى ويربط على عينها قطعة من القماش ثم يربط هذا الحيوان بجهاز يقوم بتحريك المادة التي توضع بداخله وهي نبات السمسم إلى أن تتحول إلى مادة سائلة تسمى (السليط) حسب مصطلح أهل تهامة، وتمثل هذه المادة قيمة غذائية كبيرة تستخدم في معظم الأطعمة، وليس لأصحاب هذا النوع من الصناعة سوق مخصص لأنهم قلة [١] .

(٧) النسيج والخياطة : وهذا النوع من الصناعة لم يكن متوفراً بكثرة في القرن الرابع عشر الهجري وذلك لعدم توفر الخامات اللازمة، أضف إلى ذلك عدم وجود الحاجة الماسة لهذه الصناعة إلا في المناطق الجبلية أو البدوية، حيث كان هؤلاء الناس يستفيدون من جلود الأغنام والحيوانات في صناعة الملابس الخاصة بهم وصناعة بيوت الشعر. وهذا يرجع إلى بعدهم عن المراكز الحضارية والأسواق الموجودة في البلاد، بالإضافة إلى عدم توفر النقود التي يشترون بها الملابس، فكانت هذه الصناعة هي الحل الوحيد لهم. أما الآن فإن هذا النوع من الصناعة انقرض نهائياً سواءً في المناطق الجبلية أو البدوية، وذلك لدخول الحضارة إلى جميع مناطق المملكة وتوفر وسائل النقل التي يسهل على هؤلاء الناس عملية الوصول إلى المراكز الحضارية والأسواق التجارية[٢] .

(٨) دباغة الجلود : كان الناس قديماً يقومون بسلخ الأغنام، ويأخذون الجلود لدباغتها واستخدامها في عدة أمور مثل: الدفوف التي تستخدم في الفنون الشعبية، وتستعمل في تلبيس السرر (المقعد) وغيرها [٣] .

التي تستخدم في ميادين عديدة، وكنت أتمنى يا ربيع أنك فصلت كثيراً في هذه الصنعة، وأيضاً ذكرت سير ذاتية مختصرة للصناع الخمسة عشر الذين أشرت إليهم في صبيا أثناء إنجاز بحثك في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(١) صناعة السمسم منتشرة في بلاد تهامة من القنفذة ومحائل إلى بلاد جازان، وهي من الصناعات القديمة والجديرة بالبحث والتوثيق . وقد استبدلت الحيوانات وبخاصة الجمال مؤخراً حيث حل محلها أجهزة كهربائية، تقوم بعملية عصر السمسم، ومازالت تمارس بشكل جيد في صبيا ومناطق أخرى عديدة في تهامة. (ابن جريس) .

(٢) يشوب ما ذكرت يا ربيع شيء من الخلط فمهنة الخياطة والنسيج موجودة عند البادية والحاضرة، وقديماً لا تخلو أسرة من خياطة ملابس أفرادها، وهناك من كان يعمل في مهنة الخياطة من أجل الربح والتكسب . وفي القرن (١٤هـ/٢٠م) كان الناس يستوردون بعض المنسوجات والأقمشة من الأسواق المحلية والمجاورة في بلاد عسير، والقنفذة، واليمن والحجاز وغيرها. (ابن جريس) .

(٣) مهنة الدباغة والخرازة قديمة، مارسها العرب منذ عصور ما قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي،

(٩) الصياغة : تعتبر أقل المهن استخداماً خلال القرون الماضية، وهذا لا يمنع من وجود بعض الناس الذين اشتهروا في صبيا بهذه الصناعة فكانوا يقومون بصناعة الخواتم والخلاخيل والخناجر والسيوف وبعض أدوات الزينة التي تستخدم في المناسبات. وهذه الأشياء تصاغ من خامات الذهب والفضة والنحاس وغيرها[١].

(١٠) صناعة السجاد والسلال اليدوية : تعتمد هذه الصناعة على خامات من البيئة المحلية، وهي سعف النخيل حيث يقوم العامل بجمع أوراق النخل ثم تشكيلها بأشكال متعددة. مثل: السلال وما يسمى في المنطقة بالزنابيل، والسجادات التي يستخدمونها لأداء الصلاة، وكذلك السجاد تفرش بها قاعات العشش، وأيضاً المراوح اليدوية " المصرفة، " والمجولة التي تستخدم لتحضير الطعام عليها، والمهاجن وهي أكبر من أغطية الرأس أو ما يعرف بالمظلة، وتصنع القفف وتستخدم لحفظ الخبز.

وبنهاية هذا المحور يمكن القول إن جميع هذه الصناعات التقليدية التي كانت سائدة في المنطقة لم تعد هناك حاجة إليها وذلك يرجع للتطور الشامل الذي تشهده المملكة العربية السعودية في شتى المجالات . ووجود صناعات بديلة لهذه الصناعات التقليدية، تتميز عنها بقلة أسعارها وسهولة عملها عن طريق الأجهزة والآلات الحديثة ومازلنا نشاهد الصناعات التقليدية في أسواق المنطقة للعلاقة التاريخية بين السكان وهذه الصناعات بالإضافة إلى اقتناع كثير من السكان بهذه الصناعة .

رابعاً : التجارة :

كانت التجارة في صبيا، تمثل مورداً اقتصادياً مهماً، خاصة وأن موقع المنطقة مشجع على ازدهار التجارة ليس في القرن الرابع عشر الهجري فحسب ؛ بل إن شهرتها تعود إلى الوراء قروناً عديدة. والحديث عن التجارة في صبياً، أو في أي قطر من أقطار العالم لابد من الإشارة لعدة عناصر أهمها : الطرق التجارية، والأسواق، والسلع المتبادلة، والأسعار والرقابة عليها، ثم النقود، فالأوزان والمكاييل وهي على النحو الآتي: الطرق التجارية: تتمتع بلاد صبيا بموقع متوسط فقد تميزت باتصالها بالعديد من الطرق التجارية، ومن أقدم الطرق التي اشتهرت بها منطقة جازان بصفة عامة

وهناك مناطق اشتهرت بهذه الصناعة في بلاد اليمن والطائف وتهامة والسراة . وكانت تمارس في بلاد صبيا وجميع مناطق جازان على نطاق واسع، وهناك من اشتهر بممارسة هذه المهنة، كما أن بعض الأسر في مناطق عسير وجازان ونجران كانت مشهورة بدباغة الجلود وصناعتها . (ابن جريس) .

(١) صناعة المعادن معروفة في عموم بلاد تهامة والسراة . وهذه الصناعة وصناعات أخرى لا يعمل فيها إلا طبقات معينة في المجتمع، وللأسف أن ينظر إليهم على أنهم في مستوى أقل من طبقات المجتمع الأخرى، وهذه العادة ممارسة ومعروفة عند عرب شبه الجزيرة العربية من قبل الإسلام . (ابن جريس) .

الطريق التجاري قبل الإسلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ فإحدى هاتين الرحلتين كانت إلى اليمن، وهناك طريق تجاري تمر بالمنطقة إذ أنها المنفذ الأقرب من الحجاز إلى اليمن. ومن الطرق التجارية التي تربط صبيا بغيرها خط جازان- جدة، يمر بمحاذاة الساحل، ويلعب هذا الطريق دوراً بالغ الأهمية إذ لا تكمن أهميته في استخدامه من قبل أهالي المنطقة فحسب بل تزداد الحاجة إليه في مواسم الحج، إذ يمثل معبراً هاماً لأهل اليمن. نحو المشاعر المقدسة، واستعمالهم له قديم جداً [١].

أما الطرق التجارية الداخلية فهي كثيرة، ومنها المسفلتة، وبعضها مازال ترابياً حتى الآن، مثل: طريق صبيا بيش، وصبيا العبدلي، وطريق صبيا الدرب، وصبيا الحقو، وصبيا أبو عريش، وصبيا الخوبة وغيرها من الطرق التي ترتبط بمناطق تجارية أخرى[٢]. وكانت بعض هذه الطرق الداخلية والخارجية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) لا تخلو من قطاع الطرق الذين كثيراً ما سلبوا ونهبوا دون أن يجدوا أحداً يردهم أو يمنعهم، ومالبث هذا الخطر أن زال بفضل الله تعالى ثم بفضل ملوك المملكة العربية السعودية واهتمامهم بردع هذا الخطر إلى أن أصبحت المنطقة كغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية تنعم بالأمن والاستقرار[٣]. ومن الطرق البحرية تلك التي تربط بين صبيا وجازان وجدة، وطرق أخرى تتصل بمصر والحبشة وإريتريا وغيرها .

كما اشتهر جازان بالعديد من الأسواق الأسبوعية [٤]. ومدينة صبيا من الحواضر

---

(١) نعم هذا الطريق قديم جداً وقد ذكرته الكثير من كتب التراث الإسلامي وبخاصة كتب الجغرافيا والرحالة، وصدر عنه دراسات حديثة مطبوعة ومنشورة . (ابن جريس) .

(٢) ذكرت يا ربيع هذه الطرق في بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) واليوم ونحن ندون هذه الملحوظات عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) أصبحت جميع هذه الطرق مسفلتة، بل بعضها أصبحت طرقاً مزدوجة . وأقول إن تاريخ الطرق في منطقة جازان خلال الثمانين عاماً الماضية يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية موثقة، وآمل أن نرى أحد أبنائنا المؤرخين الجادين فيدرس هذا الموضوع دراسة تحليلية توثيقية . (ابن جريس) .

(٣) لم يكن السلب وقطع الطريق مقصوراً على بلاد صبيا أو تهامة وإنما كان منتشراً في عموم شبه الجزيرة العربية، ومن فضائل هذه الدولة الكريمة (المملكة العربية السعودية) أن قضت على هذه الظاهرة، وانتشر الأمن والرخاء في عموم البلاد . (ابن جريس) .

(٤) تشير بعض المراجع إلى بعض أسواق منطقة جازان الأسبوعية، مثل: سوق السبت في بيش . وسوق الأحد في هروب، وأحد المسارحة. وسوق الإثنين في فيفا والحقو. وسوق الثلاثاء في صبيا . وسوق الأربعاء في أبي عريش، والعيدابي، وبني مالك . وسوق الخميس في الخوبة والعارضة . لم نذكر كل الأسواق الأسبوعية في منطقة جازان، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس).

الرئيسـية في البـلاد الجازانية، ونقصـر حديثنا عن سـوق صـبيا[١] الذي يقع وسـط المدينة[٢]، وهو ذو أهمية كبيرة لأنه يخدم المقيمين داخل المدينة والقرى المجاورة البالغ عددهـا (٣١٠) قريـة مثل الباحرا، وحوئـين، والرونة، والسـنجة، وجريبه، والجديين، والعداية، والحسيني، وصلهبة . ويسكن مدينة صبيا نسبة لا بأس بها من سكان منطقة جـازان حيث بلغ عددهم في تعداد سـنة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) حوالي (١٣،٤٦٢) نسـمة وهذا العدد الكبير يشكل قوة شرائية لسوق صبيا، ومعظم تجار السوق من سكان المدينة المقيمـين . ويأتي رواد السـوق من خارج المدينة بعد صـلاة الفجر خاصـة يوم الثلاثاء لتوفر كل ما يحتاجونه، فيأخذون بضائعهم التي تكفيهم لأسبوع كامل .

ويقع السـوق في وسط المدينة، وتحيط به المنازل من جميع جوانبه، وكانت مساحته تبلغ حوالي النصـف كيلو متر مربع والحركة التجارية في هذا السـوق لم تكن نشطة في القرن ((١٤هـ/٢٠م) كما هي الآن بسبب عدم وجود تنظيم وتوزيع السلع حسب أنواعها . فهناك تداخل بين بعض السلع فترى أصحاب الفاكهة والخضار واللحوم والأسماك في مكان واحد . ومن أسـباب تدني حركة البيع والشـراء عدم وجود طرق سهلة تربط بين المدينة والقرى المجاورة لها، كما أن وسـائل النقل هي: الحمير، والجمال، وكان السـوق يعتمد اعتماداً شبه كلي على المصنوعات اليدوية. وفي مطلع القرن(١٥هـ/٢٠م) تم نقل سـوق صبيا الأسـبوعي إلى جنوب المدينة، وصار وضـعه التجاري أفضل مما كان عليه خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م)[٣] .

ونلاحظ أن سوق صبيا الجديد مقسم إلى أجزاء عديدة حسب نوع السلع المعروفة، فهناك سـوق السـمك الذي يقع في الجزء الشـمالي الشـرقي من السـوق وعدد بائعي الأسـماك حـوالي (٥٠) فرداً معظمهـم من القرى السـاحلية مثل : السـنجة، والقوز، ومنسـيه وغيرها، ويباع فيه أنواع كثيرة من الأسماك مثل: العربي، والشعور، والهامور،

---

(١) لقد زرت منطقة جازان وكتبت عنها عشرات الصفحات في بدايات العقد الثالث من القرن (١٥هـ/٢١م) . للمزيـد انظـر غيثـان بن جريس. القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب (عسـير، وجـازان، والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميضـي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) (الجزء الرابع) ص ٢٢٧-٣٠٢ . انظر أيضـاً محمد بن أحمد معبِّر. الرحلات والرحالة في الجنوب السـعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-ق١٥هـ/ ق٨-ق٢١م) (الرياض : مطابع الحميضـي، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م)، ج١، ص ١٥٧-٢١٠. ج٢، ٦٢٧-٦٩٦ . (ابن جريس) .

(٢) أصـبحت محافظة صـبيا اليوم من كبريات مدن منطقة جازان، ويوجد فيها عشـرات الأسـواق الحديثة اليوميـة، وهـي منتشـرة في أرجائها . مشـاهدات الباحـث في بدايات عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) . (ابن جريس) .

(٣) يوجد في محافظة صـبيا اليوم عشرات الأسـواق اليومية، وفيها بضائع متنوعة المصادر والأنواع . وتاريخ التجارة في عموم منطقة جازان يستحق أن يدرس في بحوث وكتب عديدة . (ابن جريس) .

وأسـماك القرش الصغيرة، بالإضـافة إلى الجمبري . وتجلب الأسماك إلى السوق عن طريق شـركة الأسماك السعودية، أو الصـيادين الذين يقومون باصطياد أعداد كبيرة بواسـطة مراكبهم الخاصة . وكون الأسماك أكلة شعبية في مدينة صبيا فتقدر الكميات المسـتهلكة منهـا في يوم السـوق (الثلاثاء) بحوالي طنين ونصـف . أمـا في بقية أيام الأسبوع فتقدر بحوالي (١٥) طناً[١] .

وتقع سـوق اللحوم إلى الشمال من سوق السمك ويقدر عدد تجارها بحوالي (١٢) شخصـاً، وتصـل كمية اللحوم المستهلكة في يوم السـوق حوالي طن واحد، وتقل النسبة خلال أيام الأسـبوع الأخرى. ويقع سـوق الخضـار غرب سوق السـمك ويتوسط السوق وتباع فيه جميع أصـناف الخضـار مثل: الكوسـة، والباميـة، والطماطم، والباذنجان، والملوخية، والبطيخ، والشـمام، والفجل، والخيار، والجزر. وجميع هذه الأصـناف تزرع محليـاً، وأحياناً يُجلب إليه مثل البقدونس، والخس، والبطاطس، والملفوف، والجرجير، ويلاحـظ أن معظـم البائعين في سـوق الخضـار هم من سـكان القرى المجـاورة لمدينة صبيا، خاصة القرى الزراعية، ويقدر عددهم بحوالي ثلاثين بائعاً . ويقع سوق الفواكه شـمال سـوق الخضار وغرب سوق اللحوم ويباع في هذا السـوق جميع أصناف الفاكهة، ويقوم مشـروع وادي جازان والمزارع المجاورة بإنتاج بعض أصـناف الفاكهة مثل: الموز، والبرتقال، والتفاح، والليمون، والباباي، والجوافة، والمانجو . كما تستورد بعض الفواكه مـن أبها، والخميس، والطائف، ويقدر عدد تجـار الفواكه بحـوالي (٢٥) فرداً وتقدر الكميات التي تباع في الأسواق بخمسة أطنان .

وينقسـم سوق المواشـي إلى خمسة أقسـام، هي: **(أ) سوق الضأن:** ويقع في الجزء الجنوبي من السـوق العام وعدد التجار لهذه السـلعة غير محدد حسـب عملية العرض والطلـب، وله فترات تكون أثمان الضـأن رخيصـة وأخرى غالية، ومعظم الضـأن التي تصـدر إلى السـوق تأتي من القرى . وهناك شـخص ينظم عملية البيع والشراء يسمى (شيخ الضأن) . **(ب) سوق الماعز:** متداخل مع سوق الضأن فلا توجد بينهما فواصل، ومعظم الماعز يصـدر من القرى المجاورة . **(ج) سوق الإبل:** يقع جنوب سـوق الضـأن، وهو أصـغر أسواق الماشية فلم يعد هناك الحاجة الضـرورية للإبل، وتقدر الكمية التي تباع في يوم السـوق بخمسـة جمال إلى سـبعة . (د) سـوق الأبقار: يقع في الجنوب من سـوق الماعز والضـأن، والأبقار التي تجلب إلى السوق محلية، ويتراوح عدد البائعين من

---

(١) هذا ما عرفته وشـاهدته وسـمعته من مصـادر عديدة في مدينة صـبيا خلال جمع مادة هذا البحث في الشهور الأولى من عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). (ربيع) .

(٧ - ١٠) أفـراد . **(هـ) سوق الحمير:** يقع في الجزء الغربي من السـوق العام، وأهمية هذه السـلعة بدأت تقل نظراً لتوفر وسـائل النقل الحديثة، والكمية المباعة منها ضـئيلة جداً، فهي تتراوح ما بين (٣ - ٥) حمير.

سـوق الفحـم والحطب: في الجـزء الغربي من السـوق العام، ويقـوم الباعة بجمع الحطب عن طريق قطع أغصـان أشـجار السلم والسـدر والأثل، ويستخدم الحطب في المنطقـة بكميـات كبيرة . أما الفحم فيصـنع عن طريق حرق الحطـب وتغطيته بطبقة خفيفة من التربة لمدة زمنية تقدر بأسـبوع . ويسـتخدم الفحم بكميات كبيرة لأغراض عديـدة كطهـي الطعام وبخاصـة الولائم، ويصـدر الفائض منها إلى أنحـاء المملكة . والحبوب من السـلع الرائجة في سـوق صـبيا، ومنها: الدخن، والذرة، والسمسـم . كما يسـتورد أنواع أخرى من الحبوب مثل : الدقيق والشـعير . وتقدر الكميات التي تباع من الحبوب في يوم السوق بحوالي عشرات الأطنان .

سـوق أعلاف البهائم " القضـب ": في الجنوب الغربي من السوق العام، وتباع فيه جميع أعلاف الماشية التي تزرع محلياً في مزارع مجاورة، ومنها ما هو مجفف . وهناك سـوق النباتات والأشجار العطرية التي تنبت في المناطق الجبلية . وتشتهر المنطقة بهذه الروائـح خاصـة وأن الناس يسـتخدمونها في الأفراح، ومعظم مناسـباتهم الاجتماعية . والنسـاء يقمن بوضـع هـذه النباتات على الرأس، وتصـدر منه رائحـة جذابة، وأهم هذه الروائح هي: الفل، والكادي، والزعتر، والواله، والبعيثران، والياسـمين . كما يوجد في السـوق بعض الشـباب وصغار السـن الذين يعتنون بتربيةٍ وبيع الطيور مثل الدجاج، والحمام، والبط، والإوز وعددهم يتراوح من (٣٠-٤٠) شاباً [١].

وهناك بعض السلع المحلية كالحبوب، والماشية، والأدوات الصناعية التقليدية تباع لسـكان المنطقة، وبعضها تصدر إلى أسواق مناطق جازان الأخرى، وربما أرسلت بعض الحبوب إلى أسـواق الحجاز. وقد سـمعت مـن بعض الرواة في مدينة صـبيا أن الحياة كانت صـعبة، والناس يعيشـون عيشـة الكفاف، وفيهـم الفقراء والمحتاجـون، ولا يخلو المجتمع من تجار يمارسون مهنة التجارة المحلية .

وسـلع كثيرة يتم اسـتيرادها من أسواق جازان والقنفذة وعسير وبعض مدن اليمن

---

(١) رصـدك يا ربيع لابأس به لكنه مازال يحتاج إلى تفصـيلات وتحليلات أكثر، وأرجو أن نرى من المؤرخين والباحثين الجادين من يدرس تاريخ أسواق صبيا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) دراسة علمية جادة . (ابن جريس) .

والحجاز مثل: الأقمشة والمنسوجات، وبعض الأواني المنزلية، والألبسة والملاحف، ومن البضائع التي تصدر إلى أسواق صبيا . الأطعمة والأشربة كالبن، والأرز، والسكر، والشاي . وهذا ما وجدته في بعض وثائق القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، حيث كان هناك تجار كبار في حضرموت، والقنفذة، وجدة، ومكة، وأبها ورجال ألمع يعملون على توريد العديد من السلع إلى مدينة جازان، وصبيا وما جاورها(١) .

والأسعار ليس لها معيار ثابت فترتفع في فترة وتنزل في أخرى، وذلك يرجع لعدة أمور منها : نوع البضاعة، وكميتها، ووفرتها في السوق، بالإضافة إلى الجهد المبذول في الحصول عليها، فمنها المستوردة، وأخرى محلية . ونظراً لندرة المصادر التي تساعدنا في معرفة الأسعار الموجودة في القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، فإننا اعتمدنا اعتماداً شبه كلي على كبار السن في هذا المجال(٢) . فكان كيس الدقيق بعشرة ريالات عربية، وهو غالي الثمن لأنه يستورد من مناطق أخرى. والبر يبلغ ثمن الكيس منه عشرة ريالات . أما السمك فنظراً لتوفره فالشخص يستطيع أن يشتري ما يكفي ليومه بثلاث ريالات . ورطل اللحم يباع بخمسة أو عشرة ريالات أحياناً، وهي أسعار متوسطة(٣) .

والعملة المستخدمة في البيع والشراء الريال الفرنسي وهو قطعة معدنية مصنوعة من الفضة، ويسمى عند أهل المنطقة باسم (ريال بوش) . وهناك الريال العربي وهو أيضاً مصنوع من الفضة، ثم تطور الوضع وظهرت العملات الورقية كالريال الورقي، ومنه الهللة وهي قطعة معدنية، ومائة هللة تساوي ريالاً، وكذلك الربع ريال والنصف ريال، وجميعها معدنية، وظهرت الخمسة والعشرة والخمسون، والمائة، والخمسمائة ريال وكلها نقود ورقية وهي مستعملة حتى الآن(٤) .

كان في المنطقة أدوات محدودة لوزن أو كيل الحبوب وغيرها من المنتجات الجافة

---

(١) تاريخ البيع والشراء والصادرات والواردات في منطقة جازان خلال العصر الحديث من الموضوعات الجديدة الجديرة بالبحث والتوثيق . (ابن جريس) .

(٢) أصبحت محافظة صبيا اليوم من كبريات مدن منطقة جازان، ويوجد فيها عشرات الأسواق الحديثة اليومية، وهي منتشرة في أرجائها . مشاهدات الباحث في بدايات عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) . (ابن جريس) .

(٣) وافانا بهذه المعلومات الأخوان محمد علي عطية ومهدي علي عطية وهما من أهالي المنطقة في (١٤١٣/٥/٢٤هـ) . (ابن جريس) .

(٤) دراستك يا ربيع عن الأسعار والأجور قليلة وناقصة، حيث كان هناك حركة تجارية جيدة، وقد واكبها الكثير من عمليات البيع والشراء، وهناك الكثير من الوثائق والرواة الذين عاصروا زمن البحث، وكان يجب عليك بذل جهود أكبر حتى تدون لنا صورة واضحة ووافية عن تاريخ الأسعار آنذاك . (ربيع) .

مثل: المد الذي يساوي ثلاث أقق، والصاع يساوي أربعة أمداد، والفرق ويساوي ثلاثة أصواع أو اثنتي عشر مداً [١] . وينقسم الصاع إلى نصف الصاع والربع، وجميع المكاييل في وقتنا الحاضر، يتم صناعتها من الخشب. ثم ظهور الميزان، لكن ليس المعروف في وقتنا الحاضر، وذلك الميزان يتكون من كفتين، ويوجد معها عدة قطع حديدية ووزنها رطل ونصف رطل وربع رطل وتستعمل كل قطعة منها حسب الحاجة وحسب الكمية المطلوبة . أما أدوات القياس المستخدمة الآن كالمتر والكيلومتر تعرف يعرف إلا في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري، وكان يتم قياس الأراضي والأماكن التي تقام عليها البيوت بالأقدام أو الخطوات ويطلق عليها (الذراعة) ويسمى أصحابها من أهل المنطقة بسم (الذراعين) ومازالت هذه التسمية موجودة إلى وقتنا الحاضر . وللقطع الزراعية أسماء مثل: المعاد : وهي مساحة متعارف عليها لدى أهالي المنطقة . والقيراط : وهو أكبر من المعاد . والزهب : وهو قطعة أرض محاطة من جميع الجهات[٢] . أما قياس الملابس والقماش فقد يستخدم الذراع، أو الشبر، أو قطعة حديدية طولها من (٧٠-٩٠) سم .

خامساً : بعض المعوقات الاقتصادية :

نذكر بعض العقبات التي وقفت مانعاً ضد التطور الاقتصادي في بلاد صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري وهي على النحو الآتي: **(١) الرياح الموسمية :** والمعروفة عند أهل المنطقة بـ (الغبرة)، فلها آثار سلبية على الزراعة، وأحياناً تقضي على المواشي، وتعوق الناس عن الحضور إلى الأسواق فتراهم يحتمون منها في منازلهم ،وكل ذلك لا ينفي فضل هذه الرياح في حمل حبوب اللقاح بين النباتات، وهذا يحسب فائدة وليس معوقاً، إلا أن هذه الفائدة لا تقارن ببقية الأضرار . **(٢) السيول الجارفة :** التي تقضي على الناس وتهدم المنازل وتأخذ معها الحيوانات وتخرب المراعي والمزارع . ولم يكن الإنسان يستطيع أن يعمل شيئاً تجاه هذا الضرر. أما في وقتنا الحاضر فقد تم التغلب على هذه المشكلة عن طريق بناء السدود التي تحفظ مياه الأمطار والسيول والاستفادة منها قدر الإمكان، ولم يعد هناك خطر على الناس أو الحيوانات إلا في بعض المناطق الجبلية . **(٣) الجراد :** حشرة معروفة ومشهورة في المنطقة منذ قديم الزمن، وقد سجل الأهالي عدة مواقف ضد هذه الحشرة التي تكون أفواجاً وتهجم على المزارع

---

(١) غيثان بن علي بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر . ص (١٢٥). (ربيع)

(٢) مقابلة مع جهر حسن معروف. أحد رعاة المنطقة في (١٤١٣/٦/٢٥هـ). (ربيع) .

وتدمرها وعانوا منها كثيراً، لكن في هذا العصر تغير الوضع وتمكن الإنسان من التغلب على الجراد عن طريق استخدام المبيدات الحشرية حيث يتم رش المزارع فلا يستطيع الجراد إتلاف الزروع وإذا أكلها فإن مصيره الهلاك . **(٤) القرود :** تمثل خطراً على مزروعات الناس، وقد عانوا من ذلك كثيراً .**(٥) السرقة :** وهذه المشكلة عانى الناس منها وكانت منتشرة خلال القرن الرابع عشر، وبعد إنشاء مؤسسات الشرطة والقضاء في عهد الملك عبد العزيز بدأت تقل حتى تلاشت .واللصوص هم عماد هذه العقبة، فكانوا يسرقون المواشي والأطعمة والملابس ويقتلون أصحابها إذا لزم الأمر، وكانت أماكنهم في المناطق الجبلية أو الصحاري التي تقع على طرق تجارية هامة تمر بها القوافل، وأحياناً داخل القرى والأرياف . **(٦) القحط :** كانت منطقة صبيا كغيرها من المناطق الأخرى تتعرض لمجاعات ولجفاف الأرض وقلة نزول الأمطار فتقل الأغذية ويزداد غلاء المنافع وربما يذهب البعض لأكل لحوم أشياء محرمة . **(٧) الأمراض :** ونقصد بها الأمراض المعدية التي عانى منها الإنسان أو الحيوان كالطاعون والجدري والملاريا (الحمى) وغيرها . ونظراً لعدم توفر الرعاية الطبية فقد راح ضحية هذه الأمراض كثير من الناس والحيوانات. **(٨) هناك معوق اقتصادي كلف المنطقة الكثير وأثر على الاقتصاد تأثيرا كبيرا جدا وهو شجر القات،** وهذا النبات معروف في المنطقة منذ زمن قديم، ومنه ما يزرع في المناطق الجبلية أو يستورد من الأراضي اليمنية المجاورة للمنطقة . وقد لعب القات دورا كبيراً في ضياع الأموال وضياع الوقت حيث أن الشخص يجلس أكثر من خمس ساعات في اليوم يمضغ هذا النبات دون أي عمل ولا نجد بيتاً من بيوت المنطقة إلا ويوجد فيه على الأقل شخص أو أشخاص يتعاطون هذا النبات . وقد بذلت الحكومة جهوداً كبيرة في إنقاذ الأهالي من هذا النبات وآثارها السلبية [١] .

وخلاصة القول: هذا ما استطعت مناقشته في هذه الورقات، ولا أدعي الكمال، وإنما هي صور حضارية وضحت فيها بعض الجوانب الاقتصادية التي تميزت بها بلاد صبيا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، مع أن هذه الناحية لم تنل حقها من البحث والدراسة والتوثيق، وآمل أن أجد الوقت الكافي حتى أتوسع في هذا الموضوع وأدرسه دراسة وافية في هيئة كتاب علمي موثق[٢] .

---

(١) يا ربيع لقد أشرت إلى العديد من المعوقات، لكن مدوناتك مختصرة جداً، مع أن كل معوق يستحق أن يدرس في بحوث عديدة . ونأمل أن نرى من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتوثيق . (ابن جريس) .

(٢) آمل يا أستاذ ربيع أن تفي بوعدك، فهذه بلادك ومسقط رأسك، ولها واجب عليك أنت وأمثالك فتسعون إلى حفظ تاريخها وتراثها وحضارتها . (ابن جريس) .

ثالثـا : صور من الحياة الاجتماعية والاقتصاديـة في حاضرة صبيا خلال القـرن الرابع عشـر الهجري / العشريـن الميلادي . بقلـم أ. خالد عبدالله عبده عقيلي وآخرين [1] .

أولاً : الحياة الاجتماعية :

١. المجتمع والأسرة :

إن مجتمع منطقة صـبيا متماسـك تحكمه الأعراف والتقاليد وتسـير جميعها على قوانين ألفها الناس فساروا عليها منذ القدم وحتى الآن، والأسرة جزء من هذا المجتمع

---

(١) كان عنوان هذا البحث سنة إعداده : عام (١٤١٩-١٤٢٠هـ/١٩٩٩-٢٠٠٠م) مخلاف صبيا (دراسة تاريخية حضـارية مختصـرة) (خلال القرن ١٤هـ/٢٠م) . وهو بحث تخرج في السنة الرابعة بقسم التاريخ، كلية التربيـة، فرع جامعة الملك سـعود . قـام بإعداده أربعة طلاب هم: خالد عبـد الله عبده عقيلي (ورد ذكره أعلاه) ، وعلي مسـاوي حسـن صديق، ومحمد يحيى أحمد، ومسـاوي محمد الزاهد النعمي . ويقع البحث الرئيسي في (١٦١) صفحة . اشتمل على مقدمة ونبذ مختصرة عن جغرافية وتاريخ صبيا السياسي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وقد اسـتبعدنا تلك المقدمات وركزنا على الحياتين الاجتماعية والاقتصادية المدونة في صلب البحث الأساسي وتقع في (١٥٢) صفحة، وأجرينا أيضاً بعض التعديلات والحذف والإضافة على هذه الصفحات المعتمدة والمنشورة في هذا السفر الذي بين يدينا . (ابن جريس) .

الكبير. وقد أجرينا مقابلة مع الشيخ أحمد السيد أبو طالب [١] . فقال: " كان إذا قتل شخص لا سمح الله من أهل المخلاف قبل الحكم السعودي يهب أهل المخلاف كرجل واحد مطالبين بدمه ولا نهدأ حتى نأخذ بدمه أما الآن فالحمد لله عم الأمن، وأصبحت الدولة هي التي تأخذ الحق من الظالم، وعن التنظيمات الاجتماعية التي كفلت لأهل منطقة صبيا ترابطهم سألنا الوالد محمد بن علي القبي[٢] . أحد القائمين على أسرة آل القبي وكبيرهم فقال: مازال أهل صبيا يرتبطون بقوانين وأعراف كفلت لهم ترابطهم مع الأسر والقرى والقبائل وسنعطي مثالاً على الملحاء حاضرة المخلاف وأكبر قبائلها وهي تتكون من ثلاثة مراكز كبرى، هي: (أ) مركز السادة . (ب) مركز الأشراف . (ج) مركز العرب . فأما مركز السادة فكان أول شيخ لهم فيما يروي الشيخ سلطان بن محمد من آل أبي العيد، ثم توفي وعينوا الشيخ محمد بن لاقي أبو العيد، وبعده اختاروا الشيخ محمد بن يحيى شبير أبو العيد، ثم شيخهم الحاضر إلى كتابة هذه السطور هو الشيخ شوعي بن محمد شبير من آل أبي العيد ومنزله في أبي السلع، ويتبع لهذا المركز أسر عديدة منها: الربحة، وآل مشني، وآل أبو العيد، وآل علي بن أحمد (القباب) ، وآل آبة هادي، والطوالبة، وآل العماري (آل زين وآل أبو ماطر) ، و آل أبو حية، وآل حيدر، وغيرهم [٣] .

مركز الأشراف : فكان أول من عرف من مشايخهم، علي أبو طالب عطيفة، وأحمد حسين عماري، ويحيى بن إبراهيم معافا، وأحمد أبو طالب عطيفة، ومحمد حربوش، وعلي بن محمد حربوش. وحسين بن علي محمد حربوش وهو شيخهم الحالي[٤]، ومن الأسر التابعة لهذا المركز الحرابيش، والمشبرة (الخويري والصرقعي وآل زريقان) ، وآل معافا، وآل عطيفة والمثمي، والدباعية، وآل دهوان منهم حسن طعنون ومنهم آل بن دريب، وآل منصور خريش، وآل أبو الزوايد، وآل مقدام منهم الجناوي وقومه، وبيت آل الفلقي ومنهم آل جماح وغيرهم .

وأما المركز الثالث : (العرب) كان من أوائل شيوخهم : حسن بن منيف، ومطاعن بن حسن جبروت، وعواجي بن حسن جبروت، وعواجي بن حسن النعمي، والشيخ

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد السيد أبو طالب بتاريخ (١٤١٩/٨/١٣هـ) بقرية الملحاء في حاضرة صبيا (عقيلي وزملاؤه) .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن علي القبي مساء (١٤١٩/٨/١٣هـ) بقرية أبو السلع في منطقة صبيا. (عقيلي وزملاؤه).

(٣) مازال هناك أسر وفخود أخرى حبذا أن يدرس هذا الموضوع دراسة أعمق (ابن جريس) .

(٤) أي سنة إعداد البحث الرئيسي عام (١٩-١٤٢٠هـ) . (ابن جريس) .

الحاضر[١] . وهو علي عواجي النعمي، ومن الأسر التابعة له :آل شيخين، والزينة ومنهم آل شـبير وآل العباسـي، وآل هندي، والعطافة ومنهم آل عبد الله، وأحمد الشـيخ، وآل عقاري والدوامرة والمراوعة، والنعامية ومنهم : الزوابعة، وآل بن مخلفع، وغيرهم [٢] .

ولكل مركز أعراف خاصة به وإذا حدث وأن ابتلي أي فرد من هذه المراكز واستدعى أن يكـون عليـه دين أو دية أو نفقة علاج أو غيرها يقوم مركزه بدفع النصـف من المبلغ والنصـف الآخر يوزع على المراكز المجاورة، ويقوم زعماء المراكز بتوزيعها على رؤسـاء الأسـرٍ وهم يبلغـون أفرادهم فيدفعون المبلغ المحسـوب عليهم، وأي فـرد لا يدفع يكون خارجاً عن هذه المراكز، ولا يحسب له أي حساب .

ولمركزي السادة والأشراف نظام لا نحبذه إلا أنهم مازالوا مستمسكين به حتى الآن وهو أنهم لا يزوجون مركز العرب مهما حدث ويتزاوج السـادة والأشـراف فيما بينهم، وإذا حدث وأن أراد العربي الزواج من عند السيد أو الشريف، ووافق السيد أو الشريف هبت عليه القبيلة بما فيهم عربهم ينكرون عليه ذلك، وأما الأراضـي فهي توزع حسـب المراكز، لكل مركز قسم من الأراضي، ولكل أسرةٍ كبيرها يحكمها وأفرادها، وعليهم أن يطيعوا أوامره، ويجتمعون كل أسبوع يوماً وغالباً ما يكون الجمعة .

٢ـ صور من العمارة :

كانـت حياة السـكان في منطقة صـبيا بسـيطة، فكانـوا يعانون من شـظف العيش وانعكس ذلك على مسـكنهم، فهم يسـكنون أبنية متواضـعة، وقد سـألنا الشيخ حسين جابر خويري[٣] . عن ذلك فقال " كانت مبانينا بسـيطة فكل على قدر حاله، فميسـور الحال لديه عشـة أو عشـتان، واحدة للسكن والأخرى للضـيوف، ومتوسط الحال عنده عشة واحدة وصبل، ويبني أساس العشة من (العرج والسرح والقضب والمض) وتغطى من فوق بالثمام والمرخ ويربطون عليها بالحبال التي تصـنـع من سـعف الدوم . ويغشيها سبعة أو ثمانية أشخاص وأثناء البناء يرددون بعض الأناشيد للتسلية، مثل:

أربـــعــــة شـــلّـــو الجـــمـــل والجـــمـــل مـــا شـــلّـــهـــم

وتكون العشـة مثلثة الشكل (مخروطية) في أعلاها عصى تسمى القرعينة وتبلط

---

(١) يقصد بـ (الحاضر) عام (١٤١٩ـ١٤٢٠هـ) . (ابن جريس) .

(٢) هـذه الأسـر والفخوذ نماذج، ومازال هناك أسـر أخرى عديـدة تتبع لهذه التركيبـة الاجتماعية . (ابن جريس) .

(٣) مقابلة شخصـية مع الشـيخ حسـين جابر خويري بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٣هـ) بقرية الخوارية، في حاضرة صبيا . (عقيلي وزملاؤه) .

أرضيتها او تقضض بروث البقر المخلوط بالطين والماء، ومن داخل العشة تزين بالأواني وتلبد بالطين، وتدهن بالنورة، ويركب فيها رفوف لوضع أدوات البيت عليها، وهناك حبل ممتد من أعلى العشة حتى يصل منتصفها ويربط به عود طويل قوي من الحطب تعلق به الملابس والأطعمة، حتى تكون بعيدة عن متناول أيدي الأطفال والمواشي ودواب الأرض . وهذا في عشة السكن، أما عشة الضيوف فهي تزين بالكراسي والقعائد والشباري . والصبل صغير للجلسات العائلية، ويبنى المطبخ من الدوم وخشب السمر والأثل والمرخ، ولا يحتاج في بنائه سوى شخصين أو ثلاثة فهو سهل البناء . والجهو يبنى من الحجارة التي تجلب من الجبال، ويبنى أيضاً من الخلب (الطين والتبن والماء) ، وهو مستطيل الشكل ويسقف بالدوم، ثم يوضع عليه الخلب وتبلط أرضيته . والخدور: وهي لمن حالهم ضعيف وفقراء، وهي قطع من القماش أو العجار من الطفي وسعف النخل والدوم، وتوضع فوق شجر السمر يتظللون تحتها ويسكنها البدو[١] . ومع التطور الحديث تغيرت الأوضاع وازدهرت المباني وأصبحت تشيد الفلل والعمائر وظهرت حركة عمرانية مزدهرة في المخلاف، وفي كل يوم وهي في نماء وازدهار .

٣.الأطعمة والأشربة :

كانت الأطعمة والأشربة في بلاد صبيا متواضعة وبسيطة لضآلة الحياة المعيشية وقلة الدخل المادي، ومعظمها من مزارعهم، وعن الأشربة حدثنا الوالد حسين جابر خويري[٢] فقال" كانت الأشربة في السابق محدودة، فالماء نجلبه من (البئر) ، والبئر يتراوح عمقها ما بين (٨ – ١٥) قامة أي ما تقارب (١٠ – ١٩متر) ، ويشرب الناس في إناء يدعى (الصحفة) ، وأحياناً يحفرون في الوادي ما يسمى بالفضيَّة وهي حفرة بسيطة تحفر بجانب الماء الغير صالح للشرب ثم تصفى وتنقى حتى تصبح صالحة للشرب. ومصدر اللبن من الإبل أو البقر أو الغنم، وكان الرجال أو النساء على حد سواء يقومون بحلب اللبن من تلك البهائم، ويشرب مباشرة بارداً أو ساخناً، أو يشرب مع العيش الحالي الغير مخمر. والقهوة من أهم المشروبات وتشرب ساخنة، وهي عدة أصناف منها الحامض التي تحضر عن طريق الماء المغلي والبن، والقهوة الحالية تحضر بالماء المغلي والقشر. والشاي لم يكن متوفراً في بداية القرن الرابع عشر الهجري وربما

---

(١) تفصيلات محدودة وكنت آمل أن تكون أطول وأعمق . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير(١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨- ١٩٨٠م) (جدة :دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٣٧-٥٨ . (ابن جريس) .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ حسين جابر خويري بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٣هـ) بقرية الخوارية .(عقيلي وزملاؤه) .

يوجد في بيوت الأثرياء، وعند إعداد الشاي تظهر له رائحة تُشم في كل القرية، وذلك يدل على غرابته وندرته، ويعمل بالماء الساخن والشاي والسكر، ويشرب زائداً أو متوسطاً أو قليل السكر حسب رغبة الشخص، وحالياً يقدم للضيوف مع القهوة. بالإضافة إلى بعض المشروبات الأخرى من العصائر".

وعن الأطعمة وكيفية إعدادها حدثتنا الوالدة ذرعة بنت يحيى مشبري فقالت: **(١) العيش (الخمير) :** يصنع من الذرة المطحونة بالمطحنة، ثم يعجن ويخمر ليوم حتى يصبح جاهزاً، ثم يوضع في التنور حتى ينضج، **(٢) الثريث :** يصنع من اللبن والذرة أو الدخن ويفتونه أي يدكونه حتى يصبح ممزوجاً باللبن، ويوضع عليه السمن أحياناً والسكر، وهو من أشهى الأكلات في عموم منطقة جازان. **(٣) الحامض :** يعمل من الذرة المخمرة المطحونة ويفتونها ويمزجونها مع ورق الغلف المطبوخ، ثم يمزج باللبن المخضوض (الحقنة) ويرشون عليه السمن والشحم واللحم، ولا تخلو وليمة منه ويوضع في الحيسية[١] . **(٤) المرزوم :** يصنع من الحنطة ويمزج بالسمن والعسل، وهي أكلة حلوة تؤكل قبل أكل الحامض. **(٥) المرسة :** يصنع من الدقيق والموز، يدق الدقيق حتى يصبح قطعاً صغيرة ثم يوضع عليه الموز ويمرس، وأحياناً يوضع عليه السكر وتمرس المرسة حتى تصبح لينة مع الدقيق ثم يوضع عليه السمن والعسل. **(٦) اللحوح :** من الذرة المخمرة الخفيفة تصب على لوح معدني موضوع على النار حتى تجهز فتكون رقيقة ثم تؤكل مع المرق. **(٧) الحنيذ :** هو اللحم المحنوذ في التنور أو ما يسمى عندنا بالميفى. **(٨) المحشوش :** يعمل فقط في عيد عرفة يقطع اللحم إلى قطع صغيرة بحجم الحصاة، ثم يوضع بالقدر مع الشحم المقطع إلى قطع صغيرة ثم تقلى مع اللحم حتى يصبح محشوشاً . **(٩) المغش أو البرمة :** يتكون من ماء وطماطم وبطاطس وبهارات ويوضع به لحم ثم يوضع في التنور حتى يكون ناضجاً[٢] .

٤- الألبسة والزينة :

يرتبط اللباس في صبيا بما تمليه الظروف البيئية والاجتماعية من مناخ وعادات مختلفة، ويقول حسن جابر خويري " إن الناس يلبسون الوزرة والسميح ويضعون على رؤوسهم عمامة او مظلة تقيهم من الشمس، أيضاً يلبسون المثلوث والمصنف والحوك، ويلبسون البردة اليمنية والصدرة، والمآزر إلى ما تحت الركبة وتصل حتى منتصف

---

(١) مقابلة شخصية مع كبار المسنين من السيدات بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٤هـ) في حاضرة صبيا . (عقيلي وزملاؤه) .

(٢) ماذكر نماذج من الأشربة والأطعمة في منطقة صبيا، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس) .

الساق، ويحتزمون بالجنبية وهي ذات كتل طويلة، أو الجوي في المصدر التي تصل حتى منتصف الصدر، ويضعون على رؤوسهم ربطة أو عصبة تزين بالفل والكادي الملفوفة مع العصبة وبعضهم يضع شالاً على رأسه والبعض يضع قبوعاً يصنع من الطفي، وهو من شجر الدوم، لكي يتظللوا به على الرأس والبعض يترك الرأس بدون عمامة مكتفياً ومتباهياً بشعره الطويل، الذي يسمونه جهفاً، ولم تكن توجد ثياب حتى جاء العهد السعودي وعرفت الثياب والشماغ والغترة والعقال وتفننوا في لبسها"[١] . وعن اللبس في جازان وصبيا وما حولهما، يذكر أحدث الباحثين في العصر الحديث قوله : " أما تهامة فكان الناس في المخلاف السليماني يلبسون مآزر من الخام يضيف إليها المسنون منهم صدراً من " البفتة " أو " الدبيت " الأسود، كما يغطى الشيوخ رؤوسهم بقبعات من الخيزران تلف بعمامة سوداء، تعرف بالمصر غير أن سكان المدن يلبسون المآزر الجوكي وصدراً من "البفتة " البيضاء، كما يلبس الأغنياء ورؤساء القبائل ثياباً طويلة تكتنفها مآزر من " البفتة "، ويضعون على رؤوسهم العمائم"[٢]، ويستطرد قائلاً : " ومما يتسم به اللبس في تهامة ذلك المظهر المميز فيما يلبسونه من صدر تفننت الأيدي والأذواق في تنميقها، ثم في تلك المآزر القصيرة التي تصل في الغالب إلى أسفل الركبة، وكذلك الأحزمة التي تربط بها خواصرهم، ويتمنطق بها الرجال منهم المعروفة بالجنبية، كما يتسم الرجال بتركهم رؤوسهم حاسرة، وقد أسدلت شعورهم على مناكبهم في تنظيم رائع جميل، حيث لفت بعصابة نقشت بالفضة وأقيمت حولها الأزهار والرياحين . أما النساء فكن يلبسن وزرة وسترة وقطاعة يضعنها على رؤوسهن، وكن يتزين ويلبسن أساور الفضة، وهي أوضاح يضعنها في أيديهن ومسك، وحلقة يضعنها في آذانهن وحجور وخلاخل في أرجلهن، وكان لملابسهن نقوش زاهية وجذابة . وتلبس نساؤهم الوزرة والقميص، بينما يغطين رؤوسهن بخمر تعرف بالمضالم، " ولقد كان للنساء أردية يضعنها على ظهورهن تعرف بـ (المزار) ويقل عنها حجماً أنواع أخرى من الأردية كالنطع والمقصر، ومن أحزمة النساء النسعة والسبتة والمكفة . ومن أهم زينة النساء أيضاً الحناء ينقشنها نقشاً بتشكيلات جميلة، وهن يعملنه في أيديهن وأرجلهن، كذلك الكحل في عيونهن، وتصف المرأة شعرها وتفرقه من المنتصف، ثم تضع عليه الفل والكادي[٣] .

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ حسن جابر خويري يوم (١٤١٩/٨/٢٠هـ) بقرية أم القضب .(عقيلي وزملاؤه) .

(٢) عبدالله محمد أبو داهش، الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي السعودية، ط٢، ص ٢٥-٢٦ .

(٣) تاريخ اللباس والزينة في صبيا أو عموم منطقة جازان من الموضوعات الحضارية المهمة، ويستحق أن يدرس خلال القرون الثلاثة الماضية، ومن يقوم بذلك فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين فضلاً كبيراً، وآمل أن نرى من مؤرخي منطقة جازان من يدرس تاريخها وحضارتها في العصر الحديث والمعاصر. (ابن جريس) .

٥. عادات الأعياد، والزواج، والختان، والمآتم :

الأعياد عند العرب قديمة، وفي الأديان الأخرى أعياد معظمها من استحداث البشر وحتى الوثنيون لهم أعياد . أما الشريعة الإسلامية فقررت لنا عيدين، هما عيد رمضان المبارك (عيد الفطر) وعيد الأضحى. إضافة إلى يوم الجمعة وهو عيد المسلمين الأسبوعي . واستمر ذلك عبر أطوار التاريخ الإسلامي وفي منطقة صبيا يحدثنا عبده مصعود عن عيد الفطر فيقول[١] : " عيد رمضان عيد المسلمين الكبير يدخل منذ يوم الوقفة الكاذبة (ويقصد بها ليلة الثامن والعشرين) ، ربما يطلقون عليها اسم الوقفة لأن معظم الناس توقف أعمالها أو تؤجل معظمها إلى بعد العيد، ثم ينشغلون بالجمع والترتيب لاستقبال العيد، وفي الليلة التي تسبق يوم العيد تسمى (الوقفة الصادقة) . وتصبح القرية مثل خلية النحل، فالرجال في الطرقات إلى الأسواق، والنساء في الترتيب والتنظيف للمنازل، وبعضهم في الزيارات، ويلعبون أهل القرى وتضرب الطبول، ويفرح الصبيان حتى وقت متأخر من الليل، يتبادل الناس التهاني والتبريكات. وفي الأسواق يكون الرجال مشغولين بجلب ما يستطيعون من ملابس لهم ولأبنائهم وبناتهم وزوجاتهم، ويكسون أبناءهم وأمهاتهم . وتشمل الكسوة جميع أفراد الأسرة، ويشتري الرجل لنفسه إزاراً جديداً (حوك) ورداء (شميز) وعمامة إن كان كبير السن، أو يصنع لنفسه طوقاً من نبات الزينة ولاسيما البعيثران أو فل وغيره، وتصنع النساء عقود الفل ويضعن ما يسمى العضية (الطيب ومسحوق نباتات عطرية) ويضعن الكحل في العيون، ويحضر الرجال معهم من السوق الطعام المخصص لإفطار العيد وأهمها العسل والجزائري "[٢] .

وفي الصباح يقوم الناس بتوزيع زكاة أموالهم ويذكر ابن مصعود " أنها في زمانهم كانت من القمح أو الدخن أو الشعير أو الحنطة، وقلة من يزكون نقداً "[٣] . وغالباً يكون مؤذن القرية قد بكر إلى مكان فسيح تم تحديده مسبقاً ويبدأ بالنداء وبعدها يجلس ويتوارد الرجال ومعهم صبيانهم والبعض يحضر معه مصلاة من الألياف، أو أوراق الدوم، تخرزها النساء في البيت، وبعضهم يأتي بدونها ويجلسون بجانب بعضهم ويبدأون بترديد (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد) . وتسمع لهم همهمة من بعد، ثم يأتي خطيب القرية ويخطب بالناس، وبعدها تقام

---

(١) مقابلة مع عبده مصعود في قرية أم القضب (١٤١٩/٨/١هـ) (عقيلي وزملاؤه) .

(٢) الجزائري : سمك يملح ويحفظ في التربة ثم يخرج بعد فترة وقد أصبح طعمه حامضاً ويؤكل مع المرسة وهي البر والعسل والسمن . (عقيلي وزملاؤه) .

(٣) مقابلة مع عبده مصعود / أم القضب في (١٤١٩/٨/١هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .

الصلاة ويصلي بهم الإمام، وبعد التسليم يبدأ الناس في السلام على بعضهم وتبادل التهاني والأدعية ومنها (بارك الله لكم عيدكم) وأطال الله عمركم، والدعاء ببنت الحلال وبالحج والتمدينة (زيارة المدينة) . وينصرف الناس بعدها إلى منازلهم وفي الطريق لا يتركون منزلاً دون المرور بأهله والسلام عليهم، وتكون النساء قد تجهزن في المنازل لاستقبال أهاليهن، وبعد أن يسلم كل رجل على أهله يبدأ المنادي بالإفطار الجماعي، حيث يخرج كل رجل ما قد أعده أهل بيته من طعام متوفر ويجتمع أهل كل حارة في حارتهم في مكان مظلل خارج البيوت ولا يبدأون الأكل حتى يستكمل جميع سكان الحارة . ويبدأ كبير القوم بالبسملة ثم الأكل وبعدها يأكل الباقون . ومازالت هذه العادة إلى الآن . وعندما سألت عبده مصعود عمن استحدث هذه العادة قال لا أدري يا بني، "فلقد وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " [١] . أما عيد الأضحى فلا تجري له استعدادات كالعيد الأول، وقد أجرينا مقابلة مع الوالدة (زينب بارود) [٢] . وسألتها عن سبب عدم اهتمام الناس بصورة تصل لاهتمامهم بعيد الفطر فقالت معظم الناس يكونوا (هامين[٣] . أهاليهم الذين ذهبوا للحج) وتجري في هذا العيد نفس مراسم العيد السابق باستثناء الشراء الكثير، وفيه يضحي الناس، وكل يذبح لنفسه، وفي الليل يقومون بإعداد (المحشوش)، وهو وضع قطع اللحم مع الشحم في قدر كبير بدون ماء ويحرك حتى يتحمر وتضاف إليه البهارات والتوابل، وعندما يبرد يتجمد الدهن، ثم يحفظ لمدة تصل إلى شهر أو أكثر . وفي يوم الجمعة يتبادل الناس السلام بعد الصلاة مباشرة والتهاني بالصحة والعافية، والآن يكتفون بالمصافحة لمن وجد في الطريق .

وقبل الحديث عن عادة الزواج ومراسيمه في صبيا أود الإشارة إلى أن الدكتور غيثان بن جريس ناقش هذه العادة في كتابه : **عسير. دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ)**[٤]، ودرس عادة الزواج من كل الجوانب في منطقة عسير، والذي أراه أن هذه العادة في منطقة صبيا لا تختلف شيئاً عما ذكره ابن جريس إلا في بعض المسميات، وهنا نذكر شيئاً من التفصيل عن مراسيم الزواج في بلاد صبيا وما جاورها، فعندما يرغب الشاب في الزواج سواءً من أقاربه أو من بنات قريته، أو من بنات القرى المحيطة به . وأكثر ما يحصل في زواج الأقارب أن يكون الآباء قد اتفقوا على زواج أبنائهم سابقاً دون أخذ موافقتهم، وإذا تزوجت بنت العم من رجل

---

(١) مقابلة مع الوالد عبده مصعود / أم القضب في (١٤١٩/٨/١هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة مع الوالدة زينب بارود في قرية أم القضب في (١٤١٩/٨/٣هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .
(٣) هامين : أي قلقين وخائفين على أقاربهم الذين ذهبوا للحج . (عقيلي وزملاؤه) .
(٤) انظر الكتاب نفسه (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٧٨ـ ٨٥(عقيلي وزملاؤه) .

آخر فإن من حق ابن العم أن يعارض هذا الزواج حتى تتم ترضيته، وحول هذه النقطة أجرينا مقابلة مع عبدالله جبيري فقال: " مثل هذا الزواج دائماً يحصل عندنا، فأنا مثلاً تزوجت من ابنة عمي لأن والدي اتفق مع عمي على هذا الأمر ونحن مازلنا صغاراً ورغم ذلك عشنا سوياً سعداء لم يكدر أحوالنا أي شيء، وأنجبنا ولدين وبنتاً وأصبح الآن لدينا أحفاد والحمد لله على كل شيء "(١) . وعادة يعيش أبناء العم في بيت الجد سوياً حتى يكبروا ويتم الزواج فيما بعد، ولكن هذا لا يعني أن مثل هذا الزواج يحصل دائماً ؛ فأحياناً يفكر الشاب في الزواج من إحدى بنات قريته، وغالباً يرى الشاب هذه الفتاة قبل زواجهما، فالناس جميعاً يعملون سوياً في الرعي أو الزراعة، ويقابل بعضهم بعضاً، أما الزواج من خارج القرية فيحصل أحياناً بناءً على معرفة الآباء لبعضهم أو يكون الشاب قد رأى الفتاة صدفة أثناء ذهابه للقرية، وبعد أن يرغب الشخص في الزواج من فتاة معينة فإنه يرسل أمه أو أخته لأخذ موافقة أمها، وبعد الموافقة المبدئية يأخذ والد العريس بعض رجال القرية ويذهب لخطبة الفتاة، وهم ما يعرفون (بالجاهة) وهذه تكون في البداية فقط .

بعد أن يتم خطبة الفتاة بصورة مبدئية تتم المراسيم الفعلية ويتم الاتفاق بين أهل العريس وأهل العروسة على يوم محدد، ويكون والد العروسة قد استعد بوليمة أو ما تجود به نفسه قبل أن يحضر المدعوون وعادة ما يكونوا من الأقارب والأصدقاء المقربين . وعندما يحضرون تقدم لهم القهوة والتمر إن وجد، ويحضر المأذون الشرعي ويتم عقد القران ثم يأتي الأقارب والأصدقاء يباركون للعريس . ويتم أيضاً الاتفاق على المهر المدفوع الذي لا يمكن مقارنته بالمبالغ التي تدفع في الوقت الحالي، حيث ينظر البعض إلى الزواج وكأنه سلعة، وأحياناً لا يرحم بعضهم البعض حتى ولو كان العريسان من الأقارب. وفي فترة الخطوبة يجري ما يعرف بـ (مقضى السدا)، ويقصد به اللوازم المبدئية التي تقدم للعروسة من قبل أهل العريس، وتقدم في فترة الخطبة تعبيراً عن الاتفاق الذي تم بينهما . وعن مقدار المهر تقول زينب منصور خويري " يختلف دفع المهر من رجل إلى آخر، فقد كان الريال في أيامنا يشكل الشيء الكثير، وكان أكثر مهر ثلاثين ريالاً تقريباً، وأحياناً قطعة أرض صغيرة مهراً للزوجة (٢) .وفيما يعرف بـ (ليلة الزفاف) أو ليلة الحمل ترسل الدعوة إلى الأقارب والأصدقاء للحضور في هذه الليلة وأحياناً تؤجل هذه الليلة لظرف قد يحصل مثل موت شخص في القرية،

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالد عبدالله جبيري بتاريخ (١٤١٩/٨/٧هـ) قرية الملحاء . (عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة مع الوالدة زينب منصور خويري بتاريخ (١٤١٩/٨/٢هـ) في قرية الخوارية . (عقيلي وزملاؤه) .

فينتظرون أسبوعاً، ثم يذهب العريس لبيت أهل الميت ويستأذن منهم في إقامة العرس. وبالعودة إلى ليلة الزفاف تكثر فيها الزغاريد والطراطيع وهو ما يعرف بالشحات وأيضاً البنادق وكل ذلك تعبيراً عن الفرحة، وعادة ما يكون بعد العشاء . وفي اليوم السابق لليلة الزواج تقوم أم العريس بنشر لوازم العروسة في بيتها أو تكلف جارية تكون في خدمتها خلال أيام العرس بطلب نساء القرية للنظر إلى ما جاء به ابنها لعروسته وأيضاً لتقديم بعض المساعدات لأم العريس وهي ما تعرف بالمدية ترجعها لهم في أفراحهم" . وعن جهاز العرس سألنا الوالدة زرعة بنت يحيى عنه فقالت : " هو عشر ثياب سندسي وقميص أبو جلب وحرير وحطيم وسدة وقطاعة سندسي وأيضاً أوضاح ومسك وحجول فضة في رجلها وخلخالان" [(١)] . وبعد حضور النساء المدعوات تقرع الطبول وتلعلع الزغاريد، حين تقام حفلة الرقص وتسمى تلك العصرية بليلة التيسيرة ويتكون الرقص من صفين متقابلين وفي وسطهما الشاعرة ويسير كل منهما إلى مكان الآخر في بطء ويستمر إلى قبل الغروب، ثم يستأنف بعد المغرب إلى العشاء، ثم يأخذ بعض الجواري بمساعدة أهل الدار في طي الثياب وترتيب الجهاز استعداداً لترحيله إلى دار العروس[(٢)] . وقبل ليلة الزفاف وفي نفس الليلة كان أهل العريس يجهزون الزيارون (العبيد) للضرب على الطبول، وأم العريس وإخوانه وأقاربه يرقصون على هذه الطبول إضافة إلى الجواري اللاتي يقمن بهذا العمل، ولكن في الوقت الحالي أصبح أهل العريس يقسمون جهاز العرس على فترتين جزء منها يذهب في فترة الظهرية، والجزء الآخر يذهب به في الليل إلى بيت العروسة، وبعد الانتقال إلى بيت العروسة أيضاً يذهب معهم الزيارون(العبيد) إلى هناك .

وفي ليلة الزفاف يقيم والد العروس وليمة بمناسبة زواج ابنه يدعو إليها الأقارب والأصدقاء وأهل القرية وبعد العشاء كان أهل القرية يقدمون له بعض المساعدات المادية نتيجة لما تكلفه في عرس ابنه . وقبل الانتقال إلى بيت العروس يحمل جهاز العروسة على الجمال والحمير لنقله إلى بيتها وقد يحمل هذا الجهاز في الليلة السابقة لليلة الزفاف إذا كان المكان بعيداً، وفي أثناء سير الجمال في بعض الأوقات يعترضها ولد ابن عم العروسة لو كان صغيراً وتتم ترضيته ثم تواصل الحملة سيرها حتى تصل إلى بيت العروسة، ويكون والد العروسة في استقبالهم لتنزيل جهاز العروسة واستقبال الضيوف. وأم العروسة تنشغل في هذه الليلة بتجميل ابنتها، حيث يعمل لها ما يعرف بالعضية

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالدة زرعة بنت يحيى بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٤هـ) بقرية الخوارية .(عقيلي وزملاؤه) .

(٢) العقيلي، محمد بن أحمد . الأدب الشعبي في الجنوب، ج١، ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٣٤ .

وتشمل الفل والحسن والكادي والمحضارة، وبعد تجهيز العروسة يقام بتربيعها فوق كرسي مرتفع . ويتم الرقص حولها من قبل الجواري ونساء القرية، وكانت الفتاة لا تحرك ساكناً دلالة على اتزانها وحيائها، وفي ضوء ذلك تستخدم الطراطيع (الشحات) والبنادق التي يستخدمها أهل العريس تعبيراً عن أفراحهم، وتستمر هذه الأفراح حتى منتصف الليل قرابة الساعة الثانية ليلاً ثم يقوم أهل العريس بإدخال ابنهم إلى عش الزوجية حين كان العريس يقيم في بيت العروسة حتى ينتقل بها فيما بعد إلى بيته . وبعد فترة يتم إدخال العروسة إلى زوجها، وبعد دقائق يدخلون الطعام إليهما ثم يخلدان للنوم . وأهل العريس لا يأتيهم النوم حتى يتم زواج ابنهم وهي ما تعرف بالليلة الأولى للعريس، وكان الأهل يعيشون في قلق نفسي حتى تنتهي مراسيم الزواج ويطلقون الأعيرة النارية في الهواء تعبيرا عن فرحهم، وكانت توضع قطعة بيضاء تحت العروس، وعندما يتم الدخول بها تأخذ هذه الشاشة وتظهرها أمام الناس تعبيراً عن فرحهم بالزواج .

وأحياناً يفشل العريس فلا يقدر على جماع زوجته في ليلته الأولى فيتبادر إلى ذهن والده أنه عمل له عمل (اللوث) فيبدأ بالبحث عمن يفك هذا السحر، وهذا نوع من الشرك والعياذ بالله . ولو نظرنا إلى الأمر بنظرة تحليلية لوجدناه عاملاً نفسياً قد يصيب العريس ويحتاج إلى القليل من الصبر حتى يتم تخطي هذه المرحلة . وأحياناً يقيم العريس في بيت العروسة فترة من الزمن قد تكون سنة أو عدة سنوات حتى يتم الانتقال، وإن كان بعضهم يقوم بنقل زوجته في الليلة الأولى وأحياناً يجب على العريس أن يدفع النقول وهو مبلغ من المال يتم دفعه لأهل العروسة حتى يتم انتقالها إلى بيت عريسها . فعندما ينتقل الزوج والزوجة إلى بيت أهل الرجل أو إلى بيت خاص بهما وأولادهما يسمى ذلك اليوم بيوم النقول أي انتقال الزوجة من دار أهلها إلى دار زوجها .ويرتبط بهذه العادة بعض التقاليد التي تعارف عليها بعض السكان، فعندما يرغب الرجل الخروج بزوجته يبدي رغبته لأهل الزوجة، وأحياناً يقوم والد الزوج أو كبير أسرته بمناقشة الأمر مع أسرة الزوجة، وبعد موافقتهم تذهب والدة الزوجة لترى البيت أو الغرفة التي ستنزل بها ابنتها وأحياناً تصحب معها بعض الأثاث والأواني لتضعها في ذلك المنزل ثم يأتي يوم النقول[1] . وقد سألنا الوالدة زرعة بنت يحيى فقالت : " إذا طلب الزوج النقول قام أهلها بعمل البن والمجلجل للحريم على القهوة وإذا ذهبت وضعوا الحب تحت رجلها وقالوا مسكنة ممكنة "[2] .

---

(١) ابن جريس، غيثان بن علي . عسير. دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ) (١٤١٥هـ)، ص٨٢ .

(٢) مقابلة شخصية مع الوالدة زرعة بنت يحيى بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٤هـ) بقرية الخوارية . (عقيلي وزملاؤه) .

كما كان للختان في منطقة صبيا وما حولها أهمية كبرى، ويطلقون على الختان، (العِلَى) بكسر العين وفتح اللام وآخره ألف مقصورة وتكلف عادة الختان قديماً تكاليف مالية وجسدية كبيرة. وسن الختين يتراوح ما بين (٢٠ - ٣٠) سنة أي قد اكتمل رشده، ويسمون الذي لم يختن " عتيقة "، وإذا حان موعد الختان يذهب الذي سوف يُختن ويتعلم " القاف "، والقاف تراحيب للضيوف ومدح في أعيان القبيلة، ويمكث يتعلم القاف عدة أسابيع ثم يعود إلى أهله، وهنا يحين موعد بدء الطهور وأول ما يبدأون به هو تطييب وتجميل المختون فيفرقون شعر رأسه ويضعون به الحسف وهو مسحوق أحمر، وتجتمع عليه نساء القرية ويزغردن على رأسه ثم يدق الطبل والزير، ويهب الذي سوف يختن ويلعب لعبة البرع، وهنا يهب رجال القبيلة ويضربون بالرصاص ويتناصعون ((يقنصون) قرعينة العشة وهي عصا صغيرة توضع في أعلى العشة، ثم يذهب أهل الختين ومعهم الذي سوف يختن يطلبون شيوخ وأعيان القبيلة ويمر عليهم واحداً تلو الآخر وفيهم يقول الشعر والمدح، وهذا يستمر لمدة سبع ليال تقريباً يلعبون فيها اللعبات والرقصات الشعبية ومنها البرع والسيف والعزاوي والربش والزيفة، يلعبونها إلى منتصف الليل، وقبل يوم الختان يقومون بلعبة العرضة وهي تسمى ليلة الشهرة، وفيها كل يعرض مهارته التي يشتهر بها أمام القبيلة ونساء وفتيات القبيلة اللواتي كن يحضرن ليلة الشهرة وفيها يقوم فارس القبيلة بإبراز إبداعاته الفروسية على الخيل ويرقص الخيل ويلقط الطاقية من الأرض بطرف السيف ويخلع قميصه ثم يلبسه وهو يركض بالخيل إلى غير ذلك من الإبداعات. وفي الليل يلعبون الربش، وكانت النساء يلعبن مع الرجال وينشدون الأهازيج والغناء، وإذا جاء الصباح يبرز الرجل الذي سوف يختن إلى ساحة الختان ثم يأتيه الختان (العِلَى) يبدأ في ختنه على مرأى من الناس، ولا ترف له عين، وإذ رف أو خاف فُضح بين الناس والقبيلة وكان يسمى ذلك البراز[1] .

ويذكر لنا حسين جابر خويري عن يوم ختانه فقال: " لقد اختتنت وعمري (٢١) سنة، والشعر في لحيتي ثم قبلها ذهبت إلى شاعر في قرية الحقو يدعى أحمد بن امقريع، وكنت أتعلم عنده القاف ومكثت عنده أتعلم القاف لمدة شهر ثم رجعت إلى أهلي، وبدأ الهود فذهبت أطلب في قبائل الحقو، وأطلب أي لا أشحذهم وإنما أدعوهم لحضور الهود وليلة ختاني، ثم طلبت في قبائل النجوع ثم قبائل الملحاء (قبيلتي). وذكرت يوم ختاني العديد من الأهازيج والأشعار" .

(١) مقابلة شخصية مع الوالد يحيى خزرجي في (١٤١٩/٨/٩هـ) بقرية أم القضب . (عقيلي وزملاؤه) .

ومن عادات المآتم في منطقة صبيا أن الناس يزورون بعضهم البعض، وكان الشخص إذا مرض يتم علاجه بالطب الشعبي لعدم توفر الإمكانات الصحية . وكان هناك الكثير من الوفيات في تلك الأيام، ومن الأسباب التي تؤدي إلى الوفاة الأمراض المنتشرة بكثرة مثل: الجدري، والحصبة، إضافة إلى بعض الزواحف السامة، ولا ننسى القتل الذي يحصل بين الأشخاص، لكن رغم ذلك فإنه بمجرد أن يمرض الشخص يسعى جماعته لزيارته والاطمئنان عليه، ولكن قبل أن يموت نجد أن بعض كبار السن يقفون على رأسه يذكرونه بالله، وبعد الوفاة يقفل فمه وتغمض عيناه ثم يذهب بعض أهل القرية لحفر القبر للميت ويراعون عند الحفر طول الميت وعرضه . وهناك من يقوم بغسل الميت، وكان يغسل الرجال الرجال والنساء النساء، والذي يقوم بالغسل يجب أن يكون على معرفة بالطريقة التي يتم بها الغسل، ويكون من كبار السن أو من أهل الميت، وبعد الغسل تأتي مرحلة وضع الكفن عليه. ولعدم توفر الألبسة فالميت يغطى بقطعة تسمى (اللحاف) وهو كفن للميت عادة يستخدمه الرجل للبس في حياته . ويشارك أهل القرية في مساعدة أهل الميت وحمله إلى مقره ويرددون بعض الأدعية مثل (لا إله إلا الله ما يدوم غير الله) وقول (يا رحمن يا رحيم) وغير ذلك من الأدعية الأخرى حتى يتم دفنه . وفترة العزاء ثلاثة أيام يحضر فيها أهل القرية لمساعدة أهل الميت، وفي العادة يحضرون بعض الأطعمة من خبز وتمر كل حسب طاقته حتى يساعدوا أهل الميت لأنهم مشغولون بما حل بهم . وبعض أهل القرية يتكفلون بالولائم خلال أيام العزاء الثلاثة، وبعض الناس يساعدون أهل القرية في اليوم الأول والثاني(١) . أما اليوم الثالث فيتكفل أهل الميت بعمل وليمة للحاضرين، أما بالنسبة لإقامة بعض رجال القرية مع أهل الميت لاستقبال الوفود القادمة من القرى الأخرى فهذا الأمر لا يحصل في أغلب مناطق صبيا ولكن هذا لا يعني أنه لا يحصل في بعض بلدان تهامة والسراة . أما النساء فبمجرد علم أهل الميت بوفاته فإنهم يبدأون بالنواح على الميت، ويحضر نساء القرية على هذا الصوت، وعند دخول النساء إلى بيت الميت تبدأ كل واحدة منهن بالنواح وهي مازالت على الباب، وهذا في رأيي من العادات المحرمة التي بدأت تقل في الوقت الحالي لانتشار العلم بين الناس على عكس السابق . وحول النواح على الميت سألنا الوالدة فاطمة طويل فقالت : " كنا بمجرد سماعنا للصاعق (الصراخ) من أهل الميت نبادر بالذهاب إلى أهل الميت ونشارك معهم في البكاء على الميت" ، ومن بعض الأقوال التي نقولها أثناء البكاء على الميت :

---

(١) كانت عادة العزاء خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) يشوبها الكثير من المخالفات، واستنزاف أهل الميت بطول المدة التي يمكثها أهل القرية في بيته، فيأكلون ويشربون من مال الميت وورثته . (ابن جريس) .

يا خية إن شيت من البكى فعدت عاماً كامل
حتى يعود الحي وما يولدن الحوامل[١]

٦.عادات وتقاليد أخرى :

أ. التعاون والتكافل :

عرف سكان صبيا عادة التكافل والتعاون فيما بينهم، وظروف الحياة القاسية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ،جعلتهم في حاجة بعضهم البعض . وهناك بعض الوثائق التي دونتها أسر أو قبائل وضمن بنودها إغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، والتآزر والتعاون في كل ما يوفر الأمن والاستقرار لأهل القرية أو القبيلة التي أعدت تلك الوثائق [٢] . وقد سمعت من بعض الرواة في قرى الباحر، وصلهبة، والعداية وهم يذكرون كيف كان حب الناس لبعضهم، وتعاونهم في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحربية وغيرها[٣] .

ومازالت ظاهرة التعاون والتكافل سارية في مجتمع صبيا حتى اليوم، لكنها ليست بالدرجة التي كانت موجودة خلال القرون الهجرية الماضية . وربما ظاهرة الرخاء وتطور أحوال الناس الاقتصادية هي التي جعلت هذه العادة تتراجع، والواجب علينا العمل بجد وإخلاص حتى تعود إلى ما كانت عليه، وهذا مما يعود بالفائدة علينا معاشر الكبار، وأيضاً على أجيالنا الحديثة من الأبناء والأحفاد [٤] .

ب. الكرم واستقبال الضيوف :

الكرم من الخصال الحميدة التي اشتهر بها العرب، وهناك الكثير من القصص التي تكلمت عن كرم العرب، والكرم عادة ما يكون ذا علاقة باستقبال الضيوف سواءً لشخص واحد أو مجموعة أشخاص. والكرم في صبيا ضمن العادات التي يتفاخر

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالدة فاطمة طويل بتاريخ (١٤١٩/٨/١٤هـ) بقرية أبوالقعائد. (عقيلي وزملاؤه).

(٢) يا أستاذ عقيلي ورفاقه نعم يوجد في عموم منطقة تهامة والسراة مئات الوثائق والقصص الشفهية التي تؤكد على ظاهر التكافل والتعاون بين أفراد وأسر وعشائر هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٣) وأفيدك يا خالد عقيلي ورفاقك أنني عاصرت شيئاً من ذلك التعاون في منطقة عسير خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) . بل اطلعت على وثائق عديدة تذكر أشياء من تاريخ التعاون بين الناس خلال القرون الماضية المتأخرة. للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٩٣ .

(٤) تاريخ التكافل والتعاون في عموم منطقة جازان، أو بلاد تهامة من مكة إلى جازان من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة وبخاصة خلال القرون الثلاثة الماضية، وذلك لوفرة المادة المدونة والمروية التي تصب في خدمة هذا المجال . (ابن جريس).

بها الناس، والرجل يعمل على استقبال ضيفه والترحيب به وتقديم الولائم له حسب ما تجود به نفسه، والشخص البخيل مكروه ولا تقدم له المساعدة ويقاطعه الناس. والضيف عندما يأتي إلى شخص معين فإنه يكرم وفادته ويحسن استقباله ولا يسأله عن حاجته حتى يتكلم بها، وعندما يدخل البيت تقدم له القهوة والتمر في بداية الأمر ثم يذبح له ذبيحة، وأحياناً يدعو صاحب البيت جيرانه للتعرف على ضيفه ومشاركته في الوليمة التي أعدت، والغني في الماضي يختلف عن الفقير فيما يقدمانه للضيف، وكان يقاس الغنى بمقدار ما عند الإنسان من ماشية وأراض، ومن عادة رجل البيت وجماعته عندما يأتي إليه الضيف وتقدم له الوليمة فإنه يقدّم الضيف للجلوس على الطعام ثم يقول صاحب البيت للحضور تفضلوا الطعام على شرف فلان بن فلان، ثم يجلس آخر واحد لتناول الطعام معهم . ومن عاداتهم أنهم لا يفارقون الطعام إلا بعد أن يقوم الضيف احتراماً وتقديراً له، وعندما يفرغ الضيف من تناول الطعام يقوم ويقول (جاد الله على من تكلف) أو (أكرمكم الله) وغيرها من الكلمات التي تختلف من منطقة لأخرى، ثم يرد عليه صاحب البيت والمدعوين بقولهم له بالصحة والعافية وغيرها من الاصطلاحات اللغوية . وعندما يأتي ضيوف كثيرين، وغالباً يكونوا قادمين لحاجة، فإن صاحب الدار يخبر أصدقاءه وجيرانه لاستقبال الضيوف معه وربما يكون مستعداً مسبقاً لهذه الزيارة . أما عادة الكرم في الوقت الحالي فإنه يشوبها بعض التبذير والإسراف، وأحياناً تكون فوق الحاجة بكثير. وبعض رجال القرى في صبيا يدفعون بعض الأموال شهرياً ويتم جمعها عند شخص معين تحسباً لزيارة ضيوف لهم أو لحاجة أخرى، وهذا فيه نوع من التعاون بين أفراد القرية أو العشيرة[1] .

ج. الشجاعة :

الشجاعة من العادات التي يتميز بها سكان الجزيرة العربية سواءً في الحروب أو المواقف التي تبين شجاعة الرجل وعدم خوفه، وسكان منطقة صبيا يمتازون بالشجاعة والرجولة، فتجد الرجل ينتقل من مكان إلى آخر ليلاً دون خوف من حيوانات مفترسة أو قطاع طرق، وكان الشخص يحمل سيفه أو خنجره أو بندقيته أو عصاه، ويسافر على جمله أو حماره أو حصانه للتجارة أو الحج بدون خوف. والرجل في الماضي يختلف عن رجال اليوم، وذلك يعود للبيئة التي نشأ فيها، فقد تربى على الشجاعة وعدم الخوف منذ صغره، كما كان يتعلم السباحة وركوب الخيل وحمل السيف . وهذا يجعل منه رجلاً

(١) عادة الكرم واستقبال الضيوف قديمة في شبه الجزيرة العربية، وكتب التراث الإسلامي مليئة بالتفصيلات النثرية والشعرية التي توضح شيئاً من تاريخ هذه العادة العربية القديمة . (ابن جريس) .

منذ صغره، ومن الأمور التي تدل على شجاعة الرجل أو الشاب في الماضي حصول أي كارثة في القرية فعند سماع استغاثة أي شخص فإنه يهب للمساعدة فوراً . ولا ننسى الحروب بين القبائل التي كانت منتشرة، وتعتبر من العادات السيئة، فعند سماع حرب فإنهم يجتمعون عند كبيرهم حاملين أسلحتهم استعداداً للقتال، وكذلك الدور الذي لعبه أبناء منطقة صبيا أثناء توحيد المملكة العربية السعودية، فهناك الكثير منهم التحقوا بالجيش السعودي وأبلوا بلاءً حسناً أثناء توحيد البلاد[١] .

د. الصلح :

عادة ما يحصل الخصام بين أفراد منطقة صبيا حول حدود على الأرض، أو ماشية ترعى في أرض الغير، ونتيجة لتدخل الشيطان بين الأفراد، وأيضاً الغضب الذي يسيطر على بعض الناس فإن ذلك يؤدي إلى الخصام وأحياناً المقاطعة لفترة من الزمن، ومن ثم يقوم أهل الخير بالإصلاح بينهم، وعادة ما يلجأ المصلحون للعقل من أجل إزالة المشاكل المتولدة بين طرفي النزاع، وقد سألت الوالد عبدالله أبو طالب عن هذا الموضوع، فقال : " أذكر قصة حصلت في الماضي أن رجلين حصل بينهما نزاع حول قطعة أرض مما أدى إلى قتل أحدهما للآخر، وكادت المسألة أن تصل إلى طريق مسدود بين أهل القتيل والمقتول لولا تدخل أهل الخير في الأمر، وانتهى بتنازل أهل القتيل عن دم ابنهم"[٢] . أما الخصام بين القبائل فأحياناً يستمر لفترات طويلة، ويولد الحروب والنزاعات بين الأطراف المتخاصمة، لكن هذه الأمور بدأت تقل كثيراً .

وكان من العادات السائدة في القرن (١٤هـ/٢٠م) طلب العفو عن الآخرين، وذلك بعد أن يصدر القاضي أو الحاكم حكماً ليس فيه حد شرعي على أحد من الناس فإن بعض الأعيان وأهل الرأي يتدخلون بطلب العفو عن المحكوم عليه، وغالباً يذهبون إلى صاحب الحق فيلقون عمائمهم بين يديه وعند رجليه ويقبلون أنفه ولحيته، طالبين منه العفو عن المحكوم عليه، وفي كثير من الأحيان لا ترد عمائم المصلحين إلى رؤوسهم إلا بعد استجابة صاحب الحق في العفو والسماح ثم التنازل عن حقه[٣] .

---

(١) موضوع الشجاعة كبير ولا يكفي ذكره في سطور محدودة، ومن يدرس هذا الموضوع في عموم منطقة جازان خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) فإنه سوف يجد مادة علمية كثيرة تصب في دراسة هذا العنوان .(ابن جريس) .

(٢) مقابلة شخصية مع الوالد عبدالله أبو طالب بتاريخ (١٤١٩/٨/١٤هـ) بقرية أبو القعائد. (عقيلي وزملاؤه) .

(٣) ابن جريس، غيثان بن علي . المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨ .

هـ. عادة إعطاء الوجوه أو الجوار :

من العادات بين سكان منطقة صبيا إعطاء الوجوه أو الجوار، نتيجة لمشاكل تحدث بين الأفراد في القبيلة الواحدة وتؤدي أحياناً إلى القتل، فالقاتل يخرج إلى قرية أخرى لأخذ الحماية، ويدخل على شيخ القبيلة ويقول: (أنا داخل على الله ثم عليك يا شيخ)، ويقبل الشيخ دخالته ويصبح في جواره لا يتعرض له أحد، ومن عادة شيخ القبيلة أنه يجير من طلب الحماية والجوار ولا يسأله عن شيء، ويدع الأمر للمجار يتحدث متى شاء عن سبب مجيئه، وأحياناً يستمر لفترة طويلة في القبيلة دون أن يسيء إليه أحد . أما الشخص الذي يُهدر دمه فإنه لا يجب على شيوخ القبائل أن تقبل دخالته وإجارته حين يعلمون جرمه مسبقاً [١] .

و. عادة توديع واستقبال المسافر:

كان الرجل في منطقة صبيا يسافر للحج أو التجارة وكسب الرزق، وأحياناً يستغرق سفره فترة طويلة ويتعرض لمخاطر الحيوانات المفترسة أو قطاع الطرق وغيرها، ولذلك يودعه أهله وداع المسافر الذي ربما لن يعود . وقد أجريت مقابلة مع الوالدة فاطمة طويل فقالت : " عندما يسافر الرجل للحج يودع أهله وداع الذاهب بدون رجعة، وكان المسافر يوصي كبير عائلته أو شيخ القرية على أهله في غيابه، وكنا ننشد بعض الأناشيد توديعاً للمسافر" [٢] . وعندما يعود المسافر من الحج يتم استقباله عند بيته وتطلق الأعيرة النارية والطراطيع ترحيباً به، ويقوم أهله بوضع راية فوق البيت دلاله على أن والدهم حج إلى بيت الله الحرام، وفي العادة يحضر بعض الهدايا لأهله ولمن يأتي لزيارته من أهل القرية . وبعد توحيد المملكة العربية السعودية، سافر الشباب للالتحاق بالعسكرية في مدن البلاد الكبرى، ويغيب بعضهم فترة طويلة حتى يجمع الأموال اللازمة لزواجه ثم يعود مرة أخرى ويحمل بعض الهدايا لأصدقائه وجيرانه الذين يحضرون للاطمئنان عليه بعد وصوله" [٣] .

ز. تبادل الأخبار :

كانت أخبار القرى المتجاورة تتم عند زيارة شخص لشخص آخر وبعد وصوله إلى

---

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٩٨ .

(٢) مقابلة شخصية مع الوالدة فاطمة طويل بتاريخ (١٤١٩/٨/١٤هـ) بقرية أبو القعائد . (عقيلي وزملاؤه) .

(٣) لقد شاهدت هذه العادات في سروات بني شهر وبني عمرو خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس).

بيت الرجل المستقبل فإنه يسأله عن أحواله وأخباره وكيف حال صحته وصحة أهله وأقاربه، وأثناء تبادل الحديث بين الطرفين فإن كل واحد يتناول الأحوال التي حوله، ويبدأ كل واحد في التحدث عن الأحداث المهمة التي حصلت في قريته والقرى المجاورة له . أما في حالة وجود أكثر من شخص في المجلس وخاصة من أقرباء المقيم فإن أكبرهم سناً هو الذي يتحدث ويرد عليه الضيف، وذلك تقديراً للسن وأهله[١] . وهذا يدل على حرص الناس على معرفة أخبار بعضهم البعض وإقامة العلاقات الطيبة بينهم .

ح. عادة السموة أو السماية[٢] :

إن لعادة السماية في صبيا شأن كبير فهي من الأعراف التي تربط الأسرة بعضها ببعض أو القبيلة مع قبيلة أخرى، والشخص إذا جاءه ولد أو بنت سمى به من يحب وما أن يعلم الشخص المسمى به حتى يأتي لسميه بهدية تسمى (النحلة) وعادة ما تكون النحلة من أغلى الأشياء، وذلك حتى يذيع صيت الناحل بين الناس. والشخص السمي وسميه لا ينطق كل منهما باسم الآخر الحقيقي، بل يقول له (سمي)، وكذلك تفعل النساء، وإذا جاء يوم ختان الولد فلا يختن حتى يأتي سميه ويحضر مناسبة الختان، وفي زواج البنت تحضر سميتها، وتجلب بعض الهدايا القيمة .

ط. عادات حميدة وأخرى سيئة :

١. عادات الحلف والصحبة وهذه بين القبائل وهي شبيهة بالجوار، وغالباً تحدث بين أهل تهامة والقبائل الجبلية [٣] .

٢. عادات الصدقة والعناية بذوي الحاجة وأهل الفاقة، فيعطونهم من أنعامهم ما يسمى (مناح) أو منيحة، وهي إبل أو بقر أو غنم فيقوم الفقير برعايتها والاستفادة من لبنها ومنافعها الأخرى .

وكان هناك عادات سيئة تقع في أغلب الأوقات بسبب الجهل بأمور الدين، ومنها: [٤]
(١) اختلاط الرجال بالنساء في أماكن التجمعات كالآبار والرعي والزراعة، والمنازل، وهذه العادة كانت منتشرة بين الأقارب دون حرج، فقد تسلم المرأة بالمصافحة على غير

---

(١) ابن جريس، غيثان بن علي . المرجع السابق، ص ٩٩ (عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة شخصية مع الوالد علي بن سيد في (١٤١٩/٨/١٩هـ) بقرية شهران . (عقيلي وزملاؤه) .
(٣) الأحلاف موجودة عند عرب شبه الجزيرة العربية من قبل الإسلام، وعبر عصور الإسلام المختلفة . (ابن جريس) .
(٤) مقابلة شخصية مع الوالد يحيى دش في (١٤١٩/٨/٣هـ) بقرية قائم الدش. (عقيلي وزملاؤه) .

المحـارم، وربما يتواجهون بالرؤوس أثناء السـلام، وأخطر مـن ذلك الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: " ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشـيطان ثالثهما " وهذا تفريط بسـبب الثقة الزائدة عندهم وإلا فقد نهى النبي ﷺ عـن ذلك كله [١] . (٢) عادات الأهواد واحتفـالات الختان القديمة [٢]، وقد زالت والحمد لله .(٣) مخالفات أخرى مثل ما يسـمى بالشعبانية فيعتقدون أن ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة وربما اعتقدوا أنها ليلة القدر، وأيضاً بدع الجنائز والمآتم وما يسمى (القطوع) وحداد النسـاء أكثر من ثلاثة أيام على غير زوج. وهذه تحتاج إلى بيان بل إن المرأة كانت إذا مات زوجها تمكث في الحداد سـنة كاملة، وهذه زالت أيضـا . (٤) زاد المعاصـرون في بدع الجنائز اليوم بالضـيافات وذبح الذبائـح على مدى ثلاثة أيام حتى تحولت بيوت أهل الميت إلى مكان تجمع وذبح وطبخ ونفخ وما كانت السنة هكذا !! (٥) ومن أخطر المخالفات العقدية التي توقع أصـحابها في الشـرك الأكبر تعلقهم بأشـخاص والذبح للجن وتقديس بعض الكهنة، وبعضهم ينشدهم عن ضالته، وعن الغائب متى يقدم، والمريض كيف يشفى، أو من لا يولد له كيف يرزق بذرية، وما شابه ذلك من جلب نفع أو دفع ضر، وقد علموا أنه لا ضار ولا نافع إلا الله قال تعالى (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) [٣] .

٧. الطب والتطبيب :

كانت الأمراض منتشـرة في صـبيا وعمـوم منطقة جازان بدرجة كبـيرة، والأدوية وأساليب العلاج قليلة مما جعل نسبة الوفيات عالية وخصوصاً بين الأطفال وكبار السن، وعن بعض الأمراض الفتاكة حدثنا الوالد موسى عبدالله [٤] فقال: " كان الجدري أكثر ما يخيفنا من الأمراض، ويليه الزنيقة (وهي انتفاح في البطن وغالباً يموت صـاحبه)، وأيضـاً الجذام، والجرب، والحصـبة والعنقاز (في مناطق أخرى تسمى الجريعاء) [٥]

---

(١) كان الاختلاط سـائداً في عموم شـبه الجزيرة العربية، وظروف الحياة القاسـية هي التي جعلت النسـاء والرجال يعملون سـوياً في مهن وحرف عديدة . وأيضـاً الجهل بأمور الدين جعلت الرجال الأجانب شرعاً يلتقون ويعملون مع النساء غير المحارم في ميادين اجتماعية واقتصادية عديدة . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن عادات الختان والمآتم وغيرها ليس في صـبيا وإنما في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسـراة، انظر: غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٨٥- ٩٠ . (ابن جريس) .

(٣) كانـت هـذه المخالفات موجـودة في أمكنة كثيرة من شـبه الجزيرة العربية، وسـمعت قصصـاً وروايات عديدة من هذا الجانب أثناء تجوالي في بلدان تهامة والسـراة . ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ التعليم الشـرعي العالي ينتشر في البلاد وقام الدعاة ورجال العلم بجهود جيدة في محاربة البدع والخرافات المنتشـرة بين عوام الناس، وأصـبحنا اليوم لا نرى ولا نسـمع شـيئاً من تلك الشركيات والمخالفات التي عرفها ومارسها الناس قديماً . (ابن جريس) .

(٤) مقابلة شخصية مع الوالد موسى عبدالله في (١٤١٩/٨/٣هـ) بقرية أم القضب . (عقيلي وزملاؤه) .

(٥) مقابلة شخصية مع الوالد موسى عبدالله من قرية أم القضب في (١٤١٩/٧/٧هـ) . (عقيلي وزملاؤه).

وحدثتنا الوالدة علا الله إبراهيم [١] أن ابنها الأكبر أصيب بالجدري ومات، وبعده أصيبت ثلاث بنات لها لكنهن شفين منه والحمد لله، أما عن وسائل العلاج فقد كان الكي هو أكثر الوسائل استخداماً، وفي المنطقة أناس يمارسون عملية الكي . وعن التجبير، فقد كسرت ذراعي عندما كنت صغيرة، فذهب بي أبي إلى العم (صعدي) ، وهو رجل يجيد مهنة التجبير، وأذكر أنه استخدم في التجبير قطعتان من الخشب ولف عليهما قطعة قماش وجعل (الهرد) المحمي عليها، وقد شفيت ذراعي وعادت إلى وضعها الطبيعي.

وكانت تستخدم الحجامة، ومازال بعض كبار السن يعتبرها علاجاً أساسياً لبعض الأمراض، ويوجد أناس يختصون بها مقابل بعض الأجرة وكان في القرية أماكن للحجر يعزل فيها من أصيب بالجدري أو الجذام، ويروي لنا الشيخ مروعي جده [٢] أنه مات رجل يدعى العيدي في قرية مجاورة بالجذام ولم يقترب منه أحد ثم قاموا بحفر حفرة كبيرة ودفعوه هو وسريره بعصا طويلة حتى أسقطوه في الحفرة بعد أن رشوا عليه الماء والسدر من بعيد، ثم غطوا قبره بالحجارة، ولم يقترب أحد من عشته حتى هدمت . ومازلنا نشاهد بعض كبار السن في قرى صبيا، وفي وجوههم آثار الجدري، ولقد أصبت بالحصبة في صغري، وكانوا يسقونني ماء، ويأتون إليَّ بكوب من الحقنة وهي لبن الأبقار وبها يضعون زبل كلب جاف ويخفونه عني حتى لا أتقيأ . وفي الليل أجرد من ملابسي وأعرض لريح الشمال، وفي النهار أكتفي بإزار قصير ليستر العورة فقط، حتى شفيت .

وكانت ولادة النساء تتم في البيوت، وهناك بعض النساء المتخصصات في ذلك، وبعض النسوة يلدن لوحدهن دون مساعدة أحد، ومنهم الوالدة صالحة إبراهيم [٣] التي ذكرت أنها ولدت في المسنى (المزرعة) لوحدها حيث فاجأها الطلق وهي في حصاد. كما دخل في التطبيب الكثير من الشعوذة والدجل وأعمال السحر التي انتشرت بصورة كبيرة ولا يتسع المقام لذكرها، ومازالت الكثير من أساليب العلاج القديمة إلى الآن ولاسيما الكي والحجامة والعلاج بالقرآن والعين الحارة، وأيضاً بعض المشعوذين الذين يدعون إخراج الجن وشفاء المجنون وفك الأسحار وغيرها من الخرافات، غير أن ما وفرته الحكومة الرشيدة من وسائل العلاج والمستشفيات الحديثة قد حد من انتشار هذه الطرق القديمة. وهناك العلاج بالغميز (وهو تدليك أماكن الآلام) ومازال

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالدة علا الله إبراهيم بقرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٨/٣هـ). (عقيلي وزملاؤه).

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ مروعي جده بقرية الملحاء في (١٤١٩/٧/١٥هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .

(٣) مقابلة شخصية مع الوالدة صالحة إبراهيم بقرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٧/٥ه) . (عقيلي وزملاؤه) .

إلى الآن عائـلات معروفـة بغمازة نوع معين مـن الآلام، فيذكر لنا الوالـد علي جره [١] أن عائلتهـم تغمـز رياح الشـوكة وهي ألم في مفصـل الفخذ، وعائلـة الماطي تغمز رياح الخاصرة وهي ألم في أسفل الظهر، وعائلة النهاري تغمز الملطومة وهي شد في عضلات الوجه يعتقد الأهالي أنه لطمة شـيطان . وغير ذلك من الأسـاليب العلاجية التي حدت المستشفيات من انتشارها [٢] .

٨ـ بعض الألعاب الرياضية والتسالي:

كان الناس يمارسـون عدة رياضات وألعاب ترفيهية ويحاولون إبراز قوتهم في معظم الرياضـات، وكانت النساء يحضرن بكثرة لمشاهدة المتبارين، وسأذكر بعض تلك الألعاب مثـل: **(أ) الهوائية :** يمارسـها الرجال بعد نزول المطر، وعندما تتماسـك الأرض يخرج الناس للتمتع بالجو الصـحو ويجمع التراب في مكان ويوضـع به بعض النفايات ولاسـيما المرخ ويداس بالأقدام حتى يثبت ثم يبدأ السِباق، حيث يركض الرجل بقوة ثم يضع رجلاً واحـدة علـى (المطبع) ويقفز بقوة محاولاً الوصـول إلى مدى بعيـد ويقف رجل من كبار السن وبيده عصا ويشير للمكان الذي سقط منه آخر جزء من المتسابق يحط على الأرض ويحاول الباقون أن يتخطوه. وأذكر في صـباي أنهم أقاموا السـباق ذات مرة وكان هناك عدد من الشـباب وبنيهم رجل كبير السـن نوعاً ما ويدعى (شـوعي بقر) الذي غضـب من الشـباب لأنهم لا يقفزون بقوة فوثب هو وثبة لم يسـتطع أحد أن يتعداه فيها إلى وقت المغرب، وضرب به المثل في القرية إلى الآن . ومازالت تمارس هذه اللعبة إلى الآن [٣] .

(ب) السـاري : لعبـة شـهيرة في منطقـة جازان تمارسـ ليلاً وتحتـاج إلى بعض القوة، وينقسـم اللاعبون فيها إلى فريقين كل فريق ما بين (١٠) إلى (٢٠) في متسـع مـن الأرض وغاية الفريق تسـمى المد، ولقد فصـل العقيلي ذلـك [٤] . **(ج) الخطفة :** مثـل لعبة السـاري، لكـن خالية من العنف وتتكـون من فريقين يهرب فريـق المهاجمين ويقـف المدافعـين وبعضـهم يذهـب في أثـر المهاجمين لإجبارهـم على العـودة ويحاول المتبقـون من المدافعون لمس أولئك ممن يحاول الوصـول إلى المد من المهاجمين ويلعبها الصـبيان بصـورة خاصـة . **(د) عظم القرن :** وهو عظم العصـعوص (عجب الذنب) لـدى الجمـال أو الأبقـار حيث يكون كبـيراً وناصـع البياض ويجتمع كثيرون في سـاحة

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالد علي جره بقرية الملحاء في (١٤١٩/٧/١٥هـ) (عقيلي وزملائه) .

(٢) حبذا يا خالد عقيلي وبعض زملائه يتوسعون في دراسة هذه المحاور المهمة . (ابن جريس) .

(٣) انظـر: العقيلـي، محمـد بن أحمد . الأدب الشـعبي في الجنـوب، صـ ٤١، ج١، ط دار اليمامة، الرياض .(عقيلي وزملائه) .

(٤) العقيلي، المرجع السابق، ص ٣٢ . (عقيلي وزملائه) .

فسيحة ويقف أحدهم بعيداً ويغمض الباقون أعينهم ثم يرميه في الحشائش وينطلق الباقون للبحث عنه ومن يجده يتسلل خفية حتى يرجع إلى المكان الأساسي ثم يصيح (عظم القرن) فيرجعونه بصورة سباق إليه وهو الذي يتولى رميه، وإذا عرف قبل أن يعود يطارد بصورة جماعية وعليه محاولة العودة دون أن يمسكوه .

(هـ) الجري: وهو خاص بالشبان حيث يتباهون بذلك أمام الكبار في السن والنساء وصفته أن يصطفوا صفاً واحداً ويبدأوا بالسباق على صرخة أحد كبار السن إلى مكان معين والأول هو الفائز ذهاباً وإياباً . **(و) المزقرة :** شائعة في منطقة صبيا وعموم بلاد جازان، وهي عصا قصيرة وعصا طويلة وعدة لاعبين وتحفر حفرة صغيرة توضع عليها المزقرة (العصا الصغيرة) بصورة أفقية ويرفعها اللاعب بالعصا الطويلة ثم يضربها بقوة ويحاول الفريق المنافس لمسها أو مسكها قبل أن تنزل إلى الأرض وإلا اعتبر الضارب فائزاً [١] . **(ز) المداويم :** المنطقة قريبة من الجبل وينمو فيها الدوم بكثرة، وثمره يدلى، ونواته هي الخزوف في اللفة، وتؤخذ نواته ويثبت بها جزء حديدي في الأسفل ويلف عليها خيط حتى يرى مكانه، ثم تقذف فتدور على الأرض لفترة والفائز الذي يجعلها تدور لفترة طويلة . **(ح) المسحر:** تتخذ كرة من ثمرة الدوم وتلف في الليف أو الخرق ويلعبها الشباب في مكان فسيح من الأرض، وينقسمون فريقين وكل واحد في الفريقين يحمل عصا طويلة (محجن) ، وترمى الكرة، وتتناولها المحاجن إلى غاية كل فريق، وكثيراً ما تحدث إصابات أو معارك بالمحاجن، فقد ذكرت الوالدة صالحة إبراهيم أن ابنها علي قد أصيب بضربة محجن في ركبته مازال يشكو من عرج في رجله حتى مات[٢] . وكانت معظم الألعاب تزاول بصورة جماعية وتضفي على القرية جواً من المرح لينسى الناس هموم ومتاعب الحياة ولو لبعض الوقت[٣] .

ثانيا : الحياة الاقتصادية :

من الجوانب الاقتصادية التي يهتم بها سكان صبيا مهن الرعي والصيد، والزراعة، والحرف اليدوية، والتجارة وكل ما يتعلق بها، إضافة إلى بعض الصناعات التقليدية التي يعمل سكان المنطقة على التفنن فيها.

---

(١) العقيلي، الأدب الشعبي في الجنوب، ص ٤٤-٤٥. (عقيلي وزملائه) . والألعاب الشعبية والرياضات القديمة في منطقة جازان وعموم بلاد تهامة والسراة من الموضوعات المهمة والجديدة وتستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة . (ابن جريس) .

(٢) مقابلة الوالدة صالحة إبراهيم بقرية أم القضب في (١٤١٩/٧/٥هـ) . (عقيلي وزملائه) .

(٣) شكراً يا خالد عقيلي وفريقك على إنجاز هذه الدراسة المختصرة، وآمل أن تتوسعوا فيها حتى تكون دراسة علمية مطولة وموثقة . (ابن جريس) .

١ـ الرعي والصيد:

الرعي مهنة قديمة فمنذ أن عرف الإنســان الحيوانــات بدأ بتربيتها وإطعامها ممــا تنبت الأرض وقد مارســها العرب، واختص بها البدو الرحل الذيــن ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والكلأ من أجل مواشيهم . وكان الترحال يؤدي أحياناً إلى إثارة المشــاكل بين أصــحاب الأغنام، وتعد المواشــي الغذاء الرئيســي لكثير من الناس، حيث يستفيدون من ألبانها، ولحومها، وجلودها للاستعمال الخاص، أو للمتاجرة فيها، ويخــرج الرعاة في بلاد صــبيا من الصــباح، ويعودون في منتصــف النهــار، ومنهم من يذهــب مــع أغنامه طــوال النهار . وكان هناك بعض التعاون والتآزر بــين الرعاة، فهم يخدمون بعضهم البعض أثناء مراقبة قطعانهم، وقد يتناوبون في ممارسة الرعي، وإذا حل قحط أو مجاعات بالبلاد، فالبعض من الرعاة ينتقل مع مواشــيه إلى أمكنة أخرى يتوفــر فيها العشــب والماء. وقــد عثرنا على بعض الوثائق التي تشــير إلى أســماء بعض الرعاة في مخلاف صبيا، وأنواع مواشيهم، ولا تخلو هذه المصادر من إشارات إلى بعض المشــاكل التي كان يواجهها الرعاة خــلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، مثل أســماء الأمراض التــي تفتــك بأغنامهم ومواشــيهم، والأدوات التي يســتخدمونها لعلاجهــا ، كما ذكرت عقبــات أخرى كالأمراض والجفاف والقحط الذي يحل بالبــلاد وما يخلفه من ويلات على الرعاة وقطعانهم، وكذلك اللصوص الذين يعتدون على أموال الناس وسرقتها [١] .

كما مارس أهل صبيا الصيد البري والبحري ،ومن البري صيد الأرانب البرية، أو الوبر وهو حيوان يعيش في الجبال، ويعتقد الناس أنه يشــفي من مرض الربو، ويذكر لنا أحد الرواة طريقة صــيد الوبر فيقول: " الوبر ســريع جداً وعندما يرى صــياداً فإنه يتوارى في الأحجار ويدخل جحره بســرعة، فنأتي ونشــب النار على الفوهة حتى يزعجه الدخــان، أو نصــدر أصــواتاً مزعجة عند جحره ثــم نختبئ لفترة، فيخــرج من مكانه فنصــطاده " وهناك صــيد الورل وهو ســحلية ويعتقد الناس أن من أكل لحمها لا تضره لســعات الأفاعي، أمــا الطيور فهي كثيرة وأهمها: الحمام، والهجــف (وهو القمري، أو

---

(١) من يدرس الحياة الاقتصــادية في عموم بلاد الســروات وتهامة خلال القرون الثلاثة الماضــية، فإنه يجد مهنــة الرعي من أهم المهن التي يمارســها معظم الســكان، وذلك لوفرة المراعي، وغلبــة الحياة البدوية على عموم الناس، وأيضــا الفوائد الجيدة التي يجنيها الناس من امتلاك ورعي المواشــي. وقد عاصــرت شيئاً من حيــاة الرعــي والرعاة في العقود الأخــيرة من القرن (١٤هــ/٢٠م) ، وكانت جميع القرى في عموم الســروات وتهامــة مليئة بالرعاة الذين يمارســون رعي الضــأن والماعز، أما البــوادي وأهل تهامة فكانــوا يمتلكون الإبل والأبقار إلى جانب البهائم الأخرى . مشــاهدات الباحث خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي . (ابن جريس). للمزيد انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ١٢١ وما بعدها. للمؤلف نفسه انظر: أبها حاضرة عسير (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ١٢٥ـ١٢٦ .

الحمام البري) ، والدرج، والكاوع وغيرها ، وكانت وسـائل الصـيد البنادق والمنطفة[١]، وهناك من يسـتخدم العصـا والرمي بالحجـارة، أو الفخاخ، ويروي لنـا الوالد منمش مبروك: " أن مهنته الأساسية كانت صيد الغزلان، وكان ينصب لها الفخاخ عند الأودية والغدران عندما تأتي للشـرب، وكانت فخاخه حفرة مغطاة بالقش، أو حبل مدقوق على شكل حلقة، ويذكر أنه لا يمر عشرة أيام إلا ويقع فيها على الأقل غزال[٢] . وكانت كثيرة في المنطقة، واليوم انقرضـت نهائياً، ما عدا بعضـ الوعول الجبلية الموجودة في الجبال وتتولى الحكومة حمايتها.

والصـيادون البحريـون في منطقة صـبيا كثيرون ،والشـباك هي وسـيلة الصـيد، والقوارب تصنع محلياً في الحواضر كجازان والسبخة والقوز، وكان البعض يحضر قوارب أكـبر من جـدة أو القنفذة، وعمليات الصـيد رحلات ليلية في أكـثر الأوقات، فيذهبون عنـد المغرب ولا يعودون إلا مع الفجر ومعهم أنواع عديدة من الأسـماك مثل: الشـعور، والبياض، والقرش، والعربي، والضيرك وغيرها . ويأخذ الصياد حاجة منزله من صيده والباقي يرسله إلى السوق ليبيعه . وبعضهم يحمله في سلة ويدور به على البيوت وينادي (حـوت .. حوت) فمن أراد خرج واشـترى حاجته، وكانت الأسـماك تحفظ في المنازل في سـلال تعلق في حبل يتدلى من سـقف العشة وتملح لتحفظ أكبر وقت ممكن . وبعض الصـيادين يحضـرون معهم ما وجدوه من البحر من صدف وأحجار كريمة إن وجدت، وحاليـاً انحصـر الصـيد البحري في القرى المجـاورة للبحر والقريبة منـه كقرية بيش والشـريعة والقوز وسـاحل الجعافرة غرب صـبيا . ولم يعد في قريتنا سـوى رجل واحد يمتهن تجارة السمك لكنه لا يصيده .

٢.الزراعة :

الزراعة أساس اقتصـاد المنطقة وغالبية السكان فلاحون وعليها يعتمد الأهالي في توفير وسائل المعيشة من مأكل ومشرب وملبس سوءاً بالنقد أو المقايضة، والزراعة موضوع واسـع يدرس في مجلدات، لكننا سـنوجز الحديث في هذا البحث فندس أنواع الأراضـي وملكيتها، وطرق التعامل الزراعي، وأنماط الزراعة والري، والمحاصيل الزراعية .

وعموم أراضـي صـبيا الزراعية ملكيات خاصة توارثتها الأسـر بعضها عن بعض،

---

(١) المنطفة : قطعة طويلة تصـنع من الألياف ويكون وسـطها على شـكل فنجان، يوضع فيه الحجر ثم تمسك من طرفيها ويحركها الرجل بسـرعة ثم يطلق أحد طرفيها فينطلق الحجر بقوة نحو الهدف، وتعرف أيضـاً باسم (المقلاع) .

(٢) مقابلة شخصية مع الوالد منمش مبروك، قرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٩هـ) . (عقيلي وزملائه) .

وتختلف مساحات الأراضي والملكيات من فرد أو أسرة لأخرى . وقد زرت بعض الأسر في عدد من قرى صبيا وشاهدت عندهم بعض الحجج أو الوثائق الخاصة التي تؤكد ملكيتهم لأراضيهم الزراعية، ومنهم من ورثها من آبائه وأجداده، وآخرون شروها من أصحابها . والناظر في جميع أراضي مخلاف صبيا يجدها غنية بتربتها الصالحة للزراعة، وكذلك وفرة مياهها [١] . وهناك أراض عامة مشاعة تملكها القرى، أو العشائر، أو القبائل، ولها أعراف وأنظمة يعرفها ويقرها من يملكها . وهذه الأراضي المشاعة موجودة في عموم منطقة جازان . بل عند جميع سكان شبه الجزيرة العربية . وتكثر المنازعات بين أفراد العشيرة أو القرية الواحدة على الأراضي العامة أو المشاعة، ولهذا فالدولة تسعى إلى حل مشاكلها مع أصحابها، وفي حالة عدم اتفاقهم فإنها تصادرها وتصبح من أملاك الدولة [٢] .

كما يوجد في مخلاف صبيا أراض وقفية كثيرة، أوقفها أصحابها في عهود ماضية ومازالت وقفية على أبناء وحفدة منْ أوقفها . وأحياناً تنقرض ذرية الواقف ولم يعد له وارث، فتنتقل ملكية هذه الأراضي إلى إدارة الأوقاف في الدولة . وهذه الظاهرة تكاد تكون منتشرة في جميع بلدان الجنوب السعودي . وقد شاهدت أسراً عديدة وهم في شجار وصراع ومطالبات في المحاكم الشرعية، وبعضهم يطلب حقه من مال آبائه وأجداده، وهناك من أقاربه من يرفض إعطاءه طلبه، ويقول إن جميع الأراضي التي تطلب قسمك منها ليست للتقسيم لأنها وقفية [٣] .

وعادة من يعمل في المزارع أهلها، كالزوج ومعه زوجته وأبناؤه، إذا كانت ملكهم لوحدهم، ومن يملك أراضي زراعية وحالته ميسورة فإنه يستأجر من يعمل معه، وغالباً يكون له عدد من العبيد، ويتعاون أهل القرية في الزراعة ويظهر ذلك في موسم الحصاد

---

(١) هذا الكلام يا خالد وفريق العمل معه ربما كان ذلك في القرون والعقود الماضية المتأخرة، أما اليوم فبلاد صبيا وغيرها في منطقة جازان تعاني من قلة المياه وملوحة الأرض ومشاكل ظهرت مؤخراً وأثرت على حياة الزراعة والمزارعين . المصدر: هذا ما عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في منطقة جازان في بداية العقد الثالث من هذا القرن (١٥هـ٢١م) . (ابن جريس) .

(٢) هذا يا خالد كلام صحيح فقد شاهدت ذلك في مناطق جازان، وعسير، ونجران، والباحة، وبعض نواحي الحجاز أثناء رحلتي وتجوالي في هذه البلاد خلال الأربعين عاماً الماضية . بل وجدت بعض القرى أو العشائر في خصام دائم على بعض الأراضي المشاعة في بلادهم، ولم تحل مشكلتهم، فلجأت الدولة إلى مصادرتها، وكانوا أولى بها لأبنائهم وحفدتهم، لكن نزغات الشيطان والصراع البشري هو الذي أفقدهم الاستفادة منها . (ابن جريس) .

(٣) نعم يا خالد وفريق عمله إن هذه الظاهرة موجودة ومنتشرة في قرى وعشائر كثيرة في بلاد تهامة والسراة، وهذا ما عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في هذه البلاد خلال العقود الثلاثة الماضية . (ابن جريس) .

أو البذر أو الحرث أو غيره. ويخبرنا أحد الرواة فيقول : "أنه يعمل في مزارعهم بعض العبيد وفي موسم الحصاد يتعاون معهم أهل القرية والمزارع المجاورة، وأثناء الحصاد يسود جو من المرح[١]، حيث يتبادل الناس الأناشيد أو الأشعار الشعبية ومنها نشيد القناعي[٢] ومن أشعاره :

أقصد ما يشرب طلاحب ولا أطفال — جنب معيا في أفضل ماطم شارب
أجيت شازم بذر عاته ولم قال — مضمون ما في خدها طم شارب

ومنه أيضاً نشيد مساوي الحكمي[٣]

يا بياضية قد زربوها يعكش — وقالوا البثاية زربها ما تشابك
الناس تحبك بالقضي لا معك شيء — وإن كان يمانك خالية ماتت بك[٤]

وكانت الآلات المستخدمة في الزراعة من الصناعة المحلية، وهي بسيطة في تركيبتها، فمنها المحراث وهو الأساس في بذر البذور، وهو آلة خشبية تنتهي بحديدة مدببة، ومثبت عليها عصا خشبية مثقوبة لكي ينزل منها البذور وتجرها الثيران في الغالب . وتسمى الضمد، ومن يملكون ثيران وضمدهم من الميسورة أحوالهم المادية، والذين لا يملكونه يقومون باستئجاره لحرث أراضيهم . وكانت مياه الأمطار الأساس في عملية الري، وخاصة (الخريف) وهو لفظ يطلق على الأمطار التي يزرع على إثرها الذرة والقمح والدخن وتسيل الأودية والشعاب . كما عرف الري عن طريق الآبار، وكانت تستخدم الجمال أو البغال أو الثيران في جر الدلاء من الآبار، وقد حدثنا الشيخ موسى عبدالله فقال: " الذي كان يملك بئراً كان يعمل طول النهار على البئر، وفي الوقت نفسه يعمل أخوه الأصغر على الضمد، وتمرير الماء من البئر عبر قنوات تحفر في التربة إلى القطع المزروعة، ولم يستخدموا الأكياس البلاستيكية حتى وقتنا الحاضر، وعندما سألناه لماذا لم يستخدموا إلى الآن الري بالتنقيط مثلاً، أو الأكياس البلاستيكية لتوفروا في المياه؟

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ مروي جده بقرية الملحاء بتاريخ (١٤١٩/٧/١٥هـ). (عقيلي وزملائه) .

(٢) القناعي : يقال أنه شاعر من نواحي صبيا، ذاع صيتة وتناقل الناس أناشيده . (عقيلي وزملائه) .

(٣) مساوي الحكمي : شاعر من ساحل الجعافرة (قرية الجدبين) وله أناشيد ومشهور بالغزل . (عقيلي وزملائه).

(٤) اعلم يا خالد عقيلي ورفاقه أن منطقة صبيا غنية بتراثها الشعبي مثل الفنون الغنائية، والأناشيد، والأحاجي، والحكم، والأمثال، والأقوال الأدبية الجميلة . وآمل منكم أن تجمعوا مثل هذا التراث الحضاري الذي يعكس شيئاً من حضارة سكان منطقة صبيا وتاريخها وموروثها . كما آمل من أساتذة جامعة جازان وبخاصة المؤرخين والأدباء واللغويين أن يخدموا تاريخ وتراث وحضارة عموم المنطقة الجازانية فهي غنية بهذا التراث الجميل . (ابن جريس) .

أجاب " لو فعلنا ما قلت لأصبح ثلث الأرض أخضر وثلثيها كلون الشمس، وأنا يا بني أرتاح لرؤيتي للخضرة، وأما عن الإسراف في المياه فهي من عند الله ولا يقطعها إلا الله، وإنما يرزقنا الله بهذه البهائم، وأما الناس فلم يعد فيهم ذاك الصلاح القديم "(١) .

والآن أصبح في القرية آبار ارتوازية، ويسحب الماء بالمضخات الحديثة من البئر إلى البركة، ومنها يتفرع عبر القنوات الترابية إلى القطع المزروعة، وهناك يتولى الفلاح توزيعه بين القطع بطريقة منظمة، وحينما ينزل المطر في يوم من الأيام فلا تستعمل البئر لمدة طويلة . والفلاحون لهم نظرة في النجوم ويحسبون بها موعد الأمطار فاسمع كبار السن وهم يذكرون بعض النجوم للدلالة على الأمطار ومواسمها مثل: الثريا، وسهيل، وغيرها (٢) .

وقد تعددت المحاصيل الزراعية في صبيا، ومن أهمها : القمح، والدخن، والذرة، والفجل، والبقل، والملوخية، والجرجير، والشيح، والخطور والكادي، والراديم، وشجر الفل، والعمبرود، والباذنجان والحبحب، والشمام، والبطيخ، والقشدة، والبطاطا الحلوة، والجلجلان ـ السمسم، والرجلة، والحنطة، والدباء، واليقطين، والخيار، والطماطم، والفلفل الحار، والكوسة، والموز "، وفي هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . ظهرت زراعة المانجو والتين، والجوافة، والسلك) وقد شجعت الحكومة على ذلك ولاسيما زراعة المانجو، وتعددت خيرات الأرض والحمد لله، أما وسائل التسميد فكانت قديماً روث الحيوانات أو حرق الأراضي، أما الآن فأضيف إليها السمادات الكيماوية .

٣ـ المهن الصناعية والحرف التقليدية :

لم تكن صناعة المعادن موجودة بشكل كبير في منطقة صبيا لكن توجد بعض الصناعات التي تستورد من خارج المنطقة، ويجري عليها بعض التعديلات . ومن أهم صناعتهم صناعة الجنابي، وهي أما تكون طويلة، وقصيرة، وصناعتها وجودتها تعتمد على نوعية المعدن المصنوعة منه، فكلما كان ذا نوعية جيدة وقوية زاد ثمن الجنبية، ثم يضعون لها مقبض، وهو مصنوع من قرون بعض الحيوانات فإذا صنعت من قرن الغزال فهو أحسنها وأجودها، كذلك يحلى غمد الجنبية وغالباً يكون من الفضة الخالصة(٣) . ومن الصناعات

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ موسى عبد الله بقرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٧/٧هـ) . (عقيلي وزملائه) .

(٢) ياخالد ورفاقه كنت أود أنكم فصلتم الدراسة في أنماط الزراعة وطرق الري في منطقة صبيا لأهمية هذا الموضوع. أما معرفة الناس قديما بالنجوم أو الأنواء وما تدل عليه لخدمة الزراعة وبعض المهن الاقتصادية، فهذه عادات قديمة عرفها العرب في شبه الجزيرة العربية وأبدعوا في معرفتها وكتب التراث مليئة بالأقوال والتفصيلات التي تصب في خدمة هذا الموضوع . (ابن جريس).

(٣) مقابلة شخصية مع الشيخ علي بن أحمد فارسي بتاريخ (١٤١٩/٧/١٩هـ) بقرية شهدان . (عقيلي وزملائه) .

أيضــاً الجوفي، وهي نفس صــناعة الجنبية إلا أن لها عطفة إلى الأســفل والعنق أو المقبضٍ يصــل إلى الصدر، وهناك صناعة الســكاكين أو ما نسميه في بلادنا بالشفرة، وكانوا أيضاً يصلحون بعض الأسلحة، أو الحلي مثل القلائد والأساور وغيرها.

كما تشــتهر منطقة صــبيا بالصــناعات الحجريــة والفخارية ومازالــت حتى الآن متوفرة بشــكل كبير، وكل الصــناعات الفخارية من الطين يخلط بالماء ثم يحرق حسب ما يريده الصــانع، وحسب الحاجة .بعد ذلك يلونها ويزينها وينظفها، ومن الصناعات الفخارية صــناعة الجرة وهي: محدودية الشــكل ولها عنقٍ ضــيق دائري وتســتخدم في حفظ الماء وتبريده . والبلبلة : مثل الجرة إلا أنها أكبر حجماً ولها فتحة كبيرة يحفظ بها الماء وتغطى من الأعلى [١] والحيســية مخروطية الشــكل مقلوبة وهي تستخدم للأطعمة والرجبية : أو الشاطرة كسابقتها الجرة إلا أنها صغيرة الحجم . والتنور : وفيه أحجام كبيرة ومتوسطة، ويستخدم لصناعة الخبز واللحم وأطعمة أخرى . والذاهب إلى أسواق صبيا يشاهد الكثير من الأواني والأدوات الفخارية المعروضة للبيع، وتستخدم لأغراض عديدة . أما الصــناعات الحجرية فهي المصنوعة من الحجارة الصلبة، ومنها الرحى، وبعض أدوات الطهي كالقدور والبرم وغيرها [٢] .

وعرف ســكان صــبيا دباغة الجلــود وخرازتها، وجميــع المواد الخام لممارســة هذه المهنة محليــاً، فالجلود من الأنعام، والمواد المســتخدمة للدباغة من النباتات والأشــجار الموجودة في أرجاء المنطقة. وهناك الكثير من المصنوعات الجلدية مثل: بعض الألبسة، والأثاث في المنازل، وأدوات أخرى تستعمل للأطعمة والأشربة، أو الزراعة، وغيرها من الحرف المحلية [٣] .

والنســيج والخياطة من الصناعات اليدوية عند أهل صــبيا، ومعظم من يمارسها من النســاء، وأحياناً يتعاون الآباء والأمهات في خياطة ونســج ملابس أولادهم وبناتهم، وكان هناك من يمارسها للربح والتكسب. والصوف بأنواعه من المواد الأساسية لممارسة النســيج، ويتم الحصول عليه من أصــواف الحيوانات المحلية، وهناك من يحصل عليه من الأســواق الأســبوعية . وكانت تجلب بعض الأقمشة من أســواق اليمن، أو جازان، أو

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ حسين علي خرمي بتاريخ (١٤١٩/٨/٢٤هـ) بقرية أم سعد. (عقيلي وزملائه) .

(٢) هناك تقارب في الصــناعات الفخارية والحجرية، إلا أن صــناعة الفخار أسهل في الإعداد والتشكيل، أما الصناعات الحجرية فإنها تحتاج إلى مهارة أعلى وجهد أكبر . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس لنا تاريخ الصــناعات الفخارية في منطقة جازان لأهمية هذا الموضــوع وممارسته بشــكل كبير وبخاصة في منطقة صبيا وما حولها . (ابن جريس).

(٣) مــن يزور بعض المتاحــف المحلية في منطقة جازان أو مناطق الجنوب الســعودي فإنه يشــاهد الكثير من الأدوات الجلدية، وكان القائمون على دباغتها وخرازتها من سكان هذه البلاد . (ابن جريس) .

عسير، أو القنفذة، أو الحجاز، ويقوم بعض الخياطين المهرة بتفصيلها وخياطتها، وكانت تلك الأقمشة تصبغ بالنيلة وغيرها من الأصباغ قبل خياطتها، وأكثر أنواع الأقمشة أو الملابس التي تصبغ هي ألبسة النساء صغاراً وكباراً . كما كان يصنع أو ينسج أدوات عديدة من سعف النخل أو ورق الدوم، ومن تلك المصنوعات: الزنابيل، والبسط، والسلال، والحصائر التي توضع على ظهور الحمير والجمال أثناء نقل الأغراض والأمتعة وغيرها . وكانت كل أسرة تحرص أشد الحرص على تربية بناتها في خدمة البيت وخياطة أو نسج بعض الأدوات الضرورية للاستخدام المنزلي . وتذكر لنا الوالدة (بخيته أمعييد) قصة تعرضت لها في صغرها، فتقول: "أن والدها جاء وهي تلعب الزقطة مع بنات في سنها، وهي لا تتجاوز السادسة من عمرها، فقام بضربها برجله وجرها من ضفيرتها إلى البيت حتى ألقاها إلى جوار أمها وهي تصنع زنبيلاً أو ما شابهه وقال لها : (علمي بنتك أفضل من اللعب وإلا فلن يتزوجها أحد) . ثم قالت " وفي يوم خطبتها قال الخطيب: أريدها عاملة في بيتها فلن أشتري شيئاً من خارج البيت، فقلت الحمد لله أن أدرك والدي أهمية العمل في شغل البيت "

٤. التجارة :

كانت الطرق قديماً بدائية، وهناك طريق يخرج من جازان إلى صبيا إلى بيش نحو البرك والقنفذة حتى مكة المكرمة . وقد ذكر هذا الطريق الكثير من كتب الجغرافيا والرحلات القديمة[١] . أما الطرق داخل منظمة صبيا فكانت قبل العصر الحديث بدائية، وغالباً تسلكها الدواب . وفي النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) شقت بعض الطرق، وبدأت السيارات تصل من الحجاز إلى جازان، وكانت طريق مكة جازان أهم الطرق الحديثة في تهامة، وتعبر بلاد صبيا وتأتي على بعض قراها مثل السلامة، والعزامة، والمحلة، وأبو القعائد، وقد ازدهرت التجارة عبر هذا الطريق وتطور عمرانها، وأصبح هذا الطريق آمناً ممهداً مسفلتاً حيوياً تمر به الناقلات الكبيرة والصغيرة .

وكان الناس في منطقة صبيا يذهبون بمنتجاتهم ومحصولاتهم يوم السبت إلى سوق بيش الأسبوعي، وإلى سوق صبيا يوم الثلاثاء، كما كان يوجد سوقاً صغيراً في الملحاء يشترى منه الناس حاجاتهم المعيشية اليومية[٢] . وحاليا توجد في بلاد صبيا أسواق عديدة على طول الأسبوع ومكتظة الحركة، منها ما يقع على الطريق التجاري مكة-

---

(١) من يبحث في تلك الكتب فإنه سوف يجد ذكراً لا بأس به عن محطات الطرق التجارية التي يسلكها الحجاج والمسافرون الذين يأتون من اليمن أو عموم منطقة جازان ويذهبون إلى بيت الله الحرام . وهناك أيضاً بعض الدراسات الحديثة التي صدرت في هذا الباب . (ابن جريس) .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد البنة بتاريخ (١٤١٩/٩/١٨هـ) بقرية الملحاء . (عقيلي وزملائه) .

جازان مثل: سوق السلامة، أو سوق العرضة، وسوق المحلة، وسوق أبي القعائد بالإضافة إلى الأسواق الداخلية كسوق العشة، وسوق الجارة، وسوق الجمالة، وسوق أبي السلع(١).

وكانت عملية الصادرات والواردات قليلة، وبخاصة في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). ومن أهم السلع التي يصدرها أهل صبيا حبوب الذرة بأنواعها (الحمرية، والزيدية، والبيضاء)، ولا تخلو المنطقة من بعض المواشي التي تصدر إلى أسواق المنطقة المحلية، أو إلى أسواق جازان، والبرك والقنفذة . وقد نشطت التجارة في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وبخاصة بعد فتح الطريق الرئيسي الذي يخرج من مكة إلى جازان ومدن اليمن الساحلية الكبرى مثل الحديدة وعدن . وكان يتم استيراد الكثير من البضائع من أسواق اليمن مثل: البن، وبعض الأسلحة، والأطعمة. ويستورد من مدن الحجاز الألبسة، والأقمشة، أو بعض الأدوات الزراعية والحرف والصناعات المحلية الأخرى(٢) .

وكانت الأسعار في بداية القرن الرابع عشر الهجري بسيطة فالربع ريال، والنصف، أو الريال يقتضي به الرجل ما يشاء من لوازم المنزل، ويسجل لنا الوالد منصور خويري قوله: " سوقت إلى السوق قبل (٦٠) سنة وعمري تقريباً (١٢) اثني عشر عاماً، وكان يوجد معي ريال واحد فرنسي فأخذت كيلو سمك بقرش، وأخذت برتقال وتفاح وعنب نصف كيلو من كل صنف، وكلها بربع ريال، وأخذت خضروات بما فيها طماطم وملوخية وبقل بقرشين، وأخذت فل وكاذي، وكلها بريال إلا ربع ". وهناك حادثة طريفة عن الأسعار، ذكرها أيضاً الوالد منصور فقال: " تسوق أخي الذي أكبر مني (رحمة الله عليه) وهو علي بن ناصر قبل عشر سنوات، وأخذ العديد من الأغراض، وعندما جاء يحاسب أعطى صاحب المحل ريال وقال له أعطني الباقي يحسب نفسه كزمان، فضحك صاحب المحل وأعطاه الأغراض بلا ثمن، والريال كان لا يجده الشخص إلا بشق الأنفس، كان يعمل لمدة يوم أو يومين حتى يحصل على ريال "(٣).

---

(١) تم تدوين هذه المعلومات عام (١٤١٩هـ)، واليوم تطورت صبيا وأصبح فيها عشرات الأسواق اليومية الصغيرة والكبيرة، بل هناك أسواق حديثة، وهي مجمعات كبيرة تحتوي على العديد من الأسواق العالمية والمحلية . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ التجارة في صبيا يا عقيلي ورفاقه لا يذكر في سطور محدودة، وإنما هو موضوع كبير ويوجد الكثير من الوثائق والرواة الذين عاصروا صوراً من الحياة التجارية في صبيا وعموم منطقة جازان أو تهامة الممتدة من عدن إلى مكة . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في مئات الصفحات، وآمل أن نرى أحد الباحثين الجازانيين الجادين فيدرس هذا العنوان دراسة علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٣) مقابلة شخصية مع الشيخ منصور بن ناصر خويري بتاريخ (١٤١٩/٨/٤هـ) بقرية الخوارية. (عقيلي وزملائه) . وأقول يا خالد ورفاقه إن ما دونتموه في هذا البحث قبل عشرين عاماً يوم كنتم على مقاعد الدراسة في السنة الرابعة من درجة البكالوريوس عمل لا بأس به، ولا يخلو من الهنات والقصور، لكنه يحتوي على الكثير من المعلومات الجديدة عن تاريخ بلاد صبيا الحضاري . وأرجو منكم أن تعيدوا النظر في هذا العمل وتتعاونوا في دراسته وإن فعلتم ذلك فإنكم سوف تخدمون بلادكم وأهلكم، والله من وراء القصد (ابن جريس) .

رابعاً: آراء وتعليقات وتوصيات [(١)] .

نجد أن هؤلاء الأبناء الطلاب اجتهدوا في جمع بعض المواد العلمية عن بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في منطقة صبيا . وذكرت في مقدمة هذا القسم أن هذه الأعمال الطلابية يشوبها الكثير من النقص والقصور، لكنه يحمد لهم أنهم طرقوا أبواباً جديدة في معلوماتها . وكنت أتمنى منهم أن يضيفوا إلى دراساتهم بعض المناهج التي تقوم على التحليل والنقد والمقارنة وهم يتحدثون عن حاضرة مهمة من حواضر منطقة جازان، وهناك مدن وقرى وبلدان لا تقل أهميتها ومكانتها التاريخية عن صبيا . وندرج في النقاط التالية شيئاً من الجوانب التي يجب الإسهاب والتفصيل فيها:

١. نجد في التاريخ الاقتصادي أن صبيا لم تكن في معزل عن غيرها من مدن وحواضر جازان وتهامة وبعض السروات . وهناك الكثير من المصادر والمراجع والوثائق التي تذكر دور أهل صبيا في مجالات الزراعة والحرف اليدوية والتجارة، وكان لفيف من التجار يترددون على أسواق صبيا فيحملون حبوبها ومنتجاتها الزراعية والحيوانية إلى موانئ جازان، والبرك، والقنفذة، ومحايل عسير، ورجال ألمع وأبها، والحديدة وعدن وغيرها [(٢)] .

٢. لم يكن النشاط الاقتصادي مقصوراً على حاضرة صبيا، وإنما كانت مهن الرعي والزراعة وأيضاً التجارة تمارس في أرياف وبوادي وقرى صبيا بمفهومها الواسع الذي يمتد من أبي عريش، وبلاد فيفا، وبني مالك، ويشمل أيضاً وادي بيش وسهوله [(٣)] ، وللأسف أن هذه البحوث المدرجة في هذا القسم لم تدرس هذا التمدد والانكماش الحضاري خلال القرن الهجري الماضي.

٣. الحديث عن الأسواق الأسبوعية في صبيا وما جاورها، والقبائل التي كانت تقوم على حماية تلك الأسواق، والمعوقات التي جرت لبعض الأسواق والدور

---

(١) هذا المحور من إعداد صاحب كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس) .

(٢) اطلعت على عشرات الوثائق التي تعود إلى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، وفيها أسماء الكثير من السلع التي كانت تصدر من صبيا إلى بلدان عديدة في تهامة والسراة واليمن والحجاز . ويوجد في هذه المصادر أسماء بعض التجار الذين كانوا يقومون بنقل تلك البضائع، ومقدار الأجور والأسعار التي كانت معروفة آنذاك . (ابن جريس) .

(٣) من يقرأ التاريخ السياسي والإداري والعسكري لمنطقة صبيا خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أنه كان في مد وجزر، وقد يمتد نفوذ السلطة القائمة في حاضرة صبيا على معظم منطقة جازان، وربما مناطق أخرى عديدة في تهامة عسير، وأحياناً يتقلص هذا النفوذ على مدينة صبيا فقط . وهناك العديد من البحوث والكتب والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ صبيا السياسي والعسكري خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . (ابن جريس) .

الإداري والثقافي الذي لعبته تلك الأسواق . كل هذا المحاور لم تدرس وهي جديرة بالبحث والتحليل وهناك الكثير من الوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع، ومازال هناك أعلام مارسوا التجارة في تلك الأسواق وهم على قيد الحياة حتى الآن [١] .

٤. هناك إشارات محدودة عن الطرق التجارية، وأقول إن بلاد صبيا أرض ساحلية وسهلية، والطرق التي تربط بين أجزائها كثيرة ومتفاوتة في الطول والعرض . وأيضا الطرق التي تربطها مع أجزاء المنطقة مثل: مدن جازان، وأبو عريش، وبيش، والدرب، ونواحي أخرى عديدة في السهول والهضاب والمرتفعات في عموم الأراضي الجازانية . وقد التقيت ببعض أعيان ووجهاء حاضرة صبيا وذكروا أن المواصلات بين مدينة صبيا وأجزاء المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت نشطة، وكانت معظم وسائل النقل الحمير، ثم بدأت السيارات تصل إلى سهول صبيا منذ ستينيات وسبعينيات القرن الهجري الماضي [٢] .

٥. نجد فرسان هذه البحوث المدرجة في هذا القسم حصروا أنفسهم على معلومات اقتصادية مختصرة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وما ذكروه أيضاً لا يخلو من السطحية، وجميعهم عاصروا التطور والتنمية الحضارية التي وصلت إلى صبيا خلال العقدين الأولين من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكان عليهم أن يشيروا إلى ذلك في متن البحث أو في حواشيه، حتى يطلعوا القارئ على أحوال البلاد كيف كانت وكيف أصبحت مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٣] .

٦. تمت الإشارة إلى صناعات وحرف يدوية ناقصة ومحدودة . وكان الأوائل يعتمدون على أنفسهم في معظم حرفهم . وكل واحد في الأسرة يقوم بعمل يعود على الجميع بالنفع والفائدة . فالنساء يمارسن المهن المنزلية مثل الطبخ،

---

(١) هذا ما عرفته أثناء زيارتي لمنطقة جازان وتجوالي في أرجائها عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (الجزء الرابع)، ص ٢٢٧-٣٠٢ . (ابن جريس).

(٢) تاريخ المواصلات في جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة عملية . (ابن جريس) .

(٣) ما ذكره هؤلاء الطلاب ربما يفتح الباب لمؤرخين وباحثين في المستقبل فيدرسون التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في صبيا منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر. وأقول إن تاريخ التطور والتنمية التي تمر بها محافظة صبيا منذ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلى الآن جدير بالدراسة في عدد من البحوث الأكاديمية الموثقة . (ابن جريس) .

والغسـيل، وتنظيف المنازل وصـباغتها أو تزويقهـا إلى جانب أعمال الخياطة، والخرازة، وتوجيه البنات الصـغيرات وتربيتهن على خدمات المنزل، وحضانة الأطفال ورعايتهم . والرجال أو الشباب يمارسون جلب الحطب، والبناء، ونقل الأغراض من مكان لآخر . وجميع أفراد الأسرة أو الأسر أو القرية يتعاونون في حراثة مزارعهم وحصـاد محاصيلها، وحفر الآبار، وإغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، ونصرة المظلوم [١] .

٧. الغالب على منطقة صبيا إنها أرض سهلة وزراعية، وكنت آمل من الباحثين أن يفصلوا الحديث عن أنواع الأراضي ومسميات المزارع وخدمتها، وعلاقة القوى السياسـية في منطقة صـبيا بأصحاب الأراضـي من حيث مساعدتهم وحماية أراضـيهم وجباية الزكاة أو الضـرائب، والأيدي العاملـة، وأجورهم، وانتقال الأراضي بين الأفراد والأسـر، وعادات الناس وتقاليدهم بخصوص مزارعهم وأراضيهم العامة والسكنية في القرية أو القبيلة الواحدة . وأدوار شيوخ القبائل وأعيانها في حل المشاكل الخاصة بالمزارعين وأراضيهم [٢] .

٨. الحياة الاجتماعية في صـبيا مجال واسع، والباحثون فقط عرجوا على شذرات قليلة من تاريخ الناس الاجتماعي، وكنت أتمنى أن أجد دراسة تفصيلية توضح طبقات المجتمع، وأصولهم، وعلاقاتهم ببعضهم في شتى المجالات، والأسرة وهي عمـاد المجتمع من حيث تكوينها، وتعاونها، وترابطها، والأدوار التي تقوم بها في مجتمع الفخذ أو القرية أو العشـيرة، وأيضـاً التقدير والاحـترام والرحمة بين أفراد كل أسـرة . وهناك بعض الدراسات المطبوعة والمنشورة في هذا الجانب، أيضـاً الوثائق والرواة المعاصرون يعدون من المصادر الرئيسية في تدوين تاريخ دقيق وواضح للأسرة في صبيا بشكل خاص وعموم منطقة تهامة بشكل عام .

والعمارة، واللباس والزينة، والطعام والشـراب موضـوعات حضارية مهمة تستحق البحث والتوثيق، ومن يدرسـها دراسـة علمية موثقة فإنه سـوف يطلعنا على صـور من تاريخ وحضـارة سـكان صـبيا وما جاورها. أما العادات، وقد ذكر هؤلاء الطلاب شيئاً

---

(١) تلاشـت الكثير من هذه الحـرف، وحل محلها عادات وحرف جديدة مثل: العمـل في الوظائف الحكومية والأهلية، والانخراط في أعمال صـناعية واقتصـادية حديثة . ومقارنة حياة الناس قديماً وحديثاً موضوع جديد يستحق البحث والتوثيق. (ابن جريس).

(٢) منطقة صـبيا وعموم جازان أراضـي زراعية جيدة وتسـتحق أن تدرس تاريخياً وحضارياً مع توضيح دور الزراعة في حياة الناس العامة والخاصة . (ابن جريس) .

منها، لكنها لا تعكس لنا تفصيلات دقيقة عن كل عرف أو تقليد أو عادة على مستوى الفرد، أو الجماعة، أو القرية، أو العشيرة، أو القبيلة . وعلاقة الرجال بالنساء، والصغار بالكبار، وأفراد الأسرة الواحدة مع أفراد الأسر أو القرية .

وإذا حاولنا معرفة الحياة الثقافية والعلمية واللغوية في البلاد فمازالت هذه المحاور غائبة، وهي موضوعات مهمة في حياة الناس، ولها تأثيرات سلبية وإيجابية وتستحق البحث والتوثيق . وأيضاً المفردات والاصطلاحات اللغوية، واللهجات التي يستخدمها السكان، والفنون والأغاني، والأهازيج والأمثال، والأشعار، والحكم ميادين مهمة لم تنل حقها من البحث والدراسة [(١)] .

والطب والتطبيب من الموضوعات الجديدة والمهمة في بلاد صبيا أو منطقة جازان، وإذا عدنا إلى القرون الماضية الهجرية، وجدنا الحياة الصحية متواضعة، وهناك عشرات الأمراض التي تصيب الإنسان، والحيوان، والنبات، كما عرف الناس بعض المعارف والتقاليد البدائية التي يمارسها أهل البلاد من أجل مواجهة المشاكل الصحية. والكي من أشهر الطرق لعلاج العديد من الأمراض، كما سخروا بعض الأشجار أو المواد المحلية في معالجة بعض الأوبئة، وأحياناً تنجح محاولاتهم، وأخرى تفشل [(٢)] ، ومنذ النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ الطب الحديث يصل إلى أرض صبيا، ثم تطور حتى صار هناك الكثير من المراكز الطبية الحديثة [(٣)] .

<u>وخلاصة القول</u> : إنني آمل من طلابي الكرام الواردة أسماؤهم في هذا القسم، أو من يطلع عليه من أبنائي وطلابي الآخرين أن يسخروا جهودهم وعقولهم في حفظ موروث بلادهم، وهذا أمر واجب علينا نحن معاشر الدارسين والباحثين، وحفظ التراث هو جزء من حفظ الكيان والهوية، ولا تخلو أي ناحية من نواحي تهامة والسراة إلا ولها

---

(١) إن منطقة جازان بشكل عام، وحاضرة صبيا على وجه الخصوص تحتوي على كم كبير من الثقافة والمعارف العامة على مستوى علية الناس وعامتهم، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عشرات البحوث وآمل من جامعة جازان، ومن أقسامها الأكاديمية أن تلتفت إلى هذه المجالات المعرفية فتدرسها وتوثقها حتى يطلع عليها أجيال الحاضر والمستقبل . (ابن جريس) .

(٢) كان الناس قديماً يموتون من أمراض فتاكة مثل: الملاريا (الحمى)، والجدري، والطاعون، والجرب، والجذام، والفقر، والجوع، والقحط . وقد التقيت ببعض الرجال في مناطق عديدة من السروات وتهامة فحدثوني عن أمراض القرن (١٤هـ/٢٠م) التي كانت تفتك أحياناً بجميع أفراد الأسرة أو الأسر في القرية أو القرى، ولم يكن عندهم أي حيلة لمواجهة تلك الآفات والأمراض بسبب العوز والفاقة والجهل الذي كانوا يعيشونه . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ الطب والتطبيب في عموم تهامة خلال القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) من الموضوعات المهمة والجديدة التي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة . (ابن جريس) .

وأهلها تاريخ وعراقة قديمة وحديثة . ونحن أبناء هذه البلاد يجب علينا البحث ثم الحفظ والتوثيق لهذا الإرث الحضاري . وأبناؤنا وحفدتنا قد يلوموننا على تفريطنا في تراثنا وتاريخ وحضارة آبائنا وأجدادنا .

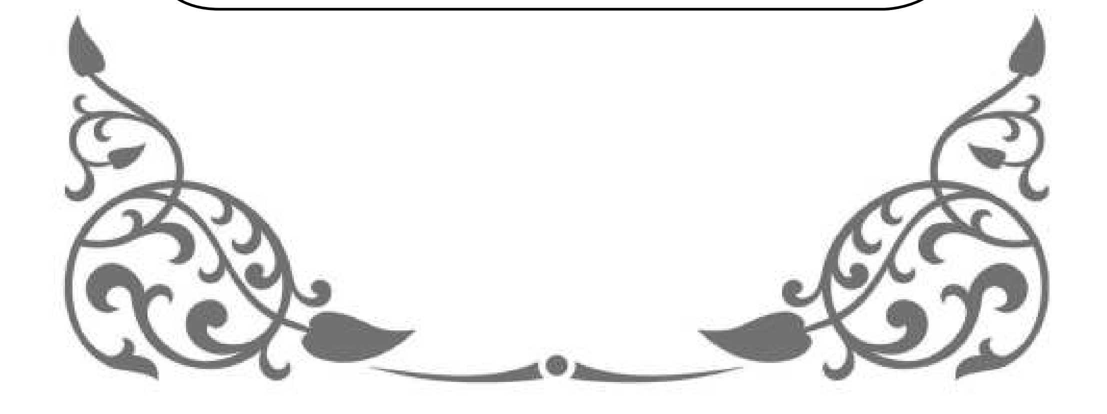
كما أن المؤسسات الحكومية، والتعليمية، والفكرية، والثقافية، تتحمل الجزء الأكبر من هذه المسؤولية فالواجب عليها أن توجه وتدعم وتساعد وتخطط وتعمل على ربط الماضي بالحاضر، وذلك لن يتم إلا بالرجوع إلى تركتنا العلمية والحضارية والتاريخية والأدبية المتمثلة في تراث الأجيال الماضية وما خلفوه لنا من موروث حضاري .

أيضاً أحمِّل الباحثين والمؤرخين وأرباب القلم الغيورين الحياديين المنصفين أن يقدموا لأجيالهم ما يقدرون عليه من حفظ تاريخ وتراث ومآثر الأوائل، وهي وأيم الله كثيرة، ومازال بعضها ماثل للعيان في أماكنهم الاستيطانية، وما وصلنا من أخبارهم ورواياتهم ومناشطهم السياسية، والحربية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والفكرية والثقافية . وأرجو أن تجد هذه التوصيات والنداءات من يستوعبها ويترجم بعضها إلى واقع ملموس ينتقل إلى أجيالنا المستقبلية . (والله من وراء القصد) .



القسم الثالث

وقفة وآراء مع السروات في المصادر والمراجع والبحث العلمي



القسم الثالث

وقفة وآراء مع السروات في المصادر والمراجع والبحث العلمي

أولاً: مدخل:

نحصر عملنا في هذا القسم على أرض السروات الممتدة من نجران إلى الطائف[١]، فننشر دراستين، **تتمثل الأولى في الإجابة على السؤال التالي: هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق؟**. ولا ندعي تقديم إجابة وافية في الشرح والتفصيل، ونذكر شيئاً من الإيجابيات في خدمة البحث العلمي الخاص بهذه الأوطان. ونوصي ونقترح بعض الآراء ووجهات النظر التي ترفع من مستوى التوثيق والبحث في تراث وحضارة هذه البلاد.

أما الدراسة الثانية فعنوانها: **مع الهجري ما بين السراة والعالية، تعليقات على التعليقات، ونوادر من النوادر (عن الكاتب والكتاب)**، لباحث جنوبي سعودي عسيري، هو: منصور بن أحمد بن منصور[٢]. والمقصود بـ (الهجري)، هو: أبو علي هارون بن زكريا الهجري، من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين، ومن سكان الجزيرة العربية، ويذكر أنه من بلاد هجر في إقليم البحرين[٣] والهجري من علماء اللغة، والجغرافيا،

---

(١) بلاد السروات واسعة في أبعادها، متنوعة في مكوناتها الطبيعية والبشرية، لها تاريخ وحضارة قديمة ووسيطة وحديثة ومعاصرة. منها خرج المجاهدون الأوائل الذين لعبوا أدواراً بطولية في نشر عقيدة الإسلام في أصقاع المعمورة، كما أسهم بعضهم في بناء الحضارة العربية والإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

(٢) انظر: سيرته الذاتية في صفحات تالية من هذا البحث.

(٣) أصله ونسبه، وبداية حياته مجال جيد للبحث والدراسة، نأمل أن نرى أحد المؤرخين أو الباحثين في الجزيرة العربية فيدرس هذه المحاور دراسة علمية موثقة.

والأدب والأنساب، له مؤلفات عديدة ضاع أكثرها، وبعضها مازال متفرقاً في بعض كتب التراث الإسلامي [١] . ومن أهم كتبه، كتاب : **التعليقات والنوادر**، كان متناثراً في عدد من المصادر والمخطوطات، وقام الأستاذ حمد الجاسر بجمعها، وتنسيقها، وترتيبها، ونشرها في أربعة مجلدات. وفي هذا الكتاب معلومات قيمة جداً عن تاريخ وحضارة سكان شبه الجزيرة العربية، ومعظم مادة الكتاب جديدة، فلا نجدها في مصادر أخرى، كما أن صاحبها جمعها عن طريق الرحلة والمشاهدة، ومصادره في ذلك شعراء وعلماء قابلهم وسمع منهم داخل الجزيرة العربية . والأستاذ منصور بن أحمد العسيري، عكف على دراسة هذا الكتاب، وأخرج لنا بعض العلوم والمعارف الجيدة والخاصة ببلاد السروات الممتدة من صعدة ونجران جنوباً إلى حواضر الحجاز الكبرى شمالاً [٢] .

---

(١) للمزيد عن ابي علي الهجري، انظر غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ١٤١-١٤٢، ج١٣، ص ٢٥ .

(٢) نشكر الأستاذ منصور العسيري، مع أننا تصرفنا في بحثه وحذفنا بعض الفقرات والأشعار، وذلك من أجل نشره مع أكبر قدر ممكن من الدراسات الأخرى المنشورة في هذا السفر من سلسلة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء السادس عشر) .

ثانياً: هل نالت السروات حقه من البحث والتوثيق؟ بقلم أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

١ـ ما هو المقصود بالسروات:

عندما نقرأ أو نبحث عن السروات، فإننا ندور في فلك جبال الحجاز، وهذان المصطلحان (السروات، وجبال الحجاز) مترادفان، إلا أن جبال الحجاز أوسع وأطول في نطاقها الجغرافي. والباحث عن حدود الحجاز، سيجد مصادر مبكرة عديدة، ومراجع ثانوية متأخرة فصلت الحديث عن جغرافية وأبعاد هذه الجبال [(١)]. وهناك من قال: إن جبال الحجاز التي تمتد من بادية الشام إلى أرض اليمن، هي

نفسها جبال السروات. وإذا بحثنا عن طبيعة هذه الجبال، أو السروات وجدناها تتصف بالعلو والارتفاع في طبيعتها الجغرافية، لكنها تتفاوت في ارتفاعاتها، فالسروات، أو الجبال الممتدة من حواضر اليمن الكبرى إلى مدينتي الطائف ومكة المكرمة هي الأكثر ارتفاعاً في جبالٍ الحجاز، وهناك جبال عديدة تمتد من مكة المكرمة إلى بلاد الشام، لكنها أقل ارتفاعاً من سابقتها، وهي جزء من أرض الحجاز المذكورة في مصادر التاريخ والتراث الإسلامي. وهذه الأجزاء الأخيرة من جبال الحجاز تختلف في تركيبتها الجغرافية من حيث تضاريسها، ومناخها، وثرواتها الحيوانية والنباتية. أما جبال السروات من الطائف إلى صنعاء فهي متشابهة في أحوالها الجغرافية وتركيبتها السكانية، وأنماط حياة أهلها الحضارية[(٢)].

---

(١) معظم كتب الجغرافيا أشارت إلى جبال الحجاز مثل: ابن خرداذبه، واليعقوبي، وابن حوقل، والاصطخري، والمقدسي، والهمداني، والبكري، وياقوت الحموي، وابن المجاور، وأبو الفداء، والقزويني، والحميري وغيرهم. كما ذكرت بعض كتب التاريخ، والأدب، والمعاجم اللغوية شيئاً من جغرافية وتاريخ أرض الحجاز وجبالها. وهناك عشرات البحوث الجغرافية، والتاريخية، واللغوية والأدبية والتراثية الحديثة ذكرت شيئاً من طبيعة وجغرافية وتركيبة جبال الحجاز. للمزيد انظر: صالح أحمد العلي "تحديد الحجاز عند المتقدمين". مجلة العرب، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٩-١، عبدالله الوهيبي، "الحجاز كما حددها الجغرافيون العرب". مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض. (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م). ص ٥٣-٧٠.

(٢) هذا ما وجدته مدوناً في عدد من الكتب والبحوث العلمية المتقدمة والمتأخرة. كما أنني تجولت في معظم هذه الأوطان الممتدة من تبوك ووادي القرى والمدينة المنورة شمالاً إلى نجران وصعدة وصنعاء جنوباً

ولن أفصل الحديث عن تاريخ وحضارة جبال الحجاز (السروات) بمفهومها الواسع، لأن هذا الموضوع ذكره الكثير من المتقدمين والمتأخرين[١]، لكنني سوف أحصر نقاشي على الجزء الأكبر من سروات جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة البلاد الممتدة من حاضرة الطائف شمالاً إلى مدن ظهران الجنوب، ونجران وصعدة جنوباً . وأسباب تحديدي أرض السروات في هذه الرقعة الجغرافية الآنف ذكرها تعود إلى أمور عديدة، هي :

١. إن حواضر اليمن والحجاز الرئيسية (صنعاء، وتعز، وعدن، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة) دُرست ودون تاريخها وحضارتها بشكل كبير عند المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والأدباء وأرباب القلم والفكر . أما الأوطان الواقعة بينها، وأقصد السروات وتهامة (من نجران وجازان إلى مكة المكرمة والطائف)، فلم تنل حظها من التدوين والتوثيق إلا النزر اليسير . وبقيت على مر التاريخ تعيش في عزلة ثقافية وفكرية، مع أنها بلاد استراتيجية في موقعها الجغرافي، وكثافتها السكانية [٢] .

٢. ورد اسم هذه البلاد (السروات) أو (السراة) بشكل واضح وصريح في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة . كما أطلق على اسم سكانها (السرو) أو (السرويون). وهذا دليل قاطع على صحة تسميتها بهذا الاسم (السروات). ونجد بعض الجغرافيين وعلى رأسهم ابن الحايك (الهمداني) يفصل الحديث عن السروات الممتدة من صنعاء إلى الطائف، وينسب كل سراة إلى القبيلة التي تستوطنها . وهناك مؤرخون وجغرافيون ولغويون جاءوا بعده، من القرن الثالث إلى العاشر الهجري (ق٩ - ١٦م)، يؤكدون على ما دونه ووثقه في كتابه (صفه جزيرة العرب) وغيره . والذاهب اليوم في أرجاء السروات من نجران إلى الطائف يجد معظم القبائل السروية التي ذكرا الهمداني في القرنين (٣ - ٤هـ/ ٩

خلال الأربعين عاماً الماضية، ووجدت ما أشرت إليه أعلاه واضحاً وملموساً في تركيبة الأرض جغرافياً وبشرياً .

(١) هذه البلاد الممتدة من بلاد الشام إلى اليمن، والمعروفة بالحجاز أو (جبال الحجاز) مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان، ولها تاريخ وحضارة عريقة وقديمة، وتستحق أن تدرس في مئات البحوث العلمية، مع أنه صدر عنها العديد من الدراسات التي تصور حضارتها وتاريخها قبل الإسلام وبعده، لكنها مازالت بحاجة إلى تضافر الجهود في دراسة موروثها وتاريخها الحضاري عبر أطوار التاريخ .

(٢) من يتجول في أرجاء هذه البلاد يتضح له وفرة خيراتها الاقتصادية، وكثرة مستوطناتها البشرية . كما يشاهد الكثير من معالمها وآثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية التي تؤكد على عمقها التاريخي والحضاري . المصدر : مشاهدات الباحث وجولاته في أنحاء هذه البلاد خلال الأربعين عاماً الماضية .

- ١٠م) مازالت تقطن في أماكنها، وتسمى بأسمائها القديمة حتى الآن [(١)] .

٣. إن المشاهد للجبال المتفاوتة والمترابطة من الطائف حتى صعدة وصنعاء، يتأكد له صحة التسمية (السروات) ، فهي عالية الارتفاع، متصلة بعضها ببعض، متشابه في حزونها وتضاريسها ومناخها، وأيضاً في تشكيلتها البشرية والحضارية[(٢)] .

٢.هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق ؟

لا ننكر أن هذه البلاد ورد ذكرها عند بعض المؤرخين والمؤلفين المتقدمين والمتأخرين، وقد صدرت بعض الكتب والبحوث عن هذه البلاد خلال الثلاثين سنة الماضية، وتحدثت عن صور من تاريخها السياسي والإداري، والاجتماعي، والاقتصادي، والمعرفي والفكري والثقافي [(٣)] .

وهناك أفراد وأقسام علمية أخرى أصدرت بعض البحوث والدراسات العلمية عن بلاد السروات قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر . وبعض هذه الإنجازات العلمية في ميادين معرفية عديدة : تاريخية، وحضارية، وجغرافية، وأدبية، ولغوية، وتربوية وتعليمية، وثقافية وفكرية، بل هناك بعض البحوث العلمية البحتة في تخصصات طبية، وكيميائية، وعلوم الحيوان والنبات، والإدارة، والحاسب الآلي، وغيرها [(٤)] .

---

(١) من السروات التي ذكرها الهمداني وغيره سراة جنب (قحطان) ، وسراة عنز (شهران وعسير) ، وسراة الحجر (بللحمر، وبللسمر، وبني شهر وبني عمرو)، وسراة غامد وزهران، وسراة بجيلة (بلحارث) ، وسروات الطائف. للمزيد انظر غيثان بن جريس . " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " . مجلة الدارة . العدد (٣) . السنة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان /١٤١٤هـ) ، ص ٧٦- ١١١. وللمؤلف نفسه انظر: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ق١٠هـ/ق٧ق١٦م) . (الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) . الجزء الأول) ، ص ١٢٧- ١٦٤ .

(٢) هناك بعض اللغويين والجغرافيين والمؤرخين الذين عرَّفوا معنى السراة، أو السروات، وكان جل حديثهم عن جبال الحجاز (السروات) الممتدة من الطائف حتى قعر اليمن . ولم يقصروا حديثهم على طبيعة هذه الجبال الجغرافية، وإنما بعضهم دون صوراً من تاريخها الأدبي واللغوي، والاقتصادي والاجتماعي، وسمى أهلها بـ (السرو) نسبة إلى أرضهم السراة، أو (السروات) .

(٣) انظر بعض مؤلفاتي المنشورة في هذا الجانب، وهي : دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) حوالي (١٠٥٠صفحة) (جزءان) ، نجران : دراسة تاريخية وحضارية (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م) . (الطبعة الثانية) (الجزء الأول) (٥٦٢ صفحة) . انظر أيضاً، سلسلة : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: ١٤٢٦-١٤٤٠هـ / ٢٠٠٥ - ٢٠١٩م) (خمسة عشر مجلدا) (حوالي ثمان آلاف صفحة) ، وكتب ودراسات أخرى عديدة عن الطائف، والباحة، وعسير، ونجران، وغيرها . للمزيد انظر موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس الإليكتروني .(Prof-ghithan.com)

(٤) من يطلع على فهارس المكتبات الورقية والرقمية، ويبحث في أراشيف الجامعات والكليات والأقسام الأكاديمية فإنه سوف يتأكد صحة ما تم الإشارة إليه أعلاه . وسوف يعثر على العديد من الدراسات المتفاوت في الحجم والجودة عن أرض السروات وأهلها .

وللإجابة على عنوان هذه المحور الذي نحن بصدده (هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق ؟) ، نقول (لا) ، وربما يقول قائل إنني متناقض في أقوالي، ففي السطور السابقة نؤكد على وجود بحوث وأعمال علمية عن هذه الأوطان، ثم نختم الحديث بالنفي. وأقول إن هناك بحوث ودراسات عن السروات، بعضها في هيئة رسائل علمية محبوسة في المكتبات أو الأقسام العلمية الجامعية، أو مدونات وتقارير ووثائق مازالت محجوزة في مؤسسات وأراشيف حكومية وأهلية . أما الكتب والدراسات المطبوعة والمنشورة فمازالت قليلة، وأحياناً ناقصة، أو يشوبها بعض الغموض، أو القصور، أو الأخطاء وتحتاج إلى من يعيد النظر فيها ويدرسها بشكل أفضل وأعمق .

وإذا بحثنا عن نصيب السروات في كل مجال من مجالات العلم والمعرفة، فالأمر سيختلف من ميدان لآخر . ففي علم التاريخ والآثار مثلاً نلحظ أن سكان وأرض السروات مازالت مجهولة في عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبركة والوسيطة (ق١- ١٢هـ/ق٧-١٨م) ، وإذا كنت أنا وغيري بحثنا ونشرنا معلومات تحت عناوين قليلة ومحدودة، فالتاريخ والحضارة في هذه البلاد مازالت غامضة، ولا نعرف صورة شاملة وواضحة لأرضها وسكانها . والباحث في كتب التراث الإسلامي : الشرعية، واللغوية والأدبية، والتاريخية العامة والخاصة، والطبقات والتراجم، والجغرافية وعلم الرحلات، والموسوعات الإسلامية في العصور الإسلامية الوسيطة، وكتب الأنساب وغيرها فإنه لا يجد معلومات وافية عن حياة المجتمعات التاريخية والحضارية في السروات، وقد يجد نتفاً أو شذرات قليلة لا تعطي القارئ أو الباحث تصوراً واضحاً عن تاريخ وتراث هذه البلاد . منذ العصر القديم إلى بدايات العصر الحديث .

وأحوال هذه البلاد البحثية منذ القرن (١٢هـ/١٨م) حتى وقتنا الحاضر ربما تكون أفضل حالاً من العصور التي سبقتها، وذلك لسهولة توفر المعلومات في الوثائق والمخطوطات وغيرها من المصادر المادية والمعنوية . ومع وفرة المعلومات وسهولة الوصول إليها، فالسروات مازالت مجهولة وغير مخدومة في هذا الجانب . والسروات عاشت تغيرات حديثة وسريعة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وكثير من هذه التحولات أثرت على الأرض والناس حضارياً وتنموياً، ونتج عن هذه التبدلات الكثير من الآثار الإيجابية والسلبية، وكل هذا التاريخ الحضاري لم يدرس ويحلل ويوثق[1] .

---

(١) أدون هذه السطور وفي بلاد السروات من نجران حتى الطائف خمس جامعات حكومية (الملك خالد، ونجران، وبيشة، والباحة، والطائف) ، ولا نجد في هذه الجامعات أي مركز بحث علمي جيد يهتم بدراسة

أما علم الآثار، وهو من مصادر التاريخ الرئيسية، فلا وجود له على أرض الواقع، والذاهب في أرجاء السروات سيجد كنوز معرفية من الآثار المدفونة، مثل: المدن والقرى والمحطات التجارية التي ورد ذكرها في بعض المصادر التقليدية، وأصبحت اليوم أطلالا ومعظمها مدفون تحت الأرض. أما الآثار الظاهرة على سطح الأرض فهي الأخرى كثيرة، مثل: النقوش، والخطوط، والرسومات الصخرية .وهناك آثار مازالت شاهدة للعيان كالآبار، والمقابر، والقرى والطرق القديمة، والأسواق الأسبوعية، والمدرجات الزراعية، والسدود، والأحمية، والحصون والقلاع، والكثير من الأدوات التراثية القديمة وغيرها. كل هذه المجالات الآثارية تختزل جزء كبير من تاريخ وحضارة السروات، لكنها للأسف لم تخدم ولم تجد من ينقب عنها ويدرسها ويحللها ويوثقها. والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة، من هو المسؤول عن هذا القصور؟. إذا قلنا أنهم المؤرخون والآثاريون فالحكم فيه إجحاف، نعم إنهم والأقسام الأكاديمية يتحملون جزءا من المسؤولية، ولكن النصيب الأكبر تتحمله المؤسسات الإدارية والأكاديمية ممثلة في وزارة التعليم العالي، وبخاصة الجامعات، والهيئة العليا للسياحة، ووزارة الثقافة، وإمارات المناطق، وأصحاب رؤوس الأموال، فهم جميعاً يجتمعون في هذا التقصير الذي قاد إلى ضياع الكثير من آثارنا وتراثنا التاريخي والحضاري [1].

وليست الآثار والتاريخ العلوم الوحيدة التي تعكس حياة وحضارة المجتمعات، وإنما هناك علوم أخرى مساندة ومهمة في دراسة حضارة الشعوب. ومن تلك العلوم الجغرافيا، وعلم الاجتماع، وعلوم اللغة والأدب، وميادين التربية والفكر والتعليم. وكل علم من هذه العلوم له دور وأهمية في دراسة ناحية أو ميدان من ميادين المجتمع. وبلاد السراة من البيئات الغنية التي تستحق البحث والدراسة في هذه الفروع المعرفية. ونلاحظ في الجامعات الحكومية المحلية في السروات العديد من أقسام التربية والتعليم، واللغة العربية وآدابها، وعلوم الطبيعة والجغرافيا. وقد زرت بعض هذه الأقسام في جامعات الملك خالد، والطائف، والباحة، ونجران، ووجدت بعض البحوث والرسائل

وتوثيق تاريخ هذه البلاد (على الأقل) في العصر الحديث والمعاصر (١٣٨٠-١٤٤٠هـ/١٩٦٠-٢٠١٩م). نعم يوجد في هذه الجامعات أقسام تاريخ وعلوم إنسانية عديدة، وبعض مراكز البحوث لكنها لا تؤدي رسالتها كما يجب، ولا تولى أرض وسكان السروات اهتماما كبيرا. المصدر: معاصرة الباحث ومشاهداته في بلاد السروات من عام (١٣٩٠-١٤٤٠هـ/١٩٧٠-٢٠١٩م).

(١) للأسف مازلنا بحاجة إلى وعي ثقافي يؤكد على أهمية موروثنا الحضاري المتمثل في آثارنا وتاريخنا وحضارتنا المادية والمعنوية. وجامعاتنا ومؤسساتنا التربوية والتعليمية والإعلامية مقصرة جدا في خدمة هذا الميدان الحضاري المهم. والمؤسف أيضاً أنه لا يوجد في أي جامعة من جامعات السروات الممتدة من الطائف إلى نجران أي كلية أو قسم للآثار، وهذا فعلا قصورا وعيبا كبيرا في سياسة هذه الجامعات الحكومية.

العلمية الخجولة والقليلة التي صدرت عن هذه الأقسام في موضوعات تتعلق بأرض وأهل السروات . كما ناقشت وتحدثت مع بعض أعضاء هيئة التدريس في هذه الأقسام، وسألتهم لماذا لا يضاعفون الجهود في بحوثهم وتوجيه طلابهم في برامج الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) إلى دراسة وبحث الجوانب التربوية والتعليمية، والجغرافية، واللغة والأدب؟ فقالوا هذا رأي واقتراح صائب، لكنهم مازالوا متأخرين في هذا الميدان . وأقول أنتم يا أساتذة الجامعات ويا أعضاء هيئة التدريس في الأقسام الأكاديمية عليكم مسؤولية عظيمة لخدمة الأرض والسكان التي نشأت فيها جامعاتكم، وكلياتكم وأقسامكم العلمية، ومن أهم أهداف وواجبات أي جامعة أو مؤسسة أكاديمية ان تعمل بجد وإخلاص لخدمة الأرض التي يقطنون عليها، والناس الذين يعيشون معهم . وبين ظهرانيهم .

ونجد الكثير من التحولات الجغرافية التي جرت على أرض وطبيعة السروات خلال الخمسين عاماً الأخيرة، ولا نجد بحوثاً علمية تدرس أسباب هذه التغيرات وطرق علاجها، او التقليل من أخطارها وآثارها على البيئة وما يوجد فيها من موارد طبيعية . كما أن ميدان التربية والتعليم الذي عرفته السروات منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث لم تجر عليه بحوث علمية رصينة وموثقة . ومن يتأمل في التطور التربوي والتعليمي والثقافي الذي يعيشه سكان السروات منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر فإنه سيجد كماً هائلاً من العلوم والمعارف في هذه الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة . وعند البحث في المكتبات والأقسام العلمية عن الدراسات الأكاديمية في هذا الجانب فلا نجد شيئاً ذا قيمة علمية جيدة، وإن ذهبنا إلى إدارات الجامعات المحلية وكلياتها وأقسامها الأكاديمية، أو إلى إدارات التعليم في عموم السروات، أو إلى بعض الأساتذة والباحثين والمؤرخين فلا نجد عندهم، للأسف، اهتماماً علمياً وبحثياً يهدف إلى جمع ودراسة وتوثيق تاريخ وتطور الحياة العلمية والتعليمية والتربوية والثقافية في بلادهم . بل إن أراشيف هذه المؤسسات التربوية والتعليمية تكاد تكون خالية من مصادر ووثائق التاريخ التعليمي الحديث في هذه السروات، وإن وجدت بعض الوثائق والتقارير فهي محفوظة بطريقة مزرية، ويبدو أن مصيرها التلف والضياع [1] .

---

(١) عدم الاهتمام بحفظ الوثائق وصيانة الأراشيف في المؤسسات الحكومية والأهلية مشكلة كبيرة تعاني منها كل إدارة . والكارثة الكبرى عدم وجود الوعي عند الفرد والجماعات والمؤسسات الإدارية العامة والخاصة، وأهمية ما يصدر من اوراق ووثائق وتقارير وسجلات وغيرها . وقد زرت العديد من الإدارات الحكومية في مناطق الطائف، والباحة، والقنفذة، وعسير، وجازان، ونجران خلال الأربعين عاماً الماضية، وشاهدت عندهم أراشيف جيدة تحتوي على وثائق ومصادر تاريخية وحضارية متنوعة، لكنها للأسف محفوظة في أمكنة رديئة، ولا يقوم عليها من يصونها ويرتبها ويحافظ عليها. وترددت مؤخراً على بعض تلك المؤسسات التي زرتها في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فلم أجد شيئاً من تلك الأراشيف القديمة، وعندما

وميدان التعليم والتربية والثقافة في السروات كبير وواسع وبخاصة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهناك رواد تربية وتعليم كثيرون في هذه الأوطان منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي حتى العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولا نجد أي بحوث أو دراسات تخدم هذا الجانب، مع أن الكثير من مصادر هذا الباب مازالت ميسورة والحصول عليها يسير، وإذا لم تُجمع وتوثق، وإلا مصيرها الضياع كما جرى لغيرها من مصادر ووثائق تاريخية قديمة.

واللغة العربية وآدابها في السروات من الميادين المعرفية الكبيرة، فأهل هذه السروات قبائل عربية لغتها العربية الفصيحة، ولهم صلات نسبية وحضارية وتاريخية مع غيرهم من قبائل الحجاز التي نزل القرآن بلسانهم، وينتسب إلى هذه البلاد (السروات) بعص العلماء المشاهير في ميدان اللغة. وكتب الطبقات والأعلام والتراجم مليئة بأسماء أفراد كان لهم شأن في البلاغة واللغة والبيان وبخاصة خلال القرون الإسلامية الأولى [1].

وتعريفات اللغة واللهجات في السروات باب كبير وغني لمن يدرسه، وفي هذه البلاد بعض أقسام اللغة وآدابها، وقد صدرت بعض الدراسات أو الرسائل العلمية الفردية والمحدودة في اللهجات السروية، ومعظم تلك الرسائل والبحوث ناقصة، ويشوبها الكثر من الأخطاء او القصور. وما نتطلع إليه أن تجتهد أقسام اللغة في الجامعات المحلية إلى وضع خطط قوية ورصينة تدرس لهجات جنوب البلاد السعودية دراسات علمية موثقة، ولا يكتفى بدراسة بعض العناوين المبتورة في محتواها، وزمنها، ومكانها. وأقول إن أوطان السروات وتهامة من البلاد البكر في ميدان البحث اللغوي واللهجات.

أما الحياة الأدبية وما يتعلق بها، فالسروات تأتي من البلاد الزاخرة بأشعارها، وحكم أهلها، وأقوالهم، وقصصهم، ورواياتهم، وألغازهم، وأحاجيهم، وأمثالهم منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. ونجد بعض مصادر التراث الإسلامي

سألت بعض الموظفين عن مصيرها، قالوا: تم إحراقها وإتلافها. وهذا الجهل وعدم الوعي بأهمية هذا الموروث الحضاري أوقعنا في الكثير من الأخطاء التي ضيعت الكثير من تاريخنا وحضارتنا القديمة والحديثة.

(١) الناظر في كتب الأدب واللغة والتراث يجد أسماء شعراء كثيرين في عصر الجاهلية والإسلام ينتسبون إلى السروات، كما يجد بعض الرجال الذين وفدوا على الرسول ﷺ وكان لهم أقوال وفصاحة وبيان. بل هناك من خرج من السروات إلى حواضر العالم الإسلامي، وترقوا في سلم القيادة، والإدارة، والأدب والعلم والمعرفة، وجاء من أصلابهم من برزوا وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية. وإذا رصدنا أعلام السروات في العلم والأدبٍ واللغة والثقافة عبر أطوار التاريخ الإسلامي فإننا سوف نحصر المئات منهم. وللأسف إننا لا نجد بحوثاً علمية موثقة ترصد هذا الجانب الثقافي والمعرفي الجيد.

المبكـرة تذكـر نماذج من السـرويين الذين بـرزوا في هذا الجانب المعـرفي . لكن ما لم يدرس ولم نعرفه هو النصـيب الأكبر، ويحتـاج من الباحثين الجادين مـن يفتش عنه ثم يجمع ويدرس . والمعول على أقسـام اللغة في جامعات السروات المحلية، وعلى طلاب الدراسـات العليا السـرويين والتهاميين في هذه الجامعات وغيرها من جامعات المملكة العربية السعودية .

وعلم الاجتماع من العلوم المهمة لدراسـة مشاكل المجتمعات . وللأسف فالجامعات الحكوميـة السـت (الملـك خالد، ونجـران، وجازان، والباحـة، والطائف، وبيشـة) لا يوجد فيها كلية أو قسـم للاجتماع . والباحث في حياة السـرويين وما يعتريها من قضايا ومشكلات اجتماعية فإنه سيجد الكثير من هذه المشكلات على مستوى الفرد، والأسرة، والقريـة، والمدينـة، والعشـيرة، والقبيلة، والحاضـرة، والمؤسسـات الإدارية الرسـمية والأهلية . ومن يزور المستشـفيات، والمدارس، والدور الاجتماعية، والمحاكم، والسجون، ودوائر الشـرطة، والجامعات وغيرها فإنه سـيطلع على أشـياء كثيرة تـدور حول حياة الناس الاجتماعية بشـتى جوانبها . وكل هذه الأمور تحتاج إلى مراكز بحوث، وأقسـام، وكليـات اجتماعية تصـدر بحوثاً علمية تسـاعد في التقليل من المشـكلات الاجتماعية، وتضـع حلولاً وتوصـيات للمشاكل السـائدة بين الناس . إن هذا القصـور من مؤسسات التعليم وبخاصـة الجامعات يجب تداركه وفتح كليات وأقسـام للفرد والأسرة والمجتمع تعكـف على الدراسـة والتدريس والبحث الاجتماعي الذي يعـود بالفائدة والنفع لجميع طبقات وشرائح المجتمع[1] .

ونصـيب السـروات البحثي في العلوم البحتـة قليل جداً، وأحيانـاً معدوم في بعض التخصصـات . والإنسـان والبيئـة في أرض السـراة ميـدان رحب لإجـراء العديد من الدراسـات العلمية الجيدة، ففي مجال علـوم الحياة، والكيمياء، والفيزياء نجد دعائم البحث موجودة، والسـروات مليئة بالحيوانات، والطيور، والزواحف، والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشـكالها، وجميعها تسـتحق الدراسـة والبحث العلمـي . وقد زرت بعض أقسام علوم الحياة في جامعات السروات المحلية، فوجدت بعض الأساتذة يجرون بحوثاً على بعض الكائنات الفطرية والحيوانية، والنباتات، وبعض مصـادر المياه، لكن نسـبة

(١) أدون هذه المعلومات بناءً على دراية وتجوال في عموم بلاد تهامة والسراة منذ أربعين عاماً . فقد سمعت وشاهدت وعاصرت الكثير من القضايا الاجتماعية وبخاصة في بعض المؤسسات الحكومية مثل : المحاكم، ودوائر الشرطة، والدور الاجتماعية والمستشفيات، ولا أرى للمؤسسات الثقافية والتعليمية دوراً واضحاً، أو مساهمات فاعلة في دراسة وإيجاد حلول لهذه العقبات .

هذه البحوث قليلة، ويجب على مراكز البحوث في هذه الجامعات المحلية أن توفر الدعم الكافي، وتشجع من يعكف على دراسات علمية ورصينة .

كما يوجد في السروات الكثير من المعادن والأحجار والكثير من مواد الطبيعة مثل الأشجار، والثمار، والمياه التي تستحق أن تكون مجالاً للدارسة في علوم الفيزياء، والكيمياء، والصيدلة، والطب. وهناك أيضاً الكثير من الأوبئة والمؤثرات المناخية والطبيعية التي تصيب الإنسان والحيوان بالأمراض، وهي أيضاً جديرة بالبحث والدراسة . وميادين الإدارة والمال والاقتصاد في عموم السروات مجالات أيضاً غنية بالبحث والتوثيق[١] .

٣. خلاصة القول :

إذا كانت الإجابة على السؤال الذي ورد في بداية هذا المحور سلبية، فذلك لا يعني أنه لا يوجد ذكر للسروات في المصادر المتقدمة، والمراجع والبحوث المتأخرة . وقد أشرنا إلى شتى المجالات وبخاصة في يومنا الحاضر حيث يوجد على أرض هذه البلاد العديد من المؤسسات الأكاديمية العالية، والأساتذة المتخصصين في مجالات كثيرة نظرية وعلمية . ولا نحصر رغباتنا ونداءئنا على العلوم الإنسانية كالتاريخ، والجغرافيا، واللغة والأدب، وعلم الاجتماع، فهي علوم مهمة ويجب خدمتها على أرض الواقع، وإنما هناك علوم أخرى عصرية مثل: الطب، والصيدلة، وعلوم الحياة، والفيزياء، والكيمياء، وعلم الأنواء والنجوم، والزراعة، والاقتصاد والإدارة وغيرها فجميعها تستحق الدراسة والتوثيق والتأصيل . ونأمل أن نرى هذا النداء يترجم إلى واقع عملي في مؤسسات التعليم العام والعالي من منطقة نجران مروراً ببلاد عسير والباحة حتى حاضرة الطائف .

(١) لم نفصل الحديث عن كل علم ومجال في باب التوثيق والبحث العلمي في السروات . ولا ننكر وجود بعض الدراسات المتفاوتة من ميدان لآخر، لكنها قليلة ومحدودة، عن أرض واسعة الأرجاء، متنوعة التضاريس، متعددة الأعراق متباينة في الأعراف والتقاليد واللهجات والموارد الطبيعية والتركيبة السكانية . وهي ذات موقع إستراتيجي تربط بين اليمن والحجاز وسواح البحر الأحمر وأطراف صحارى نجد الغربية، وكانت ميداناً لصراعات سياسية وقبلية منذ العصور القديمة وعبر عصور التاريخ الإسلامي حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تحولت إلى جزء من دولة عصرية، هي المملكة العربية السعودية .

ثالثاً : مع الهجري ما بين السراة والعالية : تعليقات على التعليقات ونوادر من النوادر (عن الكاتب والكتاب) . بقلم . أ . منصور بن أحمد العسيري[(١)] .

١. مقدمة :

يعد هارون بن زكريا المعروف بـ"أبو علي الهجري" أحد مصادر الأدب واللغة والأنساب والجغرافيا المرموقة في التراث العربي، ولكنه مع ذلك يكاد يكون مغموراً - كما وصفه الجاسر[(٢)] -، إذ لم يوجد تعريف له، في المصادر العربية، ورغم أنه من رواة الشعر الذين نقلوه إلينا من مواضعه، إلا أنه لم يأخذ حقه من الذكر، فقليل من نقل عنه من مؤلفي المشرق العربي، يقول الجاسر: "أما عالمنا الهجري فإن أمره بقي مجهولاً بين أشهر علماء الشرق إلى هذا العهد إلا ما عرفوه بواسطة الأندلسيين وهو قليل بل أقل من القليل"[(٣)]، فقد كان جل من نقل عنه واهتم بما وفره من علم وخبر هم الأندلسيون، فحفظوا لنا شيئا قليلاً من علم كثير، بالإضافة إلى أن وجوده في الجزيرة العربية في مرحلة تراجع حضورها العلمي والحضاري، وقلة اتصاله بالعواصم الإسلامية في العراق والشام جعله أقل ذكراً في مؤلفاتهم كما يقول الجاسر، وقد عاش الهجري خلال

---

(١) الأستاذ منصور من مواليد تبوك عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، بدأ مراحل تعليمه الأولى في مدينة الخرج، حصل على درجة البكالوريوس عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) في علم الزراعة بجامعة الملك سعود في الرياض، والماجستير من جامعة أريزونا (ASU) في الولايات المتحدة الأمريكية، عمل في عدد من مناطق المملكة العربية السعودية، وهو عضو في عدد من اللجان الاجتماعية، والاقتصادية، وحصل على عدد من الدورات في مجال عمله، وشارك في عدد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات المحلية والإقليمية، لديه اهتمام جيد بتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية، وزار عدداً من المكتبات في بلدان عربية عديدة، وصدر له حتى الآن كتابان، هما : (١) عسير والتاريخ وانحراف المسار. (القاهرة : دار الطناني للنشر، ٢٠١٢م) . (٧٤٩صفحة) .(٢) قبيلة عنز بن وائل (جذور وحضور) (القاهرة : دار الطناني للنشر، (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م) . (٣٥٨صفحة) .

(٢) ج١، ص ٩ .

(٣) ج١، ص ١٢ .

القرن الهجري الثالث إلى بداية القرن الرابع، لذا فقد جاء بعد مرحلة الرواة الأول الذين أسسوا للرواية العربية في التاريخ والأنساب أمثال أبي عمرو بن العلاء والمفضل وحماد وخلف والكلبي وابن اسحاق وغيرهم، ما جعله خارج تصنيف رواة الطبقات الأولى ومن جاء بعدهم . ورغم غزارة وأهمية ما نقله الهجري، إلا أن تأخره عن فترة بداية تدوين كتب الأنساب والتاريخ في القرن الثاني للهجرة وترسيخ أثرها على المفاهيم حول الأنساب والأخبار القديمة، جعل معلوماته التي حصل عليها بشكل مباشر من مصادرها الأساسية عن الأنساب والأخبار القديمة أقل تلقائية من حيث دلالاتها على المفاهيم السائدة في جزيرة العرب منذ العصر الجاهلي مقارنةً بدلالاتها الهامة على الشعر والأدب واللغة والجغرافيا، وهذا لا يقلل من كونه واحداً من أفضل المصادر العربية وأكثرها تلقائية وارتباطا بجزيرة العرب مباشرة.

ومن أهم مؤلفات الهجري كتابه الذي بين أيدينا هنا **(التعليقات والنوادر)**، وهو مخطوطة موجودة في دار الكتب المصرية اطلع عليها حمد الجاسر وكتب عنها عام (١٣٨٨هـ) كتاب: "**أبو علي الهجري أبحاثه في تحديد المواقع**"، ثم قام بنشر دراسة عن الكتاب ومواده في أربع مجلدات محتويا على كل ما تمكن منه من مواد الكتاب عام (١٤١٣هـ)، واسمه (التعليقات والنوادر) . ويبدو أن الكتاب الأساسي لا زال يحوي مواد مما لم يلم به التحقيق (رغم الجهد الكبير)، فرغم أن الجاسر نقل عن المخطوطة الهندية التي هي أغزر مادة - ما يعني وصوله إليها - إلا أنها فيما يبدو لم تكن مكملة للأخرى بل كانت متداخلة معها، وغير منتظمة، كما يذكر[1]، لذا نجده يقول في مقدمة الكتاب: "ما كنت وأنا أقدم للقارئ هذا الكتاب معتقداً أنه تضمن دراسة وافية عن كتاب الهجري، بل لا أزال أتمنى أن يوجد من يقوم بدراسة ما وصل إلينا منه، كما وضعه مؤلفه، وتيسير الاستفادة منه بتحقيقه ونشره، فما سبق نشره منه - وهو ما تحويه القطعة المصرية - بحاجة إلى أن يعاد النظر فيه، ليحقق تحقيقا صحيحاً، ويضاف إليه ما تحويه المخطوطة الهندية من الكتاب فهي أغزر مادة" .. انتهى، لذا فقد عمل الجاسر على تتبع المصادر التي نقلت عن الهجري مثل السرقسطي، وابن سيده، والبكري، والوقشي، والرشاطي، والصقلي، والسمهودي، وغيرهم (١٦ مؤلفاً)، وإضافة ما نقلوه عن الهجري في موضعه من الكتاب هنا.

وتكمن أهمية كتاب الهجري من النواحي الأدبية، والتاريخية، والجغرافية، واللغوية في أنه الكتاب الوحيد الذي نقل كما كبيرا من شعر شعراء الجزيرة العربية ورجزهم،

---

(١) الجزء الأول، ص ٢٢٩ .

وتحدث عن مواطنهم، وأنســابهم، ولغتهم، وحدد المواقع داخل الجزيرة العربية بالنقل المباشــر عن المصــادر المحلية داخل الجزيرة العربية من خلال كونه أحد أبنائها، فنقلٍ الكثيــر من الشــعر والرجــز والخبر مما لم يــرد عند ســواه، وهو بذلك يمثل مصــدراً مختلفــاً عن تلك التــي نقلت إلينا من بغداد، أو البصــرة، أو الكوفة، أو دمشــق، أو من الأندلــس، أو غيرهــا، فهنا نجد بين أيدينا مصــدراً بكراً، بمعنى أنه مصــدر لم يتقلب بــين الأيــدي، ولم يتنقل بين المــدن، ولم يتكلف النقل عن أبناء الباديــة القادمين للكوفة والبصــرة بصــفتهم يمثلون الجميع، ولم يخضــع لمؤثرات أخرى كالتي كانت هنالك في العواصــم ومدن الاســتقطاب وتنوع الخلفيات العرقية والثقافية، فقد كان الهجري أحد ســكان الجزيرة العربية وينقل أخباره ومواده من أفواه الســكان ذاتهم، ما يجعلنا أكثر اطمئنانا - إلى حد ما - لما احتواه الكتاب من قصائد وأسماء شعراء، لقربه من المصدر، ولعل ذلك سيعطينا فكرة أكثر وضوحا حول الوضع الأدبي والثقافي واللغوي في الجزيرة العربية وكذلك الحالة السياســية والاجتماعيــة والأحداث خلال القرن الثالث للهجرة - حيث عاش الهجري - وما قبله . ورغم ما قلنا من أهمية نصوص الكتاب من حيث كونها نصوصاً أبكاراً تتصف بالتلقائية إلى حد كبير، إلا أن الهجري بذاته لم ينج من أن يكون هدفا لمحاولات إقحام نصــوص لها أهداف أخرى باســمه في تلك المرحلة من قبل بعض من انتصبوا لمثل ذلك، والجيد هنا هو أن من تناول هذا الكتاب وقام بدراسته هو الشيخ حمد الجاســر مع ما يملكه من علم ودرجة عالية مــن الإحاطة بتاريخ الجزيرة العربية ومصــادره، حيث كان لاســتيعابه لما ورد عن الهجري في المصادر الأخرى أثره في تمكنه من حشــد ما وجده من المقولات المنسوبة للكاتب أو للكتاب داخل هذه الدراسة، ومن ثم عرضها وفحصها على مرأى من القارئ، كما سيأتي معنا.

٢- منطقة الدراسة :

في هذا الموجز سنســلط الضوء من خلال إشــارات الهجري وما ينقله من نصوص على الهضــبة الواقعة ما بين تربة ونجران وجرش، وهي التي سماها الهجري "العالية" والتــي حددهــا بقوله: "العاليــة: عذار تربــة إلى نجران وجرش، وما أخــذ أخذه[1] ، بنجدها (سهولها الشرقية) وحجازها (سراتها)، وهذه المنطقة فضلاً عن أن الهجري قد حددها بإطار ومســمى واحد كما أســلفنا، فهي على الرغم من أنها لا تختلف كثيرا عن بقية أجزاء الجزيرة العربية من حيث كونها امتدادا متفاعلا مع غيرها من مناطق الجزيرة العربية، إلا أن لها روابطها التاريخية والجغرافية والسكانية والثقافية الخاصة،

(١) انظر، ص ٨١٥ .

ولا زالت لها روابطها الخاصة من حيث التوزيع القبلي الذي تشكل فوقها كسلسلة من القبائل المتتالية من الجنوب إلى الشمال، تمتد كل منها من قمم السراة الغربية المطلة على تهامة باتجاه الشرق على ضفاف الأودية المقابلة كنجران وحبونا وتثليث وبيشة ورنية وتربة المتجهة شرقاً، ناهيك عن قواسمها اللغوية، ووحدة تاريخها السياسي إلى حد كبير . فالهضبة الممتدة من السراة إلى مصبات نجران وتثليث وبيشة وتربة شرقاً المعروفة بالعالية (نجد العالية) هي منطقة ترتبط بامتداد سكاني واحد، يختلف قبلياً من الشمال للجنوب، ولكنه يختلف في نمط حياته أكثر من الشرق للغرب.

ومن المهم أن ندرك أن هذه المنطقة تخالف على استيطانها قبائل شتى، وتجاورت فوق أرضها الكثير من القبائل العربية، وجرت فوقها الكثير من الأحداث. كما ورد في بعض كتب الأخبار، ولها ذكر كبير في الشعر الجاهلي، ففوق جبال الحجاز الغربية من هذه المنطقة كانت قصة الشنفرى، وتأبط شرا، وغيرهم كما هو معلوم، وفي وسطها الشرقي عاش فارس العرب عمرو بن معدي كرب، وفي شرقيها عاش امرؤ القيس الكندي حيث "دارة جلجل" التي كانت في عهد الهجري من دور بني الحارث بن كعب[١].. ما بين حبونا ونجران، وفوق ثراها عاش طرفة بن العبد منتجعاً مع قبيلته ما بين أعالي وادي جاش وتثليث ونجران وما إليها[٢]، وفي جنوبيها كانت مواطن قس بن ساعدة، والمرقش[٣]، وفوق أرضها جرت الكثير من أحداث قبائل ربيعة من عبد القيس وبكر وتغلب كما تدل أشعارهم وأخبارهم، وقد ورد في السيرة قدوم عبدالقيس على النبي ﷺ من نجران[٤]، وورد أن النبي سألهم عن قس بن ساعدة[٥]، مما يدل على استفاضة استقرارهم بها، كما أن بني شيبان بن ذهل البكريين كانوا بنجران[٦]، و

---

(١) ص ١٤٦١ .

(٢) يقول طرفة في بكائه على الأطلال وتذكره أيام صباه:

أتعرف رسم الدار قفرا منازله	كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله
بتثليث أو نجران أو حيث نلتقي	من النجد في قيعان جاش مسائله
ديار لسلمى إذ تصيدك بالمنى	وإذ حبل سلمى منك دان تواصله
وإذ هي مثل الرئم صيد غزالها	لها نظر ساج إليك تواغله
غنينا وما نخشى التفرق حقبة	كلانا غرير، ناعم العيش باجله

مما يدل على ان منازله وقومه كانت في ما بين تثليث ونجران وجاش. انظر: ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدمه محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ، ص٦٤

(٣) ديوان المرقشين الأكبر والأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر - بيروت، ١٩٩٨ص٨٣

(٤) كنعان، محمد أحمد، السيرة النبوية والمعجزات ـ خلاصة تاريخ ابن كثير، ص٦٩٨

(٥) أبو الفداء، الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج١/ ص

(٦) انظر: الحموي، ياقوت، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، ص١٨٥، ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢١

قبيلة ضبيعة البكرية كانت تقطن حوالي عروى. الموالية لوحاف القهر. مجاورة لذهل في تلك المواقع[١] ، كما كانت موطنا لقبائل قضاعة من نهد وجهينة وجرم[٢] ، وتميم أيضاً كانت من ديارها تثليث[٣] ، ونجران[٤] ، وكانت تثليث أيضاً من ديار بني عقيل[٥] ، ونجد في أشعار العامريين، مثل تميم بن أبي مقبل، ولبيد، ومزاحم، وحميد بن ثور، وغيره ما يدل على أنهم عاشوا فوق أرضها، ودخلت قبائلهم في نزاعات مع المجاورين بها[٦] ، كما تشير المصادر التاريخية إلى استيطان قبائل من حمير في جرش[٧] ، واستيطان قبائل من مراد ببلاد جنب وما إليها امتدادا إلى حبونا[٨] ، بينما كانت زبيد في جهات تثليث[٩] ، وكانت طريب والخنقة من بلاد طيىء[١٠] ،كما نجد أن سليم كانت أحداثها تدل على تواجدها فيما بين بيشة وتثليث قبيل الاسلام[١١] ، وقد دخلت بعض هذه القبائل من عامر وزبيد والحارث وخثعم وسليم وما إليها في الحروب التي حدثت في المنطقة كيوم تثليث[١٢] ، ويوم فيف الريح[١٣] ، وغيرها، ثم جاءت بعد ذلك مرحلة هجرات بعض

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالمنعم الطحاوي، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣١ ص١٩٣

(٣) يقول سلامة بن جندل التميمي:
سأهدي وإن كنا بتثليث مدحة — إليك وإن حلت بيوتك لعلعا
قال البكري: "فدل قوله أن تثليث من ديار بني تميم"، انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٤

(٤) القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤٠٨

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٤

(٦) للمزيد انظر لأخبار هؤلاء الشعراء وشعرهم بهذا البحث.

(٧) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل من أنساب اليمن وأخبار حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد – صنعاء، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ج٢/ص١٣٨– ١٤٠

(٨) يقول الأرياني: " أما (الحدأ) ـ من مراد ـ فقبيلة يمنية معروفة كانت منازلها في الماضي في سراة جنب وسنحان الواقعة الآن في المملكة العربية السعودية. أما الآن فإن الحدأ تنزل وسط اليمن...، انظر الأرياني، مطهر، نقوش مسندية، ص١٣٣

(٩) الهمداني، الصفة، ص٢٢٨

(١٠) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٧٤ .

(١١) للمزيد انظر: السلمي، العباس بن مرداس، ديوان العباس بن مرداس، ص ١٦– ١٧، ٥٨–٥٩، ٦١–٦٢، ٧٩
الزبيدي، عمرو بن معدي كرب، شعر عمرو بن معدي كرب، جمعه ونقحه مطاع الطرابيشي، من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٢٠، ١٢٤–١٢٧، ١٥١، ١٩٤
الآمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلق عليه د. ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٥٦ .

(١٢) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٥، ١٦ .

(١٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٢

القبائل إلى الشمال، وكل ذلك كان في العصر الجاهلي، إلى ما قبيل البعثة النبوية. وفي المرحلة الإسلامية كانت هنالك هجرات رافقت الفتوحات الإسلامية إلى العراق والشام ومصر، والمغرب العربي والأندلس، تلتها مرحلة هجرات معظم قبائل عامر بن صعصعة من عالية نجد إلى جهات اليمامة وما إليها، واستفراد خثعم، ونهد، والحارث ابن كعب، والعتيك، وبعض بني هلال وعقيل والعجلان من كعب بن ربيعة بن عامر، ومعاوية، وسلول، وعنز، والأزد، وبجيلة بهذه الجهات (ما بين تربة ونجران وجرش والسراة) وهي المرحلة المشمولة بروايات الهجري.

إن من بين أهم الأهداف التي نحصل عليها من دراسة ما ورد عن هذه المنطقة في كتاب الهجري هو: معرفة مدى ودرجة حدوث التغير الديموغرافي في هذه المنطقة والتي تعد أحد - إن لم تكن أخصب - بلاد الجزيرة العربية وأطيبها هواء واعتدالا في المناخ وأغزرها مطرا، وأوديتها هي الأغنى بالمراعي، ما يجعلنا نتوقع حدوث الكثير من الاحداثٍ والحروب للسيطرة على هذه المنطقة خاصة الجزء السهلي المأهول بأبناء البادية دائماً، مما يعني تغير السكان والقبائل بشكل أسرع مما هو في سواها. ومن ذلك، فإن من الملاحظات الأولية فيما أورد الهجري أننا عرفنا - من خلال دراستنا لكتابه - أن هنالك قبائل بين تلك التي عرفت في عهد الهجري في هذه المنطقة انزوت بعد ذلك (أو لعلها بعضها دخلت في قبائل أخرى، أو حملت مسميات جديدة، أو انتقلت لمواقع أخرى) مثل بجيلة، ولهب، ويشكر، وشكر، والحارث بن كعب، ونهد، وعقيل، وهلال، وقشير، وجرم، والعتيك، بينما عرفت لاحقا أسماء قبائل لم تذكر عند الهجري ولا الهمداني في مواقعها الحالية. ونجد في هذه الدراسة من خلال ما أورده الهجريٍ من أسماء وأوصاف ومواضع وأنساب وأبيات شعرية - نقلها عن رواة عصره - أن كثيراً منها كان من أسماء وروايات القرون الهجرية الثلاث الأولى، ورغم حضور الشعر الجاهلي القديم في رواياته إلا أنه كان أقل، ومن ثم فدراستنا ستكون دلالتها على القرون الهجرية الثلاث الأولى حسب نسب حضورها في الكتاب. وبالإضافة لما سبق فإن إلقاء الضوء على هذه المرحلة وما ورد فيها من أسماء ومواضع تاريخية، ومن شعر، بالإضافة إلى أنه يثري المعرفة عن تاريخ المنطقة وحالتها الأدبية وأحداثها وشعرائها وأحوالها في هذه المرحلة، فإن له أهمية في فك رموز أخبار أخرى ربما كانت غامضة، ومن ذلك إمكانية مقارنة أسماء المواضع التاريخية الواردة لديه بالمواضع الواردة فيما هو أقدم وما هو لاحق من الشعر والأخبار والروايات التاريخية، ومن ثم معرفة المزيد عن ارتباط القبائل العربية بالمواقع، واتجاه هجراتها، وعن تاريخ هذه المنطقة، ومن استوطنها في العصور الغابرة،

وربما قادتنا لاحقاً إلى فهم أكثر لبدايات الأخبار وأصلها الذي رويت على أساسه.

وسنقتطف في هذه الدراسة من كتاب الهجري ما له علاقة بهذه المنطقة المحددة، ومن ثم التعليق عليه، وسنبدأ بالرواة، ثم الشعراء، ثم المواضع، ثم نتناول الدلالات، أما الأنساب فنظرا لقلة القبائل التي تناولتها الدراسة في حدود المنطقة ووضوحها، فسنعتمد إدراج ما يحمل دلالة جديدة من خلال التعليق على ما ورد من أسماء للرواة والشعراء، وما ورد من شعر ومن أخبار ومواضع.

٣.رواة الهجري من أهل السراة والعالية :

في القطعتين من كتاب الهجري اللتين نقل عنهما الجاسر أورد الرواة تحت عنوان "شيوخه من أبناء البادية" ، وعددهم نحو مائة وثلاثة وتسعين راويا من نحو خمسين قبيلة، ويبدو أن ذلك ليس كل ما أورد، يقول الجاسر: "لا يتمكن الباحث من عدد الرواة في كتاب الهجري كاملا ، إذ لم يصل إلينا ، والقطعتان منه لا تمكنان من حاول التثبت عن أحوال الرواة من ذلك، لأن القطعة المصرية يتخللها نقص والقطعة الهندية لا يستطاع قراءة القسم الأخير منها، وهو قدر كبير، وليستا كل الكتاب" ..... إلى أن قال: "والهجري لم يرو فيما وصل إلينا من كتابه عن كل قبائل الجزيرة، بل عن عدد قليل منها، وقد اتضح لي مما قرأته منه أنه بينما روى عن أكثر من عشرين راويا من قبيلة، اقتصر على أقل من ذلك من قبائل أخرى، وهذا يرجع إلى صلة تلك القبائل بالمدينة وقربهم منها، كبني سليم التي يجاورونها في المنازل، وهذيل التي ينزلون بينها وبين مكة، وبني عقيل الذين يبدو أنهم لكثرتهم يكثرون التردد عليها، هذه القبائل الثلاث هي أكثر من اتضح في كتاب الهجري كثرة الرواة منها، بحيث زاد عددهم من كل قبيلة عن خمسة عشر راويا، أما عداها من القبائل الأخرى فدون ذلك[١] . " انتهى.

من خلال ما قاله الجاسر فإن ما بين أيدينا من رواة قد لا يكون كل ما هنالك، ولكنه المتاح، وقد ورد فيمن روى الهجري عنهم، رواة من منطقة الدراسة منهم:

(١) أبو بريه العذمي الأسْدي:قال: (وأنشدني أبو بريه العذمي لقريش بن عبدالرحمن العذمي وكل من الأسد ، وذكر ستة أبيات، منها :

أيا نخلة الجزع التي نبتها لها منظر ترضى به العين سانع

وفي موضع آخر قال: (وأنشدني ابن بريه قال : أنشدني شيخ من مرة نهد من

(١) انظر، ص ٥٩ .

ساكني تثليث لبعض نهد، وأنشدنيها أبو عمرو الزهيري وهذه الرواية أتم من روايته:

خليلي هل يشفي من الحب موقف قليل = وهل يقضي اللبانة واقف

ومن النص أعلاه فإن الراوي أبو بريه العذمي أزدي من أهل الحجاز، وهو يروي عن بعض شعراء السهول الشرقية (نجد) من نهد [1]، ويلاحظ أن الهجري ينزع إلى استعمال الأصول في الأسماء وإضفاء الألقاب على القبائل، فقد استعمل اسم (الحضنة) مع (بني سعد) بدلا من قوله (سعد البكريين)، واستعمل اسم (الأسد) بدلا من (الأزد) لقبيلة الأزد، وهذا فضلا عن دلالته على تبحره في علم اللغة والحديث والأنساب، فإنه يدل على سمو ذائقته وكريم خلقه وحرصه على إظهار من يتحدث عنهم في أحسن صورة.

(٢)الجبهي: قال: وحدثني الجبهي من جبيهة الحجر بطن من الأسد من ... وفي خلال كلامه ومعي رفيقي فقال: ما يريد الرجلان ؟ قلت: النشيد وشعر خثعم ونهد فقال: ... فقلت: نعم. قال: فاجلسا فما معنا قصَّار) وذكر أنه أنشده. وورد ذكره في موضع آخر ونصه: "وتمثل السروي من جبيهة الحجر من بني الهنو بن الأسد: ... الخ" وقال الجاسر: "قد يكون الجبهي هو السروي الذي قال عنه: وأنشدني السروي أحد بني غواية شنوي لبعض غامد في قتل عبدالله بن أبي النعيم اللهبي أحد بني رهم والنسبة إليهم غواوي ولا نظير له ... :

نزعنا قلب لهب من حشاها وألقينا الجحافل والبطونا

قلت: الجبهي من الحجر ويروي عن الحجريين، بينما السروي من غواية شنوي ويروي عن غامد ولهب، فالأرجح أن السروي الشنوي شخص من شنوءة الأزد، حيث غامد ولهب، والجبهي شخص آخر من بلاد الحجر بن الهنؤ بن الأزد، حيث شهر ويرفأ، فحجر وشنوءة قبيلتان من الأزد مواطنهما في السراة، ولكنها ليست متجاورة. ونلاحظ أن الهجري سأل الجبهي الأزدي الحجازي عن شعر نهد وخثعم، باعتباره من أهل الاختصاص، بينما كان أبو بريه العذمي. وهو أيضاً أزدي من أهل الحجاز. يروي عن بعض شعراء السهول الشرقية (نجد) من نهد، وفي الجانب الآخر نجد أنه كان هنالك راوٍ زهيري نهدي يروي ويحدث عن أهل الحجاز (الطود) وتهامة وعن

(١) ص٥٩ وللمزيد انظر النص في "المواضع" تحت (حضنة) في هذا البحث

بلادهم[١]، ولعل ذلك يدلنا على تقارب القبائل في منطقة الدراسة من بعضها وكثرة التقائها، وانتقال أخبارها عبر المسافات، حتى فيما بين البادية السهلية والحاضرة الحجازية، كما أن رواية كل منهم عن الآخر تدل على الاختصاص، فقد كان النهدي يحدث الهجري ـ المدني ـ عن الطود (السراة) وسواحل تهامة وجبالها كشخص صاحب اختصاص، وبالمثل كان العذمي يحدثه عن شعراء نهد . ومن المهم التنبه إلى أن سؤال الهجري للحجري عن شعراء "نهد" و"خثعم" بالذات دليل على تميز هاتين القبيلتين في هذا المضمار.

(٣)الجهني: وقال: "وأنشدني الجهني من جهينة الحجر، بطن من الأسد من أهل السراة فصحاء ... في قسم "النسب" قال الجاسر في تعليقه على الجهني هذا: "لم أر فيما بين يدي من ذكر جهينة الحجر الذين من الأسد سوى الهجري، وهو عالم بأنساب أهل عصره، وقد سمعت لهؤلاء ذكرا، ولكني لست على يقين حتى الآن من وجودهم في بلادهم ولم أر فيما كتبه أحد المعنيين بأنساب قبيلة رجال الحجر ذكراً لهم، وليس من المستبعد أن تكون (جهينة) هنا تصحيف (جبيهة)" انتهى. قلت: لعله الجبهي الوارد ذكره (من بني شهر).

(٤)الخيار بن محمد بن المشيع العذمي: يقول الجاسر: "قال الإشبيلي في مختصر كتاب الرشاطي: الجبهي: في الأزد، قال الهجري: أنشدني الخيار بن محمد بن المشيع العذمي من شهر الحجر لجعفر بن عبدالله الجبهي من جبيهة الأوس من الحجر بن الهنؤ بن الأزد من أهل السراة وهم فصحاء. وذكر له شعرا . انتهى. وقد تكون كنيته (أبو بريه) المتقدم ذكره، ولعدم التثبت من هذا ذكرت كل واحد في موضعه". والعذمي نسبة إلى بني العذمة أو ما يعرف الآن بـ "بالعُذمة"، وهي فرع من قبيلة بللسمر[٢]، وقد رأيت الهمداني أيضا يعد بللسمر من بني شهر، وبللسمر قبيلة مستقلة، وليست معدودة من بني شهر ـ حسب المستفيض والواقع، ويجمع القبيلتين الانتماء إلى الحجر بن الهنؤ بن الأزد.

(٥)التبالي: التبالي نسبة إلى تبالة وهي حاضرة وواد بنفس الاسم يصب من بلاد بني القرن وخثعم إلى بلاد بني سلول وإلى وادي بيشة بالقرب من بيشة ـ المدينة، قال: (قال الزهيري والتبالي والخثعمي: الرصن الواحد والجميع الأرصان، ..... وأورد شاهدا من شعر تميم بن أبي مقبل العجلاني سيأتي في مواضع.

---

(١) ص ١٣٩٤ .

(٢) العمري، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والاسلام، ج١/ ص٢٠٧ .

(٦)الرديني الحارثي: ورد ذكر هذا الراوي في موضعين أحدهما: "أنشدني الرديني الحارثي أحد بني الحماس رهط النجاشي شاعر صفين لأبي البقرات النخعي في حربهم وحرب أود بن سعد العشيرة" ثم أورد شعرا. والموضع الثاني: قال: "وأنشدني أبو الرديني لنيار بن عبدالعزيز وكلاهما من بني الحارث بن كعب مذحجي" وأورد قصيدة وأخرى لشاعر من بني الحماس من بني الحارث بن كعب أيضاً.

(٧)الخللي: قال عنه: (وقال الخللي من ذي خليل حمير من أهل جُرش: الغلوق والمكاور: بطنان كبيران من مراد). من خلال هذا الراوي الحميري الجرشي فعلى الأغلب أنه كان أحد العواسج الحميريين المقيمين في شق جرش إلى جوار قبائل عنز بن وائل. وحديث الحميري (الجرشي) عن مراد قد يحمل على حداثة عهده بجوارهم، فمراد كانت تقطن مجاورة لجرش. حيث كان العواسج الحميريون، مما يدل على قرب هجرتهم من بلاد جرش من عهد الخللي، أو لعله عاصر بقية ذكرهم في المنطقة، وبخصوص أحد فروع مراد الذي ذكر وهو: "الغُلُوق" فهو قد يجمع محلياً للنسبة على تسمية "الغلقة"، وهنالك قرية يقال لها "الغلقة" في سراة عبيدة، ومن المعلوم أن بلاد جنب كانت من مواطن مراد[١]، التي عرفت بجهات جرش[٢]، فهل "الغلقة" من بقايا أسمائهم؟.

(٨)الأوسي الخثعمي: قال: وأنشدني الأوسي للجلحي وكل من خثعم:

يا نفس حنّي فقد أمسيت مفردة — عن من بليت بذكراه وعديت

وقال: أنشدني الخثعمي أحد بني أوس، وهم إلى شهران:

وجاءت بنو أود ولم نأل غيره — لنا ذرعاء مستهان سفيرها
وفاءت رجال المُصعبين وخيمت — رجال وهابت صيدها وصقورها

المصعبين من شهران من خثعم، ورمال أخو المصعبين. كذا (رمال).

(٩)الشهراني: وشهران فرع من خثعم كما هو معروف، وقد تكررت رواية الهجري

---

(١) يقول الإرياني: " أما (الحدأ) - من مراد - فقبيلة يمنية معروفة كانت منازلها في الماضي في سراة جنب وسنحان الواقعة الآن في المملكة العربية السعودية. أما الآن فإن الحدأ تنزل وسط اليمن...، انظر الأرياني، مطهر، نقوش مسندية، ص١٣٣.

(٢) الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٥/ص٤٣٩

عن الشهراني كقوله: وأنشدني الشهراني والعقيلي لكعب بن مشهور الخثعمي أحد بني المخبل. وقال: وأنشدني الشهراني وغيره لصاحب جنوب القلب، فبعض يقول: هو نهدي، وبعض يقول: هو خثعمي، وربما أنشد: تقول أميم القلب لابن الدمينة ... يقول الجاسر: "ولعل الشهراني هذا هو أبو هشام الذي قال عنه: وأنشدني أبو هشام الشهراني لابن الدمينة:

**فما وعدتنا غير رجاء قابل		فكان انتظار الحول مثلا من المثل**

وقد يقول : وأنشدني جماعة من خثعم، ثم يورد قصيدة لكعب بن مشهور المخبلي من جليحة خثعم. ورغم كثرة شعراء خثعم وتميزهم في كتاب الهجري إلا أن من الملاحظ قلة الرواة من قبيلة خثعم فلم يكن عددهم يوازي عدد الشعراء، فخثعم واحدة من القبائل التي أجزل الهجري في الرواية عن شعرائها رغم بعدها عن موقعه.

(١٠)السلولي: وقد روى الهجري عن عدد من السلوليين ولكن بدون توضيح أسمائهم أو أنسابهم كأن يقول: "وقال التربي: هو المزح أيضا بجر الميم، وهو فصيح من سلول من أهل النقيع ..." واستمر يروي عنه كلمات أخرى، أو يقول: (وأنشدني السلولي ..) ثم أورد له ثلاثة أبيات مشروحة ولم يوضح من هو هذا السلولي.

(١١)أبو عمرو السلولي: قال: (قال أبو عمرو السلولي وكان فصيحا: وردته مع العصير الراهق) ونقل عنه كلمات لغوية أخرى.

(١٢) أبو نجدة السلولي: قال: "قال أبو نجدة السلولي العيكان: جبل دون الهجيرة بينها وبينه بيشة". كذا في الأصل ولعل الصواب: وبين بيشة. ويؤيد هذا فتح آخر بيشة واستمر في وصفه وذكر مواضع بقربه.

(١٣) أبو الوهب السلولي: قال: "وأنشدني أبو الوهب السلولي لسفيان الزغبي: وهي ستة أبيات، ذكر منها :

**سقى الله دراً بالحصيُّ التي بها		منازل قد أضحت خلاء رسومها**

(١٤)سليمان بن زيد بن عمرو (نهدي): من رواة نهد، يقول الجاسر: "هذه القبيلة قحطانية النسب من قضاعة من أبناء زيد بن ليث بن أسلم ابن إلحاف بن قضاعة، وقد تفرقت في البلاد قبل الإسلام، ولا تزال بقاياها منتشرة في شرق اليمن في حضرموت ونواحيها، ومنها بطون دخلت في مذحج بقيت في بلادها القديمة المعروفة الآن ببلاد قحطان بمنطقة عسير . ومواطن هذه القبيلة تقع شرقي منطقة عسير إلى جنوب

شـرقها، على ضـفاف أعـالي وادي تثليث وروافده مـن الاودية، وقد فصـل في منازلها الهمداني، وقد روى الهجري عن رواة منها، ومنهم صـاحبنا، ومما قال عنه: "وسـألت سـليمان بن زيد بن عمرو العمري من عمرو نهد عن العيكين تذكرهما نهد وخثعم" ثم بين موضـعهما واسـتمر في ذكر ما سأل عنه من مواضـع وردت في الشعر مما يدل على ثقته به، وعلى معرفته بمواضع الجزيرة.

(١٥)أبـو عمـرو الزهـيري النهدي: قال: "أنشـدني أبو عمـرو الزهيري زهير نهد لحبش بن سعيد بن مجاهر الأزرقي أزرق نهد يقولها للمستنير العكي" ...: (قصيدة في تسـعة وسبعين بيتا)، وقال: "وأنشـدني أبو عمرو الزهيري لِصاعد الفتياني من بجيلة نزولا في بني الحارث بن كعب" ....، . كما روى عنه لغة ونسـباً.، .... إلى أن قال: "ولم أر صـلة زهير بنهد، ولكن الهمداني في "صـفة جزيرة العرب" وهو يتحدث عن بلاد بني نهد عد بني زهير من قبائل نهد التي تسكن تلك البلاد".

(١٦)مولـد مـن أهل الهجيرة: قال: "وأنشـدني مولد من أهـل الهجيرة من نهد ثم لبني حرام لمزاحم العقيلي: (.. القصـيدة). وقال المحقق: الهجيرة كانت بلدة عامرة وسـكانها من قبيلة نهد، ذكرها الهمداني في "صفة جزيرة العرب" وغيره أما الآن فقد درس اسـمها. وعن تحديـد موقعها انظر كتـاب "الجوهرتـين" (٤٢٠ ط دار اليمامة، و"العرب" س١٨/ ص٩٢).

(١٧)الحسن بن عارم الرويبي الهلالي: وقد روى راويتنا هنا قصـائد لابن الدمينة الخثعمي قال الهجري: "وأنشدني الحسن بن عارم الرويبي، هلالي وأبو محمد البيشي والشـهراني وغيرهم لابن الدمينة". ثم سـاق نسبه. ...... القصـيدة وقال: (وأنشدني الحسـن بن عامـر الرويبي. روبية هلال. بـن عامر لابن الدمينـة وكان من البداة: ألم تسأل الربع الذي غيَّر المَحَلِ ... القصيدة.

قـال الجاسـر في مقدمة نقله لرواة بني هلال الذيـن أوردهم الهجري: "بنو هلال هؤلاء من هوازن، من أشهر بطون عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ....، وكانـت بلادهم في عالية نجد، ومن مياههم (مران) المنهل المعروف على طريق الحاج البصـري، وتمتد بلادهم نحو الجنوب الغربي إلى قرب الطائف، بحيث تشـمل عكاظ وجلـدان وما حولهمـا، ويخالطون أبنـاء عمومتهم من الهوازنيين، وتمتد جنوبا بشـرق لتبلغ تربة ووادي كرا وبيشـة حيث يشتركون مع بني سلول في سكناها، ويخالطون خثعم

في تلك البلاد[(١)] . وذكر البكري أن من بلادهم (البريك) [(٢)] . ولعل المراد (البرك) حيث تستقر الأن قبيلة تدعى بني هلال، تنتسب إلى أولئك، فقد يكون الهلاليون بعد مخالطتهم خثعم نزلوا إلى تهامة، مع من نزل من خثعم"[(٣)] . انتهى.

(١٨)**الجرشي:** جرش من أقدم المدن في بلاد العرب، ولها ذكر في العهد الجاهلي، وفي صدر الإسلام، حين قدم وفدها على الرسول صلى الله عليه وسلم ... إلخ، وممن روى الهجري عنه منسوبا إليها الجرشي. قال المحقق: "نقل الهجري عن هذا الجرشي ما يفهم منه أنه لغوي، فقال: (وقال الغنوي: نفحس العنب معناه: ندلكه حتى يتميز من معاليقه. قاله الجرشي" . ومن خلال تسميته له بـ "الغنوي" ، ثم بـ"الجرشي" فإن الأصح لدينا أنه "العنزي" وليس "الغنوي" فهذا التصحيف شائع في المدونات العربية بين "العنزي" و"الغنوي" لتقارب الأسماء، وحيث لا وجود لقبيلة غنى في جرش فالأصح أنه "عنزي" ومما يحمل الدلالة على ذلك، أنه روى شعرا لبعض بني عنز بن وائل في نواحي جرش، فقال: "أنشدني شيخ من جرش لثابت بن عبدالملك العريجي بطن من بني مالك من عنز بن وائل: ... القصيدة" .

(١٩)**السروي:** تكرر النقل في كتاب الهجري عن السروي فقد قال: "وقال السروي: وهو الجازي، وقد جزى رقبته ونفسه في سبيل الله، يجزيها مثل بتلها، والبتل: القطع، ومنه يمين بتلة لا مثنوية فيها، ولا مثنوية للجازي، ..... " . وقال أيضا: "وقال السروي أضر بنا الملاح - الميم مفتوحة - وفارقوا عذب الماء فلم يجدوا بعد ماء السراة إلا ملحا" . وقال في موضع آخر: وأنشدني السروي أحد بني غواية شنوي لبعض غامد في قتل عبدالله بن أبي النعيم اللهبي أحد بني رهم والنسبة إليه: غواوي، ولا نظير له) ... (القصيدة)، فقد يكون المقصود بالسروي هذا المذكور أخيرا وهو من سراة بلاد غامد حيث يسكن بنو لهب وغامد وزهران في سراتهم المعروفة الآن، أما بنو لهب فيظهر أنهم دخلوا في مسمى غامد.

٤. النصوص الأدبية

لقد نقل الجاسر عن الهجري ما أمكنه نقله من الكتاب، وأضاف ما نقله المؤلفون الآخرون الذين رووا عنه، وقال تحت العنوان أعلاه: "في الكتاب مجموعة من القصائد

(١) انظر: صفة جزيرة العرب للهمداني، ومعجم ما استعجم للبكري، ورسالة عرام عن جبال تهامة .
(٢) معجم ما استعجم، ص٢٤٤ .
(٣) العرب، س٢٤/ ص٥٣١ .

والأبيات لشعراء عاشوا في الحقبة الواقعة بين القرن الأول الهجري إلى أول القرن الرابع الهجري، مما لا نجد لشعرهم مصدرا فيما بين أيدينا، سوى كتاب الهجري، وهذا الجانب من الضخامة والكثرة بحيث يحتاج إلى إفراده بالدراسة، فالهجري أورد من الشعر قصائد مطولة ومقطوعات كثيرة، تضيف إلى ثروتنا الأدبية الشعرية شيئا كثيرا، وهو من السعة والكثرة بدرجة لا يستوعبها بحث مفرد، وقد جمع ما أمكن جمعه في محله". ويقول في موقع آخر: "مني كتاب الهجري هذا بعدم الرواج وبأن العلماء لم يتلقوه عن مؤلفه بطريقة تكفل رواجه وانتشاره فلم يعرف في المشرق سوى تلك النسخة التي كانت في خزانة كتب الفاطميين، ثم بقيت في مصر إلى عهد متأخر ...." ولعل ما قاله الجاسر يبرز لنا حجم الثروة الأدبية التي يمكن أن نحصل عليها لو تم العثور على بقية الكتاب. كما انفرد الهجري في الكتاب المحقق بإيراد قصائد وأبيات لشعراء جاهليين معروفين لم يسبق أن رويت، حتى أن الجاسر يقول عن نقله لبعض قصائد امرؤ القيس: " وزاد لامرئ القيس بيتا لم أسمعه إلا منه بعد قوله: فيا عجبا من رحلها" ...انتهى، قلت ولعل ذلك يرينا كم هو حجم الثروة الأدبية التي ضاعت لانعدام الرصد المباشر في حينه، فهذا البيت يخرج إلينا من وسط الجزيرة العربية بعد عدة قرون على وفاة امرئ القيس، بما يشبه المصادفة التي جعلت أحد الرواة الحافظين للقصيدة يلتقي بالهجري في المدينة المنورة، أو مكة، فماذا عما نسي من أبيات ولم يصل إليه أحد.

وعن منطقة الدراسة أورد الهجري عددا من الشعراء بعضهم يعدون عطفا على حجم انتاجهم ونوعيته من الشعراء الفحول، خاصة في قبيلتي خثعم ونهد. ومما ورد لديه، استحضرنا سبعة وأربعين شاعراً من منطقة الدراسة، وأوردنا بعض أشعارهم، مع بعض التعليقات مما اقتضت الحالة التعليق عليها، وقد أوردنا جميع شعراء القبائل المستقرة بكاملها في منطقة الدراسة كخثعم ونهد وعنز والحجر وشنوءة وبجيلة والحارث بن كعب وسلول، أما القبائل التي عرفت في المنطقة ما قبل عصر الهجري، أو تلك التي لها وجود في المنطقة وخارجها في عهد الهجري، مثل هلال، وعامر، وكندة، ومراد، فاستحضرنا فقط من كان لهم علاقة بالمنطقة ممن استوطنوها ـ كما يظهر من شعرهم أو من خبرهم ـ، وممن أورد الهجري من منطقة الدراسة:

<u>(١) **الأفركي البجلي:**</u> قال الهجري قال العوبثي: ... من لـدِيّ أحد لِدِه، مجرورة اللام والدال قال: وأنشدني الأفركي من سراة بجيلة:

عابت الإخلاف مني ... وهي ليست بوفية
أنتِ في الميلاد مثلي ... لانْكِ أكبر من لِدِيَّه .

- أورد الهجري للأفركي بيتين فقط.

(٢)البجلي: وأنشدني البجلي في البعير ووصف صوت أنيابه:

كصوت القفل أو مرس عداه موصد الباب[١].

- البجلي هنا من قبيلة بجيلة السروية كما علق على ذلك الجاسر، وقد أورد له بيت واحد فقط.

(٣)التبالي[٢] : وأنشدني التبالي:

وقائلة لما استقل حمولنا ودمعتها تجري دما ودموع
ألم يأن للركب الذين تحملوا إلى بلد فيه الحبيب رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق أهلها وكم من شتيت كان وهو جميع
وما الدهر والأيام إلا كما ترى لكل اجتماع فرقة وريوع[٣]

(٤)تميم بن أبيٍّ بن مقبل: وروى في بيت ابن الأحول السعدي: فما روضة في مقصر قال في مرصن: والرِّصَنُ والأرصان والمرصن الغلظ يحف موضعا سهلا يسيل منه الماء من الغلظ وهو عال فيستريض فيها، وهي في لغة خثعم ونهد وبلحارث بن كعب مجتمع ملتقى الواديين، يصبان في الغائط، ومنه قول تميم بن أبي مقبل يهجو النجاشي:

أقرت به نجران ثم حبونن فتثليث فالأرصان فالقرطان

كل ما سمي من دار بني الحارث. (وانظر ايضا ص١٣٨٢) وقال الحنفي منسوب إلى حنيف- يعني تميم بن أبي بن مقبل العجلاني-: ومن قبائلهم الحُرُّ وهو الحُرَّيُّ. وقال: القيايض في شعر أبي مقبل جمع قيضة. والقيايض بيائين. وهي وهدة . وقال مرة: خسفة، ماء غزير يقولون رأس محلم. وقال أبو نجدة السلولي: العيكان: جبل دون

---

(١) ص٥٢٩.
(٢) يقول الجاسر في الهامش : والتبالي هذا ممن روى عنه الهجري، ولم أره ذكر اسمه فيما بين يدي من كتابه، وهو منسوب إلى تبالة البلدة التي لا تزال معروفة، وهي في واد بهذا الاسم من روافد بيشة، وقد ذكر البلبيسي في أنسابه: التبالي، فتحدث عن تبالة ونقل ابن خرداذبة انها مدينة كبيرة فيها عيون كثيرة، وحاول الجمع بين استصغار الحجاج لها وبين القول بأنها مدينة كبيرة. وقال عن التبالي: لم يذكر الرشاطي اسمه وأورد هذه الأبيات، ......
(٣) ص٥٤١ .

الهجيرة بينها وبينه بيشة علم من الأعلام إلى الحمرة، والبردان شعاب تحت وادي بيشة، وأصاف ـ غير معجمة الصاد ـ دون الشقرات من بلد خثعم، ثم لقحافة به نخل. قال ابن مقبل : من نبع شيحاط. وهو بلد من غربي ترج، وفيه حصن لبني مخزوم[(١)] .

الشاعر: هو تميم بن أُبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام، وعاش إلى ما بعد عام ٣٧ هجرية[(٢)] ، وتقترن بيئة شعره دائماً بمنطقة ما بين تربة ونجران، ويخرج عنها أحياناً إلى مواقع في اليمن وجهات تهامة والسهول الشرقية والشمالية، ما يدل على أن مواطن انتجاع قبيلته في العصر الجاهلي وما بعيده كانت في حدود منطقة الدراسة وحواليها، ولم يورد له الهجري سوى بيت واحد.

(٥) ثابت بن عبدالملك العريجي وقال: أنشدني شيخ من جرش لثابت بن عبدالملك العريجي ـ بطن من بني مالك من عنز بن وائل ـ:

ألا أيها الريح التي نسمت لنا ... من الأفق الشامي فطاب نسيمُها
فقد نسمت من نحو من بات حبُّه ... يؤرقني من مضجعي فأرومُها
لأغشم هول الأرض بيني وبينها ... بليل وفي عرض السماء نجومُها
فأشفى قلبي من هواه بلمَّة ... فهو هوى نفسي وما إن ألومُها
سبتني بميال القرون كأنهً ... عناقيد حالي[(٣)] تروَّى كرومُها
إلى كفل نابي المجشي وبطنها ... كأعطاف ريط حين تُبدَى عكومُها
إلى قدم مخصورة لاقبيحة ... ولما يشنيها بكوراً تقومُها
أروج الضحا رعبوبة عذبة الشعاً ... نشت في غنىَ جمٍّ ودام نعيمُها
وإني لمستسق لأرض تحلها ... كُتيمةُ وبلاً بعد وبل جميمُها
تكون نواشيه نواغش كلها ... إلى عبل أهضامها فحزومُها
على عين أن أمست كتيمةُ حلَّلت ... (ألا) فسقَى الرحمن أرضا تقيمُها
ألا ليت شعري أن أتاها مخبر ... ألا ثابت جاه لنفس حميمُها
أمسبلة بالدمع منها كظننا ... بها أو تعزى نفسها وتلومُها[(٤)]

(١) ص٥٤٢ .
(٢) التعليقات والنوادر، ج٢/ هوامش ص٥٤٢
(٣) أضاف الهجري بعد هذا البيت قوله: "إلى الحال من السراة"، ص١٣٨٠ .
(٤) ص٥٥٠ .

حسب النص فالشاعر من بني مالك من عنز بن وائل من جرش، ومن خلال القصيدة فإن ثابت كان من قبيلة عسير، ويقطن في بلاد بني مالك الموالية لوادي عبل من الجنوب، نجد ذلك من خلال قوله: "من الأفق الشامي"، ثم قوله: "على عبل أهضامها فحزومها" ما يدل على أنه كان يقطن جنوب عبل، وبنو الأعرج ذكرت في بعض كتب الأنساب فرع من عنز بن وائل[١]، ويلاحظ على القصيدة استخدام الشاعر لبعض المفردات المحلية، مثل حالي: عنب، يشنيها: يعيبها ويجعلها قبيحة، نشت: تربت، نواشيه: أمطاره. وقد أورد صاحب الدراسة نسب قبيلة الشاعر في باب النسب بقوله: "العريجي بطن من عنز بن وائل من ربيعة"[٢]، وعنز بن وائل هي قبيلة عرفت في المنطقة ما بين جنب والحجر، ورغم الحضور القوي لهذه المنطقة في شعر وأخبار قبيلة ربيعة التي أوردنا جزءاً منها في هذا المبحث، إلا أن الجدل لا زال قائماً حول حقيقة وجود عنز بن وائل ونسبها، وحول وجود من ينتسب لها في المنطقة، والحق أن وجودها واستفاضة ذلك بين أبنائها والمحيطين بها مما غصت به كتب الأخبار والسيرة والنسب، فكتب الأنساب والأخبار قد أجمعت على وجودها في موقعها الذي ذكرنا وعلى انتسابها لربيعة النزارية، كما أن ما ذكره ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ـ عندما أشار إلى قبيلة عنز بن وائل، وإلى مواطنها في السراة بجوار خثعم، وربط نسبها بوائل بن قاسط الربعي[٣] ـ يوافق ما ورد قبله وبعده عن عنز بن وائل في بيئتها المحيطة، ومن ذلك أحداث عام (١٣٤هـ/٧٥١م)، عندما رحل أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيبي العوسجي من صعدة إلى جرش، ونزل في تندحة، وكانت من أحواز جرش التي تسيطر عليها قبيلة عنز بن وائل، فوقعت الحرب بينه وبين عنز وانتصر عليهم وسكن في جرش، وقال حول هذه الأحداث قصيدة جاء فيها:

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت ... ودبت إلينا في كتائبها تسري
وساقت علينا من معدٍّ قبائلاً ... تبختر في الماذيّ في الحلق الخضر
فقالت معدّ إرحلوا من سيوفنا ... وخلوّا بلاد الأكرمين ذوي الفخر[٤]

(١) مخطوط بحر الأنساب المسمى المشجر المبسوط في أنساب العلويين والهاشميين وسائر العرب (ت٨٨٢) .

(٢) ص١٨٢٣ .

(٣) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ص٥٧٥-٥٧٦ .

(٤) الهمداني، الإكليل، مصدر السابق، ج٢/ص١٣٩- ١٤٠ .

وهــو ما يدل على استفاضــة انتماء عنــز بن وائل إلى معد في وســطها المحيط قبل ابــن الكلبي، كمــا أن ابن الكلبي ذاته نقل عن والده قال: "قــال الكلبي حدثنا خراش[١] قال ســمعت أشــياخاً لبكر بن وائل يقولون: خرج وائل بن قاســط وامرأته تمخض وهو يريد أن يرى شــيئا يســمي به، فإذا هو ببكر قد أشــرفت، فرجع فولد له غلاماً فســماه بكــرا، ثم خرج مــرة أخرى وهي تمخض، فولدت له غلاماً فســماه عنــزاً ..." إلى آخر القصــة . وخراش هو نســابة ربيعة نقل عنه محمد بن الســائب وقد توفي عام(١٢٠هـ) ما يعني أنه ســابق للكلبي ـ الإبن ـ بحوالي قرن من الزمان، ونلاحظ أنه نقل عن أشــياخ بكر ما يعني استفاضــة القصــة بين ربيعة قبل تدوين كتب الأنســاب. كما أن ابن هشام (ت٢١٤هـ) المعاصر للكلبي في كتاب "السيرة النبوية" الذي نقله عن ابن إسحاق أشار إلى النســب المعدي النزاري لعنز بن وائل في ســياق ترجمته للصــحابي عامر بن ربيعة العنزي[٢]، ثم يأتي الهمداني اليمني الذي حدد ديارها وما حواليها من البلاد[٣]، وأورد نســبها[٤]، وأحداثها مع مجاوريها وأشــعارهم[٥]، التي تشــير إلى التســليم من الجميع بحقيقــة وجودهــا وانتمائها لربيعــة، وأرى أن من المعيب انتهاج محاولــة رفض الوجود المعدي ومنع أي استثناء لسيطرة الأرومة اليمانية ـ المزعومة ـ على المنطقة، ومحاولة نفي حقيقــة وجود عنز بن وائل الربعية في المنطقة، فالأمر أوضــح من أن يدارى، واليمنيون أقروا بوجود الأرومة النزارية المعدية في اليمن ذاتها، ومن فهل سنكون ملكيين أكثر من الملك، كما أن التقســيمات العدنانية القحطانيــة ثبت خطؤها من خلال قراءة النقوش، وتتبــع المصــادر التاريخية غير العربية ،كما لم ينقســم العرب إلى ســلالتين من خلال تحليل الـ (DNA)، بل إلى عدد كبير من السلالات، وقد أورد الهجري لثابت (١٣) بيتا.

---

(١) هو خراش بن اســماعيل العجلي الشــيباني النسابة، يقول عنه صــاحب كتاب طبقات النسابين: "خراش بن اســماعيل الشــيباني العجلي: يكنــى بأبي وعرا: وفي هدية العارفين: أبو رعشــن مات ســنة (١٢٠ هـ) تقريباً أخذ عنه محمد بن السائب الكلبي، وهو أحد النسابين له. (١) أخبار ربيعة وأنسابها. (٢) النسب العتيق في أخبار بني ضبة"، انظر: أبو زيد، بكر، طبقات النسابين، ص٣٠ ؛ ويذكر ياقوت أنه نقل عنه ابن محمد بن السائب الكلبي، وهو أحد النسابة، صاحب كتاب: ربيعة وانسابها، انظر معجم الأدباء للحموي، ص١٢٤٧ .

(٢) ابن هشــام، الســيرة النبوية، ج١/ ص٢٩٠؛ ج٢/ ص٣٢٧ وقد ذكر ابن هشام تسلسل نسب عنز بن وائل إلى نزار والملاحظ أنه لم يورد دعمي ثم اســتدرك قائلاً: "ويقال: أفصــي: ابن دعمي بن جديلة". وهو ما يدل على تعدد المصــادر المتوافقة على نســب عنز بن وائل لنزار في حينه، كما أنه لم ينقل عن ابن الكلبي الذي أورد دعمي بشكل واضح ضمن تسلسل النسب .

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٩ـ٢٣١ .

(٤) الهمداني، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة الإرشاد – صنعاء، ١٤٢٩/٢٠٠٨م، ج١ / ص٢٦٢، ٢٦٣ .

(٥) الهمداني، الإكليل، مصدر السابق، ج٢/ص١٣٩– ١٤٠ .

(٦)جابر بن حوثرة: قال: وأنشدني أبو محمد الرنوي من ساكن رنئة[١]، للسناني من نهد، واسمه جابر بن حوثرة إلى مرة نهد:

ألا أيها القلب الذي ليس بارحا	**به سقم من لاعج الحب يصدع**
أفق لا تكن أسباب أمر غواية	**فليس على إلف سلا عنك مطمع**
سلا تائبا أو مستقيدا لغيها	**على كل حال صاحب الوصل يقطع**
موقف يخبرك قبل افتراقنا	**وقبل نوى قذافة كيف تصنع**
نصون الهوى صون الصفى عقدة الثرى	**على حين يبلى الماء سر ومنقع**
ونضحك بالواشي فيلهو بغيرنا	**إذا باح من سر العبام المضيع منيف**
فما نطفة من ذي رصاريص دونها	**الأعالي من ذرى الطود ميفع**
نأت عن طريق الناس ثم تمنعت	**لها برض عذب زلال ومدفع**

"ميفع" : في بلاد حضرموت ومن خلال القصيدة فإن "ذي الرصاريص" مجاور له وهو هنا يضرب بها مثلا ، إذ يبدو أنها اشتهرت بالماء الزلال النقي. قال وأنشدني عبيد الله بن عبدالعزيز السدري من بني عامر بن ربيعة للسناني من نهد واسمه جابر بن حوثرة:

أرقت لبرق آخر الليل خافق	**يمان ومن دوني جبال الشرائق**
سرى في ركام العرض تنحره الصبا	**هزيم الكلى ذو حومل متساوق**
شرى البرق عرَّاض كأن غفاره	**لدى سرب من أفكل الماء دافق**
كأن العشار الجون فوق متونه	**خناطيل لَمْ تهبط عفاء العقايق**
وحنت روايا عودة الجون وارعوى	**عليها مقانيع الغمام الفوارق**

وسرد حوالي (١٢) بيتاً أخرى .

وبلاد نهد خلال هذه المرحلة كانت في وسط منطقة عسير ويبدو أنها كانت تمتد على مناطق كبيرة، كما وصفها الهمداني المعاصر لمرحلة الهجري في قوله: "بلد بني نهد: طريب، ومصابة من ذوات القصص، وكتنة، واراك ....، وتثليث، والقرارة، والريان، وجاش، وذو بيضان، وعبالم، والحضارة، والعشتان، والبردان، وذات الاه وهي

(١) يطلق الهجري على "رنية" "رنئة"، مع أن الاسم ورد في بقية المصادر "رنية"، وهو أحد أعراض نجد التي ذكرها الجغرافيون، وهو واد يصب من جهات الحجاز من بلاد غامد باتجاه الشرق حتى يلتقي بوادي "بيشة" في "شثير"، وهو أيضا اسم بلدة على نفس الوادي تقع جنوب شرقي تربة وإلى الشمال عن بيشة .

قرى الدبيل وعُشر، وعاربان، وسقم، وقريتهم الهجيرة، والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد معرف، وحرام وهي أكثر نهد، وبنو زهير، وبنو دويد، وبنو حزيمة، وبنو مرمض، وبنو صخر، وبنو ضنة ....، وبنو يربوع، وبنو قيس، وبنو ظبيان"[١]، انتهى، وهي مواقع تتمركز في وسط إلى شرقي منطقة عسير على طريق الحج ممتدة من الهجيرة إلى البردان الواقع على وادي تبالة. ونهد كانت قبيلة تنتجع بين هذه البلاد وربما امتدت نجعتها إلى قرب رنية شمالا والى جهة هضب الدواسر وما إليها، وإلى نجران، وجغرافية هذه القصيدة فيما يبدو تتمحور في الجزء الشرقي من منطقة عسير، حيث نجد الإشارة إلى العقايق في البيت الرابع كناية عن العقيقان، وهما الواقعان يماني بلاد بني عامر، كما ذكرت المصادر[٢]،والجمع هنا مجازي يكثر مثله[٣]، وقد ذكر البكري وغيره أن العقيقان يوجد بهما رمل (يبرين) ورمل (الدبيل)، وقد أورد الهمداني "الدبيل" من بلاد نهد في سياق سرده، و"الدبيل" لا تزال معروفة حاليا، وهي منطقة رعوية في تثليث ببلاد الجحادر شرقي منطقة عسير[٤]، ومن الملفت في قصيدته نزوعها إلى نظام الشعر الجاهلي، ولعلنا نميل إلى أنها بالفعل من القصائد الجاهلية القديمة التي ظلت متداولة على الألسن في بيئتها، وقد أورد الهجري للشاعر (٣٠) بيتاً .

(٧)جعفر بن عبدالله الجبهي: قال الهجري : أنشدني الخيار بن محمد بن المشيع العذمي من شهر الحجر بن الهنؤ بن الأزد من أهل السراة وهم فصحاء، وذكر له شعرا. لم يرد عنه في المتن إلا الكلام أعلاه إلا أن الجاسر علق في الهامش بقوله: "مختصرا البلبيسي وعبدالحق الأشبيلي لأنساب الرشاطي رسم (الجبهي) ولم أر شعراً للجبهي هذا فيما وصل إلي من كتاب الهجري، وجبيهة ورد في مخطوطة "النوادر" (جبيهة) وعلى الجيم ضمة، قال:

لا أحسن البيع إلا أنني رجل ... متى ما أجد حاجتي أشري بما أجد

جبيهة قبيلة ذكرها الهمداني في "صفة جزيرة العرب"، وجبيهة ـ بفتح الجيم ـ هي

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٧ـ٢٢٨ .

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص ٩٥٨ .

(٣) ومنه قول الشاعر في الاشارة للعقيقين المذكورين: دعا قومه لما استحل حرامه ... ومن دونهم عرض الأعقة والرمل، انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ص٩٥٨ .

(٤) الحربي، علي ابراهيم، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ منطقة عسير، ب د ن، ١٤١٨هـ، ج٢/ ص٦٥٠.

قبيلة لا زالت معروفة وهي فرع من فروع بالحارث من قبيلة بني شهر[١] .

(٨)**جعفر بن علبة الحارثي:** أورد لجعفر بن علبة الحارثي في يوم سحبل:

يقول العقيليون إذ لحقوا بنا … سترجع مقرونا بإحدى الرواحل
وقد خيرونا بين ثنتين منهم … صدور العوالي أو جذاب السلاسل
فقلنا لهم: ذاكم إذاً بعد صكّة … ترى القوم فيها نهضهم متخاذل
ولم ندر لو ضجنا لتبقى نفوسناً … مدى العمر باق والمدى متطاول
لكم صدر سيفي يوم أسفل سحبل … ولي منه ما ضمت عليه الأنامل
إذا القوم سدوا مأذقا فرجت لنا … بأماننا بيض جلتها الصياقل

كانت أحداث هذه الوقعة لجعفر بن علبة الحارثي بموقع من بلاد بني الحارث بن كعب، وكانت بلادهم في تلك المرحلة ما بين نجران وتثليث[٢] ، حسبما ذكر الهجري[٣] ، وغيره، وتذكر المصادر حول هذه الحادثة أنه بعد عدد من الأحداث بين جفعر بن علبة الحارثي وبني عقيل، فقد تمكن جعفر مع عدد من قومه من أحد بني عامر، حتى التقى بعدد من غرمائه في موقع يقال له "سحبل" (أحد بلاد بني الحارث بن كعب[٤] ، فقتل فيهم حتى لم يبق من العقيليين إلا ثلاثة نفر وعمد إلى القتلى فشدهم على الجمال وانفذهم مع الثلاثة إلى قومهم، فمضى العقيليون إلى والي مكة إبراهيم بن هشام المخزومي وقيل السري بن عبدالله الهاشمي، فطلب جعفرا ومن كان معه يومئذ حتى ظفر بهم وحبسهم[٥] ، وقد قتل جعفر قصاصا.

وقد تولى ابراهيم بن هشام المخزومي على مكة عام(١٠٦ هـ) ، واستمر حتى عام (١١٤هـ)[٦] ، ما يدل على ان أحداث هذه القصة جرت خلال هذه الفترة، أي في بداية القرن الثاني للهجرة. ومن خلال قصة جعفر مع العقيليين، فيمكننا أن نستخلص من اتجاه خصومه إلى والي مكة، وشروع والي مكة فعلا في طلبة وتنفيذ الحد عليه ما يدل على امتداد ولاية مكة على بلاد بني الحارث الممتدة في ما بين حبونا ونجران، ولعل هذا شاهدا عمليا للمصادقة على ما تواتر في المصادر التاريخية التي تشير إلى أن نجران كانت في

(١) انظر تعليق الجاسر في هامش ص ٥٧٢ .
(٢) الهجري، التعليقات والنوادر، ص١٥٤٢،
(٣) الهجري، التعليقات والنوادر، ص١٣٨٢ .
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ص١٧٢٧ .
(٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣/ ١٩٤ .
(٦) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، ج٢/ ص٩٥٢، ٩٧٤ .

تلك المراحل من أعمال ولاية مكة[1]، وقد أورد الهجري لجعفر بن علبة (٩) أبيات.

(٩)حبش بن سعيد النهدي: وقال انشدني أبو عمر الزهيري زهير نهد، لحبش بن سعيد بن مجاهر الأزرقي، أزرق نهد، يقولها للمستنير العتكي، والعتيك بن عمران بن عمرو بن عامر، إلى مازن الأسد، وهم أهل (وحفة القهر) وهم إخوة الأنصار، وجرح يده وهي ها هنا تامة:

يا طول ليلك بـ(النخيل) و(باقم)	فصدور صالة فالمسيل الأجوف
منع الرقاد به الهموم فحشوتي	تصل الأنين بزفرة وتلهف
وإذا مللت لجانب عن جانب	علز الأسر على المناخ الأجنف
أرعى النجوم كأنني متكلف	بالغاربات وبالتَّوالي الخلَّف
وغدرت بي يا مستنير ولم أكن	لأخي الخلالة بالغدور المقرف
يا مستنير لو ان ما آذنتني	والليل في عنقي وعضب مرهف
لعلمت أي فتى تروع وإنما	عند الكريهة تبتلى أو تعرف

... إلى قوله:

كلا ورب محمد وإلاهه	والطالعات بهم غداة الموقف

والقصيدة طويلة، فهي ـ كما نقلها الهجري ـ (٧٩) بيتاً. وهناك ملاحظات حول النص والخبر سيتم إيرادها بعد ايراد الشاعر التالي لتعلقها بخبرهما.

(١٠) الفضيل بن صبح العتكي: يقول الجاسر: "جاء في هامش "معجم الشعراء" عن مخطوطة لمغلطاي (ص٣١٦) : قال الهجري في نوادره : أنشدني أبو عمرو النهدي للفضيل بن صبح العتكي من وحفة القهر، وهم أصحاب قنص، فذكر أبياتا:

قد أغتدي حين الصريم الأورق	مغلِّسا وقد أضاء المشرق
معي ثمان كلبات نسَّقَ	أنفها كطرفها أو أصدق
وهم عينيَّ طوال عنتقَ	يسكنه كاذي البضيع سوهق
أزكى له المربع رعي مونق	وشرب من الصيف لا يرنق

(١) للمزيد انظر: الإدريسي، ص١٤٥، ابن خرداذبة، ص١١٦، البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم ...، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث، بيروت، ص٨٦، البكري، معجم ما استعجم، ص٣٠٩

ونجد الهجري في موقع آخر، بعد أن أورد عجز بيت للمريجي القشيري يقول: "وهذه يتكلم بها قشير ونهد والعتيك أهل الوحفة" .. انتهى. ولا نعلم أَعَنَى بقوله "أهل الوحفة" كل من ذكر أم العتيك فقط. وفي موقع آخر بعد أن أورد للنهدي أبياتا منها قوله:

(فينزل) [1]**، شطآن القريِّ وكوكبا ويثبت يرعى بالوحاف لياليا**

أتبعه مستدركاً بقوله : "وحفة القهر، ووحفة العتيك، ووحفة الصيد، أسفل بلاد بني الحارث بن كعب وجرم" . ولعل الملاحظة الأولى الجدير بنا التنويه لها هي جزالة وشاعرية النهدي، وجودة أبياتٍ العتكي، ولا شك أن منطقة الدراسة - التي منها هاذان الشاعران - كانت مضمارا هاماً لفرسان الشعر العربي، وأحد أغزر مناطق إنتاجه، فلا عجب أن نرى شعراء فحولاً مجيدون ممن ترعرعوا في قلب ميدانه. والواضح من خلال ما تقدم أن قبيلة "العتيك" المازنية الأزدية كانت تقطن الوحفة (وحفة القهر) مجاورة لقبائل نهد وقشير والحارث بن كعب وجرم وزبيد، في مرحلة بدايات البعثة النبوية وما بعيدها، وجبال القهر هي سلسلة من الجبال الواقعة الآن في بلاد الحباب في محافظة تثليث ممتدة من عين قحطان إلى جبال الشهمة[2]، شرقي منطقة عسير، وتلتصق بها منطقة الوحاف . ومن الملاحظات الأولية: أن نص الأزرقي هنا ورغم أنه إسلامي يدل على ذلك قوله: "كلا ورب محمد وإلاهه ... والطالعات بهم غداة الموقف"، إلا أن استعمال القسم "ورب محمد"، والضمير في "وإلاهه"، والقسمٍ بـ "الطالعات بهم" ربما تدل على عهد مبكر من الإسلام، فلعل شاعرنا كان مخضرماً، أو على الأقل من شعراء القرن الأول للهجرة، ومما يرجح ذلك أن العتيك قد هجرت الموقع ورحلت لعمان حتى لم يعد لها ذِكر فيه، فلم يرد ذكر لها عند الهمداني (ت٣٤٤هـ) في هذه المواقع التي أوسعها تفصيلاً، بل ذكر أن العتيك في عمان[3] . وإذا أضفنا لذلك أن العتيك عرفت من خلال حضورها في العواصم الاسلامية ما بعد الفتوحات في العهد الأموي وما إليه كقبيلة من أزد عمان، مما يعني أقدمية هجرتها إلى عمان إلى القرن الهجري الأول، فإن ذلك يزيد ترجيح رأينا بأقدمية القصيدة وموافقتها لمرحلة بدايات القرن الهجري الأول، خاصة وأن الهجري لم يسبقه أحد في الإشارة إلى وجود العتيك في جهات وحاف القهر وما إليها، ولا زالت العتيك تقيم في عمان، بينما لا وجود لها في منطقة عسير ولا ما حولها حالياً.

كما نلاحظ من خلال نص الراوي أن الشاعر هنا من "الأزارقة" من قبيلة نهد،

---

(١) أوردها في موقع آخر من الكتاب (فيترك) .

(٢) الحربي، علي ابراهيم، المصدر السابق، ج٣/ ص١٣٧٢ .

(٣) الهمداني، الصفة، ص٣٣٠ .

ونهد (القبيلة) كانت تمتد على مساحات كبيرة من منطقة عسير بما فيها أعالي جاش وطريب وما بين (طريب إلى تثليث) وكان من بطونها المشهورة بطن "آل زهير" - الذي منه الراوي، و"آل زهير" حاليا اسم قبيلة بالقرب من طريب، و"الأزارقة"، والذي هو اسم قبيلة الشاعر أيضا اسم قبيلة معروفة حتى هذه اللحظة بالقرب من نفس المواقع نسبيا، ولا نعلم إن كانتا امتدادا لأصحاب المسمى الأقدم أم لا، ومجموع ما أورده الهجري للفضيل (٨) أبيات من الرجز.

ومن الملاحظات الهامة في قصيدة النهدي قوله:

كانت موارث من جدود جدودنا   من عهد أسعد في الزمان المرجف

وأسعد المقصود هنا لا شك أنه "أسعد أبي الكرب" الملك اليمني المشهور في الأخبار (أو "أبكرب أسعد" كما في النقوش[١]، ومفاخرة النهدي به تدل على استفاضة انتماء نهد القضاعية إلى حمير بين النهديين ومجاوريهم. موافقاً لما ورد في كتب الأنساب العربية، ولعل مما يصادق على هذه الاستفاضة في تلك المرحلة أحداث نهد، ودخولها إلى جانب العواسج الحميريين في حروبهم مع عنز بن وائل[٢]، التي بدأت ما بين نهاية القرن الهجري الأول وبداية الثاني، حتى انتهت في أواخر القرن الهجري السادس برحيل نهد من المنطقة[٣]، حيث كانت العصبية الحميرية اليمنية هي الدافع والمحرض الذي كان يضرب عليه العوسجيون لاستثارة نهد لمناصرتهم، ومن المهم ملاحظة ذلك في نتائج فحوصات (DNA) لفهم حقيقة هيكل الأنساب العربية، حيث أن نهد تكتلت تحت التحور (L222.2)، متوسطة بقية قبائل قضاعة وبعض قيس ونجد واليمامة وتهامة واليمن مثل: جهينة، وبني ياس، وفهم، وعدوان، وسليم، وبني رشيد، وعتيبة، ومطير، وبالحارث الطائف، وبني كثير، والجنبة، وعنس، وبلي، والدواسر، وتهامة زهران، والقنفذة، وحلي، إلى بارق، وبعض أسر حاضرة اليمامة من عائذ وتميم وعامر (بمواريث شفهية)، وغيرهم.

(١١) الحواري العتكي:

حسبت طراد الخيل تفريغ علبة   من الضأن في بطن كأنه مروب

وجاء اسم هذا الشاعر في "باب النسب" ولم يرد ضمن الشعراء المترجم لهم

---

(١) العتيبي، محمد، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ ....، ص٣٠٤ .

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل من أنساب اليمن وأخبار حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٢/ ص١٣٨- ١٤٠ .

(٣) الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٩١ .

(ولعل هذا من تنسيق المحقق)، وقد رأيت إيراده هنا ضمن الشعراء، بصفته أحد شعراء منطقة الدراسة.

(١٢)**الخثعمي أحد بني أوس:** "أنشدني الخثعمي أحد بني أوس وهم إلى شهران:

وجاءت بنو أود ولم تأل غيره لنا ذُرعاءٌ مستهانٌ سفيرها
وفاءت رجال المصعبين وخيمت رمال وهابت صيدها وصقورها

المصعبين من شهران من خثعم، ورمال أخو المصعبين". و"أود": قبيلة مشهورة في جنوب اليمن بعيدة عن موقع بلاد شهران، بينما الشاعر من شهران، والقبائل التي أشار لها: المصعبين ورمال، كلها فروع من شهران، فلعل صحتها أنه قال: "وجاءت بنو كود"، فـ"كود" بطن من شهران، وبها يصح سياق البيت.

قال "وأنشدني الخثعمي بدوي:

حملن عليه الرقم حتى كأنه من الحسن حنون بريمان يانع

"ريمان": وادي ينحدر من هضاب العظلم ببلاد بني منبه من شهران ويرفد وادي بيشة، وللشاعر (٣) أبيات فقط.

(١٣)**السروي أحد بني شكر:** وأنشدني للسروي أحد بني شكر من بني الغطريف:

ولما قضوا رمي الجمار وأشعلت قبائل قد حلت لهن نذور
تذكرت طول النأي منك فأسبلت جاة بماء المقلتين درور
مفجعة بالبين جائلة القذى قلت بعد نوم الناس فهي زحور

وشكر من قبائل أزد السراة المجاورة لبلاد غامد وزهران، وشكر ليس منهم بني الغطريف، فالغطريف من "يشكر"، وهو الحارث بن عبدالله بن عامر الغطريف الأكبر بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد، أما شكر، فهو عمرو بن والان بن عمرو بن عمران بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد[١]، ويقول الجاسر أن اسم زهران ربما طغى

(١) الكلبي، أنساب معد واليمن الكبير، ج٢/ ص ٤٦٥-٤٦٦.

على الكثير من قبائل السراة فدخلوا فيها ومنهم شكر[١]، وقد أورد الهجري للشاعر (٣) أبيات فقط.

١٤)سلولي : وأنشدني السلولي :

إذا أسديات النجوم تشاءبت	**من الليل عن أنيابها فهي كُلَّح**
وعاد القِرَى عند الذي أين مثله	**وقد جعلت أيدي المشيرين تبلَّح**
وجدت القَرى فينا لمن يبتغي القرى	**وما طالب المعروف فينا يقمَّح**

وأنشدني لرجل من أهل النقيع، نقيع سلول:

أتجمع بخلا فاحشا وتكبرا	**وما قاد ذما كالتكبُّر والبخل**
فلو كان غطى البخل منك تواضعٌ	**أو الكبر جود كنت من ذين في عدل**

ويدل النص هنا على وجود بني سلول بالنقيع منذ عهد الهجري، وقد أورد للشاعر (١١) بيتاً.

(١٥)سليمان بن زيد العمري: قال سألت سليمان بن زيد العمري - من عمرو مرَّة نهد - عن العيكين، تذكرهما نهد وخثعم، فقال هما جبلان أسودان من بيشة، وقال: عبران: هضبة حمراء شارعة مطلع الشمس من بيشة، وقال ضاف: واد من دار نهد، وسألته عن قوله:

فشهدا رنوم فالأهاضب كلها	**فعبران دوني رمده فكلاكله**

قال: شهدا رنوم هضبتان، ورنوم: واد وراء جسداء، وهي مرحلة المجمعة وهي تجمع ترج وبيشة، والأشاقر هضبات من وراء عبران، وهو جبل أحمر شرقي بيشة، وأحدها شهد.

وعن قوله:

فيا حبذا الضاحات منه وحبذا	**مناكبه أيمانه وشمائله**

قال: الضاحات: مضاحي الخيل حيث تطلع الشمس ضد المقناة، وسألته عن مُقَيِّد، فقال: قرين به حساء تحفر من شق تبشع إلى الجب، جب يزخر بالماء، وهو دار مرة من نهد، والذي يذكره الدويدي، ودويد بن نهدٍ عَجُزٌ.

---

(١) الهجري، أبو علي زكريا بن هارون، التعليقات والنوادر، تحقيق الجاسر، انظر تعليقه في الهامش، ص٦٤٩ .

وعن قوله:

ألا ليت عندي علم صدر مقيد وسايلة المدراء من حلها بعدي

قال: المدراء: ـ ممدود ـ من أرض خثعم، هضبة من تبشع، وأقرب المنازل إليها كتنة القاع من محجة الجوفية. وعن قوله:

وجزع العلوب البهم حيث تجاوزت فما رد ميل النفر من مطلع النجد

قال: العلوب: السدر، والواحد علب، وميل النفر: ميل من أميال المحجة عند ريع يطلعك عليه السدر من بطن تبشع. وقال بعد أن سألته عن قول النسعي الخثعمي، وعن قوله: لتبدو لي الأعلام من شبقٍ تُغَلّلٍ ...

قال: تُغُلُّلُ: معجمة الغين ـ: هضبة من منحنى بيشة، وتجمع التغاليل.

وعن قوله:

جرى منه جاش فالربوض فما أرى هويل فأرعيلاء فالبردان

قال: جاش: بلد بني مرة، والربوض: قنة حمراء سوداء غربي تثليث، وإرعيلاء: قنة أيضا من ... وروى غيره أرعيلان ـ بالنون ـ. وشعر سليمان هذا غني جدا بالمواضع ومما أورد: العيكين، بيشة، عبران، ضاف، شهدا رنوم، الأهاضب، عبران، جسداء، المجمعة، ترج، وبيشة، الأشاقر، عبران، الضاحات، صدر مقيد، المدراء، تبشع، كتنة، جزع العلوب، ميل النفر، تُغَلّل، جاش، البردان، هويل، أرعيلاء، الربوض وجلها في بلاد خثعم، ولعل هذا يعطينا فكرةً عن تلك المرحلة والتداخل والتغير الذي حدث، كما أن من الجميل هنا أن النص قد حدد لنا بعض المواقع التي لم تعد تحمل نفس أسمائها القديمة مثل جسداء الذي حدده بالمجمعة التي أوضح أنها مجمع ترج ببيشة، أي أن في حدود مصب وادي ترج بوادي بيشة يوجد موضع الجسداء التي كانت على طريق الحاج حتى القرن السادس للهجرة، كما أوضح موقع عبران والعيكين وضاف وميل النفر وتبشع، والمدراء و"تُغُلُّو" جاشوا لربوضوإر عيلاء، ولا شك أنه قد أضاف لنا معلومات هامة حول تحديد المواقع التي أشار لها الهمداني وابن خرداذبة وسواهم على طريق الحاج ـ سيأتي الحديث عنها في المواضع ـ وقد ورد في كتاب التعليقات للشاعر (٦) أبيات.

(١٦) صاحب جنوب القلب: قال: وأنشدني صاحب جنوب القلب، فبعض يقول: هو نهدي وبعض يقول: هو خثعمي، وربما أنشد يقول: أميم القلب لابن الدمينة:

تقول أميم القلب: يا كم تودنا ... ألا يا جنوب القلب كم عدد القطر
ألا يا جنوب القلب هل تذكرينني ... فبالله لا أنساك إلا إلى ذكر
ألا يا جنوب القلب لا يعلم العدى ... بحبيك حتى يعلموا ليلة القدر
سوى رجم ظن منهم ليس غيره ... فمخط ومنهم من يصيب ولا يدري
له غلقٌ مفتاحه عند كوكب ... من الغًامصات لا سماك ولا نسر
وهل يذهلن النفس عنك تجنبي ... بلادك أو هل يقبلن العدى عذري
سوى أن طرف العين كل عشية ... وكل ضحىً زورٌ لأعلامكِ العفر

والشاعر هنا من خثعم أو نهد، وهو غزلي مجيد، وله اقتباسات من القرآن والحديث ومن ذلك عندما يقول: "سوى رجم ظن" من قوله تعالى [وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ]، وعندما يقول: "فمخط ومنهم من يصيب ولا يدري"، من قول النبي (ﷺ): "كذبَ المنجمون ولو صدقوا"، ممًا يدل على أنه شاعر اسلامي، وقد أورد له الهجري (٧) أبيات.

(١٧)**صاحب طيبة:** وأنشدني لصاحب طيبة:

دعوني ألم لا أبا لأبيكم ... بطيبة إني نافع لي لمامها
فقد عدت من وجد بطيب كأنني ... من الهم مقصاة مبين هيامها
أقامت زمانا تُرتجَى ثم بينت ... بيأس وحلت من يديها زمامها
إذا عادها العوَّاد يوما فقائل ... مُبِلُّ ويوما قد أحمَّ حمامها
تناذرها الرعيان فهي مقيمة ... بهرجاب في دوم يغني حَمامها
مطردة عن كل ماء ومرتع ... مخوف عليها قارفته سقامها

وله أيضا:

بكت عين من لم يبك إذ شطت النوى ... بطيبة لا نزرا ولا متوانيا
خليلي جمجمت الهوى وكتمته ... زمانا فقد أضحى بي اليوم باديا
كما جمجمت هيماء طال هيامها ... وردد فيها الناظرون التماريا
فلما استبانوا ما بها عدلوا بها ... سوى مرتع الآلاف قيدا وراعيا
أحقا عباد الله أن لست سامعا ... لطيبة في الحي المقيمين داعيا
ولا هابطا أوطانها أو مسلما ... عليها سقاها الله دهما غواديا
ويا كبدا من حب طيبة كلما ... علون نشازاً أو تعسفن واديا
ويا كبدا من حب طيبة صعدت ... سقوا صبرا أو قربوا لي كاويا

فلا نفع الله الكواة بنارهم ولا آجر الله الطبيب المداويا
ويا طيب لا يحدث لك النأي والقى ولا الهجر إلا مثل ما أحدثا ليا
ويا طيب لو متنا وعاد عظامنا رماما رجونا بعد ذاك التلاقيا
وصال الغواني بعد طيبة محرم علي وإن منيتهن الأمانيا

وقال: صاحب طيبة:

واوه أما من لمة منك هجرة بطيبة إلا حولها من أراقبه
وأوه لذكراها إذا ما ذكرتها إذا غلبت مخلود صبري غوالبه

صاحب طيبة هو شاعر من شعراء العصر الأموي وبالتحديد القرن الثاني يدل عليه اسمه ومذهبه، فقصائده تمثل استمراراً لنمط عصره، حيث سادت ظاهرة المجانين والصواحب، الذين يرددون أسماء حبيباتهم حتى يعلقن بأسمائهم، وربما كان ذلك مما يسعى الشعراء بالوصول إليه في تلك المرحلة، ولعله مما يزيد شهرته، فالاسم المرتبط باسم امرأة يوحي بقصة غرامية مما يشوق الناس عادة إلى معرفة تفاصيلها، وفي هذه المنطقة ظهر الكثير منهم، ولعل مما يدل على تجذر هذه الصبغة الشعرية في المنطقة هذا الشاعر وغيره ممن عددهم الهجري ذاكرا ألقابهم الأدبية التي اكتسبوها حتى توارت خلفها أسماؤهم كحال صاحب طيبة، وصاحبٍ جنوب القلب، وصاحب ميلاء وصاحب جمل .. وغيرهم، وأورد الهجري له (٢٣) بيتاً.

(١٨)**صاعد الفتياني:** وأنشدني أبو عمرو الزهيري، لصاعد الفتياني من بجيلة نزولا في بني الحارث ابن كعب:

يقولون دع جرماً وجرم عشيرة ولا صبر بي . أستغفر الله . عن جرم
أرى فيهم ما لا يرى الناس فيهم وأشهد فيهم ما يرى الذيب في البهم

قال الجاسر في الهامش: "الفتياني نسبة إلى فتيان. بكسر الفاء. بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش". ولا يبدو أن الشاعر يتغزل بل هو يهجو، والواضح من إشارة الهجري لنزوله في الحارث بن كعب، ومن الأبيات، أن أوطان جرم كانت في مرحلة الشاعر مجاورة لأوطان الحارث بن كعب. المقيمة حوالي نجران.، وقد أورد له الهجري بيتين فقط .

(١٩)**ضبارة بنت زيد الخثعمي:** قال المحقق: جاء في هامش مخطوطة "معجم ما استعجم" الازهرية ما نصه: لما أنشد الهجري قول ضبارة بن زند الخثعمي:

أقمنا إليك السير فيه على الوجا　　　تجوب بنا الغيطان جوفية صعر

قال هما جوفان: جوف المحورة، به أرحب همدان، وجوف مراد به الصُّـداويَّةُ وكل تجيـب. و"الجوفيـة" هنا في الغالب أنها إشـارة إلى نـوع الناقة، وقـد درج العرب على تسـمية نوع من النوق بـ"الأرحبية"، ومن ثم فالإشـارة للجوفية كناية عن نوع من النوق المشـهورة المنسـوبة لـ"جوف أرحب"، ولو اعتبرنا المقصود هنا الإشارة إلى موقع بعينه، فـإن حوالي بلاد خثعم أكـثر من جوف، فهنالك "الجوف" المعـروف حاليا بـ"جوف آل الشواط"، في أعلى وادي "تندحة"، وهو ملاصق لبلاد خثعم، وهنالك الجوف المعروف حاليا بـ"جوف آل معمر" - غير بعيد عن سـابقة - وهو شـرقي سراة عبيدة إلى الجنوب الشـرقي من بلاد خثعم، فالأصح أنهما سيكونان أقرب إلى مقصود الشاعر، مما نسب إلى الهجري، وللشاعر في كتاب الهجري بيتا واحداً.

(٢٠) الشنفرى الحجري الأزدي: قال الشنفرى:

إذا ما أتتني حمتي لم أبالها　　　ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي

والشـنفرى علم غني عن التعريف، وهو شـاعر جاهلي من أزد السراة، من الحجر بن الهنؤ بن الأزد، واستحضاره وامرئ القيس من قبل رواة الهجري يدل على وجود عدد من الجاهليين سـواهما فيما بين أيدينا من نـوادر وتعليقات الهجري، ممن لم يرد لهم ذكر عند سـواه - وإن كانوا قلة - فلعل بين من أوردنا ممن لم يرد ذكرهم عند سـواه كان جاهليا، وقد استحضر له كتاب التعليقات والنوادر المطبوع هذا البيت فقط.

(٢١) عبدالله بن الدمينة الخثعمي: قال وأنشـدني الحسـن بن عـارم الرويبي هلالي، وأبو محمد البيشـي، والشـهراني وغيرهم لابن الدمينـة وهو عبدالله بن عبيد الله حطيطي من عامر بن تيم، خثعمي، وكتبنا في هذه النسخة ما صح من قوله، وتركنا ما زيد من شعر المجنون، والعجير بن غالب، وغيرهما مما لا شك فيه:

أميم أمنك الدار غيرها البلى　　　وهيف بجيلان التراب دعوب
بسابس لم يصبح ولم يمس ثاويا　　　بها بعد عهد الحي منك عريب
سوى عازفات ينتحبن مع الصدى　　　كما رجعت جوف لهن ثقوب
وقفت بها أذري الدموع كما جرى　　　بغربين من خوف الفراق شعيب

غربـين: مثنى غـرب، وهي مفردة محلية لا زالت تسـتعمل في اللهجـات المحلية في المنطقة، وتدل على الدلو (القربة) الجلدي الذي يسـتعمل لري مجرى المياه إلى المزارع

فوق البئر، والشاعر هنا يشبه عينيه بالغربين اللذين يصبان الماء بغزارة من البئر على مجرى الماء (شعيب)، حزناً على حبيبته (أميم).

..... إلى أن يقول:

وما ماء مزن في حجيلاء دونه متالف صعبات الذرى ولهوب

الحجيلاء: هو الماء الذي لا تصيبه الشمس، وقد تكرر عند ابن الدمينة في غير مكان، قال في موضع آخر:

وما نطفة صهباء خالصة القذى بحجلاء يجري تحت نيق حبابها

وحجلاء: اسم لأكثر من موقع في منطقة عسير، فحجلاء: موقع بلدة يمر بطرفها مجرى ماء غزير، تظله الأشجار، بين أبها وخميس مشيط، وحجلا: جبل في بلاد الحباب بالقرب من تثليث، والحجيلا: اسم علم لوادي ينحدر من سراة بلقرن ويتجه للشرق، والحجيلاء : واد بمحافظة تثليث ينحدر من هضاب على اسمه ومن جبال شواحط والمهارة ويتجه للشمال حتى يلتقي بسهل العمق، شرقي الأمواه، والحجيلاء: واد ينحدر من جبال الكفاة ويرفد وادي الثغن من غربه بعد التقائه بوادي شرف[1]. ولا شك أن تكرار مثل هذه المفردات وتوافقها مع اللهجات المحلية ومع أسماء المواقع يوثق عمق حضور اللهجات المحلية السائدة والمواقع المتعلقة بها التي يظهر أثرها في شعر شعراء البلاد، قديما وحديثاً. الى أن يقول:

وريدة ذات الحقل بيني وبينها سرى ضيقة سار إلي حبيب
وبالحقل من صنعاء كان مطافها كذوبا وأهوال المنام كذوب

.... إلى أن يقول:

رأيت لها نارا وبيني وبينها من العرضِ أو وادي المياه سهوب

.... وأتم القصيدة ٩١ بيتا وأضاف بيتا منقطعا فتكون ٩٢بيتاً.

... .. إلى أن يقول: "وله من كلمة له:

مرى الدمع من عينيك دارٌ محيلةٌ بفيض الحشا تسفي عليها دبورها

---

(١) الحربي، علي ابراهيم، المصدر السابق، ج١/ ص٤٤٥ـ٤٤٦، ص٤٤٧ .

عهدت بها سربا أميمة فيهم ... ولم يدع بالبين المشتُّ أميرها
وقفت وأقرأت السلام فلم تبن ... جوابا ولم تعرب لمن يستحيرها

.... إلخ . وأنشدني أبو جهم البيشي:

وقد أيقنت أن لست مجمعا ... عزاء وألا يجمع الشمل جامعه
رجيع هيام مرتين فمنهما ... قديم وذا الثاني الذي هو رادعه
تروى على خمس وقد تمت الضحى ... بأعوص من ترجٍ وبيٍّ وقائعه

.... إلخ. ... إلى أن يقول:

وقال: هذه أخرى أدخلها من ساءت روايته فيها، وهذه يرويها الفصحاء لابن الدمينة على حيالها على حدة:

قفي يا أميم القلب نقرأ تحية ... ونقضي الهوى ثم افعلي ما بدا لك
فلو قلت طأ في النار أعلم أنه ... هوى منك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطيتها ... هدياك لي أو هفوة من ضلالك

ويعود بعد أن أتم القصيدة فيقول: " ومن روى الثانية لابن الدمينة، جعل هذا أولها وزاد فيها هذين البيتين:

قفي يا أميم القلب نقرأ تحية ... ونقض الهوى ثم افعلي ما بدا لك
وأنت كمثلوج صفا في قرارة ... على متن صفوان بمجرى المهالك
يشاب بما تجني النحال وما ترى ... بأوعر من عروان صعب المسالك

وفي روايته لهذه القصيدة التي أوردها عن ابن الدمينة - وابن الدمينة ممن سارت بشعره القوافل، وتردد صداه في الآفاق، ورواه عنه أهل الكوفة والبصرة، وله ديوان معلوم، نجد الهجري ينبه إلى أنه أدخلها من ساءت روايته فيها، ثم يقول: "وهذه يرويها الفصحاء لابن الدمينة على حيالها على حدة" ثم يشير إلى من قرؤوا القراءة الثانية ويورد أبياتا، ولست أجد ما يميز مقصد الهجري بجلاء، فهل هي تمييز لما ينقله الفصحاء عن سواهم، أم أنه اشارة للتشكك فيما يرويه الفصحاء، فقد انتقص من النص الذي قال انه يرويه الفصحاء، مع أن الإشارة الأولى أقرب إلى مقصده، إذ كان الهجري يعلي من شأن الفصحاء والفصاحة ويشير إليهم. ولا شك أن هذه الإشارة التي خص بها بعض شعر ابن الدمينة بالذات تدل على تنبه الهجري لما يميز الشعر البكر

القادم من مورده كأولئك الذين ينفرد بالرواية عنهم، وبين الشعر الذي لاكته ألسن أهل الكوفة والبصرة حتى أفقدته عذريته . وعروان: جاء هنا اسم موقع صعب المسالك، وقد جاء اسم عروان عند الحموي نقلا عن الأدبيي: جبل في هضب عروى[١]، وجاء اسم جبل مما يلي مكة وهو الذي عليه الطائف وما حولها[٢]،ولعل "عروان" "عروى" هو المقصود هنا حيث عروى جبال في وحفة القهر[٣]، بالقرب من تثليث وهي مناطق مجاورة لبلاد الشاعر وقبيلته. قال وأنشدني الحسن بن عارم الرويبي رويبة هلال بن عامر لابن الدمينة وكان من البداة:

ألم تسأل الربع الذي غير المحل ... بأجرع بين الهضب والعقد والسهل
بأجرع راب كل عام تعُلُّه ... ذهاب الغوادي والدجان مع الفجر
إذا ما الحيا ً المكنون أودى رأيته ... لهلك الثرى بعد الحيا رابي البقل

... إلى آخره ٣٠ بيتا.

قال: لما أنشد الهجري لابن الدمينة:

فشهدا رنوم فالأشاقر كلها ... فعبران دوني رمده فكلاكله

ورد في قصائد ابن الدمينة أسماء عدد من المواقع مثل: جيلان التراب، حجيلاء، ريدة، صنعاء، العرِض، وادي المياه، فيض الحشا، أعوص، ترج، بيّ، عروان، أجرع، الهضب، العقد، السَهل، شهدا رنوم، كلاكل، عبران، رمد، الأشاقر. منها ما هو معروف مثل ترج: الوادي المشهور الذي يصب في وادي بيشة، وصنعاء، وريدة: مواقع معلومة في اليمن. وقد وردت مواقع في اليمن في بعض أشعاره عندما كان في صنعاء، العرض: ترد عند المحقق للإشارة للعارض، والعرض مفرد العروض أحد أقسام الجزيرة العربية (اليمامة والبحرين)، والعرض من نجران[٤]، عرٍوان: سبق الإشارة إليها، وقد أورد الهجري من شعر عبدالله بن الدمينة (١٧٦) بيتاً.

(٢٢)عبدالله بن عاصم العائذي العقيلي: وأنشدني لعبدالله بن عاصم الغيلاني أحد بني عائذ من ربيعة بنت عقيل في جمل الخثعمية من الغفرات من آل بني الحكم، قال أبو علي: ليس الغفرات في العرب إلا في خثعم، وهو نور العنب أول ما يطلع:

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤/ ص١١٢ .
(٢) البكري، معجم ما استعجم، ص٩٣٦ .
(٣) النوادر، ص١٥٣٠ .
(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٨ .

وتحسب نور طول هجر هجرتها مباغضة أو أن ودي تغيرا
علي إذا صوم الشهور أعدها مؤقتة يا جمل حولا موفًرا
ولكن من يمسي بثهلان أهله يطالب وصلا من مريغان أزورا

وثهلان: اسم علم لجبل أسود مشابه في الاسم لجبل ثهلان الشهير من نجد الذي إذا أطلق فإنما يعني (ثهلان نجد) المشهور في المعاجم وكتب الأدب. وهذا جبل يقع بين الخانق وظهران الجنوب وفيه فرقة تعدينية تنقب عن المعادن في هذا الجبل منذ زمن[١]، ولا نعلم أيهما مقصود الشاعر إذ البيت يدل على التباعد بين الموقعين فإلى أي مدى يمكن أن يكون هذا التباعد، ومريغان: موقع بالقرب من تثليث كان أحد المحطات في طريق جيش أبرهة في غزوته على قبائل معد وبني عامر بجهة حلبان، وتربة، وقد اشتهر بنقوش عثر عليها في هذا الجبل عرفت بنقش مريغان تشير إلى هذا الجيش وحملته[٢]. وعقيل: كانت مواطنها بجهات بيشة[٣]،ثم تثليث وما إليها[٤]، ثم استقرت بالعقيق، بينما انتقل فرعها عائذ - ربما في ما بين القرنين الأول والثاني - إلى الرين، وجمل من خثعم من بني الحكم من الغفرات، وتقطن حسب القصيدة في مريغان، ما يدل على أن بني عائذ وخثعم تجاوروا بجهات مريغان من تثليث وما إليها قبل رحيلهم للريب (الرين)، وقد ورد للشاعر (١٠) أبيات.

(٢٣)عبدالله بن العجلان النهديّ: وقال عبدالله بن العجلان النهدي:

ولكنها ترمي القلوب إذا رمت بسهمين ريشا ريش لغب من الكحل

وزيادة في مقطوعة ابن العجلان بعد: رياض الجريب أو رياض المطاليا

فقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان ظن اليأس أن لا تلاقيا

... وبعد قوله:

قد أخرج فيها العبد حمرا تربعت رياض الرباب ما تخالط راعيا
لقد خفت فاستعلي على ذاك واسلمي قريرة عين أن أكون لما بيا

(١) الحربي، علي ابراهيم ناصر، المصدر السابق، ص٣٤٧ .
(٢) الأنصاري والأسمري، عسير حصن الجنوب الشامخ، ص٣١، ٣٢ .
(٣) الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٥٢٩ .
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٤ .

رياض الرباب: موقع دون تثليث[(١)]، والجريب: هجرة بالمحالة لبادية الموادعة من بني شهر الواقعة بمركز البهيم بوادي ترج [(٢)]، والجريب من بلاد ربيعة في الجاهلية، وكان بقربه يوم بين مذحج وربيعة يقول الشاعر:

منعنا الغيل ممن حل فيه   إلى بطن الجريب إلى الكثيب [(٣)]

والغيل: واد من موارد حبونا حوالي نجران[(٤)]، والكثيب: وادي شرق وادي بن هشبل [(٥)]، ومجموع ما ورد للشاعر (٥) أبيات فقط.

(٢٤) ابن العرقوب الحماسي: قال: "سألته عن بوانة في بيت ابن العرقوب الحماسي وليس ببوانة حضن" :

ألا هل أتى من حل بطن حبونن   ونجران أخبار الأمور الجسايم
بأنا رحلنا العيس من ذي بوانة   وثجر على رأي من القوم حازم

فقال : بوانة فرط، والفرط طرف الجبل، اذا انقطع في الرمل، والجمع الأفراط، وسمي الفرط أيضا العان والجمع العوان، من جبال دهر، وهو واد للقوادم من كندة بين رخية ومطار، عن حضرموت بيوم، ورخية بها القرى، ومطار واد خال، قال أبو علي: هذا كله أقصى الضاحية وأول بلاد حضرموت". وقال في موقع آخر ـ في تحديد المواضع ـ بعد البيتين أعلاه: "ذو بوانة قرب نجران لا أدري ما هو" ويذكر الجاسر في الهامش أن البيتين وردا للهجري في الكتاب منسوبين لابن ذي العرقوب من الحماس من بني الحارث بن كعب من مذحج والمنشد ابن علكم المرادي.

وبنو الحماس نسبة للحماس بن ربيعة بن الحارث بن كعب من مذحج، وقد يقال لأيهم الأحمسي، أو الحماسي كما هو هنا، وقد شاركوا في حروب زبيد ومذحج مع بني سليم ـ في تثليث وما إليها ـ قبيل البعثة النبوية، قال الحصين بن عمرو الأحمسي:

ألا هل أتى أهل العراق وبيشة   ومن حل أكناف الكثاب وتنضبا

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٢/ ص٦٣١ .
(٢) الحربي، علي بن ابراهيم، مصدر سابق، ج١/ ص٣٨٠
(٣) الهمداني، الصفة، ص٢٨٧ .
(٤) الحربي، المصدر السابق، ج٣/ ص١٢٦٧ .
(٥) الحربي، المصدر السابق، ج٣/ ص١٣٩٠ .

بـأنـا كفينـا يـوم سـارت بجمعها سليم إلينـا ثـم مـن قـد تغيبـا[١]

وثجر موقع جنوب ماء "قرية" على طريق نجران، وهو من ديار بني عامر يقول المجنون: خليلي إن

كـانـت وفـاتـي فـارفـعـا بي النعش حتى تدفناني على ثجرِ. [٢]

حبونـن: من بلاد يام بين نجران وتثليث[٣]، وسيأتي معنا في المواضع. ونجد من خلال المواقع والأبيات أن هذه المواقع المشار إليها كانت بجهات نجران وما إليها من بلاد بني الحارث بن كعب، وقد أورد الهجري لهذا الشاعر بيتين فقط.

(٢٥) علي بن جعدب القناني الحارثي: قال الجاسر في الحاشية: "قال مغلطاي في حواشيه على "معجم الشعراء" ٢٨١ ط القدسي. قال الهجري: علي بن جعدب القناني صاحب يوم سحبل على عقيلٍ، وهو من بني الحارث بن كعب مذحجي، ولم يذكر مغلطاي أن الهجري اورد له شعراً. ولعله غفل عن هذا فهو لم يذكره بين الشعراء إلا لكون الهجري اورد شيئًا من شعره. والمرزباني صاحب "معجم الشعراء" عدَّه شاعرا إسلاميا، فقال. ص٢٨١ طبعة القدسي.: علي بن جعدب اسلامي لما أغارت بنو عقيل على بني الحارث بن كعب وأخذوا إبل جعدب فقال:

أمخترمي ريب المنون ولم أسق مخاض ابن عيسى في فوارس أو ركب

ابن عيسى رجل من عقيل، والركب: جمع الإبل.

ولما أقد خيلا بخيل ولم أجل بأغباش ليل عرج نهب إلى نهب
أظن عقيلا بالوعيد تروضني فما يثبت الكفل الضعيف على الصعب
ألم أك قد لاقيتكم يوم سحبل فلم ينجكم سهل ولا جبل صعب

أحداث هذه القصيدة تدل على أن الشاعر معاصر للشاعر الحارثي الآخر: جعفر بن علبة الحارثي والذي عاش في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة.

(٢٦) عمرو بن معدي الزبيدي المذحجي: انشد في شعر عمرو بن معدي:

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤/ ص٤٣٧ .
(٢) الهمداني، الصفة، ص٢٦٦ .
(٣) الهمداني، الصفة، ص١٦٤ .

كأن جلود النمر جيبت عليهم ... إذا لحلحوا بين الإناخة والحبس

والنُّمُرُ: جمع نَمِرٍ ويروى جعجعوا مكان لحلحوا.

عمرو بن معدي:

وكم ساد قبلي في زبيد فلم أكن ... لمن ساد قبلي ذا ضداد منافسا
وسدت فلم أفخر وذدت عن الحمى ... وأخرجت عنه جنَّه والأبالسا

وعلق الجاسر على البيتين الأخيرين بقوله: "ولم أر البيتين في مصدر آخر". ولعل ذلك مما يزيد الدلالة على أهمية كتاب الهجري، وعمرو بن معدي كرب أحد أشهر فرسان العرب وشعرائها الذين كان لهم ذكر، وهو شاعر مخضرم عاش الجاهلية وأسلم وشارك في معركة القادسية، وكان مقيما في تثليث وكان له حصن ونخل بها كما يقول الهمداني[1]، إلا أن ما رواه الهجري خلا من الإشارة لوجود زبيد المذحجية بهذه الجهات في مرحلته أو ما قبلها، كما لم يورد لهم شعراء، بما يرجح أن زبيد قد هجرت تثليث منذ وقتٍ مبكر من العصر الاسلامي فانقطع ذكرها بها، أو أن وجودها بها كان وجودا محدوداً، وقد ورد في التعليقات لعمرو بن معدي (٣) أبيات فقط.

(٢٧) أم عمرو: (ميلاء) صاحبة كعب بن مشهور: أورد اسمها ضمن أسماء الشعراء، ولم يورد لها شعراً، فلعله وقع في ما تلف من المخطوطة.

(٢٨) العملس القحافي الشهراني الخثعمي: وأنشدني للعملس القحافي. وقحافة بطن من شهران.:

نحن الذين ورثنا الطود عن إرم ... أيام أحمس وافاه بأنمار
أيام حمير تعلو نار عزتها ... ما أوقد الناس في الآفاق من نار
أيام كهلان قومي ضابطين لهم ... ما ضمت الأرض من بدو وأمصار
تجبى إليهم إتاوات البلاد ولا ... يعصيهم من مقيم لا ولا ساري
فتلك آثار آبائي بمأرب لا ... يفوقها اليوم من رسم وآثار

في الهامش علق الجاسر على النص بقوله: "لم يرد فيما اطلعت عليه من كتاب الهجري ذكر العملس القحافي هذا، وإنما رأيته في كلام منسوب للهجري سيرد بنصه كاملاً في رسم (أحمس) من الأنساب، ورد في كتاب منسوب للأصمعي خطأ، وطبع

(١) الهمداني، الصفة، ص٢٢٨ .

باسم (تاريخ العرب قبل الإسلام) . وقد أوضحت خطأ نسبته في موضع آخر . والأبيات فيه (٧٠) ، وقحافة هو قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن نسر بن واهب بن شهران .... "[١] ... انتهى. وللمزيد من التفصيل حول الخطأ الذي ذكره الجاسر في كتاب الأصمعي ننقل ما قاله الجاسر في موضع آخر من الكتاب حول هذه الملابسات في كتاب الأصمعي فقد قال في حديثه عن من نقلوا عن الهجري عندما وصل للحديث عن الهمداني ما يلي: "وعلامة اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المولود سنة (٢٨٠ هـ) مؤلف كتاب "الإكليل" و "صفة جزيرة العرب" و "الدامغة" وشرحها و "سرائر الحكمة" و "الجوهرتين" وغيرها من المؤلفات، ممن أخذ عن الهجري وصرح بذلك كما تقدم النقل عنه " .

١- فقد ذكر في شرح الدامغة روايته عنه. **٢-** ونجد في كتابه صفة جزيرة العرب نقولا لا نستبعد أن يكون أخذها عن الهجري وإن لم يصرح بذلك .... " ..... إلى أن يقول: "**٣-** ونجد نصا منقولا عن الهجري في الكتاب المنسوب إلى الأصمعي والمطبوع في بغداد باسم "تاريخ العرب قبل الإسلام" وهذا الكتاب لا شك أنه لغير الأصمعي، ونميل إلى أنه من تأليف الهمداني، ونجد لهذا الكتاب أصولاً متعددة منسوبة إلى مؤلفين مختلفين، نجد أطول نص لهذا الكتاب ما ورد منسوبا إلى عبيد بن شرية في كتاب طبع في الهند مع كتاب "التيجان" المنسوب لابن هشام. وصورة أخرى للكتاب نجدها في مكتبة (الامبروزيانا) في ايطاليا تحت رقم (G3) باسم كتاب السيرة عن دغفل الشيباني، وفي خلاله روايات عن ابن الكلبي ، وعن عبيد بن شرية الجرهمي . ونجد صورة ثالثة في كتاب لا يزال مخطوطاً بعنوان "كتاب فيه وصايا الملوك من ولد قحطان بن هود" تأليف علي بن محمد بن الدعبل بن علي الخزاعي، وقد طبع في العراق منذ أمد منسوبا إلى أحد مشاهير الأدباء المتقدمين. "[٢]. ومن الملاحظ ركاكة القصيدة، معنىً ولغةً، فلم تكن على نسق قصائد بقية الخثعميين الذين روى عنهم الهجري، والتي اتصفت بالجزالة وقوة المفردات وحسن التصوير وإدراك المعنى، ومن خلال المفردات واللغة والتوجه والأسماء، فلا شك أن ناظمها ممن تواشجوا مع الصراعات في العواصم العربية، بل هو ممن لهم يد طولى في إثارة التحشيد والصراع بين العرب على أساس التقسيم البائد المزعوم (قحطان وعدنان) ، ومن الواضح أن من نحل هذه القصيدة التي لا تنتمي للبيئة المنسوبة لها، هو نفسه من نحل قصائد شتى على لسان حسان بن

---

(١) ج٢/ ص٧٧١ .
(٢) التعليقات والنوادر، ج١/ هوامش ص٢١٢ .

ثابت وغيره لإثارة العصبية، وهو ذاته من وضع الكتاب الذي ذكره الجاسر. والذي يسيء للتاريخ العربي ولتاريخ الشعر الجاهلي ومصداقيته. ثم ألحقه بالأصمعي زوراً، فلم يرد اسم الشاعر ولا القصيدة في كتاب الهجري، بل ورد منسوبا إلى الهجري عن الشاعر في الكتاب المنحول. والمنسوب لعدة أسماء. (٥) أبيات هي المدونة أعلاه.

(٢٩) عمير بن عبدالله (العجير السلولي): وأنشدني في مقطوعة العجير السلولي:

فتى غير مسمان الفصال ولا يرى	**سمينا ولا تغدو بذم شوايله**
يجوع إذا ما جاع في بطن غيره	**ويرمي إذا ما الجوع أقنت مقاتله**
كريم ترى جيرانه يألفونه	**كما ألفت جزع الحبيب هوامله**

الحبيب: بلد من حضن عذاةٌ مراةٌ من الأرض، ينبت الهرم والرمث والرغل وضروب الحمض ......، وذو الجبيب: واد من تربة مراة عذاة. (*) حضن: جبل في محافظة تربة. وبنو سلول: هم بنو مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن، ويعرفون بأمهم سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة[١]، ويرى الجاسر أنهم من خزاعة[٢]، وبلادهم منتشرة على وادي بيشة حوالي بيشة (المدينة) وشمالها، ورد للشاعر في الكتاب (٤) أبيات.

(٣٠) غامدي: قال وأنشدني السروي، أحد بني غواية شنوي، لبعض غامد، في قتل عبدالله بن أبي النعيم اللهبي، أحد بني رهم والنسبة إليهم غواوي، ولا نظير له :

نزعنا قلب لهب من حشاها	**وألقينا الجحافل والبطونا**
قتلنا يوم ذي غلف فتاهم	**وسيدهم وأصبحهم جبينا**
وأوردهم بنصل السيف صلتا	**وأعجلهم قرى للطارقينا**

للشاعر في الكتاب (٦) أبيات، وسنعود للشاعر بعد الشاعر الذي يليه لعلافتهما ببعض.

(٣١) اللهبي: قال بعد أن أورد أبياتا لبعض غامد في قتل عبدالله بن أبي النعيم اللهبي: فأجابه اللهبي:

صدقتم والإله لقد قتلتم	**أخانا أو أخيكم ظالمينا**
فلا وتر بذلكم نقضتم	**ولا ذهب العشيرة سالمينا**
ورب محمد وإله موسى	**لتعترفُنَّنا فيه يقينا**

---

(١) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد، جمهرة النسب، ج٢/ ص٣٧٩ .

(٢) التعليقات والنوادر، ج٢/ هوامش ص ٧٧٥

ولما أدركوا بثأرهم بابن النعيم اللهبي، قال شــاعر لهب، وأصابت لهب ابن مسروح الغامدي:

شفى النفس حتى ليس فيها حسافة	**فأمسـت بيوت الشـعـر جـاد نشيدها**
بـغـدوة أبـطـال مـن احجـن غـادروا	**حليلـة مسـروح طـويـلا حـدودهـا**
وكـم مـن فتـاة طلقتها سيـوفنـا	**فأمسى يُقَضُّ للذهـاب عمودهـا**

حدت المرأة تحد حدودا، وأحدت ـ بالألف.

وعرف أهل البادية باهتمامهم بالشعر أكثر من الحاضرة، وجل ما ورد في المؤلفات العربية من الشـعراء كان من أهل البادية، أما نصـيب أهل السـراة ـ والتي يغلب عليها الطابع الحضـري والزراعي المسـتقر ـ من الشـعر فكان جلّه من شعر الصعاليك الذين فارقوا قومهم وأصبحت حياتهم أقرب إلى حياة البادية منها إلى حياة قبائلهم المستقرة، ولكن لم يكن قلة ما روي من شعر أهل السراة الحاضرة كله لكونها بلاد قبائل مستقرة تمارس حياة الزراعة والتجارة فقط، بل لقد كان للبعد عن مواقع الرواية في العواصـم العربية الشمالية في الشام والعراق أثر كبير في تواري معظم شعر هذه المنطقة، لذا نجد الهجري الذي كان من أبناء الجزيرة العربية ويكتب من الجزيرة العربية، ورغم أنه كان بعيد نسبيا عن هذه المنطقة، إذ كان مستقرا في عقيق المدينة المنورة، إلا أنه أورد لنا عددا من شعراء المنطقة الحاضرة في بلادهم، يفوق في حضوره النسبي ما أورده أولئك الذين كانوا يدونون من العواصـم البعيدة. ومن المهم ملاحظة أن الشعر هنا ليس مجرد نشاط جانبي بحثاً عن الذات، بل هو جزء من صـراعهم الذي يحمل صـفة الجدية، فالشاعران هنـا يتحدثان ويقرران باسـم القبيلة كمـا لو أنهما الناطقان الرسـميان لقبيلتيهما، وهو ما يدل على أهمية الشـعر عند أهل جبال الحجاز الغربية بسـراتها وصُـدُرها، وحضوره الجدِّي في حياتهم حتى وهم يمارسون عملهم الزراعي في حقولهم.

ومـن الدلالات المهمة لهذه القصـائد التي أوردها الهجري، تسـليط الضـوء على النشـاط القوي خلال هذه المرحلة لقبائل لم يعد لها وجود مسـتقل وشـهرة كتلك التي عرفـت عنها سـابقاً، كقبيلة "لهب" التي يبدو أنها قد دخلـت في قبيلة غامد، ولهب من بني نصـر من الأزد، وهم: بنو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بـن مالك بن نصـر بن الأزد[1]، وتسـكن حالياً في تهامة بلاد غامـد بجهات وادي نيرا

(١) الكلبـي، أنسـاب معـد واليمـن الكبـير، تحقيق ناجي الحسـن، عـالم الكتب، مكتبـة النهضـة العربية، ط١٤٠٨،١هـ/ ١٩٨٨م، ج٢/ ص٤٨٠ .

وشدى الأسفل، فهي بذلك في إطار بيئة بني نصر بن الأزد (شنوءة)، في منطقة الباحة. كما أن إشارة الهجري إلى الراوي السروي- أحد بني غواية- الذي كان يروي عن بيئة بلاد غامد وزهران وشكر ولهب وما إليها باسم "الشنوي" تحمل دلالة واضحة على المستفيض حول مفهوم قبائل "شنوءة"- الأزدية- الوارد ذكرها في كتب التاريخ في تلك المرحلة المبكرة، وأنه خاص بقبائل بني نصر بن الأزد من غامد وزهران ولهب وما إليها، كما ورد في المصادر، وقد نقل الهجري للّهبي (١٤) بيتاً.

(٣٢) قريش بن عبدالرحمن العذمي الشهري الأزدي: قال وأنشدني أبو بريه العذمي لقريش بن عبدالرحمن العذمي، وكل من الأسد:

أيا نخلة الجزع التي تم بينها	لها منظر ترضى به العين سائغ
جناها جنى فوق الجنى أسبلت به	شماريخ منها مستقل ودانع
ردافى بطوقين استقلا على القنى	بمختلف اللونين غضٌ ويانع
أنا اليوم صب في يديك متيم	جنيب مجيب قاده الشوق كانع
أخو شقة يشكو تباريح حبكم	شكور لما نولته منك قانع

الجزع: اسم موقع على جانب وادي تبالة من قرى الفزع من خثعم. غير بعيد عن بلاد الشاعر، والجزع منعطف الوادي، ولعله المقصود في القصيدة[1] . من الألفاظ المحلية في قصيدة الشاعر نجد قوله "فاستشليه"، وتعني في لغة السراة فانقذيه واخرجيه مما هو فيه، والأخرى في قوله: "برايك يصنع"، وقد لفت إليها الهجري، وقد ورد للشاعر (٧) أبيات.

(٣٣) كعب بن مشهور المخبلي الشهراني: وأنشدني لصاحب أم عمرو وهو كعب بن مشهور المخبلي:

دعتك دواعي أم عمرٍو ولو دعت	صدى بين أرماس لظل يجيبها

فيا أم عمرو ثوبي ذا قرابة أثابك جنات النعيم مثيبها

أثيبي فتى يغدو مع الشمس شوقه	مراراً ويأتيه بشوق غروبها

وأورد (٢٥) بيتاً .

(١) الحربي، علي ابراهيم، مصدر سابق، ج١/ ص٣٨١ .

والدروج: كثيرة السير، (صيغة مبالغة من الدارجة)، وفي اللهجات المحلية في السراة وما إليها من الشرق يكثر استعمال هذه المفردة، كما يكثر استعمال الوزن (فَعُوْلْ) ذاته للدلالة على صفة ما. للأنثى فقط. مثل "اللّعُوب" : صيغة مبالغة من اللعابة، و"السَّرُوق" صيغة مبالغة من السارقة، "النهوب" : صيغة مبالغة من النهابة، ويطلقون على الناقة المفتقدة لوليدها "الخلوج"، لأنها تكثر الخلج. الحركة والاضطراب. حزناً عليه، فهي صيغة مبالغة من الخالجة. .... إلخ، وقال أبو علي: أنشدني أبو الميمون القشيري لصاحب أم عمرو:

تمنيت أم العمر حتى رأيتها	يُفَلِّتْنَها بَيْسَ الثواب يثيب
ألا حبذا عيناك من مُتَفَلِّتٍ	وبرد الثنايا منك حين تطيب

بيس. بفتح الباء. لغة فصيحة لقشير ونهد وخثعم وسلول ومن تيامن من نجدية العرب. ومن تيامن تعني من سكن الجنوب، ونجدية العرب هم سكان المناطق النجدية وهي تلك الواقعة إلى الشرق من جبال الحجاز، ويقصد هنا منطقة العالية، وهم من كانوا على امتداد ما بين تربة وجرش ونجران، أي الممتدة على عروض نجد كل من وادي بيشة وترج وتبالة ورنية والمراغة، ومن خلال تعليق الهجري نجده دائما ما يشير إلى القبائل التي ذكر وهي الواقعة ما بين تربة ونجران إلى جرش. منطقة الدراسة. باختصاص ما في النطق، بما يدل على أنه كانت لها هويتها اللغوية من خلال لهجتها الخاصة". قال وأنشدني الأوسي للجلحي وكل من خثعم:

يا نفس حني فقد أمسيت مفردة	عن من بُليت بذكراه وعدِّيت
عمن تودين حتى أنت صادية	لا ترتوين ولو في اليم خليت

والشاعر مجيد مجزل، ولغة الشاعر وصبغته الشعرية هنا تنتمي إلى اللغة والصبغة الشعرية لمرحلة شعر النسيب الذي ساد في الجزيرة العربية خلال القرن الهجري الأول وما بعده إلى عصر الهجري، والذي عُرِف خلاله ما سمي بالشعراء المجانين أو الصواحب، فصار لكل شاعر حبيبة يعرف بها مثل مجنون ليلى (ابن الملوح)، وجميل بثينة، ومجنون لبنى، وصاحب أميمة، وصاحب أم عمر، وصاحب جُمّل، وصاحب ميلاء (شاعرنا هنا)، وغيرهم ممن ساد شعرهم خلال القرون الأولى، وكان قسم كبير منهم في المنطقة الواقعة شرق جبال الحجاز حيث كان شاعرنا هنا. وقد نقل له الهجري عددا كبيراً نسبيا من القصائد امتدت في الكتاب على تسعة صفحات، وكان نقله لها عن عدد من الرواة، وهم من جليحة، ومن أوس (أوس شهران)، ومن شهران خثعم، ومن قشير عامر، ومن عقيل عامر، وهو ما يدل على اتساع شهرته بين القبائل في الجزيرة

العربية، كما أن قصائده حملت لنا عددا كبيرا من المواضع، ستأتي الإشارة في المواضع لما أمكن تعريفه منها، وقد نقل الهجري (١٣٤) بيتاً للشاعر.

(٣٤) كتيف بن صدقة اللبيني القشيري: أنشد الهجري للكتيف بن صدقة اللبيني القشيري في أماليه شعرا يرثي به المريفع بن زيد القرطي وأجابه سليمان بن يزيد الأبروني العتكي من وحفة القهر. كان ذلك ما ورد في الكتاب وأشار الجاسر في الهامش انه نقل عن مغلطاي[١]، ولكن لم يرد في الكتاب له شعراً.

(٣٥) القرطي من بني مالك قشير: أنشدني أبو نافذ الخفاجي للقرطي من بني مالك قشير:

خليلي ممن يسكن الريب قد بدا هواي، فلا أدري علام هواكما
فإن كنتما مثلي مصابين في الهوى فروحا، فإني قد مللت ثواكما
وروحا بنا نجعل قنيا وأهله شمالاً ومرًّاً منه حيث يراكما"[٢] .

ومن خلال القصيدة، فإن قشير الذين أشار الهجري إليهم كجزء من منطقة العالية كانوا يقطنون في مناطق ما بعد الدبيل. الواقع بجهات تثليث وما إليها. جنوبا قبل انتقالهم للريب، وقد أورد الهجري أن ثجر ماء لبني قشير[٣]، وهو واد يرد من جهات بلاد يام ويصب في تثليث، ويقع حالياً بديار قبيلة الحباب، وهو إلى الجنوب عن الدبيل. الذي أشار له الشاعر، وفي إطار نفس المواقع، وللشاعر في كتاب التعليقات والنوادر (٧) أبيات.

(٣٦) مزاحم العقيلي: قال: وأنشدني علي بن المضاء و(جمع من الرواة من عقيل وسليم)، وأورد بعدها قصيدة من (١٠٤) أبيات يقول في أول ما ورد منها:

أمن أجل دار في الأغر تأبدت من الحي واستنَّت عليها العواصفُ

.... إلى قوله: في تعليقه على قصيدة عقيلي آخر. عند ذكره للشرى[٤] .. ما يفهم منه أن الشرى جبل بجوار نجران، أو لعل شرى بني عقيل وسروهم مختلفان، والله أعلم، ولمزاحم في كتاب الهجري (١٣٣) بيتاً.

(١) التعليقات والنوادر، هوامش، ص٨١٧، رقم ٤ .
(٢) التعليقات والنوادر، ص١٤٨٥ .
(٣) التعليقات والنوادر، ج٣/ ص١٣٦٠ .
(٤) ص١٥٠١ .

(٣٧) المضاء بن هشام النهدي: وروى في بيت المضاء بن هشام الدودي من نهد:

ومن نظري إلى البورين شرقا كأنهما حُواراً مستفيق

ورواية الزهيري: (البلقين) وكلا الروايتين معناهما قرينان كالعلمين. وهذا كل ما جاء عنه، وهذا البيت هو كل ما ورد له.

(٣٨): مطرف بن محمد بن سليط الخثمي:

أتاني منها بعد نأي وهجرة وتكثير أقوال الوشاة رسول

يقول الجاسر في الهامش: "والخثمي في قبائل في هذيل، وفي سليم وفي خثعم وفي طييء ولم أر ما يوضح نسبة هذا الشاعر فيما بين يدي من المراجع". ولم يأت الهجري لهذا الشاعر - الذي يظن بخثعميته - سوى بهذا البيت.

(٣٩) المغاور بن جبير العائذي العقيلي: جاء فيه نصاً: "غيره:

فما وجد مكتوف الجناحين طيِّرت ألايفه من حوله وهو واقع
ولا وجد ملواح الصدى غضويَّة برأس الشرى سدت عليها المطالع

الإبل إذا أكلت الغضا من بين الحمض وردت كل يوم، فإن لم ترد ضرها أكله وأذهب لحومها، فلذلك يذكرون الغضا دون سائر الحمض. والشرى: جبل انقطع عن الطود يومين، ونجران في سنده بينها وبينه بعض نهار." يتضح من كلام الهجري عن الشرى المقصود في قصائد العقيليين، أنه جبل يبعد عن الطود يومين وهو ما يقدر بحوالي (٧٠) كم، وعن نجران بعض نهار، ما يعني أنه بجهة العالية ملاصق لنجران إلى حد ما. فهو بذلك متداخل مع بلاد بني الحارث بن كعب، وهو بالتالي جبل آخر غير ذلك الواقع غربي بيشة، وهذا البيت هو كل ما جاء له..

(٤٠) النسعي الخثعمي: "وعن قول النسعي الخثعمي:

أمغترب أمسيت وسط منبه ألا كل نسعيٍّ هناك غريب

بنو منبه من قحافة شهران، ونسعة فصيلة من عامر أكلب"

ويعتب الشاعر على أبناء عمومته من بني منبه عتب القريب لقريبه، ومنبه وأكلب كلاهما من خثعم، وقيل بأن أكلب من أكلب ربيعة، وهذا البيت هو كل ما هنالك.

(٤١)النهدي (أو الخثعمي): وأنشدني للنهدي، وتغرب بصنعاء، ويقال للخثعمي:

أسائل ركباً ذات يوم لقيتهم بصنعاء والأخبار تجري عيونها

.... إلخ (٧ أبيات)، أيضاً:

كأني غداة استظعن البين أهلها وجد مناديها وحان ركوبها
أخو ورد حمى قرقف خيبرية تعاوره دورانها وفتورها

وخيبر المقصود هنا في بلاد خثعم، ويوجد ثلاثة مواقع بهذا الاسم في بلاد خثعم، فهنالك "خيبر" من قرى بني منبه من شهران تقع شرق مركز الحازمي بمسافة (٤) أكيال على جانب وادي ترج، وهنالك أيضاً "خيبر" من آل منيع من قرى أكلب من خثعم على جانب وادي بيشة شمال مركز النقيع بمسافة (٥)كم، و"خيبر" الأهم، اسم بلدة ووادي، وقد أضيف لاسمه حديثا "الجنوب" فأصبح اسمها "خيبر الجنوب" تمييزا لها عن خيبر المدينة، وهي بلدة كبيرة على جانب وادي السلام لآل خزام من بني واهب من شهران خثعم، وتقع على الخط المعبد من خميس مشيط إلى بيشة من غربه، ويذكر فؤاد حمزة أنها أكبر من خيبر المدينة، وفيها رجوم وركام من الصخور السوداء وفيها شعبان كثير وأودية كثيرة، إلا أن أكبرها شعب "السليل" وأعظم منه "شعيب خيبر" الذي يرفد شعيب المسيرق، وتقوم بالقرب من خيبر عدة جبال أهمها جبل "شاع" إلى الجنوب الشرقي منها[1]، والراجح أنها المعنية في الأبيات أعلاه، وللشاعر (٩) أبيات.

(٤٢) نهدي: وأنشدني ابن بريه، قال أنشدني شيخ من مرة نهد ساكني تثليث، لبعض نهد، وأنشدنيها أبو عمرو الزهيري، وهذه الرواية أتم من روايته، .... أورد أبياتا في الغزل إلى قوله:

(٤٣)نيار بن عبدالعزيز الحارثي المذحجي: قال : وأنشدني أبو الرديني لنيار بن عبدالعزيز وكلاهما من بني الحارث بن كعب مذحجي:

عرفت لسلمى رسم دار وملعب عفته السوافي من شمال وأزيب
وقدنا إليها الأعوجية ترتمي بفرسانها قود القرين المجنبي
فلما بلغنا رأس ميدانها الذي هو العلم الأقصى إلى رأس أكثب

---

(١) الحربي، علي ابراهيم، المعجم الجغرافي ...، ج٢/ ص٦٣٨ .

تبادرت الشد الجياد فلم يكن كطرفة عين أو كضربة مقضب ...إلخ

وأكثب: يبدو أنه موقع في بلاد الحارث بن كعب حوالي نجران وما إليها، ولم أجد له ذكرا في المعاجم، ولعله هو الكثيب الذي عناه المرقش بقوله:

سفها تذكره خويلة بعدما حالت ذرى نجران دون لقائها
واحتل أهلي بالكثيب، وأهلها في دار كلب أرضها وسمائها[1]

وللشاعر في تعليقات ونوادر الهجري (٧) أبيات.

(٤٤)امرؤ القيس بن حجر الكندي: قال: وزاد لامرئ القيس بيتا لم أسمعه إلا منه بعد قوله: فيا عجبا من رحلها:

وواعجبا مني ومن حال ناقتي وواعجبا للجازر المتبذل

وقد كان شرط عليهن إذا نحر ناقته أن تقوم عنيزة متبذلة تجزرها، فلهذا زاد هذا البيت. وهو الذي يقول فيه امرؤ القيس:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة فبرقة العيرات
فغول فحليت فنفء فمنعج إلى عاقل فالجب ذي الأمرات

وقد علق الجاسر في الهامش بقوله: " الزائد هو أبو الغطمش المعرضي من شيوخ الهجري والبيت: ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من رحلها المتحمل" انتهى، وكان مما أشار له الهجري في المواضع "دارة جلجل"، التي وردت في شعر امرئ القيس ضمن المعلقة التي أوردنا بعض أبياتها أعلاه، إذ أشار إليها الهجري بعد إيراد عدد من الدارات بقوله: "ودارة جلجل، وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب" ...انتهى، كما سيأتي معنا في "المواضع". وأمرؤ القيس هو أحد الشعراء الذين عاشوا في منطقة الدراسة ما بين نجران والفاو وتثليث في إطار مملكتهم كندة التي كان مقرها في الموقع المسمى الفاو (قرية) وهو الواقع إلى جنوب وادي الدواسر على الطريق المتجه إلى نجران، (وهي تتبع إداريا لمحافظة وادي الدواسر)، وكان نطاق حكم مملكة كندة يمتد على كامل بلاد مذحج وكندة و(قحطان).

(٤٥) الأنعمية المرادية: وأنشدني للأنعمية المرادية من مراد، وأنعم أحد بيوت مراد، وهي أربعة : بنو غطيف، وفيهم البيت، وأعلى، النسبة إلى أعلى علوي، وسلمان، وجمل، وقرن، وتزوجت إنسانا ذهب بها إلى العراق فقالت وتشوقت:

---

(١) ديوان المرقشين الأكبر والأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر ـ بيروت، ١٩٩٨ص٨٣ .

ألا حبذا من ملك جربان نظرة وجربان من أهل العراق بعيد
ويا حبذا والله لولا مخافتي فوابله رمل معا وصعيد

جربان سايلة إلى قرب ذهبى، وملك الوادي الذي يملؤه سيله. ومن المعروف أن مراد وخاصة قبائل أنعم، وأعلى[١]، والحدأ[٢]، كانت تقطن مجاورة لجرش في جنوبي منطقة عسير وشمالي نجران ممتدة على بلاد جنب وحبونة حتى بدايات القرن الثاني للهجرة، يقول الفرزدق:

"وأهل حبوني من مراد تداركت وجرم بواد خالط البحر ساحله"

والفرزدق عاش حتى عام (١١٤هـ)، بينما الموقع الوارد في القصيدة والمسمى "ذهبى" الذي أشار له الهجري، يقع ما بين مأرب وبيحان[٣]، (بشبوة)، وهي بعيدة عن منطقة عسير، وهذا يدل على أن مراد (بما فيها أنعم) كانت قد هجرت بلاد جنب وحبونة وما إليها في منطقتي عسير ونجران قبل هذه القصيدة، ما يعني أن مرحلة قصيدة الأنعمية كانت في حدود الفترة ما بين العقد الثالث من القرن الثاني إلى نهاية الثالث للهجرة، ولعل هجرة مراد كانت في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، إذ كل القصائد المرادية التي نقلها الهجري كانت في جهات ما بين بيحان وشبوة وتلك المناطق، ما يدل على أن رحيلهم كان في فترة مبكرة.

(٤٦) حميد بن ثور الهلالي:

كأن الرباب الدهم في سرعانه عسار من الكلبية الجون ظلع
أدانيه للأمواه من بطن بيشة وللأوق والسيدان والمين يضجع

....، وله:

إن اللتين لقيت يوم سويقة لو تلمعان بعاقل الأوعال ..

....، وقال حميد:

أوقل وقد حال الأجارع دونها وغيبها علمانه وأباهره ..

(١) الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٥/ص٤٣٩.

(٢) يقول الإرياني : " أما (الحدأ) . من مراد . فقبيلة يمنية معروفة كانت منازلها في الماضي في سراة جنب وسنحان الواقعة الآن في المملكة العربية السعودية . أما الآن فإن الحدأ تنزل وسط اليمن .، انظر: الإرياني، مطهر، نقوش مسندية، ص١٣٣ .

(٣) الهجري، التعليقات والنوادر، تحقيق الجاسر، انظر الحواشي، ص ٥٢٦ .

....، وله أيضاً:

عفت المنازل بالسَّليلِ خريقُ ومغارب وروامس وشروقُ[(١)]

قال الجاسر (صاحب الدراسة) [(٢)]، "هلال بن عامر: "بنو هلال هؤلاء من هوازن، من أشهر بطون عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، .....، وكانت بلادهم في عالية نجد، ومن مياههم (مران) المنهل المعروف على طريق الحاج البصري، وتمتد بلادهم نحو الجنوب الغربي إلى قرب الطائف، بحيث تشمل عكاظ وجلدان وما حولهما، ويخالطون أبناء عمومتهم من الهوازنيين، وتمتد جنوبا بشرق لتبلغ تربة ووادي كرا وبيشة حيث يشتركون مع بني سلول في سكناها، ويخالطون خثعم في تلك البلاد"[(٣)]

وذكر البكري أن من بلادهم (البريك) [(٤)]، ولعل المراد (البرك) حيث تستقر الآن قبيلة تدعى بني هلال، تنتسب إلى أولئك، فقد يكون الهلاليون بعد مخالطتهم خثعم نزلوا إلى تهامة، مع من نزل من خثعم"[(٥)] ،... انتهى. والأمواه: جمع ماء/ والأمواه أيضا بلدة جنوب تثليث من ديار قبيلة الحباب في الوقت الحالي، وبيشة: بلدة وواد مشهور بنفس الاسم في منطقة عسير، يمتد من جنوب غربي منطقة عسير إلى شمالها الشرقي، والأوق، والسيدان: موقعان متجاوران بين بيشة وتثليث سيأتي الكلام عنهما في محله، وللشاعر (٦٢) بيتا رواها الهجري عنه في نوادره.

(٤٧) ثُبوح مولى المختار الكليبي: قال: "وأنشدني لثبوح مولى المختار بن الخطاب الكليبي كليب خفاجة:

نظرت ومن دوني (شثير) ومقلتي بجم مرارا دمعها ويفيض
لأونس أضعانا بدف (شثيِّر) بدون لعيني والنهار غضيض
قواصد أطراف (الستار) لـ(غاير) بواكر يحدو سربهن قبيض

سربهن: بفتح السين في معنى النعم، والستار وغاير جبلان قرب سقمان، من رنية، وسقمان ماءة في هضب والقبيض المسرع، قبض يقبض إذا أسرع في سيره، والطاير

(١) ص ٦٠٦.
(٢) التعليقات والنوادر، ص ١٣٥.
(٣) أحال للتفصيل إلى النظر في صفة جزيرة العرب للهمداني ومعجم ما استعجم للبكري، ورسالة عرام عن جبال تهامة.
(٤) معجم ما استعجم، ص٢٤٤.
(٥) العرب، س٢٤/ ص٥٣١.

في طيرانــه، والفرس في عدوه، وأشـباه ذلك"[١]، وهذه المواقع سـيكون لنا حديث حول دلالتها، سيأتي في قسم المواضع، وقد نقل الهجري له (١٤) بيتاً.

٥. المواضع:

أورد الهجري الكثير من المواضع في تعليقاته وكان للجاسر كالعادة إضافته المكملة، والبسط والشرح والاستدراك، وقد أفرد جزءا كبيرا للمواضع، فقد حوى الجزء الثالث - وهو أكبرها - على اللغة والمواضع، وكانت المواضع تمثل الجزء الأكبر من الكتاب، وقد نقل فيه ما قاله الهجري عن المواضــع، ونظراً لأهمية معرفة المواضع ذات الاسم التاريخي، سـواء ما كان باق على اسـمه القديم، أو حتى تلك التي فقدت أسماءها التاريخية، فقد أفردنـا مـا نقله الجاسـر عن الهجري ممـا يتعلق ببلاد السـراة والعالية مـا بين تربة ونجـران إلى جرش، ونقلناه هنا، والملاحظ أن بعض هـذه المواقع هو مما لم يعلق عليه الهجري ولا الجاسـر، وقد قمنا بالتعليق على كل ما يحتاج للتعليق - بقدر الإمكان - مما وجدنا أن هنالك ما يمكن أن يضاف للتعريف بها من المواضع، وإبداء الملاحظات بقدر ما يتوفر من المعلومات عنها. ومما جاء في المواضع التي وردت والتعليقات عليها، يقول:

(*) الأرصان:

أقـــرت بــه نجـــران ثــم حبـونـن ... فتثليث فـالأرصـــان فـالـقـرطـان[٢]

في موقـع آخر من الكتاب قال: "الأرصـان مواضـع من تثليث"[٣]. وقال في موضـع آخـر في حديثه عن الأرصــان: وهي في لغة خثعم ونهد وبلحـارث بن كعب مجتمع ملتقى الواديين، يصبان في الغائط، ومنه قول تميم بن أبي بن مقبل يهجو النجاشي: أقرت به نجران .. إلخ (أورد البيت أعلاه) .. ثم قال: كل ما سـمي من دار بني الحارث[٤]. وقد قال الهجري في وصفه بعض المواقع: "كل هذا من مدافع بيشة، وحيث تنتهي في الغائط مهب الشمال[٥] ".

يمتد وادي بيشــة شـمالاً إلى أن يفترق إلى أشـعب ويغور بعضـه في رمل شرق رنية من بلاد سبيع، بالقرب من موقع "شثير"، ويفترق في نفس الرمل وادي رنيةً إلى أشعب

---

(١) ص٥٥١.
(٢) ص١٣١٢.
(٣) ص١٤٠.
(٤) ص٥٤٢، ١٥٤٨.
(٥) ص١٤٥٩.

ويغور بعضه ثم تجتمع هذه الأشعب القادمة من الواديين لتصب في وادي واحد يتجه للجنوب مجاورا لحد منطقة عسير الشرقي، إلى أن يلتقي بوادي تثليث، ومنه يتجه شرقا إلى الربع الخالي ماراً بالخماسين، ولا نعلم ما الاسم التاريخي للوادي الذي يبدأ متجها للجنوب من منطقة تفرق ثم تجمع واديي رنية وبيشة، والذي يطلق عليه حاليا (وادي الفرشة) فلم أجد من وصف هذا الوادي، أو سماه في الكتب.

ومن خلال النصوص فإن الأرصان هي "ملتقى الواديين"، وهي "في تثليث"، و"تصب في الغائط"، ووادي بيشة ينتهي أيضاً "في الغائط مهب الشمال"، وذلك كله يسير بنا إلى أن هنالك غائطاً يقع إلى شمال بيشة، (وكأنه يقصد الرمل الذي تفترق فيه كل من واديي بيشة ورنية)، وهنالك غائط في تثليث، وهو جنوب هذه المواقع، ما يجعلنا نحتمل أن المقصود بقوله "في الغائط مهب الشمال" أي أن المصب يدفع في الطرف الشمالي من الغائط، وليس شمال بيشة. وبذلك فالأرصان: إما أنه اسم الوادي الذي يعرف حاليا بـ"الفرشة" الذي يبدأ من التقاء واديي بيشة ورنية شمال شرق بيشة، ويتجه من الشمال للجنوب بجوار الحد الشرقي لمنطقة عسير حيث يلتقي به وادي تثليث، ثم يصب في الغائط، أو أن نعتبر أن وادي رنية يصب في بيشة الذي يغير اتجاهه من الشمال للجنوب، ومن ثم فالأرصان المقصود به ملتقى واديي تثليث وبيشة الذي يتجه شرقا إلى أن يصب في شمالي الربع الخالي (الغائط).

أو أن الغائط يقصد به منتهى مصب الوادي (أي وادي)، كما نجد لدى الهمداني[1]، والأرصان مجتمع الواديين (أو مضيق الوادي)، أو مسيل الماء من الغلظ للرمل كما قد يفهم من كلام الهجري، وبالتالي فلدينا أكثر من غائط وأكثر من أرصان.

(*) **ذي الأرغاد:** أنشد لشاعر حارثي:

حسبت ركاب القوم وهي مناخة ببطحاء ذي الأرغاد برا موضعا

ذو الأرغاد: واد من أودية العبر والعبر به قلب نزع، جمع نزوع، أقل من خطام البعير رشاؤها[2]. الأشاقر: هضبات من وراء عيران، وهو جبل أحمر من وراء بيشة ذكره الهجري[3].

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٦، ١٤٥، ١٦٢، ١٦٤، ١٩٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٦٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٢.

(٢) ص١٣١٤.

(٣) ص١٣١٥.

(❃) **أشاقر:** اسم علم لسلسلة هضاب في محافظة تثليث ما بين وادي الخطباء وجبال العرف شمالي حمضة إلى مسفر من قحطان ولونها في اسمها[١] .

(❃) **أصاف:** وقال أبو نجدة السلولي: العيكان جبل دون الهجيرة بينها و(بينه) [٢] ، بيشة علم من الأعلام إلى الحمرة، والبردان تحت وادي بيشة. وأصاف ـ غير معجمة الصاد ـ دون الشقرات، بلد خثعم ثم لقحافة به نخل. [٣] ،

(❃) **الأغـر:** أنشد لمزاحم العقيلي من قصيدة طويلة:

أمـن أجـل دار في الأغـر تـأبـدت   من الحيِّ واستلت عليها العواصف

ورد في معجم ما استعجم للبكري أن "الأغر" : وادٍ في شق العالية[٤]

(❃) **الأمـواه:** أورد قصيدة لحميد بن ثور في (١٢) بيتا:

كـأن الـربـاب الـدهـم في سـرعـانـه   عشـار مـن الكلبيـة الجـون ظلَّـع
أدانـيـه لـلأمـواه مـن بـطـن بيشـة   ولـلأوق والسـيدان والمـين يضجع[٥]

والأمـواه: جمع ماء، والأمواه: بلدة معروفة جنوب تثليث من بلاد الحباب، تقع إلى الجنوب الشرقي من منطقة عسير. والإوانة: قال الهجري: وسألته عن الإوانة، فقال ركية بالعرف شق المضاجع، وقرب وشحي، والودكاء والدخول، وهو ماء برمل السرة إلى بيشة. وأنشدني للعامري من عامر بن ربيعة، ويقال الكلابي:

فـإن عـلـى الإوانــة مـن عقيـل   فـتـى كلـتـا يـديـه لـه يمـين[٦]

وخلال هذا النص نجد أن "الدخول" هو أحد المواقع المجاورة لبيشة، والدخول جاء في مطلع معلقة امرئ القيس. وقد ذكر الهجري في موضع آخر عن الدارات، فقال: "ودارة جلجل، وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب"[٧] ، ودارة جلجل وردت

---

(١) الحربي، علي ابراهيم ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ منطقة عسير، ج١/ ص١٦٩ .
(٢) أوردها في ص١٦٣١ برسم: "بينها و(بين) بيشة علم ..." .
(٣) ص١٣٢١ .
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ص١٧٣ .
(٥) ص١٣٢٨ .
(٦) ص١٣٣٠ .
(٧) ص١٤٦١ .

في نفس القصيدة (المعلقة)، وكانت لامرئ القيس قصة بها مع ابنة عمه، وهذه الأماكن كلها تقع على التخوم الشرقية لمنطقة عسير، وتجاور نسبيا موقع الفاو (قرية، ذات كهلن) الواقعة جنوب الخماسين على الطرف الغربي لصحراء الربع الخالي، حيث مملكة كندة.

(*) **أوق:** أنشد الهجري:

جلبنا من القاع المطايا على الوجى … بنا اتخذت أوقا وبيشته أرضا[١]

قال: القاع: جزع من أجزاع تربة، وأوق جبل علم، .. وأنشد أيضاً:

جلبنا لهم من أوق بيشة شزبا … سباط النواصي والعقيلية الصهبا"[٢]

وفي موقع آخر أورد لمزاحم العقيلي قوله:

تمتع من السيدان والأوق نظرة … فقلبك للسيدان والأوق آلف

وما حزي السيدان في ريق الضحى … ولا الأوق إلا أفرط العين واكف[٣]

وأوق والسيدان موقعان على وادي بيشة يذكران في الشعر معاً، وسبق أن أوردناهما[٤]، وأوق: هو أحد جبال الميثب ـ الواقع فيما بين تثليث وبيشة ـ ويسمى الآن (واقف)، وقد ورد ذكره كثيرا في المعاجم الجغرافية وأشعار العرب، وغالبا ما يقرن ذكره بالسيدان[٥]، قال القحيف بن خمير الخفاجي العقيلي:

ألا ليت شعري هل تحنن ناقتي … بخبت وقدامي حمول روائع

وما يجزأ السيدان من ريق الضحى … ولا الأوق إلا أفرط العين مائح

قال ياقوت: أوق جبل لبني عقيل[٦]، (وأنشد الأشعار أعلاه)، وقال البكري: أوق جبل في البادية في بلاد بني جعدة تلقاء "أُسُن" قال النابغة الجعدي:

بمغاميد فأعلى أسن … فحنانات فأوق الجبل[٧]

---

(١) ص٩٣٤.

(٢) ص١٣٣١.

(٣) ص١٣٣١.

(٤) للمزيد انظر في هذا البحث: نصوص أدبية، (حميد بن ثور الهلالي).

(٥) الحربي، المصدر السابق، ج١/ ص١٨٨-١٨٩.

(٦) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج١/ ص٢٨٢.

(٧) البكري، أبو عبيد الله، معجم ما استعجم، ج١/ ص٢١٣.

وروى عن الجعدي أيضاً في موقع آخر قوله:

أتاهن أن مياه الذهاب فالأوق فالملح فالميثب
فنجدي مريع فوادي الرجاء إلى الخانقين إلى أخرب
تحرى عليه رباب السماك شهرين في صيف مخصب[١]

(*) **باقم:** من قصيدة لحنش بن سعيد الأزرقي النهدي:

يا طول ليلك بالنخيل فباقم فصدور صالة فالمسيل الأجوف

وفي الحاشية يقول الجاسر: "باقم: منطقة في شرقي إمارة الحمضة وتتصل بمنطقة العين فيها قرية وبئران بهذا الإسم، وواد ذو فروع يتجه شمالا، يقع الوادي بقرب خط الطول: ٤٣/٤٥ وخط العرض: ١٩/١٠ ... والقرية مذكورة في "أطلس منطقة عسير الادارية" ص٩٠،٤٠[٢] والبردان: قال أبو نجدة السلولي: البردان شعاب تحت وادي بيشة ذكره الهجري[٣] .و بيشة: من قصيدة طويلة لسعد بن عياض العاتري الصاهلي:

فأشهد ما ذو لبدةٍ كَلِبِ الشَّبَا أبو أشبلٍ حانٍ، ببيشة خادر[٤]

ويدل البيت على أن الموقع الذي اشتهر بالأسد هو "بيشة" الوادي المعروف في السراة وليس "بيش" - الوادي المعروف بتهامة - كما ذكر الهمداني، فالشعر يرتبط بالوزن وهو مختلف فهذا "بيشة" وذاك "بيش".

(*) **بيضان:** أورد قصيدة لابي محمد بن دحيم الثقفي إلى أن قال: بيضان موضعان: أحدهما جبل غامد، وهو المشهور عند العرب، والآخر بناحية السوارقية، لا أدري ظاهرةٌ أو بلد. وقال الهجري في موضع آخر: بيضان واد يصب على صفينة، قال:

سرت بنا ربا بيضان ليلا فأصبحت بقوران قوران الرساس تواكله[٥]

قال: قوران يدفع من الحرة في السوارقية، وبيضان: جبل غامد، لا أعرف في الأرض غير هذين، قال: بعضهم في جبل غامد:

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ ص٦١٦ .
(٢) ص١٢٣٤ .
(٣) ص١٣٣٧ .
(٤) ص١٣٤٩ .
(٥) ص٩٤٠ .

لو ان الذي لي من هوى أم مسلم　　　ببيضان زالت من ذراه القدامس[١]

وهذا يدل على أن المواقع: بيضان، القدامس متجاورانمن بلاد غامد.
وبيضان: جبل ببلاد غامد وجبل ببلاد زهران[٢]، وبيضان: جبل بين بلاد بلحارث وبني مالك جنوب الطائف شمال الباحة، وبيضان: وادي في بلاد شهران ينحدر من هضاب الحنكة، وتهوي، وشعيب الأسنان، وجبل الدريان، ويصب في هرجاب جنوب مركز الحازمي.

(*) **تبالة:** لمزاحم العقيلي:

فما عنب جون بأعلى تبالة　　　خضيد أمالته الأكف القواطف

وتبالة: واد معلوم يصب من بلاد خثعم الحجاز وبلقرن في وادي بيشة قرب مدينة بيشة.[٣]

(*) **تبشع:** علق الجاسر في الهامش بقوله: "وتبشع لا تزال معروفة في محجة حاج اليمن قديما، ذكرها صاحب "صفة جزيرة العرب" وهي في منطقة في إمارتي يعرى والعين في بلاد عسير"[٤]. وتبشع: اسم علم لجبل أسود ملتم يقع شرق وادي تندحة، ينحدر منه واد على اسمه، يلتقي مع وادي صحيفان، ثم يصب في يعرى[٥].

(*) **تثليث:** وقال انشدني شيخ من مرة ساكني تثليث. وانظر (الأرصان، البردان، جاش، حبونن، الربوض، نجران)[٦] وتثليث موقع معلوم وهو الآن محافظة شرقي منطقة عسير، وله من الشهرة ما يغني عن التعريف.

(*) **ترج:** لابن الدمينة:

تروى على خمس وقد تمت الضحى　　　بأعوص من ترج وبيٍّ وقائعه

وقال في الكلام على رنوم: واد وراء جسداء وهي مرحلة، والمجمعة: وهي تجمع ترج وبيشة. وفي كلامه على شيحاط: قال ابن مقبل : من نبع شيحاط.وهو بلد من غربي ترج، وفيه حصن لبني مخزوم[٧].

---

(١) ص١٣٤٩ .
(٢) قشاش، احمد، أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة، ص٨٠ .
(٣) ص١٣٥١ .
(٤) ص١٣٥١ .
(٥) الحربي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٥ .
(٦) ص١٣٥٢ .
(٧) ص١٣٥٣ ـ ١٣٥٤.

(*) **تـرج:** أحد الأودية الرئيسـية التي تغذي وادي بيشـة ويبـدأ من الحجاز من مصـبات أوديـة بلاد بني شـهر، وبنـي عمرو، وبلحـارث، وخثعم، التـي تجتمع في ترج وتصب في بيشة مقابل قرية الحيفة، ويعده الجغرافيون أحد أعراض نجد الخمسة [١]

(*) **تعدة:** لما أنشد الهجري لابن الدمينة:

فـشـهـدا رنـــوم فـالأشـــاقـر كـلـهـا فـعــبران دوني رمـــده فكلاكله

وقـال تعدة وعبران: جبلان من جانب بيشـة، مطلع الشـمس[٢] . الأشـاقر: سـبق إيرادها، شهدا رنوم وعبران: ستأتي في مواضعها.

(*) **تغلـل:** وسـألته عن قوله: ... لتبدو لي الأعلام من شـبقٍّ تُغُلَـلِ . وقال: تُغُلُلُ ـ معجمة الغين ـ: هضـبة من منحنى بيشـة، وتجمع التغاليل[٣] . وتهامة: لعِمارة بن راشد الهذلي من قصيدة:

فإن أنجـدت أحببت نجـدا وإن تغر تـهـامـة يـعـقـب شـوق نـفـسـي تـهـامـيـا

وفي "اللسان": والهيام والهيام: داء يصيب الإبل عن بعض المياه بتهامة، ...إلخ. قال الجاسر: "وفي هامش "معجم ما استعجم" الهجري: وحدثني الثمالي وكان من الأوعية قال: آخر تهامة أعلام الحرم الشامي، وذاك أم لبوسهم وشكلهم وآنيتهم مخالف لأهل الغـور وأهل نجد، إذا أغاروا لم يتركوا تهامة أيضـا، ولم يقولوا إلا غرنا، وإنما منزلهم دون مر إلى الحوراء، والحجاز ما لصـق بالطود مـن جانبيه النجدي والبحري من أول الأرض إلى آخرها وهو من شـق البحر الحـوراء، تهامة والغـور وكل واحد أقله يومين، وأكثره خمسـة أيام، وهو من شـق النجد مضحاة الشمس خمسـة أيام فأكثر. والحجاز المنجد داخل في النجد، والحجاز الغربي داخل في تهامة والغور، فإن سميت الغور بتهامة وتهامـة بالغور كان ذلـك جائزاً"[٤] . وهذيل قبيلة تمتد بلادها من جنوب مكة (تهامة) إلى أعلى السـراة في الطائف (نجد)، وبيت عمارة الهذلي هو امتداد لمفهوم سائد عند العـرب يكرس لنجد كمقابل لتهامة فكأنه يقابل بين الشـرق والغـرب، أو الحر والبرد، أو الجبل والسـهل، ولعل هذا النوع من المقابلة لم يعد من المفاهيم السـائدة، ويظهر أن

(١) البكري، معجم ما استعجم، ص٩ : الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٣١ .
(٢) ص١٣٥٤ .
(٣) ص١٣٥٥ .
(٤) ص١٣٥٧ .

الأحداث السياسية والتقسيمات الإدارية للمناطق عبر التاريخ استبدلته بمفهوم حديث أقرب إلى السياسي وهو: "الحجاز ونجد"، الذي أخذ مكان هذه المقابلة والندية، بين نجد وتهامة، يقول القصيبي رحمه الله:

أجل نحن الحجاز ونحن نجد هنا مجد لنا وهناك مجد

(*) **ثجر:** ماء لبني قشير، وثجر ماء على طريق نجران من المقترب، وبحر بلقين. وثجر في غير موضع فهذا الذي ذكره بفيهة برك من اليمامة، بينها وبين اللج، والفيهة والفوهة: مداخل الخلفان والأودية، وكل ما ضاق مما يدخل فيه من واد وخليف ومضيق. وثجر بين نجران والفجيرة والمقترب، وثجر من ديار بلقين، من قضاعة، بئار كثيرة بين تيماء والشام[1]. وقال ذو العرقوب من بني الحارث بن كعب. رهط النجاشي. بفتح النون. شاعر صفين:

ألا هل أتي من حل بطن حبونن ونجران، أخبار الأمور الجسائم
بأنّا رحلنا العيس من ذي بوانة وثجر على رأي من القوم حازم

وثجر: اسم علم لوادٍ ينحدر من الهضب والصفاح ببلاد يام ويتجه للشمال الغربي حتى يفيض في وادي تثليث إلى الشمال من الوهلان، وفي ثجر. حالياً. مزارع ومناهل لبادية الحباب[2]. قال الهجري: "ثجر: ماء لبني قشير، وثجر في طريق نجران من المقترب، وثجر بلقين"، وقال: "ثجر بين نجران والفجيري (الهجيرة) والمقترب"[3].

(*) **جاش**[4]: وسألته عن قوله :

جرى منه جاش فالربوض فما رأى هويل، فإرغيلاء فالبردان

قال: جاش: بلدٌ لبني مرة . والربوض: قنة حمراء سوداء غربي تثليث.
قال أبو علي الهجري: جاش وادٍ، وأنشد:

وردن جاشا والحمام واقع وماء جاش سائل وناقع[5].

---

(١) ص١٣٦٠ .
(٢) الحربي، علي ابراهيم ناصر، المصدر السابق، ج١/ ص ٣٢٣ .
(٣) التعليقات والنوادر، ج٣/ ص١٣٦٠ .
(٤) ص١٣٦٤ .
(٥) ص١٣٦٤ .

جاش بلدة جنوب غربي تثليث ـ بالقرب منها ـ على الطريق المتجه من أبها إلى وادي الدواسر.

(*) **جُرَش:** قال: "الخَمَارُ من العَضَـه، والواحدة عضَـةٌ، شـجر يتخذ منه القسي يكون بجرش وبالسراة.. وقال الغنوي (العنزي): نفحسَ العنب معناه: ندلكه حتى يتميز من معاليقه. قاله الجرشـي.. أنشـدني شـيخ مـن جرش لثابت بـن عبد الملك العريجي بطـن مـن بني مالك من عنـز بن وائـل:..... القصـيدة (انظر العاليـة) [١]. وجرش: مدينـة معروفة بالسـراة، عدهـا الهجري من العاليـة، قال: "والعالية: عـذار تربة إلى نجـران وجرشـ، وما أخذ أخذه"[٢] وقال الهمداني: "جرشـ هي كورة نجد العليا وهي مـن ديار عنز"[٣].، وهي واحدة من أهم المراكز التجارية في العصـر الجاهلي القديم، اشـتهرت بتجارة الصناعات الحربية كالدبَّابات والعرَّادات، والمدنية كالنسيج والقسي، والأديم، والنبيذ، والمسـمورات، والحيوانية كالإبل، والفواكه، كالعنب، والتمر، وهي من أعمـال ومخاليف مكة المكرمـة، وكانت مركزا للمنطقة المحيطة وما يليها من البحر[٤]، واشتهرت قديما بكثرة العاديات (الآثار القديمة) بها[٥].

(*) **الجسداء:** قال: ورنوم: واد وراء جسداء، وهي مرحلة المجمعة وهي تجمع ترج وبيشة[٦]. الجسداء: موقع في منطقة عسير ورد اسمه على طريق الحاج من صنعاء إلى الطائف إلى مكة عند الهمداني وابن خرداذبة، ولكن الاسـم لم يعد له وجود حاليا ولم يعد هنالك من يعرفه، حتى أن صاحب المعجم الجغرافي للبلاد السعودية منطقة عسير، اعتبر أن الاسم خطأ، وقال لعله يقصد الحشداء: وهي من روافد وادي البطنات غربي مركـز خيـبر من روافـد وادي هرجاب، إلا أن الحشـداء تقع جنوب الأودية والهضـاب والآكام التي ذكرها في الأرجوزة، وذهب إلى ترجيح أن الجسداء هو الاسم القديم لبئر بن سرار[٧]، كما أن نص الهجري المنقول فيه اختلاف، ولم يكن واضحاً أورد النص في موقع آخر مختلفاً إذ قال: "شـهدا رنوم هضبتان، ورنوم وادٍ وراء جسداء، وهي مرحلة،

---

(١) ص١٣٦٩ ـ ١٣٧٠ .

(٢) ص٨١٥ .

(٣) الهمداني، الصفة، ص٢٢٩ .

(٤) العصـفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضـبطه ووثقه ووضـع حواشـيه وفهرسـه د. مصـطفى نجيـب فواز ود. حكمت كشـلي فـواز، دار الكتب العلمية – بـيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٤٨ .

(٥) ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، ج٤/ ص٢٨٩ .

(٦) ص ٦٥٨، وفي ص١٣٧١ قال "ورنوم واد وراء جسداء، وهي مرحلة، والمجمعة، وهي تجمع ترج وبيشة" .

(٧) الحربي، المصدر السابق، ج١/ ص١٩٧، ٣٨٣ .

والمجمعة، وهي تجمع ترج وبيشــة"، فأيهما قصــد ؟، وهل المجمعة وصف لأيهما أو اسم موقع بذاته؟، ولنستجلي الوضع نقول: اولاً: فإن النص لم يرد فيه اسم المجمعة ومن ثم فالمجمعة كاســم موقع بذاته أمر مستبعد إذ لا خانة لأن يفسر المسؤول ما لم يسأل عنه، فلم يرد له اســم بين الطرفين ولا ما يســتدعي استحضاره لا صــراحة ولا ضمناً، ثانياً: فإن ترج يلتقي ببيشــة في موضــع معلوم تقع على ضفافه قرية الحيفة، وهي قرية كبيرة كثيرة النخيل، تمتد من منطقة التقاء ترج ببيشة إلى منطقة التقاء هرجاب ببيشة، ولم أجد لها ذكرا عند الهمداني ولا في المصادر والمعاجم المعاصرة له، أما رنوم الذي ذكره الهجري فلا زال معروفا وهو ينتهي في هرجاب[1]، ولا يصــل بيشــة بذاته، لذا لا يصح أن يقال أنه ـ ولا شــهداه ـ مجمع ترج وبيشــة، ما يذهب بنا إلى أن جسداء هي المقصودة بمرحلة المجمعة التي تجمع ترج وبيشة، وهذا يعني أن قرية "الحيفة" التي يجتمع عندها ترج ببيشــة هي "جســداء" المذكورة على طريق الحج، ويدل على ذلك ما أشــار له ابن قدامة عندما وصــف جســداء بأنها منزل أعراب من قيس، ما يعني أنها مأهولة وليست مجرد بئر[2].كما ظنها صاحب المعجم، وهذا ما أراه، والله أعلم.

(*) **حبونن:** لما أنشد الهجري بيت تميم بن أُبي بن مقبل العامري:

أقـــر بــه نجـــران ثـــم حـبـونــن　　　فـتـثـلـيـث فــالأرصــــان فــالـقـرطـان

قال كل ما سمي من دار بني الحارث بن كعب[3] .

وقــال ذي العرقوب مــن الحماس[4]. من بني كعب رهط النجاشــي (بفتح النون) شاعر صفين: .... (أورد بيتين) وعلق الجاسر في الهامش بقوله: يعني أقرب له نجران ثم حبونن، لما أنشد أبو عبيد قول الفرزدق:

وأهـــل حـبـونـا مــن مـــراد تـداركـت　　　وجـرمـا بـوادٍ خـالـط الـبـحـر ساحلة

قال: أراد حبونن من أرض مراد فلم يمكنه، وقال النجيرمي: قال لي من رأى حبونن: واد باليمن انتهى وحبونا واد لا زال معروفا شمالي نجران من أشهر أودية جنوب الجزيرة وكذا ينطق الاســم كما في شــعر الفــرزدق "وانظر العرب س٢٨ صــ١/ ١٧٠[5] . أورد في

---

(١) الحربي، المصدر السابق، ج٢/ ص٧٤٧ .
(٢) ابن قدامة، كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ص٨٢ .
(٣) ص١٣٨٢ .
(٤) ص١٣٦٩ ـ ١٣٧٠ .
(٥) ص١٣٨٢ .

جزء المواضع موضع "ذو حماس" ثم "أورد من مقطوعة:

أسود بوادي ذو حماس نوادر   حوان على الأشبال محميٍ عرينها"

ثم قال: "وانظر: (حبونن)" فدل قوله أن الموضع "ذو حماس" نسبة إلى بني حماس من كعب بن الحارث أهل "حبونن" وأن "ذو حماس" ببلادهم[١]. وحبونن: موقع حاضرة ووادي معروف إلى الشمال من نجران بمسافة (١٠٠) كم، وهي اليوم من بلاد يام، وقال الهمداني: "حبونن: بكسر الحاء منهل من مناهل العرب المشهورة" [٢]، وقال: "ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل حبونن[٣].

(*) **الحضنة:** وبنو رسل حي من الأزد ثم من بارق، بصدر الحضنة من تهامة. إلى أن قال في موضع آخر: "الخبت: قال والخبت أقرب أرض تهامة إلى البحر، ثم الحضنة، وهي جر الطود، ثم الطود ".

قال الزهيري- زهير نهد -: يرفأ وهو ابن الهنؤ بن الأسد، قبيل من الأسد مخبتون، معناه منزلهم الخبتٍ أقرب أرض التهمة إلى البحر، ثم الحضنة، وهي جر الطود، ثم الطود[٤]. والخبت حالياً يطلق على منطقة رمال تلي الساحل بين الدرب وبيش إلى الشرق، وقد يحدد فيقال خبت الجعافرة وخبت البقر وخبت نعام، وكلها في نفس الإطار، إلا أن الدلالة هنا تحمل الشمول فقد كان يطلق على الجزء الساحلي عموما مسمى: "الخبت"، ولا زالت كلمة "خبت" تستعمل أيضا في العموم للدلالة على الأرض الفضاء البرية، ويذكر الهجري أن الجبال المجاورة للسراة من تهامة تسمى: "الحضنة"، بينما يطلق عليها في عصرنا: "الأَصْدَارْ" أو "الصُّدُرْ" (جمع صَدْر)،وذكر الهجري لبني رسل من بارق ربما دل على ذكره لشاعر من بارق في نوادره، فلعله سقطَ اسمه مع ما فقد من أوراق الكتاب، وقبيلة بارق خرج منها عدد من الشعراء عرفوا في القرن الأول للهجرة في الكوفة وما إليها.

(*) **العرا:** في سياق حديثه عن حمى ضرية والأحداث التي دارت حوله واسترساله في الحديث عن القبائل المتداخلة مع الحمى قال: "وللضباب ملك آخر يقال له العرا بناحية بيشة قرب تبالة، فجاورت جمل بني الهزر في تلك الناحية وأغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى واغتنموا تشاغل الناس بالعيد فقالت جمل: ....." انتهى،

---

(١) ص١٣٩٩ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص٣٠٥ .

(٣) الهمداني، الصفة، ص١٦٤ .

(٤) ص ١٣٩٤ .

وهنا نجد "العرا" كاسم لأحد المواقع التاريخية بوادي بيشة بقرب تبالة.

(*) **دارا:** وسألته - يعني شيخا من هلال - عن هيج، فقال: هما هيجان: جبلان بأسفل رنئة، ودارا - مقصور مذكر - والغضار والبلي، كل هذا من مدافع بيشة، وحيث تنهِّي في الغائط مهب الشمال[١]. والغائط هو رمل يصب فيه وادي بيشة ووادي رنية فيغور ماؤهما في الرمل ويتشتت إلى شعاب متفرقة، ويبدأ شمال بلدة بيشة بحوالي(١٠٠كم)، حيث منتهى وادي بيشة شمالاً، ما يعني أن "دارا" و"الغضار" و"البلي" تتواجد حوالي بيشة خلال هذه المسافة تقريبا.

(*) **دار مراد**: قال: وبيحان: قرب مأرب، من دار مراد[٢]. ودار مرة نهد: قال عن مقيد: قرين صغير، به حساء تحفر من شق تبشع إلى الجب، جب يزخر بالماء وهو من دار مرة نهد[٣]. وتبشع: اسم علم لجبل أسود ملتم يقع شرق وادي تندحة ينحدر منه وادي على اسمه وترفده سيول أم القصص ويتجه شمالا إلى صحيفان ثم يفيضان في وادي يعرى[٤]. والموقع حاليا من بلاد كود شهران، ويدل النص على امتداد قبيلة كود شهران على بلاد مرة نهد بعد رحيلها.

(*) **الدارات:** بعد أن أورد عددا من دارات العرب بسرة نجد وصل إلى قوله: "ودارة جلجل، وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب[٥] ". ودارة جلجل ذكرها امرؤ القيس في شعره. وقد استوعب الهجري المواقع في الجزيرة العربية خاصة ما وقع في بلاد نجد السفلية واليمامة والمدينة ومكة وما حولها بما لم يتسن لغيره، وإشارته لدارة جلجل في بلاد الحارث بن كعب تعطي دلالة أقوى من سواها على الموقع، والإشارة للموقع تدل على إقامة امرئ القيس وأهله به، حيث ابنة عمه كانت ضمن القصة، وديار الحارث تقع ما بين تثليث ونجران وربما امتدت شرقا إلى قرب الفاو (القرية) (ذات كهلن) حيث كان مقر مملكة كندة. ومصداقا لما سبق عن "الدخول" قال الهجري: "وسألته عن الإوانة فقال: ركية بالعرف شق المضاجع قرب وشحى، والودكاء، والدخول، وهو ماء برمل السرة إلى بيشة[٦]. وفي ص(١٤٧٠) قال: "والدخول محجة أهل العقيق والأفلاج إلى مكة. والدخول مما ورد في مطلع معلقة امرئ القيس في قوله:

---

(١) ص ١٤٥٩.
(٢) ص ١٤٦٠.
(٣) ص ١٤٦٠.
(٤) الحربي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية - منطقة عسير، ص٢٩٥.
(٥) ص ١٤٦١.
(٦) ص ١٤٦١.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهذه النصوص تدل على مواقع حوالي بيشة ونجران، وهو ما يتوافق مع ديار كندة التاريخية الواقعة جنوب وادي الدواسر (الفاو) على التخوم الغربية للربع الخالي إلى ما بينها وبين نجران وتثليث والخماسين.

(*) **الربوض:** وسألته عن قوله :

جرى منه جاش فالربوض فما رأى هويل، فإرغيلاء فالبردان

قال: جاش: بلدٌ لبني مرة . والربوض: قنة حمراء سوداء غربي تثليث.

ولما انشد الهجري نفس البيت لابن الدمينة قال: قال الهلالي: الربوض ملتقى وادي تثليث وأودية العضاة والأراك[(١)]. والربوض: اسم علم لجبل أحمر مستطيل على جانب طريق أبها وادي الدواسر، يفصل بين وادي جاش ووادي الرسين[(٢)]. و الرداة: .... من قصيدة لكعب بن مشهور المخبلي الخثعمي من جليحة خثعم (سبق إيرادها باسم الشاعر) [(٣)]. وهنالك موقع يقال له "الرداء" وهو وادٍ ببلاد الرمثين يرفد وادي بيشة قال الدكتور عبدالله سالم القحطاني: الرداء: وادي بقرية الرقيطان بمدينة بيشة يوجد به رسومات ونقوش محفورة على أحد هضابه[(٤)]، فلعله نفسه الرداة وقد صحف.

(*) **الرقاشان:** قال الهجري: وسألت جماعة من بني عقيل عن الرقاشين فقالوا: هما أبرقان في مرتٍ، بين المضاجع وبيشة[(٥)].

(*) **رمل السرة:** قال أبو علي: عماية جبل ضخم، أعظم جبال النجد، أعظم من ثهلان ومن قطنين، وعماية من رمل السرة بين سواد باهلة وبيشة[(٦)]. والسرة: وسألته - يعني أبا نافذ الخفاجي - عن العظاة فقال: هي بئر بعيدة القعر، عذبة، والعظاةُ بالمضجع - بكسر الجيم - بين رمل السرة وبيشة، وإلى جانبها الأروسة، وزن العروسة، والكهفة

(١) ص ١٤٧٣ .
(٢) الحربي، المصدر السابق، ج٢/ ص٧٠٥ .
(٣) ص ١٤٧٥ .
(٤) الحربي، المصدر السابق، ج٢/ ص٧١٧ .
(٥) ص ١٤٧٧ .
(٦) ص ١٤٧٩ .

قربها[١]. ومما ورد عن رمل السرة، والرقّاشين، وجبل عماية، والعظاة، المجاورة لبيشة، وحيث أن الجوار والقرب هنا نسبي، فلم يحدد في أي اتجاه ولا المسافة. إذ قد تكون بعضها خارج حدود جغرافية منطقة الدراسة. إلا أنها في أقل الأحوال تعطينا فكرة عن المواضع بمنطقة العالية، وعن المواقع التاريخية المجاورة والمتاخمة للمنطقة، بما يمكننا من فهم دلالات الشعر العربي وتوقع مواطن الأحداث التاريخية التي نحتمل أن تكون لها علاقة بالمنطقة.

(*) **والأشافر:** هضبتان من وراء عبران، وهو جبل أحمر شرقي بيشة[٢]. ورنوم: اسم علم لوادي يتفرع من وادي الغظار وشعيب تهوى وجبال السهو ويجتمع وادي ظهيا قرب مصبه في وادي هرجاب شرق جبل لبد وأعلاه يسمة (الخبيا) وتسيل في رنوم شعاب بني قفلة وجبال تضبي وجبال السريان[٣]، وقد ذكره الرداعي في أرجوزته. ورهنة: من قصيدة حبش بن سعيد الأزرقي النهدي يخاطب عتكيا من أهل وحفة القهر، جرح يده:

فسل القبائل هل وفى لك وعدنا … يوما برهنة والأسنة ترعف[٤]

(*) **ورهنة:** واد ينحدر من جبال الشهمة بإتجاه الجنوب الشرقي وينتهي في الصحراء الرملية شرق جبل ضدا. ورهنة أيضاً: واد ينحدر من السفوح الشرقية لجبال القهر ويسيل في وادي العطيفة وترفده شعاب جبال أبو قفيل وأوثال ووعل ووادي روق ووادي الخربة ويتجه للشرق وينتهي في صحراء منقع الحمام ببلاد يام شرق عين قحطان. أمواه الدبيل: تحت عنوان الريب سرد إلى ان قال: "وقال: أنشدني أبو نافذ الخفاجي للقرطي من بني مالك قشير:

خليلي ممن يسكن الريب قد بدا … هواي، فلا أدري علام هواكما

و"أمواه الدبيل" الأمواه: جمع ماء، والأمواه: موقع جنوب تثليث ببلاد الحباب، والدبيل موقع بالقرب من تثليث. وكان الهجري عدَّ بني قشير وخثعم ونهد وسلول من النجدية المتيامنة في قوله: "بيس. بفتح الباء. لغة فصيحة لقشير ونهد وخثعم وسلول ومن تيامن من نجدية العرب"، وهذا يصح في عهده للقبائل الثلاث الأخيرة التي تسكن العالية فيما بين تربة وتثليث ونجران بينما الريب. حيث كانت قشير في عهد الهجري. يمامية وليست في جهات أوطان نهد وخثعم وسلول، ما يدل على أن قشير. أو بعض

(١) ص ١٤٩٣ .
(٢) ص ١٤٨١ .
(٣) الحربي، المصدر السابق، ص٧٤٧ .
(٤) ص ١٤٨٥ .

فروعها - رحلت من هذه الجهات إلى الريب، في مرحلة الهجري، أو قبلها بقليل.

(*) **ريداء:** أورد شعراً للخويلدي عن ريدة التي بقي فيها بعض قومه وعلق الجاسر - في الحاشية - باحتمال أن المقصود منهل "ريداء" الموجودة بالقرب من وادي الدواسر عند اتصال الرمل بجبال العارض.

ثم أورد لابن الدمينة قوله:

فريدة ذات الحقل بيني وبينها ... سُرى ضيقةٍ سارٍ إلي حبيب

وقال: الهمداني من أهل ريدة بلد بالبون، قرب صنعاء[1]. وابن الدمينة رحل إلى صنعاء واستقر بها وأنشد بها شعرا، والهجري أشار إلى ريدة اليمن، إلا أن بين أيدينا هنا إضافة الشيخ حمد عن موقع "ريداء" في وادي الدواسر عند التقاء جبال العارض بالرمل، ومحافظة وادي الدواسر على الحد الشرقي لمنطقة عسير.

(*) **ريمان:** اسم علم لجبل يقع في الجنوب من جبال سميعة والقوس وفي الشمال الغربي بالنسبة لجبل تهوي ويقع على وادي الضمو الذي يسيل في وادي يبه ويسكنه بنو حسين وبعض فخوذ بني زهير ومن آل صميد وفي عدد من المزارع والعيون الجارية والأشجار والرياحين والكهوف ويرتفع عن سطح البحر بـ (١٦٠٠) متر وله صفة لا توجد في غيرهٍ من الجبال هي أن الصواعق والبروق تقذفه حين نزول الأمطار مخلفة بعدها قضباناً من الحديد الصلب (في موقع الإصابة) ويموت أغلب سكانه لهذا السبب، ويعد جبل ريمان بحق من أجمل المرتفعات في تهامة لاشتماله على العديد من القرى ذات الطابعٍ القديم كما يمتاز بطبيعته البكر وفي العديد من المدرجات الزراعية التي تحوي أصنافاً كثيرة من النباتات العطريةٍ كالبرك والزاب والشيح والورد والياسمين في أشكال جميلة وجذابة[2]. وريمان: أيضاً جبل أسود منفرد يقع بمركز قنا بتهامة عسير في وسط بلاد قبيلة لتين ما بين وادي قردان ووادي لتين وفي سفحه الشمالي قرية على اسمه، ذكره صاحب معجم جبال جزيرة العرب فقال: هو جبل يقع في إمارة قنا من منطقة عسير يقع بالقرب منه وادي قدران وقرية الخطام.

(*) **الستاروغاير:** جبلان قرب سقمان. قال ثبُّوح مولى المختار الكليبي الخفاجي: وأنشدني شغنوب بن أبي صالح السَّمَّالي لأبيه إلى عوف سليم:

نظرت ومن دوني (شثير) ومقلتي ... يجمُّ مرارا دمعها ويفيض

---

(١) ص ١٤٨٧ .

(٢) الحربي، المصدر السابق، ج٢/ ص٧٦٧ .

لأونس أضعانا بدف (شثيرٍّ) بدون لعيني والنهار غضيض[١]
قواصد أطراف (الستار) لـ(غاير) بواكر يحدو سربهن قبيض[٢]

وكان في سرده حول النص في قسم (النصوص الأدبية) قال: "سربهن: بفتح السين في معنى النعم، والستار وغاير جبلان قرب سقمان، من رنية، وسقمان ماءة في هضب والقبيض المسرع، قبض يقبض إذا أسرع في سيره، والطاير في طيرانه، والفرس في عدوه، وأشباه ذلك". علق الجاسر في الهامش بقوله: "شثير: جبل لا يزال معروفا يقع غرب هضب الدواسر، وسقمان: ماء بالهضب يقع شرق شثير، وشثَّير: بالتصغير جبل يقع جنوب جبل شثير بقربه، وغاير جبل في الشمال الغربي من (هضب الدواسر) في مفيض سقمان. وهذه المواضع تقع شرق منطقة رنية"[٣].

من خلال تحديد الهجري والجاسر، لهذه المواقع ـ التي ذكر الجاسر أنها تقع غرب وشمال غرب هضب الدواسر، وشرق رنية، فإنها ـ بناء عليه ـ تقع على تخوم منطقة عسير، وحتى وإن تكن بعضها تابعة إداريا لمنطقة الرياض أو مكة، فإنها على العموم ذات صلة بمنطقة الدراسة، ومن ثم فإن جبل الستار ـ الذي حدده الهجري قرب سقمان ـ يقع في نفس الإطار، وهنالك جبلان في شمال شرقي منطقة عسير تسمى (السِّتِّر)، أحدهما في صمخ (بالقرب من بيشة)، والآخر في الصبيخة[٤] (بالقرب من تثليث)، وهنالك السِّتِّر (جمع ستار) ـ وقد يقال الستار ـ في منطقة المسوح شمال شرق بلاد عسير، ولعل مسمى الستر هو امتداد للستار، فهو بنفس المعنى، و"الستار" الوارد ذكره عند الهجري لعله في أحد المواقع شرقي منطقة عسير أو غربي محافظة وادي الدواسر أو رنية، و"الستار" كان به أحد أيام حرب البسوس بين شيبان وتغلب، وهذه المناطق المذكورة أعلاه بعيدة عن حمى ضرية الذي ذكر الهمداني أنه كان حمى كليب[٥]، فهي أقرب إلى محافظات تثليث وتبالة وما إليها التي كانت من مواطن قبائل بكر بن وائل في العصر الجاهلي، ووردت في شعرهم، مثل عروى[٦] وتثليث وجاش[٧]

---

(١) ص٥٥١
(٢) ص ٤٩٠ـ٤٩١.
(٣) ص ٥٥١.
(٤) الحربي، علي ابراهيم، المصدر السابق، ج٢/ ص٧٩٥.
(٥) صفة جزيرة العرب، ص٢٨٨.
(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦.
(٧) يقول طرفة في بكائه على الأطلال:
أتعرف رسم الدار قفرا منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله
بتثليث أو نجران أو حيث نلتقي من النجد في قيعان جاش مسائله
انظر: ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدمه محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ، ص٦٤.

ونجـران[١] وتبالة[٢]، والهجيرة[٣]، كما انها أقرب إلى موقع اسـمه "القضـة" شـمال خيبر الجنوب[٤]، الواقعة إلى الشرق عن وادي بيشة، والذي هو أحد أيام حرب البسوس أيضاً، وإلى موقع اسمه "نهي" إلى جنوب ترج[٥]، والنهي أحد أيام حرب البسوس، ولعل كل ذلك يشير إلى منطقة وبيئة حرب البسوس، التي بدأت بها ثم انتقلت مع استمرارها وتنقل القبيلتين خلالها، حيث آخر أيامها "يوم الستار"[٦].

(*) **سحبل:** موقـع في ديـار بني الحارث بن كعب بالقرب مـن نجران، حدثت به معركة بين بعض بني الحارث بن كعب وبعض بني عقيل العامريين.

(*) **السراة:** وذكر - يعني الجهني صـاحب حجر - صـاحب الفيل، فقال: فوصـم العرب جميعاً، واستعزت هاتان القبيلتان بمسكنها - يعني أهل السراة[٧].

(*) **السرو:** لمسـلم بن عسكر القشيري: يعني سرو ربيعة بنت عقيل، أسفل بيشة، بلد مراة عذاة [٨]،

والإشـارة هنـا تدلنـا على أن السـرو كان يطلـق في مرحلة الهجري ومـا قبله على منطقـة أخرى، غير سـرو حمير وسـرو مذحـج في اليمن، وغير بلاد السـراة التي كان الاسـم ملتصقا بها - حسـب ما يظهر مما ورد في كتب الرحالة كابن جبير وابن المجاور

---

(١) عاش المرقش الأكبر في نجران ومات بأسفلها ومن شعره يقول :

سفها تذكره خويلة بعدما حالت ذرى نجران دون لقائها

واحتل أهلي بالكثيب، وأهلها في دار كلب أرضها وسمائها

انظر: ديوان المرقشين الأكبر والأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر - بيروت، ١٩٩٨م، ص٨٣.

(٢) يقول طرفة:

رأى منظراً منها بوادي تبالة فكان عليه الزاد كالمقر أو أمر

- انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص ٢٨٨

(٣) ذكر الحموي بأن الهجيرة ماء لبني عجل، وأردف بالقول: "بين البصرة والكوفة"، والصحيح أن الهجيرة موقع معروف ذكره الهجري والهمداني وغيرهم بالقرب من تثليث وجاش، تقع ضمن بلاد بكر في العصر الجاهلي، أما ما بين البصـرة والكوفة فيمتد نهر الفرات جاريا، فلا ماء للقبائل الراعية يسـمى بينهما؛ انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان ،ج٥/ ص٣٩٤ .

(٤) الحربي، علي ابراهيم، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية منطقة عسير، ج٣/ ص١٣٥٦ .

(٥) جاء في معجم ما استعجم للبكري في قوله: "ويشهد لك أن ترجا قِبَلِ تبالة باليمن قول طفيل:

وقد حل بالجفرين جفر تبالة، فترج، فنهي، فالشروج القوابلَ"

وقد جاءت المواضـع الثلاث متتالية فتبالة أولها شـمالا ثم ترج جنوبها ثم نهـي، فنهي بالتالي تقع جنوب ترج، وهي مجاورة للموقعين (تبالة وترج) .

(٦) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٢ .

(٧) ص ١٤٩٢ .

(٨) ص ١٤٩٣ .

وابن بطوطة وغيرهم. وسرو عقيل على ذلك مجاورة للسراة من الشرق.

(*) **الشرا:** وأنشد ولم يسم الشاعر:

فما وجد مكسور الجناحين طيرت ... ألا يفه من حوله وهو واقع
ولا وجد ملواح الصدى غضوية ... برأس الشرى سدت عليه المطالع

..إلى أن قال: "والشرى: جبل انقطع عن الطود يومين، ونجران في سنده بينه وبينها بعض نهار". وأنشد ولم يسم القاتل:

أمن أجل أعرابية حل أهلها ... بلوذ الشرى عيناك تبتدران

. شريين. الواحد شرى. وهما جبلان عظيمان بالشريف، يقابلان علمي سلول، وأقرب الجبال منها دمخ[1]، والشرا جبال في بلاد خثعم الحجاز، جنوب بلجرشي، إلى الغرب من بيشة، وهي جزء من الطود (جبال السراة)، يمتد منها شرقا وادي يحمل نفس الاسم ثم يتجه شمالاً حتى ينتهي في رنية، وربما أطلق على بعض الجبال في أسفل الوادي من جهة الشرق اسم الوادي، ولكن وبناء على قول الهجري: "ونجران في سنده بينه وبينها بعض نهار"، فإن الشرا هنا يقع جنوبا عن شرا السراة المعروف، فهو في نجران كما يظهر.

(*) **الشرائق:** قال: وأنشدني عبيد الله بن عبدالعزيز السدري من بني عامر بن ربيعة للسناني من نهد واسمه جابر بن حوثرة:

أرقت لبرق آخر الليل خافق ... يمانٍ ومن دوني جبال الشرائق[2]

(*) **الطّود:** روى لشيخ من بني هلال قوله: حرة بني هلال معترضة من أسفل سقف الطود، إلى مهب الشمال. نقل عن الزهيري: الخبت أقرب أرض التهمة إلى البحر، ثم الحضنة وهي جر الطود، ثم الطود.[3]، وبلاد بني هلال كانت وادي بيشة وما بينه وبين تربة، والطود هو جبال السراة ولا يطلق إلا على الجزء الغربي ويطلق عليه "السرو" و"الحجاز" و"الطود"، ولا توصف بيشة ولا تثليث ولا جاش ولا ما بينها بأنها من الطود، و"جر الطود" يبدو أنه يقصد به الجبال الملاصقة لجبال السراة في تهامة (الصُّدُرّ).

(١) ص ١٥٠١-١٥٠٢.
(٢) ص ١٥٠٢
(٣) ص ١٥١٩.

(*) **العالية:** قال: والعالية: عذار تربة إلى نجران وجرش، وما أخذ أخذه.

ألا هتّرى الوسمي إن جاد صوبه يرد علينا من يحل العواليا [١]

وهنا حدد الهجري التعريف الجغرافي التاريخي لمنطقة الدراسة، وترجم لنا المفاهيم السائدة في عصره، وهو موافق لما ورد عند سواه، كما سيأتي معنا.

(*) **وعبران:** قال: الأشاقر: هضبات من وراء عبران، وهو جبل أحمر شرقي بيشة[٢] .

(*) **وعبل:** من قصيدة لثابت بن عبد الملك العريجي من بني مالك من عنز بن وائل (سبق إيرادها).

وعبل: وادي ببلاد بللحمر بمنطقة عسير تنتهي عنده بلاد بللحمر جنوباً وتبدأ بلاد عسير.

(*) **العراق:** ذكر أنه حبل من حبال الرمل التي بين بيحان ومأرب[٣]، قلت: وقد نقل الحموي عن الخليل أن العراق هو شاطئ البحر[٤]، ولعل "عراق" بيحان هو الذي عناه طرفة مخاطبا المرقش الذي كان بنجران بقوله:

وأنكح أسماء المرادي يبتغي بذلك، عوفٌ أن تصاب مقاتله
فلما رأى أن لا قرار يقره وأن هوى أسماء لا بد قاتله
ترحل من ارض العراق مرقش على طرب، تهوي سراعا رواحله[٥]

إذ الترحال من أرض العراق في أقصى الشمال ذهابا وإيابا في إثر حبيبته (ابنة عمه) إلى نجران هو أمر صعب التخيل، والأصح أن المرقش الذي ولد في اليمن[٦]، وكانت ديار قبيلته ما بين تثليث وجاش ونجران. كما يصف ابن قبيلته[٧]، وتزوجت ابنة

---

(١) ص ١٥٢٢ .
(٢) ص ١٥٢٣ .
(٣) ص ١٥٢٨ .
(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤/ ص٩٣ .
(٥) ديوان طرفة بن العبد، ص٧٨ .
(٦) الفريح، عبدالرحمن، بكر بن وائل منذ ظهور الاسلام حتى بداية العصر الأموي، ص٢١٤ : واليمن هنا تعني الجهة اليمنية.
(٧) يقول طرفة في بكائه على الأطلال وهو ابن قبيلة المرقش:
أتعرف رسم الدار قفراً منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله
بتثليث أو نجران أو حيث نلتقي من النجد في قيعان جاش مسايله
ديار لسلمى إذ تصيدك بالمنى وإذ حبل سلمى منك دانٍ تواصله

عمه رجل مرادي بعد ابتعاده: قد كان حينها في العراق (اليمنية) بجهات بيحان شبوة وما إليها، أو بجهة شاطئ البحر، فرحل منها عائدا إلى بلاد أسماء بأسفل نجران ومات بها[١] . ولعلنا بمثل ذلك نجد جوابا للكثير من الإشارات المتناقضة حول مواطن أحداث العرب في الجاهلية.

(*) **عروى:** هضبة حذاء مأسل، بها جأوة بطن من باهلة، وليست بعروى التي قرب وحفة القهر من دار العتيك هذه أمنع وأشمخ[٢] . وكتب المحقق في الهامش عن كل ما مر: ورد هذا في هامش معجم ما استعجم. نسخة راغب باشا، وعروى القهر جبال لا تزال معروفة في جنوب سلسلة جبال القهر، أما عروى باهلة فقد أنشئ بقربها هجرة معروفة في العرض. وعروى القهر هي جبال بجهات وحاف القهر في تثليث وهي التي ذكرها مزاحم في شعره . وكانت عروى من ديار ذهل وضبيعة[٣]، قال البكري: "عروى ": بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده واو مفتوحة، مقصور، على وزن فعلى. وهى قارة في بلاد ذهل. هكذا قال أبو عبيدة. وقال الأصمعي: هي هضبة: قال المسيب بن علس الضبعى:

عدية ليس لها ناصر ... وعروى التي هدم الثعلب
وفي الناس من يصل الأبعدين ... ويشقى به الأقراب الأقرب

وكانت ضبيعة قد حالفت بنى ذهل على هذه القارة، أنهم متحالفون ما بقيت، فنقضوا حلفهم، فضرب هدم الثعلب لها مثلا لضعفه. وعدية: هي أم بنى عمر بن ذهل، وهى من بنى ضبيعة بن ربيعة"[٤] .

(*) **العيكان:** جبل دون الهجيرة بينها و(بينه) [٥]، بيشة علم من الأعلام إلى الحمرة، والبردان تحت وادي بيشة[٦] .

(*) **الغائط:** قال وسألته - يعني شيخا من هلال - عن هيج، فقال هما هيجان: جبلان بأسفل رنئة، ودارا - مقصور مذكر - والغضار والبليُّ، كل هذا من مدافع بيشة،

---

(١) الهمداني، الإكليل، ج٢/ ص٢٦٠-٢٦٢ .
(٢) ص ١٥٣٠ .
(٣) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦ .
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦ .
(٥) أوردها في ص١٦٣١ برسم: "بينها و(بين) بيشة علم ..." .
(٦) ص ١٥٤٤ .

وحيث تنهّي في الغائط مهب الشمال[١]. ويبدو أن الغائط هنا هو اسم واد يصب فيه وادي بيشة بجهة الشمال. قال الحموي: الغائط: موضع فيه نخل في الرمل لبني نمير[٢]، ولكن الهمداني كان يطلق على كل مصب واد "غائط"، كما اعتبر كل صحاري اليمن غائط، بل وصف الربع الخالي وسماه الغائط[٣]، وكأن الغائط، اسم صفة لكل موقع غائط في الأرض، أي ما هبط من الأرض واجتمعت به المياه.

* **حور الغامصات :** إلى الغميصاء ثم وصفها حول يلملم وهو موقع بعيد عن بلاد الشاعر، ويبدو أن الغامصات في القصيدة إشارة لنجوم في السماء.

(*) **المسرق:** بلد من رنئة[٤].

ذكر الهجري (المسرق: بلد من رنئة) ولكنه لم يحل ذلك إلى الراوي الرنوي، فلعله اعتبرها من بلدة الراوي، بينما المسار فقد تكون أقرب إلى "المسيرق": وهو موضع وادحول خيبر من بلاد خثعم (شهران)، وهو من مناطق جوار نهد، أو لعله كان من بلاد نهداً.

(*) **وقنا:** تحت الموضع عُقفان قال: في شرح قول الشاعر:

لقد أنزلوني من عوارضتي قنا — منازل ما قلبي لهنَّ بلائق

فقنوان أحدها قنا: عقفان وقنا لحصينة، كلاهما من مرة[٥].

(*) **وقَنا:** جبل معروف في تهامة عسير متصل بالسراة يصب في تهامة[٦]، لا زالت نقطنه قبيلة يقال لهم "بنو مرة"، قال أبو عمرو ابن العلاء: أفصح الناس أهل السروات، أولها هذيل ثم بجيلة ثم الأزد أزد شنوءة، وإنها كثيرة الأهل والعيون والأنهار والأشجار،، وبأسفلها أودية تنصب إلى البحر، وكل هذه الجبال تنبت القرظ، وفيها من الأعناب وقصب السكر والاسحل، وفيه معدن البرام يحمل منه إلى سائر البلاد. وبها قنا وهو جبل عظيم شامخ، سكانه بنو مرة من فزارة، وحظ صاحبة قنا مشهور، قال الشاعر:

أصبت ببرة خيرا كثيرا — كأخت قنا به من شعر شاعر

---

(١) ص ١٥٤٨.

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤/ ١٨٤.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، انظر: ص١١٦، ١٤٥، ١٦٢، ١٦٤، ١٩٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٦٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٢.

(٤) ص ١٥٦٢.

(٥) ص ١٥٣٤.

(٦) النعمي، هاشم، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، طبعة المئوية، ١٩٩٩م، ص٣٠.

وهو ما ذكر أن نصيباً الشاعر اجتاز بقنا، ووقف بباب يستسقي، فخرجت إليه جارية بلبن أو ماء، وسقته، وقالت له شبب بي فقال ما اسم[١] .... إلى آخر القصة[٢].

(*) **كتنة القاع:** قال وسألته - يعني سليمان بن زيد العمري - من عمرو مرة نهد - عن قوله:

ألا ليت عندي علم صدر مقيد وسائلة المدراء من حلها بعدي

قال: المدراء - ممدودة - من أرض خثعم، هضبة من تبشع، وأقرب المناهل إليها كتنة القاع، من محجة الجوفية[٣]. وكتنة موقع معروف شرقي جرش وصفها الهمداني فقال: "وكتنة أول حد الحجاز وعرضها سبعة عشر جزءا وسدس ونصف عشر، وعرضها وعرض جرش واحد لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم، ومن الهجيرة وتثليث عن يوم في مشرقها، ثم منها إلى يبمبم عشرون ميلا" .. انتهى، وقد خالف الهمداني بذلك من قبله ومن بعده بقوله أن كتنة أول الحجاز، فالصحيح هو ما أورده ابن قدامة[٤]، وابن خرداذبة [٥]، والبكري[٦]، والقلقشندي[٧]،... وغيرهم، من أن طلحة الملك الواقعة شمال صعدة، في بلاد وادعة[٨] بين المهجرة وسروم راح، كانت هي الحد بين الحجاز واليمن.

(*) **المجمعة:** من كلام سليمان بن زيد العمري: رنوم: واد من وراء جسداء، وهي مرحلة، والمجمعة: وهي تجمع ترج وبيشة. والنص هنا مختلف حرفيا - ومن ثم دلالة - عن ما ورد في فصل "النصوص الأدبية" حيث وردت عبارة "مرحلة المجمعة" بدون حرف الواو بينهما[٩]، وهو الأصح، إذ أن مفردة "المجمعة" لم ترد في النص الأساسي كي يفرد لها تعريفا منفصلا، فهي جاءت دالةً على "الجسداء" والتي هي مرحلة المجمعة تجمع ترج وبيشة.

---

(١) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٤، ٨٥ .
(٢) للمزيد انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٤/ ص٤٠٠ .
(٣) ص ١٥٧٣ .
(٤) ابن قدامة، الخراج وصنعة الكتابة، ص٨٣،٨٢ .
(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥، ١٣٧، ١٨٩ .
(٦) أبي عبيد الله البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص١٦ .
(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥/ ص٤٤ .
(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ص٢٧٢، وقد علق المحقق محمد الأكوع في الحاشية بقوله: "طلحة قرية كبيرة بالقرب من ظهران الجنوب شمال صعدة" .
(٩) ص ٦٥٨ .

(*) **مريغان:** موقع قرب تثليث، سبق تعريفه، ويبدو من قصيدة الشاعر أن "مريغان" كان من مواطن بني عقيل بتثليث وما حولها قبل رحيلهم للعقيق.

(*) **المقترب:** قال عن ثجر: ماء لبني قشير، وثجر في طريق نجران من المقترب، وثجر بلقين[١]. وقال الحموي المقترب: قرية لبني عقيل باليمامة[٢]، ثجر: وادي يقع إلى الشمال من نجران،يبدأ من الصفاح ببلاد يام ويمتد للشمال الغربي حتى يصب في وادي تثليث[٣]، ومن ثم فمن المفترِض أن المقترب المقصود ـ حسب الوصف ـ قريب منه، ويقع إلى الشمال عن نجران أيضاً.

(*) **مقيَّد:** وسألته ـ يعني سليمان بن زيد العمري ـ من عمرو مرة نهد ـ عن مقيد، فقال: قرين صغير، به حساء تحفر من شق تبشع إلى الجب، جب يزخر بالماء، وهو دار مرة بن نهد، وهو الذي يذكره الدويدي، ودويد بن نهد عجُزٌ.

(*) **نجران:** ... لبعض لصوص قشير:

خليلي سيرا سيرة وتعلما	**تناهي نجران وأعلامه الغُبرا**
ولا تأويا للعيس أن تدلجا بها	**وتستشليا يا صاحبي فتى غمرا**
ولا تيأسا ان يجمع الله هجمة	**مبرثنة الألْحَى ونهديَّة سُمَرا**

فيها البرثان وسم ثلاثة أعلاط هذه صفتها (III) في خد البعير، سمة لبني نهد وبني الحارث[٤]. ونجران: بلدة مشهورة غنية عن التعريف، أشار لها المؤلف كإحدى بلاد العالية قال: "والعالية: عذار تربة إلى نجران وجرش، وما أخذ أخذه"[٥]، وتدل هذه الأبيات على وجود قشير بالقرب من نجران مجاورة لنهد وبني الحارث خلال مرحلة القصيدة، كما يدل النص ـ من خلال الوسم الموحد لنهد وبني الحارث ـ على وجود تحالف أمني في مرحلة القصيدة بين القبيلتين.

النخيل: من قصيدة طويلة لحنش بن سعيد الأزرقي النهدي وجرح يده العتكي من العتيك أهل وحفة القهر:

---

(١) ص ١٥٩٩ .
(٢) الحموي، معجم البلدان، ج٥/ ص ١٦٥ .
(٣) الحربي المصدر السابق، ج١/ ص٣٣٣ .
(٤) ص١٦١٣ .
(٥) ص ٨١٥ .

يا طول ليلك بالنخيل فباقم فصدور صالة فالمسيل الأجوف[١]

وتحمل القصيدة إشارات لبعض المواضع في المنطقة، ولعلها كانت من بلاد نهد أو بلاد العتيك، وكلها مقيمة شرقي منطقة عسير، ومنها: النُخيل، باقم، صالة، (المسيل الأجوف)، البراق، رهنة، ذات قتايد، ذات الأجرف، بالإضافة لمواقع على أسفل وادي بيشة منها القري. و"باقم": منطقة في شرقي إمارة الحمضة وتتصل بمنطقة العين فيها قرية وبئران بهذا الإسم وواد ذو فروع يتجه شمالا، والقرية مذكورة في "أطلس منطقة عسير الادارية"[٢]. و"رهنة": واد ينحدر من السفوح الشرقية لبلاد القهر ويسيل في وادي العطيفة وترفده شعاب جبالٍ أبو قفيل، وأوثال، ووعل، ووادي روق،ووادي الخربة، ويتجه للشرق وينتهي في صحراء منقع بلاد الحمام ببلاد يام شرق عين قحطان[٣]، البراق: ماء بأعلى وادي نار في بلاد بلحارث ابن كعب بنجران[٤].

(*) **<u>النفر:</u>** وقال سألت سليمان بن زيد بن عمرو العمري عمرو مرَّة نهد، عن قوله:

وجزع العلوب البهم حيث تجاوزت فما رد ميل النفر من مطلع النجد

قال: العلوب: السدر، والواحدة علب وميل، النفر: من أميال المحجة، عند رفيع يطلعك عليه السدر من بطن تبشع[٥]. وتبشع سبق إيرادها وهي شرق تندحة إلى يعرى، ما يعني أن هذه المواقع تقع فيما بين تلك المواقع، وهي المحاذية لبلاد عنز بن وائل من الشرق ولبلاد خثعم من الجنوب.

(*) **<u>نقيع سلول:</u>** قال: وأنشدني رجل من أهل النقيع، نقيع سلول قال: ... (سبق ايراد القصيدة)[٦].

والنقيع: من ديار بني سلول ببيشة إلى وقتنا الحالي، وقد ذكر الهجري التربي (نسبة لتربة) وذكر أنه سلولي من النقيع، وبدا كأنه يرى أن "النقيع" الذي يقطنه بنو سلول يقع في تربة[٧]، والصحيح أنه يقع على وادي بيشة، على بعد (٣٩كم) شمال

---

(١) ص١٦١٥.
(٢) " الهجري، <u>النوادر</u>، ص٤٠، ٩٠.
(٣) الحربي، علي ابراهيم ناصر، <u>المعجم الجغرافي للبلاد السعودية منطقة عسير</u>، ج٢/ ص٧٥٩.
(٤) الهمداني، <u>الصفة</u>، ص٢٢٨.
(٥) ص١٦١٨.
(٦) ص١٦١٩.
(٧) <u>النوادر</u>، ج١، ص ٧٦.

مدينة (بيشة) ، ولا زال النقيع من مواطن سلول، بينما تمتد سلول على النقيع وغيرها حوالي مدينة ووادي بيشة، مجاورة ومتداخلة مع شهران وخثعم، وهي محسوبة في وقتنا الحالي على قبيلة شهران.

وادي المياه: لابن الدمينة:

رأيت لها نارا وبيني وبينها　　　من العرض في وادي المياه سهوب[١] .

(❋) **الوحاف:** أوحفة القهر، ووحفة العتيك، ووحفة الصيد، أسفل بلاد بني الحارث بن كعب وجرم[٢] .

(❋) **الوحفة:** وأنشد للمريخي القشيري:

(كأنها أدماء تزجي شصَّرا) . وهذه يتكلم بها قشير ونهد والعتيك أهل الوحفة، والوحفة بلد أسفل نجران، وحفة القهر، وخثعم والحارث بن كعب، والميامنة من قيس واليمن. والعتيك بن عمران بن عمرو بن عامر إلى مازن الأسد، وهم أهل وحفة القهر وهم إخوة الأنصار[٣] .

(❋) **وحفة القهر:** قال الهجري في "نوادره" : أنشدني أبو عمرو النهدي للفضيل بن صبح العتكي من وحفة القهر، وهم أصحاب قنص، فذكر أبياتا أولها:

قد أغتدي حين الصريم الأورق　　　معلِّسا وقد أضاء المشرقِ
معي ثمان كلبات نسَّق　　　أنفها كطرفها أو أصدقَ
وهم عينيَّ طوال عنتق　　　يسكنه كاذي البضيع سوهقَ
أزكى له المربع رعي مونق　　　وشرب من الصيف لا يرنق[٤]

والوحاف، والوحفة، ووحاف القهر، ووحفة العتيك، وواحف كلها تدل على موقع واحد يقال له الوحاف أو وحاف القهر، وهي جبال لا زالت معروفة جنوب تثليث بينها وبين نجران، وربما استوطنتها قبائل متفرقة فميز كل جزء بساكنيه كقول الهجري: و "حفة القهر" و "وحفة العتيك" و "وحفة الصيد" ، وهذا لا ينفي اتصالها، وعنها كان بيت لبيد:

---

(١) ص ١٦٢٣ .
(٢) ص١٦٢٦ .
(٣) ص١٦٢٦ .
(٤) ص١٦٢٦ .

فصوائق إن أيمنت فمضنة منها وحاف القهر أو طلخامها

وقول أوس بن حجر:

فبطن السَّليِّ فالسخال تعذرت فمعقله إلى مطار فواحف

وقول ذو الرمة:

إذا لعبت بهمي مطار فواحف كلعب الجواري واضمحلت ثمائله[١]

ومطار موقع ذكره الهجري في قوله: "... وسمي الفرط أيضا العان والجمع العوان، من جبال دهر، وهو واد للقوادم من كندة بين رخية ومطار، عن حضرموت بيوم، ورخية بها القرى، ومطار وادٍ خالٍ، قال أبو علي: هذا كله أقصى الضاحية وأول بلاد حضرموت".

* **قلت:** أول بلاد حضرموت هو أسفل نجران وهي بطن الربع الخالي، و"مطاره": اسم جبال وشعيب ماء في الخانق بوادي صيحان بمحافظة بدر الجنوب شمالي نجران[٢]، ولعل ذلك يدلنا على موقع واحف المجاورة لمطار والتي هي ذاتها وحاف، قال ثعلبة بن عمرو العبقسي:

لمن دمنٌ كأنهن صحائف قفار خلا منها الكثيب فواحف[٣].

وكانت بلاد عبد القيس في الجاهلية بنجران وما إليها، وقد حضر وفدهم إلى الرسول ﷺ من نجران[٤]، والكثيب الوارد في شعر العبقسي ورد في شعر المرقش بجهات نجران في قوله:

سفها تذكره خويلة بعدما حالت ذرى نجران دون لقائها
واحتل أهلي بالكثيب، وأهلها في دار كلب أرضها وسمائها[٥].

وهو ما يدل على تواتر الإشارات إلى "الوحاف" و"واحف" و"وحاف القهر" وما جاورها من مواقع حوالي نجران وما بينها وبين تثليث، وأنها موقع واحد.

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٤/ ص١٢٣٧-١٢٣٨.
(٢) عن موقع "نجران" (Najrantourism.sa) على الشبكة.
(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥/ ص٣٤٣.
(٤) للمزيد انظر: ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٦٦٨ وكنعان، محمد بن احمد، السيرة النبوية والمعجزات، خلاصة تاريخ ابن كثير، ص ٦٩٨.
(٥) ديوان المرقشين الأكبر والأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر - بيروت، ١٩٩٨ص٨٣.

(*) **الهجر:** قال: نحن نرتاف الريف، ونهتجر المهجر، وهجرنا نجران، يقولها نهدي، وكل بلد تمتاره بادية فهو هجرهم[١]. وإيضاح لغوي لمفهوم الهجر واختلافه عن الريف، والمفردة (الهجر) لا زالت تستخدم الآن بنفس الدلالة، ولكن برسم "هجرة" فيقال "هجرة الأرطاوية" و"هجرة الغطغط" ... إلخ، وتدل على أماكن استيطان البادية، وقد تحمل الهجرة اسم الموقع الذي تقع فيه، وقد تحمل أحيانا اسم القبيلة من البادية التي استوطنتها، وقد أنشئ الكثير منها في عهد الملك عبدالعزيز غفر الله له. وقول النهدي هجرنا نجران يدل على صلة نهد بنجران، ومركزيتها بالنسبة لهم في عصر الهجري، وهذا رغم أن نجران كانت من بلاد الحارث بن كعب، والتي كانت نشطة في زمن الهجري، وهذا ناهيك عن دلالته على العلاقة الجيدة بين نهد والحارث بن كعب، فإنه في العموم يحمل دلالة على نوعية صلة القبائل ببعضها وتجاورها في المواقع، فنجران ذكر أنها كانت في الجاهلية من مواطن تميم[٢]، ومن مواطن شيبان بن ذهل البكرية[٣]، وعبدالقيس[٤]، وإياد[٥]، وضبيعة. كما جاء معنا. علماً بأن الحارث بن كعب كانت مستقرة بنجران، وهذا يدل على أن القبائل تستوطن في البلاد المحيطة بمدينة نجران وتتجاور بها، فيقال عن كل منها أنها بنجران (وهذا ينطبق على أي بلدة أخرى)، كما هو حال نهد في عصر الهجري، أو لعل بعضها تنتجع بين مناطق قرب نجران ومناطق أخرى، فيذكر أنها بنجران.

(*) **الهجيرة:** بالقرب من تثليث، ما بين الحمضة والأمواه، وتعرف حاليا باسم الجعيفرة، وهي قرية نهد، كما ذكر الهمداني[٦]، وقد ذكرها ابن خرداذبة من مخاليف مكة النجدية[٧]. التي كانت تتبع ولاية مكة المكرمة، ومثله ذهب البكري"[٨]، وقد ذكراها إلى جوار ذكر حواضر معروفة مثل نجران وجرش وعكاظ وتربة وتبالة، ما يدل على أهميتها في العهود القديمة.

(*) **هرجاب:** وادي إلى شرقي وادي بيشة ويوازيه حتى يصب في بيشة عند قرية الحيفة من بلاد شهران جوار مصب وادي ترج ببيشة، ومن خلال بعض الأشعار نلاحظ أن هرجاب كان مضربا للأمثال في كثرة حمامه وعلوِّ صوتِ غنائه على الأشجار.

---

(١) ص ١٦٣٠.
(٢) القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤٠٨
(٣) انظر: الحموي، ياقوت، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، ص١٨٥، ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢١.
(٤) كنعان، محمد أحمد، السيرة النبوية والمعجزات ـ خلاصة تاريخ ابن كثير، ص٦٩٨.
(٥) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٤٨، ٤٩.
(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٧-٢٢٨.
(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٣.
(٨) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٨، ٣٠٩.

(*) **هضب العالة :** لكعب بن مشهور المخبلي من جليحة خثعم من قصيدة :-

قفا فاسألا الأطلال بين أسلة الـ ــــرداة وهضب العالة المتثلم[(١)].

٦- الخلاصة والدلالات:

من خلال استخلاص ما ورد عن منطقة الدراسة في تعليقات ونوادر الهجري فإن لنا هنا تعليقات حول دلالات هذه الخلاصة:

أ- الدلالة الأدبية :

نقل الهجري الأخبار والشعر في الجزيرة العربية عن (١٨٨) راويا معروفا و(٧) جماعات و(٥) نساء أي ما مجموعه (٢٠٠) مصدر رواية، استحضر الهجري لنا بينهم (١٩) مصدرا للرواية من هذه المنطقة، وبينما كان عدد الشعراء الذين ذكرهم (٤٢٥) شاعرا فقد كان منهم (٤٧) شاعرا من منطقة الدراسة موزعين على عدد من القبائل، وإذا كان هنالك من ملاحظة، فيجب التنبه إلى أن أكثر من نقل عنهم من الرواة والشعراء كانوا من القبائل المجاورة له في المدينة أو في مكة، وقد ألمح الجاسر إلى الميزة التي استأثرت بها بعض هذه القبائل في كثرة رواتها في كتاب الهجري بقوله: "وقد اتضح لي مما قرأته منه أنه بينما روى عن أكثر من عشرين راويا من قبيلة، اقتصر على أقل من ذلك من قبائل أخرى، وهذا يرجع إلى صلة تلك القبائل بالمدينة وقربهم منها، كبني سليم التي يجاورونها في المنازل، وهذيل التي ينزلون بينها وبين مكة، وبني عقيل الذين يبدو أنهم لكثرتهم يكثرون التردد عليها، هذه القبائل الثلاث هي أكثر من اتضح في كتاب الهجري كثرة الرواة منها، بحيث زاد عددهم من كل قبيلة عن خمسة عشر راويا، أما عداها من القبائل الأخرى فدون ذلك[(٢)]. " .. انتهى. كما أنه أعاد التأكيد على ذلك في مقدمة الجزء الخاص بالشعر إذ أفرد القبائل المذكورة دون المناطق الجغرافية، وقد ذكر أن بعض رواته كانوا إذ هو بـ"ضرية" وبعضهم تلقى عنه وهو في "جدة" وبعضهم في "المدينة"، وقد كان رؤساء القبائل وشعراؤهم يفدون على أمراء العقيق- حيث كان يقيم -، وهي إحدى قرى المدينة المنورة، ومن ثم يلتقي بهم، ويتلقى عنهم، ولهذا نجد كتابه يحوي كثيراً من القبائل التي على صلة بالمدينة، والتي اعتبرها الأكثر اتصالاً بالهجري من غيرها لقربها منه واتصالها بالمدينة بدءاً بالثلاث الأولى: عامر، وسليم، وهذيل، ثم تأتي بعدها القبائل الأوثق صلة بالمدينة من سواها مثل هوازن، وأشجع، ومزينة، وغطفان، ومحارب[(٣)]. هذه القبائل المقيمة حوالي المدينة وما

---

(١) ص ١٦٣٥ .

(٢) ص ٥٩ .

(٣) ص ٤٩٧-٥٠٤ .

بينها وبين مكة - حيث كان الهجري مقيما في المدينة بشكل دائم، وفي مكة لبعض الوقت- استأثرت بميزة القرب والاتصال المباشر والمستمر مع المصدر، وبالتالي فقد بلغ مجموع ما أورده الهجري من شعرائها (٢٨٠) شاعراً، ولهم (٤٤٢٥) بيتا، ومن الملاحظ أن حجم الانتاج الشعري لكل قبيلة من هذه القبائل له صلة باستمرار اتصالها مع الهجري، بينما كانت فرص المناطق الأخرى أقل، فلا تتاح الفرصة إلا مصادفة بمقابلة طارئة مع احدهم ممن يحفظ طرف قصيدة أو بعض بيت، ومن ثم فلتقييم غزارة الانتاج لا يمكن تجاهل تأثير عامل القرب والبعد عليه، وإذا استبعدنا هذه القبائل المجاورة للموقع وعقدنا المقارنة لمنطقة الدراسة مع بقية المناطق في الجزيرة العربية فإننا سنجدها كالتالي:

١. أورد من منطقة الدراسة في (العالية) و(السراة) عدد (٤٧) شاعرا لهم حوالي (٨٦٣) بيتا، وتعد هذه نسبة عالية إذا ما قارنّاها ببقية المناطق الشبيهة بمنطقة الدراسة من حيث كونها غير مجاورة للمدينة المنورة، مع العلم أنه تم استثناء شعراء السراة من فهم وعدوان وثمالة وثقيف لاعتبارهم خارج منطقة الدراسة، كما استبعد شعراء مناطق تهامة من منطقة الدراسة.
٢. وسط الجزيرة العربية- وهي منطقة كبيرة- وشعراؤها (٢٩) ولهم (٢٢٠) بيتا[١].
٣. تهامة (بما فيها مكة وما حولها وكنانة) -وهي منطقة كبيرة- كان عدد شعرائها (١٨) لهم (٣٥٥) بيتاً[٢] .
٤. أما منطقة شمال الجزيرة العربية -وهي بلاد واسعة- فكان عدد شعراؤها (٢٦) شاعراً لهم (٣٦٩) بيتا [٣].
٥. بينما كان شعراء اليمن (٧) شعراء لهم (٤٧) بيتا[٤].
٦. منطقة هجر والأحساء وشرق الجزيرة العربية، لم أجد لها حضوراً في الكتاب، وربما كان لبعدها عن موطن الهجري أثرا في ذلك.

ومن خلال ما تقدم نجد أن منطقة الدراسة، فيما بين تربة ونجران وجرش (في السراة والعالية) كانت من أغنى مناطق الجزيرة العربية في إنتاج الشعر رغم بعدها عن مواطن الالتقاء والاهتمام من قِبل الأدباء الذين يلتقون بالناس في منطقتي مكة والمدينة أو في المناطق الأكثر ارتباطاً بالعواصم العربية[٥]، مما يدلنا على الحضور

---

(١) ص ٥٠٧-٥٠٨
(٢) ص ٥٠٥-٥٠٦ .
(٣) ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .
(٤) ص ٥٠٥ .
(٥) هذا ما وجدناه في صلب البحث مع أننا حذفنا بعض النصوص وأشعاراً أوردها الباحث حتى نتمكن من نشر هذه الدراسة مع غيرها في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وقد ينشر البحث كاملا في وعاء أكبر وأوسع .(ابن جريس).

الدائم للشعر في حياة أهلي منطقة الدراسة بشكل تلقائي متوارث، نجده في لجوئهم إليه في التعبير عن أحوالهم، فهو حاضر في كل مناحي حياتهم من الحرب، إلى الهجاء، إلى الغزل، إلى الرثاء، إلى الحزن، إلى البكاء على الأطلال، إلى المدح، فهو جزء من تركيبتهم، كما هو كل عربي في جزيرة العرب، إلا أن ابتعادهم عن العواصم الاسلامية حيث مواطن استقطاب الأخبار وتوثيقها ربما أخفى الكثير من انتاجهم الأدبي.

ب- الدلالات الجغرافية:

من خلال الإشارات التي قدمها لنا الهجري فإن المنطقة الواقعة ما بين تربة ونجران وجرش كانت لها دلالتها الجغرافية على منطقة محددة، كانت تعرف في عصر الهجري بـ "العالية".

ونجد ذلك من خلال إشارات الهجري إليها أو تحديدها مباشرة كقوله: "العالية عذار تربة إلى نجران وجرش، وما أخذ أخذه[١] "، أو من خلال إشاراته المتكررة لوحدة لغتها كما جاء معنا. والعالية هو اسم يطلق للاختصار أحيانا على ما عرف باسم "عالية نجد" وهو اسم ساد خلال مرحلة الهجري وما بعده تمييزا لها عن نجد السفلية أو السهلية، والسفلية هي تلك الواقعة إلى الشمال والشرق من نجد العالية، وهي التي حدد الجغرافيون امتدادها شرقا بوادي الرمة، وغربا بمناهل الأودية المتجهة شرقا ومن الجنوب اعتبروها تبدأ من نجد العالية وربما اعتبر أيهم أن امتداد نجد العالية شمالا مثل مهد الذهب والمدينة المنورة وما إليها هي جزء من العالية، وقد يبدو قول الهجري "وما أخذ أخذه" ذا دلالة على ذلك، ولكن مما يضعف ذلك أن الهجري كان يقطن المدينة المنورة عندما وصف العالية بقوله "العالية عذار تربة إلى نجران وجرش ... "[٢]، فقد حدد بذلك العالية في موقع محدد آخر بعيد عن جهات المدينة المنورة وما وقع شرقها - حيث يتجه المعاصرون لتحديد العالية - بل واتجه في التحديد من تربة جنوبا إلى نجران وجرش مبتعداً عن المدينة - فلعله قصد بذلك ما أخذ أخذه شرقاً، أو ما وقع بينها أو على امتداد أيها، ورغم ذلك نجدنا أَمْيَل إلى أن هنالك دائما عدم تحديد واضح للمناطق الجغرافية بشكل دقيق في ظل عدم وجود كيانات سياسية بحدود واضحة، وفي ظل إشارات متضاربة، وعلى العموم فقد كانت العرب تطلق على أودية بيشة، وترج، وتبالة، ورنية، والمراغة اسم "أعراض نجد"[٣]، وكل هذه الأودية تقع في منطقة الدراسة (العالية) بالفعل، ما يعني أن الهجري وثق لنا المستفيض في عصره من المفاهيم

---

(١) ص ٨١٥.

(٢) ص ٨١٥

(٣) للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص٩، والهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣١.

في الجزيرة العربية حول جغرافية المنطقة المدروسة، مطابقا لما ورد عند سواه. ورغم أن الهجري قد حدد السراة بشكل منفرد عن العالية، إلا أنه كان يسأل الطرفين عن بعضهما ما يدل على اختصاص كل منهما بالآخر، وعلى اتصال بلاد السراة بالعالية، فقد سأل الهجري ومجالسوه السروي (الجبهي) عن شعر نهد وخثعم[١] (من العالية)، وبدا كأنهم معدودون من بلد واحد، بينما روى عن النهدي وصفا للطود (السراة) وجر الطود والخبت المجاور له[٢]، ما يدل على ارتباط الموقعين ببعضهما، وهذا صحيح، فالسراة شريط ضيق من القمم المطلة على تهامة في طرف العالية الغربي، ولا زالت بلاد العالية امتداداً لبلاد السراة أو العكس، فلكل قبيلة من قبائل المنطقة امتداد هنا وهناك.

ج: الدلالات اللغوية :

ونعني بذلك المفاهيم التي نخرج بها عن المستفيض حول اللغة في منطقة الدراسة وما يقال عنها من خلال ما أورده الهجري من أقوال، وشعر، وما تحمله من دلالات عن المفهوم السائد عنها في عصره، فقد تحدث عن اللغة في منطقة السراة والعالية، ومن ذلك: يقول في إحدى رواياته: "وأنشدني الجهني من جهينة الحجر، بطن من الأسد من أهل السراة فصحاء" وفي نقل الجاسر لما ورد عن الهجري في المصادر الأخرى قال: " قال الإشبيلي في مختصر كتاب الرشاطي: الجبهي: في الأزد، قال الهجري: أنشدني الخيار بن محمد بن المشيع العذمي من شهر الحجر لجعفر بن عبدالله الجبهي من جبيهة الأوس من الحجر بن الهنؤ بن الأزد من أهل السراة وهم فصحاء". وذكر له شعرا". وفي روايته: "قال التربي: هو المزح أيضا بجر الميم، وهو فصيح من سلول من أهل النقيع". ويقول في أخرى: "قال أبو عمرو السلولي وكان فصيحا". وفي موقع قال عن الخثعمي: "أراد ينأمن من كل منأم فحول الهمزة وكذا الفصحاء لا يهمزون وكلهم يأمن من كل مانم". ثم نجده يقول في أحد المواقع: "بيس- بفتح الباء- لغة فصيحة لقشير ونهد وخثعم وسلول ومن تيامن من نجدية العرب".

وفي شرحه لبعض خصوصيات اللغة في القبائل والمواقع قال: "وكل مقصور غير عن بنيته لم يخرج من القصر إلى المد، ولا غيره، وكذلك الممدود مثل (الرجاء) و(القضاء) وأشباههما، فهو على مده، ويتكلم به أهل تربة ورنئة من سلول وخثعم ونهد وجرم وهم نهية في الفصاحة". وفي موقع آخر، بعد أن أورد عجز بيت للمريحي القشيري قال: "وهذه يتكلم بها قشير ونهد والعتيك أهل الوحفة". وقال في تفريقه في بعض الخواص

(١) ص ٦٠ .
(٢) ص ١٣٩٤ .

بـين لغة أهل الحجاز ولغة أهل السـهل: "أجمع فصـحاء العرب المحجـزون على جؤذر - بضـم الجيم والذال - وفتحهما لغة السـهلية، فأما ضـم الجيم وفتح الذال فمن كلام العامة ولا يقوله فصيح" ... انتهى.

وكثـيراً ما نقـل عنهم مفردات لغوية كقوله عن الجذامـة: ".. وقال الخثعمي: "هو القصـر من الذرة، مثل الذي سـنبل البر" .. وقوله: "وأنشدني الخثعمي بدوي" وأورد بيتا شاهدا على (الحنون):

حـمـلـن عـلـيـه الـرقـم حـتـى كـأنـه　　　　مـن الحـسـن حـنـون بـريـمـان يـانـع

وقال: وتدعو خثعم ونهد وبلحارث وجرم العضة جميع النباتات صغيرة وكبيرة.

قلـت: ولو أضـاف لها عنز، والأزد، وجنب لصـحت أيضـا، فاللفظ (عضـاة) لا زال يسـتعمل لوصـف النباتات وخاصـة البرية في كل بلاد السـراة. وقال: الخمار من العضاه والواحدة عضة، شجر يتخذ منه القسي يكون بجرش والسراة. وقال: وقال الغنوي: نفحس العنب معناه: ندلكه حتى يتميز من معاليقه. قاله الجرشي. و(الغنوي) من جرش - يبدو أنه قد صـحف عن "العنزي" -، وزراعة العنب مما اشـتهرت به جرش، و"فحس" أي "دلك"، وهـي من المفـردات المحلية السـائدة إلى الآن. وقال: "قال الزهـيري والتبالي والخثعمي: الرصن الواحد والجميع الأرصان، ومثل الرصن المرصن وجمعه المراصن، مضيق الوادي، ومضـايقها والأرصان مواضـع من تثليث". وقال: "وقال السروي: وهو الجازي، وقد جزى رقبته ونفسـه في سـبيل الله، يجزيها مثـل بتلها، والبتل: القطع، ومنه يمـين بتلة لا مثنوية فيها، ولا مثنوية للجازي ......". قلت: لا زالت كلمة (جَزّ) سـائدة في اللهجة العامة بمعنى (قطع). وقال أيضا: "وقال السروي أضر بنا الملاح - الميم مفتوحة - وفارقوا عذب الماء فلم يجدوا بعد ماء السراة إلا ملحا". ومنه قوله: "وقال التربي وهو المزج - أيضا بجر الميم وهو فصيح من سلول، من أهل النقيع، وهي الدعوة من المدعاة إذا جمع القوم للطعام".

من خلال ما تقدم فإن ما قاله الهجري عن فصاحة أهل السراة هو امتداد لما ذكره علماء اللغة والرواة عن هذه المنطقة واختصاصها بالفصاحة مثل أبي عمرو بن العلاء[١] والهمداني[٢] وابن جبير[٣] وابن سعيد[٤] وسواهم، ولكننا هنا أمام نقل لأحد أبناء الجزيرة

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٨ -٨٩ .

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق الاكوع، ص٢٥٠ .

(٣) الكناني، محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص١١٠ - ١١٣.

(٤) ابن سعيد الاندلسي، الجغرافيا، ص٢٧ .

العربية ممن عايشــوا قبائل الجزيرة العربية، ونقلوا عنهم مفاهيمهم ولغتهم نقلا مباشرا من داخل الجزيرة، وهو ما يضيفه كشاهد، مما يزيد الثقة بشهادة سابقيه. ونلاحظ دائما نزوع الهجري لتحديد شخصــية لغوية خاصــة لقبائل خثعم، ونهد، وسلول وجرم والعتيك، وتحديد صــفات لغوية لها، وإفــراد لغة العالية ـ التي حددها ما بــين تربة ونجران وجرش، وكل القبائل التي ذكر كانت تقطن العالية، وتمثل الثلاث الأولى القبائل الرئيســية في شرق منطقة عسير في تلك المرحلة، بل وأفراد ملامح لغة السهليين عن لغة "المحجزين" [١]، ولعل ما أمكن تمييزه في هذا الخصــوص هو إشارته لفصاحة هذه القبائل ووسمهم كلما تعرض للغتهم بالفصــاحة، بالإضــافة لبعض المفردات التي لا زالت من خصوصيات المنطقة التي وردت في النصــوص والتي تم التنبيه عليها في تعليقنا على النصــوص ذاتها. واكتفي بذلك حول خصوصية اللغة والمفردات التي تحدث عنها، ونترك البقية لأهل الشأن.

د ـ الدلالات التاريخية :

من الدلالات التاريخية التي نخرج بها عن منطقة الدراسة في كتاب الهجري:

١. تبعية منطقة الدراســة الإدارية لولايــة مكة المكرمة، ونجد ذلك من خلال حادثة علبة الحارثي في يوم "سـحبل" في جهات بلاد الحــارث بن كعب حوالي نجران ـ والتي تقع في أقصــى جنوب منطقة الدراســة ـ حيث تم نظر الدعوى وإقامة الحد عليه من قبل والي مكة في مكة المكرمة[٢]، كما أن هذه الحادثة، تدل على ضـعف الإدرات المحلية القائمة في بعض مدن المنطقة مثل جرش التي كان الموصلي عاملا عليهــا (تابعا لوالي مكة) [٣]، والهجيرة، ونجران، والســراة، وتبالة، وتربة، التي أشــار لها البكري[٤]وابــن خرداذبة[٥]، إذ تجاوزها أصــحاب الدم إلى والي مكة مباشرة، أو أن الأنظمة تفرض إحالة مثل هذه القضايا إلى الولاية الأكبر في مكة.

٢. تحالــف نهد وبني الحــارثٍ بن كعب، ونجد ذلك في توحد وســم إبلهما[٦]، وفي كــون نجران هجرهمــا معاً كما جــاء في حديث النهــدي للهجــري[٧]، وهو ما يعطينــا مصــداقية أكثر لأخبار وردت في المصــادر الأخرى عــن حلف عنز بن

---

(١) هكذا اطلق عليهم .
(٢) ص ٥٧٢ .
(٣) أشار له الهمداني في كتاب الإكليل (ج٢/ص١٤٦) وذكر انه كان عاملاً لسلطان مكة على جرش .
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٨، ٣٠٩ .
(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٣ .
(٦) ص ١٦١٣ .
(٧) ص ١٦٣٠ .

وائل وخثعم مقابل حلف نهد والحارث بن كعب الذي استمر حتى نهاية القرن السادس الهجري، حيث انتهى بمعركة الحزم التي جلت بعدها نهد وضعفت الحارث بن كعب، ودخل بعضها في يام.

٣. وجود العتيك في هذه المنطقة كواحدة من قبائل التي تقطن البادية خلال المراحل الأولى من ظهور الاسلام[١]، وهو ما لم أجد من سبق الهجري إليه، بل إن المصادر الأخرى اللاحقة له أهملت هذا الخبر، حتى أن الهمداني الذي عاصر الهجري وجاء بعده لم يورد خبر وجود العتيك في جهات الوحاف وما إليها.

٤. حضور قبائل لهب وشكر ويشكر وبجيلة في بلاد السراة، بأسمائها، كقبائل مستقلة، ونشطه خلال مرحلة الهجري (القرن الثالث).

٥. كثرة، وتداخل، وتخالف القبائل على المنطقة بشكل سريع، وكثرة نزاعاتها وحروبها منذ العصر الجاهلي امتدادا إلى العصر الهجري، ونجد ذلك من خلال اختفاء ذكر عدد من القبائل في الكتاب ممن ورد لها ذكر قوي في المنطقة قبل مرحلة الهجري كزبيد[٢]، ومراد[٣]، وضبيعة، وذهل[٤]، وعبدالقيس[٥]، وشيبان[٦]، وإياد[٧]، وجهينة[٨]، وعامر، وتميم[٩]، ثم اختفاء ذكر عدد من القبائل التي ذكرها الهجري في تلك المرحلة مثل نهد، والحارث بن كعب، وجرم، وعقيل، وجعدة، وهلال، وشكر، ويشكر، ولهب، إذ رحل بعضها ودخلت أخرى في القبائل الأكبر المجاورة، وأخرى تغيرت أسماؤها، وامتدت على بلاد بعضها قبائل أخرى، ولعل اختفاءٍ القبائل التي أشار الهجري لوجودها في هذه المنطقة فيما بعد: يعد شاهدا ضمنيا على تخالف القبائل في استيطان هذه المنطقة عبر الزمن، بسبب كثرة الصراعات على مراعيها

---

(١) ص ٩٩٢.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، ص٨٢.

(٣) يقول الأرياني: " أما (الحدأ) - من مراد - فقبيلة يمنية معروفة كانت منازلها في الماضي في سراة جنب وسنحان الواقعة الآن في المملكة العربية السعودية. أما الآن فإن الحدأ تنزل وسط اليمن...، انظر الإرياني، مطهر، نقوش مسندية، ص١٢٣.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦.

(٥) كنعان، محمد أحمد، السيرة النبوية والمعجزات - خلاصة تاريخ ابن كثير، ص٦٩٨.

(٦) انظر: الحموي، ياقوت، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، ص١٨٥، ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢١.

(٧) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٤٨، ٤٩.

(٨) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالمنعم الطحاوي، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣١ ص١٩٣.

(٩) ديوان سلامة بن جندل السعدي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، ص٢٠٣.

الغنية، مما يصادق على صحة خبر حضور من كان قبلها ممن ورد خبر وجودها فوق هذه الأرض قبل عهد الهجري.

٦. اختفاء ذكر قبائل ربيعة من معظم أنحاء الجزيرة العربية في عصر الهجري في رواياته، فيما عدا تواجد عنز بن وائل بجهات بلاد عسير وما جاورها[١]، ومن حالفها من قبائل معد[٢]، وذكر ضعيف لهزان في بلاد اليمامة[٣]، ونجد دلالة ذلك في التالي:

أولاً: ندرة من نقل عنهم الهجري من ربيعة غير الجاهليين، فلم يورد سوى حردبة الحنفي: وهو أحد شعراء العصر الأموي من سحيم حنيفة، وبكر بن النطاح: من أهل القرن الثاني (ت١٩٢هـ)، وكان من سكان البصرة ثم بغداد، والفضل بن قدامة (أبو النجم العجلي): وهو من شعراء العصر الأموي (ت١٣٠هـ)، وكان يتردد على عبدالملك بن مروان، أي أنه كان في الشام وما إليها لا في الجزيرة العربية، وقد نقل في النسب عن حميد القسيمي العجلي[٤]، ولم نعرف من أي البلاد هو، وأورد لشاعر عنزي قبيلته مجاورة لطيىء ولعله من عنزة، وكما نلاحظ فإن قلة عدد شعراء ربيعة بالجزيرة العربية، بل وانعدام حضورهم في عصر الهجري في الجزيرة العربية يثير الانتباه،خاصة وهم من كانوا حينها يملؤون الدنيا شعرا وحضورا في المدونات العربية الأخرى.

ثانياً: أشار لأحد المواقع بقوله: " قال وأهل الحزن حزن عجل الذي هو اليوم دار أسد"[٥]، مما يدعم فكرة هجرة قبائل ربيعة من أنحاء كثيرة من الجزيرة العربية قبل عصر الهجري.وربما أن حروب الردة، ثم دخول قبائل هوازن القادمة من جهات العالية إلى اليمامة، ودخولها في حروب متتالية مع بني حنيفة وعجل والنمر وهزان وما إليها، ثم قيام الدولة الأخيضرية التي هاجر بسببها جمع من أهل اليمامة، ثم اكتساح القرامطة لأنحاء كبيرة من وسط الجزيرة العربية، كان له أثر في تلاشي وجود ربيعة في ديارها القديمة، وانتقالها إلى مناطق أخرى.

هـ . دلالات الخصوصية لبعض المواقع:

من خلال النصوص الشعرية وتعليقات الهجري يتضح لنا أن هنالك بعض المواقع بمنطقة الدراسة كانت مضرب الأمثال في ناحية من النواحي اشتهرت بها ومن ذلك:

---

(١) ص ١٤٢ .

(٢) الهمداني، الإكليل، مصدر السابق، ج٢/ص١٣٩- ١٤٠ ؛ نلاحظ تواجد لقبائل معد محالفة لعنز بن وائل في قصائد أحمد بن إبان العوسجي وقصائد محمد بن ابراهيم العوسجي التي نقلها الهمداني .

(٣) ص ١٤٥١ .

(٤) ص ١٨٥١ .

(٥) الهجري، ص١٤٥٩ .

١ـ المسمورة الجُرَشيَّة : أورد أبياتا لرافع بن عبدالله القردي ـ ومن ضمنها أبيات غير مكتملة، كالبيت رقَم (١١) وما قبله وما بعده ـ والنص فيه جاءت إشارة لـ"جرش" في سياق أبيات رثاء لسيد قومه: "محمد بن عطاء" ـ حسب سياق الأبيات ـ، ومنها:

وتبكيه أسرى في الجراير دونها   مصاريع ....
مصافيد في مسمورة جُرَشية   ترايا لهم عند .... [١]
إذا سهروا للبرق هيج ما بهم   من الشوق لوح واصب [٢]

والشاعر من بني الملجم من هذيل المقيمة حوالي مكة، بعيد عن جرش، ونلاحظ أنه أضاف "المسمورة" إلى "جُرش"، فوصفها بالجُرشية، ما يدل على أن "المسمورة" مما اشتهرت بانتاجه جرش، ولم أجد اللفظ في المعاجم، إلا أن أحد أعمدة جامع صنعاء الكبير يقال له "السمورة" وهناك آخر يقال له المنقورة، ولكن الاسم هنا ـ كما يبدو ـ يطلق على عمود بعينه، وليس اسم آلة، ومن خلال المسمى فإن "المسمورة" لا بد أنها تصنع من الخشب، وتدق فيها المسامير، ونجد في البيت الذي يليه ما يدل على ذلك، عندما قال "لوح واصب"، ويبدو أن "المسمورة" ـ كما في سياق البيت ـ مما يستخدم لربط (تصفيد) الأسرى، فلعل "المسمورة" لوح أو ألواح تسمر إلى بعضها، ويربط بها الأسرى الكثير، ومن الواضح أن جرش اشتهرت بإنتاجها، أو بإنتاج خشبها، أو بانتاج أجوده، ومن الجدير بالذكر أن العرادات والدبابات ـ التي اشتهرت بصناعتها جرش ـ كانت تصنع من الخشب أيضا، ولعلها المسمورة من خشب العرعر، فقد عرف خشب العرعر في المنطقة بقوته، ففي المهمات الصعبة دائما ما يلجأون لخشب العرعر، لصلابته، وقوة تحمله، واستدامته، ولم أر له مثيلا في ذلك في الجزيرة العربية.

٢ـ قصور نجران : صاحب ليلى توبة أو المجنون[٣]:

كفى حزناً أني مقيم ببلدة   مجاورتي ليلى بها لا أزورها

---

(١) هكذا جاءت الأبيات ناقصة في الكتاب .

(٢) ص ٦٢٩ .

(٣) يقول المحقق (الجاسر) في الهامش: توبة بن الحمير الخفاجي العقيلي المتوفى سنة ٨٥هـ، وهو صاحب ليلى الأخيلية العقيلية، والمجنون هو: قيس بن الملوح العامري المتوفى سنة ٦٨هـ، وصاحبته التي جن بهواها تدعى ليلى، والاثنتان من قبيلة واحدة وهما متعاصرتان، واسم عشيقتيهما واحد، ولهذا اختلط شعرهما، ونسبت الأشعار التي يرد فيها ذكر ليلى إلى المجنون، كما قال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل فيه ذكر ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، "ديوان توبة بن الحمير الخفاجي" حققه الاستاذ إيراهبم العطية، وطبع في بغداد سنة (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م)، وفي أوله قصيدة تقع في ٧٩ بيتا ورد فيها البيت الثاني من هذه المقطوعة، وشعر المجنون جمعه الأستاذ عبدالستار فراج، ولم أر فيه المقطوعة وفيه ثلاث مقطوعات من بحرها ورويها.

ولـو أن ليلى في ذرا متمنع (بنجران) لالتفت علي قصورها
ولو أن ليلى في السماء لصعدت إليها بصيرات العيون وعورها

... إلخ.

في الحقيقة لا أجد في الأبيات دلالة واضحة تؤكد أن توبة المجنون كان بجهات نجران عند قوله هذه القصيدة، والأرجح أن الاسم ورد هنا للتمثيل فقط، فكأنه يضرب المثل للبعد وبقصور نجران لعظمتها، كما مثّل بالسماء في الشطر الذي يليه.

٣.حمام هرجاب: اشتهر وادي هرجاب في الشعر بغناء الحمام، فأصبح مما يضرب به المثل في ذلك، يدل على ذلك ما تكرر عند الهجري لكل من: صاحب طيبة في قوله:

تناذرها الرعيان فهي مقيمة بهرجاب في دومٍ يغني حمامها

ولمزاحم العقيلي في قوله:

بهرجاب حيث استخضد السدر والتقى حمام أعالي الغيضة المتهافت

٤.أسود بيشة : من قصيدة طويلة لسعد بن عياض العاتري الصاهلي:

فأشهد ما ذو لبدةٍ كَلِبِ الشَّبَا أبو أشبلٍ حانٍ، ببيشة خادر

يدل البيت على أن الموقع الذي اشتهر بالأسد هو وادي "بيشة" الواقع في العالية، كما ورد في الكثير من القصائد الأخرى.

٥.عنب تبالة : يقول مزاحم العقيلي:

فما عنب جون بأعلى تبالة خضيد أمالته الأكف القواطف
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ولكنني بالطير والناس عارف

- يدل البيت على اشتهار عنب أعلى وادي تبالة بطيب مذاقه.

٦.مشجرة أجزاع تبالة وبيشة وتثليث ويبمبم : يقول القشيري أثناء وصفه للمناطق الواقعة شمال الدبيل وما إليها:

متى تهبطان الجزع ذي الأثل والغضا فقد عتقت من سيرنا نضوتاكما[1]

(١) ص ١٤٨٥ .

وأورد لقريش بن عبدالرحمن العذمي (من أهل السراة المجاورين لبيشة وترج وتبالة):

أيا نخلة الجزع التي نبتها لها منظر ترضى به العين سانع

الجزع: اسم موقع على جانب وادي تبالة من قرى الفزع من خثعم، وتبالة أحد روافد وادي بيشة[1]، والجزع منعطف الوادي، ويأتي مصداقا له قول لبيد:

والضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تبالة مخصب آكامها[2]

وتبالة من روافد وادي بيشة، الذي عرف بأجزاعه ذات الأشجار والأثل، قال لبيد:

حفزت وزايلها السراب كأنها أجزاع بيشة أثلها ورضامها

وربما اشتهرت كل منطقة العالية بكثرة الأشجار والنباتات، قال حميد بن ثور:

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة أو النخل من تثليث أو بيبنبما[3]

- أجزاع بيشة وتبالة اشتهرت بكثرة أشجارها ونخيلها، وهو أمر مشهور كما نعلم.

٧. **القسي الجرشية والسروية:** جُرَش: قال: "الخَمَارُ من العَضَه، والواحدة عضَةٌ، شجر يتخذ منه القسي يكون بجرش وبالسراة[4]. ومما اشتهرت به جرش، كحاضرة فوق السراة، وكمدينة تجارية صناعية عرفت على الطريق التجارية بين اليمن والشام: صناعة وتجارة النسيج[5]، ومما يؤكد هذه الشهرة ما نجده في هذا النص أعلاه، فالقسي: هي الثياب الفاخرة أو العباءات، وهي مما عرف به أهل السراة. حيث جرش. واشتهروا به، وقد ذكر ذلك عنهم ابن جبير فقال عن أهل السراة عندما رأى بعضهم بمكة: "لهم القسي العربية الكبار كأنها قسي القطانين لا تفارقهم في أسفارهم"[6] . تم بحمد الله.(منصور أحمد عسيري/تاريخ ٢٠١٨/٩/١م) .

رابعاً : تعليقات وآراء :

تم نشر عملين في هذا القسم عن بلاد السراة، **الأول :** وجهة نظر الباحث عن

(١) الحربي، علي ابراهيم، المصدر السابق، ج١/ ص٣٨١ .
(٢) ص ٥٩ .
(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥/ ص٤٢٨ .
(٤) ص ١٣٦٩ .
(٥) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ،، ص ٦٨.
(٦) الكناني، محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص١١٢ .

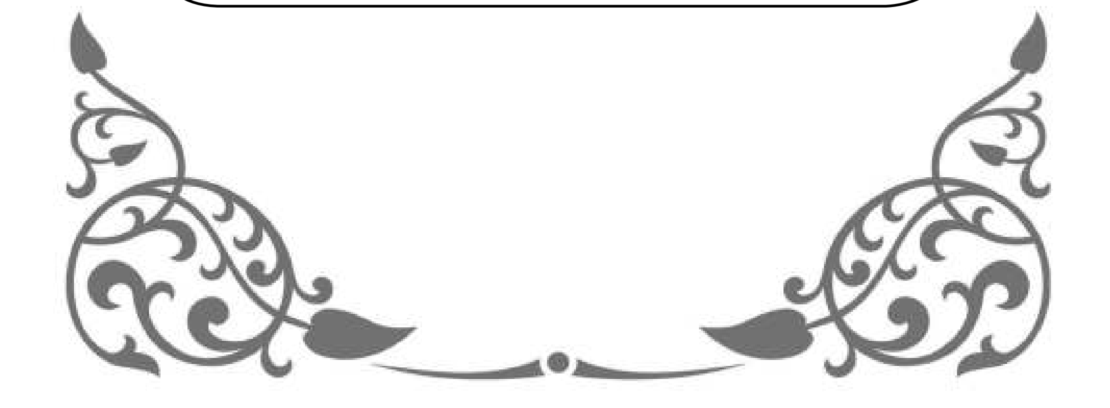
مجال البحث عن السروات، وهل خدمت علمياً في هذا الميدان . **والثاني :** استعراض لكتاب أبي علي الهجري : التعليقات والنوادر، وأهميته في تدوين بعض الروايات، والأشعار، والمعلومات عن السرويين والسروات . ولا ندعي الكمال في كل ما درس ونشر في هذا القسم، لكننا خرجنا بالعديد من النتائج والتوصيات التي نذكرها في النقاط الآتية :

١. السروات ذات تاريخ وثقل حضاري عبر أطوار التاريخ، لكنها لم تخدم بشكل جيد في ميدان البحث العلمي، ونأمل أن نرى الجامعات المحلية في هذه الناحية فتقوم بواجبها في خدمة أرض وسكانٍ هذه البلاد العربية الأصلية .
٢. هناك نتف وشذرات يسيرة وثقت شيئاً من حضارة السروات، وأبو علي الهجري أحد العلماء الذين حفظوا لنا شيئاً من تاريخ وموروث هذه الأوطان .
٣. يوجد في كتب التراث الإسلامي الأخرى بعض المصادر التي أشارت إلى جوانب عديدة من تراث وتاريخ السروات. ومن أولئك، الهمداني في كتبه: صفة جزيرة العرب، والجوهرتين العتيقتين، والإكليل. وياقوت الحموي : معجم البلدان، وابن المجاور : تاريخ المستبصر . وفي اللغة العربية : معجم ابن منظور، والزبيدي (لسان العرب، وتاج العروس) . وكتب أخرى عديدة : أدبية، وتاريخية موضوعية وبخاصة المصادر الحجازية واليمنية، وغيرها . وجميع هذه المصادر تستحق أن تدرس مجتمعة أو متفرقة ويذكر نصيب السروات فيها مع توضيح مواطن القصور تجاه السراة والسرويين .
٤. أرجو من المؤرخين في أرض السروات، كما أرجو من أقسام التاريخ والعلوم الإنسانية في الجامعات المحلية في بلاد السراة أن يخدموا البحث العلمي الذي يصب في مصلحة الإنسان والأرض السروية . ومن يفعل ذلك فإنه سيجد الكثير من الموضوعات الجديدة في عناوينها وميادينها .
٥. أرجو من مؤسسات التعليم والإمارات والمحافظات وأصحاب رؤوس الأموال في السروات أن يكون جميعاً عناصر فاعلة وإيجابية في دعم وتشجيع مجالات البحث العلمي المختلفة . فالأوطان السروية بيئة صالحة وغنية بالموارد المادية والمعنوية التي تدعم مسيرة البحث والتوثيق العلميين .
٦. تحتاج السروات إلى من يحفظ ويوثق موروثها الحضاري الحديث والمعاصر، المتمثل في :آثارها المادية والمعنوية، ووثائقها، وصورها، ومدوناتها، وسجلاتها، وتقاريرها المكتوبة، ورصيدها العلمي والفكري والثقافي الشفهي : مثل : اللهجات، والأشعار، والقصص، والأهازيج، والحكم والأمثال وغيرها . كما أن التطور والتنمية الذي تعيشه هذه البلاد منذ بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). إلى وقتنا الحاضر (١٤٠٠- ١٤٤٠هـ/١٩٨٠- ٢٠١٩م) تستحق التدوين والتوثيق والحفظ . (والله من وراء القصد) .



القسم الرابع

بحوث لغوية وأدبية في أجزاء من الجنوب السعودي



القسم الرابع

بحوث لغوية وأدبية في أجزاء من الجنوب السعودي:[(١)]

أولاً: مدخل[(٢)].

تعد بلاد الجنوب السعودي مخزناً كبيراً وبكراً للبحث في شتى المجالات النظرية والإنسانية والعلمية البحتة. والأمر الإيجابي أنه يوجد في هذه الناحية حوالي ست جامعات حكومية[(٣)]. وعلى هذه المؤسسات مسؤولية كبيرة في خدمة أرض وسكان هذا الجنوب العربي العريق، وهناك محاولات يسيرة وخجولة من هذه الجامعات وبعض أعضاء هيئة التدريس، حيث صدر لهم بعض البحوث، أو الكتب، أو الرسائل العلمية في مجالات عديدة خلال العقود الأربعة الماضية[(٤)]. وأسجل هذه الكلمات لمعاصرتي مسيرة

(١) جل هذه البحوث تدور في فلك منطقة عسير، وذكرت في العنوان اسم (الجنوب السعودي)، فمنطقة عسير من جنوب المملكة العربية السعودية. وعموم بلاد الجنوب من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران، والمعروفة باسم (تهامة والسراة) ميدان كبير للبحوث والدراسات العلمية في شتى المعارف، واللغة والأدب أحد المجالات العلمية الكبيرة التي تستحق الدراسة العلمية الجادة في هذه الأوطان العربية السعودية الجنوبية. (ابن جريس).

(٢) هذا المدخل من إعداد صاحب الكتاب (ابن جريس).

(٣) هي جامعات الملك خالد، والطائف، والباحة، وبيشة، ونجران، وجازان في هذه المؤسسات الأكاديمية عشرات الآلاف من الطلاب، وكذلك المئات من الأساتذة في شتى المجالات.

(٤) بدأ التعليم الجامعي في جنوب المملكة العربية السعودية وفي مدينة أبها تحديداً عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وهناك العديد من الندوات واللقاءات والمؤتمرات التي عقدت في مدن وحواضر من جنوب المملكة العربية السعودية خلال الـ (٤٤) سنة الماضية، وصدر عن تلك اللقاءات بعض الأعمال العلمية المطبوعة والمنشورة. كما نشر بعض أعضاء هيئة التدريس بعض الدراسات أو الكتب التي تتعلق بتاريخ، وحضارة، وتراث، وعلوم الأرض والناس في بلاد تهامة والسراة. ومازالت هذه الأعمال العلمية المطبوعة والمنشورة قليلة

التعليم الجامعي في الجنوب، وأيضاً حرصي للإسهام في دفع عجلة البحث العلمي الرصين والمعتدل بين إخواننا وأبنائنا من أساتذة وطلاب هذه الجامعات الحكومية . كما أن هناك بعض الباحثين الجادين الذين لا ينتمون لهذه الجامعات، لكنهم يسعون إلى خدمة العلم والتراث . وفي هذا القسم ننشر عملين علميين لأستاذين كريمين هما: الأستاذ علي بن محمد بن شعبان عسيري ، الذي درس نماذج من لهجات تهامة عسير، وأصولها في بعض كتب التراث الإسلامي . وابن شعبان يعمل في سلك التعليم العام، وحصل على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك خالد[(١)] . والأستاذ الآخر هو: محمد بن أحمد بن مُعَبِّر القحطاني فهو لا ينتمي للجامعة، ومستقل في أعماله العلمية، وله جهود علمية مباركة في ميادين عديدة[(٢)] . وبحثه المنشور في هذا القسم عن بعض المقامات الأدبية الحديثة في منطقة عسير، لكنني استبدلت اسم عسير باسم (جنوبي البلاد السعودية) على أمل أن نرى ابن معبِّر أو غيره يستكمل هذا الموضوع المنشور في هذا السفر، ويكتب عن بعض الكتب أو المقامات الجنوبية في هيئة مقامات أدبية حديثة . ومن يدرس تراث أمتنا الإسلامية القديمة، وما خلدوا لنا من تراث أدبي ولغوي، ثم ينظر إلى واقعنا اليوم فإنه سوف يجد بيئة خصبة يصدر منها فكر وتراث يضاهي ما عند الأوائل . ونرجو من الله أن يسخر لهذه البلاد العربية الجنوبية وغيرها من بلدان شبه الجزيرة من ينقب عن آثارها، ويدون ويحفظ تراثها وموروثها العلمي والحضاري.

جداً، ويجب على هذه الجامعات المحلية أن تضاعف جهودها في تأسيس مراكز بحوث متخصصة، ودعم وتشجيع الطلاب والأساتذة على خدمة أهلهم وأرضهم . المصدر: معاصرة مسيرة التعليم الجامعي في الجنوب السعودي من عام (١٣٩٦ - ١٤٤٠هـ/١٩٧٦ - ٢٠١٩م) (ابن جريس) .

(١) للمزيد انظر سيرته الذاتية في صفحة قادمة من هذا القسم، ونأمل أن نرى من طالباتنا وطلابنا من يقتدي بالأستاذ علي بن شعبان في تسخير ما تعلم لخدمة بلاده وأهله . (ابن جريس) .

(٢) من ينظر إلى سيرة هذا الرجل العلمية فإنه سوف يجد قامة علمية وأدبية سخرت نفسها لخدمة العلم والثقافة . ونأمل أن نرى نماذج أخرى مثل الأستاذ محمد بن مُعَبِّر تخدم دينها وتراثها وبلادها (ابن جريس) .

ثانياً : فصحى التراث في لهجة تهامة عسير. بقلم . أ. علي بن محمد بن شعبان عسيري.[١]

١- تقديم :[٢]

عرفت الباحث علي محمد شعبان منذ خمس سنوات عندما كان طالباً في ماجستير اللغويات = اللسانيات، ثم سجل للماجستير عن التعبير الاصطلاحي في "كتاب المستقصى في أمثال العرب" للزمخشري. وكان عملاً علمياً طيباً تظهر فيه شخصيته التي لا تكف عن التساؤل، وتريد أن يكون لها رأي فيما يقوله الباحثون المحدثون في الموضوع المدروس. وبعد أن حصل على الماجستير ظل إلى جوار عمله في التدريس العام يقرأ ويبحث، وتفرغ لكتاب أبي عبيد القاسم بن سلام في الأمثال وشرحه "فصل المقال" لأبي عبيد البكري. وكان أول ما لفت انتباهه وجود بعض الألفاظ والتعبيرات

---

(١) الأستاذ علي شعبان من مواليد عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) في حي سبجة بمحافظة محايل عسير . حصل على شهادة الثانوية العامة في مدينة محايل عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، والبكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الملك خالد بأبها عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، كما حصل على درجة الماجستير تخصص (لغويات) من جامعة الملك خالد عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) . يعمل الأستاذ علي في مهنة التعليم في محافظة محايل، وقد شارك في العديد من الدورات والبرامج على مستوى محافظة محايل عسير، وفي محافظات عديدة في جنوب المملكة العربية السعودية . وله العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة، وأخرى غير مطبوعة، ومنها : (١) تحقيق نصوص من خزانة الأدب للبغدادي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). (٢) موقف الإسلام من الشعر(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . (٣) دراسة الاستثناء . (٤) الأبنية الصرفية في معلقة الخنساء (دراسة صرفية) . (٥) التعبير الاصطلاحي في كتاب المستقصى في أمثال العرب . (ابن جريس).

(٢) هذا التقديم بقلم الأستاذ الدكتور عباس بن علي السوسوة أستاذ اللسانيات في جامعتي تعز باليمن والملك خالد في المملكة العربية السعودية . (ابن جريس) .

فيه تستعمل في منطقة تهامة عسير، في لغة الحياة اليومية دون لغة الكتابة، فنصحته بالرجوع إلى أعمال سبقته في هذا المضمار، بعضها عن المحكية المصرية، وبعضها عن محكيات في السعودية. وليس شرطاً أن تتطابق الألفاظ نطقاً ودلالةً في كل مكان.

ويحمد للباحث أنه جعل عنوان عمله "فصحى التراث في لهجة تهامة عسير بحث في تاريخ الألفاظ وتطورها " ذلك أن مفهوم الفصاحة والفصحى ملتبسٌ عند كثير من الباحثين المختصين والهواة. فأكثرهم من الناحية العملية يحسب أن بين الفصحى- نقصد بها فصحى التراث- وبين لغة الحياة اليومية في أي مكان من بلاد العرب أيامنا هذه برزخاً وحجراً محجورا؛ فلا يلتقيان ولا يتشابهان. وما أبعد هذا عن الحقيقة والعلم! ونسي هؤلاء أن عامة الناس- وفيهم أميون كثر- يسمعون ويشاهدون خطب الجمعة والدروس الدينية ونشرات الأخبار والتمثيليات التي تتوخى مستوى الفصحى المعاصرة أو التراثية، فيستوعبونها. وسبب هذا اتفاق المستويين في كثير من دلالات الألفاظ، واشتراكهما في كثير من قواعد التركيب صرفاً ونحواً. أما أن العامة وغيرهم لا يستعملونها فهذا أمر آخر. وبعض الدارسين يستغرب عندما يجد ألفاظاً من الحياة اليومية، لا يستعملها الكتّاب في الصحافة ولا في لغة التأليف، لكنه ببحث يسير في المعاجم القديمة، كلسان العرب لابن منظور، أو القاموس المحيط للفيروز آبادي، يجدها هي هي بأعيانها لفظاً ومعنى، أو يجدها وقد تغير فيها صوت إلى آخر ودلالتها كما هي، أو يجد دلالتها قد تغيرت بعض الشيء عما في المعاجم حسب علاقات المجاز المرسل. وقد لا يجدها دون أن نحمل علماءنا القدماء التقصير في النقل.

وقد أحسن علي محمد شعبان في وضع هذه الألفاظ هذا الوضع الرباعي، وزاد عليها ما استبدلت به محكية تهامة عسير ألفاظاً غيرها. وبالتأكيد قد لا تنفرد محكية عسير ببعض هذه الألفاظ والدلالات، بل تشركها فيها محكيات داخل السعودية أو خارجها، خصوصاً إذا كان بين أفراد هذه المحكيات تشابه في طرق المعيشة في الرعي بأنواعه والاحتطاب والزراعة... إلخ، وقل مثل ذلك في تشابه قواعد السلوك التي تفرز ألفاظاً وتعابير متشابهة. ولكن الوضوح المنهجي عند الباحث باستعماله المنهج الوصفي يحتم عليه أن لا يتوسع في المقابلات بين المحكيات، ويترك ذلك لمن يأتي بعده. كما أنه أحسن في استعمال المنهج التاريخي، ليس بالعودة إلى المعاجم القديمة وحدها- مع أنه يكفي- ولكن لوضع يده على أسباب التغير في الألفاظ والدلالة. وختاماً فهذه مقدمة احتفائية بعمل علمي راجعته، وما أبرئ نفسي ولا الباحث من سهو هنا أو هناك، أو خطأ طباعي لا يخفى على فطنة القارئ المدقق. راجين ممن يجد عيباً أن يسد الخلل وله خير الجزاء والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والسلام.

٢. مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتمهم ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فقد اختص هذا البحث بدراسة " لهجة تهامة عسير " في عدد من الألفاظ الشائعة ، الذائعة على ألسنة أبناء هذه المنطقة، وقد غض الطرف عن ألفاظ كثيرة عرضت لي أثناء الدراسة ، كونها تختص بقبيلة دون أخرى ، ولا تمثل قاسمًا مشتركًا . وقد كانت دراسة هذه الألفاظ وفق منهجين من مناهج الدراسة اللغوية ، هما المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، فأما المنهج الوصفي فلدراسة اللهجة في ألفاظها وتراكيبها كما هي عليه اليوم ، صوتيًا وصرفيًا ودلاليًا ، وأما المنهج التاريخي فلبيان العلاقة الوثيقة مع فصحى التراث في بعض الظواهر اللغوية . ولأجل هذه العلاقة بين اللهجات على اختلافها والفصحى ، كانت هناك مقارنة بين الألفاظ قديمًا وحديثًا ، فكانت النتيجة ثبات بعض الألفاظ في دلالاتها وأصواتها وصيغها الصرفية ، وقسم آخر من الألفاظ شهد تغيرًا في الظواهر السابقة أو في بعضها . كما أخذ بالمنهج التقابلي في المقابلة بين الألفاظ في مستويين من مستويات اللغة ، هما الفصحى القديمة واللهجة في تهامة عسير .

وقد جاء البحث في أربعة محاور ، الأول منها جعلته في الألفاظ التي وافقت فصحى التراث لفظًا ومعنى ، والثاني في الألفاظ التي وافقت الفصحى القديمة لفظًا دون المعنى ، والثالث في الألفاظ التي حدث في بنيتها تغير مع دلالتها على شيء معين ، والرابع وفيه الألفاظ التي حل محلها ألفاظ أخرى ، في الدلالة على شيء معين . وفي دراسة الألفاظ كان الاهتمام منصبًّا على بيان الدلالة المعجمية (العامة) أولًا ، ثم الدلالة السياقية ، من خلال السياقات المختلفة التي قد يختلف فيها مدلول اللفظ عما كان عليه في المعجم. هذا وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في إضافة جديد إلى المكتبة اللغوية ، في دراسة اللهجة خاصة ، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ، والحمد لله رب العالمين.

٣. تهامة عسير:

أ. الدلالة والمكان :

لا يخفى على دارس اللغة المعنى الذي تدل عليه لفظة " تهامة" ، فكل ما ولي مكة من أرض اليمن يسمى تهامة، ويقال إن مكة من أرض تهامة ، والنسب إليها " تَهامي " بفتح التاء قديمًا ، وكسرها عند أهلها، وعند الجمع يقال (تَهَمة) و (تِهمان) . وفي اللغة : أتهم الرجل ، إذا صار إلى تهامة ، والمتهام الكثير الإتيان إلى تهامة. ويقال

إن التاء والهاء والميم أصل واحد، يدل على شدة الحر وركود الريح ، وبذلك سميت تهامة . (معجم اللهجات المحكية في المملكة العربية السعودية ،سليمان بن ناصر الدرسوني ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ، ١٤٣٣هـ ، ص ٦٣٧) . وعن السبب في تسمية عسير ، قيل إنه اسم رجل يسمى عسير، وقول آخر، هو وعورة جغرافية المنطقة[١] ، لاسيما قبل تعبيد الطرق. وتقع تهامة في بطون جبال السروات غربًا ، حيث يحدها شرقًا جبال السروات ، وغربًا البحر الأحمر ، وشمالا محافظة القنفذة ، وجنوبًا منطقة جازان[٢] .

ب. أشهر القبائل، والأسواق، والمعالم :

تستوطن قبائل تهامة عسير في عدد من المحافظات والمراكز ، ويمكن بيان ذلك فيما يلي: (١) محافظة محائل عسير والمراكز التابعة لها ، وفيها قبيلة آل موسى ، وتتكون هذه القبيلة من عدد من البطون والعشائر ، وقبيلة آل مسهر ، وآل خَتارش ، و بللحمر وباللسمر (تهامة) ، وقبيلة آل حارث وبني ثوعة ، وآل عاصم (تهامة)، وآل بارق ، والطحاحين ، وولد أسلم ، والمَنْجَحة ، والفَلاقِية ، وقبيلة بحر أبو سكينة ، وبني هلال ، وغيرهم من القبائل . (٢) محافظة رجال ألمع والمراكز التابعة لها ، وأشهر قبائلها: قيس ، وبني ظالم ، وآل البنا ، وشَحْب ، وبني زيد، وبني قُطْبَة ، وآل صَلَب ، والصواقعة ، وغيرهم .

وفي تهامة عسير عدد من الأسواق ، وتحمل أسماؤها أسماء الأيام التي تقام فيها هذه الأسواق . ومن أشهرها: سوق السبت في محائل عسير ، والعجيب في هذا السوق أنه كان يقام في يوم واحد ، ولشهرته وموقعه التجاري المتميز أصبح يقام في كل يوم . ومن الأسواق جمعة ربيعة ، وسوق الخميس (خميس مطير)، وثلوث المنظر ، وسوق الخميس (خميس البحر) ، وسوق الإثنين في (قنا) ، وسوق ثلوث ريم (رجال ألمع) ، وسوق الحبيل ، واشتهر هذا الأخير ببيع العسل ، وسوق ربوع العجمة (بارق) .كما عرفت تهامة عسير ببعض الأماكن والمعالم الأثرية ، مثل قرية رجال ألمع التراثية ، التي تعد أهم موقع تراثي في تهامة عسير ، وجبل الحِيلة ، وجبل ميران ، ووادي حلي ، ووادي تَيَّة ، ووادي رَعْلة ، وجبل هادا ، وجبل شصعة ، ووادي الأَحابيش ، وبئر الركِية ، وغير ذلك من الأماكن الأثرية والمعالم المشهورة[٣] .

---

(١) للمزيد عن مسمى عسير تاريخياً وجغرافياً، انظر : غيثان بن جريس. صفحات من تاريخ عسير (الرياض: مطابع الحميضي، ٣٤ـ ١٤٣٥هـ/١٣ـ ٢٠١٤م)، ج١+ ج٢، ص ١٣ـ ٢١ . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن تاريخ وتراث وجغرافية منطقة عسير انظر سلسلة كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (خمسة عشر مجلداً) . (ابن جريس) .

(٣) هذه المعالم والأسواق الأسبوعية تستحق أن تبسط في عدد من البحوث العلمية الموثقة (ابن جريس) .

٤.فصحى التراث في لهجة تهامة عسير :

أ ـ الألفاظ التي وافقت العربية القديمة لفظًا ومعنى

(١)العيّ : ورد في المثل قديمًا : " عَي صامت خير من عَي ناطق "[١] يضرب لمن يقتصد في منطقه . وفي تهامة عسير سمع قولهم : فلان بُوه عيِّن ، أي مرض . وعادة ما يراد به اعتلال في العقل ، وعدم تمييز الأمور والمدركات . كما أن الوصف بهذا اللفظ عار على من وصف به ، لاسيما أنه لا يقال إلا في معرض التهكم والسخرية . وفي التراث اللغوي : رجل عَيّ : بوزن فعْل ، ويقال : عييّ ، والأول أكثر استعمالاً من الثاني . كما يقال: عيي يعيا عن حجته عَيًّا ، والعي هنا الجهل بالأمر ، وقيل الداء العياء الذي لا علاج له ، وقيل الحمق[٢] . وبالنظر في المعاني السابقة يلاحظ أنها تشترك في معنى عام ، هو العجز وعدم القدرة على تصريف الأمور.

(٢) يشخب: قال أبو عبيد: قال الأصمعي: ومن أمثالهم " يشخب في الإناء ويشخب في الأرض " ، ويقال " يشخب في الإناء ويشخب في الفناء "[٣]. يضرب لمن يصيب مرة ويخطئ أخرى . وهذه اللفظة اتفقت في معناها مع الدلالة على الحلب في لهجة تهامة عسير ، غير أنه قد توسع في معناها ، فأصبحت تطلق على الحلبة الواحدة . يقال : (هذا الشاة ولإبْها شُخبن) ، أي ليس فيها شيء من اللبن ، ولعلهم أرادوا بذلك الحلبة الواحدة . والشَّخب إما أن يكون غزيرًا كأن تكون الشاة فَتوحًا وإما أن يكون قليلا كأن تكون الشاة مَتوتًا . والفتوح عندهم : الشاة التي يكون سَمُّ ثدييها متسعًا بما يكفي لخروج اللبن ، وإما أن يكون ضيقًا لدرجة يصعب خروج اللبن معه ، وتوصف الشاة حينئذ بالمتوت . وقديمًا : الشُّخب والشَّخب: ما خرج من الضرع من اللبن إذا احتلب . والشخَب بفتح الخاء : المصدر ، والشُّخبة الدفعة منه ، والجمع شخاب ، وقيل الشخب صوت اللبن عند الحلب ، وقيل الدم ، وكل ما سال فقد شخب[٤] . ومهما يكن من دلالات أخرى غير الحلب ، إلا أن هذه الدلالة هي الأشيع في المعاجم القديمة .

(٣) الجابة : تترد هذه اللفظة كثيرًا في اللهجة ، فكثيرًا ما يقال للرجل في معرض السؤال: ما جابتِك؟ أي ما خطبك وما وراءك من خبر . وفي المثل قديمًا: " أساء سمعًا

---

(١) البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تحقيق : إحسان عباس ، عبد المجيد عابدين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٠١هـ ، ص٢٩

(٢) ابن منظور : محمد بن مكرم أبو الفضل (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ١٥/ ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص ٤٦ .

(٤) اللسان ١/ ٤٨٤، ٤٨٥، وينظر: الفيروز أبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٩٨٩م: ١/ ٩٩ .

فأساء جابة "، يقال لمن يجيب على غير فهم . قال أبو عبيد : جابة اسم موضوع للجواب ، فإن أردت المصدر قلت إجابة . وقال ابن درستويه: أصل الجابة من جاب يجوب الأرض ، إذا قطعها طوافًا ، لأن الجواب هو ما يرجع من المجيب للسائل[١] . **(٤)الرتعة :** وردت هذه اللفظة في اللهجة بتغيير يسير في ضبطها ، فقد جاءت "الرِّتْعة" ويراد بها الخصب والنماء ، ولها مشتقات أخرى مثل : رتيع ومرتع . وإذا نظرنا في تراثنا اللغوي القديم ، نجده لا يعدو هذه الدلالة ، وإن ورد اللفظ القديم مختلفًا اختلافا يسيرًا ، فمن ذلك : الرَّتَعة و رتوع في قولهم : يرتع في كذا ، أي في شيء كثير لا يمنع عنه ولا يثنى عنه . ورتعت الماشية في المرعى رَتوعًا[٢] . وفي التنزيل : (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) سورة يوسف (١٢) . ويقال : خرجنا نرتع ونلعب ، أي ننعم ونلهو . وفي الحديث : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا " ، أي تنعموا بما فيها من نعيم . والرتْع : الرعي في الخصب[٣] . والمعاني السابقة جميعها تدور حول الخصب والنماء والتنعم. **(٥) البراح :** وردت هذه اللفظة ، وتعني المكان المكشوف الواسع . يقال : (مكانن مَبرحن، وبرحة ، ومُبرَّحن) . وهذا المكان بهذه الصفة إما أن يكون براحه أصلاً ، وإما أن يكون بفعل الناس ، كأن يقوموا بإزالة ما فيه من أقذاء وأحجار حتى يصير مبرَّحًا . وقد اشتهر مكان في تهامة عسير بهذه الصفة (برحة) ، وعرفت منذ أمد بعيد إلى يومنا هذا . وقديمًا حمل اللفظ الدلالة نفسها ، وإن اختلف اللفظ قليلًا ، فالبَراح من الأرض ما كان مكشوفًا ، ولذلك سميت الشمس بَراح[٤] . ويقال : برح الخفاء . قال ابن دريد : أول من قاله شقّ الكاهن ، ومعنى برح : انكشف وظهر[٥] . **(٦) أقحاف :** تتردد هذه اللفظة كثيرًا في لهجة تهامة عسير بمعناها القديم، وإن حدث تغير قليل في لفظها عما كانت عليه في التراث اللغوي . يقال : قحف فلان فلانًا قحفة ، أي رماه فشق رأسه ، وغالبًا ما تستخدم فعلًا كالمثال السابق. كما تدل على سيء الحظ . يقال : فلان قَحفن. وقديمًا قيل في المثل: "رماه بأقحاف رأسه "[٦] . وقَحف الرأس : ما انضم على أم الدماغ . وقال قوم من أهل اللغة: لا نسميه قحفًا حتى ينكسر أو يقطع فيسقط عن الدماغ . والجمع أقحاف وقُحوف. وهذا هو المعنى المرجح لدى علماء اللغة قديمًا . **(٧)العرقوب :** وردت هذه اللفظة بمعناها

(١) فصل المقال، ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(٢) السابق، ص ٥٥ .
(٣) اللسان : ٨/١١٢ـ١١٣ .
(٤) فصل المقال، ص ٦٣ ابن دريد، جمهرة اللغة ٢/ ٢٧٤ .
(٥) فصل المقال، ص ٩٦ .
(٦) الأزهري : محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ٢٠٠١م : ١/ ٥٥٣ .

القـديم ، الـذي يعني مؤخرة القدم ، وكذلك وردت قديمًا بدلالة أخرى ، فقد أطلقت في قول الشاعر :

وعـدتَ وكـان الخلف منك سجية مـواعيـد عـرقـوب أخـاه بيـترب

علـى رجـل. قال أبو بكر: اختلفوا فيه، فقال قوم : هـو من الأوس، وقال آخرون: هو من العماليق[١]. واللفظة في خروجها من دلالتها المعجمية إلى دلالات أخرى ، دليل على اهتمام المعاجم العربية القديمة بظلال المعاني التي تتفرع عن معاني الألفاظ ، وإن كان المعنـى المعجمي هو الأسـاس الذي تنطلـق منه المعاني الأخرى التـي تنتج عن التغيرات والتطـورات الدلاليـة المختلفة للكلمـات . **(٨) الدومـة :** مازالت هـذه اللفظة محتفظة بدلالتهـا القديمـة ، التي تدل على نوع من الشـجر يشـبه النخل ، وثمرته تشـبه التفاح ذات قشـر صـلب أحمر . وجمعه دَوم[٢] ، وقد ظهرت حديثًا تسـمية أخـرى لهذا النوع من الشـجر، هي " واشـنطني " ، ولا أعلم سببًا لهذه التسمية ، إلا أن يكونوا توهموا أنه مسـتورد من واشنطن . **(٩) يفل:** وردت بالمعنى القديم الذي يعني الكسر[٣]، ومن ذلك المثـل : " لا يفل الحديد إلا الحَديد " ، وهو مثل مشـهور خرج عـن دلالته الحقيقية إلى أخـرى مجازيـة ، تعني : مقابلة القوة بالقوة .وقديمًا قيـل : " الحديد بالحديد يفلح" . قال الشاعر :

قـومـنـا بـعـضـهـم يُـقـتِّـل بـعـضًـا لا يـفـلّ الـحـديـد إلا الـحـديـد[٤].

وهنـا يلاحـظ التوافق في لفـظ المثل أيضًـا : " لا يفل الحديـد إلا الحديد" بدلالته المجازية المعروفة . **(١٠) حور:** ما سمع في هذه اللهجة كلمة "حورة" ، وتعني مكان تجمع الميـاه الراكـدة ، التي ربما تحرك الماء في الحيز الذي يكـون فيه لا يتعداه . يقال : مايِن حايِّرن : ماء حائر ، وفي ذلك معنى التوقف أو الثبات في الشـيء[٥]. وفي التراث اللغوي تعني: الرجوع عن الشـيء وإلى الشـيء[٦]. يقال: حار إلى الشـيء وعنـه حورًا ومحارة

---

(١) اللسان، ١٧٣/١ .

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، القاهرة، ١٩٨٥م، ٣٠٥/١ .

(٣) المعجم الوسيط، ٣٠٥/١ .

(٤) الجوهري، إسـماعيل بـن حماد الجوهري الفارابي (ت ٤٠٠هـ)، الصحاح، تحقيـق : أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين. بيروت، ١٤٠٧هـ، باب الفاء، ص ٢٤٣ .

(٥) اللسان، ٢٦٧/٢ .

(٦) اللسان، ٢١٧/٤ .

وحؤورًا: رجع عنه وإليه[١]. وفي الحديث: "من دعا رجلًا بالكفر وليس كذلك حار عليه"[٢]، أي رجع إليه ما نسب إليه. وورد في المثل: "حَور في محارة"[٣]، وتكون أيضًا بضم الحاء: حُورة، والفتح صحيح، لأنه قياس مصدر حار يحور حورًا، أي نقص[٤].

(١١) الزنمة: يكثر استخدامها بمعنى اللحم المتدلي في رقبة الشاة. يقال: (شاتن زنما، وتيسن أزنم)، وتكون الزنمة تحت الأذن، وهذا قليل. وتطلق في بلاد الشام: زلمة باللام، ويراد بها الرجل. واللفظة بهذه الدلالة قديمة، وتعد سمة دالة على كرم الماعز، وحسن صفاته، ولهذه اللفظة مرادف آخر، هو الرعثة[٥]. كما وردت بصيغة أخرى، هي الزلمة. قال أبو عبيد في أمثاله: ومن أمثالهم: "هو العبد زَلَمة"، ومعناه اللئيم. وقال ابن قتيبة: يقال هو العبد زُلّمة وزُنّمة وزَنَمة وزَلَمة وزَلَمة وقال غيره: من قال زُلّمة، يريد قُدَّ قَدَّ العبد، إذا بري، ومن قال: زنمة، يريد أنه موسوم بالذلة من الزنمة التي توسم بها الشاة"[٦].

(١٢) الهيج: تطلق هذه اللفظة، ويراد بها الجمال الهائجة، ومفردها هائج. وهيجان الجمال إنما يكون في فصل الربيع، حين يشتد طلبها للتزاوج مع الإناث، والحرب مع أندادها الذكور. والناس غير أهل الجمال يهابونها، وذلك لما تحدثه من عنف وقوة، فربما عضت الرجل بأحد أنيابها فمات، أو أحدثت له جروحًا عظيمة، وعلامات هيجان الجمال في فصل الربيع ما يبدو عليها من ضعف وهزال، وكذلك الزبد الذي يخرج من (شَقاشقها)، أي ألسنتها. وقد توسع في دلالة هذا اللفظ فأصبح يطلق على الرجل شديد العراك والقوة. كما تطلق على الشجر الكثيف الملتف. يقال عنه (هِيَّج و هياج) جمع، ومفرده هيجة، وفيها معنى الخوف والوحشة، حيث يكثر فيها الجن والسباع، ويكون هذا الشجر على ضفاف الأودية والجبال و الهضاب، وفي المثل: "لا هيجة سلِمن ولا حطّابن استغنى"، وقد اشتهر مكان في تهامة بهذا النوع من الشجر حتى لقد سمي بـ (هيجة آل مسهر). وقديمًا أطلقت لفظة (هِيَّج) على الجمل الهائج[٧]، مع أنه مفرد. وقال الأصمعي: "يضلع الكلب لبعض ما يعرض

---

(١) السابق، ٢١٧/٤.
(٢) اللسان، ٢٢٢/٤.
(٣) فصل المقال، ص ١٧٥.
(٤) اللسان، ٢١٨/٤.
(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، مكتبة الهلال - بيروت، ١٤٢٣هـ: ٢٦٠/٥.
(٦) فصل المقال، ص ١٨٦.
(٧) السابق، ص ١٨٩.

للكلاب ، فلا يمنعه ذلك من أن يهيج في زمن هيج الكلاب ..." [١] ، أي تتحرك شهوته إلى الأنثى ، وهاج النبت يهيج هياجًا أي يبس [٢] . ومهما تعددت المعاني لهذه اللفظة ، إلا أنها تشترك في معنى عام هو الوحشة والخوف.

(١٣) الإمَّعة : ما زالت هذه اللفظة محتفظة بدلالتها القديمة ، التي تعني التابع لغيره ، ومن لا رأي له. يقال : فلان إمعة . ومن وصف بهذه الصفة ، فقد حمل أقذع الصفات وأخسها . وقديما قال أبو عبيد : من أمثالهم في وصف الرجل بضعف الرأي : "هو إمعة" [٣] . وفي الحديث: " اغد عالمًا أو متعلمًا ولا تغدِ إمعة " [٤] . وعن الفعل الذي اشتق منه هذا اللفظ، قيل: نأمع ، واستأمع [٥] . **(١٤) رَكِيَّة :** وتعني مورد الماء العذب ، وهي في تهامة عسير الركِيَة، بسكون الكاف وفتح الياءَ مخففة ، وهي بئر يرد إليها الناس من أماكن شتى ، يتزودون منها بالماء لهم ولماشيتهم ، ومازالت هذه البئر حتى عهد قريب ، وقد شهدت قصصًا وأمثالاً شتى يطول المقال في ذكرها . ومن أمثال العرب قديمًا : " ماء ولا كصدَّاء" [٦] . قال المفضل الضبي : صدّاء : ركِيَّة لم يكن عندهم أعذب من مائها ، وفيها يقول ضرار السعدي :

وإني وتِهيامي بزينب كالذي ... تطلَّب من أحواض صداء مشربا

يريد أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة، لفرط حسنها كالذي يرد هذا الماء فإنه يزاحم عليه لفرط عذوبته، قال المبرد : يروى هذا البيت عن ابنة هانئ بن قبيصة ، أنه لما قتل لقيط بن زُرارة ، تزوجها رجل من أهلها ، فسألها أي الرجلين أفضل ، هو أم لقيط ، فأجابت : " ماء ولا كصَدَّاء" [٧] . وقيل إنها القَذور بنت قيس بن خالد الشيباني [٨] . **(١٥) المراداة :** استخدمت بصيغة أخرى ، هي المِردى ، وتعني المكان العالي ، الذي إذا

---

(١) الجاحظ : الحيوان، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (١٤١٩هـ ـ ١٩٨٨م)

(٢) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح، تحقيق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت، باب الهاء .

(٣) فصل المقال، ص ١٨٨ .

(٤) الفراهيدي : الخليل بن أحمد (١٧٠هـ) : العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ٢٦٨/٢

(٥) السابق، ٢٦٨/٢ .

(٦) فصل المقال، ص ١٩٩ .

(٧) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ) ، مجمع الأمثال، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـ بيروت : ٢٧٧/٢ .

(٨) فصل المقال، ص ١٩٩ .

سقط منه شيء هلك ، وعادة ما يطلق على الأماكن الوعرة في الجبال . يقال : (أرديتُه من امِّردى) ، أي رميته من هذا المكان الوعر ، وهي لفظة تثير في النفوس معاني الخوف والهلع ، لاسيما أنها ارتبطت بحوادث النهب والسلب ، فقد يأتي السارق على حين غرة من صاحب المال أعلى الجبل ونحوه من الأماكن المرتفعة فيرميه ، فيسقط ميتًا أو جريحًا ، فيستاق إبله أو غنمه ، ثم يهرب بها . وقديمًا استخدم هذه اللفظة وأريد بها المراماة . وفي المثل : " أنصف القارة من راماها " . والقارة : اسم قبيلة من العرب، وهم عُضَل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، وإنما سموا القارة ، لاجتماعهم ، وهم رماة الحدق في الجاهلية .ويزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما قارِّي ، فقال القاري إن شئت صارعتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المراماة، فقال القارِّي : قد أنصفتني ، وأنشأ المثل ...[1]. <u>**(١٦) : السَّدف:**</u> ويراد بها النور ، أو الصبح وإقباله. يقال : أسدفن ، أي أسدفت الأرض ، والنون في الفعل (أسدفن) حلت محل تاء التأنيث الساكنة آخر الفعل الماضي ، فهي للتأنيث. ولا تطلق هذه اللفظة إلا على ضوء الصبح ، بل ربما أطلقت وأريد بها النور أيًّا كان مصدره ، ومن ذلك سدف الباب ، أي النور الذي يرى من الباب إذا كان مفتوحًا . وهي بفتح السين مضعفة، وضم الدال . وقديمًا أطلقت وأريد بها الظلام أيضًا ، أو سواد شخص تراه من بعيد . والسُّدْفة طائفة من الليل . يقال : أسدف الليل ، إذا أظلم . كما تدل على شحم سنام الجمل أيضًا [2]. وكما أن السدفة ظلمة ، فهو- كما ذكر- ضياء أيضًا ، وهو من الأضداد عند العرب قديمًا. وقيل إن الضياء لغة هوازن لا غير. تقول : أسدفوا لنا : أسرجوا لنا[3]. وفي الحديث : قال علقمة الثقفي : كنت في الوفد الذين وفدوا على رسول الله – عليه الصلاة والسلام- فضرب قبتين ، فكان بلال يأتينا بفطورنا ، ونحن مسفرون جدًّا ، حتى والله ما نحسب إلا أن ذاك شيء يبتار به إسلامنا . وكان يأتينا بطعامنا للسحور ، ونحن مسدفون ، فيكشف القبة ، فيسدف لنا طعامنا " . قوله : مسدفون : داخلون في السدفة ، وهو الضوء هاهنا . وقوله : يسدف لنا : يضيء لنا . وقوله يُبتاربه إسلامنا : يُختبر به إسلامنا[4]. مما سبق يتبين أن ثمة قاسمًا مشتركًا بين القديم والحديث في معنى هذه

---

(١) الميداني، <u>مجمع الأمثال</u>، ٢/ ١٠٠ .

(٢) <u>الخليل بن أحمد: العين، ٧/ ٢٣٠ .</u>

(٣) ابن دريد : محمد بن الحسن المكنى بأبي بكر (ت ٣٢١هـ): <u>جمهرة اللغة</u>، تحقيق رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٩٨٧م، ٢/ ٦٤٥ .

(٤) ابن قتيبة : محمد بن عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) : <u>غريب الحديث</u>، تحقيق، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ : ٢/ ٤٩٢، وينظر : ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ) <u>النهاية في غريب الحديث والأثر</u>، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت ،(١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ١/ ١٦.

اللفظـة ، وهو الضـياء ، أما معنـى الظلمة ، فلم ترد إلا قديمًا ، وهو من الأضـداد التي عرفتها العربية قديمًا ، أضداد في المعنى لا في اللفظ ، حيث اتحد اللفظ واختلف المعنى أضـدادًا. **(١٧) الشبوب :** ويراد بها التيس الفتيّ السـمين في لهجة تهامة عسـير . وقد اختلف في مدلولها قديمًا ، فقيل : الثور الوحشـي المسـن ، وهو الشبوب والمُشِب[١] . وقيل الظبي[٢]. وقيل الفتي من ثيران الوحش . قال ذو الرمة :

ذاك أم نمش بالوشم أكرعه مسفع الخد غاد ناشط شبِبُ[٣]

تلك هي الدلالة في المعاجم القديمة ، وإذا ما عدنا لأصل اللفظ ، نجد معنى الفتوة والنشاط والمرح ، فكيف بالدلالة على الكبر والهرم ؟ قال الأصمعي : شبَّ الغلام يشب شبابًا ، وشب الفرس يشب شبابًا وشَبوبًا وشبيبًا ، إذا نشط ومرح . قال ذو الرمة أيضًا: * شـبوب الخيل تشتعل اشـتعالاً[٤]. **(١٨) العضة :** ويراد بها الشجرة أيًا كانت. يقال: هذي عضـة ، وجمعها عضاه وعَضَـاهين . كما يطلق الجمع عضاه على شجر الريحان. وقديما : العضاه : شجر الشوك ، كالطلح والعوسج والسدر . هذه عضاه ، ويقال عضاهة واحدة ، وعضـة أيضًـا على قياس عـزَة ، حذفت منها الهاء الأصـلية ، كما حذفت من الشفة، ثم ردت في الشفاه[٥]. وبالنظر في الدلالات السابقة ، نجد أنها اتحدت في المعنى العـام الذي دلت عليه اللفظة ، وهو نوع من الشـجر ، وإن اختلف تعميمًا أو تخصيصًـا . **(١٩) عـزاز :** يقـال : (هـذي أرضـن عَزازن) ، أي قوية صـلبة، وهذه صـفة مرغوب فيهـا عندهم ، لاسـيما مـن أراد البنـاء ، فتراه يبحث عـن العزاز مـن الأرض ، كي لا يحدث في بنيانه انهيار أو تشـقق . وكذلك السـالك طريقًا ، تجده يبحث عن العزاز من الأرض، للسـير عليها ، لاسـيما في وقت هطول الأمطار ، كي لا يعثر على الأرض بفعل (الرسَب) ، وهو الأرض الخبار التي لا ثبات عليها . وهذه دلالة قديمة . ففي تهذيب اللغة للأزهري، ورد قولهم : " هذه أرض عشّة ، قليلة الشجر ، في جلَد عزاز وليس بجبل ولا رمل . وهي لينة في ذاك"[٦]. وهذه أرض عزاز ، أي صلبة . وقد أعززنا ، أي وقعنا فيها

---

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١٠٠/٢ .

(٢) ابن سـيدة : أبو الحسـن علـي بن إسـماعيل (٤٥٨هـ) المحكـم والمحيط الأعظم، تحقيـق : عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ٧٦/١ .

(٣) الخليل بن أحمد : العين، ٢٢٣/٦ .

(٤) السابق، ٢٢٣/٦ .

(٥) السابق، ٩٩/١ .

(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، ٨٥/١ .

وسرنا، وأرض معزوزة : شديدة [١]. وبالنظر لأصل اللفظة ، نجد دلالتها على معنى القوة والغلبة ، ففي المثل: " إذا عزّ أخوك فهن"[٢]، أي إذا قويت شوكته . وبهذا يلاحظ الصلة بين المعنى الأصلي للفظة : القوة والغلبة ، وما دلت عليه من دلالات أخرى ، هي ذات صلة بالمعنى المعجمي .

(٢٠) تموَّل : أي اتخذ مالًا ، أو طلبه من غيره على جهة الفائدة والاستثمار، تلك هي الدلالة التي عرف بها هذا اللفظ . وغالبًا ما يستخدم في التعاملات البنكية ، فثمة مصطلح (التمويل البنكي) ، وهو إقراض نقدي يأخذه المقترض ، ويعيده إلى البنك بطريق القسط الشهري ، محتسَبًا فيه فائدة أو زيادة لصالح البنك ، وهو محل خلاف بين علماء الدين ، وقد أجازه بعضهم بشروط وضوابط معينة[٣]. وبالرجوع للمصادر القديمة ، نجدها لا تختلف دلالةً عما في هذه اللهجة ، فالمول : المال ، وجمعه : أموال. وكانت أموال العرب: أنعامهم. ورجل مال : ذو مال ، والفعل : تموَّل[٤]. ويقال : تموّل فلان مالاً : اتخذ قنية من المال . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " غير متمول مالاً ، وغير متأثِّل مالًا ". ومال الرجل يَمال : كثر ماله . وما أموله، أي ما أكثر ماله[٥]. وفي اللسان : قال ابن الأثير : المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل[٦] . **(٢١) سفاسف:** والمراد بها الأمور الدنيئة الوضيعة ، وضدها معالي الأمور . وسفاسف جمع، ومفرده سفساف . وهذه الدلالة قديمة . ففي الحديث مرفوعًا : " إن الله جواد يحب الجود ومعالي الأمور ، ويكره سفسافها "[٧]. أي أدناها. وفي الصحاح : أسفّ الرجل ، أي تتبع مداقّ الأمور . وأسفَّ الطائر ، إذا دنا من الأرض في طيرانه[٨]. **(٢٢) شرق:** يقال لمن يغص بالماء : شرق ، وهنا يعد فعلًا لا اسمًا . يقال : شرق فلان ، وبُوه شرَقَن ، أي غص الماء، وبه غص . والشرَق : دخول الماء في الأنف والحلقَ ، لدرجة يستحيل معها التنفس . وقد كثرت حالات الغص بالماء إلى حدِّ الموت ، في غدير يسمى (بن نفوس) في

---

(١) الجوهري : إسماعيل بن حماد الفارابي: الصحاح، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم بالملايين ـ بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٨٨٦/٣ .

(٢) فصل المقال، ص ٢٣٥ .

(٣) ينظر: على سبيل المثال: فتوى ابن باز المنشورة في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، عام ١٣٨٩هـ .

(٤) الخليل بن أحمد : العين، ٣٤٤/٨ .

(٥) الأزهري : تهذيب اللغة، ٢٨٥/١٥ .

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٦٣٦/١١ .

(٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٥/٣ .

(٨) ابن منظور، لسان العرب ١٥٤/٩ .

تهامة عسير ، وإنما سمي بذلك ، لكثرة الأنفس التي فقدت بسببه ، ومازال حتى يومنا هذا . والشرَق بهذا المعنى قديم . قال عدي بن زيد العبادي :

لو بغير الماء حلقي شرق   كنت كالغصّان بالماء اعتصاري[١]

يقول : لو شَرقتُ بغير الماء ، أَسغتُ شَرَقي بالماء ، فإذا غَصصتُ بالماء ، فبم أسيغه؟ والاعتصار: الملجأ والحرز[٢]. والغصّ : وقوف الماءَ في الحلق ، يقال : غصصت بالماء أغصُّ غصًّا ، إذا شرقت به ، أو وقف في حلقك ، فلم تكد تسيغه[٣].

(٢٣) ذو سواد : تستخدم هذه اللفظة ، ويراد بها الخصب أو الكثرة، فإن كانت دلالتها على الخصب والنماء ، فإن أكثر ما تطلق عليه الأرض شديدة الخضرة، كثيرة النبات . يقال : (هذي الأرض قد سوَّدن) ، أي قد اشتد سوادها خضرة وخصبًا . وإن كان المراد الكثرة ، فإنَما تطلق على العدد الكثير من الناس والدواب . يقال : (الأرض قد سوَّدن عربانن) ، كناية عن الكثرة ، ويقال : هذا الجبل قد سوَّدَ غنمن، أي قد اسَودَّ كثرة مَن اَلغنم. وهذا المعنى قديم . قال أبو عبيد: ومن أمثالهم: " لفلان سواد" ، وقد فسر أبو عبيد ذلك ، فقال : وكان الأصمعي يتأول في سواد العراق، أنه سمي سوادًا للكثرة ، وأما أنا فأحسبه سمي للخضرة التي في النخل والشجر والزرع ، لأن العرب قد تلحق لون الخضرة بالسواد ، فيوضع أحدهما في موضع الآخر[٤]. وقيل سواد العراق ما بين البصرة والكوفة وحولهما من قراهما.[٥].

(٢٤) عَسَّ : استخدمت هذه اللفظة وأريد بها رجال الحسبة ، الذين كانوا يجمعون الأخبار للأمير ونحوه ، وهم العسَّة ، وكانت النساء قديمًا يخوفن أولادهن بالعسَّة ، كي يكفوا عن الصياح والبكاء . كما أن لها دلالة أخرى ، هي اختبار الغنم أو الضأن ، هل هي صحيحة أم سقيمة ، وهل هي سمينة أم ضعيفة، وذلك باليد يُجس بها جسم الدابة. يقال : عسّ فلان امشاة ، أي اختبرها . وهي الطريقة المتبعة في أسواق المواشي، فلا يشتري المشتري حتى يعُس الدابة ، فإن وجد فيها السِّمن والصحة اشتراها وإلا فلا . وتلتقي الدلالة الأولى مع الدلالة القديمة . ففي المثل : " كلب اعتسّ خير من كلب ربض " .

---

(١) البغدادي : عبد القادر بن عمر (١٠٧٩هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ٥٠٨/٨ .

(٢) فصل المقال، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ٦٠/٧ .

(٤) فصل المقال، ص ٢٨١ .

(٥) الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨)، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٤٨١/١ .

ومعنى اعتس : جاء وذهب . ومن هذا قيل للحراس عسس . والعسّ : التطواف[١] . وفي (عسَّ) : العين والسين متقاربان ، أحدهما الدنو من الشيء وطلبه، والثاني خفة في الشيء. فالأول : العسّ بالليل ، كأن فيه بعض الطلب . قال الخليل: العسّ : نفض الليل عن أهل الريبة ، وبه سمي العسس الذي يطوف للسلطان بالليل[٢] . من هنا نلاحظ التوافق في دلالة اللفظ على رجال الحسبة الذين يطوفون للسلطان في الليل ، ليجمعوا له الأخبار . **(٢٥) إمَّرته:** تستخدم هذه اللفظة، ويراد بها الحظ في الماشية ، حسَنًا كان أم سيئًا . يقال : (فلان أمرتُوه حلاة أو جيفة) ، أي حظه في الماشية جيد أو سيء. وقد غدت هذه اللفظة بهذه الدلالة مصدر فأل أو شؤم ، فمن يسترعي راعيًا في غنمه، ينظر إن حسن حال الغنم معه سمنًا وكثرة ، وصفه بذي الأَمَرة الحسنة ، وإلا فلا ، وأكثر ما تكون في الفأل. ولهذه اللفظة مرادف آخر ، هو الشارية . يقال : (شارية فلان حلاة) ، أي حظه جيد . والدلالة القديمة تقترب كثيرًا من دلالة اللهجة السابقة . قال ابن سلام : ومن أمثالهم في المال قولهم : " في وجه المال تعرف إمَّرَته" ، أي كثرته وزيادته . قال يعقوب : يقال : في وجه المال تعرف إمّرته ، بكسر الهمزة وتثقيل الميم ، وأَمَرته ، بفتح الهمزة وتخفيف الميم ، أي نماؤه وكثرَته[٣] . **(٢٦) سُلكى :** تستخدم هذه اللفظة بتصريفاتها المختلفة في اللهجة ، ويراد بها الاستقامة في الأمور وعدم الاعوجاج. يقال: (الأمور سالكة، وسلكت الأمور) . وهي الدلالة القديمة عينها ، قال أبو عبيد بن سلام: من أمثالهم : " الأمور سُلكى وليست بمخلوجة" . قال : والسِلكى : المستقيمة ، والمخلوجة: المعوجة . وأول من قاله : الحارث بن عُباد ، حين قتل المهلهلُ ابن أخيه بُجَير في حرب البسوس[٤] . وهنا نلحظ اتحاد المعنى بين القديم والحديث ، وإن تغيرت بنية الكلمة . **(٢٧) حز :** أي قطعه ، أو ترك فيه أثرًا دون القطع . تلك هي الدلالة التي وردت في اللهجة التهامية. يقال : (حزّ فلان امحبل) ، أي قطعه ، أو ترك فيه أثرًا دون القطع. ولها دلالة أخرى معنوية ، وهي الأثر النفسي . يقال : (حزّ في خاطري إنك ماجيت) ، أي تأثرت لعدم مجيئك . كما يطلق المؤنث (حزّة) ، وهو اسم مرة على الوقت المحدد بدقة . وهذه دلالة قديمة . ففي اللسان : الحزّ : قطع الشيء في علاج ، وقيل: هو في اللحم ما كان غير بائن ، حزّه يحزه حزًّا ، واحتزّه احتزازًا . كما قيل : الحز : القطع من الشيء في غير إبانة . وعلاوة على هذه الدلالة الحسية ، نجد كذلك دلالتها على أمر معنوي ، فالحزَازة والحزَاز والحزَّاز ، كله وجع في القلب من خوف ، قال الشماخ يصف رجلًا باع قوسه من رجل وغُبن فيه :

---

(١) فصل المقال، ص ٢٩٣ .

(٢) الأزهري : تهذيب اللغة ٤/ ٤٢ .

(٣) فصل المقال، ص ٢٩٤ .

(٤) السابق، ص ٣٠٥ .

فلما شراها فاضت العين عَبرةً وفي الصدر حزّاز من الهم حامز [١]

أي في الصدر وجع وهمّ . **(٢٨) الجديل :** حبل من جلد أولاً ، ثم صار عندهم من مادة (البلاستيك) . وكان لدى قبائل من تهامة عادة ، تتمثل في ربط حبل يسمى (امجديل) على بطن الرجل ، صغيرًا كان أم كبيرًا ، وذلك بغرض الحدّ من ترهل البطن وكِبَره . ومازالت هذه العادة حتى عهد قريب . واللفظ في أصله يعني الحبل من الجلد ، فإن كان الحبل من الجلد ، فهو جديل وجرير[٢] . وقال ابن سيدة: الجديل : الزمام المجدول من أدم . ومنه قول امرئ القيس :

وكشح لطيف كالجديل مخصَّر وساق كأنبوب السقِيّ المذلل

قال : وربما سمي الوشاح جديلًا . وقيل أيضًا : الجديل : حبل مفتول من أدم أو شعر ، كأن يكون في عنق الناقة أو البعير[٣] . وما حدث من اختلاف في دلالة اللفظ السابق واستعمالاته ، فهولا يخرج عن دلالته على الحبل. **(٢٩) المعذر :** فرق بين المعذِّر والمعتذر ، وعذَّر واعتذر ، فإن قلت : عذَّر ، فهو معذِّر ، وهو من يعتذر ولا عذر له ، وإن قلت : اعتذر فهو معتذر ، وهو من له عذر . وقد ترددت اللفظة كثيرًا في لهجة تهامة عسير . يقال : (تاع فلان معذِّرن) ، أي جاء معتذرًا ، وليس له في مجيئه عذر ، ويقال : (عذَّرنا فلان) ، أي اعتذر منا وليس له عذر . وتاع تعني جاء في لهجة تهامة عسير . والمعذِّر بهذا المعنى قديم . قال تعالى : (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ..) سورة التوبة(٩٠) ، وكان ابن عباس يقرأ هذه الآية ويقول لعن الله المعذِّرين . وفي المعذرين وجهان : إذا كان من عذَّر فلهم عذر ، وإن كان أصله المعتذرون ، فألقيت فتحة التاء على العين وأبدل منها ذالاً وأدغمت في الذال التي بعدها ، فلهم عذر . قال الفراء : قد اعتذر الرجل إذا أتى بعذر ، وقد اعتذر إذا لم يأت بعذر ، قال الله تعالى : (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) سورة التوبة (٩٤) ، ثم بين تعالى أنه لا عذر لهم : (قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا) التوبة (٩٤)[٤] . وقال بعض أهل العلم في صفة هؤلاء المعذرين : كانوا كاذبين في اعتذارهم، فلم يعذرهم الله[٥] . وقال قتادة : قد اعتذروا بالكذب ، وهم نفر من بني غِفار، جاؤوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله. **(٣٠)**

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٥/٣٣٤ـ ٣٣٥ .

(٢) فصل المقال، ص ٣١٦ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب ١١/١٠٣ .

(٤) فصل المقال، ص ٣٢٥، ٣٢٦ .

(٥) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤/٤١٧ .

الشارف : وهي المســن من الإبل ، وجمعها (شـرَّفن) بكســر الشــين . وهي في الإبل من تجاوزت اثنتي عشـرة سـنة ، وهي في هذه السن غير مرغوب في لحمها ولبنها ، لاسيما ممـن لهـم معرفـة بالإبل ، إلا إن كانت ذات أصـل كـريم ، يفاد من نسـلها لتنمية هذا الأصـل . ولم تختلف المصادر القديمة في هذا المعنى ، وهو المسن من الإبل، وتجمع على (شُرُف) [١]. **(٣١) ضحّى :** وهو الرعي وقت الضحى . يقال: (ضحّى فلانن بمغنم) . أي رعى الغنم وقت الضحى . وإن كان الرعي وقت الظهيرة ، فهو سروح . يقال: (سرح ظهيرة) ، أي رعى وقت الظهيرة . وإن كان الرعي وقت العصر ، فهو (عشّاين) . يقال: (عشّى بمغنم) ، أي رعاها وقت العشي . و(العشّاي) : أصلها عشّاء ، فقلبت في اللهجة ياءً. وقديمًا قيل في المثل: " ضحِّ رويدًا " ، أي لا تعجل في الأمر . يقال : ضحيت الإبل ، إذا أخذت في رعيها أول النهار ، وهو وقت الضحى . فيراد بهذا المثل : التمهل في الأمور، كما يؤمر الراعي أن يضحّي إبله رويدًا . وهذا هو الأصل في هذه اللفظ ، ثم اتسع فيه ، حتى قيل لكل من أكل وقت الضحى : هو يتضحَّى ، أي يأكل في هذا الوقت . ومن المجاز:ضحّى عن الأمر وعشَّـى عنه ، إذا تأنى عنه ، واتأد ولم يعجل إليه ، وأصـله من تضـحية الإبل عن الورد[٢]. وثمة دلالة أخرى شـائعة حديثًا ، وهي ذبح الأضـحية في عيد الأضـحى . وقديمًا يقال : ضـحَّى بشاةٍ من الأضحية وهي شاة تذبح يوم الأضحى . قال الأصمعي : وفيها أربع لغات : إضحيَّة وأُضحيَة والجمع أضاح ، وضَحيَّة على فعيلة والجمع ضحايا، وأضحاة والجمع أضحَى ، كما يَقال : أرطاة وأرطًى[٣].

(٣٢) الوَساع : يراد بها الاتساع في كل شيء . يقال : (مكانن وَساعن) ، أي واسع ويقال: (أنحـم قعدنا في مكانن وسـاعن) ، أي جلسـنا في مكان واسـع . وقديمًا خصـت هذه اللفظَـة بواسـع الخطو من الدواب فحسـب ، ففـي المثل: "قد تبلغ القَطوف الوَسـاع " ، والقَطـوف من الدواب متقارب الخطو[٤]. ويقال: ناقة رهوق، وهي الجواد الوسـاع التي ترهقك ، إذا مددتها لسعة خطوه[٥] . **(٣٣) البراز:** يراد به المكان الواسع الذي لا شجر

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة ٧٢٩/٢، وينظر الصحاح : ٤/ ١٣٨٠ .

(٢) فصـل المقال، ص ٣٣٧، وينظر أيضـاً : الصـحاح ١٣٨/٤ ، وأسـاس البلاغة ١٨٨/٦ ، وفايز الداية : علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصـر ـ بيروت، دار الفكر ـ دمشق، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٢٢٩ .

(٣) الجوهري، الصحاح ٢٤٠٧/٦ .

(٤) فصل المقال، ص ٣٤٢، وينظر : جمهرة اللغة ٨٤٤/٢ .

(٥) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ) ، مجمل اللغة، تحقيق ودراسة، زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٤٠٣ .

فيه ولا شجر . يقال : (مكانن برازن) ، إذا سلم مما يعوق من الشجر والشوك والحجر، فهـو برازن ومبرَّزن ، على فَعال ومُفعَّل . وهذا المعنى قديم . قال أبو عبد الله بن معاوية بـن عبيـد الله في بعض حكَمه: " العالم يمشـي البَراز آمنًا ، والجاهـل يخبط الغيطان كامنًا "[1] ، فالبَراز المكان الفضاء من الأرض ، البعيد الواسع[2] . كما أن له مرادفًا آخر، هو الخلاء . قال الليث : الخلاء : البَراز من الأرض[3] . وبالرجوع لأصـل اللفظة ، نجد دلالتهـا علـى الظهور والخروج . يقـال : بِرز : إذا ظهر بعد خمولـه ، وبرز إذا خرج إلى البَراز، وهو الغائط. قال تعالى: (وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً) سورة الكهف (٤٧) ، أي ظاهرة بـلا جبـل ولا تلّ ولا رمل[4] . **(٣٤) المسهم :** غالبًا مَـا تطلق ، ويراد بها الثوب المخطَّط ، وهو الثوب ذو الخطوط الكثيرة بألوان مختلفة ، ويسـمى أيضًا : مقلَّم : (ثوبن مسهَّمن ومقلَّمن) . ومسهم ومقلم كلاهما سواء في المعنى . ويراد بالسهم : الخط : (ثوبن فيهو سُـهومن نعمة) ، أي ثوب فيه خطوط كثيرة . وتلك صفة كانت مرغوب فيها في الثياب . وقديمًا قال الليث: بُرد مسهَّم ، أي مخطط . قال ذو الرمة :

كـأنـهـا بـعـد أحــوال مـضـين لـهـا بـالأشـيـمـين ، يـمـانٍ فـيـه تـسـهـيـم[5]

وإنما سـمي البرد بالمسهم ، لأن كل خط فيه يشبَّه بسهم[6] . من هنا يلاحظ اتحاد المعنى بين اللغة قديمها وحديثها .

(٣٥) الفخّ : تعني المصِّيدة ، وهي محل اهتمام الصـائدين خاصـة، ولها مرادف آخر ، هو المِحناب ، وهو حديدة ذات كلاليب حادة ، مربوطة بالأرض أو بشـجرة ، فإذا اقتربت منها الفريسـة وداستها، انطبقت عليها هذه الكلاليب الحادة ، فلا تفلتها حتى يأتي الصـياد ، للإمسـاك بها . ويذكر الدكتور عباس السوسـوة اسـتخدام المحناب أو المحنـب بمعنـى الفخ ، في بعض محكيات اليمن تعز وإب والضـالع وعـدن وغيرها ، أما في ذمار وصـنعاء فهو مَقفَط ، ثم يقول : الجميع يقول : حنب يحنب بمعنى نشـب ، فلم يتخلص من مشـكلة أو موقف . ويختلف الفخ في لهجة تهامَة عسـير ، إن كان للحيوان أو الطـير ، فللحيوان فخ يختلف عن فخ الطير، إذ يسـمى فخ الطير شـبكة ، وفخ الحيوان

---

(١) فصل المقال، ص ٣٤٦ .
(٢) الخليل بن أحمد : العين، ٣٦٤/٧ .
(٣) الأزهري، تهذيب اللغة ٢٣٥/٧ .
(٤) السابق، ١٣٨/١٣ .
(٥) العين : ١١/٤ .
(٦) ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق : عبدالسلام هارون، دار الفكر ـ القاهرة، ط٢، ١٩٦١م، ١١١/٣ .

محناب ، وعادة ما يوضع داخل الفخ طُعْم من لحم أو حب ، لإغراء الفريسة للإيقاع بها. وأكثر الحيوانات صيدًا في تهامة النِّمس ، ويسمى عندهم (أبو مَسال) ، أو (القبْع) ، كما أن أكثر الطيور صيدًا : الحمام والصقور ، وذلك لأغراض منها البيع أو الأَكل أو الاقتناء . والفخ كلمة قديمة قِدم اللغة . قال طرفة بن العبد في قصته في صيد القنابر :

قد يعثُر الجوادُ وتُمحل البلادُ
وتُنهَب التلاد ويضعف الجلاد
والفخ قد يعاد[1].

ويجمع الفخ على فخاخ وفُخوخ [2]. وله في كلام العرب مرادف آخر ، هو الطَّرْق. قال بذلك جماعة من العلماء ، منهم الفراء وثعلب وابن الأعرابي[3] **(٣٦) قَرَض :** وتعني هنا قطع الحبل ، أو إحداث أثر فيه دون القطع ، أو أن المراد قطعه في علاج . يقال : (قرض فلان امحبل) ، أي قطعه ، أو أحدث فيه أثرًا دون القطع . وهي مختصة بالحبل غالبًا . ويكون القرض عندهم مستخدمًا في غير الحبل وهذا قليل . يقال : (قرض امجَدي طبي امشاة) ، أي قرض الجدي. وهو صغير الغنم. ثدي الشاة ، وذلك حينما يرضع الجدي ثدي الشاة ، حتى لا يبقي بها لبنًا ، فيستمر في الرضع حتى يحدث بها أثرًا في ثدييها من شدة الرضع بلا لبن . وهذا المعنى قديم في اللغة. ففي العين : القرْض : القطع بالناب . والقُراضة : فُضالة ما يقرض الفأر من خبز أو ثوب[4]. ومنه أخذ المقراض ، وأقرضته ، أي قطعت له قطعة يجازى عليها . وهذا هو أصل معناه في اللغة[5]. وعلاوة على هذا الأصل اللغوي ، ثمة معان أخرى ، قديمًا وحديثًا . فالقرض اسم لكل ما يلتمس عليه الأجر كالصدقة . قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللّه قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعفَهُ لَهُ..) سورة البقرة (٢٨٥)[6]. كما يعني المجازاة. قال تعالى: (وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَال) سورة الكهف (١٧) ، أي تدعهم على أحد الجانبين[7]. وقرضت القوم : جزتهم[8]. وفي المثل: " جاء وقد قرض رباطه " ، إذا

---

(١) فصل المقال، ص ٣٦٥ .
(٢) الأزهري : تهذيب اللغة ١٢/٩ .
(٣) السابق، ٨/٧ .
(٤) الخليل بن أحمد، العين ٤٩/٥ .
(٥) الأزهري، تهذيب اللغة ٢٦٦/٨ .
(٦) السابق، ٢٦٦/٨ .
(٧) ابن فارس، مجمل اللغة ٧٤٨/١ .
(٨) الزمخشري : أساس البلاغة ٦٩/٢ .

جـاء مجهودًا من العطش والإعيـاء[١]، وقيل إن أكثر ما يكنى به عن الرجل إذا مات[٢].
وفي لهجة تهامة توافق في بعض المعاني السـابقة ، فالقرض : الصـدقة ، ويعني أيضًـا ما يؤخذ من البنك من نقود، وتسدد آجلًا ، وإن كانت تحتسب بفائدة يتقاضاها البنك من العميل المقترض، وتعني السلف أيضًا . يقال (أقرضت فلان) ، إذا سلَّفته من غير فائدة ولا مكافأةَ. **(٣٧) الميزاب :** اسم آلة على وزن مفعال ، وأصله (موزاب) ، فأبدلت الواو ياء لكسـر ما قبلها . وتعني أنبوبة من الحديد أو البلاسـتيك ، توضع أعلى المنزل ، كي يخرج منها الماء إلى أسفله . كما تسمى مزراب ، وميزاب، جمع موازيب ومزاريب . ويذكر الدكتور عباس السوسوة أن أغلب المحكيات اليمنية تقول ميزاب وجمعه ميازيب، وقليل منها مسرُب وجمعه مساريب . وقديمًا : الزِّرب : مسيل الماء ، وزرب الماء وسرب: سال . ويقال للميزاب : المزراب والمرزاب . قال ابن الأعرابي : المزراب لغة في الميزاب . وقال ابن السـكيت: المئزاب بالهمزة ، وجمعه مآزيب[٣]. وفعله وزب . يقال وزب الشـيء يزِب وزوبًا إذا سال[٤].

(٣٨) دَغَـل.دَغالـة : هنـاك توافق في معنى هذه الكلمة ، مع الفصـحى القديمة. يقـال (فلانـن مدغَّلـن ، وفيهو دَغالـة) ، أي فسـاد في القلب من خيانـة وغدر ، ونحو ذلك من ذميم الصفات . وهذه صفة شائنة في الرجل ، ومن كان هذا دأبه ، فسيكرهه الناسـ، وإن كان مـن الأقربـين . وقديمًـا قيل في المثل : " قد اتخـذ الباطل دغَلًا " ، أي أشـرب الباطل نفسـه حتى فسـد قلبه ، إن كان المراد في المثل دغل النفس ، وقيل المراد بالدغـل في المثل: دغل النبات ، ويكون المعنى أنه اتخذ الباطل دغلًا يجنبه ويسـتره عن أداء الحقوق . ويكون المعنى حينئذ من دَغَل المكان يدغل إدغالًا ، إذا كثر نباته[٥]. ويقال أيضًـا: إذا دخـل الرجل مدخل الريب ، قيـل: دغل فيه ، مثل دخـول القانص في المكان الخفي لختل القنص . والدغاويل : الريَب[٦]. والدغل أيضًـا : اشـتباك النبت والتفافه ، ومنه تسـمى بطون الأودية المداغل ، إذا كثر نبتها[٧].مما سـبق يمكن القول إن المعنى العام الذي تدور حوله المعاني السابقة هو الستر والخفاء .

---

(١) السابق : ١٩/٢.
(٢) فصل المقال، ص ٣٦٩ .
(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٣٧/١٣ .
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٧٩٦/١ .
(٥) فصل المقال، ص ٣٨١ .
(٦) الخليل بن أحمد، العين، ٤/ ٤٩٢ .
(٧) ابن دريد، جمهرة اللغة ٢/ ٦٢٠ .

(٣٩) الرُّخْص : وهو ضد الغلاء . يقال : (أنْحم في رخصن) ، أي نحن في زمن كل شيء فيه رخيص . وقد تخرج هذه اللفظة لتدل مجازًا على عدم بالشيء إنسانًا كان أو غيره. يقال : (أنت رخَّصتني) : لم تهتم بي . ويقال : (فلان مرخَّصن) ، أي لم يأبه له أحد . والرُّخص: ضد الغلاء معنى قديم . يقال: رَخُص رُخصًا . وارتخصته: اشتريته رخيصًا ، أي بخيس الثمن . وقد يدل على التخفيف والإذن ، فالرخصة: ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه[١] . وفي الحديث : من الفقه أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ رخّص في النهبة، إذا كانت بإذن صاحبها وطيب نفسه ، وفي هذا الحديث رخصة بينة[٢] . فالمعنى هنا الإذن والجواز.

(٤٠) القَصْم : وتعني الكسر ، وتلك دلالة ثابتة في القديم والحديث . يقال : (قصم فلان ظهر فلان) ، أي كسر ظهره ، والمصدر هنا (قَصَمانن) . وقديمًا وردت هذه اللفظة ، ففي الحديث : " استغنوا عن الناس ولو عن قصم السواك "[٣] . والمعروف أن القصم مصدر قصمت الشيء أقصمه قصْمًا ، إذا كسرته[٤] ، والقصمة بكسر القاف وبفتحها : القطعة ، والجمع قِصَم[٥] . **(٤١) الجذاع :** ويقصد بها عنده صغار الضأن، ومفردها جَذَعة ، وتكون دون سن الثني ، ومنَ الغنم جذع ، وجمعه جذعان ، ويكون في سن الثني أو أقل منه، كلاهما سواء . وقديمًا يلاحظ أن في دلالتها تعميمًا . فالجذع من الدواب قبل أن يثني بسنة ، ومن الأنعام هو أول ما يستطاع ركوبه . والأنثى جذعة ـ وليست مقصورة على الضأن مثلما سبق ـ ، وجمعه : جذاع وجُذعان وأجذاع . والدعر يسمى جَذَعًا لأنه جديد. ويقال إذا طفئت الحرب : إن شِئتم أعدناها جذعة ، أي أول ما يبتدأ بها [٦] . وقيل في سن الجذع أو الجذعة ، أنه في الغنم ثمانية أشهر ، أو تسعة . وفي الإبل بعد السنة الثالثة[٧] ، وقيل بعد أن تستكمل الرابعة ، وهي التي تؤخذ

---

(١) الخليل بن أحمد، العين ٤/ ١٨٥ .

(٢) ابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤) غريب الحديث، تحقيق : محمد عبدالمعين خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد ـ الدكن ٢/ ٥٤.

(٣) الأنباري : محمد بن القاسم بن بشار بن محمد المعروف بابي بكر (٣٢٨هـ) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق : حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ٢/ ١٤٩.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة ١٣/ ٢٣٥ .

(٥) فصل المقال، ص ٤١١

(٦) العين : ٦/ ٢٧٠ .

(٧) الأصمعي : عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦هـ): كتاب الشاء، تحقيق : صبيح التميمي، دار أسامة ـ عُمان، ١٩٨٧م، ص ٥٨ .

منها الصدقة[١]. **(٤٢) النشم:** نوع من الشجر، تتخذ منه العصي، ومفرده نشمة. والعصي من النشم أقوى العصي صلابة، ولذلك يضرب بها المثل في القوة والصلابة. وطريقة ذلك: أن تؤخذ العصا من النشم، ثم تترك في الشمس، كي تتقوّى وتصلب. وقد عرفت النشم منذ قديم الزمن. قال امرؤ القيس:

رب رام من بني ثُعَل مخرج كفيه من سُتَره
عارضٍ زوراء من نشم غير بانات على وتره[٢]

وهذه اللفظة قد تخرج في بعض تصريفاتها إلى معان أخرى، وكلها تتسم بالقوة والشدة. من ذلك قولهم: نشَّب في الأمر ونشَّم فيه، إذا ابتدأ فيه ونال منه، ومنه قالوا: النشم والنشب للشجر الذي يتخذ منه القسي، لأنه من آلات النشوب في الشيء، والباء الأصل فيه، لأنه أذهب في التصرف[٣]. **(٤٣) الشفار:** جمع، ومفردها شفرة، واستخدامها عندهم أكثر من السكين، رغم أن السكين أكثر استخدامًا في هذا العصر. وقد عرفت هذه اللفظة قديمًا. قال الشاعر:

كعنز السوء تنطح من خلاها وترأم من يحدّ لها الشفارا[٤]

فالشفار، جمع شفرة، وهي السكين، وقد تجمع على الشَّفر[٥]. **(٤٤) الأجنب:** تستخدم هذه اللفظة هنا، ويراد بها الغريب بعيد الصلة. وقد استخدمت ألفاظ أخرى قريبة من ذلك، فمن ذلك: جانْبِن وجانْبة. يقال: (عربن جانْبة)، أي ليسوا منا في نسبهم، ويقال: (رجْلن جانْبَن)، ويقال: (رجلن أجنبيِّن)، أي ليس من البلد بمصطلحه الحديث. وقديمًا قيل: رجل جانِب وجُنُب، أي غريب، والجمع: أجناب، ويقال: رجل جانب وأجنبي. فهو من جنب يَجنُب جنابة، ويجنب، إذا نزل في القوم غريباً[٦]. **(٤٥) البز:** تطلق هذه اللفظة، ويراد بها القماش أيًّا كان نوعه، وقد قلّ استخدامها عندهم، وطغت عليها كلمة قماش، وإن كانت اللفظتان كلتاهما تشهد قلة في الاستخدام، وذلك أن كلمة القماش يحتاج إلى من يخيطه حتى يصير ثوبًا،

---

(١) ابن سلام، غريب الحديث ٧٢/٣.
(٢) العين: ٢٧٠/٦.
(٣) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، ٤٣٠/٣.
(٤) فصل المقال، ص ٤١٨.
(٥) الخليل بن أحمد: العين ٢٥٣/٦.
(٦) ابن منظور: لسان العرب ٢٧٧/١.

لأجل ذلك تركته النساء خاصة ، واستبدلنه بالثياب المخيطة الجاهزة . وعندما قلت بالمخيطة، فإن المراد خياطة القماش حتى يصير ثوبًا يلبس . وكان استخدام البز خاصًّا بثياب النساء ، والقماش يطلق على ثياب الرجال والنساء معًا . وقديمًا خصت هذه اللفظة بضرب من الثياب . والبزازة حرفة البزّاز والبز أيضاً[١] . يقال : رجل حسن البز والبِزة ، أي حسن الثياب[٢] . وقد دل البز على معان أخرى غير ما ذكر ، فالبزّ والبِزّة : السلاح ، وقد أنشد الفراء قول الشاعر :

إني إذا ما كان يوم ذو فزع ألفيتني محتملا بزّي أَضَعْ

معناه: محتملاً سلاحي. ومعنى أضع : أسرع .قال تعالى: (..وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ..) سورة التوبة (٤٧) يقال : قد أوضع الراكب ووضع : إذا أسرع[٣] . وكذلك البَزّ من المتاع . والبزّ : السلب . والاسم : البِزِّيزى[٤] . **(٤٦) النخالة :** علف خاص بالبقر ، وهو خلاصة الحب المطحون ، ولم تكن معروفة من قبل ، ولكن أخذ الناس في استيرادها ، وتقديمها لدوابهم ، وخاصة البقر، فهي تجعل الدواب أكثر سمَنًا وعافية، ودرًّا للبن ، وهي ـ عندهم ـ بكسر النون : نِخالة . والنخالة كلمة قديمة ، إذ هي مصدر نخلت الدقيق أنخله نخلاً ، وما سقط منه فهو نُخالة ونخالٍ[٥] . وإنما سميت بذلك ، لأن فيها معنى النقاء والاختيار . يقال : نخل الشيء ينخله نخلاً ، وتنخَّله وانتخله: صفّاه واختاره ، وكل ما صُفّي ليعزل لبابه ، فقد انتخل وتنخل ، النخالة : ما تنخل منه ، والنخالة أيضًا : ما نخل من الدقيق . وقال أبو حنيفة في معناه : كل ما نخل، فما يبقى فلم ينتخل نخالة ، وهذا على السلب[٦] . وقيل سمي شجر النخل بذلك ، كونه أشرف النخل[٧] . وفيما يتصل بهذا المعنى ما رواه الحسن ـ رضي الله عنه ـ . قال : دخل عائذ بن عمرو المزني ـ وكان من أصحاب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ على عبيد الله بن زياد ، فقال : أي بني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن من شر الرِّعاء الحُطَمة ، فإياك أن تكون منهم " ، فقال له عبيد الله : اجلس فما أنت إلا من نخالة

(١) الخليل بن أحمد، العين ٣٥٣/٧ .
(٢) أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ٧٩/١.
(٣) السابق ٧٩/١ .
(٤) الأزهري، تهذيب اللغة ١٢٠/١٣.
(٥) ابن دريد: جمهرة اللغة ٦٢١/١ .
(٦) ابن منظور : لسان العرب ٦٥١/١١.
(٧) ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦١م ٤٠٧/٥ .

أصحاب محمد ... الحديث[١]. والنخالة هنا – والله أعلم – الصفوة المختارة من أصحابه – عليه الصلاة والسلام ، أو لعل المعنى: ما أنت إلا من حقيقة أصحاب محمد دون سواهم . **(٤٧) شجّ :** وهو بمعنى الكسر أو الفلق . يقال لمن كسر رأسه بحجر ونحوه : مشجوج ، ولا يسمى الشجّ شجًّا إلا إذا أحدث في الرأس كسراً أو فراغًا . ومن ذلك سميت القطعة من القماش عندهم شجيج ، لأن فيها معنى القطع والفصل بين جزأين، وهذا ما يحدث للرأس دون سائر الجسد . يقال : (شجَّ راسوه بشونن) ، أي كسر رأسه بشون. والشُّون عندهم : العصا الغليظة . وهذا المعنى قديم . ففي معجم العين : شجَّت السفينة البحر ، أي شقته . والشجّ : كسر الرأس . وشجّه يشجّه شجًّا ، فهو مشجوج وشجيج[٢] . وشج المفازة : قطعها. قال الشاعر :

تشجّ بي العوجاء كل تنوفة كأن لها بوًّا بِنهِي تغازله[٣]

(٤٨) القفار: واحدتها قفْرة ، وهي الأرض الخالية من البشر ، وإن كانت فيها وسائل العيش ، وهذا معنى غريب . وتطلق القفار أيضًا على الأثر في الأرض ، كآثار الأقدام ، والمفرد : قَفَر . كما سمع عندهم : قُفارى، جمع قافر، وهو الجائع يقال : (امعرب قُفارى) ، أي جائعون. وهم يطلقون لفظة العرب على الجماعة من البشر ، وإن لم يكونوا من العرب . وفيما يتصل بالقفار ، اشتهر في تهامة مكان مقفر ، يسمى (امسيَّبات) ، وهو مكان موحش ذو شجر كثيف ، ومفرده مسيَّب ، أي مهمل لا يرتاده أحد لوحشته . وقديمًا أطلقت القفار على المكان الخالي من الكلأ والبشر معًا . يقال : أقفرت الأرض من الكلأ ، والدار من أهلها ، إذا خلت ، فهي قفْر وقفار[٤] . كما أن القفار : الأرض الخالية من الأنيس[٥] . والأنس لا يكون إلا مع البشر . وبالنظر للمعاني السابقة يمكن القول إن القفار هي الأرض التي لا حياة فيها ولا أنيس . **(٤٩) الصَّلف:** والمراد به قلة الحظ والخير . يقال : (فلان صَلفن) ، أي حظه سيء . والصلف: الشر ويُتحاشى الرجل من صلفه ، أي من شره . والصلف بهذا المعنى قديم . يقال : صلفت المرأة عند زوجها تصلف صلفًا ، فهي صلِفة، إذا لم تحظ عنده وأبغضها[٦] . ومنَ أمثالهم " رُبَّ

(١) فصل المقال، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) الخليل بن أحمد : العين : ٤/٦ .

(٣) الفارابي : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت٣٥٠هـ) : ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعه : إبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية ـ القاهرة، مؤسسة دار الشعب ـ القاهرة، ١٩٧٥م، ٥/١٦.

(٤) الخليل بن أحمد : العين: ١٥١/٥.

(٥) ابن دريد : جمهرة اللغة ٧٨٦/٢

(٦) الخليل بن أحمد : العين ١٢٥/٧ .

صلفٌ تحت الراعدة " يضرب للرجل الذي يكثر الكلام ولا خير عنده . وأصل الصَّلف : قلة النَّزَل ، يقال : طعام ذو صلف ، أي قليل النَّزَل[١] . ولا يقال : النُّزْل[٢] . ومعنى النَّزَل هنا : الطعام الذي أصابته آفة ، فهو مؤوف ، على مثال مَخُوف[٣] . مما سبق يمكن القول إن الصلف فيه وجهان من المعنى ، ذكرهما أبو بكر الأنباري . أحدهما: قلة الخير والمعروف . والآخر : البغض والكره[٤] .

(٥٠) زايل : وردت هذه اللفظة على نحو قليل. وتعني المفارقة والمباعدة . يقال : (زايلَ فلان امَّكان) ، أي فارق وترك هذا المكان . واللفظ بهذا المعنى قديم . يقال : زايلت بين الشيئين وزيَّلت، إذا فرَّقت[٥] . ومصدره الزيْل . يقال: زلت الشيء من مكانه أزيله زيْلا ، وزيَّلته فتزيّل ، كل ذلك بمعنى فرقته فتفرّق. وفي التنزيل:(فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) سورة يونس (٢٨)[٦] . وفي التضعيف: (زيّل) إرادة تكثير الفعل وتكريره، ولم يقل في الآية (فزلْنا بينهم) ، والعرب تلحق أحيانًا ألفًا مكان التضعيف ، فيقولون: (فاعلت) ، إذا كان الفعل لواحد ، وأما إذا كان لاثنين ، فلا تكاد تقول إلا (فعَّلت)[٧]. **(٥١) جلة :** وعاء من سعف النخل، يوضع فيه التمر ، وكانت عندهم وعاء مشهورًا ، فإذا ذكرت الجلة ، ذكر معها التمر ، وكانت تعلق في مكان معين من البيت . وقديمًا : كانت تسمى النَّوط ، وإنما سميت بذلك ، لأن أصل النوط التعليق ، يقال: نطت الشيء أنوطه نوطًا ، إذا علّقته[٨] . وهذا دليل على أن هذا الوعاء كان يعلق في الدار ، ومن أمثالهم: " إن أعيا فزده نوطًا"[٩] . يضرب في الشدة على البخيل .**(٥٢) الحتف :** هي عندهم (حتفة) بالتاء ، وهذا ما لا يكاد يسمع قديمًا . يقال في الدعاء على الشخص :(اللّه يجعلِ لكِ بحتفة) ، أي بلاك اللّه بالموت . وهو مرض مشهور يصيب الغنم خاصة ، ويؤدي به إلى الموت . وسمع أيضًا (حاتْفة) على صيغة فاعل . كما سمع الفعل (حتف) . يقال : (حتَفَوه حتْفن) .وقديمًا : الحتف : الموت وقضاؤه . ومن أمثالهم : " مات حتف أنفه" ، أي بلا ضرب ولا قتل . ويجمع على حُتُوف . وعن الليث : أن الحتف بسكون التاء

---

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة ٦٣٢/٢ .
(٢) السابق : ٨٢٧/٢ .
(٣) ابن قتيبة : كتاب الجراثيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، تقديم: مسعود بوبو، ٣٢٧ .
(٤) أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ٤١٨/١ .
(٥) ابن منظور : اللسان ٨٧/١٠ .
(٦) السابق : ٣١٦/١١ .
(٧) الطبري : جامع البيان ١٥، /٧٨ .
(٨) فصل المقال، ص ٤٣٣ .
(٩) السابق، ٤٣٣.

اسـم لا فعل له ، فلا يقال : حتَف فلان ، ولا حتَف نفسـه[١] **(٥٣) الملْخ :** يراد بها الخلع والكسـر . يقال : (ملخَ يدوه) ، أي كسـر يده وأخرجها من موضـعها ، ويقال : (امتلخ يدوه مَلَخانن وامّتلاخن) . وهذا غير (لمخ) التي تعني ضربه بقوة وبطش . والملْخ بهذه الدلالة قديم . قالَ أبو إسـحاق الحربي : الملخ : الثني والتكسّـر . وله معان أخرى ، من ذلك قول الأصـمعي: الملخ : السـير الشـديد . وملخ القوم ملْخة صـالحة ، إذا أبعدوا في المسـير. وفلان يملخ في الباطل ملخًا : يتردد فيه ويكثر منه . وامتلخ فلان ضرسـه ، أي نزعه[٢] . وملخ اللجام من رأس الدابة ملخًا : جذبه[٣]. ويقال أيضًا : ملخ الفرس يملخ، إذا لعب ومرح[٤] . ومهما تعددت معانيه ، إلا أن الأصـل فيه إخراج الشـيء من وعائه أو من غيره[٥] . وفي ذلك معنى الشدة والقوة والبطش.

(٥٤) الطبِـي: بكسـر الطـاء والباء معًا ، وتجمع عندهم علـى (طبيِّن) . والمعنى ظاهر، ولكن يلاحظ أن اسـتخدامها في الغنم وسـائر الدواب الأخرى ، كما تطلق على ثديي الرجل . وفعله (طبّى) ، يقال : (طبّى يطبِّي طِبَّاين) ، أي أمسك ثدي الشاة للجدي كي يرضـع . أما المرأة ، فيطلق على ثدييها (الثدَي) ، أي ثدياها. وقد كثر اسـتخدام اللفظ قديمًا . قال أبو عبيد عن الأصمعي ، يقال لَلسباع كلها ، ولذوات الحافر، والخلف يكون لذوات الخف[٦]. وهذا دليل على أن استخدام هذه اللفظة لغير الإنسان هو الأكثر، وإن كان قد ورد للإنسان كما في المثل:" تجاوز الحزام الطبيين"[٧]. يضرب لبلوغ الشدة منتهاها. **(٥٥) الصُّهب:** جمع، ومفردها أصـهب ، وهو لون يجمع بين الحمرة والسـواد. وعندهم قد يعيَّر الرجل بالصـهابة ، إذا كان لون بشـرته يميل إلى السـواد . وتسـمى دويبة صـغيرة تقع على ظهور البقر (صـهْبية) ، والجمع صَـهابية . والمعنى قديم. قال أبو عبيد : قال الأصـمعي : من أمثالهم في نعت العدو : " هم صُـهُب السـبال " . ويقصد بالسـبال هنا جمع سـبلة ، وهي ما ظهر من مقدّم اللحية بعد العارضين[٨]. وفي معجم

(١) الخليل بن أحمد : العين ١٥٣/٥، فصل المقال، ص ٤٥٠ .

(٢) الجوهري، الصحاح ١/ ٤٣١-٤٣٢ .

(٣) ابن القطاع : علي بن جعفر بن علي السعدي (ت ٥١٥هـ) كتاب الأفعال: عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٣هـ ، ١٨٨/٣.

(٤) فصل المقال، ص ٤٥٠ .

(٥) ابن فارس : مقاييس اللغة، ٣٤٩/٥ .

(٦) الأزهري : تهذيب اللغة، ٣١/١٤ .

(٧) فصل المقال، ص ٤٧٢ .

(٨) الأزهري : تهذيب اللغة ٣٠٣/١٢.

العين ، خُصّ هذا اللون بشعر اللحية والرأس[١] ، وعند ابن دريد في جمهرته : الصُّهبة: لون معروف ، وهي من ألوان الإبل ، وهو بياض بصفرة ، وبه سميت الخمر صهباء . وقال الأصمعي: الأصهب قريب من الأصبح وهو بياض مُشْرَب بحمرة[٢] . وفي المثل: " صُهْب السبال" ، يراد بهم الروم ، ففيهم الصهوبة ، وهم أعداء العرب . قال الأصمعي: يقال للأعداء: صهب السبال ، وإن لم يكونوا كذلك[٣] . وقيل إن الأصهب من الشعر الذي يخالط بياضه حمرة[٤] . ما سبق يؤكد أن الصهبة مزيج من ألوان ، فإما أن يكون سوادًا مشرَّبًا بحمرة ، وإما أن يكون صفرة أو بياضًا مشربًا بحمرة .

(٥٦) تلوَّص : وتعني الركض في أكثر من اتجاه . يقال : (فلان لوَّص) ، أي أنه جرى في أكثر من اتجاه ، حتى لا يمسك به أحد . وهو نوع من الحيلة في النجاة . كما تطلق ويراد بها الحيلة والخداع في دلالة معنوية . يقال : (فلان ما يتلوَّص في امْدَين اللي علاهو) ، أي أنه يخادع ويماطل ، ولا يريد تسديد الدين الذي عليه . و(ما) في قول : ما يلوص : زائدة . وقد اشتهر – عندهم – طائر يسمى (أبو لُوَّيصة) ، وسمي بذلك ، لأنه إذا وقع على الأرض ، مشى في اتجاهات متعددة ، للتمويه على أعدائه . واللفظ قديمًا يحمل معاني الحيطة والحذر والخداع . ففي اللسان : لَوَص : لاصه بعينه لوْصًا ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر. وقيل: الملاوصة: النظر يمنة ويسرة ، كأنه يروم أمرًا[٥] . وقيل : لاص عن الأمر وناص : حاد عنه[٦] . من ذلك حديث عمر – رضي الله عنه – ، أنه قال لعثمان – رضي الله عنه – في معنى كلمة الإخلاص : " هي الكلمة التي ألاص عليها عمه عند الموت " ، أي أداره عليها[٧] . ومن أمثالهم : " أحذر من غراب " ، فإنهم يحكون في رموزهم أن الغراب قال لابنه : إذا رُميت فتلوّص ، قال : أنا أتلوّص قبل أن أرمى[٨] . وكأن المعنى هنا هو كثرة الحركة ، وعدم القرار في مكان واحد ، وتلك حيلة وحيطة يحتال بها ويحتاط من فتك الصيادين . **(٥٧) تنبه :** والمعنى : الإيقاظ من النوم . يقال : (انبِه فلان) ، أي أيقظه من نومه ، ويقالَ : (انبِهني

---

(١) الخليل بن أحمد : العين ٤١٣/٣ .
(٢) ابن دريد : جمهرة اللغة ٣٥٢/١ .
(٣) الجوهري : الصحاح ١٦٦/١ ،
(٤) ابن منظور : اللسان ٥٣/١ .
(٥) ابن منظور : لسان العرب، ٨٨/٧ .
(٦) الأزهري : تهذيب اللغة ١٦٨/٢ .
(٧) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٦/٤ .
(٨) فصل المقال، ص ٤٩١ .

للصــلاة) أي أيقظني للصــلاة . كمــا تطلق على الرجل النبيه الفطــن . يقال: (فلان نَبهــن) ، أي نَبِــه، وهي صــيغة مبالغــة على (فَعل) . ومــن أمثال العــرب قديمًا : " لو لعَاديــة تُنَبِّهَنَنَــي "[١] . أي توقظنني . ويقال: نبَّهتَه : رفعته من الخمول . وانتبه من نومه : اســتيقظ[٢] . وهــو مأخوذ من النَّبَه . كما أن وراء هــذا المعنى معان أخرى . قال الليث : النَّبَه : الضــالة توجد في غفلة ، يقال : وجدتها نَبَهًا من غير طلب . وقال أبو عبيد عن أبــي زيــد : نبهت للأمر أنبَه نَبَهًا ، وهو الأمر تنســاه ، ثم تتنبه لــه ورجل نبيه ، إذا كان معروفًا شريفًا[٣] . وقال أيضًا: النبَه من الأضداد ، يقال للضائع وللموجود[٤] . والسبب في ذلك ، أنه إذا ضــاع انتُبه له ، وإذا وجد انتُبه له . والمعاني الســابقة جميعها تشترك في معنى واحد ، هو الارتفاع والســمو[٥] ، فاليقظة فيها ارتفاع من النوم ونهوض ، وفيها الشــرف والرفعة، يقال : رجل نبيه ، أي شــريف، والارتفاع من صــفة السهو إلى التذكر والفطنة للشــيء، يقال: نبّهته لأمر قد نسيه ، أي ذكّرته وفطّنته . **(٥٨) تدبل :** يراد بها الدَّفْــن. يقــال : (دبل فلان امْحفــرة) ، أي دفنها ، وملأها بالتراب . وعندهم أيضًــا : دبَّل، بتشديد الباء، أي جعَل الشيء كثيرًا . يقال : (دبَّل فلان املقمة) ، أي جعلها كبيرة . ويقال : (تدبَّل امدين) ، إذا كثر وتجمَّع ، لدرجة يصعب سداده . واللفظ بهذا المعنى قديم . قال ثعلب : التدبيل : تعظيم اللقمة[٦] . ودبّلت الشيء : جمعته ، كما تجمع اللقمة بأصابعك[٧] . وقال الكسائي: أرض مدبولة ، إذا أصلحت . قال : وكل شيء أصلحته فقد دبلته ودملته[٨] . والمعاني الســابقة جميعها تشــترك في معنى عــام ، هو الجمع والتجمّع والإصلاح[٩] .

(٥٩) الغَبَس : وهو لون داكن يميل إلى السواد . يقال : (فلان أغبس ، وبُوه غبسن) ، وتصــغر على (غبيس) بكسر الغين . وهي صفة يعير بها الشخص الذي يتصف بهذا اللون . وقديمًا قال أبو عبيد: قال الأحمر: "لا آتيك سجيس الأوجس" ، وكذلك " سجيس غبيس " ، والمراد بهما الدهر. يقال غبس الليل وأغبس ، إذا أظلم ، فكأنه قال : ما أظلم

---

(١) فصل المقال، ص ٤٩٥ .
(٢) الجوهري : الصحاح، ٢/٢٢٥٢ .
(٣) الأزهري : تهذيب اللغة، ٦/١٧٣ .
(٤) ابن فارس : مجمل اللغة، ص ٥٣ .
(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/٣٨٤ .
(٦) ابن فارس : مقاييس اللغة، ٥/٣٨٤ .
(٧) الأزهري : تهذيب اللغة، ١٤/٨٩ .
(٨) الجوهري : الصحاح ٤/١٦٩٤.
(٩) السابق : ٢/٣٢٧ .

ليـل[١] . وقيل : إن الغبس لون الرماد والذئـب . وأغبس الليل وأغبش واحد[٢] . والغبس فترة من فترات الليل ومراحله ، التي يكون أولها الصـريم ، ثم العشـواء ، وهكذا حتى تأتي الغبس ثم الغلس ثم العسـعس وهكذا[٣] . ومهما تعددت المعاني والاستعمالاتِ لهذه اللفظـة ، فإنها تشـترك في معنى ، هو السـواد وما يقاربه كلون الرمـاد. **(٦٠) المرتع :** ويراد به المرعى، أو مكان العشـب . وهي عندهم : (مرتع)، بكسـر الميم . يقال : (أرتع امغنم في مرتعن واجْدن) ، أي رعى الغنم في مرتع كثير ، ويقال أيضـا: (رتعة ورتيعن). وتطلق مجازًا ، ويراد بها الطعام والشراب ورغد العيش . يقال: (فلان لقِّيَ رتعة) ، أي وجد حياة رغيدة من أكل وشرب ، وغير ذلك من ترف الحياة . وهذا المعنى قديم. ففي معجم العين : الرّتْع : الأكل والشـرب في الربيع رغدًا . وقال الحجاج للغضـبان : سمنت فقال : أسمنني القيد والرَّتَعة . ورتع فلان في المال إذا تقلب فيه أكلا وشربًا[٤]. ويقال : رتعت الإبل ، إذا أكلت ما شـاءت ، ولا يكون الرَّتْع إلا في الخصـب[٥]. وهذا صحيح ، فلا يمكـن أن يكـون هنـاك مرعى إلا في أرض خصـيبة ، يكثر فيها المطر، ولا يمكن أن يكون هناك أكل وشرب إلا في بيئة رغيدة غنية . **(٦١) الطور :** لم تستخدم هذه اللفظة عندهم إلا في مجال السـباق فحسـب ، ولم يستخدم من تصـريفاتها غير تصريف الفعل الدال على المشاركة (فاعَل) : طاور يطاور طورًا. يقال : (طاور فلان فلانًا في السباق)، أي أدركه أو ساواه في السباق ، أو جاوزه وإن كان في ذلك توسع في المعنى . والأصل (طَوَر) الدال على معنى الامتداد في الشـيء من مكان و زمان . من ذلك : (طوْر الدار) ، وهو الذي يمتد معها من فنائها ، ثم استعير بعد ذلك في كل شيء يُتعدى[٦]. والطوْر: التارة، يقـال: طـورًا بعد طور ، أي تارة بعد أخـرى[٧]. ويقال : عدا طوره : حّـدّه . وأنا لا أطور فلان ، أي لا أحوم حوله ، ولا أدنو منه[٨] . والطُّوري : الوحشي من الطير والناس ، كأنه توحشـ ، فعـدا الطور ، أي تباعد عـن حد الأنيس[٩] . وفي المثـل : " بلغ فلان من العلم

---

(١) فصل المقال، ص ٥١٠-٥١١ .

(٢) الخليل بن أحمد : العين ٣٧٩/٤ .

(٣) قطرب : محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ) الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق : حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت : ص ٥٠-٥١ .

(٤) الخليل بن أحمد، العين، ٦٧/٢-٦٨ .

(٥) الحربي : إبراهيم بن إسـحاق (٢٨٥هـ) غريب الحديث ١، تحقيق : سـليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ /٢١٢ .

(٦) ابن فارس : مقاييس اللغة، ٤١٣/٣ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب، ٥٠٧/٤ .

(٨) الزمخشري: أساس البلاغة، ٦١٦/١ .

(٩) ابن فارس : مجمل اللغة، ص ٥٨٩، وينظر مقاييسه : ٤٣١/٣ .

أطورَيه" ، أي بلغ أقصــاه . والراء تفتح وتكسر. وحكى اللحياني وغيره: هذه الدار أطور من هذه ، أي أوســع حدودًا وســاحة [(١)] . وفيما يتصل بهذا المعنى ، سمعت أحد إخواننا الســودانيين يطلق على أداة تشــبه (القدوم أو الفأس) : طُوريَّة ، وهي تســتخدم لقطع العشــب في المــزارع ، أو خلعه من جذوره ، فكأنها في القطع تبلَغ أقصــى جذور النبات ، فتقتلعه من أصــوله الغائرة في الأرض .**(٦٢) صَلاصل :** مفردها صلصــلة أو صــلال . ويراد بها القليل من الماء في الإناء . يقال : (لقيت صَلالِن) ، أي وَجدَت قليلًا من الماء الذي لا يكفي . وقديمًا : قال أبو وجزة :

ولم يكــن للقــوم مــلك ينزلهم إلا صلاصل لا تلوي على حسب

ومعنى قوله: لا تلوي على حســب : لا تسقي لقلتها على أحساب الناس وشرفهم، بل يتساوى فيها رفيعهم ووضيعهم [(٢)] . ويقال : تصلصل الغدير : إذا جفت حمأته، الحمأة: اليابِسة الصلصال . وبقيت من الماء في الإناء صلصلة ، إذا بقي فيه ماء قليل[(٣)] . **(٦٣) القـدح :** وهــو عند أهل تهامة إشــعال النار بــأداة معينة ، قد تكون كبريتًــا أو نحوه من الأدوات التي توقد بها النار . يقال : (اقدَح امنار) ، أي أشــعلها . وكانت أداة إشــعال النار عندهم قديمًا حجر (المرْو) ، وكانوا يأخذون حجرين منه ، ويضــربون بعضــهما ببعض حتى تشتعل النار ، ويسمى هذا قَدْحًا . وقديمًا : القدَّاح : الحجر الذي تورى منه النــار ، قــال رؤبة : "والمرو ذا القدّاح مضــبوح الفلَق " [(٤)] . والقدْح : فعل القادح بالزند وبالقــدّاح ليوري . كما أن القدح : مصــدر قدحت النار أقدحهــا قدحًا [(٥)] . ومن المجاز: اقتــدحَ الأمــر : تدبَّره . وقادحه في كذا : ناظــره ، وتقادحا ، وجرت بينهما مقادحة ، أي مقاذعة، من القدح بمعنى الطعن ، يقال : قدح في نســبه وعرضه ، وقدح في ساقه، وهو مستعار من وقوع القوادح في ساق الشجر[(٦)] . وقال أبو عبيد : قال مؤرّج : من أمثالهم : " أضئ لي أقدح لك ، أي كن لي أكن لك، ويرد بقوله : أضئ لي : أسرج لي إذا احتجت، أقــدح لك نــارًا إذا احتجت أنت[(٧)] . **(٦٤) الصكة :** تســتخدم هذه اللفظة في ســياقات

---

(١) فصل المقال، ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) السابق، ص ٥١٨ .

(٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ٢١٠/١ .

(٤) الخليل بن أحمد : العين، ٤٠/٣ .

(٥) ابن دريد : جمهرة اللغة، ٥٠٤/١ .

(٦) الزمخشري : أساس البلاغة، ٥٦/٢ .

(٧) فصل المقال : ص ٢٠٥ .

متعددة ، وتختلف دلالتها ، تبعًا لاختلاف السياق الذي ترد فيه . من ذلك قولهم : (صكَّ امْباب) ، أي أغلقه . ويقال: (صَكُّوه على وجهُوه) ، إذا ضربه على وجهه. ويستخدم الصكّ وثيقةً ملكية على العقار ، أيًّا كان نوعه . وربما جاءت التسمية (الصكّ) وثيقة رسمية ، نظرًا للأصل الذي تعود إليه الكلمة ، فمن كان لديه (صكّ) ، كان كمن أطبق الإحكام على هذا العقار ، وسدّ الطريق في وجه كل مدّع عليه فيها . ولا تستخدم لفظة (الصكّ) للعقار حسب ، بل هناك صك الطلاق ، وصَك الزواج إلخ . وكلمة (صكّ) بمعناها المذكور كلمة مجمعية ، أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة، وتقابلها كلمات أخرى ، مثل (الكمبيالة ، السند ، الإثبات) [(١)] وسكَّر بالسين ، تعني أغلق قديمًا وحديثًا، وفي التنزيل: (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) سورة الحجر (١٥). وسمعت. عند بعضهم. بالصاد أيضًا: َصكّر. واستخدام (الصّك) في اللغة قديم . ففي معجم العين : الصك : اصطكاك الرجلين . ورجل أصكّ ، وهو من تقارب ركبتيه، يصيب بعضهما بعضًا . وصكّ فلان فلانًا لطمه . والصك : ضرب الشيء بالشيء[(٢)]. وفي التنزيل : (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) سورة الذاريات (٢٩) ، أي ضربت وجهها بيدها . وصكَّ البازي والصقر صيده ، إذا ضربه فحطّه[(٣)] .

(٦٥) السَّرْد : وتعني إما التتابع ، وإما الإحكام ، وهو الاسم الجامع للدروع ونحوها من عمل الحَلَق، وسمي بذلك ، لأنه يُسرَّد فيثقب طرف كل حلقة بمسمار ، فذلك الحَلَق المسرَّد[(٤)] . قال تعالى : (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) سورة سبأ (١١) . ويقال : سردت الدرع، إذا أحكمت مساميرها. ويقال : درع مسرودة ، أي محكمة المسامير والحلق[(٥)]. وفي معنى التتابع ، يقال : سرَد القراءة والحديث سرْدًا ، أي يتابع بعضه بعضًا[(٦)]. والتتابع والإحكام معنيان متلازمان ، لأن الأصل في (سرد) توالي أشياء كثيرة ، يتصل بعضها ببعض ، ومن ذلك (السرمد) والميم فيه زائدة ، وهو من سرد إذا وصل ، فكأنه زمان متصل بعضه ببعض[(٧)]. وفي لهجة تهامة عسير يلاحظ أن السرد يراد به التتابع والتوالي، وهو المعنى القديم عينه. يقال : سردت القراءة ، إذا تابعتها . وسيارات

---

(١) أحمد مختار عمر : معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب. القاهرة ،(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ٦٢٤/١.

(٢) الخليل بن أحمد : العين، ٤٠/٣ .

(٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ، ٥٠٤/١ .

(٤) الخليل بن أحمد : العين، ٧/ ٢٢٦ .

(٥) أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٣٧/١ .

(٦) العين : ٢٢٦/٧ .

(٧) ابن فارس : مقاييس اللغة، ١٥٧/٣. ١٦٠ .

مسـرودة ، إذا كانـت متتابعة ، بعضـها يلي بعض .**(٦٦) حـفٌّ :** والمراد بها الإحاطة أو الطواف بالشـيء. يقال : (امعرب حفَّوا بْنا) : أحاطوا بنا من كل اتجاه. كما يراد بها قص الشـعر بعضـه دون بعض . يقال : (فلان حفَّ شـعروه) ، أي قصّ بعضـه وترك بعضـه . (وفـلان مَعَوه حفَّـة) ، أي معه جزء من شـعره ، والجزء الآخر مقصـوص . كمـا تطلق ـ عندهـم ـ على التقدير والاحترام ، يقال : (حفَّوا بفـلان) ، أي أحاطوا به لمكانته بينهم . وهذه المعاني قديمة . ففي اللسـان: حفَّ القوم بالشـيء وحواليه يحفون حفًّا: أطافوا به واسـتداروا . قال تعالى: (وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) سورة غافـر(٥٥) . وقال ابن سـيدة : حفَّ اللحية يحفها حَفًّـا إذا أخذ منها [١] . وفي المثل: " من حفَّنا أو رفَّنا فليقتصد " . قيل معنى حفَّنا هنا : مدحنا[٢] .

ب ـ الألفاظ التي وافقت العربية القديمة لفظاً واختلفت معنى :

(١) موقد : على مفعل ، اسـم مكان ، ويراد بها موضـع النار . يقال : النار مُوقَدة، وتوقَّـدت واسـتوقدت : هاجـت[٣] . وفي تهامـة عسـير، تطلق ويـراد بها مكان صـنع (القطْران) ، والمراد به عندهم سـائل أسـود ، تطلى به البهائم ، ويسمونه أيضًا الشَّوب. وفي هذه الدلالة تخصـيص ، فبعد أن كانت تطلق ويراد بها موضـع النار، أصبحت تدل على موضع النار التي يصنع فيها القطران . **(٢) الهرف :** وهو شبه الهذيان من الإعجاب بالشـيء، ويقـال لبعض السـباع يهرف لكثرة صـوته[٤] . قال ثعلب عن ابـن الأعرابي : الهـرْف : مـدح الرجل على غير معرفة[٥] . وفي المثل : " لا تهرف بما لا تعرف " . قيل إن الهرف هو الإطناب في المدح [٦] . وفي تهامة : الهرف : شدة البكاء والمبالغة فيه ، مع ما يصـاحبه من شـدة الصـوت . يقال : (فلان ما يهرف) ، أي يبكي بشـدة . و(ما) في القول السابق زائدة . ويلاحظ تحول الدلالة نحو الانحطاط ، من كثرة المديح إلى شدة البكاء ، وإن كانت الدلالة القديمة فيها إغراق في المديح، إلا أن ذلك مفضَّل على البكاء، لاسيما أن البكاء بهذه الصفة ، لا يكون إلا عن ألم وحزن شديدين.

(٣) المقـروع : تعنـي في كلام العرب: المختار . فمـن ذلك المقروع والقريع : المختار

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ٩/٤٩ .
(٢) السابق : ٩/ ٥٢ .
(٣) ابن منظور : لسان العرب، ٣/٤٦٦ .
(٤) الخليل بن أحمد : العين، ٤/٥٤ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة، ٦/١٤٩ .
(٦) فصل المقال، ص ٣٤ .

للفُحْلة . يقال: اقترع بنو فلان فحلًا كريمًا[١] . والاقتراع : الاختيار . يقال: اقتُرِع فلان، إذا اختير لأمر ما .والقريع : الخيار، عن كراع النمل . وذكر في الصحاح : أقرعه : أعطاه خير ماله . وقريعة الإبل : كريمتها[٢] . كما تعني السيد، لكونه اقتُرِع ، أي اختير[٣] . وفي تهامة عسير : المقروع : المحلف بالله تعالى . يقال: (أنت مقروعَن بالله تفعل كذا) ، أي حلَّفتك بالله تعالى على فعل هذا الأمر . وفي بعض تصريفاتها تَوافق مع الدلالة القديمة، كما في القُرعة ، أي الاختيار. كما تعني ـ عندهم ـ تناول وجبة الإفطار . يقال: (قرع فلان) ، إذا تناول وجبة الفطور ، وهي الدلالة عينها في بعض لهجات اليمن ، فقد سمع عند بعض أهل اليمن : قُراع وقَرَع . ويذكر أستاذنا الدكتور عباس السوسوة أن أغلب الظن أنها من (القرى) قرى الضيف ، أي إطعامه ، خصصت دلالته ، وتوهموا الفتحة الطويلة (الألَف) همزة فحولوها عينًا . وبتغير الدلالة من المختار ، وهي دلالة قديمة إلى المحلَّف بالله ، في لهجة تهامة عسير : سموٌّ دلالي ، وهذا عائد إلى ما للقسم من قداسة دينية . **(٤) الخواطي :** جمع خاطية ، والصواب: خاطئ وخواطئ ، لأنها من خطئ بالهمز . والفصيح في اللغة : أخطأ، لأن قولنا خطئ، إنما هو في الدين. وقيل إنهما لغتان ، وصاب وأصاب لغتان[٤] . وقال أبو عبيدة (ت٢١٠) : خطئ وأخطأ بمعنى واحد ، لمن يذنب على غير عمد . وقال غيره : (خطئ) في الدين ، و(أخطأ) في كل شيء، عامدًا أو غير عامد ، وقيل (أخطأ) : أراد الصواب فصار إلى غيره[٥] . ومهما تكن الدلالة ، فإنها تشترك في معنى واحد هو الخطأ أيًّا كان ، الذي هو ضد الصواب. وفي تهامة عسير ، تختلف الدلالة ، فالخاطية بالياء ـ عندهم ـ كناية عن السريع أو السريعة ، كلاهما سواء . يقال : (مرَّح بي كُنُّوه خاطية) ، أي مر بي مسرعًا. والخاطية على الرغم من دلالتها على السرعة إلا أنها تدل أيضًا على مجاوزة الحد في السرعة ، فكأن في ذلك خطأ في مجاوزة الحد في السرعة ، ولعل في تغير الدلالة هنا سموًا دلاليًّا ، في انتقال المعنى من الخطأ إلى السرعة. **(٥) تلمّه :** مشتقة من اللّم ، وهو الجمع . يقال : لممت الشيء ألُمّه لمًّا : جمعته[٦] . وقال الزجاج في قوله تعالى : (وَتَأْكُلُونَ

---

(١) السرقسطي : قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (ت ٣٠٢هـ) الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: كشك محمد عبدالله القناص، مكتبة العبيكان ـ الرياض : ١/ ١٨٤ .

(٢) اللسان : ٨/٢٦٧ .

(٣) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) : تاج العروس، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الهداية ـ بيروت : ٢١/ ٥٣١ .

(٤) فصل المقال : ص ٤٣ .

(٥) العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل المكنى بأبي هلال (ت ٣٩٥هـ) : الفروق اللغوية، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلوم والثقافة ـ القاهرة : ص ٢٢٠ .

(٦) ابن دريد " جمهرة اللغة، ١/ ١٦٨ .

التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) سورة الفجر (١٩) : أي تأكلون تراث اليتامى لمًّا ، أي تلمون بجميعه . وروي عن الزهري أنه قرأ : (وَإِنَّ كُلًّا لَمًّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) سورة هود (١١١) . أي جمعًا[1] . ومن ذلك قول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخًا لا تلمُّه ... على شعث أي الرجال المهذَّب

ومعنى لا تلمُّه على شعث ، أي لا تحتمله على ما فيه من زلل ، فتلمه وتصلحه، وتحمل ما تشعَّث من أمره ، أي ما تفرَّق[2] . كما تدل على الدنو والقرب ، ومنه الحديث: "وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطًا أو يُلِمّ " أي يقرب من القتل[3] . وفي لهجة تهامة عسير ، يلاحظ اختلاف المعاني التي تدل عليها هذه اللفظة . فهي تدل على جودة الطبخ أو الطهي . يقال: (فلان يلمُّ الأكل لَمَّانِن) ، أي يحسن الطهي. ويقال : (لقيت اليوم لمَّة) ، أي وجدت طعامًا جيد الطعم . كما تدل على الضرب الشديد . يقال : (فلان لمّ بفلان) ، أي ضربه . كما تدل على الجمع أيضًا ، وهي الدلالة القديمة. يقال: (لمِّتِ الجماعة) ، أي جمعتُهم. ويقال : (لقيت لمّة شباب) ، أي مجموعة شباب . **(٦) الحزر:** ويقال الحازر ، وهو اللبن الحامض. قال الأصمعي : إذا اشتدت حموضة اللبن فهو حازر . وقال ابن الأعرابي : هو حازر وحامز بمعنى واحد[4] . كما تعني التقدير والحدس، ومنه تقدير غلَّات الزروع ، وتقول: حزَر الشيء يحزره حزْرًا : قدَّره بالحدس[5] . وتعني كذلك خيار الشيء وأفضله، فحزْرة المال : خياره ، وتقول : هذا حزْرة نفسي : أي خير ما عندي[6] . وفي لهجة تهامة عسير تعني مرارة الشاهي خاصة . يقال : (شاهي حزرن) ، إذا اشتدت مرارته . ويقال : (حزْرَ امْشاهي) أي صار مرًّا . كما تدل على حدَّة النظر ، وما يصحبه من حقد وبغض. يقال: (حزرني بعينُوه) ، أي نظر إلي نظرة بغض وحقد . وبالعودة للمعاني السابقة، يلاحظ التوسع الدلالي الذي خضع له اللفظ . فمن دلالته على حموضة اللبن ، إلى مرارة الشاهي ، ثم في الدلالة على حدَّة النظر ، وما يصحبه من بغض وحقد . **(٧) امتش:** وتعني المسح . يقال: مشَّ يده بالمنديل يمشُّها مشًّا ، إذا مسحها به ، والمشُوش: المنديل[7] . ونقل أبو علي القالي في كتابه (الأمالي) كلام رجل من بني بكر بن كلاب

---

(١) الأزهري : تهذيب اللغة، ٢٤٧/١٥ .

(٢) لسان العرب : ١٦١/٢ .

(٣) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٢/٤ .

(٤) الخليل بن أحمد : العين ١٥٧/٣، وينظر تهذيب اللغة : ٤/ ٢٠٨ .

(٥) ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم ٢٢٠/٣ .

(٦) الجوهري : الصحاح، ٢/ ٦٢٩ .

(٧) ابن دريد : جمهرة اللغة ١٤٠/١ .

يعلم بنيه العلم ، ومما علمهم إياه : امتشُّوا بأشملكم ، إذا ابتغيتم الخلاء ، أي امتسحوا واستنجوا بأشمل أيديكم . قال امرؤ القيس :

نمشُّ بأعراف الجياد أكفَّنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهَّب[١]

قال الأصمعي : المشّ : مسح اليد بالشيء يقلع الدسم[٢] . وقال غيره : لا يكون المشّ إلا المسح بالشيء الذي يفشُّ الدسم[٣] . كما تعني الأخذ من الشيء أو كله. فلان يمشّ مال فلان ، أي يأخذه أو يأخذ بعضه[٤] . وقال أبو عبيدة : مششت الناقة أمشُّها مشًّا ، إذا حلبت وتركت في الضرع بعض اللبن[٥]. وتعني في تهامة: غسل الملابس لا غير . يقال : (فلان ما يِمشّ امثياب ، أو ما يمتشّها) ، أي يغسل الثياب ، أو يغتسلها. ويقال : (مشّ امثياب مشّانن) ، أي غسلها غسلاً . وفي المشّ معنى القوة ، لأجل ذلك سمي غسل الملابس شقًّا أيضًا . يقال : (شقَّ امثوب شقّانن) ، إذا غسله جيدًا. **(٨) المحْض :** وتعني اللبن الخالص . وفي المثل : " صرّح الحقين عن محضه "[٦] ، أي انكشف السر. والمحض: اللبن الخالص بلا رغوة[٧]. وقد توسع في دلالتها، فكل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء فهو محض . يقال : رجل ممحوض الضريبة: أي مخلص . وفضة ممحوضة : لا شوب فيها[٨]. ويقال: عربي محض ، أي خالص النسب[٩]. وفي تهامة حدث للفظ تخصيص ، فلا يطلق إلا على لبن الإبل خاصة ، أما إذا خالطه الماء، فيكون (بياضًا) عندهم ، ويقابله قديمًا : السَّمار . **(٩) الشجون :** تعني الهموم والأحزان[١٠] . وفي المثل: " الحديث ذو شجون" ، ومعناه أن يدخل بعضه في بعض ، ويجر بعضه بعضًا ، مأخوذ من الشواجن ، وهي أودية كثيرة الشجر ملتفة بعضها ببعض[١١]. ومن هذا الأصل حدث توسع دلالي للفظ، فمن دلالته على هذا النوع من الأودية كثيرة الشجر كثيفة ، إلى دلالته على الهموم والأحزان . ويدل أيضًا على الحاجات ، كما في قول الشاعر : "والنفس شتّى

---

(١) فصل المقال، ص٥٧ .
(٢) الجوهري : الصحاح ٣/١٠١٩ .
(٣) فصل المقال، ص٥٧ .
(٤) الخليل بن أحمد : العين ٦/ ٢٢٤ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة ١١/ ٢٠٠ .
(٦) فصل المقال، ص ٦٠
(٧) العين : ٣/١١١ .
(٨) السابق : ٣/١١١ .
(٩) الفارابي : ديوان الأدب ١/١١٥ .
(١٠) العين : ٦/٣٦ .
(١١) فصل المقال، ص ٦٧ .

شـجونها"[١] . أي حاجاتهـا كثيرة شـتى . وتعني الرحم والقرابة، كقوله - عليه الصـلاة والسـلام - : "الرحم شـجنة مـن الله" . قال أبو عبيد : يعني قرابة مشـتبكة كاشـتباك العـروق . وفيـه لغتان : شِـجنة وشَـجنة [٢] . ومعنى ذلك كله اتصـال الشـيء والتفافه ، ودخول بعضـه في بعض . وفي تهامة عسير : الشِّجْن والشُّون : العصا الغليظة ، التي فيها أشـواك وأغصان ، كأن من تخير هذه العصـا يريد الإضرار بمن يضربه ، وذلك بسبب ما فيها من أشـواك تزيد من أذى الضـرب وألمه . ولا يلجأ إلى هذا النوع من العصـي إلا من تعجَّل الضـرب لغيره ، فتجده عند غضـبه يأخذ ما يجد من العصي فلا يجد فسحة من الوقت لإصلاح تلك العصا ، وإزالة ما فيها من أشواك وأغصان .

(١٠) المقزَّع : تدل على الخفة في الشيء والتفرق . وتحت هذه الدلالة دلالات أخرى. من ذلك : قولهم : رجل مقزَّع ، أي ليس على رأسه إلا شعيرات تتطاير في الريح . وفرس مقزَّع ، أي نتفت ناصـيته حتى ترق[٣] . وقال أبو عبيدة : القزع : أن يُحلق رأس الصبي ، ويترك منه مواضـع فيها شـعر متفرقة . وكل شيء يكون قطعًا متفرقة فهو مقزع . ومنه قيل لقطع السحاب قزع [٤] . والقزَع : الفرق من الناس ، ينضم بعضهم إلى بعض خوفًا . وقـال أبـو بكر : القـزَع : البيوتَ المتفرقـة [٥] . وكما تدل على التفـرق ، فإنها تدل على الخفة والسرعة . منَ ذلك : قول الأصمعي : رجل مقزَّع ، إذا كان خفيفًا ، ومبشِّر مقزع ، إذا جرد للبشـارة . قال متمم بن نويرة : "فجئتَ به تعدو بشـيرًا مقزَّعًا" [٦] ويقال : ظبي مقزَّع : إذا أسـرع[٧] . وقيل إن القزع : المشـي المتقارب أيضًا [٨] . والمعاني السابقة كلها لا تخرج عن معنى التفرق والخفة . وعندهم اختص معناه بحلق بعض الشـعر دون بعضـه ، اعتمادا على الحديث المروي عن الرسـول - عليه الصـلاة والسلام - الذي نهى فيه عن القزع . **(١١) البطين :** صيغة مبالغة على (فعيل) ، مأخوذة من البطن ، وتطلق في الأصـل علـى عظيـم البطن . يقال : رجـل بطين ومبطان . وثمـة دلالات أخرى ، من ذلك : قولهم : رجل بطين ، أي كثير المال[٩] . وتعني أيضًـا البعيد ، كقولهم : إن الشـوط

---

(١) السابق، ص ٦٧ - ٦٨ .
(٢) ابن سلام : غريب الحديث ٢٠٩/١ .
(٣) العين : ١٣٢/١ .
(٤) ابن سلام : غريب الحديث ١٨٥/١ .
(٥) ابن دريد : جمهرة اللغة ٥٠٧/١ .
(٦) الأزهري : تهذيب اللغة ١٢٧/١ .
(٧) ابن فارس : مجمل اللغة، ص ٧٥٢ .
(٨) اللسان : ١٤٤/٨ .
(٩) ٤٤١/٧ .

بطين ، أي بعيد [١] . وإذا صغرت دلّت على النسب والانتماء . من ذلك : بنو بُطين من خثعم[٢] . ويقال : رجل مبطون ، أي يشتكي من بطنه [٣] . والبطين من منازل القمر ، وهو بطن الحمل ، وصغّر ، لأن الحمل نجوم كثيرة [٤] . وقيل إن البطين : الرغيب الذي لا تنتهي نفسه عن الأكل . وقيل الملآن أو الممتلئ ، كقولهم : كيس بطين ، أي ملآن[٥] . ومن المجاز: فلان بطين الشأو ، أي عالي الهمة بعيدها [٦] . وفي لهجة تهامة عسير تدل على من يشتكي بطنه ألمًا ، وهي على فعيل بمعنى مفعول، مثل : قتيل بمعنى مقتول.

(١٢) السَّبْر : وهي مأخوذة من الأصل الثلاثي (سبر) ، ويدل على التجربة ومعرفة مقدار الشيء. يقال: سبَر فلان ما عنده : جرَّبه . وسبر الجرح بالمسبار، أي نظر مقداره. والمسبار: فتيلة تجعل في الجرح[٧] . والسِّبْر بكسر السين : حضريّ. كما قال أبو عمرو بن العلاء ، وتعني الجمال والبهاء . كقوله ـ عليه الصلاة والسلام : " يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبْره " ، أي ذهب بهاؤه وجماله . والسَّبرة بفتح السين : الغداة الباردة . وقد ذكر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضل إسباغ الوضوء في السَّبَرات [٨] . وقيل السَّبر اسم من أسماء الأسد. والسُّبرة بالسين المضمومة : طائر دون الصقر [٩] . وفي تهامة عسير : (السَّبرة) : الليلة المطيرة مطرًا لا ينقطع حتى الصباح ، وقد يستمر أيامًا وليالي عدة. يقال في الجمع : سُبُورن وسبارن ، والمفرد سَبْرة . ويضرب – عند بعضهم – المثل في الشيء المتواصل الذي لا ينقطع ، أيًّا كان هذا الشيء ، سواء كان مطرًا أو غيره ، يضرب بأرض تسمى بـ (ابر سرحانٍ) ، وهي كانت قد اشتهرت بكثرة المطر ليلًا . يقال: (سُبُور ابر سرحان) . **(١٣) الجنبة :** وتعني الاجتناب . وقال أبو عبيد: الجنبة : الناحية . وقد وردت هذه اللفظة في قول مأثور عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، يقول: " ما بال أحدكم لايزال كاسرًا وساده عند امرأة مغزيَّة ، يتحدث إليها وتتحدث إليه ، عليكم بالجَنَبَة فإنها عفاف " قال أبو بكر بن دريد : الجَنبة هنا الاعتزال [١٠] . وعندهم تطلق على الناقة التي تفر من الجمل حتى لا يعاشرها على حَمْلها: جنَبَة وجَنَب، كلاهما

---

(١) القاسم بن سلام : غريب الحديث ٤٧٦/٣ .
(٢) ابن دريد : جمهرة اللغة ٥٠٧/١ .
(٣) الأزهري : تهذيب اللغة، ٢٥٢/١٣ .
(٤) الجوهري : الصحاح ٢٠٨٠/٥ .
(٥) ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم، ١٩٢/٩ .
(٦) الزمخشري : أساس البلاغة ٤٣١/١ .
(٧) العين : ٢٥١/٧ .
(٨) فصل المقال، ١٦٦ .
(٩) المصدر نفسه، ١٧٠ .
(١٠) فصل المقال، ص ١٦٢ .

سواء . كما تطلق (الجنب) على الواحدة والجمع . يقال : (ناقة جَنَبن ، وإبلن جنبن) . وعادة ما يهجر هذا الصـنف من الإبل القطيع إلى أماكن نائية، تكونَ مأمناً من الجمل الـذي قـد لا يميز حَمْلها مـن عدمه ، ولكنها تعـود بعد مدة إلى القطيـع ، عندما يتبين آثار حملها للجمل . وفي انتقال دلالة اللفظ هنا من البشـر إلى الإبل انحطاط ، فرضـته طبيعـة الزمـان والمكان لهـذه اللهجة . **(١٤) الخابـور :** قال كراع النمـل : يروى خافور بالفاء والصـواب ما ذكره أبو عبيد ، أن الخابور اسـم نهر في الجزيرة الفراتية . وفيه قالت الشاعرة :

أيـا شـجـر الخـابـور مـا لـك مـورقًـا ... كـأنـك لم تحـزن علـى ابـن طـريـف .

و مـا قالـه كراع النمل من أن الخابور بالباء شـجر خطأ ، ولعله أراد الخافور ، وهو المـرو الوَرِق ، والعرب تسـميه الزغبر أو الزبعر ، وهو ما يعـرف بالحبق [١] . وفي تهامة عسـير ، يطلـق الخابور ويـراد به أداة ربط من حديد تشـد بها بيوت الأغنام بعضـهما ببعضـ ، إن كانت هذه البيوت من الحديد . يقـال : خابور ، وجمعه خوابير ، ولم يعرف اللفـظ – عندهـم – بهذه الدلالـة إلا في عهد قريب ، عندما جعلت بيـوت الأغنام من الحديد ، وهذه البيوت تسـمى شـبّك وشـبوك . وفي انتقال الدلالة من الشجر إلى هذه الأداة المسـتخدمة في الربـط انحطـاط دلالي . **(١٥) الطرر :** جمع طُـرَّة . قال أبو بكر الأنباري : أطرار الطريق نواحيه ، وقال : طرة كل شـيء حرفه ، وطرة الثوب : موضـع هدبه ، أي كفته [٢] . وفي اللسـان : الطر : الطِرد ، طرَّ الإبل : طردها وسـاقها بشـدة . والطر : الجميع ، قال سـيبويه : مررت بهم طُرًّا ، أي جميعًا . قال : ولا تسـتعمل إلا حالاً . وقد اسـتعملت في غـير الحال ، كقولهم : رأيت بني فلان بطـر ، إذا رأيتهم بأجمعهم . كما تعني : الناصـية ، وتعني أيضًـا القطع والقص ، كقولهم : طر شـاربه ، إذا قصَّه . وطـر الـوادي : ناحيته [٣] . وفي المثل: " أطرِّي فإنك ناعلـة " ، أي خذي أطراف الوادي فإنـك ناعلة ، أي عليك نعلان[٤]. وقيل معنَـى الطر في المثل: الجمع ، أي اجمعي الإبل ، فـإن عليـك نعلين . وهو مثل يضـرب لركوب الأمر الجلل في حال الاسـتعداد له . والطر أيضًا : اللطم . قاله كراع النمل [٥] . وفي لهجة تهامة عسير يراد بالطَّر أو الطُّرة : اللطم والخـد معًا. يقال : (طـرُّوه بمِلطامن) ، أي لطمه. ويقال في معرض الدعاء :(فضـح

---

(١) فصل المقال، ص ١٦٦ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٠ .
(٣) اللسان : ٤/ ٤٩٨ـ ٤٩٩ .
(٤) فصل المقال، ص ١٦٩ .
(٥) اللسان : ٤/ ٥٠٠ـ ٥٠١ .

الله هـذا الطِّرة) ، أي الخـد ، والخد عندهم تؤنث : خِدَّة . وهـذان المعنيان مأخوذان من ناحية الشـيء ، كالخد ، فهو ناحية الوجه وطرفه . ومن الضـرب على الوجه ، وهو ما يسـمى باللطم قديمًا وحديثًا . وفي تغـير الدلالة وانتقالها من الخد إلى اللطم مجاز مرسل علاقته الحالية ، إذ الخد محل اللطم والضرب .

(١٦) الغب : وهو أن ترد الإبل الماء يومًا وتتركه يومًا . يقال : جاءت إبل بني فلان غابَّة ، وبنو فلان مُغبُّون [١] . وفي فصـل المقال : الغبّ : منتصـف الظهيرة ، وهي أن ترد الإبـل كل يوم نصـف النهار[٢] . ولا أعلم كيف جاءَ هـذا المعنى ، ولكن المجمع عليه عند العلماء أن الغب هو ورود الإبل يومًا وغبّها يومًا . وفي المثل : " زر غبًّا تزدد حبًّا " ، أي أن تزور يومًا بعد يوم أو أيام [٣] . والغب – عندهم – يعني العطش ، عطش الغنم خاصة. يقـال: (امغنم غبابا ، وامشـاة غابِّن) ، غابٌّ : المفرد ، والجمع : غبابا ، على لسـانهم . ويقال: (امغنم ولابُوه غبِّن) ، أي ليس به عطش. (وشـاة مغبِّن) ، أي عطشـانة. وفي انتقال الدلالة من ورود المَاء يومًا وتركه يومًا إلى العطش مجازٌ مَرسل ، علاقته السببية ، إذ أن ورود الماء يومًا وتركه يومًا سبب في العطش. **(١٧) الرِّبع :** يكون بعد الغب ، فإذا كانت الإبل تشـرب يومًا وتغبّ يومًا ، فإنها في الرِّبع ، يفوتها الماء يومين متتاليين ، وبعده الخمْس ، وكذلك إلى العشْر[٤] . والرِّبع في تهامة عسير العطش أيضًا. ولكنه يطلق على عطَش الإنسان لا غير . يَقال : (فلان ولا بُوه رِبعن) ، أي ليس به عطش. وانتقل هنا عن طريق المجاز وعلاقته السببية ، فورود الماء بعدَ مهلة ، سواءً كانت يومًا كما في الغب ، أو يومين كالربع ، كل ذلك سبب في العطش . **(١٨) العترة :** مختلف فيه . فقيل هو الصنم الـذي كانت تعتر لـه العتائر في رجب ، العتائـر جَمع عتيرة ، وهي الشـاة التي تذبح في رجب ، يتقرب بها في الجاهلية ، وتسـمى رجيبة . وقيل العترة : الأصـل ، وعترة الرجل: أصله. وعترة الرجل أيضًا : أقرباؤه . وفي المثل : " عادت لعترها لميس " ، أي لأصلها[٥] . والعترة أيضًـا: بقلة إذا طالت قطع أصـلها ، فيخرج منه لبن [٦] . كما تدل العترة على القوة والشـدة . يقال: عتَر الرمح عتْرًا وعَترانًا : اشـتد واضطرب[٧] . واللفظ في دلالته على القوة والشدة ، هو السائد في لهجة تهامة عسير . يقال: (لحمِن عَترِن) ، أي قوي،

---

(١) ابن السـكيت : أبو يوسـف يعقوب بن إسـحاق (ت٢٤٤هـ) : كتاب الألفاظ، تحقيق : (أوغسـت هفنر) ، مكتبة المتنبي ـ القاهرة : ص ١٢٩ـ ١٥١ .

(٢) فصل المقال، ص ١٧٨ .

(٣) الأزهري : تهذيب اللغة ٢٧/٨ .

(٤) اللسان : ١٢٥/٢.

(٥) الخليل : العين : ٦٦/٢، وينظر أيضاً : غريب الحديث لابن سلام : ١٩٥/١ .

(٦) العين : ٦٦/٢ .

(٧) ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم، ٤٣/٢ .

يصعب تقطيعه أو إنضاجه على النار ، وأكثر استخدامه بهذه الدلالة في اللحم خاصة . كما يستخدم قليلا في غير ذلك . يقال في الجزء من الجبل : عُنتور ، ويقال للشيء إذا اشتد وقوي : عنْتَرَ فهو مُعَنتر .

(١٩) الوديّ / الوْدي : الوديّ بكسر الدال وتشديد الياء هو صغار النخل ، واحدته وديَّة . حكى ذلك أبو عبَيدة عن الأصمعي . وأما الودْي بسكون الدال ، فهو المني . قاله جماعة من أهل اللغة .والودي بكسر الدال وسكون الياء في لهجة تهامة عسير : الأداة التي يطحن بها الحب على الرحى ، ويصنع من جنس الرحى ، وهو الحجر القوي الذي لا يتصدَّع . والرحى في تهامة عسير تسمى المِطْحَنة ، اسم آلة على (مفْعَلة) ، وما يطحن به يسمى ـ كما سلف ـ الودي . **(٢٠) القرْم / القرَم :** القرْم بسكون الراء : الفحل من الإبل ، ويقابله الأفيل ، وهو الجمل الصغير ، وسمي الفحل بالقرم، لصعوبته وعدم انقياده[١] . والقرم من الرجال : السيد الكريم ، وأصله ـ كما سلف ـ الفحل من الإبل ، يكرَّم ولا يمتهن بالحمل[٢] . كما يطلق القرم على تناول الجدي أو الحمل العشب ، وأول ما يقرم أطراف الشجر ، وهو راضع بعد[٣] . والقرَم بفتح الراء: شدة الشهوة للحم ، وقد قَرِمتُ إلى اللحم ، إذا اشتهيته[٤] . والقرَم عند بعض أهل تهامة عسير : قطع الخبز التي تكون مع اللحم ، إذا كان حنيذًا . والقَرَم : شدة الشهوة إلى الجماع ، وهذا قليل عندهم . وقال الدكتور عباس السوسوة : في لهجات كثير من قبائل صنعاء وعمران وحجة: قُرَمة ، وجمعها قُرَم ، وهو خبز قوي مصنوع من الذرة. **(٢١) النشب :** من أسماء المال عند العرب كما قال أبو عبيد . واختلف في هذا المال ، فقيل إنه يقع على المال الصامت ، كالدار ونحوها ، والناطق كالماشية . قاله ابن دريد. وقال ابن النحاس: النشب : المال الأصلي كالدار وما أشبهها[٥] . ويطلق النشَب أيضًا في كلام العرب على العلاقة والرابطة . يقال : بين فلان وفلان نشَبة ، أي علاقة. ويطلق على الورطة في الشيء : نشب الرجل في الشجر والشوك نُشوبًا ، إذا وقع فيها ، ولم يتخلص منها إلا متخدِّشًا .كما يطلق النشب على التباس الشيء بالشيء : نشِب الشيء في الشيء ، إذا التبس فيه[٦] . ومن المجاز: نشب الحرب والشر بينهم نشوبًا ، وما

---

(١) فصل المقال، ص٢٢١، وينظر : غريب الحديث للخطابي ١٣٦/٢ .

(٢) الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ) غريب الحديث، تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي، تخريج الأحاديث، عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر ـ دمشق ١٩٣/٢ .

(٣) العين : ١٥٩/٥ .

(٤) الجوهري : الصحاح : ٢٠٠٩/٥ ، وينظر أيضاً: مقاييس اللغة لابن فارس : ٧٥/٥ .

(٥) فصل المقال، ص ٢٨١ .

(٦) ابن دريد : جمهرة اللغة ٣٤٦/١ .

نشب أن قال كذا ، ولم ينشب أن قال ، أي ما لبث[١] . وعندهم يطلق النشب على الشر والخصام . يقال : (فلان نشْبة) ، أي شرير خصيم . كما يدل على الورطة في الشيء: (نشّبَ فلان في كذا) إذا علق فيه ، ولم يخرج منه . وقد اشتهر حي في تهامة باسم (المَنْشَبة) ، ولعل تسميته بهذا الاسم انطلاقًا من هذا المعنى .

(٢٢) الغرْز : يراد به رحْل الإبل ، وكل ما كان مساكًا للرجلين في المركب يسمى غرْزًا . ومغرز الرأس والأضلاع : مركب أصولها ونَحوه . والغريزة : الطبيعة من خلق المرء حسنًا أم غيره .كما يطلق على قلة اللبن في الإبل خاصة ، ويقال : غرزت الناقة غرْزًا فهي غارز ، أي قليلة اللبن .كما يطلق على نوع من الثمام دقيق لا ورق له ، ينبت على شطوط الأنهار[٢] . ومن المجاز : اطلب الخير في مغارسه ومغارزه[٣] . أي أماكنه التي يثبت فيها . وعند تهامة عسير يطلق الغرز على ثبات الشيء في الشيء . يقال: (غرز الطبيب غرزتين في رجله) ، أي خاط الجرح مرتين ، وفي ذلك معنى الثبات ، ثبات الجرح وإيقاف النزف . ويقال : (غرَّزن امسيارة) ، إذا علقت في الأرض ، لدرجة الثبات الذي لا تستطيع معه الحركة . ويقال : (شاة غارزن) ، إذا انقطع لبنها استعدادًا للحَمل . ويقال : (تيسن غُرزَة) ، إذا سمن سمنًا لا يمكن أن يزيد عليه . وفي ذلك كله معنى الثبات في الشيء . **(٢٣) القمقم :** قال الأصمعي : هو رومي معرّب ، وقد تكلمت به العرب في الشعر الفصيح ، ومنه قول الشاعر :

وكأن ربًّا أو كحيلاً معقداً ... حشّ الوقود به جوانبُ قمقمِ

وقال نفر من أهل اللغة : قمقمه : قبضه وجمعه . وبحر قمقام : كثير الماء[٤] . وقالوا القمقم : البسر اليابس[٥] . والراجح وما دلت عليه أغلب كتب اللغة أن القمقم : إناء من نحاس ، يسخن فيه الماء ، ويكون ضيق الرأس ، وهو معرّب ، على نحو ما عنى الأصمعي[٦] . وفي المثل : " على هذا دار القمقم " ، أي إلى هذا صار الخبر[٧] . والقمقم والقِمقمة : في لهجة تهامة عسير : مؤخرة الرأس . يقال : (مَسّكَ بقمقمتُوه ، وبقَمقَم

---

(١) الزمخشري : أساس البلاغة ٦٩٩/١ .
(٢) العين ٣٨٢/٤ .
(٣) الزمخشري : أساس البلاغة ٦٩٩/١ .
(٤) ابن دريد : جمهرة اللغة ٢٢٠/١ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة ٢٤٣/٨ .
(٦) الزبيدي : تاج العروس ٣٠٢/٣ .
(٧) فصل المقال، ص ٢٩٧ .

راسوه) ، والإمساك بالقمقمة لا يكون إلا بشدة وقوة ، وفي ذلك معنى العقوبة والإهانة معًا . علاوة على ذلك أن القبض والشد لمؤخرة الرأس يجعل انقياد المرء سهلًا يسيرًا. **(٢٤) الحمَّة :** اختلف في معناه ، غير أنه يدل في الغالب على حرارة الشيء ولهيبه. فمن ذلك : الحمَّة : العين الحارة التي تنبع من باطن الأرض . وفي الحديث : " مثل العالم مثل الحمة ، يأتيها البعداء ويتركها القرباء ، حتى إذا غاض ماؤها ظل قومه يتفكَّنون: أي يتندَّمون[١] . وهذا المعنى هو الغالب . وقيل الحمة : لون بين السواد والكتمة يقال: فرس أحمّ . والحمّ: الذي يبقى من الشحم المذاب ، فما بقي منه فهو حمّة . وحمّ الرجل من الحمى ، فهو محموم ، وكل شيء سخنته فقد حممته . والحُمَة بضم الحاء : حرارة السمّ ، قاله الأصمعي ، وليست كما يقول العامة : حُمّة العقرب ، أي إبرتها[٢]. وعندهم الحمَّة : داء على هيئة ورم يصيب أنوف الإبل ، فالصغير منها غالبًا ما يموت. والحمّ بكسر الحاء : الفحم ، وسمي بذلك ، لسواد لونه . ويقال : (جملن محَمحَمن) ، أي أسود . كما يدل اللفظ في بعض تصريفاته على حرارة الشيء وسخونته . يقال: (فلان حَمّى ثيابوه ويحمِّيها) ، أي عرَّضها للشمس ، كي تجف من الماء ويكون ذلك بنشر الملابس على (المِهْباب) ، وهو عندهم حبل تعلق عليه الثياب في تعريضها لحرارة الشمس ، والمصدر عندهم (حِمّاين) .

(٢٥) الوَقَع : وهي بفتح الواو والقاف : الحجارة. والوقِع بكسر القاف : الذي يمشي في الوقَع حافيًا ، فيشتكي لحم رجليه من المشي[٣] . والوقْع بسكون القاف: الحفى . يقال : وقعت الناقة ، أي حفيت. وقال ابن الأعرابي : الوقْع : الحجارة[٤]. والوقْع في لهجة تهامة عسير بسكون القاف : دخول الغنم في الزرع ، مع عدم رضا صاحب الزرع ذلك . يقال: (وقَعَ امغنم في امزرع وَقَعانن) ، إذا أكل منه . ويلاحظ أن الاسم عندهم (وَقَعانن) ، والماضي منه (وقَع أو وقِع) ، والمضارع (يقع) . والوقْع عندهم جريمة لا تغتفر ، فإما أن يكون ثمنه (الخاتِمة) ، وهي عائد مالي يتقاضاه صاحب الزرع من صاحب الماشية ، وهذا العائد يكون نقديًا أو عينيًا ، كأن يعطى بعض الماشية أو الفضة ، أو غير ذلك . وقد يكون الثمن القتل ، وقد حدث ذلك ، لما للزرع عندهم من قداسة ومكانة ، فكأن من تجرأ على الحرث والزرع قد تجرّأ على ما هو أعظم من ذلك كالعرض مثلًا . **(٢٦) الظنبوب :** المراد به مقدَّم عظم الساق . وقيل مسمار الرمح .

---

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة ١/١٠٢ . وينظر اللسان أيضاً : ١٢/١٥٤ .
(٢) اللسان : ١٢/١٥٤ ، وينظر أيضاً : الجمهرة : ١/١٠٢ .
(٣) فصل المقال، ص ٣١٨ .
(٤) إبراهيم الحربي : غريب الحديث ١/٦٢-٦٣

وفي المثل " قرع للأمر ظنبوبه " . أي جدّ في الأمر ولم يعثر . وقيل إن المراد بالقرع في المثل : قرع ظنابيب الإبل لتبرك وتشدّ عليها الأكوار فيركبونها ، ويجنِّبون الخيل [١] . أي يريحونها. والضنبوب بالضاد في لهجة تهامة : مرفق اليد ، وجمعه (ضنابيب) . ويقابل المثل السابق قولهم:(نفض ثيابوه) ، يضرب للجد في الأمر والاستعداد له . وفي تغير الدلالة وانتقالها من مقدم عظم الساق إلى المرفق مجاز مرسل علاقته المجاورة .

(٢٧) مَقانب : جمع مِقْنَب ، وتدل على الجمع . واختلف في هذا الجمع ، فقيل جماعة الخيل والفرسان ، وقيل العدد ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الخمسين من الرجال[٢] . يقال : قنَّبوا نحو العدوّ (تقنيبًا) ، أقنبوا (إقنابًا) ، وكذلك (تقنَّبوا) إذا اجتمعوا، وصاروا مِقْنَبًا[٣] . وعند بعض أهل تهامة: (رجّلن مقانَبن) ، أي سهل يسير في كل شيء . ويقال: (تقانبْ لمفطور) ، أي تيسر وتقرَّب لَه ، ومعنى قولهم : (لمفطور) أي للفطور ، جار ومجرور . ويقال : (شغلة مقانَبة) ، أي سهلة ميسرة[٤] . **(٢٨) طف:** له عدة معان ، من ذلك : طفَّ الإناء، إذا قَرب من الامتلاء ولم يمتلئ ، قال الكسائي : إناء طفَّان ، إذا لم يملأ ، أو نقص عن ملئه [٥] . وفي الحديث " كلكم بنو آدم طفّ صاع لم تملأه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى .. " وطفّ الناقة : شدَّ قوائمها . ويقال في المثل "خذ ما طفَّ لك وأطفَّ لك " ، أي ما ارتفع لك[٦] . والطفُّ الشاطئ ، ومن ذلك طفُّ الفرات[٧] . وقال أبو إسحاق في قوله تعالى (ويل للمطففين) المطففين (١) . قال : المطففون الذين ينقصون الكيل والميزان ، وإنما قيل ذلك للمطفف، لأنه لا يكاد يسرق في الكيل والميزان إلا الشيء الخفي الطفيف . والطفيف : الشيء البخيس الدون[٨] . وفي طفّان ورد ما يخالف ما سبق ، يقال : إناء طفّان ، أي ملآن . ومما شذ عن الباب : أطفّ فلان بفلان ، إذا أراد ختله[٩] . ودلالتها في تهامة عسير إما أن تكون على الاختفاء ، أو على الإمكان في الشيء . فالأول : يقال: (طَفَّن امشمس) أي غابت ، اختفت عن الأنظار عند الغروب .

---

(١) فصل المقال، ص ٣٣٣ .
(٢) فصل المقال، ص ٣٣٦ . وينظر أيضاً : غريب الحديث لابن سلام ٣٣٥/٣ .
(٣) الزبيدي : تاج العروس ٨٢/٤ .
(٤) ابن سلام : غريب الحديث ١٠٦/٣ .
(٥) الفارابي، ديوان الأدب ١٢٨/٣ .
(٦) السابق : ١٦١/١٣ .
(٧) الأزهري : تهذيب اللغة ٢٠٦/١٣ .
(٨) السابق : ١٣ /٢٠٦ .
(٩) ابن فارس : مقاييس اللغة ٤٠٥/٣ .

والثاني: يقال فيه (ماطفَّ عندك خذهو) أي ما تيسر لك وأمكنك أخذه فافعل . ويقال في معرض الدعاء (مع إمطَفَّة) ، أي تذهب إلى غير رجعة .

(٢٩) تضبُّ / تبضُّ : اللفظتان متقاربتان معني . قال أبو عبيدة : تضبّ مقلوب تبضّ ، أي تسَيل وتقطَر . وفي المثل في شدة الحرص " جاء تضبُّ لثته ولثاته على كذا وكذا " . ويقال : شاة ضَبوب ، أي ضيقة ثقب الإحليل ، وسميت بذلك لأنها تضب عند الحلب ، والضب الحلب بشدة العصر . قال أبو زيد : الحصور من الشاء : الضيقة الإحليل[١] . ومن المجاز : في قلبه ضب ، أي غل في داخل قلبه كالضب الممعن في جحره . وفي المثل " فلان كف الضب " إذا كان بخيلًا . وكفُّ الضب مثل في القصر والصغر[٢] . والأمثلة السابقة كلها تدل على معنى واحد ، هو شدة الحرص والبخل . وعندهم يقال: (هذي الشاة ما بَضَّن بقطرة) ، أي لم تحلب شيئًا من اللبن . وغالبًا ما يكون ذلك في الشاة المتُّوت ، أي ضيقة ثقب الثدي، وهي الشاة الحصور قديمًا[٣] . وضدها في لهجة تهامة عسير: الشاة الفَتوح، وهي التي يكون ثقب ضرعها متسعًا لخروج اللبن ، وربما امتلأ ضرعها لبنًا فسال في الأرض من غير حلب ، وتلك صفة مرغوب فيها عند أرباب الغنم . وقد تخرج هذه اللفظة إلى الدلالة على البخل ، يقال:(فلانٌ ما بَضَّ برْيال) ، أي لبخله لم يعط ريالًا واحدًا . **(٣٠) ادرع:** على زنة (افتعل) . قال الليث : ادَّرع الرجل وتدرَّع ، إذا لبس الدرع[٤] . ومن المجاز: ادَّرع الليل ، وادّرع الخوف[٥] . أي جعله شعاره ، كأنه لبسه لشدة لزومه[٦] . ومن الطريف في لهجة تهامة دلالتها على المرور بالشيء . يقال (ادَّرع فلان فلانًا) أي مر به في طريقه . ويقال (بَدَّرِع امسوق) ، أي سأمرُّ به في طريقي . وقولهم (بدَّرِع) الباء حرف استقبال ، وهي تقابل السين وسوف في الفصيح . **(٣١) كدم :** من باب نَصَرَ وضَرَبَ ، والكدْم العضّ بأدنى الفم[٧] . وقيل بالفم كله. وفي المثل " كدمت في غير مكدم " ، أي عضضت في غير موضع عض[٨] . ومن ذلك حمار مُكَدَّم ، أي معضَّض . والكدَم أثر العضّ[٩] . وعندهم الكدْم والكدْمة والكدْمات الجروح

---

(١) الخطابي : غريب الحديث ٨٢/١، وينظر أيضاً: الصحاح ١٦٧/١ .

(٢) الزمخشري :أساس البلاغة ٥٧٢/١ .

(٣) سبقت الإشارة لمعنى (الحصور) في قول أبي زيد في غريب الحديث للخطابي ٨٢/١ .

(٤) الأزهري : تهذيب اللغة ١١٩/٢ .

(٥) الزمخشري : أساس البلاغة ٢٨٤/١ .

(٦) الزبيدي : تاج العروس ٥٤٥/٢ .

(٧) الجوهري، الصحاح ٢٠١٩/٥ .

(٨) فصل المقال، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٩) ابن سيدة : المخصص ٤، تحقيق :خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م : ٣٣/٢.

التي لا تسبب نزيفًا للدم، وليس هذا المعنى مقصورًا على تهامة عسير ، بل هو المعنى السائد في هذا العصر . وفي انتقال الدلالة من العضّ إلى الجرح مجاز مرسل علاقته السببية ، إذ العضّ سبب في الجروح. **(٣٢) الزير:** قيل إن أصله: زوير بالواو ، وقلبت ياءً . وفي اشتقاقه قولان : الأول: أنه زار وأزار قومه الموت، والثاني: أن اشتقاقه من اللزوم لموضعه، ولذلك سمي ملازم النساء ومجلسهن زيرًا [1]. وهي الدلالة المشهورة قديمًا وحديثًا . وعندهم تدل على نوع من آلات الطرب ، تسمى زِيرًا ، ويكون للرجال، أما النساء فكانت آلة الطرب عندهن تسمى (زَلَفَة) ، وتصنع هاتان الآلتان من الخشب وجلود البهائم ، وتكون على شكل دائري ، يكون الخشب على جوانبها، والجلد من الأعلى ، عند موضع الضرب ، لأن الجلد عند شده بالخشب يحدث صوتًا قويًا عند الضرب عليه باليد . وقد اندثرت هاتان الآلتان ، بسبب تعدد آلات الطرب الحديثة . وفي تغير الدلالة وانتقالها من مجالس النساء إلى آلة الطرب انحطاط دلالي . **(٣٣) الصَّلم:** مأخوذة من صلم الشيء صلْمًا ، إذا قطعه من أصله ، والصلم يكون في الأذن خاصة. يقال : رجل مُصَلَّم وأصلم ، إذا قطعت أذناه من أصولهما . ويقال للظليم مصلَّم الأذنين، كأنه مستأصل الأذنين خلقة ، وإنما وصف بذلك لصغر أذنيه وقصرهما . وإذا أطلق الصلْم على الناس ، فإنما يراد به الذليل المهان . كقول الشاعر :

فإن أنتمو لم تثأروا واتَّديتم　　　فمشُّوا بآذان النعام المصلَّم [2]

والصَّلْم عندهم يعني الألم في عضو من أعضاء الجسم . يقال (يدي ما تصلم عليَّه) ، أي يدي تؤلمني. ويقال (صَلَمَن يدي) أي أحدثت ألمًا شديدًا . وأما قطع الأذن أو الأنف فتعني الجدْع . وصغير الأذن من الغنم يسمى أَسَكّ وسكّاء ، وكبير الأذن: أشرف وشرْفاء ، ويلاحظ استخدام الأخيرة للإنسان فقط . والشاة بين السكّاء والشرفاء تسمى صَمْعاء ، والمذكر أصمع ، والأصمع والصمعاء من الغنم صغير الأذنين، ولكن لا يبلغ في الصغر مبلغ الأسك والسكّاء . ولعل في انتقال الدلالة من القطع إلى الألم مجاز مرسل ، علاقته السببية ، فالقطع للأذن سبب للألم . **(٣٤) أسك / سكاء:** سبقت الإشارة إليها في تفسير الكلمة السابقة ، وسنخصها هنا أيضًا بزيادة بيان . السَّكَك : صغر الأذن ولزوقها بالرأس وقلة إشرافها ، وقيل قصر الأذن . وقد وصف به الصمم ، ويقال عنه السكك ، ويكون في الآدميين وغيرهم ، وقد سكَّ سككًا وهو أسكّ. وقيل إن أصل السكك : الصمم ، يقال ظليم أسك ، لأنه لا يسمع ، واستكَّت مسامعه ،

(١) فصل المقال، ص ٣٥٧ .

(٢) اللسان : ١٢/ ٣٤٠ .

إذا صمّ . وقيل السكّاء : التي لا أذن لها[١] . وما لا أذن له لا يسمع . والأسك والسكاء صغير الأذن. على ما بينت سلفاً، والعلاقة بين السكك : قصر الأذن ، والسكك : الصَّمم علاقة سببية ، فقد يكون قصر الأذن أو صغرها أو قطعها سببًا في الصمم . **(٣٥) العَضب :** القطع ، عضبه يعضبه عضْبًا : قطعه . وتدعو العرب على الرجل فتقول : ماله عضبه الله ؟ يدعون عليه بقطع يده ورجله . والعضب : السيف القاطع . وعضبه بلسانه: شتمه بلسان عضْب، أي ذليق . ويقال : إنه لمعضوب اللسان ، أي مقطوعه . والعضْب في الرمح : الكسر . وقيل أيضًا : شاة عضباء ، أي مقطوعة القرن ، وقيل أن يجاوز قطع أذنها أو قرنها الربع ، فحينئذ يسمى القطع عضبًا. والعضب. كما قال أبو عبيد . في القرن ، وقد يكون في الأذن ، وهو في القرن أكثر . والعضباء من أسماء ناقة الرسول عليه الصلاة والسلام[٢] . والعضب عند بعض أهل تهامة عسير : الرجل النكد ، السيء المعاملة . يقال: (فلانن عضْبن) .**(٣٦) الزخ :** يدل على الدفع والمباينة . يقال زخخت الشيء إذا دفعته . وفي الحديث " من نبذ القرآن وراء ظهره زُخَّ في قفاه " . وزخَّ المرأة ، إذا جامعها . والمَزَخَّة : المرأة . ومن الباب الزَّخَّة : الحقد والغيظ[٣] . والزخ : السرعة، وزخ الإبل زخًّا ، أي ساقها سوقًا سريعًا[٤] . والزخ عندهم : القوة في كل شيء . يقال (زخّوه بعَصا) ، إذا ضربه ضربًا شديدًا ، ويقال : (زخَّ امَّطر زخّانن) ، إذا هطل بقوة وغزارة . ولعل في انتقال الدلالة من الدّفع إلى القوة فيه مجاز مرسل علاقته السببية ، إذ القوة سبب في دفع الشيء وتحريكه بقوة.

(٣٧) ينقم : أي ينكر عليه إنكار من يروم عقابه . ومنه قوله تعالى [وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] سورة البروج (٨) . وذلك أنهم أنكروا منهم التوحيد ، فعذبوهم عليه في الأخدود المقدم ذكره في أول السورة . وسمي العقاب انتقامًا ونقمة [٥] .ويقال في تهامة (فلان ما ينقم فلان) ، أي يسبه ويشتمه، ويقال (فلا ما يتنقم فهو نامن) أي يسب، والنقام السباب الشتام، ويلاحظ زيادة (ما) في قولهم (ما ينقم، ما يتنقم) . كما يدل اللفظ على التقاط الطير الحب . يقال (امحمام ما ينقم أمحب نقمانن) ، إذا التقطه التقاطا . وقد ذكر هذا المعنى الدكتور عباس السوسوة في لهجات اليمن، غير أنه زاد (يُنَقِّمم) إذا أريد التكرار تكرار التقاط

---

(١) اللسان : ٤٣٩/١٠، ٤٤٠ .

(٢) اللسان : ٦٠٩/١ .

(٣) ابن فارس : مقاييس اللغة ٧/٣ .

(٤) اللسان : ٢١/٣ .

(٥) العسكري، الفروق اللغوية، ٤٧/١ .

الحبوب . والنقمة عند أهل تهامة العقوبة وحلولها . ويدل اللفظ أيضاً على صفة الشر في الرجل، يقال (فلان نقمة) أي أنه شرير. **(٣٨) السَّلج :** سرعة الابتلاع . يقال : سلج الطعام، يسلَجُه سلَجًا وسلَجانًا : بلعه[١]. ومن أمثال العرب " الأكل سَلجان والقضاء ليّان " ، يريدون بهذا المثل أنه يسهل عليه الأخذ ، ويصعب عليه القضاء [٢]. وتأويل آخر : أنه يحب أن يأخذ ويكره أن يرد ، أي إذا أخذ الرجل الدين أكله ، فإذا أراد صاحب الدين حقه لواه به أي مطله[٣]. ويراد بالمطل: المماطلة والتسويف . والسلَج بفتح اللام يعني في لهجة تهامة الأكل من غير جوع ، وغالبًا ما يكون الطعام السلَج حامضًا أو شديد الحرارة . يقال (فلان ما يتسلّج ، وما يسلّج) ، إذا أكل من غير جوع . ومن الأطعمة التي (يُتسلَّج) بها عندهم الحلبة والشوربة . **(٣٩) المجور :** قال أبو عبيد بن سلام : من أمثالهم " يوم بيوم الخفض المجوَّر " . يضرب مثلاً في الانتصار من الظالم . وذكر الأصمعي قصته فقال : زعموا أن رجلاً كان بنو أخيه يؤذونه فدخلوا بيته فقلبوا متاعه، فلما أدرك ولده ، صنعوا مثل ذلك بأخيه، فشكاهم ، فقال أخوه : يوم بيوم الخفض المجوَّر " . والمجور هنا المصروع[٤] . وهو من وقع عليه الجور ، وهو الظلم . والمجوَّر في تهامة المحلَّف بالله تعالى . من ذلك قولهم (أنت مجَوَّرن بالله أن تفعل كذا أو تترك كذا) ، أي حلّفتك بالله . وقولهم (جوَّرتك بالله) ، أيَ حلَفتك . وله مرادف آخر سبقت الإشارة إليه ، هو (مقروع) . ولعل هذه الكلمة بهذه الدلالة مأخوذة من الجوار ، وهو القرب من الشيء ، فكأن من قال : جورتك بالله ، أي جعلتك في جوار الله وفي القرب من رحمته أن تفعل كذا أو تترك كذا على وجه الحلف والقسم . **(٤٠) واضع :** اسم فاعل مصوغ من الفعل الثلاثي وضع . والمصدر الوضْع ، وهو ضد الرفع[٥]. والواضع للشيء من قام بذلك . وفي كلام العرب: امرأة واضع ، إذا ألقت قناعها ، وشاة واضع ، إذا ولدت[٦] . كما أن الواضع من الإبل : التي ترعى الحمض حول الماء، فهي مقيمة على ذلك[٧]. وفي لهجة تهامة يطلق على الشاة إذا اشتهت التيس . يقال (شاة واضعن) ولها مرادف آخر، هو طالب . يقال (شاتن طالِبن) إذا اشتهت المعاشرة أو (الضِّراب) عندهم . ولعله اسم فاعل بمعنى موضوع ومطلوب . وكلتا الصيغتين صحيحتان ، فالعالم بأمور الغنم يلاحظ أن كلًا من الذكر والأنثى يطلب أحدهما الآخر ، ولقد شهدت غير

(١) اللسان : ٢٩٩/٢ .
(٢) فصل المقال، ص ٣٧٩ .
(٣) اللسان : ٢٩٩/٢ .
(٤) فصل المقال، ص ٣٨٢ .
(٥) اللسان، باب وضع .
(٦) ابن دريد : جمهرة اللغة ٩٠٥/٢ .
(٧) اللسان، ٨ / ٤٠١ .

واحدة من الإناث قد تركت قطيعها إلى قطيع آخر ، طلبًا للتيس . وفي انتقال الدلالة هنا مجاز عقلي علاقته الإسناد ، إسناد اسم الفاعل إلى اسم المفعول ، إطلاق واضع ويراد به موضوع . وتفسير آخر لهذه الكلمة ، فقد تكون واضع بمعنى واضعة ، بحذف التاء ، مثل : امرأة طالق، وشاة ضالع .

(٤١) فحْلان : مثنى فحل ، ويراد به الذكر المعدّ للتزاوج . ومن أمثالهم " لا يجتمع سيفان في غمد ولا فحلان في ذود "[١] . وعندهم يطلق على الرجل موفور الرجولة والدهاء والكرم . ويعد عندهم صيغة مبالغة على غير القياس المعروف في اللغة . وفرق عندهم بين فحل وفحلان ، فالفحل يشمل الذكر من الناس والحيوان والطير على حدّ سواء . ولا يطلق (فحلان) إلا على الرجل المتصف بصفات الكرم والرجولة . وفي انتقال الدلالة من صيغة المثنى إلى صيغة المبالغة مجاز عقلي علاقته الإسناد ، إسناد صيغة المثنى إلى صيغة المبالغة . **(٤٢) الوضين :** مشتق من وضن الشيء وضْنًا ، فهو موضون ووضين ، أي ثنى بعضه على بعض وضاعفه . والوضْن نسج السرير بالجواهر ، وفي التنزيل [عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) سورة الواقعة (١٥) . موضونة أي منسوجة بالدرر والجواهر ، مداخل بعضها في بعض . وفيما يتصل بصيغة (وضين) ، قال أبو عبيدة: وضين في موضع موضون . مثل : قتيل في موضع مقتول[٢] . ويطلق على الوضين على الحزام أيضًا[٣] . وهذا عائد إلى كونه منسوجًا بعضه في بعض . والوضين عندهم البيت المنسوج من سعف النخل لا غير . وسعَف النخل بعد يبسه ، يسمى (طِفي) . وقد حدث للكلمة في دلالتها تخصيص ، تخصيصه في البيوت المنسوجة من السعف ، بعد أن كان يدل على كل منسوج . **(٤٣) الصحن :** له عدة دلالات ، فيطلق على ساحة الدار ووسطها ، ووسط الفلاة . ويطلق على المستوي من الأرض . والصحن : العطية . يقال : صحنه دينارًا ، أي أعطاه دينارًا. كما يطلق على القدح لا بالكبير ولا بالصغير. والصحن أيضًا باطن الحافر . وصحن الأذن : باطنها[٤] . والصحن في تهامة خص بالدلالة على مجموعة من الأواني بعضها صغير ، وبعضها كبير ، فهناك صحون الفناجيل (الفناجين عند بعضهم) ، وهناك صحون الطعام ، إلى غير ذلك من الاستخدامات. وكان يطلق على الصحن عندهم : القدح والوعاء والوناء (الإناء) . وفي انتقال الدلالة

---

(١) فصل المقال، ص ٣٩٦ .
(٢) اللسان: ١٣/ ٤٥٠ .
(٣) فصل المقال، ص ٣٩٦ .
(٤) اللسان: ١٣/ ٢٤٤-٢٤٥ .

هنا تخصيص بنوع معين من الآنية . **(٤٤) السَّديف :** في اللسان: لحم سنام الإبل[١] . والمعلوم أن سنام الجمل شحم لا لحم . قال الشاعر : "وانهمَّ هاموم السديف الواري" أي ذاب دهن السنام[٢] . ومعنى انهمَّ : ذاب ، وما يخرج من السنام دهن يسمى هاموم[٣] . والسَّديف عند أهل تهامة الحجر الذي يرمى به الإنسان وغيره . يقال (رجمَوه بسديفنٍ) ، أي رماه بحجر . وعادة ما يكون هذا الحجر كبيرًا بما فيه الكفاية لإيذاء المرميّ.

(٤٥) كراب : جمع كَرَبة ، وهي من الفعل كرَب ، ويدل على القوة والشدة . يقال: مفاصل مُكْرَبة : شديدة قوية ، وأصله الكرَب ، وهو عقد غليظ في رشاء الدلو[٤] . ومن الباب : كراب الأرض ، أي حرثها ، يقال : كربت الأرض : قلبتها للحرث . وفي المثل " الكراب عَلى البقر " ، أي حرث الأرض وإثارتها على البقر ، وإن كان صواب المثل: " الكلاب على البقر "[٥] . كما تطلق الكراب على مجاري الماء[٦] . ومن الباب أيضًا : الكرْب ، وهو الغم الشديد ، والكُرَيبة : الشديدة من الشدائد . ومما شذَّ عن الباب : كَرَب الشيء : دنا وقرُب ، لأن هذا من الإبدال وهو من القرب ، لكنهم قالوا بالقاف: قرُب، بضم الراء ، وقالوا بالكاف : كرَب ، بفتح الكاف ، والمعنى واحد[٧].والكراب عندهم جمع كَرْبة : سارية الدار ، إن كانت الدار من الخيام . وإن كانت الدارَ من الحجر، فساريته عندهم تسمى (دَعَمَة) ، وهي من جذوع الشجر القوية، مثل السِّدر والسيال . وسمع عندهم : " السنين المكْربات " ، أي السنون العصيبة في العيش. مما سبق يلاحظ الدلالة على المعنى العام ، هوَ الشدة والقوة . **(٤٦) استنت :** مأخوذ من السَّنَن ، وهو النشاط والمرح . وقيل: السِّمَن . والأول أصح [٨]. ومن أمثالهم : " استَنَّت الفصال حتى القرْعى " ، أي أخذت في سنن واحد من المرح والنشاط ، حتى القرعى منَها ، وهي المصابة بمرض القَرع ، وهو قرح يظهر في أعناق الفصال ، فتسحب في التراب لتبرأ[٩] . كما يدل الاستنان على السواك ، لأنه من السنة[١٠]. والسَّنن حدّ

---

(١) اللسان: ٩ /١٤٧ .
(٢) الفارابي : ديوان الأدب ١٨٣/٣ .
(٣) فصل المقال، ص ٣٩٩ .
(٤) ابن فارس : مقاييس اللغة ١٧٤/٥ .
(٥) فصل المقال، ص ٤٠٠ .
(٦) ابن قتيبة : كتاب الجراثيم، ٤٤/٢ .
(٧) ابن فارس : مقاييس اللغة، ١٧٥/٥ .
(٨) اللسان: ١٣ /٢٢٩ .
(٩) فصل المقال، ص ٤٠٢-٤٠٣ .
(١٠) الفارابي : ديوان الأدب، ١٨١/٣ .

السكين. والمِسَن : الحجر الذي يحدد به [١]. ومن المجاز : استَّن به الهوى حيث أراد ، إذا ذهب به كل مذهب[٢]. وفي تهامة خصت هذه اللفظة بالدلالة على الانتظار . يقال (استنَّ فلان فلانًا) ، أي انتظر . كما يدل السَّنّ على حدّ السكين حتى تكون (فَتيقة) ، أي حادة ، وله مرادف آخر هو (الشُّوّاف) . يقال " شَوَّف امشفرة " إذا سنَّها . **(٤٧) الفصيل :** ولد الناقة ، وسمي بذلك ، لأنه إذا بلغ سنة يفصل عن أمه ، أي يفطم. وجمعه فصال وفُصلان[٣] . وعندهم يطلق على صغير القرد، وجمعه فصلان . وهذا غير الفصَل مفرد فُصول، وهو فرخ الطير أيًّا كان. **(٤٨) الخدلج :** عظَيم الساقين ، ومؤنثه خَدَلَّجة[٤] . قال الشاعر ، قيل إنه شريح بن ضبيعة الملقب بالحطم:

بات يراعيها غلام كالزُّلم خدلّج الساقين خفاق القدم [٥]

وعندهم : الخَدَلَّجة ، تطلق على الشخص الأبله الذي لا يفهم الأمور ظاهرها وباطنها . يستوي في ذلك الذكر والأنثى . يقال (رَجِّلن خدلَّجة ، وامراة خدلَّجة) ، ولعل في انتقال الدلالة هنا انحطاط دلالي من الشخص عظيم الساقين إلى الأبله الذي لا يفهم . **(٤٩) عرفطة :** شجرة من شجر العضاه ، تأكله الإبل ، ويجمع على عُرْفُط[٦]. والعرب تسمي صمغ العرفط عسلاً لحلاوته، وهو ما يعرف بالمغفور والمغافير[٧] .

ولكن ما يعرف في تهامة عسير أن العرفطة شجرة ذات أشواك ، تأكلها الإبل ، وليس له صمغ حلو كالعسل ، كما ذكر ، إلا أن يكون المراد بالعرفط غير شجر العرفط المعروفة في تهامة ، ولم أهتد إلى نوع معين بهذه التسمية ، يخرج هذا الصمغ الحلو . **(٥٠) المثلة :** العقوبة ، وتأتي أيضًا : المُثُلة بفتح الميم وضم الثاء ، وجمعها مثُلات . قال تعالى (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ) سورة الرعد (٦) ، أي قد علموا ما نزل من عقوبتنا بالأمم الخالية ، فلم يعتبروا . ومن أمثالهم " التجريد لغير نكاح مُثْلة " [٨] . والمعنى أن تجريد العورة وكشفها لغير النكاح عيب ومنقصة[٩] . وعندهم يقال : (غدا فلان

(١) الجوهري : الصحاح، ٥/٢٤١٠ .
(٢) الزمخشري : أساس البلاغة، ١/٤٧٩ .
(٣) أبو هلال العسكري : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق : عزة حسن، دار طلاس ـ دمشق : ص ٣٥٢ .
(٤) اللسان : ٢/٢٤٩ .
(٥) فصل المقال، ص ٤٠٤ .
(٦) العين : ٢/٣٢٧ .
(٧) الأزهري : تهذيب اللغة ٢/٥٦، ٣/٢٢٢ .
(٨) العين : ٢/٣٢٧ .
(٩) الأزهري : تهذيب اللغة ٢/٥٦، ٣/ ٢٢٢ .

مَثَلَة) ، أي أصبح فلان مثلًا وعبرة على كل لسان . والمثلة عندهم لا تكون إلا في الأمر السيء ، فمن يعرض له سوء ، قيل عنه (مَثَلَة) ، أي سيكون حديث الناس في كل زمان ومكان . ولعلهم أرادوا بها (المثل) ، وأتوا بها مؤنثًا على غير المشهور في اللغة. **(٥١) القِرْفة :** قيل أصله القشرة ، ومنه يقال : صبغ فلان ثوبه بقرف السدر ، أي قشره[١] . وقال أبو عبيد : يقال للجرح إذا تقشّر قد تقرَّف ، واسم الجلدة القرفة[٢] . وقيل إن معنى القرفة التهمة . وفي المثل " أعرضتَ القرفة " ، يقال للرجل إذا اتهم بتهمة . قال الأصمعي : معنى أعرضت القرفة : أخطأت لأنك عممت بتهمتك، ولم تخص . ويقال : فلان قرفتي ، أي موضع تهمتي[٣] . وعندهم يراد به قشر نوع معين من الشجر، وهو من لحاء سيقان شجر عظام في سيلان والهند وما جاورهما .

(٥٢) العروس : تطلق قديمًا على الرجل والمرأة معًا ، ماداما في إعراسهما ، وهو اسم يجمع الذكر والأنثى لا تدخله الهاء [٤] . ولا يسميان عروسان إلا أيام البناء واتخاذ العرس[٥] . وفي المثل " لا مخبأ لعطر بعد عروس. " قال المفضل: عروس اسم رجل من العرب، وقد مات عن زوجته ، فتزوجت ابن عمها ، وهي كارهة له، وقامت بكسر السفط على قبر عروس ، ثم قالت المثل[٦] . والسِّفَط وعاء صغير ، تجعل فيه المرأة دهنها ومشطها وأشباه ذلك[٧] . والمعنى الأول هو الأشهر . والعروس عندهم مختصة بالمرأة التي يبني بها زوجها، ولا تقتصر هذه التسمية على أيام الزواج الأولى، بل يقال للمرأة المتزوجة عروس . أما الرجل فيطلق عليه عريس ومعَرِّس ، والثانية أكثر استخدامًا من الأولى ، ولكن مع تقدم العصر أصبحت لفظة العَروس تطلق على المرأة أيام زواجها الأولى ، وكذلك لفظة (العريس) ، تطلق على الرجل أيام زواجه الأولى . كما تطلق لفظة عريسٍ مجازًا عندهم على الرجل صاحب المظهر الحسن في لباسه وهيأته ، فيقال له تفاؤلا عريس ، وليست تسمية المرأة بالعروس ، والرجل بالعريس مقصورة على لهجة تهامة فقط ، بل في أغلب البلدان العربية . وفي انتقال اللفظ (العروس) من

(١) السابق : ١٥ /٧٢ .
(٢) فصل المقال : ص ٤١٥ .
(٣) اليوسي : الحسن بن مسعود بن محمد (ت ١١٠٢هـ) : زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق : محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الثقافة الدار البيضاء : ٤١٥/٢ .
(٤) ابن سلام : الغريب المصنف ٤٤٣/٢ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة ٩٥/٩ .
(٦) فصل المقال، ص ٤٢٤ .
(٧) ابن دريد : جمهرة اللغة ٧١٥/٢ .

دلالته على الرجل والمرأة معًا إلى دلالته على المرأة فقط تخصيص .

(٥٣) العضاه: واحدته عضاهة وعضة أيضًا ، على قياس عزَة ، تحذف منها الهاء الأصلية كما حَذفت من الشفة ، ثم ترد في الجمع : شفاه[1] . والمَراد بها كما قال أبو زيد : اسم يقع على شجر من شجر الشوك ، له أسماء عدة يجمعها العضاه ، والخالص منه ما عظم واشتدّ شوكه، ومنه السمر والقرض والقتاد والسدر والعرفط[2] . وفي تهامة يطلق العضاه على الريحان خاصة . ومنه الريحان (السُّوادي والبياضي) ، فالسوادي ما كان ثمره أسود ، والبياض عكسه . ولعل في تغير الدلالة انحطاطًا دلاليًّا ، فشتان بين الشجر العظيم كثير الشوك ، والشجر اللين رقيق الورق والأغصان . والعضه عندهم قد تطلق على كل نوعٍ من الشجر ، ويجمع على عضاهين .

(٥٤) الزَّبون : مأخوذ من الزَّبْن ، وهو الدفع ، وزبنت الناقة ، إذا ضربت بثفنات رجليها عند الحلب ، فالزبن بالثفنات ، والركض بالرجل ، والخبط باليد . وهي ناقة زبون : دفوع . ويكون ذلك عند الحلب ، أو عند رضع ولدها منها . ويراد بالثفنات : الركبتان[3] . والزبون عندهم : المشتري ، ويشترط أن يكون شراؤه من بائع معين بصفة دائمة . والبائع يسمى عميلاً . ولم يكن مصطلح (الزبون) معروفًا إلا في فترة متأخرة ، فلم يكن يعرف المشتري إلا باسم المشتري ، وكذلك البائع يطلق عليه بائع لا غير.
(٥٥) ورّى: يقال ورّى في كلامه إذا عرَّض فيه وأخفى[4] . ومنه التورية وهي مصطلح بلاغي ، حيث يكون للكلمة معنيان ، قريب وبعيد ، فيخفي المتكلم المعنى الذي يريده بمعنى آخر. وقد ورد لفظ (ورّى) في حديث عن الرسول – عليه الصلاة والسلام ، فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان الرسول – عليه الصلاة والسلام – قلما أراد سفرًا أو غزوًا إلا ورّى بغيره .. "[5] ، أي عرّض بغيره . وهذا الفعل عندهم متعدٍّ ، مأخوذ من الرأي رأي العين ، أي النظر ، والحق أن ذلك منهج قديم في اللغة ، قلب الهمزة واوًا ، فلعلهم أرادوا بـ (ورّاه) : أراه ، فلتجنب اللبس (وِرَاه) ، أي خلفه ، شددوا الراء . كما تدل مجازًا على التهديد والوعيد . يقال (والله لَورِّيك) ، أي لأعاقبنك .
(٥٦) الجِذل : يجمع على أجذال وجذول وجذولة[6] . ويراد به أصل الشجرة ، أصل كل

---

(١) العين : ٩٩/١ .
(٢) اللسان : ١٩٠/٧ .
(٣) اللسان : ٧٩/١٣، ١٩٤ .
(٤) اللسان : ٤٠٥/٥ .
(٥) ابن دريد : جمهرة اللغة ٦٦/١ .
(٦) اللسان : ١٠٦/١١ .

شيء جذله[١] . وقيل إن الأجذال أصول الحطب العظام[٢] . وفي الأصل في كلٍّ معنى القوة والثبات . والجذل في تهامة أصل الشجرة اليابس ، غالبًا ما يتخذ حطبًا لسمكه وقوته . **(٥٧) العقر :** العقم ، وهو استعقام الرحم ، وهو أن لا تحمل . وقد عقَرت عَقارة وعقارة ، وعقرت عُقارًا ، وهي عاقر . قال ابن جني : ومما عدوه شاذًّا من فعُل فهو فاَعل ، نحو عقُرت المرأة فهي عاقر ، وأكثر ذلك إنما هو لغات تداخلت فتركَّبت. وعند الخليل: العقر : استبراء المرأة لتنظر أبكر أم غير بكر . قال : وهذا لا يعرف . وعُقرة العلم : النسيان . والعُقرة : خرزة تشدها المرأة على حقويها لئلَّا تحبل . والعاقر من الرمل الذي لا نبت فيه ، شله بالمرأة . وعقره: جرحه ، فهو عقير وعقرى ، مثل: جريح وجرحى . والعقر أيضًا : النحر . قال امرؤ القيس :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبًا من رحلها المتحمَّل

كما تطلق على دية فرج المرأة ، إذا اغتصبت نفسها [٣] . وعندهم العَقر بفتح العين: الضرب أو القتل . يقال (عقَر فلان فلانًا) ، إذا ضربه . وإذا المضروب أيًّا كان ضعيفًا ، فالعقر له يعني القتل . ويقال (رجْلن عقَّرة) ، أي هو محل للضرب .

(٥٨) اربَع : فعل أمر بمعنى الكفّ عن الشيء . من ذلك قولهم " اربع على ظَلعك " ، أي كف على ميلك[٤] . وأصله من الرِّبع في أوراد الإبل[٥] . وقد تقدم بيان كلمة (الربع) . وفي تهامة يعني المشي على رجل واحدة ، أو المشي على نحو متعثر غير مستقيم . يقال (فلان يربع رَبَعانن) ، أي يمشي مشية متعثرة غير سوية . ويقال للرجل إذا كانت إحدى رجليه لا تحمله على المشي : (اَربع على رجل واحدة) ، أي سر على رجل واحدة . ويقال أيضًا (أرَّبَع) بفتح الراء مضعفة ، وهو فعل أمر أيضًا ، ويعني طلب الكف عن الشيء . من ذلك قولهم : (أرَّبَعَك فلان يسكت) ، أي أسكته. **(٥٩) الفصية :** تعني التخلص مما يخاف منه . يقال : تفصَّيت ، إذا خرجت من البلية[٦] . والأصل في الفصية : الشيء تكون فيه ، ثم تخرج منه إلى غيره[٧] . وفي حديث قيلة: قالت الحديباء

---

(١) ابن فارس : مجمل اللغة، ص ١٨١ .
(٢) الجوهري : الصحاح ١٦٥٤/٤ .
(٣) اللسان: ٩١/٤، ٩٢ .
(٤) فصل المقال، ص ٤٥١ .
(٥) اللسان: ١٠٠/٨ .
(٦) العين: ١٦٥/٧ .
(٧) ابن سلام : غريب الحديث ٥٣/٣ .

:" الفصـيـة والله ، لايزال كعبك عاليًا " ، فكأنها أرادت أنها كانت في ضـيق وشـدة من قبل عم بناتها ، فخرجت منه إلى السـعة[١] . والفِصّـية بكسـر الفـاء عند بعض قبائل تهامة : نواة التمر ، ولها مرادف آخر عندهم ، هو العَجَمة مفرد عجم . وبالنظر للمعنى قديمًـا وحديثًـا ، يلاحـظ أن في كلٍّ معنى الخلاص والخروج من الشـيء ، فالنواة مثلًا سميت فصية، لخروجها من التمرة. وفي تغير الدلالة هنا توسع دلالي عن طريق المجاز ، وذلـكَ بانتقال مدلول اللفظة (الفصـيـة) من المعنـى المجرد : الخلاص والخروج من الهـم ، إلى المعنى الحسـي : خـروج نواة التمرة منها . **(٦٠) الفتان:** الشـياطين . وقيل الفتّان بفتح الفاء : المفرد ، والجمع بضـمها : فُتّـان ، وهي مأخوذة من الفتنة ، والفتنة: الضـلال عـن طريق الحق . قال تعـالـى [فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ❁ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ❁ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ] سورة الصافات (١٦١- ١٦٣) . وسئل الحسن البَصرَي عن ذَلـك ، فقال : مَا أنتمَ علَيه بمضـلين إلا من هو صـال الجحيم . قـال : إلا من كتب عليه أن يصـلى الجحيم[٢] . كما ورد اللفظ في قول الرسـول – عليه الصلاة والسلام في أمر المسلم مع أخيه المسلم: " ويتعاونان على الفَتان " أي الشيطان[٣] . وفي تهامة يطلق على دهك الخبز مع اللبن وفتّه . يقال (فتَّ فَتّانن) . وفي تغير الدلالة توسع عن طريق المجاز ، حيث انتقل اللفظ في دلالته على الفتنة والضلال ، وهو معنى مجرد ، إلى معنى حسي ، هو فتّ الخبز باللبن . وقد عرف طعام عندهم باسم (الفَتَّة) ، وهي من اللحم والخبز ، يمزجان بعضهما ببعض . **(٦١) التحريش :** مختلف في معناه ، بيد أن أكثر استخدامه في الإغراء والتحريض والتهييج . قال الجوهري : التحريش الإغراء بين القوم ، وكذلك بين الكلاب . وفي الحديث : (أنه نهى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن التحريش بين البهائم) وهو الإغراء وتهييج بعضها على بعض ، كما يفعل بين الجمال والكباش والديوك وغيرها . وفي حديث آخر : " إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهـم " أي في حملهـم على الحروب والفتن[٤] . كما يـدل على التمزيق . وقال أبو حنيفة : هو ذهاب الشـحم واللحم[٥] . وفي تهامة اختص اللفظ بالإغراء والتهييج بين الناس ، وحث بعضهم على بعض بالعداء . ويسمى من يتصف بذلك محرِّش ، وله مرادف آخر ، هو المنافق ، واختص هذا اللفظ عندهم بالبشـر ، فمن يسعى بالتحريش ، إنما يكون بين البشر ، أما الحيوانات فإغراء بعضها على بعض يسمى (عِرّام) . أكثر استخدامها دلالة

---

(١) انظر القصة وافية في فصل المقال ، ص ٤٥٦ .

(٢) ابن سلام : غريب الحديث ٥٨/٣ .

(٣) ينظر القصة كاملة في فصل المقال، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ .

(٤) اللسان : ٢٧٩/٦، ٢٨٠ .

(٥) فصل المقال، ص ١٠٠ .

أنها الحجارة المحماة على وجه الأرض . كما تدل على سـمة تكوى برضفة من حجارة[١] . وقيل الرضَفة : الحجارة التي تحمى وتلقى في اللبن[٢] .

(٦٢) الرَّضْف : اللبن الذي يصب على الرضف ثم يؤكل[٣] . كما يدل الرضف على عظم منطبق على الركبة[٤] . ومن أمثالهم " جاء فلان بمطفئة الرضف " . قال الليث: الرضفة شحمة إذا أصابت الرضفة ذابت فأخمدته ، ويضرب مثلًا للداهية. وقيل : هي الحية التي تمر على الرضف ، فيطفئ سمها نار الرضف [٥] . وعندهم الرضف : الضربة التي لا تسبب نزيفًا للدم . كما تعني الأسنان غير السوية ، كأن يكون بعضها صغيرًا وبعضها كبيرًا ، أو تتقدم بعض الأسنان ويتأخر بعضها . يقال (فلان مراضف وقد راضَف) . أما اللبن الملقى فيه الحجارة المحماة ، فيسمى عندهم (وريث) ، والَحجارة تكون من المرو . **(٦٣) صِمام :** الحية . ومن أمثالهم " صمِّي صَمامِ " ، أي لا تجيبي الرقاة ، ولذلك يقال في الداهية : صمي صمام ، تشبيهًا بالحية. والصِّمام بكسر الصاد في لهجة تهامة : غطاء القربة وما أشبهها من الآنية ، والفعل: صمَّم . **(٦٤) الكانون :** لها عدة معان ، فالكانون قد تأتي جمعًا للكاني اسم فاعل من الكنية. قال الكميت:

فإياكم إياكم وملمة ... يقول لها الكانون صمي ابنة الجبل [٦]

وروى ثعلب عن الأعرابي : الكانون : الثقيل من الناس ، وجمعه كوانين[٧] . وإنما سمي بذلك ، لأنه لا يكتم السر ، وذلك لأن أصله (كنَّ) يدل على الستر والصون[٨] . والكانون أيضًا: المصطلى الذي يصطلى به من البرد . وكانون الأول وكانون الثاني هما شهران في قلب الشتاء بلغة أهل الروم [٩] . والكانون عند أهل تهامة موقد مبني من الحجارة ، وله فتحة صغيرة يدخل من خلالها الطعام أو الشراب الذي يود طبخه أو غليه . **(٦٥) أم الرقم :** من أسماء الدواهي وكناها . وقد أحصى أبو عبيد من كناها

---

(١) العين : ٢٨/٧ .
(٢) ابن دريد : جمهرة اللغة ٣٢٨/١ .
(٣) السابق : ٣٢٨/١ .
(٤) السابق : ٧٤٩/٧ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة ١١/١٢ .
(٦) فصل المقال، ص ٤٧٤، ٤٧٥ .
(٧) فصل المقال، ص ٤٧٥ .
(٨) الأزهري : تهذيب اللغة ٣٣٥/٩ .
(٩) ابن فارس : مقاييس اللغة، ١٢٣/٥ .

خمس عشرة كنية[١] . وعندهم تدل على نوع من النبات يتمدد في الأرض ، وترعاه الإبل والغنم دون سائر الدواب الأخرى . والرقم جمع ، مفرده رَقَمة . **(٦٦) السبال :** جمع سَبَلة ، وهي شعر الشاربين إذا طال ، ويقال لمقدم اللحية : سبلة ، ورجل مسبل ، أي طويل اللحية[٢] . ومن أمثالهم في نعت العدو قولهم : " هم صهب السبال " يقال ذلك للأعداء ، وإن لم يكونوا صهب السبال . وأصل الصهوبة للروم ، وهم أعداء العرب[٣] . والسبال عندهم: جمع سبْلة بكسر السين : إلية الخروف لا غير . وقد تدل مجازًا على الذيل الطويل في سائر الحيوان . ويذكر أستاذنا الدكتور عباس السوسوة أن السبلة مفرد سُبَل في لهجات اليمن : ذيل الحيوان ، ماعدا الضأن فتسمى ثربَة ، كما أنها تطلق مجازًا على التابع الذي لا رأي له ، وقال : سُبَل – لا سبلة – لأشفار العين . وفي انتقال الدلالة من صفة الإنسان إلى صفة الحيوان انحطاط دلالي . **(٦٧) الكنة :** تطلق على زوجة الابن أو الأخ ، والجمع كنائن[٤] . وفي تهامة موسم من مواسم الصيف ، وفيه يبلغ الحر منتهاه . كما تعني الظل الذي يكتنّ فيه عن الحر ، أي يستتر فيه . واللفظ في ذلك يحمل معنيين متضادين ، الحر والظل .

(٦٨) الكُتَّة : تعني شَرَط المال وقَزَمه ، وهو رذاله[٥] . ومن أمثالهم ما رواه الكسائي عنهم " لعن الله غنمًا خيرها خطة وكُتَّة وبطان " ، وهي أسماء معارف لا تنصرف [٦] . والكَتَّة بفتح الكاف : ما كان في الأرض من خضرة [٧] . والكَتَّة عندهم بفتح الكاف : رمي الشيء أيًّا كان ، وهي اسم مرة ، والمصدر الكت ، وأغلب استخدامها في الطين الذي ينقل من مكان إلى آخر ، فعند وضعه في مكان آخر . يقال (فلان كتَّ امتراب كتّانن أو كتَّة واحدة) . **(٦٩) اللجاج :** مأخوذ من الأصل (لجَّ) ، ويدل على تردد الشيء بعضه على بعض . من ذلك لُجّ البحر ولُجَّته لأنه يتردد بعضه على بعض . ويقال : لجلج الرجل المضغة في فيه ، إذا رددها ولم يسغها . واللجلاج : الذي يلجلج في كلامه ولا يبين[٨] . واللَّجاج : التمادي في الأمر والإلحاح عليه ، من ذلك قولهم : لجّ فلانٍ في يمينه ، إذا تمادى عليها ولم يكفرها[٩] . واللجاج : الخصومة ، يقال : لجِجت ولجَجت تلِج ، وهو

---

(١) الجوهري : الصحاح ١/ ٢٧٤ .
(٢) الزمخشري : أساس البلاغة، ١/ ٤٣٦ .
(٣) اللسان : ١/ ٥٣٢ .
(٤) الأزهري : تهذيب اللغة ، ٩/ ٣٣٤ .
(٥) السابق : ٩/ ٣٢٥ .
(٦) فصل المقال، ص ٤٨٤، ٤٨٥ .
(٧) الزبيدي تاج العروس ٥/ ٥٧ .
(٨) ابن فارس : مقاييس اللغة، ٥/ ٢٠١ـ ٢٠٢ .
(٩) السبتي : عياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ) : مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث : ١/ ٣٥٥ .

لَجوج ولَجوجة ، ولُجَجَة كهُمَزة[١] . واللِّجاج بكسر اللام مضعفة ، تعني في لهجتهم المخاض عند الغنم والضأن خاصة . يقال (شاة تلجَّج ، وبها لجاجن) . وكأن المعنى هنا التردد ، وهذا بين في كثرة حركة الشاة عند المَخاض ، فهيَ تتردد على المكان الذي تود أن تلد فيه ذهابًا وإيابًا. **(٧٠) الجلب :** آثار الدبر على ظهر الدابة ، ومن أمثالهم في ذلك " أصبرُ من عود على دفّيه الجُلَب "[٢] . والجلب بكسر الجيم : ما يجلب من السبيّ أو الغنم ، والجمع أجلاب والجمع أجلاب ، والمفرد جَلوبة ، وهي ما يجلب للبيع . كما تعني التعويذات من العين[٣] . كما يطلق الجِلْب بكسر الجيم وسكون اللام على أنحاء الرحل وجوانبه . والجُلب والجلب من السحاب ، هكذا روي عن ابن السكيت . وقال أبو زيد : الجِلِبة: الشدة والجوع[٤] . والجِلْب عند أهل تهامة عود القصب ، وجمعه أعواد . **(٧١) العجرات :** ويجمع أيضًا على عُجَر، والمفرد عُجْرة ، ويراد به العقدة في الجسد ، وقيل نفخة في الظهر ، إن كانت في السرة فهي بُجْرة. قال أبو العباس : العُجَر في الظهر، والبُجَر في البطن[٥] . ومن ذلك الأعجر ، وهو كل شيء ترى فيه عُقَدًا ، وكيس أعجر ، أي ملآن ، وكذلك بطن أعجر[٦] . والعَجْرة في تهامة بفتح العين : وعاء من سعف النخل يوضع فيه الحب بعد جنيه ، وتجمع على عجَر. **(٧٢) الصَّوك :** تعني الأول ، يقال في المثل: " لقيته أول صَوك وبَوْك " ، قال أبو زيَد: لقيته أول صوك، أي أول مرة[٧] . وقيل الأصل فيه الخلاط ، يقال : صاك الخضاب بيدها يصوك ، إذا عبق[٨] . وقيل في معنى المثل السابق : لقيته أول حركة الناس ، يقال : ما به صوك ولا بوك، أي ما به حركة[٩] . وفي لهجة تهامة: الصَّوك مصدر صاك يصيك فهو أصوك. وتعني عندهم الأحمق الذي لا يفهم ، يقال عنه أصوك ومُصَيِّك .

(٧٣) الفَزْر : بفتح الفاء وكسرها ، وتعني في الأصل الشق والصدع ، والفزر مفرد، ويجمع على فُزور . والفزر أيضًا القطيع من الغنم . وقال أبو عبيد عن أبي زيد : الفِزْر

---

(١) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ٢٠٣/١ .
(٢) فصل المقال : ص ٤٩٨ .
(٣) العين : ٦/ ١٣٠-١٣٢ .
(٤) الأزهري : تهذيب اللغة ٦٤/١١ .
(٥) اللسان : ٥٤٢/٤ .
(٦) اللسان : ٥٤٣/٤ .
(٧) الحميري : نشوان بن سعيد (٥٧٣هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبدالله العمري، ومطهر علي الإرياني، ويوسف محمد عبدالله، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ٢٠٠٦م : ٣٨٥٠/٦ .
(٨) ابن فارس : الإتباع والمزاوجة، تحقيق : كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦ .
(٩) فصل المقال، ص ٥٠٧ .

من الضأن : ما بين العشرة إلى الأربعين[١] . وقيل أيضًا : الفزر: الاثنان[٢] . وهذه المعاني متقاربة ، تحمل معنى الصدع وانشقاق الشيء ، أو الجزء منه . واختصت دلالة الشق والصدع في لهجة تهامة عسير على الأشياء الجامدة ، مثل: الخشب والحجر ونحوهما. يقال (انفزرن امطاولة) ، إذا انشقت . ويقال (جدارن مفزورن) ، أي مشقوق . وهي عندهم بفتح الفاء لا بكسرها . **(٧٤) النافطة :** العنز . قال أبو عبيد " ماله عافطة ولا نافطة " ، والعافطة مأخوذة من العفْط ، وهو ريح تخرجه العنز من أنفها . يسمع له صوت وليس بالعطاس[٣] . وعند تهامة : النافطة والنِّفاط: ورم صغير ، يكون في الفم أو في راحة الكف. **(٧٥) الخلف :** ضد قدّام . كما تدل على الساقط الرديء من الناس وغيرهم ، وعلى سيء القول[٤] . وهي عندهم الخُلف بضم الخاء ، وتعني المخالف لغيره في كل شيء . كما تعني جانب البطن الأيسر . **(٧٦) هتر :** قال الأصمعي : الهتْر: السقط من الكلام والخطأ فيه . يقال : رجل مُهْتَر . وقال ابن الأعرابي : رجل مهتَر، إذا كبر أو مرض أو حزن . قال : والهتر : ذهاب العقل[٥] . وكلها معان قبيحة غير مستحسنة. وقال أبو عبيد : قال أبو زيد : من أمثالهم في الداهية " إنه لهتْرِ أهتار ، وإنه لصلّ أصلال " ، والهتر هنا الداهية المنكَر[٦] . وهو معنى مخالف لما ورد قبلا من المعاني . والهترة بالتاء في تهامة : الرجل الضعيف المستكان الذي لا قيمة له . يقال (فلان هتْرة) . ولعل في انتقال الدلالة من الداهية على ما ذكر أبو عبيد إلى الرجل الضعيف انحطاط دلالي، منشؤه التضاد في المعنى . **(٧٧) ألوت :** أي قصَّرت . ومن أمثالهم " إلا حُظَيَّة فلا أَليَّة" . قال أبو عبيد في تفسيره : المرأة التي ليست ذات حظوة عند زوجها ، يجب عليها ألا تكون أليَّة ، أي مقصرة في حقه من حسن الخُلق ، وألا تكون معينة له على سوء رأيه فيها[٧] . وفي تهامة : أليت ، بالياء وكسر اللام قبلها : القدرة على فعل الشيء. وغالبًا ما يكون مصدرًا بلا النَفي . يقال (ولا ليت على كذا) ، أي لم أستطع ، ويقال : (فلان ولا ألي على كذا) ، أي لم يستطع . وكثير في كلامهم استخدام الفعل (أليت) بالهمزة وبغيرها. **(٧٨) تبيع :** العرب تقول : بعت الشيء بمعنى اشتريته . ولا تبع ، بمعنى لا

---

(١) العين : ٣٦١/٧، وينظر تهذيب اللغة ١٣١/١٣ .
(٢) فصل المقال، ص ٥١١ .
(٣) السابق، ص ٥١٤
(٤) فصل المقال، ص ٥١، ٥٢ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة ١٢٨/٦ .
(٦) فصل المقال، ص ١٤٠ـ ١٤١ .
(٧) فصل المقال، ص ٢٣٧ .

تشتر[١]. والبيع والشراء يشتركان في أصل اللفظ (البيع)[٢]. وحديثًا يطلق البيع على إعطاء الشيء المبيع بثمن معين ، وعكسه الشراء . وفي تغير الدلالة هنا توسع دلالي ، ليشمل اللفظ البيع والشراء معًا ، ومما سوغ التوسع الدلالي : نشوء علاقة التضاد ، دلالة اللفظ على معنيين متضادين . ويمكن أن يكون اشتراكهما في المبادلة . قال تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) سورة يوسف (٢٠) .

ج. : الألفاظ التي حدث تغير في بنيتها مع دلالتها على شيء معين :

(١) الحقين : هو اللبن الحامض . قيل: هو الذي حقن أيامًا في السقاء حتى اشتد حمضه[٣]. وهذا هو الصواب . وفي تهامة يسمى (حِقْنَة) بكسر الحاء وسكون النون وزيادة التاء . **(٢) أرض ضل:** قال ابن الأعرابي : ضلَّ الشيء يضلّ ضلالاً ، أي ضاع وهلك . ومنه قولهم : فلانَ ضلّ ابن ضلّ ، بضم الضاد أو بكسرها ، أي منهمك في الضلال . ويقال : فلان ضلّ أضلال وصلّ أصلال ، إذا كان داهية[٤]. ويقال : أرض مَضِلة ومَضَلّة[٥]. وعندهم : مضَلّة ، يقال (أرضن مضَلّة) ، أي أرض تيه. **(٣) الصَدار :** قال الجوهري : الصِّدار قميص صغيرَ يلي الَجسد . وفي المثل: " كل ذات صدار خالة " ، أي من حق كل رجل أن يغار على كل امرأة ، كما يغار على حُرَمه[٦]. وفي تهامة : صدَيرية ، أو ما يعرف حديثًا بـ (الفنيلة) . **(٤) السعلاة :** أنثى الغيلان، وتجمع على سَعالي وسعْليات . وقد تسمى المرأة الصخابة أو قبيحة الوجه : سعلاية ، تشبيهًا بها . وقد استَسعلت المرأة ، إذا صارت كأنها سعلاة خبثًا وسلاطة. وعندهم يقال : سعلاية ، بزيادة ياء بعد اللام على (فعلاية) . **(٥) شرج :** يراد به مجاري الماء من الحرار إلى السهولة ، ويجمع على شراَج. وفي المثل : " أشبه شرج شرجًا لو أن أسيمرًا " . وخبر (أنّ) محذوف ، تقديره : هنالك أو ثَمَ[٧]. وعندهم يقال : الشَّريج، والجمع أشرجة . **(٦) الفرار :** جمع فرير ، وهو ولد الضأن[٨]. ومن أمثالهم : " نزو الفُرار استجهَل الفُرارا " . أي أن الفُرار إذا رأى الغنم قصد إليها ، فتتبعه البقية[٩].

(١) العين : ٢/٢٦٥ .
(٢) ابن فارس : مقاييس اللغة ١/٣٢٧ .
(٣) اللسان : ١/٥٢٢ .
(٤) اللسان : ١١/٣٩٥ .
(٥) ابن فارس : مقاييس اللغة ٣/٣٥٧ .
(٦) اللسان : ٤/٤٤٧ .
(٧) الأزهري : تهذيب اللغة ٢/٦١ .
(٨) فصل المقال، ص ٢٢٥ .
(٩) السجستاني : أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان : كتاب الفرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) ، م٣٧ ـ ص ٢٤٩ .

وهذا بيِّن لدى أرباب الضـأن ، فذلك سـلوك غالب على الضأن دون غيرها من الدواب. وقيل الفرار : ولد البقرة الوحشية ، ويصدق على المفرد والجماعة [١] . وعند أهل تهامة: الفُـرّان ، ومفـرده فرير ، أي ولد الضـأن لا غير . وقد يجمع علـى فرارين ، للدلالة على الكثرة . **(٧) ما حداكم :** ورد هذا اللفظ ، مستفهم به في قول الأصمعي : قيل لرجل من أهـل رامة : إن أرضـكم هذه لطيبة ، فلو زرعتموها ، قال : قد زرعناها سـلجمًا ، قال : فمـا حداكـم على ذلك ؟ قال : معاندة لقول القائل : " تسـألني برامتين سـلجمًا " [٢] . والسلجم معرَّبة، وهي ضرب من النبات [٣] . وفي تهامة يقال: ما حدَّكم؟ والمعنى في كلٍّ: ما دفعكم ، أو ما جرأكم على فعل ذلك .

(٨) الحربـاء : ذكـر أم حبـين ، وقيل هـو دويبة نحو العظـاءة ، يتلـون ألوانًا بحر الشمس. والجمع الحرابي [٤] . ومعلوم أن هذه الدويبة تتلون بلون المكان الذي تكون فيه، لا بفعل حر الشـمس كما ذكر . وتسـمى في تهامة عسير (الحربابة) بإبدال الهمزة ياء وزيادة التاء ، وإبدال الهمزة حرف علة كثير في لهجات تهامة عسير ، هروبًا من الثقل، فيقولون في دنيئة : دنيَّة، وفي عطاء : عطاين وهكذا. **(٩) الرمضاء :** شـدة الحر . ومن أمثالهم "كالمسـتغيث من الرمضـاء بالنار" . يضـرب لمن هرب من خلة مكروهة ، فوقع في أشـد منها [٥] . وعندهم يسـمى (الرَّمَضِ) ، بفتح الراء مشـددة وفتح الميم . **(١٠) السَّلم :** ضـرب من العضـاه ، كما تعني السَّـلمة الواحدة من السـلام ، وهي الحجارة . والسَّلَم جمع ، مفرده سَلَمة [٦] . وفي تهامة : السَّلام ، جمع سلامة ، دلالة على هذا النوع من الشـجر ، وهو شديد الشبه بالسـمُر ، وإن كان السمُر أشد صلابة وقوة من السَّلم . **(١١) دينه :** له عدة معان ، منها الذل والطاعة ، والعادة ، والإسلام[٧]. قال الشاعر :

تـقـول وقـد درأت لـهـا وضـيـنـي ... أهــذا دِيـنــه أبــدًا وديــنــي[٨]

وعندهم تسمى العادة (دَيدَن) . يقال (فلان مستمرن على دَيدَنوه) ، أي عادته ومذهبه . **(١٢) اللبكة :** اللقمة من الثريد . وقد وردت في قولهم : " ما ذقت عنده عَبَكَة ولا لَبَكَة " . كما

---

(١) فصل المقال، ص ٣٢٠ .

(٢) الأزهري : تهذيب اللغة، ١٥/ ١٢٦ .

(٣) ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم، ٧/ ٥٨٥ .

(٤) اللسان : ١/ ٣٠٧ .

(٥) الميداني : مجمع الأمثال، ٢/ ١٤٩ .

(٦) ابن دريد : جمهرة اللغة ١/ ٣٤٨ .

(٧) كـراع النمل : علي بن الحسـن الهناني الأزدي (ت ٣٠٩هـ) المنجد في اللغة، تحقيق : أحمد مختار عمر، وضاحي عبدالباقي، عالم المعرفة ـ القاهرة : ص ٢٠٢ .

(٨) فصل المقال، ص ٣٩٦ .

تعني اللبَكَة الشيء المخلوط [١]. وفي تهامة عسير تسمى اللقمة من الثريد (اللّفْعة) ، بفتح اللام وسكون الفاء وفتح العين . **(١٣) الثريد :** مأخوذ من الأصل الثلاثي : ثرد . تقول : ثردت الخبز ثرْدًا، إذا كسرته ، فهو ثريد ومثرود [٢]. وكل خبز ثردته في خبز أو مرق فهو ثريد ومثرود [٣]. وعند أهل تهامة : الثريف بالفاء ، واختص دلالة على الخبز المفتوت باللبن فقط . **(١٤) العطن :** بفتح العين والطاء : موضع مبارك الإبل حول الماء [٤]. وقيل أعطان الإبل لا تكون إلا على الماء ، فأما مباركها في البرية ، فهي المأوى والمراح [٥]. وفي تهامة سمع المِعْطان ، على (مفْعال) بكسر الميم وسكون العين ، اسم مكان ، يدل على مبيت البهائم ، من إبل وغيرها ، فهنا عموم في الدلالة . كما يسمى (مُوّى) تحريف من مأوى . **(١٥) الطرطِب :** دعاء الشاة أو النعجة ، ويكون بالشفتين [٦]. كما سمع بالدال في قولهم : " دردب لما عضَّه الثِّقاف " أي ذل وخضع [٧]. وعندهم (دردب) بالدال ، وتعني تحريك شعر الشاة أو النعجة وثدييها ، كي تألف عند الحلْب أو رضْع صغيرها .

(١٦) انحَصَّ : تدل على تناثر الشيء وتساقطه . يقال : انحصَّ شعره ، أي تناثر [٨]. وانحصَّ ورق الشجر عنه وانحتَّ، إذا تناثر [٩]. وفي قبائل تهامة ، تبدل الصاد تاءً تارة، وطاءً تارة أخرى . وكلها تدل على التجرد والتساقط . فإن قلت انحطَّ ، فاستخدامها للتجرد من الملابس ، وإن قلت انحتَّ ، فاستخدامها لتساقط الورق اليابس غالبًا من الشجر . **(١٧) أحَصّ :** دلالتها ما دلت عليه اللفظة السابقة (انحصّ) ، والفرق اختلاف المشتق . قال اليزيدي : إذا ذهب الشعر كله. يقال : رجل أحصّ ، وامرأة حصّاء [١٠]. وقال غيره : الحصّ : قلة الشعر ، ورجل أحصّ : قليل الشعر [١١]. وفي تهامة ينطق (حِصّ) بحذف الهمزة وكسر الحاء ، وتدل على الغنم - واحدًا كان أم جمعًا - قليل الشَعر، لا يكاد يمسك باليد ، لقلة شعره . ويقابله (الحَذَف) ، وهو الغنم كثير الشعر كثيفه. فيقال (غنمن حذْفانن ، وتيسن حَذِفن) ، كما يقال (غنمن حَذَفن) . ومرادف آخر لـ

---

(١) فصل المقال، ص ٤٠٠ .
(٢) الجوهري، الصحاح، ٤٥١/٢ .
(٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ٤١٩/١ .
(٤) فصل المقال، ص ٤٣١ .
(٥) العين : ١٤/٢ .
(٦) فصل المقال، ص ٤٤٣ .
(٧) الجوهري : الصحاح ١٢٥/١ .
(٨) الفارابي : ديوان الأدب، ١٨٢/٣ .
(٩) الأزهري : تهذيب اللغة، ٢٥٨/٣ .
(١٠) ابن سلام : الغريب المصنف، ٣٢٠/١ .
(١١) ابن فارس : مقاييس اللغة، ١٢/٢ .

(الحَذَف) ، هو (الزَّعَل) مصدرًا. يقال (شاة زعلة ، وتيسن زعلن) ، كثير الشعر. ويذكر الدكتور عباس السوسوة استخدام لفظ (الزعل) في لهجات اليمن للدلالة على المعنى عينه في لهجات تهامة عسير . والغنم الحصّ عند أغلب التهاميين أرغب وأغلى ثمنًا من الغنم (الحَذَف) . وقد عرف الآن نوع من الغنم (الحَذَف) يسمى (العِرضيّات) ، لا يقل ثمنًا عن الغنم (الحِصّ) .

(١٨) ناقة نتوج : يقال : نتجت الناقة وأنتجها أهلها ، وهي ناتج ونتوج ، ولم يقولوا منتج[١] . ويقال أيضًا : نُتجَت الناقة ، إذا ولدت ، فهي منتوجة . وأنتجت ، إذا حملت ، فهي نتوج[٢] . وعندهم : ناقة منتوجة ، وشاة منتوجة بالتاء . والمصدر النِّتاج ، (وشاة بها نتاجن) أي أنها لم تلد . **(١٩) مَصْرًا :** قال أبو عبيد : من أمثالهم : " لتحلبنَّها مَصْرًا " ، والمصر في الحلب ، ألا تبقي شيئًا ، فيريد في المثل لتحلبنّها ممصورة لا شيء فيها ، فوضع المصدر موضع المفعول ، ويحتمل أن يكون التقدير : لتحلبنّها حلْبًا مصْرًا . وأصله قلة اللبن[٣] . وعندهم : (مِصْرن) بكسر الميم لا بفتحها . يقال (ولا بّها مصرن) ، أي ليس بها حتى قليلٍ من اللبن . ويقال (حلب امشاة لين مصَّرها) ، أَي أنه حلبها حتى لم يبق بها شيئًا من اللبن . ويقال أيضًا (شاة ممصَّرة) ، أي ممصورة . وهنا يظهر اختلاف اللفظ : (مِصْر) بدلا من (مَصر) بفتح الميم ، (ومصَّر) بدلا من (مصَر) بفتح الصاد غير مشددة ، (وممصَّرة) بدلا من (ممصورة) اسم مفعول . **(٢٠) الفرار :** وردت بكسر الفاء وضمها وفتحها[٤] . ومن أمثالهم " عينه فراره " ، والفرار : اختبار الشيء ومعرفة حاله، كما تفر الدابة عن أسنانها لمعرفة سنها[٥] . وعندهم يسمى (الفَرّان) بفتح الفاء والراء مشددة . وهي طريقة متبعة في أسواق المواشي ، يقوم بها من رام الشراء ، لمعرفة سن الدابة . وأسنان الدواب عندهم : ثِني ، ورَباع ، وسَديس ، وجامِع ، ولُفوف ، وهو أكبرها سنًّا . **(٢١) أم طبَق :** قال أبو عبَيد : من أمثالهم " جاء بإحدى بنات طبق " ، وهو مثل يضرب للمصائب والدواهي . وبنات طبق وأم طبق بفتح الطاء والباء ، ضرب من الحيات[٦] . وعندهم تسمى أم الطِّبَق ، بإضافة (ال) ، وكسر الطاء مشددة .

---

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة، ١/٣٨٥ .

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/١٢ .

(٣) فصل المقال، ص ٤٨٨ .

(٤) الفارابي، ديوان الأدب، ٣/٦٤، وينظر: فصل المقال، ص ٣٦٧ .

(٥) فصل المقال، ص ٣٦٧ .

(٦) السابق، ص ٤٧٧ .

د. الألفاظ التي حلت محلها ألفاظ أخرى في الدلالة على شيء معين:

(١) صَبوح : اختلف في معناه قديمًا ، فقيل : الغداء . وقال أبو الهيثم : اللبن الذي يصطبح . والناقة التي تحلب في ذلك الوقت صبوح أيضًا(١) . ويقال " لقيته ذا غبوق وذا صبوح " أي بالغداة والعشي . قال سيبويه : لا يستعمل إلا ظرفًا . وهو من الظروف غير المتمكنة(٢) . وفي المثل " أعن صبوح ترقق " ، قيل : الصبوح : الغداء والغبوق : العشاء(٣) . وفي تهامة يسمى الفطور، أو اللبن الذي يشرب في الصباح قروع . ويسمى اللبن الذي يشرب في المساء صُواح . وسمعت بعض أهل اليمن يسمي الفطور صبوحًا. واللبن الذي يشرب في الليل قَضُوف وغَبوق . **(٢) الغبوق :** سبقت الإشارة إليه في اللفظة آنفًا . **(٣) التودية :** يجمع على توادي ، وهو العود الذي يشد على أخلاف الناقة ، لئلا يرضعها الفصيل(٤) . وفي تهامة يسمى (شمال) بكسر الشين ، وهو من القماش أو الخيش، ويسمى (القَعْرة) أيضًا . وطريقته أن يربط الشمال ، وهو بمثابة الغطاء الذي يغطي ثدي الناقة ، يربط عن يمين الناقة وعن شمالها بحبال ، تسمى (عَليِقة) ، وهذه الحبال تكون مشدودة أمام السنام وخلفه . وربما سمي شمالاً ، لأن فَكَّه وحلَّه عند الحلب يكون عن شِمال الناقة ، أي عن يسارها . **(٤) لقوة :** بفتح اللام وكسرها ، وهي سريعة اللقح والحَمل . ومن أمثالهم " كانت لقوة صادَفت قبيسًا " ، والقبيس هو الفحل سريع الإلقاح ، أي لا إبطاء عنده في النتاج . يضرب هذا المثل للرجلين يكونان متفقين على رأي ومذهب . وقال ثعلب : يقال للمرأة والناقة لَقوة ، بفتح اللام(٥) . وعندهم يقال للناقة المعدة للقاح : مُربّ ، وللشاة : واضع ، حيث تكون بهذه الصفة أسرع في اللقح والحمل . **(٥) حادي الإبل :** مأخوذة من الحدْو ، حدْو الإبل ، أي زجرها والغناء لها(٦) . وعندهم يسمى من يتقدم الإبل في المسير ، ويغني لها ، لحثها على المسير : مُرَوِّع. يقال (فلان روَع يروِّع ، فهو مروِّع) .

(٦) الوسْم : قال أبو عبيد : من أمثالهم " نجارها نارها " ، والنار في هذا الموضع السِّمة ، ولما كانت الإبل وغيرها من الدواب لا تَوسم إلا بالنار ، سمي الوسم نارًا(٧) .

---

(١) الأزهري : تهذيب اللغة ١٥٦/٤ .
(٢) اللسان : ٢٨٢/١٠ .
(٣) فصل المقال : ص ٧٥ .
(٤) الأزهري : تهذيب اللغة ٢٢٧/٩، وينظر: المثل في فصل المقال، ص ٢٦١ .
(٥) ابن فارس : مجمل اللغة، ص ٢٢٢ .
(٦) فصل المقال، ص ٣٠٤ .
(٧) ابن دريد : جمهرة اللغة ٤٦٧/١ .

وعندهم يسمى وسم الإبل وغيرها من الدواب : عَلْمًا ، بفتح العين وسكون اللام، كما يسمى وسْمًا عند بعضهم . وفي الإبل يكون الوسم بالنار في أعناقها أو أوراكها أو أسنامها، ويتخذ أشكالا مختلفة، وفي البقر والغنم يكون الوسم في آذانها ، وعادة ما تشق الأذن شقًّا يسيرًا بأداة حادة . ولكل وسم يعرف به دون غيره ، وقد أهمله الناس في هذه الأيام ، لأسباب منها أن الدواب لم تعد تختلط بعضها ببعض في أماكن الرعي، ولمعرفة كل ذي إبل أو غنم إبله أو غنمه ، وإنما يكون الوسم عند عدم تمييز الإبل أو غيرها بعضها من بعض . ونجار مأخوذة من قولهم : فلان من نجر كريم ومن نجار كريم ، أي من أصل كريم[١]. وعندهم ، يقال : إبل مؤصَّلة وغنم مؤصَّل ، إذا كانت من أصل كريم . **(٧) الخبار :** قال أبو بكر ابن دريد : من أمثالهم "من تجنَّب الخَبار أمن العثار" . والخَبار : الأرض المنخفضة يجتمع فيها ماء السماء . يقال : هذه أرض خَبار وخبراء[٢]. ويراد بالسهلة : الأرض الرخوة . والخبار والخبارة بالمعنى عينه في بعض لهجات اليمن في ذمار وصنعاء ، والخسع في تعز الوحل ، كما ذكر الدكتور عباس السوسوة . وفي تهامة تسمى الأرض الرخوة التي تجتمع فيها مياه الأمطار ، فيعلق فيها كل شيء : رَسَب ، والفعل رسب يرسَب ، ومرادف آخر ، هو الخَسَع . وغالبًا ما تكون الأرض الخبار أرضًا زراعية ، صالحة للزراعة . **(٨) العقوة :** ساحة الدار . يقال : ما بعقوة هذه الدار مثل فلان ، أي ما حوالي هذه الدار مثله[٣]. والعَقوة والعَقاة كلاهما سواء ، وجمعهما عقّاء[٤]. وتسمى ساحة الدار عندهم : دَرْب . يقال درْب البيت، أي ساحته أو فناؤه . كما يسمون حوالي البيت ، وهي نواحيه وجوانبه : جوالي البيت بالجيم، وجوالي جمع، ومفرده جال ، كما تجمع على جيلان . **(٩) الخناطيل :** جماعات الإبل والدواب[٥]. وخناطيل جمع ، مفرده خُنْطُل وخُنْطولة ، وقيل جمع لا واحد له من لفظه . كما أن الخناطيل جماعات الإبل المتفرقة في المراعي . يقال : إبل خناطيل ، أي متفرقة[٦]. وفي تهامة تسمى جماعة الإبل أو الغنم رَبايع ، وهو جمع لا واحد له من لفظه. كما يقال لجماعة الغنم جِدْف. والربايع أقل عددًا من الجدف ، وهو العدد بين الثلاثة والعشرة، أما الجدف فيزيد على ذلك . وإذا كثر عدد الإبل سمي سَوقَة . **(١٠) العر :** قروح تكون في مشافر الإبل . وفي الجمهرة :العُرّ داء يصيب الإبل في رؤوسها[٧]. والعَرّ

---

(١) المصدر نفسه، ٢٨٧/١ .

(٢) الأزهري : تهذيب اللغة ٢١/٣ .

(٣) اللسان : ٧٩/١٥ .

(٤) العين : ٤٣٤/٤ .

(٥) فصل المقال، ص ٣٤٧ .

(٦) السابق، ص ٣٨٧ .

(٧) ابن دريد : جمهرة اللغة ١٢٣/١ .

بفتح العين : الجرب[١] . وفي تهامة يسمى الداء الذي يصيب الإبل في مشافرها فتتورم (حَمَّة) ، وغالبًا ما يميت صغارها. أما الذي يصيبها في رؤوسها ، فيسمى (هِيام) ، وعلاجه الكيّ . **(١١) السّكتة / الصّمتة :** كلتاهما تعني كل شيء يسكت به الصبي من تمر ونحوه[٢] . وعندهم تسمى (اللّهّاية) ، لأنه تلهي الطفل وتسكته عن البكاء ، وهي كل شيء أعطي للطفل وأسكته . **(١٢) المجدح :** خشبة في رأسها خشبتان معترضتان . والجِدح والتجديح : الخوض بالمجدح ، ويكون ذلك في السويق ونحوه، وكل ما خلط فقد جدح[٣] . وقال المفضل : والعرب تقول للمخْوَض : المجدح[٤] . والمجدح أيضًا نجم يقال له الدَّبَران ، لأنه يطلع آخرًا ، ويسمى حادي النجوم[٥] . وعندهم يسمى المجدح المِخْوَض ، وهو - كما سبق - خشبة في رأسها خشبتان معترضتان ، حيث يحرك به الثريد مع اللبن . والمخوض واحد ، وجمعه مَخاوِض. **(١٣) الزباد :** ضرب من النبات ، كانوا يضعون ورقه على اللبن . ومن أمثالهم " اختلط الخاثر بالزُّباد " ، يضرب هذا في اختلاط الأمور[٦] . وعندهم يسمى (الحَدَق) ، وهو نبات ذو ثمر أصفر ، وهذا الثمر حبات صفراء ، داخل كل حبة عدد من الحبات الصغيرة ، منها تنبت الشجرة ، حيث تؤخذ هذه الحبوب الصغيرة ، فتوضع على اللبن فيتخثر ، ثم يؤكل . وهذه حيلة من الحيل التي كان الرعاة يحتالونها عند فقد الطعام . ومن أقوالهم (فلان تحدَّق) ، أي اتخذ الحدق على اللبن . **(١٤) ترْعية :** على (تفْعلة) ، وهو الراعي الذي يرفق بإبله ويعرف مصالحها . يقال له رجل تَرعية[٧] . وفي تهامة يسمى من يحسن رعي الإبل ويعرف مصالحها (وَبّال) على فعّال . ومن الطريف أن الوبّال قد لا يجهد في يوم رعيه الإبل ، لمعرفته ما يصلح لها من المرعى ، وما يكون قرارًا لها فيه . **(١٥) الحظيرة:** مأخوذة من الحظر والمنع ، والحظيرة والحظار ما حظرته على غنم أو غيرها لتأوي إليه ، ويمنعها من الخروج . ومن أمثالهم " إنه لنكد الحظيرة " ، إذا كان منوعًا لما عنده[٨] . وعندهم تسمى الحظيرة : زَرْبة ، مأخوذة في الأصل من الزَّرْب ، وهو الشوك اليابس ، يلفّ حول المكان أو المأوى الذي تأوي إليه الغنم أو الضأن . أما الإبل فمأواها يسمى (مبارِك) .

---

(١) الفارابي، ديوان الأدب ١٦٤/١ .
(٢) ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم ٦٣/٣ .
(٣) الأزهري : تهذيب اللغة ٨٧/١١ .
(٤) الجوهري : الصحاح ٣٥٨/١ .
(٥) فصل المقال، ص ٤٢١ .
(٦) فصل المقال، ص ٤٢٦ .
(٧) السابق : ص ٤٣١ .
(٨) السابق : ص ٤٣١ .

ويذكر الدكتور عباس السوسوة أن الزرب في السريانية الحبس ، وفي لهجات اليمن الشوك ومفرده زربة ، والمزراب مكان نبت الأشواك ، ومنه الفعل زرَّب ويزرِّب اهـ .

(١٦) نَكُود : على (فعول) ، وهي الناقة قليلة الدَّر. يقال : ناقة نكود. وأصل هذا اللفظ من العسر والضيق ٤٣٠ . وفي تهامة : تسمى الناقة التي لا تدر أو كانت قليلة الدَّر: (عَفْنَة) ، بفتح العين وسكون الفاء . **(١٧) توكأ :** مأخوذة من وكَأ على الشيء واتّكأ ، أي تحمّل واعتمد ، فهو متكئ . والتُّكَأة : العصا يتكأ عليها في المشي[١]. وعندهم يقابلها لفظة (اعتَنَز). يقال : (اعتنز فلان على امعصا) ، إذا اعتمد عليها في قيامه أو مشيه. **(١٨) الهرهرة / البربرة :** قال أبو عبيدة (ت٢١٠هـ): الهرهرة : صوت الضأن، والبَربَرة : صوت المعز. وقال الفراء : الهر: العقوق ، والبر : اللطف ، وقيل الهر: السنور ، والبر : الجرذ . ومن كلام العرب السائر : " ما يعرف هـرًّا من برّ "[٢]. أي من يكرهه ممن يحبه[٣]. وإن كان معناه صوت الضأن ، فإن المقابل له عند أهل تهامة: (الخُوّار) خُوّار النعجة ، أي صوتها . ويسمون صوت الغنم : (زِقّايـن) ، أي زِقّاء ، حيث يقلبون الهمزة ياءً ويضيفون نونًا ساكنة، ملازمة للأسماء ، وهذه النون بمثابة التنوين في الفصيح . **(١٩) السّمار :** اللبن الممزوج بالماء[٤]. وإنما سمي بذلك ، لأنه متغير اللون فيما يشبه السَّمُر جمع سمُرة ، وهو ضرب من شجر الطلح[٥]. ومن أمثالهم " منك رَبَضُك وإن كان سَمارًا " . قال أبو زيد في معناه : منك فصيلتك ، وإن كانوا قوم سوء لا خير فيهم ، مثل اللبن المشوب بالماء[٦]. وفي تهامة ، يسمون اللبن المخلوط بالماء (بياض) . يقال (بيّض يبيّض بياضِن) . وفي تغير الدلالة هنا مجاز عقلي ، علاقته التَضاد بين البياض والسمر .

٥- السمات والظواهر اللغوية :

تميزت لهجة تهامة عسير بالعديد من الصفات اللغوية ، بعضها قديم ، قدم العربية الفصحى ، وبعضها غدا صفة يميز هذه اللهجة عن غيرها من اللهجات الأخرى، وفيما يلي بيان لهذه الصفات :

(١) (أم) التعريف : وهي التي يسميها اللغويون طمطمانية حمير ، أو (أم)

---

(١) اللسان : ١/٢٠٠ .
(٢) فصل المقال، ص ٥١٥ .
(٣) اللسان : ٤/٥٤ .
(٤) ابن دريد : جمهرة اللغة ٢/١٠٧١ .
(٥) الأزهري : تهذيب اللغة ٣/١٠١ .
(٦) فصل المقال، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

الحميرية ، وتقابل (ال التعريف) في اللغة . والحق أن هذه الصفة ليست سائدة في جميع الأسماء التي تدخلها (ال) ، بل إن هناك أسماء لا تخضع لهذا القانون اللغوي، ومن ذلك أسماء الله الحسنى ، كما أنها لا تدخل إلا على الأسماء المعلومة لدى السامع، فيقولون امجبل وامجمل ، أما إذا لم تكن معلومة لدى السامع ، فإنه يقال: جبلن وجملن، بتنكير الاسم وزيادة نون بمثابة التنوين في آخر الأسماء . وقد قلَّ استخدام (أم) في الأسماء عما كان من قبل ، وذلك بفعل التطور الذي لحق بالمناطق التي تستخدم هذه الـ (أم) ، ولاختلاط أبناء اللهجة بأبناء اللهجات الأخرى ، التي تستخدم (ال) الفصيحة. **(٢) الكشكشة- الشنشنة :** وهي قلب كاف المخاطب للمؤنث الفرد (ش) ، فيقولون (أبوش وأمش) ، وهذا شائع في أغلب اللهجات التهامية إن لم يكن جميعها . **(٣) حلول النون محل التاء المفتوحة الدالة على التأنيث**. فيقال : خرجن وأكلن ، أي خرجت وأكلت . **(٤) تناوب اسمي الإشارة هذا وهذه** ، فقد يطلق اسم الإشارة (هذا) على المؤنث ، و(هذه) على المذكر، يقال : هذي الرجّال ، وهذا الحرمة ، واستعمال (هذا) للمؤنث أكثر من استعمال (هذه) للمذكر . ومن الملاحظ التطابق مع الفصحى في استعمال اسم الإشارة (هذا) ، عكس هذه ، فتنطق عندهم (هذي) بالياء ، و(هذي) فصيحة، وكثيرة في الشعر القديم .

(٥) قلب الهمزة في أوائل وأواسط وأواخر الكلمات حرف علة ، فيقال في ضأن : ضان ، وفي صائم : صايم ، وفي سأل : سال ، والسبب في ذلك الثقل في الهمزة، وتلك سنة لغوية قديمة . **(٦) إشباع الضمة حتى تصير ضمتين (واو مد)** ، وإشباع الكسرة حتى تصير كسرتين (ياء مد) . **(٧) ندرة استعمال صيغة (المثنى) إلا ما ندر** ، فصيغة الجمع للمثنى والجمع معًا . وهذا شائع في أغلب اللهجات إن لم يكن جميعها . **(٨) دخول (ما) الزائدة على المضارع**، مثل : (فلان ما يصلي) ، وعدم دخولها على الماضي ، فلا يقال (فلان ما صلى) ، وإلا كانت نفيًا بينًا . ودخول (ما) الزائدة على المضارع استعمال فصيح ، ومن ذلك قوله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) سورة الذاريات (٢٦) . **(٩) إبدال همزة القطع همزة وصل في بعض الكلمات** ، فيقال في (أنبه) بمعنى أيقظ: انبه ، ويقال في (أحمد) إذا سبقت بواو: واحمد ، وهكذا .**(١٠) أسماء الإشارة في لهجة تهامة تختلف عما أثر في الفصيح** ، فمن ذلك : (تيّانه وذيه) : هذه ، و(ماهْنيه ومهْنَيّانة) : هؤلاء وأولاء وهذان وهاتن ، و(هنيه وهنَيّانه) : هنا ، و(ذيّانه وذيه) : هذا ، و(قدا) : هناك ، و (ذَولا) : هؤلاء. **(١١) الأسماء الموصولة :** الذي ، التي ، اللذان ، اللتان . إلخ يحل محلها (ذا) ، فيقال

من ذا أعطالك كذا ؟ أي من الذي .. كما تستخدم (تا) بدلًا من التي ، فيقال : من تا معك ؟ أي من . كما يحل الاسم الموصول (اللِّي) مكان جميع الأسماء الموصولة ، سواء كانت للعاقل أم غيره ، وهو استعمال شائع في كثير من القبائل . **(١٢) التنوين عندهم نون مكتوبة ومنطوقة في آن واحد** ، فيقولون جملن وجبلن إلخ. **(١٣) (با) المستقبل :** هذه الأداة تكون سابقة للمضارع ، لتدل على الحدث في المستقبل ، فيقال في الفعل للمتكلم : باتي : سآتي ، وباكرموه : سأكرمه ، وهكذا ، ويلاحظ مجيء الفتحة الطويلة (الألف) مصاحبة للباء ، عندما يكون الفعل منسوبًا للمتكلم ، وعدم مجيئها في غير ذلك ، بل قد تكسر هذه الباء لتناسب حرف المضارعة (الياء) بعده ، كأن يقال : فلان بِيجي بكسر الباء أو فتحها ، أي سيأتي ، وفلان بيصلي ، وهكذا . وقد ذكر الدكتور عباس السوسوة في كتابه (قد اليمنية دراسات في الأبنية والنحو والاقتراض المعجمي ، مركز عبادي – صنعاء ، في القسم الثالث : في سوابق المضارع ، ص ٧٩ ، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ) أن هذه الـ (البا) لا وجود لها في العربية الفصحى ، ولا في تراثنا النحوي ، ولا في تراث لحن العامة . وذكر أن أقدم نص وردت فيه يعود للقرن السادس الهجري، في كتاب ابن المجاور الشيباني (ت ٦٣٠هـ) : (تاريخ المستبصر ، تحقيق أوسكر لوفغرين ليدن : مطبريل ١٩٥١ م ، ص ٣٨٣) . **(١٤) وزن (مفعال) :** ويأتي منه اسم آلة واسم مكان والمصدر الميمي ، وقد وردت في لهجة تهامة عسير كثير من الكلمات على هذا الوزن ، من ذلك : معطان: اسم مكان ، وهو المكان الذي تبيت فيه الدواب ، وميزاب ، مغراف: الدلو، إن كان من حديد ، ومنشال : حديدة معقوف رأسها، يستخرج بها اللحم من القدر وقد اشتقت من الأصل : نشل ، بمعنى : أخذ ، وكل ذلك اسم آلة ، والمصدر الميمي ، مثل : مِرباع . **(١٥) نطق التاء في آخر الاسم هاءً ساكنة** ، حتى عند الوصل .

(١٦) إبدال الجيم ياءً ، وهذا شائع في كثير من قبائل تهامة ، مثل قبائل بارق . **(١٧) ظاهرة الضم (الحركة الطويلة) في أواخر كثير من الأسماء والأفعال** ، وهذا شائع في بعض القبائل ، مثل قبائل آل عاصم ، فيقولون : حجرُو ، بابو ، صحنو ، يكتبوه، كتبوه وهكذا . **(١٨) الترخيم :** ظاهرة شائعة في قبائل تهامة عسير ، فيقال في محمد: محم ، وفي فاطمة : فاطم ، وفي أحمد : أحم ، وغير ذلك كثير . **(١٩) (واو) النداء :** يبدلون كثيرًا يا النداء واوًا ، فيقولون في يا محمد : ومّحم ، أو ومّحمد . **(٢٠) إبدال السين صادا ، فيقال في السيارة :** امصيارة ، وفي مبسوط : مبصوط ، وهذا في البسط بمعنى النشر . **(٢١) ابر – إبرة :** ابن وابنة ، وهذه اللغة قديمة ، يعود تاريخها للغات السامية . ويقال في الاسم : علي : علِبر محمد ، أي علي بن محمد ، وهذا أشبه بظاهرة

النحت ، غير أن النحت يكون الحذف فيه من كلمتين أو أكثر ، وفي التراث اللغوي: سمع (علْمـاء بنو فلان) ، أي على الماء بنو فلان. **(٢٢) إبدال الهمزة ياءً في أواخر الأسماء المؤنثة** ، فيقال في زهراء وخضراء : زهراي وخضراي ، وهذا ما يلاحظ في قبائل رجال ألمع . **(٢٣) (فيّان - يا) :** يحلان محل الاسم (أين) إذا وقعا مستفهمًا بهما . يقولون : (أنت فيّان؟) : أين أنت ؟ (يا نّته ؟) : أين أنت ؟ (يانْتِو؟) : أين أنتم ، أو أين أنتنّ ؟ **(٢٤) إبدال (ميم الجمع) للمخاطبين ذكورًا كانوا أو إناثا واوًا** ، فيقال في (أكرمتكم، جئتكم ، كلمتكن) : أكرمتكو ، جيتكو ، كلمتكو .

٦ - خلاصة القول :

أشـير هنا إلى أن الألفاظ المدروسـة في هذا البحث ليست كل ما ورد في اللهجة ، ولن تكـون كذلـك ، بل هناك الكثـير من الألفاظ لم نذكرهـا ، فهذه الدراسـة انتقائية لبعض الألفـاظ الشـائعة في كل القبائل على وجـه التقريب ، أما ما وجدتـه في قبيلة دون أخرى ، فقـد أهملتـه ، كمـا أن كثيرًا مـن هذه الألفاظ قد بـدأ طريقه إلى الاندثار ، بسـبب لغة التحضـر والتمدن التي يعيشـها أبناء القبائل فكلما سألت شـابًا في عشرينيات عمره عن بعض الألفاظ ، فكان جوابه : لا أعلم ، لذلك كان جُلّاسي أثناء جمع هذه الكلمات والألفاظ مع كبار السـن ، ومن هم قريب من ذلك ، كما يجب الإشـارة إلى أن المادة المدروسة كانت مـن البيئـة البدوية لهذه القبائل ، فقلما يعرف متمدِّنًـا في مدينة جدة مثلًا دلالة كثير من هذه الألفاظ حتى لو كان من أبناء البيئة أصلًا . ليس ذلك فحسب ، بل حتى أبناء البيئات البدوية الأخرى ، قلَّ منهم من يعرف شيئًا عن هذه الألفاظ . وبعد ، فإن الأمل أن تجد هـذه اللهجة حظها من البحث والدراسـة ، إذ تعد مادة خصـبة للدرس اللغوي ، فهي كغيرهـا من اللهجات العربيـة إرث ثقافي لهذه اللغة الخالدة ، ولكنها في حاجة إلى من يصلها بأصولها وجذورها القديمة ، (والله من وراء القصد)[1] .

(١) أشـكرك يا أسـتاذ علي بن محمد بن شعبان العسيري على هذه المحاولة العلمية الموفقة . وآمل أن تواصل جهودك في دراسـة موروث أهلك وبلادك، وإن فعلت ذلك فإنك سـوف تخلـد للأبناء والحفدة من بعدك موروثاً حضارياً جيداً . واعلم يا بني أن كل ناحية في وطننا بحاجة إلى خدمة أبنائها الجادين، المخلصين، وأرجـو أن تكـون منهـم . كما أرجو أن نرى من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسـات العليا وبخاصـة في جامعاتنـا المحليـة من يحذو حذوك فيدرسـون تاريخ وتراث وحضـارة وموروث أهلهـم وبلادهم . وذلك واجب على كل باحث جاد ومخلص لدينه وبلاده وأهله . (ابن جريس) .

ثالثاً: بعض المقامات الأدبية الحديثة في جنوب البلاد السعودية.
بقلم. أ . محمد بن أحمد معبر[١] .

١. المقدمة :

هذه مقامات في أغراض شَتَّى، وكلها تدور في جنوب البلاد السعودية، وبخاصة منطقة عسير[٢]. تناولتُ فيها بعض أصحاب القلم، ومنهم : الأديب الناقد، والشاعر، والمؤرّخ، وصاحب المُتْحَف، وأصحاب مُنْتَدى الرّبيع، والمُعَلِّم . ثم عرّجت على الصِّناعات والحِرَف في مدينة خميس مشيط، وعلى النَّفق الذي تأخّر إنجازه بضع سنين في نفس

---

(١) للمزيد عن سيرة ابن معبر، انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص ١٦٥. ج١٢، ص٣١٦. محمد بن معبر ، نقش القلم (١٣٨٢هـ-١٤٣٥هـ) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م) (٤٤٦صفحة) .

(٢) وصلتني هذه الدراسة من صاحبها بعنوان (المقامات العسيرية) ، ورأيتُ تسميتها باسم (بعض المقامات الأدبية الحديثة في جنوب البلاد السعودية) . وهذا العنوان أفضل علمياً ومنهجياً . (ابن جريس) .

المدينة .ولم أنس بعض الأصدقاء من المداعبة والملاطفة . وهي محاولة متواضعة في أدب المقامات، لا أدّعي بُلوغ الغاية فيها، فما أنا إلاَّ ممّن تَشَبَّه بأصحاب القامات العالية في أدب المقامات، وهيهات أن أكون منهم، بل ممّن يسير في ركابهم . أما الشِّعر الذي ورد في ثنايا المقامات، فهو لشعراء آخرين، استشهدت به، وغفلتُ عن عَزْوه إلى مظانه، حين كتابة المقامات، ولهذا أقدّم اعتذاري لهؤلاء الشُّعَراء الأفاضل . وقد لاحظت بعد الفراغ من جمع هذه المقامات أنَّ أغلبها أنشئ في سنة (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، بل في الرُّبع الأخير من تلك السنة . وأسأل الله تعالى لي ولكم الصلاح والسداد، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، هو ولي ذلك والقادر عليه .

٢ـ المقامة الأَحَدِيَّة:[(١)].

الحمد لله الذي يسر لنا السُّبل، إلى تهامة نستروح من نَسيمها ونَنْهل، ثم الصلاة والسلام على الرسول الكريم، الذي أرسله الرحمن الرحيم، فأصبح رحمة للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد : فحدثنا زهير بن منصور، قال :نَظَمَني الطريق مع الكهل اللَّوذعي، وقد طَرَق صوت مؤذّن المغرب في مسْمَعي، فانثنينا إلى أقرب مَسْجد، لله تعالى نركع ونَسْجُد، ثم حدا الحادي إلى (الربيع)، وما هذا الحادي سوى الرفيق الوديع، علي بن جار الله بن عبود[(٢)]، حفظه المولى من عين الحسود .

فؤادي لِلْهَوى سُلِّمْت قَسْرَا	فَحُزْتَ من (الربيع) قَيْداً وأَسْرا
سَرَيْتَ لمنْزل الأحباب لَيْلاً	فَسُبحان الذي بالوَجْد أَسْرَى

ووَخَدَتَ بنا عَجلات النّاقة الحديد[(٣)]، على بساط الطريق العتيد، وقد تجاذبنا تفاريق السوالف، من جِرَاب التُّحَف واللطائف، و (عَليٌّ) كالبحر إذا ماج، يُحبُّ الهَدْرَة واللِّجاج، يمزج الجدّ مَن القول بالهزل، شرب الدّهر عليه وأكل، وهذا دأبه ودَيْدَنه حتى تلألأت من الربيع الأنوار، فنُلقي عصا التِّسيار، عند ثُلّة من المعلمين المتقاعدين، ولسان حالهم يُنْشد في أنين .

قَضَّيْتُ عُمْري في جَهْدٍ وفي تَعَب	وما حَصَلْتُ به يوماً على أمَلِ

---

(١) هذا المصطلح جاء من لقاء بعض الرفاق مع الأستاذ ابن مُعَبِّر ليلة كل أحد، وقد اجتمعت معهم أكثر من مرة في أماكن عديدة بمدينة أبها، والجميل في ذلك اللقاء البساطة والتواضع، وعدم المبالغة في الأطعمة والأشربة التي تقدم في كل اجتماع . (ابن جريس) .

(٢) علي بن جار الله بن عبود الشهراني من قرية آل ينفع في شعف شهران ويعمل في التعليم، ومن رفاق الاستاذ ابن مُعَبِّر المقربين. (ابن جريس) .

(٣) يقصد السيارة . . (ابن جريس) .

وعِشْتُ منفرداً في كِسْرِ مَدْرَسَتي هَمِّي نديمي في حِلِّي ومُرْتَحَلِي

وبينهم شمس الأفلاك الزاهرة، ودُرَّة المحاسن الفاخرة العاطرة، وأديب رام أسباب العُلا، ولحُبِّ الفَضْل يوماً ما سَلا، علي بن حسن الشُّعيب[١]، سَلّمه الله من كل عَيْب، فهو زينة المَجالس والمحافل، وحَلْيُ المنازل والمناهل .

هامَت الأرواحُ منّا في انْشِرَاحْ وصَفَتْ أوقاتُنَا في كُلِّ آنْ
وغَدَوْنَا نجتَلي كأساً وراحْ ولسانُ الآلِ منّا تَرْجُمَانْ

وبدا بَدْر المَسَرَّة في بُروج كماله، ليثُ الوغى مُرْدي العدَا بنزاله، فأذاق أهل البَغْي مُرَّ نصَاله، فتزَلزلت أركانهم بخَياله، ذاكم ابن موسى صاحبَ الخَيْمَة[٢]، كتاب له مكانةَ وقيمة، أعطى بمَنْطقة القلوب عقولاً، وبَدَت حُزُونُ المُشْكلاَت سُهولا، ولو مَدّ في البحث بَاعاً، لسار رَكابهَ كالبحر اتّسَاعا، بيد أن تيّار الفيس بَوك والتُّويتَر، ألهاه عن كتَاب ودَفْتر، فعكف على الأزرار ينقر ويُرسل، وليس عبثاً ما فيه يقول ويفعل، فنحن نَعلم أنّه يسعى إلى الخير ويَحْفد، ويناضل في سبيل العقيدة ويَجْهَد، ولكن نريد الجواهر الخالدة، التي لا تَتأتّى إلاّ بالبحث والمكابدة، ولا أنسى وصية غيثان، بأن أذَكّر ابن موسى إن لحق به النسيان، بتلك الأوراق التي يَسْتَمْطر بها ما وَعَتْه الذاكرة، عن المسيرة الأدبية في أبها العامرة، فهَلاّ ملأ الطُّروس من الفوائد، فَنَسْعَدَ بما يخطه يراعه من الفرائد .

وأحْسَنُ الذُّخْر ممَّا لا زوال لَهُ طُولَ المَدى أدبٌ عَيْنَ الشَّقَا يَجلُو

ولا يغيب عن ذهني في هذا الميدان، من جَمَعَني به ما يربو على ثُلث قَرْن من الزّمَان[٣]، هادي خَدين القُرْنة[٤]، والأوهام، ولو أرْخى أذْنَه لصاحبه مُنذ زمن، لملأ الطروس من رَوْضه الأغَنّ، ولا سيما عن (المَسْقي) ذات الآثار والطرائف، فهي بلدة عامرة بما لا يخفى على الفَطن العارف، أندية وأَسواق، وقِصص لذوي الأشواق، وشِعْرٌ وأمثال، وزراعة وأشغال، فمتى يجود

---

(١) علي بن حسن من عشيرة بني مالك شهران، ومن قرية آل ينفع في شهران، وهو أديب وشاعر، وله دواوين وكتب مطبوعة ومنشورة . (ابن جريس) .

(٢) علي بن موسى التمني، وكتابه (خيمة النَّص) . والأستاذ علي من قرى قحطان القاطنة في صحن تمنية شهران، وقضى سنوات من عمره في التعليم العام . (ابن جريس) .

(٣) يقصد ابن مُعَبِّر في كلامه صاحبه الأستاذ هادي القحطاني من بلدة المسقي في شعف شهران، وهو أستاذ قديم وقدير وصاحب خُلق رفيع، واعلم أنه من المقربين إلى قلب الأستاذ ابن مُعَبِّر . أما بلاد المسقي موطن هادي القحطاني فتستحق البحث والدراسة والتوثيق . (ابن جريس) .

(٤) القرنة : زاوية الغرفة . (ابن مُعَبِّر) .

قَلَمُك ؟، ويتدفق سَيْلُك؟، وتُحيل الكلام إلى الأوراق، فيُورِقُ أيَّمَا إيراق .

أيْقظ العَقْل من هذا الهمود	ليس صعباً أن تهز بالقَلم
تصَنع التاريخ من أرْبُعنا	وتصوغ المجد من فيض الكَلِمْ
ايه يا هادي يا رمز الفدا	شهدا والحرف قُوّادُ الأمَم

والكتابة قيدٌ للأوابد، وحرز حَريز للشوارد، فما يحفظه الإنسان اليومَ ينساه غدا، وإنْ ظَنَّ غير ذلك فقد عدا، فهذه صَفحات التاريخ وروائع الآداب، كانت في صدور الرُّواة حتى يَسر الله لها الأسباب، بمن أودع ذلك في بطون الكتب، فوصلت إلينا عَبْر الحقَب .قلت هذا بعد سماع أصحاب الأحَديَّة، وهُم يتذاكرون رياض (أبها) البهية، وأعلم أنَّ أكثر ما قالوا لا يوجد في كتاب أو وثيقة خَطّية، فكيف إذا تقادم الزَّمان، ودعا داعي الأحزان، فإذا ما قالوا قد ذهب أدراج الرياح، وطوته الصدور كأنه ما كان ولا لاح[1] .

فأحْيُوا سادتي مَجْداً قديما	بَنَاهُ الأوَّلونَ وقد تَخَلَّى
دَعُونا نكتب صُحفَ المعالي	ونُحْيي مِنْ عُلانا ما اضْمَحَلاَّ
فإنْ احْسَنْتُم الغَرْس المُرَوّى	قَطَفْتُمَ مِنْ نتائجه وإلاَّ

وإلاّ أصبح مكان الغَيْث مَحْلا، وصار علْمُ اليوم في غَده جَهْلاً، وهذا من علَّة الإعراض عن القلم، والتَّمادي في سبيل الكسل حتى النَّدَم، وهيهات أن ينفع الندمَ حين انْقطَاع الأيْد، ونفَار الصَّيد من القَيْد . ولولا أن الإطناب مَدْعَاة للمَلَل، لملأت حمْل بعيرٍ من الأبيات والجُمَل، ويكفي من القِلادة ما أحاط بالعُنق، ومن الكلام ما قلّ وفي الذِّهن عَلِق .

من ينتهز من فُضُول العُمْر فرصته	يَنَلْ من العلم ما في وهمه قَصَدا
وكل زارع أرضٍ يرتجي ثمراً	ولا يفوز به غير الذي حَصَدا

وأعودُ بكم إلى يوم السبت يوم اللقاء البديع، إذْ يأتلف الشَّمْل في مجلس (الربيع)، فَعَدَتْ عوادي التغيير والتبديل، فعصفت بيوم السبت فكثُر البكاء والعويل، ورحلت (السَّبْتيّة) إلى أفياء التاريخ والآثار، فقرَّر الصَّحْبُ يوم الأحد غاية المشْوَار [2] . وقد جرَى القلم بالمقامة السَّبْتِيَّة، وكأنّه يستشرف المقامة الأحَديَّة، فوقع الحافر على

---

(١) أتفق معك يا أستاذ محمد بن مُعَبِّر، فلقد ضاع الكثير من تاريخ بلادنا وحضارتها بسبب الإهمال والنسيان .ونشاهد اليوم الكثير من الأخبار والأراشيف التي لا تلقى أي اهتمام، وسوف يأتي اليوم الذي تصبح أدراج الرياح . (ابن جريس) .

(٢) كان لقاء أولئك الأصحاب يوم السبت (ليلاً) ثم بدلوا موعدهم إلى ليلة الأحد صباح الإثنين . (ابن جريس) .

الحافر، وليس لنا سوى التسليم بما قضاه القادر . وقد نظرت في أسماء الرِّفاق، فزاد العجب من هذا الوِفَاق، ولا سيّما في اسم (علي) [١]، إذ له الشَّرَف المُعْتَلي . وأخَال من حَمَل هذا الاسم جدٌّ فخور، كيف لا وهو لأبي الحسن اللَّيث الهصور، رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا ممّن يُحبّه ويسير على خُطاه . سأل رجل الحسن البَصْري عن علي بن أبي طالب t، فقال :أعَنْ ربَّانيّ هذه الأمّة تسأل ؟ لم يكن بالسَّرُقَة لمال الله، ولا بالمَلُولة لحقّ الله، أعْطَى القرآن عزائمه فيا عليه وله، حتى أورده الله على ريَاض مُونقة، وجنَان غَسقة، ذاك ابن أبي طالب يا لُكَع . فهنيئاً لكم يا مَنْ عَلِق بأبي تُراب، بوَشِيجةٍ لا تَبْلى علَى مرِّ السنين والأحقاب .

طال الحديثُ عليكُمْ أيّها السَّمَرُ ولاحَ للنّوم في أجفَانكم أثَرُ

بَيْد أن شَيْخَكُم[٢] لا تزحزحه الرُّعود، قد هجر الكرسي[٣] وعكف على نَشْر الأزاهِير والوُرُود، وسَرَتْ رُوح الرّبيع[٤] في حنايا صَدْره، فأحْيَا لَيْلَنا بروائع شعْره، وزاد شيئاً من غرائب حياته العملية والأدبية، يُطَرّز بها الليل في مجلس الأحديَّة، فتشرئب الأعناق، وتتسع الآذان والأحداق . فيا ليل طُل أو لا تَطُل لا بدَّ أن أسْهَرك، فها هنا قَمَري فاسْهَر مع قَمَرك، وهُنا فَتيً في إهَاب شيخ عَجَمَتْهُ السنين، وأوْرَى عَقْله بزناد من بقايا الماضي الدَّفين، يَنْثُر الطِّيب والأحَاديث العِذاب، عن المليحة (أبها) كالشَّهْدً المُذَاب. (١٤/١١/١٤٣٤هـ) .

٣. المَقَامَةُ الأَسْمَريَّة :

حدثنا زهير بنَ منصور، قال : رحمك الله يا عليّ بن حسن الأسمري[٥]، وسقى

---

(١) وهم : علي بن حسن آل شعيب) و(علي بن حسن الأسمري) رحمه الله تعالى، و(علي بن موسى التَّمْني)، و (علي جار الله آل عبود) . (ابن مُعَبِّر) . هذه أسماء الأصحاب الذين يلتقون في السبتية ثم الأحدية عنوان هذه المقامة، وأحياناً يشاركهم رفاق آخرون، لكنهم غير منتظمين في اللقاء الأسبوعي وأحياناً كل أسبوعين أو كل شهر حسب ظروفهم الاجتماعية . (ابن جريس) .

(٢) علي بن حسن آل شعيب . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) الكرسي : كناية عن الوظيفة . (ابن مُعَبِّر) .

(٤) ورد اسم الربيع مرات عديدة في الصفحات السابقة، ويقصد بذلك استراحة الربيع في أسفل عقبة ضلع، وهي المكان الذي يجتمع فيه هؤلاء الرفاق ليلة الأحد، وعلمت من بعضهم أنهم يغيرون أماكن اجتماعهم فأحياناً يعقد اللقاء في بعض الاستراحات أو المطاعم الموجودة في مدينة أبها، أو في منزل أحدهم . (ابن جريس) .

(٥) علي بن حسن الأسمري : كاتب وأديب، ولد سنة ١٣٦٤هـ، وتوفي بتاريخ(١٣/٩/١٤٣٣هـ) .الأستاذ الأسمري له إسهامات علمية وأدبية متعددة، ونشكر الأستاذ محمد بن مُعَبِّر الذي دون شيئاً من سيرته. (ابن جريس) .

قبرك واكف القَطْر النَّدي، دَعَوْتَنا إلى استراحة الربيع في أسفل العقبة [١]، ثُلَّة من الصَّحْب مَن عظام الرَّقَبَة، وكان ذاك في يوم سَبْت، فأكرَمْت القوم بلحم تَيْس وأوفَيْت، وملأت طاساتك بمرق يحفُ بها العَصيد، وتقول: هل من مَزيد، وتمّ الأُنس بالبُلبل الصدّاح، يُشَنِّف الآذانَ بالقول المباح، وكأن لسان حاله يقول:

فإنّ شِعْري ظريف ... من بابة الظُّرفاء
ألَذُّ مَعْنىً وأشهى ... من استماع الغناء

وأقول: بل أَلَذُّ من غادة حسناء، وإنْ جَمَعَت محاسن النساء، فهذا القادم من شِعَاف عَنْز بن وائل، يَقْطف لنا جَنَى الحدائق والخمائل، أعني به عليّ بن حسن آل شُعيب، زاده الله بَسْطة في الصِّحّة وامتلاء الجَيْب. وفي تلك الليلة صدر القرار بالإجماع، بأن في كلِّ سَبْت لقاء واجتماع [٢]، ونعود إلى صاحب الضِّيافة، فهو عَلمٌ في عسير من ذوي الثقافة، له كتاب يتيم في عالم المطبوع من نتَاج قلمه، أودع فيه هموم عسير الثقافية وأَلمه، ولم نَكَدْ نستمتع بندوتنا السَّبْتيَّة، حتى أَسْلَم الرُّوح وودّع الدنيا الدَّنِيَّة.

لِفَقْدِكَ تَنْهَلُّ العُيونُ وتَدْمَعُ ... وتَنْهَدّ أرْكان المعالي وتَخْشعُ
وَيُعْوِلُ مَنْ قَدْ كان بالأمس ضاحكاً ... لغَفْلته - في ظلِّ لُقْياك يَرْتَعُ
ألا أيُّها القَبْرُ الذي ضَمَّ جِسْمَهُ ... سَقَاكَ مِنَ الأَنْواءِ هَتَّانُ مُمْرِعُ

وانْفَضّ سامر الأحزان، كعادة النِّسْيان في الإنسان، وانْقَضّ الصَّحْب من رؤوس الجبال، كانقضاض الصقور على أرنب أو غزال، وليس من غزال ولا أرنب، وإنمّا وَشْي الأحاديث يحوكها شيخ مُؤدَّب، يُشَنِّف الأسماع بالقريض والحكايا، ويُخْرِج لنا من الزوايا خَبَايا، فَنَنْتَشي بغير كأس الخَمْر، فليس في الحَلقَة سوى قهوة البُنّ مع التَّمْر. ويسكت الشيخ عن الكلام المُبَاح، فقد أذَّن المؤذن بحيّ على الفلاح، فنقوم من مجلسنا نُمَجّد الله تعالى ونَسْجُد، فَثَمَّ راحة النَّفس نَرُوم ونَحْفد، ثم نَؤوب إلى مجلسنا نلتمس العصيد، وقد بلغ بنا الشوق العَتيد. ولحق بركب الأَحديّة شاعر مُوَفّق، له في رياض الشِّعْر سهمٌ مُفَوّق، وصوت يُدَوّي في صدور المحافل، فكان لنا نعْم الأنيس الفاضل، إذْ يُعَطِّر الأنحاء بأريج القوافي، فكأنّ نسائم الليل بشِعْره تُوافي، تأسرنا حروفه شعراً وسحراً، فَنَسْمُو إلى عالم الخيال قَسْراً، فهو حَقّاً إلَى النُّجوم يَنْتَمي، أعني به (حسين

(١) عقبة ضلع.
(٢) حبذا أن الأستاذ ابن مُعَبِّر دون تاريخ هذا اللقاء وإقرار هذا الاتفاق والإجماع. (ابن جريس) .

النَّجمي) [١].

وشقّ بالشِّعْر قلب الكون فانطلَقَتْ — آهاتُه لتُغنِّي روعة الألم
وأعلن الشِّعْر أسراراً مخبّأةً — في عين باكية أو ثغر مُبتسمَ
وساقها في دلال اللفظ راقصةً — فتّانة الخطو والإيقاع والنَّغمَ

واكْتَمل عقْد ندوتنا بأحمد الشَّريف[٢]، حَوَى المكارم من تالد وطريف، بل هو نهرٌ بالمحاسن يجري، وفي شغَاف القلوب فضله يَسْري، استهواه صاحبنا هادي بن محمد وتَلطّف، وفَتَل في ذُروته وغَارِبِه حتى لانَ وتعطّف، ودخل في خِدْن الأحديّة، فزاد حُسنها بالعِتْرَة المُحَمَّدِيّة .

مِنْ هاشم في ذُراها وهي صَاعدة — إلى السماء تُميتُ الناس بالحسد
قَومٌ أبى الله إلاّ أن يكون لَهم — مكارمُ الدِّين والدُّنيا بلا أمَدَ

ومنْ تَمَام الأنس والحبُور، لهذه الأحدية أن أعبر بكم البحُور، إلى مدينة (قُوص) [٣]، فثَمَّ عالَمٌ أريب[٤]، نقرأ قصيدته (تذكرة الأديب) ، كما جاءت في كتاب (الطالع السعيد الجامعَ أسماء نُجباء الصّعيد) [٥]، فدونكم القصيدة ولا يُلْهِيَنَّكم العصيد .

العمرُ قد ضاع بين الوِرْد والصَّدَر — بغير فائدة يا ضيعة العُمُر
فرّطتُ في حفظ أيّامي فوا أسفي — منها على فائت الآصال والبُكَرَ
فما التعلّلُ بالآمال من أرَبي — ولستُ أحصلُ من عين على أثر
هي المنى بضروب التّرهات غدتْ — تقتادُ منّا ذوي الألباب والفِكَرِ

٤. المَقَامَةُ الألمعيَّة[٦]

حدثنا زهير بن منصور، قال : شددت الرِّحال ذات عشية، إلى مدينة أبها البهيّة،

---

(١) الأستاذ حسين ابن الشيخ النجمي من منطقة جازان، وهو يعيش في منطقة عسير، حاضرة أبها تحديداً منذ سنوات طوال، ويعمل في سلك التعليم العام، وله دواوين شعرية عديدة . (ابن جريس) .

(٢) الأستاذ أحمد من أهل أبها، ويعمل في التعليم، وهو على خُلق رفيع . (ابن جريس) .

(٣) مدينة في الصعيد بمصر.

(٤) عمر بن عيسى بن نصر ابن اللَّمطي القُوصي، النحوي، الشاعر، المحدّث (ت٧٢١هـ) وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة.(ابن مُعَبِّر)

(٥) تأليف : جعفر بن ثعلب الإدفوي (ت٧٤٨هـ) .(ابن مُعَبِّر)

(٦) تم تدوين هذه المقامة، احتفاء بكتابي الأستاذ علي مغاوي الألمعي (١) رُجال: ذاكرة قرية عربية . (٢) حكايات شعبية .

وقصدت المتحف العامر بكل نفيس، وطاب لي الحديث مع أبي طه الشيخ الأنيس[١]، ومَتّعْت الفكر والنظر، فيما حواه المتحف من فرائد ودُرر، وعَبَرْتُ من خلاله إلى الأيام الخالية، حِين كانت الحياة فيها حالية، لم تكدرها دلاء التَّمدِين، ولم تصبها لوثة الصّخب والطنين .

ولو أنَّ رَبْعاً رَدَّ رَجْعاً لسائلٍ ... أشار إليّ الرَّبْعُ أو لتَفَهَّما

وفيما نحن فيه من حديث الماضي، انقضّ على مجلسنا ابن مُغَاوي[٢]، ولسان حاله يقول :

والله ما جينا لصبّ القَهاوي ... جينا لضربِ الزّير والقلب هاوي

واستقر به المَجْلس ولمَّا يهدأ من النشيد والترجيع، كأنّه صدَّاحة الأيْك إذا انتشر الربيع، فنزلت دواعي البَسْط والسرور، وانتشى المضيف حين مسّه تَيَّار الحبور، فاسْتَمْطَر من سماء فَنّه أرق النغمات، فما نكاد نسمع سوى الآهات .

في منزل تَمَّتْ أهلَّةُ حُسْنه ... نزل السرور به وطاب نزيلا
حيث اتجهت به رأيت مسَرَّةً ... لم يبغ من قد حلّه تحويلا

ودفع إلينا (علي مغاوي) بكتابين من تأليفه[٣]، فشكرناه على الهديّة الطريفة، وافترقنا طرائق قددا، وانطلقت إلى منزلي أرومُ مقعدا، حتى أتهيأ لقراءة الهدية، أي كتاب : (رُجال : ذاكرة قرية عربية)، فألفيت نفسي في رحلة بين السطور والصُّوَر، فما أحسن هاتيك المغاني والكُوَر[٤] .

رُجال، شاخت ديار وهي ما فتئت ... صبيّة يشتهيها القلب والنظر
حبيبتي سنوات العمر تُكْسِبُها ... حسناً وما كلّ أنثى زانها الكبر
يغار من شفتيها التُّوت والعَنب ... والقوم من غير سكرها هُم سكروا
رُجال، أغنية ما عشت تُطْربُني ... ومن شرايين قلبي ذلك الوتر
تظل قائمة والريح عاصفة ... تروي أحاديث من غابوا لمن حضروا

---

(١) حسين هبيش، صاحب المتحف، وأحد أعلام مدينة أبها (ابن مُعَبِّر) .
(٢) علي بن إبراهيم مغاوي الألمعي. (ابن مُعَبِّر) . وابن مغاوى من رجال قرية رُجال، يعمل في التعليم وله نشاطات اجتماعية وثقافية وعلمية متعددة . (ابن جريس) .
(٣) هما: ١- رُجال : ذاكرة قرية عربية، ط١ : ١٤٣١هـ، ١٦٨ص . ٢- حكايات شعبية، ط١ : ١٤٣١هـ، ١٧١ص (ابن مُعَبِّر) .
(٤) الكورة : البلد، أو الناحية . (ابن مُعَبِّر) .

وانتظم عقْد الكتاب بسبع جواهر، هُنَّ فُصوله ذات السَّنَا الباهر، نثر على صفحاتها زَهْرا، وسقاها من يراعه عطرا، فها هو ينحت بقلمه عن العشائر والقبائل، ويَنْفَح عنها القول الفائل، الذي ينعتُها بالجاهلية الجهلاء، ويضعها في مدارج العَمَاء .

ثم عطف نحو الانتماء القَبَلي، يرسم بقلمه القول الجلي، عن سُكّان رُجال من بني ظالم، أصحاب النُّهَى والمكارم، ويجول بنا في مسجدها القديم الزاهر، وما كان فيه من العلوم والمآثر (١) . في لَفْتَة بارعة ذكيّة، ذكر بعض رُوّاد الثقافة الكتابية(٢) . وفيها ملامح لأهل القلم من رُجال، ممن صال في ميدان الكتابة وجال . وندلف إلى متحف ألمع، يُشِع بالتراث ويلمع، صنعته السواعد الألمعية، ولم تبخل عليه بمال أو قطعة أثرية، فسار صِيته في الآفاق، وتدفّق إليه عُشَّاق التراث في اشتياق، يُسرّحون الطّرْف في مقتنياته، ويستمتعون بمسرحه وأمسياته .

كأنّه من بروج الجو مُنفردٌ   فنظْرةٌ منه فوق الأرض تُغْتنمُ
وأعينُ الخلقِ منه كلما نَظَرتْ   على العجائب بالألحاظ تزدحمُ

ويُعرّج بنا على الدَّكَّات، وما يدور فيها من الحكايات، فهناك يجلس القاص أو الرّاوي، وينثر ما في جِرَابه من القَصَص والحَنَادي، في وقت العشيات أو غُرَر الليالي، ولا سيما ما يُرْوَى عن أبي زيد الهلالي، ويُطَرّز ذلك بقصائد حُميد بن منصور، الذي سار ذكره من عدن إلى بَعْرور . ويستمطر ابن مغاوي ذكراة قريته العربية، عن أعيادها وأسواقها الشعبية، فيملأ أسماعنا بالأهازيج والمَسَرَّات، ويُرينا ما في أسواقها من خيرات، بل يُحَرِّك ساكن البطون، ويَسْتَلّ سيف الوَاقَة المَصُون، بحديثه عن الهريسة والفَتّة والمَرْسَة، فهل يجود علينا بمثل ذلك خلسة (٣) . وينساب قلم المؤلف نحو المنازل والحصون، فترى ما يُسرّ به خاطر المحزون، فها هو البَنَّاء المَجيد، وحوله ثُلَّة تزهو بالنشيد، فيرتفع البناء

(١) محافظة رجال ألمع ذات تاريخ وحضارة عريقة ونجد الوثائق التاريخية تحفظ شيئاً من تراثها في ميادين عديدة، وهي تستحق أن تدرس في العديد من الكتب والرسائل العلمية. (ابن جريس) .

(٢) وهم : إبراهيم بن زين العابدين، وأحمد بن إبراهيم مطاعن، ، ويحيى بن إبراهيم الألمعي، والحسن بن علي الحفظي، ومحمد بن حسن غريب، وعلي بن محمد علوان، ومحمد بن علي علوان، وعلي بن عبد الله مهدي، وعلي بن الحسن الحفظي، ومحمد الأهدلي، وإبراهيم بن عبد الرحمن فايع، وأحمد بن علي مروعي الصغير، وأحمد بن يحيى آل فايع . (ابن مُعَبِّر) . هؤلاء الأعلام في العصر الحديث المتأخر، وهم جديرون فتدرس سيرهم في بحوث ورسائل علمية مطولة، ونأمل أن نرى من محافظة رجال من يقوم بهذا الإنجاز . (ابن جريس) .

(٣) حبذا أن نرى باحثين جادين فيدرسون حياة الناس الاجتماعية والحضارية في كل صقع من أصقاع البلاد العربية السعودية . (ابن جريس) .

بالعزائم والهمم، وتَزْدان (رُجَال) بشاهقات القصور تُسَامي القمم، وحولها القلاع تلوح وتأتلق، من أرضها مَدَدُ البنَاء يندفق، فمن تلك الجبال جابوا الصخر للبلد، ومن غاباتها السّقف والباب والوتد .ولَا يكتمل الجمال، دون لمسات ذات الدَّلال، حين تداعبُ أناملهنّ الجدران، بروائع النقش والزّيان، فيحلو هناك المَقيل والسَّمر، فَثَمَّ ما يُبهج السمع والبصر، نقش من النور في إشعاعه ألق، يلوح في ومضاتِ الفكر يأتلق[1] .

وفي لُجَج الحياة الاجتماعية، يُبْحِر القلم في الديار الألمعية، ويفوح شذا الكادي والعطور، وتحلو المساءات بالأفراح والحبور، فللناس عيد ولهم أعياد، بل كل يوم لهم مع الأفراح مِيعَاد .

يا ليالي الحبّ في سفح النَّقا — صبوتي جاشَتْ فباحتْ خفقاتي
فاسْتَعَدْنا الرَّجع من لحن الهوى — وانتشلنا العمر من كف الشّتات
في مَغَان كانت النَّجوى بها — تَغْسل الجرح وتسخو بالهبات
والترانيمِ التي تسكبها — أنعَشَتْ روحي بأشذَاء الحياة

ويواصل ابن مغاوي رحلته الرُّجَالية، فيحدثنا عن التركيبة الاجتماعية، التي تَتّسم بالخصوصية في رُجال ؛ بسبب تباينها في العادات والخصال، ولكونها ذات نشاط في العلْم والتجارة والمِهَن، فكان ذلك أَدْعَى للتآلف والتعاون عبر الزّمن . ولأهل (رُجَال) مَنقبة ظاهرة، تدل على الأخلاق الطاهرة، إذْ لا يأنفون من أصحاب الحِرَف والصناعات، ولا تجد بينهم تلك الكلمات والغَمَزات. وأكاد أسمع وقْع خُطاها، وَأرى ألوان بَهاها، فيما خطّه صاحب الكتاب، عن المرأة الألمعية كالشَّهْد المُذَاب، في لباسها وزينتها وشذا الطّيوب، وهو أحلى ما يشتهي المُسْتطيب، زد على ذلك محاسن الأشعار والألحان، في الأفراح والأحزان .

إذا ما خطرت أثرت الفتون — وهجت الشجون تثير الفكر
بخطو كإيقَاع نقر الدفوف — وقرع الكؤوس وجسِّ الوتر
وقَدّ كغُصن نظير القوام — ترنحه نسمات السحر
تمايلً نشوان في خفةً — منغمة الخطو حلو الخفر

ومع اللهجة أو اللهجات الألمعية، وثقافة (رُجال) الشفهية، نصل إلى مشارف

(١) تاريخ الفن المعماري في منطقة عسير من الموضوعات المهمة ويجب دراسته وتوثيقه، ونأمل من أقسام التاريخ والآثار والفنون في جامعاتنا السعودية أن تهتم بهذا الميدان الحضاري المهم . (ابن جريس) .

النهايــة، وقــد بلغ بنا الشــوق للغاية، فهنا ســاق الــرّاوي بعض المفــردات، وذكر بعض الفــوارق في اللهجــات، وليته مدّ حبل الحديث العاطر، وزاد مــن جرَابه بعض الذخائر، فمجال القول في الآداب أرْحَب، ونبع فنون (رُجال) لا ينضب . ولعلّ ابن مُغَاوي اختصر وهَذّب، لأنه يريد أن يسترســل ويُطنب، هناك على صــفحات رائعة بهية، أعني كتابه (حكايات شعبية) [١]، وقد مدّ سماطها خارج البلاد الألمعية، إلى آفاق المنطقة الجنوبية، من البلاد السعودية . وأرى في هذا الرّصّد الرائع البديع، ما يسعى إليه أصحاب الأدب الرفيع، ولا ســيما في مجال الحياة الأدبية، فالحكايات ذات أصــول واقعية، ومنها وفيها تتــداح دائــرة البحث في التاريــخ والعادات، وغيرها مــن مجالات الحيــاة . فدونكم يا أصحاب القلم والأدب، ثروة أدبية على طبق من ذهب، تَمَعَّنُوا في سطورها وصفحاتها، وسيروا في دروبها وفلواتها .(١٤٣٥/٩/٢٠هـ) .

٥. المَقَامَةُ البَيْهَانِيَّةُ :

فقــد قــرأت ديوانٍ (هيكل الحياة) للشــاعر أحمد بن عبد الله بَيْهَان في ســنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) تقريباً [٢]، حيث اســتعرته من أحد الزملاء بمعهد أبها العلمي، ثم أعدته، وكان آخر العهد به . وفي هذه السنة (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) أهداني الشاعر / علي بن حســن آل شعيب نسخة من هذا الديوان في طبعته الثانية سنة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، وزودني بصورة من الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م) . وعدت بهذا الصيد الثمين، وبدأت في قراءته للمرة الثانية، وغمرتني البهجة والحبور، وأنا أسابق الوقت في القراءة، بل اللَّذة والمُتعة، فهذا الشِّعر يتغلغل في ســويداء القلب، وعادت بي الذكرى حين قَدم الملك فيصــل إلى أبها، وتم افتتاح مدينة الملك فيصــل العسكرية، وما صاحب ذلك من احتفالات وأفــراح، وكذلك قدوم الأمير خالد الفيصــل إلى عســير كأمير للمنطقة، أضــف إلى ذلك ذكريات معهد أبها العلمي، وغيرها من الصــور التي أصبحت من الماضي [٣] . ولذلك كانت هذه (المقامة البَيْهَانية) أطارح فيها الشاعر ببعض ما رسمه بالكلمات في ديوانه وأستعيد ذلك الماضــي الجميل تحت ســماء (أبها) . وعِمَاد هذه المقامة منه وإليه، وليس لي ســوى

---

(١) ويقع في ١٧١ صفحة، ويشتمل على (٥٢) حكاية . (ابن جريس) .

(٢) أحمد بيهان من شــعراء منطقة عســير الجيدين في العصر الحديث، ويستحق أن يفرد له ولأعماله كتاب أو رســالة علمية في أحد أقســام اللغة العربية وآدابها، وآمل أن يتحقق ذلك انظر شيئاً من سيرته في نهاية هذه الصفحات البيهانية . (ابن جريس) .

(٣) اشــرت يا أستاذ ابن مُعَبِّر إلى موضــوعات تاريخية حديثة مثل زيارة الملك فيصل إلى أبها، أو قدوم ابنه الأمير خالد أميراً لمنطقة عســير، وذكرت المعهد العلمي بأبها . وكل هذه الموضــوعات لم تدرس، وتستحق من يدرسها ويوثقها في بحوث وكتب علمية. (ابن جريس) .

التَّنويه والتعليق، وأسأل الله تعالى التوفيق والسَّداد . (١٤٣٤/١٠/٩هـ)[١] .

حدثنا زهير بن منصور، قال :

يقولون كم تجري مدامعُ عينه — لها الدهر، دمعٌ واكفٌ يتحدّرُ
وليس الذي يجري من العين ماؤها — ولكنَّها نَفْسٌ تذوبُ وتَقْطُرُ

وهذا لِسانُ حال الشاعر أحمد بيهان، حين ذابت نَفسه في سفح نهران، وقد قال :

طربت وفيض الحب يسكن في دمي — وأطرب مني نغمة الشِّعر في فمي
فذوبت قلبي في القصيد مشاعراً — وغذيت شريان القوافي من دمي[٢]

فَهَلاّ أقبلتُم معي إلى روضة ذات أوراق، قد رَقّ الماء في أكْنَافها وراق، والغِيدُ يتهادين على الأعشاب، قد طَرَحْنَ المُرُوط والحجاب .

نواعمُ بينَ غصون الأرَا — ك صادفنَ أمْناً وخَفْضاً وطيبا
فلمّا بكيتُ وأبْكيتهُنّ — تمنيتكُم أن تكونوا قريبا

وأرجو أن لا تذهب بكم الظنون، إلى حانات القَصْف والمُجُون، فما أردت بكم طريق الغوَاية، وأنتم من أهل الرَّشد والهداية، وإنّما روضة الشِّعر والأدب، غِيدُهَا غُرّ القصائد فَثَمَّ نَفَح الطّرَب، هي ديوان (هيكل الحياة)[٣] الروضة الغنّاء، لشاعر آثر صَمْت الحكماء . ماذا فعلت بديعة الحُسْن (أبها) بأحمد بيهان، إذْ رَمَتْهُ عن قوس حاجبها وغَمَزت العَيْنَان، فراح يُقْرِيها صَفو الوداد، ويسكب في هواها ذوب الفؤاد، حتى أبَان الهوى ما كان يُضْمِرُه، وأظْهَرَ الدِّيوان ما كان يُخفيه ويَسْتره .

إني وجدتُ الهوى في الصّدر إن ركدَا — كالنَّار أو فاقَ حَرَّ النار مُتَّقدا
النّار تُطفا بِبَرْدِ الماء إن مُزِجَتْ — ولَوْ مَزَجْتَ الهوى بالماء ما بَردا

---

(١) أنت صاحب فضل يا ابن مُعَبِّر فقد نوهت عن أشياء من مجهودات وأعمال هذا الشاعر المطبوع، ونأمل أن تبعث هذه (المقامة) من يتصدى لدراسة أعماله ومن هو على شاكلته في أوطاننا الجنوبية السعودية . (ابن جريس) .

(٢) هيكل الحياة . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) طبع سنة ١٣٩١هـ في مطابع الوديعة بأبها، ثم طبع ثانية سنة ١٤٢٧هـ عن فرع جمعية الثقافة والفنون بأبها. (ابن مُعَبِّر) .

يأنسُ بيهان بنسمات أبها فيناجيها، وإن دعاه النَّوى يوماً ناحت بواكيها، وكيف يسلو المُحبّ عن هواه، فَثَمَّ الحياة في أبها ومأواه، ودُونكم على قولي بِمِصْـدَاق، إذ اشـرأبَّت منكم الأعناق .

قم ناج أبها وسلها عن محاسنها ... واستخلف الدهر عن هذا الهنا الداني
هل هذه الكوكب الدري متصلاً ... بأرض أم أن أبها كوكب ثانِ

إلى أن قال :

ولا غرابة حتماً إننا بشر ... من التراب وهذا الحسن رَبَّاني
غداً سألقاك يا أبها وأزهد في ... مَرْآي مِصْر وتَطْوَافِ بلبنانِ[١]

وقد تخلَّصَ في البيت الأخير، إلى مدح خالد الفيصل أمير عسير، وكأنه يسير على نهج سلفه من الشعراء، في ذكر الأطلال أو الغزل بكل حسناء، وأرجو دَفْع غضب (أبها) عروس الحُسن والجمال، حينَ تَسَمَع بذكر الأطلال، فذا من فَلَتات القلم، وقد لُذْت لأجل ذلك بالنَّدَم .

ولأحمد بيهان قصَّة شِعْرِيَّة، رسم فيها مأساة فتاة من أبها البهيّة، أحبّت ابن عَمِّها ومنحته قَلْبها، وتوافق القلبانِ وهذا لسوء حظها، إذْ أتاها منْ مأمنها الخطر، أَبُوها يُريد بَيْعَها ولا مَفَر، فجادت بنفسها للنّار تَحْرِقُ جسمها، وآب الفتى يبكي على فقدها . فكيف كانت هذه الفتاة ؟، والجواب في ديوان هيكل الحياة، إذ يقول :

هي الورد خَدّاً أو قُل الريمُ مثلها ... إذا ابتسمت أبصرت عقد جُمَان
أو الغصن قَدّاً إن تَثَنَّتْ حسبتها ... إذا أفرطت في الدَّلِّ خَوْطُ البَانِ
من العين إلا أنها آدمية ... إذا نظرت كان الوجود أمانيَ

إلى أن قال:

من الأنس إلا أنها قد تفردت ... بأحلى صفات الحور قبل أوان[٢]

ويصف بيهان صُلْب القضيّة، حيث حكم الوالد بصورة حتميّة، على البنت بالزواج

---

(١) هيكل الحياة، ص ٤٣. (الطبعة الأولى) . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) ص ٤٩ . (ابن مُعَبِّر) .

من صاحب الجاه والمال، وهدّدها إن هي عَصَتْ بسوء المآل .

أتاها أبوها قائلاً بفضاضة ... إذا سألوك فاقبلي بقران
فقالت بمن .. ويلاه فاستاء صارخاً ... بمن عشقت عيناك منذ زمان
أنا الآمر الناهي فلا تسالي إذا ... فإني قد آثرت ما أنا ران
ثراء وجاه ثم نسْل حمولة ... من الجاه والعَلْيا بخير مكانً
فإن تقبليه كان هذا وإن يكن ... سواه فلا تستهزئين بشاني
فوالله إما الشيخ صالح مثلما ... أردت وإلا فابشري بهوان
فقالت : هيا رباه قد باعني أبي ... وتان هما عيناي نادمتان[1]

وتجري خاتمة القصّة على سَنَن العُشّاق، ممن مضى في مختلف الآفاق، وكما قرأنا في كتب الأدب ولا سيما (مصارع العشاق) ، ولا شيء أصعب عند أهل الحُبّ من الفراق. وشهدت مدينة الملك فيصل العسكرية[2] ، بحضور الملك فيصل أمسيّة شِعْرِيَّة، ومن فُرسانها أحمد بيهان، وهو في سِنّ الرَّيعَان . فقال :

طربت وفيض الحب يسكن في دمي ... وأطرب مني نغمة الشعر في فمي
فَذَوَّبتُ قلبي في القصيد مشاعراً ... وغذيت شريان القوافي من دمي
وقدمت روحي في القريض مشاعراً ... تحية إجلال لضيف مُعَظَّم
أقم بين حبات القلوب وحبها ... وفي مقل جذلى لرؤياك فانعم[3]

ويحقّ لنا أن نعجب من هذا الفتى في حُسْن الالتفات، إلى ما تحويه حروف (فيصلَ) من محاسن الصفات، حين يقول :

وفي كل حرف من حروفك خصلة ... تحير عقل الحاذق المتفهم
ففي الفا .. فلول المسلمين توحدت ... فأضحى يُنَادي باسمكم كل مسلم
وياء .. يجود العاهل الفذ مطلقاً ... عنان الندى ما عاش وَفْر التَّكَرُّم
وصاد .. صليل السيف صل دما العدَا ... وأخرس صوت الباطل المتبرم
ولام .. لأجل الله ناضل فيصَل ... فيا رب أجزله رضاك وأكرم[4]

---

(١) هيكل الحياة، ص ٥٣ . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) في شمال محافظة أحد رُفَيْدة، بمنطقة عسير .ص ٤٩ . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) هيكل الحياة، ص ١٢. (ابن مُعَبِّر) .
(٤) هيكل الحياة، ص ١٤. (ابن مُعَبِّر) .

ولشَاعرنا مع القضـية الفلسطينية وقفات، صَبَّ فيها جَام غضبه على العصابات، مـنَ اليَهـود أصـحاب المكر والخديعـة، ومَنْ حَرَّفُـوا التَّوراة والشـريعة. يحنّ الشـاعر للأقصـى ويئنّ، ويكشف عَوَار من قلبوا ظهر المِجَنّ، بلفُور ومَنْ شَايعه مِنَ الأزلام، حين أعلنوا لليهود دولة في بلاد الإسلام .

وفي خاطري أمـران لا بُـدّ منهما — حياتي سعيداً أو مماتي والقبر
وعــودة أولى القبلتين لأهلها — فلم يُغْلِني مال ولم يغلني أسر[1]

وذاب حُزنـاً على فلسـطين، وتمكّنَت من قلبه أيَّما تمكين، فأرسـل قصـيدته (دم العُروبة) داعية الجهاد، يا لقومي هبوا فقد طال الرُّقاد .

الحرب ما الحرب لا أدري ويكفيني — دم العروبة يجري في شرايينـي
فكرت ألتمس الأيـام تُسْعفُني — فَذُبْتُ حزنا بعيداً عن فلسطين
يا عصبة الشـر مهلاً إننـاَ عرب — لا نستكين على الإذلال والهون
أولئكم إخوتي يوم الوغى سقطوا — ذَوْداً عن العرب والأهـداف والدين
فلا مَدَافـع خصمـي أو قنابله — ولا الصواريخ عن قصدي تُوَارينـي
ومجلس الأمـن هذا ليس يُوقظه — دمع اليتامى ولا شكوى المساكين
فيا موطـني شـدوا عضـودكم — فليس من مات يا قومي بمغبون
وجـنَّة الخلد فـوز لا يقاس به — فـوز .. فلبوا المنـادي بالملايين
قولوا كخالد .. إنّا في غَدٍ وكَفَى — نلقى الأحبة في عَـدْنٍ مع العين

سبعة عشر ربيعاً دُون زيادة أو نُقْصان، تَفْصلُ ما بين مولده وطَبْع الديوان[2]، وهذا لَعَمْري من عجائب الزَّمن، ولا سيما ونحن نقرأ فيه الشِّعر الحَسَن، فقد بلغ الشَّأو وزاد، وجاء بشِّـعر بَذَّ به الأقران والأنداد، وأجاد في المعاني والمباني، وأرسـل المديح والتهاني، إلى الفَيصـلِ ونجلِـه خالد[3]، وألبسـهما من شـعْره القلائد، وخاض غمَار القَضـيّة (فلسـطين)، لا يَلْوي على شـيء سـوى النصـر المكين، وغازَل (أبها) وهَاتِيك المغاني، وهذا الحُسن فيها ربَّاني .

وخالصُ القول في هذا المقام، أن البَدْر أوْفَى على التمام، لولا نزعة الأسى والألم، التي

(١) هيكل الحياة، ص ١١٠. (ابن مُعَبِّر) .
(٢) ولد أحمد بيهان سنة ١٣٧٤هـ، وطبع ديوانه سنة ١٣٩١هـ . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) الملك فيصل بن عبد العزيز، وخالد الفيصل أمير منطقة عسير. (ابن مُعَبِّر) .

أحاطت بهذا الشاعر العَلَم، ولا أعلمُ كُنْهُ ذلك حتى الآن، فهل يجود الشاعر على الحَيْران، بتفسير هذا المذهب أو الطريقة، فتظهر لنا ولغيرنا الحقيقة . وله أن يطوي سـرَّه ونَجْوَاه، وقانا الله من البلوى وإياه .وأظنه يرى الحياة بحسب الواقع، فإن اكْفَهَرّت السماء تحرّكت المواجع، وإذا تَعلّل بنسمات أبها زال الأسى والألم، وحَرّك أوتار القوافي بالنَّغم .

وإليكم الموقف الأول بعنوان : (ثراء في بائس) :

بان الخليل وماتت روعة الوَطَر — فالهم خدْني .. وآلام الجوى وَتَري
والدمع قيثارتي والحزن عازفها — أما غنائيَ .. فَنَدْبي مخْلَبُ القَدَر
أما نجومي فأشلائي مُبعثرة — أما ضيائي فديجور الدُّجَى قمري

إلى أن قال:

يا دهر هَوّن على قلبي فقد بلغت — حلقومي الرُّوح إني بالرثاء حَري
قلبي الذي بتُّ مُضْنًى من عواطفه — قلب .. فقير الأماني ..بالشقاء ثَري
فلا الزنابَق تلهيني إذا ابتسمت — أو نغمة الطير .. لا أو خُضْرَة الشجرِ[1]

والموقف الثاني بعنوان (ليلة وندامى) :

طرب الخلاَّن حولي والنَّدَامى — فقضينا العمر عشْقاً وهُيَامَا
ذهب الأَمس فقلنا قد مضى — وغداً نحياه حَباً وغراما
وغرسنا الحب في كل فم — فَرَنَا السَّعْدُ إلينا وترامى
وابتسمنا وقهرنا هَمّنا — فانثنى الحزن وقد أخْفَضَ هاما
وصدى الناي على أسماعنا — نغم ذوبه الشَّادي مداما
وإذا ما عاف خِلٌّ إلْفَنَا — أبداً لسنا عليه بِنَدَامى[2]

ولا تثريب عليك فَمَن الذي تَصْفُو مَشَارِبُه، فقد يمدح الرَّجُل ما كان بالأمس عائبَه.

وهذا أوان الوداع فالرّحيل، من روضة البيهان والدَّوْح الظَّليل، واقْبَل من المُحبّ دعوة للّقاء القريب، فإن أَجَبْتَ وجَب في قلبي الوَجيب، وآمل أن لا تكون ممن قيل فيهم :

ما أنْتَ أولُ من رأينا زاهِداً — في الوُدّ حين أصابَهُ مَبْذُولا

(١) هيكل الحياة، ص ٦٤. (ابن مُعَبِّر) .
(٢) هيكل الحياة، ص ٨٢. (ابن مُعَبِّر) .

(*) الملحق الأول :

١. حياتي[١] : ولدت سنة (١٣٧٤هـ) في الواديين ببلاد رفيدة .انتقلت وأسرتي إلى مدينة أبها سنة (١٣٨١هـ) وانتظمت بالمدرسة العزيزية بأبها . أدرس الآن بالسنة الثانية الثانوية بمعهد أبها العلمي. قلت الشعر صغيراً وأولعت بالمطالعة الخارجية . دعوت لإقامة ناد أدبي ومكتبة عامة في أبها فلم أجد مجيباً إلا أصداء خافتة من الأستاذ أحمد الترابي . أحسست بأن آمالي تتحطم .. وأن المجتمع لا يصغي فتألمت كثيراً وبدا ذلك واضحاً في شعري حتى قيض الله لعسير (أبا بندر) ففتح نادياً أدبياً اجتماعياً رياضياً هو الأول من نوعه بالمملكة .. فأعاد ميت آمالي. أحمد بيهان (١٣٩١ هـ) .

٢. مقدمة الديوان :

قارئي العزيز أقدم إليك ديواني هذا (هيكل الحياة) . وأضعه بين يديك لأستمد من نقدك وملاحظاتك صوابي، وقد عمدت إلى جمع أشعاري التي قلتها في بداية عهدي بنظم الشعر .. وأضفت إليها شيئاً يسيراً مما قلته حديثاً ليتمكن القارئ من دراسة مقطوعاتي ويوازن بين ما أنتجته في البداية وما قلته أو سأقوله في النهاية .. وكم حاولت أن أظهر القارئ على هذه المقطوعات من قبل هذا الموعد ولكن ظروفي المادية لم تكن تسمح لي بأن أطبع إنتاجي هذا .. حتى شاء الله أن يقوم سمو سيدي الأمير خالد الفيصل بمساعدتي على ذلك .. وإني إذ أقدم له شكري تجاه هذه البادرة أجد كلمات الشكر تعجز عن أداء ما يكنه ضميري تجاه صاحب السمو . عزيزي القارئ .. إذا كان هذا الديوان هو أول ديوان لشاب من منطقة عسير فإني أعد القارئ بأنه ستتلوه دواوين ودواوين بأقلام شابة من عسير وما ذلك كله إلا ثمرة من ثمرات ما غرسه سمو الأمير حفظه الله . قارئي .. جرت العادة أن يقدم للديوان أو الناتج الأدبي من قبل أديب معروف وناقد لامع .. لكني أقدم لك ديواني هذا لتكون أنت الناقد والموجه .. وهذا شعري بين يديك يقدم نفسه .(أحمد بيهان) .

---

(١) هذه السيرة الذاتية المختصرة نقلها ابن مَعَبِّر من ديوان أحمد بيهان، وكما أشرت سابقاً أنه يستحق أن يفرد له ولشعره وجهوده العلمية دراسة مطولة. (ابن جريس) .

(*) الملحق الثاني:

شاعر طَلَّقَ النشر!!

أحمد عبدالله بيهان..

احد أدباء المنطقة الجنوبية الشباب.. من مواليد عام ١٣٧٤هـ في الواديين يعمل موظفا بوزارة المعارف، تدرج في عمله من مستشار تنظيم وادارة الى مدير مكتب بالوزارة.

انتاجه الادبي عبارة عن قصائد شعرية.. ودواوين مطبوعة ـ وأخرى مخطوطة.

يقول عن موقع الحركة الادبية بالمنطقة الجنوبية بالنسبة للوسط الادبي في المملكة أن السؤال أكبر مني.. فتحديد المواقع له رجاله وما أنا منهم.

واما عن عزوف الكثير من الادباء عن ارتياد المؤسسات الثقافية كالنوادي الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون فيقول: إن هؤلاء في انتظار النادي والجمعية ان تطرق أبوابهم أو تخرجهم من رموسهم.

وعن قلة انتاجه الادبي يقول: انا جرح ينزف منذ عشرين عاما.. ومع كل قطرة من دمائي تولد قصيدة.. اما النشر فقد طلقته.. حين ظهرت موضة «الميني جب» في الشعر الفصيح وظهر الف شاعر وشاعر شعبي.

* ما هي وجهة نظرك الخاصة في قضية «الشعر الحر» وهل أنت من مؤيديه أم من معارضيه؟

* الشعر الحر.. زجاجة عطر باريسية الشذى.. وسرعان ما تتبخر في الهواء.. أو يتشبع منها الأنف فتفقد عبيرها.. ولست مع الشعر الحر ولست ضده.. فأنا من عاشقي العطور الباريسية أحيانا.

* ماهو مصدر التشاؤم في شعرك؟

* التشاؤم في شعري.. مصدره صدق احساسي.. ورقة شعوري.. مع ما تعرضت له من الصدمات في الحياة حتى زعزعت ثقتي في كل شيء حوالي.. الا الله.

* وماذا تعني لك كلمة «التفاؤل»؟

كلمة سحرية.. توجد في أعماق نفس الانسان والعظيم من يستطيع أن ينزعها من قلبه حتى تطفح على سلوكه.

* رتب الشعراء الشباب التالية اسماؤهم؟

* علي مهدي ـ احمد عسيري ـ علي عمر ـ أحمد بيهان ـ محمد زايد ـ محمد الحفظي

الترتيب من وجهة نظري الشخصية كالتالي:ـ

١ـ علي مهدي ٢ـ أحمد عسيري ٣ـ محمد زايد ٤ـ ابراهيم شحبي ٥ـ محمد الحفظي ٦ـ علي عمر عسيري

* كلمتك الاخيرة:

تحية عطر لمجلة «تجارة الجنوب».. وقبله ود حانية لنادي أبها الادبي.. الذي استطاع بحق يقف تحت الشمس..

اجرى الحوار: صالح ابوعواد الشهري

٦. المَقَامَةُ التَّمْنِيَّة[(١)]

حدثنا زهير بن منصور قال :

أسْنَى ليالي الدهر عندي ليلة   لم أُخْلِ فيها الفِكْر من إعْمَالِ

هي ليلة اليوم السابع من رمضان[(٢)] ، حين حَلَلْتُ ضيفاً في متحف عَامرُ الأبهاء والجُدْران، بآثار الآباء والأجداد، لتكون ذخيرة الأولاد والأحفاد، قد أجاد عبد الهادي[(٣)] الترتيب والتنضيد، بحُسْن عَرْض بلغ فيه ما نُريد .

كأنَّ آثار جُدْرانه   على مَنْ يُقَابلُها تُقْبلُ
تُبين بفَصْلِ الخطاب الفصيح   لديكَ وإنْ أخْرِسَ المِقْوَلُ

وإلى متحفك يَحْمَدُ القوم السُّرَى، فَيُعيد الذكرى لأيام القُرَى، وأثلجتَ الصَّدْر بتلك التَّسْمِيَة، إذْ قُلتَ (متحف تمنية) ، فآثرتَ أرضك وأهلها، بمفخرة لك سابق فضلها . ومَاذَا أحدثكم عن تُحَف المتحف، فقد حوى من كل شي مُسْتَطْرَف، مابين مُعَلّق على الجدار، وما هو في عَرْصَة الدّار، لا يَمَلُّ الطَّرْف النظر والتحديق، فَيَعُود بالمرء إلى ماض عريق، حيث كانت القُرَى صاحبة حضارة، لا تستورد صحناً أو غَضَارة، تأكل مما تزرع وتحصد، لا تعرف البسكوت والدجاج المُجَمّد . في متحف تمنية من القطع ما يقرب من عشرة آلاف، وفي كل قطعة حكاية من حياة الأسلاف، فهناك السِّراج والقازة، ثم الشيشة والفانوس ولهما قزازة، تمنع الريح أن تُطفيء الفتيلة، وجاء الإتريك بنوره الوهّاج لأحْلَك ليلة، وكان خاتمة المطاف، قبل غزو الكهارب لكل النواحي والأطراف .

وفي المتحف من أدوات الرّي والزراعة، المُضْمَد والمُخْرَش والدَّرَّاجة، والسِّعْن والغَرْبُ واللُّومَة والحَكَل، قد أجادوا صُنْعَها وسَخَّرُوها للعمل، فَكُلُّ المزارع محروثة مَخْدُومة، فقد جَلَبوا الدِّمْن من جِثْوَة مَرْكُومة، هذا هو السّمَاد الطبيعي، فلم يعرفوا السماد الصناعي .

زَغْرَد الماءُ في السواقي وغَنَّى   طائر اليُمْن لحنَهُ للوجود
يا بُذور الحياة أهلاً وسهلاً   بعِنَاق الحبيب بعد الصُّدودَ

---

(١) احتفاء بـ (متحف تمنية) لصاحبه عبدالهادي بن أحمد آل مهدي . (ابن مُعَبِّر) .

(٢) سنة ١٤٣٤هـ . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) عبد الهادي بن أحمد آل مهدي، صاحب (متحف تمنية) ، وهو من أهل قرية (القَارية) في تَمْنِيَة، بمطقة عسير، ومتحفه هناك. (ابن مُعَبِّر) . في عموم بلاد تهامة والسراة أفراد عديدون قاموا بإنشاء متاحف شخصية تحتوي على الكثير من موروث البلاد وحضارتها، لكنهم للأسف لا يجدون من يدعمهم ويشجعهم . (ابن جريس) .

وها هي السيوف ولا صَليل، ضاقت ذَرْعاً بقيدها الثقيل، وحولها الخناجر والجَنَابي الحدَاد، ثم المحازمُ والمَسَابت على الأعواد . وإنْ أرسلت النظر رأيت البَنادق، قد خَفَتَ الصوت منها وكانت النَّوَاطِق. وتعالوا إلى مَنْظرٍ مُجَسَّد، و (المِزَرّ) قد احتوى الثوب (المُزَنَّد) ، فكأنكم ترون إحدى نساء القُرى، وقد الْتَحَفَت المزَرّ خوفاً من البَرْد إذْ سرى، فما ألَذّ الدِّفء يسري في الأوصال، ومعه غَليَّة بُلْسن فَثَمَّ راحة البَال . وأين منكم المكاحل والعطور، وهي مدار حديث النساء من أقدم العصور، فأمامي منها الأنواع والأشكال، في دولاب ضُربَت عليها الأقفال، ولا تبعدُ عنها حَلي النساء من الفضَّة، مثل (المسْكة) و (الفتْخَة) و (اللَّبَّة) ، وقد نسيتُ أن أسَمِّي بعض هاتيك الكنوز الرائعة، من القلائد والوحَدَانَ والبَزَاليك اللامعة، فقد أدركني الوقت وتَصَرَّمَت الدقائق والساعات، وأريد أن أخبركم عن العُملات، مابين معدنية وورقية من كل الفئات، فعند ابن مهدي منها عشرات القطع، وعندها أنفاس الرِّجال تَنْقَطع، فَمَن الذي لا يُحبُّ الفلوس، ففيها الداء والدواء لكل النُّفُوس . وإنْ طَأطأتُ النَّظَر إلى عَرْصَة الدّار، فَثَمَّ (الفَريقَة) و (الزُّوليَّة) الشيرازية رَمْزُ الفَخَامة والفخار، وللفَريقة أهزوجة يترنم بها الصانع يشترطَ فيها جودة العَرِيكة، فيقول : (ما عَبَيْتُوا في المسَّقَف عَبَيْنَا في الفَرِيقَة) .

وفي (متحف تمنية) من المعاميل ما تضيق به الدار، منها (الدّلّة) و(المحَمَاس) و (المُفْرَاز) و (منْفَاخ النَّار)، و (الجَوْحَل) للماء العَذْب النَّمير، وللسَّمْن (حَرَضَة) حولها العريكة نعْمَ السَّمير، ولا تَسَل عن (الغَضَارة) و (البُرْمَة) و (القدور) العَتيدة، قد حضرت وغاب اللَّحْم والعصيدة، فاذْبَح التيس يا ابن مهدي، ولا تَذْهب به عند المَنْدي، جزاك الله خيراً، وأطعمك في الجنّة طيراً . ونعود إلى الرحلة لا رحلة ابن بطوطة، بل رحلة بين الجُدْرَان مع المصاحف المخطوطة، إضافة إلى مجموعة قيِّمَة من الوثائق، فيها ما يسرّ القلب من المعلومات والحقائق، وليت هذه الوثائق تحظى بدراسة وتحقيق، فتحصل الفائدة بالتحليل والتعليق . ولا يخلو المتحف من معروضات لألعاب الأطفال، وساعات يدوية مختلفة الأنواع والأشكال، وأجهزة المذياع والتلفاز، ولم يسعف الوقت فكان الكلام على الإيجاز . فإذا خرج الزائر وجد أمامه مجموعة من السيارات، مما كان يستعمل في سالف الأوقات، دلّلها ابن مهدي تدليلاً، وصنع لها ظلاًّ ظليلاً، وحفظها من التشرُّد والإهمال، فباتت بأحسن حال. وهنا نودع عبد الهادي و (متحف تمنية) ، فقد بلغنا بما شاهدنا فيه الأمنية، ونسأل الله تعالى أن يحفظه ويرعاه، ليواصل المسيرة فيما يَصبُو إليه ويَتَمَنّاه (١٤٣٤/٩/١٢هـ) .

٧ـ المقامة التِّيْهَانيَّة[١]

حدثنا زهير بنَ منصور، قال :

هَبَّ النسيم فطاب الأنس والسمر   وغاب حسادنا عنا فلا ذُكروا
وأين من تلكم الحسنا نواصلها   فزال عنا عناء وانجلى كدر
هَبَّ النسيم بطيب العيش فانتعشوا   وفي رياض الرضى من روحها حضروا
فهذه أكوْس الأصحاب قد حليت   حفت بها تحف بل أنجم زهر
سلافة تسلب الألباب حليتها   من المناسم تستحلي وتعتصر[٢]

وليس ثَمَّ سُكر أو شَرَاب، فما عندنا إلاّ صفحات كتاب، في دُروب سطوره نسير، وأعني به (الشِّعْر في عسير) .

اليَوْمُ الأسْعَدُ مَوْلِدُهُ   مِصْبَاحُ الدَّهْر وسَيِّدُهُ

كتابٌ يَسْمو في مدارج النُّجُوم الزَّوَاهر، ويسبح في لُجَج البُحور الزَّواخر، إنْ عَدَدْت صحائفه بَلَغْن الألف بَلْ تزيد، فيها بُغْيَة كلّ طالب ومُريد، عن الشِّعْر والشُّعراء في عسير، رَوْضة عَبَقَت من كلّ نَفْح وعَجَّتْ بالأزَاهير. واشْرَأبّت النَّفْس للروضة الفيحاء، فَعَقَدْتُ العَزْم على رحلة تخلو منَّ الرمضاء والوَعْثاء، ولا تُشَدُّ فيها الرِّحَال على ناقة أو بَعير، بل سُرَى الأقلامِ على الوَرَق الوَثير، تَمْتَاح من (الشِّعْر في عسير) ألواناً، كالطّير تغدو خِمَاصاً وتعود بِطاناً .

وفي الضِّفَاف هُنا أو هَهُنا عَبَقٌ   آرَاجُهُ رُوحُ أنفاسٍ وأكْبَادِ

أنفاس شعراء عسير وأكبادُها، مُعَطِّرَة بطيب وهَادها وجبالها، وهنا محطّ الرِّكاب، ومدار فلك الكتاب، فَمنْ هذه الأنفاسَ الحَرَّى، نَقَشَ التَّيْهاني كتابه سطراً سطراً، وأتى من الإبداع بالعجب العجيب، وتَقَنَّص شوارده بالسَّهم المُصيب. وأوّل تُحَف الكتاب ذلك التَّمْهيد العَاطر، عن المكان بما يَجْلُو عَمَى النَّواظر، فَيَعْرف القارئ مواطن الشُّعَراء، ومَنَابتُ الأعراق الزّكيّة للأجداد والآباء.

بَلَدٌ صَحبْتُ به الشَّبيبة والصِّبَا   ولَبِسْتُ ثوب اللَّهْو وهُو جديدُ
فإذا تَمَثَّلَ في الضَّمِير رأيْتُهُ   وعليه أغْصَانُ الشَّبابِ تَميدُ

---

(١) نسبة إلى الدكتور أحمد التيهاني الذي يشغل حالياً رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك خالد . (ابن جريس) .
(٢) من قصيدة لعمر بن عبد القادر الحكمي (ت ٩٨١هـ) . (ابن جريس) .

ثُم يسـير بنا التَّيْهَاني حول أنهار رَوْضه وجداوله، وأعني بها أبواب كتابه وفُصوله، ذات الطِّـراز النَّفيس، كأنَّها حَاليَة بجواهرها تَميس . وقد وقفت على النَّهْر[١] الزَّاخر، فألْفَيْتُ هناك تلك الموارد والمصـادر، قَدْ سَبَق بها غَيْره من الأوائل والأواخر، ولم يترك لهم إلاّ الوَشْل اليسير، وما حواه النّوى من النَّقير . وتَمَلَّكني الزّهو والسرور، وتاهت العَيْن بين السـطور، وأنا أقرأ أسـماء الدَّواوين الشِّـعْريّة، ولا سـيما المطبوعة لا الخطّيّة، وقد نَاهَـزت المئة إلاّ واحداً تاه وغاب، فإن طَمِع التَّيْهَاني وعَزَّني في الخطَاب، أعطيته ديوان (نغم من عسـير) ، لشاعر مضى إلى ربِّه العزيز القدير[٢] . ومن مَصادره (المختارات الشِّـعرية) ، وهي الدّواوين الجَماعيّة، ويتلوها من المصـادر الصـحف والمَجّلاّت، وثمّ الكنـوز والخَبيئات، ومن بعد ذلك كتب التاريخ والتراجم، وهي لا تخلو من بُغْيَة الباحث الحازم، وأقلّ المصـادر (الدَّواوين الخطية) ، حيث احترز المؤلف في إشارة ذكيّة، وهي خشيته على المخطوط من التَّغيير والتعديل، في حَال الطباعة فيخْتَلّ الدَّرْس والتَّحليل .

لا تـتركـنْ للـنـاس مـوضـع شُـبْـهـة   واحْـــزمْ فمـثـلك في العـظـائـم يَـحْـزِمُ

وهنا يحين موسم القطَاف، وموعد الشُّرب والارتشاف، حتى تُهَيّأ النفوس، وتُجْتَلى العروس، فقد رَاش المؤلفَ أقلامه، وأسـرج خُيوله ورفع أعلامه، ثم أقبل على مصـادره يَتَفَلاّها، على ضـوء خُطّة أحْكَمَ بنَاها، فلأغراض الشِّعْر وموضوعاته سبعة مباحث[٣]، هي في البراعة بمكانة المثاني والمثالث، فالأفكار مُحَبَّرَة، والعبارات مُحَرَّرة، وقد تَسَاوقت المباني مع المعاني، كَنَسْـج البُرْد اليماني، ولا غَرْو فالمؤلف فارس هذه الصِّنَاعة، ومالك أزمَّـة البلاغـة والبراعة، وتبدو مهـارة التَّيهاني الجَليَّـة، في باب (السِّـمَات الفنيّة) ، فهناك مُعْتَرك الفُحول، في ثنايا السـطور والفُصـول، وهي أربعةُ فُصـول مُتَسَاوقَة[٤]، كالجبـال على نَسَـق مُتَنَاوحة، قد ازْدانَت منها السُّـفوح والقِمم المُتَوَّجة، بخُضْـرَة تُثير النَّظَر والنُّفُوس المُتَأجّجة .

وعَبْر هذه الفُصـول صَـال القَلم وجال، واتّسَـع له المدَى فأتى بالسَّهْل المُحَال، فلا ترى إلاّ العبَارات المحبُوكة، والأحكام البارعة المسـبُوكة، لا تَنِدُّ منها عبارة عن السَّـوَاء، وليس في أحكامها أي التِواء .

---

(١) هو الباب الأول من كتاب (الشعر في عسير) . (ابن مُعَبِّر) .

(٢) هو الشاعر : أحمد بن منصور بشاشة، رحمه الله تعالى . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) وهي : المدح، والحنين، والوصف، والهجاء، والغَزَل، والإخوانيات . (ابن مُعَبِّر) .

(٤) هي فصول : البناء، اللغة، الصُّورة الشِّعْريّة، الموسيقا والإيقاع . (ابن مُعَبِّر) .

فهنيئاً لكم شُعراء عسير، بسفْر ليس له نظير، فقد بَلغَ بكم مَنَاط الأقمار والنُّجُوم، وسار بكم في مدارج الشَّرف المَرُوم، وسهر الليالي في اسْتِمْنَاح القصائد والمقطوعات، بما يحتاجه البحث من الشواهد والإشارات، وما يتلو ذلك من صَوْغِ العبارات الضَّافية، والأحكام النَّقدية الصّافية .

وها هو قلمي يُقِرُّ لفتى تَيْهان، ببلوغه غاية الجودة والإتقان، فليس هناك أَبْدع ممّا كان، فيما خَطّه قلمه من بلاغة وبَيان، فله أسمى آيات الشُّكر والعِرْفان، وبارك الله تعالى له في جُهوده العلميّة، وفي إبداعاته الأدبية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات . (١٤٣٨/١٢/١٢هـ) .

٨ـ المقامة الجاشيَّة [١]

حدثنا زهير بَن منصور ، قال : في يوم الخميس من شهر شَوَّال [٢] ،كُنْتُ على موعد مع نُخْبة من الرِّجال [٣] ، لإجابة دعوة من فرَّاج [٤] ، لنسلك في الأرض ذات الفِجاج ، إلى (جاش) مَوْئل المَسَارِدَة ، قبيلة أحاطت بالمكارم واردة وشاردة .

من آل مَسْرد من ذؤابة مَجْدها   تُنْمَى إلى قحطان دون لجَاج
حيثُ العُلا ممدودة الأطناب لم   تُخْلِق معالِمَها يَدُ الإنهَاجَ

ونعود بكم إلى البداية ، حتى نُلقي عصا التِّسْيار إلى الغايَة ، فقد أعدّ أحدهم [٥] ،كتاباً في ثوب قشيب [٦] ، جمع فيه حصاد قلم لكاتب أريب ، وطرَّزه بسيرة عاطرة ، لرَجُل مَحَامِده بين الناس سائرة ، ذالكم هو فرَّاج بن شايِع ، وقاه الله من زَوْرَةِ المشايِع . ووَصَلَتْ إلى مُعِدّ الكتاب ، دعوة من فرّاج فكان الجواب :

نَعَم ، ولكم فضلٌ بأشرف دعوة   غدوتُ بها - يا صاح - مُنْشَرح الصَّدْر
وقد قيل : لا يأبى الكرامة غير مَنْ   له عِرْقُ لؤم ، لم يَزَلْ في الخَنا يَسْري

---

(١) الجاشية : نسبة إلى بلاد جاش أحد مراكز محافظة تثليث، وسكانها من عشير المساردة . للمزيد عنها انظر مسعود المسردي. جاش: عبق الماضي وانجاز الحاضر(١٤٣١هـ) (٢٨٧صفحة). (ابن جريس) .

(٢) ١٤٣٤/١٠/٢٢ هـ . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) هم : حمد بن سعيد آل حمد المُسْتَنِيري ، وأحمد بن علي مطوان ، وسعيد بن عبد الله جفشر . (ابن مُعَبِّر) .

(٤) فرَّاج بن شايِع الملحم ، من أهل جاش . (ابن مُعَبِّر) .

(٥) محمد بن أحمد مُعَبِّر . (ابن مُعَبِّر) .

(٦) هو كتاب بعنوان : (فرَّاج بن شايِع الملحم : قلم في موكب التاريخ) صدر سنة (١٤٣٤هـ) . (ابن مُعَبِّر) .

لَمَجْلِسُكُم أعلى الكرامة عندنا ... ولَفْظُكُم أشهى إلينا من الدُّرِّ
ورؤيَتُكم أجلى لِهَمِّي ، وإنني ... غَنيتُ بها عن طَلْعة الشمس والبدر
عليك تحيات القَبُول تَكَرُّماً ... أياً واحداً - عندي يُعَدّ - بذا العَصْرِ

ولأنّ الرفيق قبل الطريق ، فقد تحرّك الرَّكْبُ من كل فجٍّ عميق ، والْتَمَّ الجَمْعُ في متحف (موروث الأجداد) [1] ، عند حمد بن سعيد منْ آل مُسْتَنِير الأمجاد ، وطاب لنا المَقيل بين الآثار ، وفناجيل القهوة تُمْلأ وتُدار . وحانَ أذان العَصْر ، فامتطينا سيارة ابنَ جفشر [2] ، وكان أمير الرَّكب حمد المستنيري ، وحدا الحادي إلى (جاش) سيري، ودارت بيننا الأحاديث والقَصَص، حتى حاذينا (ذات القَصَص) [3] ، وأشْرَفْنَا على بلاد طَريب ، سقاها الحَيَا وجاد عليها بكُلِّ غصن رَطيب ، ومَضَيْنَا إلى (المَضَّة) بعد (الغَضَاة) ، نُسابِق الوقت بِطَيِّ الفلاة ، إلى (الصُّبيخَة) حيث ابن شَفْلوت ، فقد كادت الشمس تُذْعن للأُفُول والخُفُوت ، حتى وصلنا قبل حلول الظلام ، إلى جاش بلد المَسَارِدَة الكرام ، فَرَحَّب بنا الشيخ عبد المحسن الملحم مع أخيه فَرّاج، وزالت الوَعْثَاء واعْتَدَل المِزَاج ، بحليب إبْلٍ مُعْتَبَر ، وليس حليب النوق كالبقر .

أيُّ جَمْعٍ هذا وأيَّ اتّفاق ... وصحاب أماجد ورفاق
كل فرد منهم من الفضل كَنْزٌ ... ليس يخشى الإملاقَ في الإنفاقَ
جمعواً بين شدَّة البأس في ... الجدِّ وفي الهزل رقّة العُشَّاقَ
إنما الساعةَ التي جمعتهم ... جَمَعت لي محاسنَ الآفاقِ

وأقْبَلت دلَّةٌ كانت تَصْطَلي بوَقِيد الجَمْر ، في موكب منْ صُحون التَّمر، ودارت الأحاديث كالأغاريد، وكأن القوم يغرفون من البحر المديد ، في مجلس جَمَع المفاخر والمحامد ، ونَبَذَ كل كاذب وحاسد. وحان القُفُول من استراحة فرّاج ، إلى بيوت الحيّ والليل داج ، وعَمَدْنا إلى دارة تلألأت أنوارها ، حَسْنَاءُ من حُسن أصحابها ، وقُدِّمت مائدة مُنَوّعة ، وقهوة البُنِّ مُشَعْشَعة ، وحولنا أبناء وأحفاد لآل ملحم تراضَعُوا كأس المفاخر ، يسعون إلى إسعاد ضيوفهم بالتراحيب والمَجَامر ، وأقبل رِجالٌ من بني مَسْرد أهل العُلَى والمكارم ، أهلاً وسهلاً بِبِشْرِ وجُوهٍ وضَوْءِ مباسم .

---

(١) متحف (موروث الأجداد) من أكبر المتاحف الخاصة بمنطقة عسير ، ومقرّه في تندحة بمحافظة خميس مشيط، وصاحبه حمد بن سعيد آل حمد المُسْتَنيري. (ابن مُعَبِّر) .

(٢) سعيد بن عبد الله جفشر ، من قبيلة وَقْشَة . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) جبل بالقرب من طريب ، ويسمى الآن أمّ القصص . (ابن مُعَبِّر) .

فهنيئاً لكم معارج للمجد شباباً تَسْمُونها وكُهولا
رِفْعَةً في العَلاء أورثتموهَا من قديم الزمان جيلاً فجيلا
والمعالي لا ترتضي حيث شاءت غير أكفائها الكرام بُعُولا
فإذا ما ادَّعَيْتم الفخر يوماً فكفى بما شَهِدنا منكم دليلا

وغرَّد عريف الحفل بالسَّجع الجميل ، وإنّي إلى ذاك الفَنّ أميل ، وقام الشيخ فرَّاج كالأسد الهَصُور ، فرحّب بالقادمين وأثنى على الحضُور ، ومضى في حديثه يقول ويَصْدُقُ ، كالمسْك تَسْحقُهُ الأكفُّ فَيعبَقُ ، وأتى على ذكر من آزروا الكتاب[١] ، فأفاض في الثناء بكل صَوَاب ، ومنهم محمد بن سعد النَّهاري ، وفَضْلُه يتحدّر كالنَّهر الجاري ، إذ حمل عبء تكاليف الطَّبْع ، والمعروف عند أهله طَبْع .

جئتَ بالخَيْر علينا مُقْبلاً وتَنَقَّلت مع السَّعد انتقالا
وإذا ما مَدَّ يوما باعَهُ طال فيما يبتغيه واستطالا

ومنهم مسعود بن فهد المَسْردي ، والفضل منه سَرْمَدي ، نَبْعٌ لا ينضبُ مَعِينه من المكارم ، أو بحر جود موجه مُتَلاَطِم .

له هممٌ في المعضلات تخالُها كَسُمْر القنا طعناً وبيضَ الظبا حدّا
يحلَ بها عُقد الشدائد كلّها فهل مثله منْ وُلّي الحلَّ والعقدا
يضيء لنا من شهاب إذا دجا كَسُمْر القنا طعناً وبيضَ الظبا حدّا

وكم تمنى فرّاج أن يرى غَيْثَان ، في موكب الفرسان بحومَة الميدان ، فغيثان شمس مالها أبداً مغيب ، وهذا (الدِّرع) [٢] رسول محبة إذا غابَ الحبيب ، وهو من أقلّ الواجبات ، لمُؤرِّخ تهامة والسراة ، ولغيثان غيث في سماء الجنوب ، ساقهُ في (القول المكتوب) [٣] ، فأحْيَا به ما كاد يموت من التراث ، وأنجد من بعده بمؤلفات وأبحاث ، هي غُرَّة في جبين الدهر ، وله من الله تعالى المثوبة والأجر .

يُعْزَى لك الإحسان غيرَ مُدَافَع والمحسنون كما عَلمتَ قليلُ
يا من له في النّاس ذِكرٌ سائرٌ كالشمس يُشرِقُ نُورها وتَحولُ

---

(١) أي كتاب : (فرّاج بن شايع الملحم : قلم في موكب التاريخ) من إعداد محمد بن أحمد مُعَبر . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) هو درع التكريم الخاص بالأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) هو كتاب : (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) صدر منه ستة أجزاء ، والسابع قيد الإعداد . (ابن مُعَبِّر).

ومواهبٌ علميَّةٌ سَيَّارةٌ   لا ينقضي سَفَرٌ لها ورَحيلُ
هذا هو الدُّرُّ الذي من بَحْرِه   ما زلتَ تبذُلُه لنا وتُنيلُ

ثم عاد الشيخ فرّاج إلى عرينه، والشَّمَمُ بادٍ في عِرْنينه، وتَسَنَّم المنَصّة رجلٌ[1] بَهَرَ السامعين، وجاء بسحرٍ للعقول مُبين، بكلام عنَّ الأدب في الإسلام، كأنه سَجْع الحمام، من بصير بذوقه نَقَّادٍ، مع حلاوة في النُّطق والإنشاد.

أدبٌ رائعٌ وعِلْمٌ غزيرٌ   أينَ منه الأزهار في الأكمام
فإذا ما سمعتَ منه كلاماً   كان ذاك الكلام حُرَّ الكلام
أنت غَيْثٌ على العُفاة هَطُول   أنت بحرٌ من الآداب طامي

وأذَّنَ مُؤذِّن الرحيل، وذاك أذان علي ثقيل، فما أقصر ساعات السرور والهناء، ولاسيما عند هؤلاء القوم الفضلاء، فقد لقينا منهم ما يعجز القلم عن وصفه من حسن الصفات، ولو ملأت من ذاك مئات الصفحات، ففضلهم كالنهر الجاري، وبشاشة الوُجُوه كالقمر الساري، قد أحسنوا الاستقبال والترحيب، وأسمعونا من الكلام أغاريد العندليب.

أحبابنا أزف الرَّحيـ   ـلُ فَزَوِّدونا بالدعاء
إني لأعرِفُ منكم   يا سادتي حُسْنَ الوفاء
مُذْ كنت فيكم لم يخب   أملي ولم يخب رجائي

وفي ختام هذه الرحلة السعيدة، لا يغيب عن ذهني صاحب المساعي الحميدة، صديق وزميل عمل في كهرباء طريب[2]، رأيت في اسمه الشَّبَه القريب، من فرّاج بن شايع الملحم، فسألته عن ذلك فأجاب ولم يتلعثم، ذاك عمي وبه نُفَاخر، فقلت: هلاّ حملت إليه بعض الدفاتر[3]، ومن هنا بدأت العلاقة الشخصية، بسبب هذا الفتى صاحب الفضل والأريَحِيَّة، فكتب الله لنا وله الأجر والثَّواب، ورزقنا طاعته وحسن المآب. (٢٥/١٠/١٤٣٤هـ).

٩- المقامَةُ السَّبْتِيَّة:

حدثنا زهير بَن منصور، قال: دعا علي الأسمري[4] بعض الظُّرفاء، من ذوي المروءة

---

(١) مفلح بن فايز بن سالم (من قبيلة المساردة) . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) من سنة (١٤١٦ هـ إلى سنة ١٤١٩هـ) ، وهو الأخ : جلعد بن عبد المحسن بن شايع الملحم . (ابن مُعَبِّر).
(٣) الدفاتر : بعض مؤلفاتي . (ابن مُعَبِّر) .
(٤) علي بن حسن الأسمري : أديب، وشاعر، وصحفي، ولد سنة ١٣٦٤هـ، ومات سنة ١٤٣٣هـ . (ابن مُعَبِّر) .

والوفاء، إلى مُوافَاته في استراحة الربيع، ليأنسوا بالعصيد والشِّعْر البديع، ولا سيما أن في الجماعة شاعرٌ مَن تمنية، علي بن حسن آل شعيب(١) وبه تطيب الأمسية، يُحَدِّثنا عن أيام الشباب، وما أدركه من مصاولة الصِّعاب، فكأنه يرسم بالكلمات، صورة واضحة القَسَمَات، ولا نشك في نقله وروايته، ونحكمُ بصحّة عقله ودرَايته، بل يُفيضُ علينا من نَبْع لا يَنْضُب، من شِعْره فنَزْدَهي ونطرب، فكأنما تَضَوّعنا بنفحات الأزهار، ولَفَحَتْ وجُوهنا نسمات الأَسحار . ولو أَطاع علي بن حسن الشُّعَيْب فحرَّك القلم، على الطّروس فكتب ورسم، فهو صاحب ذاكرة عالية الجودة والإتقان، فمتى نرى ذلك الكتاب الذي يحفظها من عوادي الزّمَان، ونحن على أمل، فاترك التَّسْويف والكسل .

ياشاعر منح القريض صفاءَ نَفْس صَافيه	أحييت بالشعر الجميل غُصون وَرْد ذاويه
فتسامقت طولاً وعفّ أريجها مُتَباهيه	وسَكَبْتَ ذَوْبَ الروح لم تبخل بأيةٍ قافيه
ألبستها وطن الشموخ فأشرقت مُتساميه	فلكَ التهاني ما حييت بكل خير دانيه

فإذا ألقيت النظر إلى يمين الشاعر، ورأيت علي بن موسى كالأسد الكاسر، قد أوقد النّار للحروب، على عيدَان الغُروب، من الليبرالية أهل الغَثَاثَة، ومن لَفَّ لَفَّهُم من أهل الحداثة، والرُّعب يقدمُ جنوده، والسَّعَدُ ينشر ألويته وبُنُوده، والنصر تحت ظلال أعلامه، وحفظ الله من خَلْفه وأمامه . عَرَفْتُه مُنذ ثلاثة عقود، وهو على المَحَجّة أصلب من الحُيُود، لا يعرف المجاملَة والمداهنة، في سبيل الحق وإن عَظمَت الكائنة، ولا تَظُنَّن أنّه صاحب سحْنَة جامدَة، أو يُحبُّ الجدال والمُعَانَدة، بل إذا قامت الحُجَّة عليه سلّم وأذعن، ولا سيما بالدليل الذي لا يُطْعن، وهو حُلوُ المَعْشر والمُصَاحَبة، ولا يخلو جرَابُه من طرائف المداعبة، يروق له الشِّعْر الجميل فيطرب، ويُنَاوش الشاعر بنَقْد يُجِيدُ فيه ويُعْرِب .

من كلِّ قَوْلٍ لَهُ فصل يُصيبُ به	وكلُّ فعْلٍ لَهُ بالعَدْل ميزانُ
وكُلُّ وَقْتٍ ربيعٌ في خَلائقَه	وكُلُّ روضٍ به في الطِّيب بُسْتَانُ
إذا تكلّم أصْغَى الدهرُ مُسْتَمِعاً	كما يُصيِّخُ لِداعي الماءِ ظمآنُ

وإذا طلبتم من المحاسن ازْديَاد، فهي عند حسين بن زياد، يسعى إلى بذل المعروف، بَشُوش المُحَيّا للصاحب والضُّيُوف، ويأنَسُ به الجليس، فهو نعْم الرّفيق الأنيس . ولا تعجبوا من هذا الثناء، فلَيْلَةُ ابن زياد فاخرة العَشَاء، فترى من الأصناف والأشكال ما لذَّ وطَاب، في صورة الماضي للطعام والشَّراب، فأكرمه الله وجَادَ عليه، بِفَضْله وأحسنَ

(١) علي بن حسن آل شعيب : شاعر، وأديب . (ابن مُعَبِّر) .

إليه . وتَسْرِي اليَعْمُلاَت الهَوادي، إلى فتى الجُود هادي، قد ملأ النفس سروراً، وكان لي بجُدّة قمراً مُنيراً، ويأنَسُ إلى مرأى الشَّمس الغارِبة، وكأنها ذاتُ دَلٍّ هارِبة .

انظُر إلى لون الأصيل كأنّه لا شَكَّ لونُ مُودِّعٍ لفَراقِ
والشمسُ من شفق المغيبِ كأنها قد خَمَّشَتْ خدّاً منَ الإشفاقِ

ثم أصبح من أعضاء السبتية بعد التقاعد، قد أرْخَطَ لسَماع القصص والقصائد، وهو يُحبّ النّقَاش والحوَار، ولا تَرُوقه قهوة البُنِّ بالحَوَار، بشَرٌ يَزيدُ في كأسها وبَهْجَةٌ لا تَنْقص، ومنها المُحَيّا ضَاحكاً يكاد يَرْقُص، جُعِلَت مُهْجَتي وروحي فِداكا، دَعْ قهوة البُنّ تُقَبِّل فاكا، إلاّ إذا كُنْتَ كَمَنْ قال :

وقَهْوتي الحِبْرُ والمِزْمارُ في قَلَمي والعِلْمُ فاكهتي والكُتْبُ جُلاَّسي
طوبى لمَنْ يَتَغَنَّى في مجالسه بلَفْظَة المصطفى عن ابن عَبّاسِ

وإن سألتم عن رفيق الرحلة إلى الربيع، فهو علي بن جار الله الصّاحب الوديع، لا يخرج من منزله إلاّ مع أذان المغرب، وأنا أتَقَلْقَل من البرد وحَضْرتُه يأكل ويشرب .

من صَدّ عَنّي مجازاً صددتُ عنه حقيقهْ
ومن أضاعَ حُقوقي فلستُ أرعى حُقوقه
ومن نأى عن طريقي فلستُ آتي طريقه
ولا يكونُ صديقي ولا أكونُ صديقه

ولست أستغني عن صُحبته لضرورة قطع الطريق، بأحاديثه العَذْبة وأُسلوبه الرَّشيق، وليس يُداني ابن رشيق وابن العَميد، ولكنّه يجري بما أُريد، من الطرائف والنوادر، وله في كل واد مَدَاخل ومَصَادر، يقول الشِّعر كما يقول، ويَرُوغ إن طلبته بيتاً بكلامه المعسول، فهل إلَى شِعْرِه من سبيل، أم دون ذلك قاتل وقتيل .

رحم الله تعالى الأديب الراحل، الذي اختار هؤلاء الأفاضل، فأدلج بهم إلى استراحة الربيع، وتركوا أوكارهم في الجبل المنيع، ذلكم عليّ بن حسن الأسمري صاحب الهُمُوم[1]، نَفْثَة مَصْدُور إلى أهل المنْثور والمنظوم، وصورة ناطقةٌ لمسيرة الأدب في عسير، قد أحسن العَرْض والتصوير، جمع بين الحلاوة والجزالة، وَجالَ وصال بالبَسَالة، لا تَفُلّ غربَ لسانه مطاولةَ الكفاح، ولا تُدْمي هامته مداومة النِّطاح . وليس كتابه هذا بَيضَة الدِّيك

(١) أي كتابه : هموم ثقافية عن المسيرة الأدبية في عسير، طبع سنة ١٤١٣هـ . (ابن مُعَمِّر) .

الفريدة، فعلى الرُّفوف ثَوت آثارُهُ القديمة والجديدة، محزونةٌ تبكي إِلْفُها بَعَبْرَة تَتَرَقْرَق، مات الحبيب فَمَنْ علينا يُشْفِق .

هو البَيْنُ، لا تَعْصي الدّمُوع له أمْرا	فَعُذراً إلى العُذَّال في فَيْضها عُذْرا
وتَعْساً لأحْداَث الليالي فإنّها	مُسَالمةٌ يوماً وحَاربَةٌ دَهْرا
فرَاقُك يا عليُّ لَمْ يَدَّع الهَوى	على حَاله، أو يُجْمَعَ الماءُ والجَمْرا
وَما هيِ إلاّ أدْمُعُ ولَواعجٌ	يُميتُ الغَرَامُ الصَّبرَ بينهُمَا صَبْرا
فمنْ فُرْقة قاسَيْتُها بَعْدَ فُرْقَة	ومن لَوْعة في إثرها لوْعَةٌ أخْرَى
فيَا كَبِدي زِيدي ضَنًى وصَبَابةً	ويا جَلَدي لَنْ تستطيعَ معي صَبْرا

أيها الرِّفاق رِفَاق السَّبْتيَّة، لا رفَاق الثورة الرُّوسيَّة، أَطَلّ علينا شهر الصّيام، فانقطع اللقاء للصيام والقيام، تَقَبَّل الله منَّا ومنكم صالح الأعمال، وها هو العيد يُقْبل بعد ليال، فأسرجوا الخيل والحمير[1]، فقد آن لكم المسير . هذا هو علمي ولكم السَّلامة، من جبل عسير إلى تهامة، وعَجِّلوا علينا بالقهوة السمراء، لتَجْلُو عن النفوس بعض العَنَاء، وأدركوا ذاك ببضع تمرات، فتتم لنا المَسَرَّات، فينتشي الشيخ ابن شُعَيبٌ، ويَنْثُر الورد من غُصْنه الرَّطيب . (١٤٣٤/٩/٢٦هـ) .

١٠. المَقَامَةُ الشُّعَيْبِيَّة[2] :

حدثنا زهير بن مَنصور، قال : حملتني قدماي في رحلة قصيرة، بين أفياء مكتبتي الأثيرة، أفتش عن دواوين الشاعر علي بن حسن آل شُعيب، فأسْفَرت أسفاري عن قريب، وتأبطّت الغنيمة ولُذْت إلى المكتب، أقرأ الصفحات وأُقَلِّب .

وأحَبُّ آفاقِ البلاد إلى الفتى   أرْضٌ ينال بها كريم المَطْلَبِ

فرأيت حياة من تقاذفت به البُلدان، ونَبَّت عنه الأوطان، إذْ تعذَّر عليه المُرَاد والوَطَر، فأغَذّ في الأرض يَرُود المُسْتَقَرَ، فانطلق[3] من تمنية الخضراء، إلى مدينة أبها الفيحاء، فاستقبله مدير شرطة أبها (دَمَّاك) ، وأدخله الحَجْز بتهمة وحاشاك، يا علي من تُهْمة السَّرَق، فما زلت في عُنْفُوان الطُفولة ذات الألَق، فجاء رَجُلٌ من أقصى المدينة يسعى، اسمه محمد السبيعي جزاه

(١) والحمير لا تُسرج . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) نسبة إلى الأستاذ علي بن حسن الشهراني من قرية آل ينفع في شعف شهران من الصحافيين الأوائل، وله كتب مطبوعة ومنشورة . (ابن جريس) .
(٣) سنة (١٣٩٦هـ) . وميلاده سنة (١٣٥٩هـ) (ابن مُعَبِّر) .

الله خير المَسْعى، إذ أخذ الصغير على ضمانته، وآواه في بيته فأطْعَمه وهيّأ مَنَامته. ولأن في الأرض مُتَحَوَّل، وعلى الله مُعَوَّل، فبعد سنة من المُكْث في أبها، ولم يحصل المُراد وما قَهَا، فَحَثّ صاحبنا المَطيّ، إلى الطائف الرَّخي، عَلَّه يجدَ هناك القُوت، ولما أعيَيَت الحيلة طاف بأشرف البُيوت، وقصد مدينة الرياض العاصمة، وربما كانت لرحلته خاتمة.

إيه يا حَجْر يا مدينة أحلامـ	ـي ويا منزل الليوث الكُماة
ها أنا من عسير قد زَفَّني الشـ	ـوق وجاءت تقودني خطواتي
وأراني وثوبي المُبْرَم البالـ	ـي غريباً في هذه العرصات
تتملاّني الشوارع طفلاً	ناحل الجسم تائه النظرات

وطاب له المرتع في (الرياض) العَتيدة، على ما تَحْتَويه من مكابدة للحياة شديدة، فَدَاء العَوَز صعب الشِّفَاء، ومرارة الغُرْبة تَعْرضُه على اللَّأْواء، وتقاذفته صنوف الوظائف والمِهَن، فأفاد بعض الراحة والسَّكن، وأنس بقلمه يجري بشعْره، فأظهر ما كان يُكنّ ويستره، وولَجَ في عالم الصحافة، فألفَ الصُّحْبَة من ذوي اللَّطَافَة، في (الدعوة) و (الجزيرة)، وغيرها من المطبوعات ذات الوَتيرة، فغَنّى لتلك الأيام وترنَّم، وبكى عليها وتألّم. وأعود للماضي مضى تلك السنين الخالية في (مرقب) جمع الصحافة واللطافة ساميه تلك (الرياض) وهذه (دعوتنا) المتباهي هو إذا (الجزيرة) و (اليمامة) غب النُّهى متباريه أيام كان الجمع جمعاً والمحبة طاغيه والهَمُّ .. أن تُبْدع في جَعْل الصحافة راقيه". ثم تحرّك ساكن العَزْم، ولوازم الحياة ذات المطالب بالحَتْم، فكانت الطائف حيث الأمّ الحَنُون، فأقام هُنَيْهة من الدهر في سُكون، حتى إذا اكتمل مَدَى الغُربة عقود، آبَ إلى وكْره (أبها) وهو المقصود، فَمِنْ أبها وإليها تُساق الزَّفرات، وفيها تُسْتَعاد الذكريات.

يسير بي هاتف الماضي ويلهمني	وللجوى في حنايا النفس إصرار
مسافر في فيافي الأرض قافلتي	تستاف من شجن الماضي وتَشْتار
يا دار هل تذكريني اليوم يا دار	طيف سرى في حناياك وأسرار
يا دار يا زهرة العُمْر التي ذبلت	حزناً طواها من الأحداث إعصار
أبكي وتبكين أياماً لنا سلفت	لها على شجن التسهيد آثار

ومع هذه العودة السعيدة والحزينة في آن، ففي أبياته السابقة تنساب دموع الأحزان، مقرونة في قرارة نفسه بالأفراح، فقد عاد إلى الليالي الملاح، وعندما تُمْعن النظر في الضدّين نرى الموقف العَصِيّ، ولا تنتهي مرارة الحياة وآلامها، فما زالت تَرْفِدُه من

إنائها، ولكن حَبَاه الله من فضله، فأسبل عليه الرِّضَا والقَبُول بما كُتب له، وانْطلق في رحاب الشِّعر يسوق ركَابه، وينسى في غمَار الناس ما أصابه، ويطوي صَدْره على رَهَق، وإنْ بدا بعض ذاك على الورق، وهو يُناجي أم البنين، حَنَانيك ألاّ تفعلين، وإلاّ ..

ولا تجعلي الأيام ضيقاً وحَسْرَة	تزيدي بها هَمّي وينفجر الصّدْر
على ما أعاني من رَواز كثيرة	على ضفّة الأيام ضاق بها الصبر
(ولم يبق في الأعمار مَدٌّ لراغب)	تحيط بها اللأواء كَبّلها الدهر

وما كاد عُمْره يُشارف السّتين، حتى أخذ في نشر الدواوين، كأنه يخشى على حصاده عَبْر السنين، أنْ يضيع في غَمْضة عَيْن، فخرج علينا الديوان الأول المطبوع، بعنوان: (شموع ودُمُوع) [١]، وفيه :

دُنْيا من الأحلام وَرْديّة	في ناظر المكروب تزهو شباب
ويُصْبح الصُّبح فإذا بها	الواقع المحسوس وهم سراب

ثم يُقبل كتاب عن شاعر تمنية الخضراء، علي بن يحيى المعروف بابن بَرْقاء، بعنوان: (شذا الوفاء) [٢]، وهذا الصنيع يستوجبُ الاحتفاء والثناء، ولله دَرُّك في ابن عَمِّك، إذ أحييته بهذا الكتاب وأزلت هَمّك، ولا تضيرك مقالة حاسد، فأنت في سويداء القلب قاعد، وأجزل الله لك المثوبة وحُسن الجزاء، على هذه الصفحات المُشعّة بالضياء، وستبقى بإذن الله رمزاً على الوفاء. وَيَدْلفُ الديوان الثاني في حُلّة حَالِيَة، بعنوان : (مشاعر من تمنية) [٣]. ولهذا الاسم في النَّفْس إيقاع، فهو يحمل رَسْمَ بَلد من أحبّ البقَاع، فقد حَبَاه الله بآيات الجَمَال، وأفاض فيه الماء من صُمّ الجبال . وترجم الشاعر في ديوانه عن شُعوره ما بين جدٍّ وضَاحك، يَزفُّ التَّحايا بين الجموع فيُهَلِّل ويُبارك، ويَتَنَقّلُ بين الخمائل الخضراء، فيُعَطِّر المحافل والأنحاء، بذَوْب فؤاده الحنون، وترانيم لسانه المَصُون، عن كل ما يُشين، فيحلو النَّغَم في الأذن ويستكين .

رعى الله ليلات تَقَضّت بأُنسكم	قصارا وحيّاها الحَيَا وسقاها
فما قلت آه بعدها لسَامر	مَن الناس إلا قال قلبي واها

---

(١) طا : ١٤١٨هـ . ط٢ : (١٤٣٠هـ) . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) طا : ١٤١٨هـ . ط٢ : (١٤٣٠هـ) . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) طا : ١٤١٩هـ . ط٢ : (١٤٣٠هـ) . (ابن مُعَبِّر) .

ويتدفق غناء الحُدَاة، من ديوان (نبع الحياة) [١]، وفيه أناشيد الحياة، حياة الشاعر من ذُرى تمنية الخضراء، حين همّ بالرحلة في طلب الغذاء والكساء، فبلغ الرياض وهو طَرِيُّ العُود، فلاحت له هناك بيارق الهناء والسُّعُود، ثم شدّ العَفْش إلى الطائف، حتى بدا له من الشوق طائف، فآب إلى مسقط الرّأس، بعد أن جاس وحاس، وهكذا رسم حياته بالأناشيد، مَمْهُورَة بالشَّوق والتناهيد . ومن نبع الحياة نقرأ النشيد الثاني:

بَيْني وبَيْنَك ميعاد ومُنْتَظَرُ ... تقول والدتي، أهَمَّها السَّفَرُ
الهَمّ أقلقها والخوف أرّقها ... ودَمْعُها كصبيب القَطْر يَنْهمرُ
عُدْ لي كما أنت وضّاءً ومُلْتَزماً ... نهج الصلاح ففيه النّجْح والظّفَرُ
فَقُلْت : لا تقلقي يا أمّ إنّ لَنا ... لا تنتهي العَين حتى ينتهي الأثَرُ

عفا الله عنك فقد ذَكَرت فأبكيت، وأنشدت فأشجيت، ونَبَع الدَّمْع بل انهمر، فمن حاد عن ذا فقَلْبُه قُدَّ من حَجَر، (بَيْني وبَيْنَك ميعاد ومُنْتَظَرُ) ، يخرّ لها قَلْبي ويَنْفَطر، كيف لا وأمّي كأمّك في مَهْيع، وكلانا من كأس الفِراق يَنْزع، وقد جَدَّدْت بذكر الأمّ علاتي، وأثرت بنشيدك لوعاتي .

ذكرتُ، ولكن كحُلْم الكرى ... أموراً تَقَضَّت زمانَ الصِّغَرْ
غداة أدبُّ دبيب النِّمال ... وحولي تدبُّ ظروف القَدَرْ
أُتَعْتع لا مُفْصحاً كلْمة ... فتحسب أمّي كلامي دُرَرْ
وأبكي فيضجر بي والدي ... وليس يُلمّ بأمي الضَّجَرْ

يا أبا فيصل [٢]، أتذكر الشاعر زكي قنصل [٣]، ذلك الشاعر الذي صَاغ قصيدة (رسالة إلى أمي) ، فكانت السبب في حَرَاك قلمي، فأنْشَأ كتاباً أفاخرُ به في مغاني الأدب، (إلى أمي) [٤]، جمعتُ فيه شعْر العرب، وأراك الآن تُحدُّ النَّظَر وتُطيل، إلى (رسالة إلى أمي) فهَاكها كالسلسبيل من الأرجنتين تَمْخُر في البِحَار، فاقرأ وخَلِّ دَمْعَ العين في انهمار .

---

(١) ط١ : ١٤٢٢هـ، ط٢ : ١٤٣٠هـ . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) علي بن حسن آل شعيب . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) شاعر مهجري، ولد في يبرود بسوريا سنة ١٩١٩م، هاجر إلى الأرجنتين، وله دواوين منها : أشواك، أوتار قلب، شظايا، نور ونار، وله كتب نثرية مطبوعة . (ابن مُعَبِّر) .
(٤) كتاب (إلى أمي : الأم والأمومة في الشعر العربي) مُعَدٌّ للطبع يقع في نحو (٧٥٠) صفحة . (ابن مُعَبِّر) .

جـــدّدت بـالـتـعـلـيـل عــلاَّتــي ... وأثـــرتَ بـالـتـسـويـف لـوعـاتـي
كـم ذا تــواعــدُني ولَا أمـــلٌ ... وأظـــل كـاتـمــةً شـكـايـاتـي
أنـسـيـتَ خـلـف خُـطـاك أدعـيـتـي ... ومحـــوتَ مـن عـيـنـيـك قـبـلاتـي؟
وتـركـتـنـي في قـلـب عـاصـفـة ... هـوجـاء أخـبـطُ في المـتـاهـات
الـلـيـل يـطـويـنـي ويـنـشـرُني ... وأنـــا أدافــعـــه بـزفــراتـيَ

إلى أن قال :

يـا ابـنـي قـسـوت وخـانـنـي جـلـدي ... هـــلا ســتـــرت عــلــيّ زلاتـــي
إني اخـــط رســالـــتـي بـدمـي ... وأســـلُّ مـن جـرحـي عـبـاراتـي
إن لم يـكـن في الـعـود مـن أمـل ... رحـمـاكَ .. لا تُـهـمـلْ خـطـابـاتـي[1]

وأعـود بكـم إلى التِّجْوَال والمسير، لنَبْلُغ ديوان (وحي الضـمير)[2]، فهناك لأبي فيصل صـولات وجولات، في دُنيا المحافل والمَسَرَّات، يسـتقبل بشعْرَه فلذات الأكباد[3]، ويرقص مع العرْسان الأجواد، ويحتفي بالرِّجال والمنشآت، في عَالَم الطّب والصناعات، ويعْضُـد من أَسَـرج خيـل الغـواني، وسـار في ركاب الزَّواج الثـاني، وهو نفسـه الذَّليل الخائـف، من أمّ فيصـل والقذائف، فيطوي عنها ما نَشَـر في المحافـل، ولا يُبديه خوفَ العقـاب العاجل . ولا يخلو المقام من حفلة وَدَاع، لمن تقاعـد وخَلَّف العرَاك والنِّزاع، وهو لا ينسـى أفراح الوطن، فيُزجي إليها أهازيج الرّوض الأغن . والديوانَ برُمّته في أغاريد الحياة الاجتماعية، سـوى بعض الشوارد ذات الجاذبية . وآخر العنقود أو المَطَاف، فيما طُبِع من الدواوين اللِّطاف، سِفْرٌ حوى من شعْره الطّلي، وسَمّاه (بين الشَّجيّ والخَليّ)[4] يشكو فيه ويَعْتَب، ويُدَاعبُ بهَ ويُطْرب . ويركَب (الإِسيزو) في الرحلة المجيدة، إلى بلاد اليمن السعيدة، ولا بُدَّ مَن صنعا وإنْ طال السَّفَر، وأختها (تَعز) بأكنَاف صَبر[5]، حيث الجمـال الباهر الفريد، يُعانق السـحاب وهذا ما يُريـد . وآذَنَ حارس الروض بالرّحيل، ولم يَبْـق لنا إلاّ الوداع الثقيـل، على أمل بأن يُحقّق ابن الشُّـعَيْب الأمنية، فَيُخْرِج كتابه (مشـاهد وشـواهد من تمنية) ، فقد طـال الانتظار، وهو على الرَّفّ عَـلاه الغُبار، مع شقيقه في القيد أسير، أعني كتابه (إبداع من عسير) . وبَعْدُ : هذا الذي سرى، لا يكاد

(١) إلى أمي : الأم والأمومة في الشعر العربي، محمد بن أحمد مُعَبِّر، ص ٤٩٠ . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) ط١: ١٤٣٣هـ . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) التهنئة بالمواليد . (ابن مُعَبِّر) .
(٤) ط١ : ١٤٣٤هـ . (ابن مُعَبِّر) .
(٥) جبل صبر المطل على مدينة تعز . (ابن مُعَبِّر) .

يَطْلُب إلاّ القِرَى، هصـرته الحياة هَصْراً، وذاق صنوف العَوَز دهراً، يعيش بيننا كأسعد السُّعَدَاء، ويمنحنا من الشِّعْر فَيْضَ العطاء، بادي البشاشة والوضاءة، لم يَكْتَحل بميسم التَّقْطيب والفضـافة، والْتَحَف الصـبر، وأغلى لـه المَهْر، فهو يَطْـوي في جوانحه مرارة اللّوعَة، ويحبس في ثنايا عَيْنَه دَمْعَة، ولَعَمْري إنّ هذا من الشِّـيَم النَّوادر، ولا يُطيقها إلا الكواسر. وأسأل الله تعالى أن يَعْمُرَ بالإيمان صَدْرَه، ويرفع بالحسنات قدره ويُسبل رِداء السّتر عليه، إنه وَلِيّ ذلك والقادر عليه. (٢٩/١١/١٤٣٤هـ).

١١. المَقَامَةُ الصِّنَاعيَّة

(الصناعات والحِرَف في خميس مشيط)(١٣٨٧ – ١٣٩٧هـ)

قال زهير بن منصـور: ممـا وَرِثْنَاه عن أسـلافنا مَقُولَةً كالذَّهَب المُنَضَّـد، قالوا: (الصَّـانع البَيْطَار مَفْقَد ثـم مَفْقَد ثم مَفْقَد)، ويُريدون بذلك عنـد خُلُوّ البلد من أهل الصِّـناعات، فالحاجة إليهم قائمة في كلِّ الأوقات، ولله دَرُّ هؤلاء الأسلاف، فقد نطقوا بالحق والإنصاف، وأدْرَكْتُ مدينة خميس مشيط من نحو أربعين سنة[1]، وأكثر أصحاب الصناعات والحِرَف من أهل المنطقة، أو من بعض المناطق المُجَاورة، حتى عُمَّال البلدية في نظافة الشوارع والأحياء العامرة.

وللصـناعات الحديديـة مـكان يجمع أصـحاب المهنة، فلا تسـمع فيه إلاَّ أصـوات المطـارق والطّنْطَنة، ويقع هذا المكان إلى الجنوب من المسـجد الجامع الكبير، ولا أذكر عدد المحلات فذلك الآن عسير، والمهم أن نذكر الأدوات التي يصنعها أهل الفَنّ، فمنها (المِحْمَاس) الـذي يُحْمس فيه البُنّ، و (الجَـزَّة) مَقَرّ الجمر للتدفئة وإعداد القهوة، ولهذه الجَزَّة أشـكال مربعة ومسـتطيلة ومُدَوّرة فيها متانة وقُوّة. ومنها (المِسْحَاة) و (الكَزْمَـة) و(المُخْرَش)، وكلهـا تسـتخدم في الزراعـة والبنـاء وما يَحتـاج من حَفْر ونَبْش، و (الفأسـ) لقطـع الأخشـاب، لا يسـتغني عنـه حَاطِبَـة وحَطّـاب. ومنهـا (الملْقَـاط) للَقْـط الجَمْـر، و (الشَّـريم) لحَصْـد المزروعـات من قَضْـب وذرة وشـعير وبُـرّ، و (المَجْنَـب) لتسـوية تربـة الـزَّرْع، و (العَتَلَـة) لتحريـك الأحجـار والقَلْـع، و (القَدُّوم) لصـانع الأخشـاب، وهذا من التكامل الصـناعي بين الأصـحاب. ومنها (الكَبْشَة) و (المُخْرَاص) و (الصَّاج)، وكلها من أدوات المطبخ بلا لجَاج. ويصنعون كلّ ما في (اللُّومة) من حديد، واللُّومة جهاز الحَرْث للمُزَارِع المُجِيد، وكذلك (الإزميل) و (المِرْزَبَّة) و (الشَّقُّوف)، شاهدت كل ذلك بالعيان والوقوف. ونُكْمل الرِّحْلة إلى مُجَمّع

---

[1] نحو سنة ١٣٨٧هـ. (ابن مُعَبِّر).

الإصلاح والصِّيَانة، مُقَابل مدرسة مسلمة بن عبد الملك إنْ بقي في الذَّاكرة زكانة، حيث تَصْطَفّ المحلات على جانبي شارع صغير، قد جلس المُعَلِّم أو المُصَلِّحُ على الحصير،وبين يديـه (الطَّبَّاخة) يُعالـج ما بها من الجرَاحـات، وهي آلة تَعْمل بالقاز وتسـتخدم لطبخ الطعام والمشـروبات. وشقيق الطباخة (الدَّافُور) ولصَوْته هَريب، أي صوت قَوي رَتيب، وهو أقوى ناراً وأسرع إنضاجاً، قبل دخول أفران الغاز وُحْدَاناً فأفواجا.

ومن أدوات الإضاءة حينذاك (الفَانُوس الهندي)، ثم (الإِتْريك) شيخ الكهارب المُتَفَنْدي، ولكنه سَـلَّم المشيخة للكهرباء وسار في القُرَى يَتَخَشْخَش، حين أقبلت اللَّمْبَات والنَّجَف وماكينتها لصـاحبها ابن مُقَرْمش، والأسـلاك في الشوارع مَطْرُوحَة، وقد تُعَلَّق علـى أطـراف الجـدران كالأرجوحة. ولن نَنْسـى المواطير التـي تنـزح المياه مـن الآبار والغُـدْرَان، والطُّلُمْبَات اليدويـة لرفع الماء إلى الحَنَفية من الخَـزَّان . وكُلّ هذه الأدوات والآلات، ليس لها وكلاء ولا فروع شـركات، حتى تقوم بالإصـلاح والصيانة، فَهُنَاك من أهل البلد من قام بهذه المُهِمّة بإخلاص وأمانة. وللأسـلحة البيضـاء النصـيب الوَافر، فهناك محلات لصـناعة وإصلاح الجَنَابي[١]، والسَّكاكين والخناجر، وصناعة الأجفَان لها والمحَازِم[٢]، وجميع ما تحتاجه من لوازم .

ومن الصِّنَاعات ما يكون حَسَب الطَّلَب، فترى الصُّنَّاع يرتادون القُرَى ولهم رُتَب، فصانع العُود[٣] ،وهـو النَّجّار، وصـانعُ السَّـيْر لصـناعة الملاحف والقـرَب والغُروب للآبار، وصـانع الفَريقة وهي البسَاط، وتصنَع من صوف الضأن وشعرَ الماعز ولهم في ذلك من الفَنّ ما يبعث على السـرور والانبسـاط، ويُرَدِّدون أنشودة مليحة فريدة، إذْ يهزجون : (ما عَبَيْتُوا في المسْقَف عَبَيْنَا في الفَريقة)، أي إن أحسـنتم في صُـنع طعامنا، ظهر ذلك في جودة أعمالنا، وإن حصل التقصير من المُعَزِّبة وعدم الاهتمام، فستحصلون على فَريقة مُخْتَلّة الجودة والإحْكام .

أما صـانع الخَصَف، فيصـنع الأوعية والقُفَف[٤]، ويصـنع (الجُونَة)[٥]، و(المِكْتَل)[٦]،

---

(١) الجنابي : مفردها جَنْبيّة، وهي سلاح أقصر من السيف وأكبر من السكين . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) المحازم : مفردها محْزم، وهو الحزام على وسط الرَّجل . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) العود : الخشب . (ابن مُعَبِّر) .
(٤) القُفف : جمع قُفّ ؛ وهو وعاء لحمل الطعام وغيره . (ابن مُعَبِّر) .
(٥) الجونة : وعاء دائري له غطاء هرمي ؛ لحفظ الخبز ونحوه . (ابن مُعَبِّر) .
(٦) المكتل : وعاء كبير لحمل التِّبن، وأكواز الذرة، والتراب . (ابن مُعَبِّر) .

و(المُطْرَح)[١]، و(الطَّفَشَة)[٢]، و (المهْيَان)[٣]، وقيل في الأمثال عن فرحة الخَصّاف حين تطغى الأودية على المزارع بالطُّوفَان، (خصَّاف تنْدحة يفْرَح بالدَّمار)، وشرح هذا المثل باختصار، أنّ سيول الأودية تطغى على المزارع، فتمتلئ بالرمل وبعض القَرَابع[٤]، فَيَعْمدُ النّاس إلى تنظيف المزارع وإزاحة الرمال بكل همَّة واقتدار، وليس لهذا إلاّ أوعية كالمكاتل والزَّنابيل الكبَار، فيحتاجون إلى الخَصَّاف وصَنعته، ولذلك لا تتسع له الدُّنيا لفَرْحَته، فَضُرب به المثَل، فيمن يفرح بضَرر غيره ليَنَال نفع نَفْسه دون خَجَل .

وأُحَدِّثكم عن حرْفة الجزَارة، فلها سُوقها المُسَمّى المَجْزَرة أو المجْزَارة، وكان في جهة الركن الجنوبي الغربي، للجامع المعروف عنْدَك وعندي، ثم استقرت المجْزَارة أمام مدرسة مسلمة بن عبد الملك، ولها محلات واسعة لكُلِّ جَزَّار ما يكفيه دون ضَنَك، وكلهم من أهل البلاد، ويَعْرضون من اللَّحم ما تَقَرّ به العَين ويُفْرح الأولاد، ولعدم وجود الثلاجات والبَرَّادات، فالشِّراء بالأقَّة وأنصاف الكيلوجرامات، فَيُطْبَخ اللَّحم ويُكْنَزُ المرق في القُدور، وتَحْضُر العَصيدة فلا تَسَل عن الفرحة والسُّرور، وفي اليوم التالي يُسَخَّن المرق وتُصْنَعُ العصيدة، وليس للَّحم فيها سوى ذكريات الأمس السَّعيدة، فما ألَذَّ اللَّحم في هاتيك الأيام، إذْ لا شعير ولاَ أسْقَام، فالمراعي على مَدِّ البَصر، والسماء تَزُخّ بماء مُنْهَمر، فتسرح المواشي تأكل من خيرات المَرْعى، وفي الأرض أشكال النبات مما فيه صحَّة المرضى، وإن زادوا لها فالقَضْبُ والعَجُور، طازج من المزارع ليس فيه محظور . وإنْ سألت عن الملابس والخيَاطة، فلا تخلو خميس مشيط والقُرَى من أفانين البراعة والإحاطة، ويقوم بالخياطة الرجال والنساء، فمن ملابس الرِّجَال (الثوب) المعروف بلا خَفَاء، و (المُفَرَّج) أو (المُدَوْلق) واسع الأكمام، فإذا لبس الحزام كَمُل الهنْدَام . وللنساء (الثوب العسيري) أو (المُزَنَّد)، مُنَوّع الألوان من أزرق وبنفسجي وأسود، مُحْكَم التطريز ولا سيما بالخيوط الصفراء، فَضْفَاض لا يُجَسِّد المستور لكل حسناء، ثم جاءت (الكُرْتَة) فيها حِشْمَة وأنَاقَة، خالية من الإغراء والخلاعة .

أما الصِّنَاعة الطبية فَعمَادُها الكَيُّ والتَّجْبير والحجامة، وللأسنان (كَلْبة) وهي المعروفة باسم الزَّرَّادِيَّة أو الكَمَّاشة، والحاجة إلى الكلبة نَادرَة، إذْ سَلِمَ الأطفال من

---

(١) المطرح : وعاء يشبه الصحن لتقديم الخبز أو اللحم . (ابن مُعَبِّر) .

(٢) الطفشة : غطاء دائري للرأس في وسطه تجويف للرأس، بينما تمتد الأطراف في دائرة قطرها في نهاية الكتفين . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) المهيان : سُفرة دائرية تصنع من الخوص . (ابن مُعَبِّر) .

(٤) القرابع : جمع قُرْبعَة، وهو الشيء الذي لا فائدة منه . (ابن مُعَبِّر) .

الحلوى الغَادرة، فيعيش الإنسان إلى سنّ التسعين، وأسنانه كاملة لا تَعْرف التَّسَوّس والأنين . وللعَطَارَة دُكَّانُها المشهور عند القاصي والدَّاني، وصاحبه عمر المَرْوعي الجيزاني، ثم أصبح للبلد (صيدلية الكلالي)، كأول صيدلية إن صَحَّت من ذاكرتي الأمالي . وأسّس المستشفى العسكري كأول منشأة طبية، ومكانه إلى الغرب من مبنى البلدية، ثم المستشفى المدني[١] وشرّف الافتتاح في يوم مشهود[٢]، الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود[٣]، وعَرَفت خميس مشيط العيادات الخاصّة، كعيادة الطبيب عبد السلام حمام للأمراض عامّة، وعيادة الطبيب أصغر مرزا من الباكستان، وعيادة أعظم لطب الأسنان بل خَلْع الأسنان . وهذه حكاية الطّب مختصرة، جَلَبتُها من ذاكرة مُقَصِّرَة .

أمّا فُنون الخط والإعلان، ففارسها محمد باحص من شهران، لوحاته معروفة مشتهرة، وصرْنا نُقَلِّدها ونضع التوقيع (باحص) كماركة مُسجّلة مُعتبرة، ولا تسألوني عن موقع دُكّانه، فقد نسيت مكانه، رغم الزيارات الكَثيرة[٤]، ولكنّها الألوان بهرت عيني فَمَحت البصيرة .وعَرَفْنا طَعْمَ خبز (التَّميس)، كأول مَرَّة في الخميس، في فرن التَّمَّاس اليماني حَسَن، وإن سألت عن الثَّمَن، فَرِيال واحد تشتري به خمسة أقراص مُقَمَّرَة، ثُمَّ تتجه إلى الفَوَّال (مُثَنَّى) بكاسَة أو طَاسَة مُقَعَّرَة، فيملأها بنصف ريال، بما يكفي عَشرة من الرِّجَال . ومن أشهر السَّاعات اليَدوية، ما يُسَمَّى بساعة الصليب الفضِّيَّة، ومنها ساعة الجَيْب، وهي أقل انتشاراً من ساعة الصليب .ولَعَلّ (سيف عبد العَزيز) صاحب أول محل لإصلاح الساعات، فلا أذكر غيره مهما عَصَرْتُ الذكريات . أيها القارئ اسْمح لنا بفاصل، ولك الوَعْد بأن نستذكر ونواصل، فللحديث بقية، وعليك الهديّة، ولو بفنجال قهوة وَصحن تَمْر، بشرط إعدادها على الجمر . (١٤٣٣/٢/٢هـ) .

١٢. المقامة (ضوء القنْديل في مُعَلِّم الجيل)

حدثنا زهير بن منصَور، قال : أسيّارتي نحو الربيع سيري، إيّاك أن تَحيدي أو تَحُوري، فالرِّفاق وقهوة البُنّ في انتظاري، ولَسْتُ وحدي فَثَمّ إلى جوَاري، علي بن جار الله رفيق الرِّحْلَة، وأنيسُ الدّرْب في الطَّلْعة والنَّزْلة، لا يَنْضُبُ معينُه من الهَدْرَة، ولا يُنيل السّامع من شِعْرِه شَذْرَة، قد أغلق عليه المِخْوَال[٥]، وحَصَّنه بأشَدّ الأقفال .

---

(١) سنة ١٣٩٧تقريباً . (ابن مُعَبِّر) .

(٢) سنة ١٣٩٨هـ . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) كان وزيراً للداخلية حينذاك . (ابن مُعَبِّر) .

(٤) برفقة الأخ الزميل سعيد بن عبد الرحمن باحص المتوفى سنة ١٤٠٢هـ تقريباً رحمه الله تعالى، وهو شقيق محمد باحص.(ابن مُعَبِّر) .

(٥) المخوال، المُستَودع . (ابن مُعَبِّر) .

وفي الشِّعْر إحياءُ النُّفُوس وريُّها وأنتَ لريِّ النَّفْس أعذبُ مَنْبَع
فَنَبِّه عقولاً طال عهد انتظارها وأفئدةً شُدَّت إليها بأنْسُع

و (عَليٌّ) هذا رابع أربعة من أهل المُنْتَدى[١]، انخرطوا في سِلك التعليم وعَانُوه مَدَى، حتى أدركهم العناء والتَّعَب، فكان التَّقَاعد نِعْمَ المُنْقَلَب .

إنِّي لأعذركم وأحسب عبئكم من بين أعباء الرِّجَال ثقيلا

وهذا البيت لأمير الشعراء، أحمد شوقي بلاَ مراء، من قصيدة (قُم للمُعَلِّم)، قصيدة أشهر من نار على علم، لو أنْشَدتَ شطرَ مطلعها (قُم للمُعلِّم وفِّه التبجيلا)، لردّ عليك جَليسك (كاد المعلم أن يكون رسولا) . وأثارت هذه القصيدة (إبراهيم طوقان)، وهو المُعَلِّم الذي اكتوى من التعليم فترة من الزَّمَان، فصبّ جامَ غضبه بمكنون صَدْره، بقصيدة بكى فيها المُعَلِّم وهَوَان قَدْره .

شوقي يقول، وما درى بمصيبتي (قم للمعلّم وفّه التبجيلا)
اقعد فديتك، هل يكون مُبَجّلاً من كان للنشء الصِّغار خليلا

حتى يقول في آخرها :

يا مَنْ يُريد الانتحار وجدته إنّ المعلّم لا يعيش طويلا

وكأنه استشرف المستقبل فقَضَى، قبل أن يبلغ في العُمْر مدى . وفتحت مجلة (المعرفة) [٢]، الغرّاء، صفحاتها لبعض المعلمين من الشُّعراء، فجادت قرائحهم بذوب المشاعر تَتْرَى، ولأنهم من صِنْف المعلمين فهم بما يقولون أدْرَى، ثم قامت مجلة (المعرفة) بوضع ذلك في كتاب ضم جميع المعارضات[٣]، وهذا الصنيع من ثمارها اليانعات، وأولى هذه المعارضات لشاعر[٤] سار على مذهب طوقان، بقصيدة دافقة بالألم والشُّعور بالخيبة والخسران، فأنَّ وما حَنَّ، وخاطب الإنس والجنّ، فقال :

هل كنت يوماً في الحياة رسولا أم عاملاً في ظلها مجهولا

---

(١) المنتدى : الأحدية في استراحة الربيع في أسفل عقبة ضلع . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) مجلة تصدر عن وزارة المعارف السعودية (وزارة التربية والتعليم حالياً) . (ابن مُعَبِّر) .
(٣) بعنوان : (قم للمعلم : قصيدة وشعراء) وضم (١٨) معارضة، مع قصيدتي أحمد شوقي وإبراهيم طوقان. (ابن مُعَبِّر) .
(٤) الشاعر السعودي محمد الثبيتي . (ابن مُعَبِّر) .

إلى أن قال:

يا موقدَ القنديل نبض فؤاده ... احذر فؤادك واحذر القنديلا
فارفع بفكرك للشباب منارة ... واربأ به أن يطلب التبجيلا

ولم أدرج القصيدة بكامل نَصِّها، وإنما يَدُل على كُلّها بعضها، ويُعَدُّ البيت الأخير، أحْكَم بيت في تقرير المصير . وقد أجاد سلمان بن زيد الجربوع، في سَبْك (الأمانة) كفاية لكُلِّ مُعَلم قَنُوع، حيث قال :

قُل للمعلّم إنْ أردتَ قبولا ... قُمْ للأمانة وفّها التبجيلا

ويُثير أحمد بن نجا الرحيلي غُبَار القضية، في منع عقوبة الضرب لتصبح النتيجة عَكْسِيَّة، فالطالب يضرب المعلم ويذيقه الحسرة والبؤس، وإيّاكم يا صنف المُعلّمين من العكس .

فترى المعلّم صار (قطّاً) وادعاً ... وترى الطُّويلب صار حقاً (فيلا)
رفعوا العصا فظننت أَنْ ستكون في ... كفِّ المعلم كي يَطبَّ عليلا
فإذا بها رأسَ المعلم ترتقي ... لتصبّ من دمه كَسَيْل سيلا
وإذا اشتكى قالوا لعل وربما ... وإذا اشتكى الطُّلاَّبُ باتَ ذَليلا

وشتان ما بين القط والفيل، إذ جَرَت المقارنة بين السمين والهزيل .

بهذا التواضع أو التنازل عن التَّبْجيل، يُسَجل سعد بن حمد موقفه ثم يعود بنا إلى الفيل، فيقول :

ما للمعلّم قيمة في عصرنا ... بل صار في عصر الرَّخَا مغلولا
ضاعت كرامته بصفعة جاهل ... جعل النظام عليه سبيلا
هذا يُهَان، وذاك يُعْطَى لكمة ... ما بالمعلم، هل يصارع فيلا ؟

ولا أظن أن رفاق الأحدية، يَطْرَبُون لهذه المقامة المدرسية، فقد وُضِعَت عَصَا التِّسْيار، ولاذوا عن التعليم بالفرار، وأَخْلِي الطَّرَف، وبان فيهم الخَرَف.

اليوم أخليت الطَّرَف ... صار المكان للخَلَفْ
الحمد لله الذي ... سدَّدَ خطوي ولَطَف
كم مَرّة دعوته ... يكون جنبي، فوقف

ولا مَنَاص لكم من ذكريات المدرسة، فكم فيها من حكايات مُكَدَّسة، أفضتم في

الحديث فيها، ولم تتركُوا لنا من الكلام إلاّ إيها، أتعجزون الآن عن سماع هذه المقامة ؟؟، وقد رماكم المقدور في تهامة، حول العَصيد والمَرَق، وأفواهكم مثل النَّفَق، في اللَّقم والسَّرْط آيات لكم عَجَب، صَحْنٌ يَفْرُغ وآخرَ يُرْتَقَب . ولا بأس أن أسْمِعَكم بعض الأبيات، عن (يوم المُعَلِّم) على أنغام قضم اللُّقَيْمَات .

خطرت تجرّ على الوفا أذيالا	عذراء تزهو فتنة وجمالا
هي فِكْرة الإخلاص بل أنشودة	عذبت على سمع الزمان مقالا
يوم المعلم صورة من نسجها	وإطارها من فيضه يتلالا
يوم نُحَيّي فيه أنبل عامل	في حقل أشرف مهنة تتعالى

وهَا قَدْ أصبحت السُّفرة قاعاً صَفْصَفا، والشاي في البَرَادِق[1] قد صَفَا.

وعلى نَغَمات الرَّشْف[2]، بعد تَمَامِ النّشْف[3]، انْبَرَى من الجماعة، شيخ حُلْو البَراعة، له مع السَّمْت الحسن، ذلاَقة اللَّسَن، وهو ابن حسن[4]، وقال : جُزيتم خيراً، وَوُقيتم ضيراً، فأنتم ممن لا يشقى بهم جليس، ولا يصدر عنهم من الكلام خسيس، كالشجرة تُهَزّ فَتُلْقِي ثمارها، وتُسْتَرَاد في الهَاجرة فيطيب ظِلالُها، وقد قرأت في ديوان (الروض الملتهب)، للشاعر الرَّاحل أحمد سالم با عَطَب، قصيدة بعنوان (المعلم والحياة)[5]، وأحِبُّ إنشادها قبل السُّرَى إلى السَّرَاة . وقال في مطلعها :

يا رافعاً بيديكَ مصْبَاح السعادة للشبَاب	يا غارقاً بين الدفاتر والمحَابر والكتَابْ
يا فاتحاً للطّامِحَين من الثّقَافة كُلَّ بابْ	لا تُلْقِ نَفسَك للوساوِسَ يَسْتَبِدُّ بها العَذَاب

فيا أيها المُعَلِّم : دَع الأحزان، ولُذْ بالخالق الرحمن، الذي حفظكَ من مذهب إبليس، ورعَاك في زمن اَلتَّدْريس، ثم جعلك من المتقاعدين الأحرار، تَجُوس خلاَل الدِّيار والقفَار، ثمّ تأوي إلى مُنْتَدى الرَّبيع، في ثُلَّة يروق لهم الشِّعْر البديع، لاَ ترى منهم إلاّ السَّامع المُطِيع، وليس ثَمَّ قَدْمٌ أو رَقيع، ثُمّ قوموا إلى السَّير نحو العَقَبة،

(١) البَرَادق : جمع بَرْدق، وهو الفنجال المعروف . (ابن مُعَبِّر) .

(٢) الرَّشف : شُرب الشاي . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) النَّشْف : شُرْب المَرَق . (ابن مُعَبِّر) .

(٤) علي بن حسن آل شعيب . (ابن مُعَبِّر) .

(٥) قال با عطب في تقديم هذه القصيدة : إلى الذين يبنون الشعوب بأيديهم دون أن يدركوا التقدير الذي يستحقونه فتطوف على حياتهم ظِلال من اليأس . (ابن مُعَبِّر) .

فنريـح الرأسـ والرَّقَبـة، على وسَـادة من العُطْـب[١]، وقاكـم الله المخـازي والعَطَب. (٢٠/١١/١٤٣٤هـ).

١٣ـ المقَامَةُ العُضَاضِيَّـة

حدثنا عبد الرحمَن بن منصور[٢]، وقاه الله تعالى من الشُّرور والعُثور، قال: جلست يومـاً حول الصَّـلَل، أرسـم على الرّمـاد خُطَة العمـل، للبحث عن وظيفـة تليق بالمقام، وتمـادت الصُّـور والأحـلام، فبلغت بي إلى منصـب الوزيـر، وتحت يـدي مدير مكتب وسـكرتير، وحملت أحلامي في الملف الأخضـر، ودَحْدَرت من أبها إلى لَعْصَان، ومَطيّتي (العَرَاوي) ولها قَرْبَعة تَصَمُّ الآذان، وذَيلٌ من الدُّخَان تَنْفُثُه على بُعد ميل، فَقُلت لها لم يبق إلاّ الجميل، فها هي شـركة الكهرباء تلوح في الأفق، وإليها تنتهي الأحلام والطُّرق، وبعـد عشـر دقائق بالتَّمَام والكمال، كنـت أقف مرتجفاً أترقب، فابـن عَدُّوس ينظر في مَلَفّـي ويُقَلِّـب، ثـم نظر إلي نَظْرَةً وقفَ منها شَـعَرُ رأسـي، ولم أعُد أعرف الماصَـة من الكراسـي، وانطلق صوته كمدفع رمضـان، فإذا قلبي بين الأقدام والسيقان، وأصابتني لَجْلَجَة ولَعْثَمة، ولأسناني طَقْطَقة وحَطْرَمة، وجفَّ في لساني الرِّيق، وأصبحت من الهول كالغريق، ولم أدْر ما قُلت له، وكتب على المعروض بقَلمه، الأخ سعد سلمان، مُوجبُ الخطِّ وظيفة لهذا الإنسـان، لإكمال اللازم حسـب النظام، ولكم التحيَّة والسـلام. وخرجت ألتقط أنفاسـي، وأتَحَسَّسُ رقبتي ورأسي، ونظرت في مُبْصَرة بكُمِّي، فإذا شيبة خرجت تُعْلن خوفي وهَمِّي. واسـتقر بي المقام في رحاب الكهرباء، لا أرى الشـمس إلاّ في المساء، فمن الفجر أسعى نحو الشَّركة، فهناك ابن عَدّوس وهنـاك المعركة.

قَـومٌ إذا حـارَبُـوا ضَـرُّوا عَـدُوَّهُـمْ   أو حـاوَلـوا الـنَّـفْـعَ في أشياعِهم نفعوا

وبعد بضْع سنين من العمل، تلاشى الخوف والوَجَل، فقد تعودت على صوت المدير، وذهبت الأَحلام في منصـب الوزير، فهنـا عرفت مقاس رجْلي ولحَـايفي، فقبلت العيش علـى الكفاف، وهذا سـعيد بن يحيى، لاصـقٌ بالكرسـي طَلْقُ المُحَيا، ليسـ يعرف أبْعدُ مـن لَحيفة، فهنـاك الأهل لزوجة لطيفة، وإن نظرت حولي فإبراهيم العسـكري، تُحفة راقت في عيونِ العبقري، ثم سَـعْدُ بن سـيف، لسانه قاطع كالسـيف، يُحبُّه ابن عدوس، فيُكثر معه الجُلوس، ومُسـفرٌ قد أسـفر الوجه وأنور، هو الرئيس ونحن العسـكر، وسعد

---

(١) القُطن. (ابن مُعَبِّر).

(٢) عبد الرحمن منصـور: أحد الزملاء في الشركة السـعودية للكهرباء، وهو من قبيلة (عُضَاضة) بمنطقة عسير. (ابن مُعَبِّر).

بن سلمان، ولَسْتُ منه في أمان، فراية الحرب قائمة، مناقراتٌ على مَرِّ الشهور دائمة، وشايع بن سعيد لا يستوي له الجلوس، حتى يجلجل صوت ابن عدوس، ياشايع هَلمَّ إليّ بالعجل، ودع التثاقل والكسل، وهذا مُشَبب مُدَنْقرٌ يُحرّرُ المعاملة، لا يشتكي وإن قُطعت أناملُه، ولا يهون باقي الزُّمَلاء، فللحديث شجون تَملأ أرجاء الفضاء.

ثم قام شايع خطيباً، ومَسَدَ لحيتُه وتَنَحْنح وألقى بَصَره بعيداً وقريباً، كأنّه قائد جيش، أو ما أدري أيش، ثم قال: قد سمعتم ما قال الشيخ عبد الرحمن بن منصور، وقاه الله من كل مَطَبٍّ ودعثور، حيث ذكر رحلته إلى المُعلم ابن عدوس، وما لاقاه في حرب البسوس، وعلى كُلِّ حال، فقد أَحْكَم المقال، وحَرّك في النفس أسرارها، وأثار من الأخبار غُبارها، فقد كان ابن عدوس صاحب صَوْلَة وجَوْلة، لا يهدأ له بال حتى يجمعنا حوله، ثم يَصبّ فوق رؤوسنا سهام الكلام، ونحن مثل الحَمَام، فإذا عُدنا إلى أوكارنا، أرْخَطنا لا تكاد تسمع حديثنا، كأن على رؤوسنا الطّير، وإنّما هو العُكوف على العمل لا غَير، كلامنا بالهَمْس، وأكلنا بالدَّس، وجهاز المخابرات يحصي الحركات والسَّكنَات، ثم يوافي ابن عدوس بالنشرات.

١٤. المقَامَةُ الغيْثَانيَّة: [1]

فكَم نجيب طوى النِّسْيَان سيرَتَهُ	كأنّه لم يَكُنْ يوماً من النُّجُب
فلم يُذيعُوا لهُ ذكراً بقافية	ولم يُشيدوا به في رائع الخُطَب
كأنّه ما بنى مَجداً لأمَّته	قد غاب منها وهذا المجد لم يَغِب

لقد كان هذا حال الشيخ عبد الوهاب أبو ملْحَة[2]، طَواه الموت وأرخى عليه التاريخ ظِلّه، كأنْ لم يَكُن له في التاريخ ذِكر، ولم تَعْمُر به مجالس القوم فَضْلاً وعِطرا.

يأتي من الدنيا بكلِّ بَديعة	ومن الفضائل في عجيب بَاكر
في وجهه آيات كل فضيلة	يَلْقَى العُفَاة تَرَحُباً ببشائرَ
من عُصْبَة جمعوا الشَّجاعة والنَّدى	نالُوا المعالي كابراً عن كابرَ
وإذا أتَيْتَ لِبَابِه في حَاجةٍ	أغْنَاك في بَذْلِ العطاء الوافرَ

---

(١) احتفاءً بصدور كتاب: (عبد الوهاب أبو ملحة في جنوبي البلاد السعودية) لمؤلفه الأستاذ الدكتور: غيثان بن علي بن جُريس. (ابن مُعَبِّر). هذه المقامة نشرت بخط اليد في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان، والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (الجزء الرابع). ص ٥٢٣-٥٢٨. (ابن جريس).

(٢) توفي سنة ١٣٧٤هـ. (ابن مُعَبِّر).

مُتَقَمِّصٌ بالمَكْرُمَات مؤزَّرٌ مِن رَبِّه في عِزَّةٍ ومفاخِرِ

ولكن لكُلِّ أجل كتاب، ولكُلِّ سؤالٍ جواب، وعند غَيْثَان[١] فَصْل الخطاب، بكتاب عن الشيخ عبد الوهاب، أودع فيه علمُه وفنّه، فَغَرَّدَت الكلمات على فَنَنه، اسْتَمْطَر الوثائق وذاكرة الأخيار، فجادت بغيث مدْرار، كأنه يُحَاكي اسمه غَيْثَان، فَجَادَك الغيثُ والخير صنْوَان، فقد نَفَضْت عن التاريخ غُبَاره، وسَطَّرت سطراً ستبقى آثاره، وسيدوم ـ بإذن اللّه تعالى ـ الثَّناء والذّكر الحَسَن، فقد طَوَّقت الأعنَاق بعقد يتجدَّد مع الزَّمن، ولك التَّهَاني مَمْهُورَة بماء الذهب، تُجلى إليك عَرَائس البلاغة والأدب . فإذا عُدْنا إلى الكتاب، والعَوْدُ أحمد فثَمَّ مَثَاب، نقرأ سيرة الشيخ مُنذ لحظة الميلاد، في العرْق[٢] موطن الآباء الأنجاد، فمن هناك بدأت المسيرة للشيخ عبد الوهاب أبو ملْحَة، وفي سماء الجنوب سَمَا وعَلا نَجْمه، واقترن نَجْم سُعُوده بفلك الملك عبد العزيز آل سعود، ورايات التوحيد تخفق في الجبال والنُّجود، ولأنّ المال عَصَب الدُّوَل والأمم، فقد رأى الملك بثاقب فكْرة ومَضَاء عَزم، في هذا الرَّجُل مَخَايل الذكاء والفطْنة، فَوَلاّه أمور المال فكان عند حُسْنِ ظَنِّه .

وطَرّز الدكتور غيثان كتابه بجواهر الوثائق، ومن فيضها أرسى دعائم الحقائق، قد غاص في بحْرها الغزير، فَثَمَّ ألف وثيقة يَحَار فيها العَالم النّحْرير، ولكنّه ابن بُجْدَتها وفارس الميدان، قد قَسَّم البَحْث فأحسن الميزان، فالشيخ عبد الوهاب واسع الآفاق والمهام، إنْ شئت في الحرب أم السَّلام، وضَرَبَ في الحياة الاجتماعية بسهمٍ وافر، فهو نَجم المحافل وصاحب المآثر، أما المال والاقتصاد فحدِّث ولا حرج، جَهْبذٌ فيمَا دَخَل وخَرَج، بيديه مَقَاليد مَاليَّات الجنوب، يُصَرِّف أعمالها على الوجه المطلوب .

وواصل غَيْثَان نَقْش الصفحات الرائعة، ومَهَّدَ الطريق في البحث والمُرَاجعة، فَفَهْرَسَ الوثائق والرسائل، حتى أنَارَ الدَّرْب لكُلِّ باحث وسائل، وحَلَّل الكثير منها ودَرَس، بمَنهج ثابت الأركان والأسس .ثُمَّ وَلَّى شَطْرَه نحو الثِّقَات، ممّن أدركوا الشيخ عبد الوهابٍ وكانت لهم به صلات، فَهَيَّج الذِّكرى وسار القلم، كالرَّاقص على إيقاع النَّغم، فكانت الشهادات تأْتَلقَ وتَلْمع، وليس رَاءٍ كَمَنْ يَسْمَع .

أحْيَا حديث الفَضْل بعدَ مَمَاته وجَمَالُ ذَيَّاك الزَّمان الغَابر
شِيَمٌ له نَتْلُو بحُسْنِ ثنائها كُتِبَت محاسِنُها بكلِّ دفاترِ

(١) الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس . (ابن مُعَبِّر) .
(٢) العِرْق : أحد أحياء مدينة خميس مشيط . (ابن مُعَبِّر) .

فيا أهل البَحْث دُونكم هذا المَهْيَع، ولا تَقُولوا لم يَبْقَ في القَوْس مَنْزَع، فحياة الشيخ عبد الوهاب أريضة عريضة، بل تمتدّ من الباحة إلى نجران، ومن القُنفذة إلى جازان. وكتابُ ابن جُرَيس بداية الطريق، وريادة بلغت الشَّأو في التحليق، قد كشف عن الصُّوي والمَعَالم، وسَبَر أغوار المناجم، وله في آفاق التاريخ الإسلامي صولات وجولات، ولا سيّما في تهامَة وجبال السَّرَوات، أحيا ذكرَها ومآثرها، ونَبَش خبايا الزوايا وأخبارها، وسطّر كل ذلك في أسفار الخلود، فاستحق لقب (مؤرِّخ تهامة والسَّرَاة) تلْقَاء تلك الجهود.

كَلامٌ ترى الأقْلَام في الطِّرس سُجَّداً — لـه وتـرى أهـل الفصَاحة رُكّعـا
يُحَيِّر ألبـاب الرِّجَـال كأنّما — أتانا بإعجاز من القول مَصْقَعا
سعى طَالباً بالعلْم أبْعَدَ مَطْلب — وفي الله مَسْعَاه ولله ما سعى

١٥. المَقَامَةُ النَّفَقيَّة (نفقُ خميس مشيط) : [1]

يا أهل الآفاق، حَدَّثَنَا مستور أبو عَنَاق، عن مهرة بنت منصور السَّوّاق، قالت: زعموا والزَّعمُ مَطيَّة الاخْتلاَف، بأنّ مدينة خميس مُشَيْط ستكون قِبْلَة العُشَّاق، لأنّ مشروعاً رسمه المهندس على الأوراق، وسَمَّاه (نَفَقُ الأنفاق) ، وسَتُضْرَبُ به الأمثال من المَغرب إلى العِرَاق.

الحمدُ لله في سرّ وفي عَلَن — حمداً يُخلِّصُني من ظُلْمَة المِحَن
قَدْ نلْتُ ما أشتهي في الدَّهر منْ أرَبَ — في العقل والقلب مني ثم في البَدَنَ
إنّ البَهَاء يزينُ الخَلْق مَنْظَره — كما تُزَان حُلَى الأشجار بالدِّمَنَ
أرحت قلبي من همٍّ ومن سَهَر — وساعَد السَّعْدُ بالأنفاق في زَمَني

وقالت مهرة بنت منصور السَّواق: دَعَتْني رَبَّةُ الحُسْن والأخلاق، فريدة في بَيَاض الخدّ والساق، شريفة بنت صالح سَلمت من سهام الأحْدَاق، إلى زيارة نفق الأنفاق، فقد خَشيت على قلبي من الاحتراق، بنار الحُبِّ والأشواق. وصاحت بصوت عَذْب: يا مُشْتَاقَ، فأقبل السَّائق الهندي كأنّه الشِّنَاق، فَرَكب البنْزَ ونحن بالأثَر على وفَاق. وسرْنا وقد مالت الشمس في الأفق، وتهادت بنا السَّيَّارة إلى النفق، فرأينا ازدحام السَّيَّارات فَسَاورَنا القلق، وتعوّذنا بربِّ الفَلَق، وبلغنا أطراف النفق، فإذا المكان كمستودع مُحْتَرق، فأشْلاَء السيارات مُتَنَاثرة، والحُفَرُ بأفواهها فَاغرَة، ونظرت يَمْنَةً ويَسْرَة، لَعَلِّي أحْظَى من النَّفق بنظرة، فإذا حُفْرَةٌ عميقة الغَوْر، فارْتَدَّ طَرْفي على الفَوْر، ثم أعدت النَّظَرَ

---

[1] تم إنجازه في ١٤٣٤/٢/٢هـ بعد سنوات عجاف، وهو النفق الذي يقع على طريق خميس مشيط – أبها، مقابل مجمع الغروي، ويتقاطع مع الشارع المؤدي إلى المحكمة العامة. (ابن مُعَبِّر) .

مُتَسـائلة عن المهندسـين والعُمَّال، فلم أَجِد إلاّ عَامِلاً مُمَزَّق القميص والسِّرْوال، وآخَرَ قد عَلَتْهُ صُفْرَة الموت والاعْتلال .

ورَمَيْـتُ بنظَـري إلى طَرَف النفق، فرأيـت بَقَايا قلاَّب قد انْفَلَق، وحوله الصُّـخور مُتناثـرة، كأنهـا تَنْدُب الحُظُوظ العاثـرَة، فلا هي بَقِيَت في مسـاكنها آمنة، ولا القَلاَّب حَمَلَهـا إلى أرض نائية . قالوا : اجتمعَ رئيس البلدية مع الوزير، وصـدَر الاجتماع بقرار خَطير، ستَّةُ أشْهُر بالتَّمام والكمال، والنَّفَقُ جاهز للسَّيْر الحلال، ومَرَّت الشُّهُور السِّتَّة، فـإذا النَفق على حَاله بل أشَـدّ حتَّـة، وزاد القَهْر والإذلال، وتَعَطَّلَـت الأحلام والآمال . فيـا رئيـس البلديّة، متـى تَرْفَع الظُّلْـم والأذيَّـة، وأنت تَجْعَصُ على الكُرسـي الدَّوَّار، تطلبُ الشـاهي والقهـوة بالهَيْل والحَوَار، والنَاسـ حول النفق، وقَلْـبُ الواحدُ منهم قد انْفَلَق، نَاهيكَ عن الأموات، الذين قضَـوا نَحْبَهُم وأصـبحوا من الرُّفَات، وتلك المحلات والمَعَارض، أغلقت أبوابها أمام المُشْتَري والعَارِض .

ولَـقَـدْ رأيــت الــوَرْدَ يَـلْـطـم خَـدَّه	ويـقــول وهــو عـلـى الـنَّـفـق يـحْـنَـقُ
لا تَــقْــرَبــوه وإنْ قـــامَ جَـــدْرُه	مــن بـيـنـكـم فـهـو الـعَــدُوُّ الأزرقُ

ويا رئيس البلدية، إن كُنْتَ تُنْكِر القَضِـيَّة، وتَـرُوم لأهل الخميس الأذِيَّة، فَعَجَّلَ الله بفَصْلِك، وأطاح بِخَيلك ورَجِلك .

إنْ كُـنْـتَ تُـنْـكـر مـا ذَكَـرْنَـا بعدما	وَضَـحَـت عـلـيـكَ دلائــل وشــواهــد
فـانْـظـر إلى الـنَّـفَـق الحــزيـن قَلْبـاً	وافْــهَــم فَـمَــا يَــغْــتَرّ إلاّ الـبــارد

هَلاَّ أعطيتم القَوْس بَارِيها، وأسكنتم الدَّار بانيها، فما أكثر الشَّركات، ذات الخبْرَة والمُعدّات، فإنْ قلتم رسـت المُناقصـة، ولم نَجد شـركة منافسـة، فقد أخطأت (...) الحُفْرَة، فما أكثر الشركات وأهل الخبْرَة، فهنَاك أنفاق وجُسُور، قامت في بِضْعَة شُهور، وما زِلْتم خَلْفَ المكاتِب، تركضون رَكْضَ العَنَاكِب، يوم تَحْضُر المُعِدَّات المُتهالكَة، والطريق غير سَالِكة .

حَــاذر أصَــابــع مــن ظَـلـمـت فـإنّـه	يــدعــو بـقـلْـب في الــدُّجــا مَـكْـسُـور
فـالـنَّـفَـق مــا ألْـقـاه في حُـفَــرِ العَـنـا	إلاّ الــدُّعـــا بــأصــابِـــع المقـهـور

وأشَدّ ما نخشاه من شَرٍّ مُستَطِير، بعد هذا العَنَاء والتَّأخير، أن تأخذ النَّفَق الخَشيَة والخشـوع، فَيَخرُّ ساجداً على السيارات والضُّلُوع، وهنـاك الفضيحة بالجَلاجل، والهَوْل قائم ومَاثِل، فأين المسـؤول ؟ رئيس البلدية أم المُقَاوِل، وتمتد أطراف القضـيَّة، فتصبح

قصَّــة طَريَّة، وتَنُوشــها أبْوَاق القنوات، فتقول : بلغ عدد الأموات بضــع عشــرات، ويَكْثُر القيل والقَّال، وضــاع الجهد والمال، فليتَ النَّفق ما كان، فقد سَــئَمَ السُّكَّان، من الوعود الكَاذبــة، والأمــاني الذَّائبة، سُــكَّرٌ في ماء، ونارٌ ولا شــوَاء، وأحْلاَم لا حقيقة، عشْــنَاها دقيقــة بدقيقــة، فمتــى يفيق المســؤول، من النَّــوْم المَعْسُــول، وصحّ النّوم أيهــا القوم، وهذا العلْمُ والخَبَر، ولكم السَّلامة والظَّفَر، ثم الصلاة والسلام على خير البشر. (٢٥/١٢/١٤٣٢هـ).

١٦ـ المَقَامَةُ الهَادَويَّة :

الحمد للّه الذي هدانا إلى الإســلام، وأفاء علينا بنعمه تَتْرَى بين الأنام، والصــلاة والسلام، على رسوله المبعوث رحمة وهداية للعالمين، فكان خاتم الأنبياء والمرسلين :

أما بعد : فحدثنا زهير بن منصور، ونَفْسه تُنْجدُ وتَغُور، قد آلمه أنّ رفيق الروح، قد ذهبــت بــه طَواري رَابعة تجيء وتروح . قال : عرفت (هادي) [1] منذ ثُلث قَرْن، هو من (آل علي) [2] وأنا منَ (القَرْن) [3]، وهو في خلْقة سَــوية، صــاحب مَرَح ودُعابات ذكية، ويُرَصَّعُ ذلك بالسَّــجايا المَعْسولة، والخلاَل الفَاضلَة المَجْبُولة، ليس بالنَّحيف القَضيف المُحْتَقر، ولا بالضــخم الفَخْم المُشتهر، وليس بالطَويل الفائق على الطّوال، ولا بالقَصير الخــارج عن حدّ الاعتدال، ريحانةُ النَّدماء، وزَهرة الظَّرفاء، ســريع البَذْل والعطَاء، في الشّدّة والرخاء .

هو البحر من أيِّ النواحي آتيْتَهُ	فَلُجَّته المعروفُ والجُود سَاحلُهُ
تَعَوَّد بَسْطَ الكَفِّ حتى لو أنّه	ثناها لِقَبْض لَمْ تُجبْه أناملُهُ

ولا أُرَاه ينســى (دارا ابــن هانــئ)، وســاعات الهنــاء كأنها الثَّــواني، نَتَعاطى في غمراتها شذرات الأدب، ونتسلّى بمُلَح التاريخ كأطواق الذهب، وكم صَعدنا إلى متنزه (السَّــحَاب)، نَتَمَلَّى صُنْع الباري العُجَاب، ونُروِّح عن النَّفس بعد العناء، ونستنشق نسيم طَلْق الهواء .

---

(١) هــادي بــن محمــد بــن هــادي (١٣٨٤ - ١٩٦٤ هــ) . (ابــن مُعَــبِّر) . قريــة آل علــي تقــع في صــحن تمنيــة ببــلاد شــهران . للمزيــد عــن قريــة آل علــي، انظــر : غيثــان بــن جريــس . القــول المكتــوب في تاريــخ الجنــوب (أجــزاء مــن الحجــاز واليمــن ومــا بينهمــا) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الرابع عشر)، ص١٢٦ـ ١٤٠ . (ابن جريس) .

(٢) قرية آل علي في تمنية بمنطقة عسير . (ابن مُعَبِّر) .

(٣) قرية القرن المجاورة لآل علي . (ابن مُعَبِّر) .

وقَـفْـتُ وأوقَـفْـتُ الجَـوى ليـاليَ عُـودُ الـدهـر فَـيْـنَـانُ مُـورقُ

ثم تمادت بنا الأيام، وتفرقت بنا السُّبل والآكام، ونزحتُ إلى جُدَّة لبضع سنين، تُعدّ في حساب الفراق بالمئين، لولا زورات منْ (هادي)، تطفئ بعض عطش الصَّادي، فأعدنا وَصْل ما انْقَطع من المَسرّات، ولا سيما على شاطئ البحر في تلك الأمسيات، العامرة بكل ما يجلب السُّرور، ويدفع الهَمّ عن الصدور، من الأحاديث الحسان، كأنّها الؤلؤ والمرجان .

شكراً لكل فتى مزجتُ بروحه روحي فطاب ولاؤه وولائي
من كان يحلم بالسماء فإنني في قلب إنسان وجدت سمائي
تلك السنون الغاربات ورائي سِفْرٌ كتبتُ حُروفه بدمائي

وفي إحدى زَوْرَات الشيخ هادي إلى جُدَّة، عاشت الكويت الضِّيق والشِّدَّة[1]، [2][1]، إذْ غزاها صدّام في عُقْر دارها، فسلب أمْنها واستقرارها، فزَجَر هادي ونظر إلى الغُراب البَارِح، وفَسّرُ ذاك عنده وقوع البلاء الفادح، وأن القادم محْنَة رَاصدة، تتلوها نكبة قَاصدَة، فتراكبت لديه ظُلَمُ الهُمُوم، وتراكمت عليه غُيوم الغُمُوم . أطَال الله لك السَّلامةَ والبَقَا، وزادك في الدنيا عُلّواً ومُرْتقى، وحمَاك الله من الإرجَاف، وما يُصاحبه من فَوْضى واختلاف، فما أنت ممن يخاف المخاطر، وأنت في كَنَف الإله القادر، (وتلك الأيام نداولها بين الناس)، ونَهى الله عن القُنوط واليأس، وأعْلَمُ أنني كمُسْتَبضع التَّمْر إلى هَجَر، أو جالب الماء إلى نهر، ولكن على سبيل الذّكرى للمؤمنين، فكل ما يجري من تقدير رب العالمين .وعلى سبيل الاستطراد، أنقل من (رسائل الانتقاد) [3]،النّص المُوَجَّه إلى بيت زهير بن أبي سُلمى :

رأيتُ المنايا خَبْط عَشْواء مَنْ تُصب تُمِتْه ومن تُخْطئ يُعَمَّر فيهرم

قال ابن شرف :

وقد غلط في وصفها بخبط العشواء، على أننا لا نطالبه بحكم ديننا، لأنه لم يكن على شرعنا، بل نطالبه بحكم العقل فنقول : إنما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم ينجو، وقد علم هووعَلم العالم، حتى البهائم، إنَّ سهام المنايا لا تُخطئ شيئاً

---

(١) سنة ١٤١١هـ . (ابن مُعَبِّر) .

(٢) (١) سنة ١٤١١هـ .

(٣) (رسائل الانتقاد) : من تأليف ابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠هـ)، بتحقيق : حسن حسني عبد الوهاب، ط:١٤٠٤هـ، بيروت، دار الكتاب الجديد . (ابن مُعَبِّر) .

من الحيوان حتى يعمّها رَشقها، فكيف يوصف بخبط العشواء رام لا يقصد غرضاً من الحيوان إلاّ أقصده حتى يستكمل رَمياته، في جميع رمياته. وإنّما أدخل الوهمَ على زهير موتُ قوم عَبْطةً وموت قوم هَرَماً، وظنّوا طول العمر إنما سببه إخطاء المنية، وسبب قصره إصابتها، وهيهات الصواب من ظنّه لم يؤخر الهرم إلا أنها قصدته فحين قصدته أصابته. ولو أن الرُّماة تهتدي كاهتدائها، لملأت أيديها بأقصى رجائها[1].

والحاصل من كلام ابن شرف، أن الحياة تسير بحكمة عُرِف منها ما عُرِف، واستأثر الله بعلمه ما يفوق العقول البشرية، في جميع الكرة الأرضية.

وليس لنا من الأيام سوى اليوم الذي نعيش فيه، فالأمس ذهب والغَد لا ندريه، فإن نَدمنا على أمْسنا، زاد هَمُّنا وحُزننا، وإذا زاد الخوف من الغد المجهول، أصابنا الجَزع والذُّهول.

يا من يُكابد في قرارة نفسه ... جزعاً من الأيام غير مُحدّد
ما دُمْتَ تبتدع المُصاب توهماً ... أتراك تعجز عن دواء مُسعدَ
النائبات عديدة وأشدّها ... ما كان من صُنْع الخيالِ الأسودَ
ليس التعاسة أن تعيش بفاقة ... إن التعاسة أن تخاف من الغدِ

ولأن المُؤاخاة بالمُهاداة، والمحالفة بالمُلاطفة، والمَوَدَّة بلا هديّة مُكَدَّرة، كما أنّ المرَقَة بلا لَحْم مُزَوَّرة، وما منْ شيء بأصلح للصديقين، وأجْمَع لشَمْل المحبة بين الأخوين، من هدية من نفس رَضيّة، وها هي هديتي أسوقها في رحابكَ البهية، وأنت بين الأصفياء من أحبابكٍ، أعز الله جنابك. وهديتي إليك دامت لك السعادة والهداية، خريدة من الآداب في الكناية. قال الشاعر الجاهلي عمرو بن قِعَاس الغُطَيْفيّ:

وسوداء المحاجر إلْف صَخرٍ ... تُلاحظني الترَقُّبَ، قد رَميْتُ

كَنّى بذلك عن ظَبْيَة:

ولَحْمٍ لم يَذُقْهُ الناسُ قَبلي ... أكلتُ على خَلاءٍ وانتَقَيْتُ

وأعود إلى الشيخ هادي بعد تقاعده، وعودته سالماً بعد التعليم إلى قواعده، وأقترح عليه ما يَذهبُ بطواري رَابعة إلى العَدَم، وذلك بأن يقتني قطيعاً من الغنم، فتكون له أُنْساً في الصباح والمساء، وتُطْربه من ألحانها صُنُوف الثُّغاء، وهو معها في البراري يَمْرحُ ويَتَسدَّح، ويُلْفِي عليه أصحابه فيحلب لهم ويَذْبح، وهو يُنْشد:

---

(١) ص٤٨. (ابن مُعَبِّر).

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقُها غزارٌ ... كأنَّ قُرونَ جِلَّتها عِصيُّ
فتملأ بيتنا أقطاً وسَمْناً ... وحسبُكَ من غِنىً شِبَعٌ ورِيُّ

ولا أرضى لك لُزوم دَارك، والبُعد عن أصحابك وخلاّنك، وأنت فصيح اللِّسان، ثابت الجِنان، وجميل المُحَيَّا والطَّلْعَة، لا يَعِيبُك شَلْخَة أو شَلْعَة .

قَرُبَتْ من الفعْل الكريم يَدَاكا ... ودَنا على المُتَطَلِّبين مَداكا
فاسلَمْ أبا محمد لتَشْييد العُلى ... وفداكَ مِنْ صَرْف الزَّمان عداكا
أرَاكَ بالعين التي لم تَنْصرفْ ... ألحاظُهَا إلاّ إلى نُعْمَاكا
يُغْنِي النَّديم عن الغِناء حديثُك ... بمحاسنٍ لك لَمْ تَكُنْ لسواكا

أبقاك الله ووقاك، وشفاك وكفاك وعافاك، إنْ شكَوْت يا هادي مرضاً، وأصبحت للهم غرضاً، فلا غَرْوَ أنْ يحمّ الأسَدُ الوَرْد، ويكسف القَمر البَدْر، وبنا لا بِكَ ما تقاسيه من الآلام، وبالغِمْدِ لا بالسَّيف الحُسَام، والسلام . (٢٨/١١/١٤٣٤هـ).

رابعاً: آراء وتوصيات:[١]

نشرنا في هذا القسم . بحثين في مجال اللغة والأدب في منطقة عسير وما جاورها. ولا ندعي الكمال فيما طبع ونشر، لكننا نعلم أن هذين الموضوعين جديدين في بابهما، وقد تدرس بشكل أطول وأعم في كتاب أو رسالة علمية . ونستنتج من هذه المادة المنشورة الثراء العلمي والثقافي التي تمتاز به بلاد تهامة والسراة . وهذه البلاد ذات أصول تاريخية وحضارية قديمة وعريقة، كما أنها ذات تراث وموروث متنوع عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر[٢].

وتعيش المملكة العربية السعودية اليوم طفرة تنموية وحضارية جيدة، ونرجو أن يكون للمجال العلمي والبحثي نصيب كبير في هذه التنمية، فتؤسس وتدعم مراكز البحوث العلمية، ويستقطب الأساتذة والباحثين الجيدين الذين يخدمون البلاد والعباد[٣].

---

(١) هذا العنوان من إعداد صاحب الكتاب (ابن جريس) .

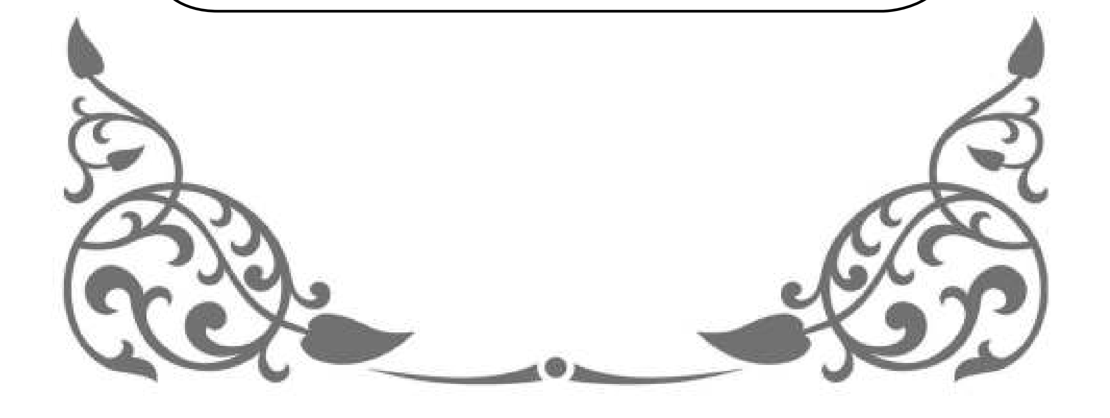
(٢) هذا ما عرفه وأدركه الباحث خلال رحلته العلمية منذ خمسين عاماً . (ابن جريس) .

(٣) أدون هذه الأمنية والرغبة لأنني عشت ومازلت أعمل في أروقة الجامعة منذ (٤٥) عاماً. ومجال البحث العلمي لا يحظى بالرعاية الكبيرة وبخاصة في جامعاتنا المحلية . نعم إن هذه الجامعات خرجت آلاف الطالبات والطلاب الذين يخدمون ويعملون في جميع قطاعات الدولة، لكن التخطيط الجيد والعلمي لخدمة البحث مازالت متدنية وأحياناً غير موجودة، والواجب على صناع القرار في وزارة التعليم والجامعات أن تتضافر جهودهم في إيجاد بيئة علمية وبحثية تخدم العلم والفكر والتراث والحضارة في شتى الميادين . وأكتب مثل هذه التوصية والنداء منذ ثلاثين عاماً، لكن لا أرى نتائج فعلية وعملية في هذا الباب، ونسأل الله أن يتحقق ما نصبو ونتطلع إليه . (والله من وراء القصد) . (ابن جريس) .



القسم الخامس

بحث في تاريخ جُرش وبلجرشي ، وتصويبات وتعقيبات على بحوث وكتب عن بلاد تهامة والسراة



القسم الخامس

بحث في تاريخ جرش وبلجرشي، وتصويبات وتعقيبات على بحوث وكتب عن بلاد تهامة والسراة .

أولاً: مدخل :

في هذا القسم ننشر عدداً من الأعمال العلمية، وهي على النحو الآتي: (١) صفحات من تاريخ (جُرش) وبلجرشي (غامد) . ومادة هذا البحث مستقاة من مصادرومراجع عديدة بالإضافة إلى المشاهدات ووجهات النظر الشخصية [(١)] (٢) تعقيبات وإضافات على بعض البحوث التي صدرت عن سوق سبت تنومة الأسبوعي[(٢)] . (٣) قراءات وتعقيبات من أساتذة في جامعة الملك خالد على بعض مؤلفات غيثان بن جريس ورحلاته في بلاد تهامة والسراة. وكل هذه المحاور المنشورة في هذا القسم مازالت ناقصة، لكنها قد تفتح بعض الآفاق والميادين التاريخية والحضارية الجديدة في بلدان جنوب المملكة العربية السعودية، أو في أي جزء من أجزاء شبه الجزيرة العربية[(٣)] .

---

(١) هذا الموضوع كبير جداً ويستحق أن يدرس في عدد من الدراسات، لكنني أحببت أن أنشر بعض الشيء عن هذه الناحية، لعله يأتي من بناتنا وأبنائنا في برامج الدراسات العليا، أو من المؤرخين والباحثين الجادين من يدرس هذا الموضوع في أعمال علمية موثقة ورصينة .

(٢) آمل أن نرى باحثين منصفين وجادين يدرسون تاريخ الأسواق الأسبوعية في بلاد تهامة والسراة خلال العصر الحديث .

(٣) أقول إن المملكة العربية السعودية تعيش حقبة حضارية حديثة كبيرة . والواجب على الجامعات ومراكز

ثانياً: صفحات تاريخية وحضارية مختصرة عن جرش (عسير)، وبلجرشي غامد، والعلاقة بينهما (دراسة وتأمل) . بقلم. أ.عبدالله بن علي بن سعيد المغرم الغامدي[1] .

أولاً: تقديم:

هذه الدراسة لأحد الباحثين المجتهدين الذي يسعى إلى رصد شيء من تاريخ وحضارة بلدته بلجرشي في سروات غامد. ووجهة نظره أن سكان بلجرشي في العصر الحديث هاجروا من مدينة جُرش القديمة الواقعة في سروات عسير . ويجب علينا أن نحترم رأي هذا الكاتب حتى وإن اختلفنا معه، ومن يدرس أقواله فقد يجد بعضها

البحوث العلمية أن توثق تاريخ هذه الفترة من جوانب سلبية وإيجابية وبخاصة في ميادين التطور والتنمية المعنوية والمادية . وما نسعى إلى توثيقه ليس إلا إسهامات محدودة جداً، ونأمل أن تلفت نظر المؤرخين والباحثين المخلصين في أنحاء البلاد حتى يسعوا إلى حفظ وتوثيق بعض الشيء عن بلادهم ومواطنهم الرئيسية . (ابن جريس)،

(١) الأستاذ عبدالله بن علي بن سعيد المغرم، من مواليد مدينة جدة عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، حصل على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع من كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز في (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، وعمل في العديد من الإدارات الحكومية، مثل: الأحوال المدنية، ثم التربية والتعليم، وحصل على تقاعده مبكراً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . شارك في العديد من الأنشطة التعليمية والثقافية والاجتماعية، وحصل على بعض الدبلومات والدراسات في مجال عمله، لديه بعض الكتب والبحوث العلمية، مثل: (١) محافظة بلجرشي في الماضي والحاضر. (٢) رحلة من جدة إلى دمشق عبر طريق الحاج الساحلي، ثم العودة عبر الطريق الداخلي . (٣) أسرة الجعابرة : نبذة مختصرة عن علمائها . (٤) الحكمة والحكماء عند العرب والعجم . (٥) الشعوب المهمشة وأسباب انحطاطها. (٦) غرائب مما قرأت وسمعت وشاهدت . (٧) الصياد (رواية) . (٨) الكنز الذي لا يفنى (رواية قصيرة). (ابن جريس) .

تستحق القراءة والتأمل، وربما تكون خاطئة أو صحيحة، والواجب على من يستطيع أن ينقضها او يؤيدها ألا يبخل علينا ويدلي بدلوه مع دعم أقواله بحجج وبراهين علمية . كما يوجد في البحث معلومات تاريخية وحضارية قيمة عن وطن بلجرشي وهو يستحق الدراسة، بل إن الكثير من أطروحات الباحث مازالت بحاجة إلى توضيح وتفصيلات أكثر، وقد يأتي بعده من يدرسها ويوثقها في بحوث علمية أطول وأعمق.

ثانياً : وقفة مع جُرش (عسير) :

افترض البعض أن جزءاً من سكان بلجرشي قدموا من جرش المندثرة بعد تدمير بلدتهم " ما بين القرن الخامس والقرن السابع الهجريين " ، ورغم أن الشيخ حمد الجاسر، أعاد بني الجرشي إلى قبيلة غامد[١] . إلا أنه أشار إلى أن هذا الأمر كان تحالفاً ومجاورة وليس نسباً وهم في الأصل ينسبون إلى رجل قدم من جُرش[٢] . والشيخ إبراهيم الحسيل، أيده بالقول : (ليس في نسب غامد "بلجرشي" ولعل بلجرشي نسبة إلى جُرش، وسكان جرش سابقاً من قبائل حمير من العرب العاربة، وأضاف أن أصل بلجرشي يعود إلى نزوح بعض أهل مدينة جرش قرب خميس مشيط بعد أن دمرها صقر بن حسان عام (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) [٣] . وكذلك قال بهذا محقق كتاب الدر الثمين (صفحة ١٤) من أن بلجرشي نسبت إلى رجل يدعى عبدالله بن الأحمر الجرشي، وله ذرية بها يطلق عليهم بني الجرشي. وما تواتر بين معظم أبناء بني ناشر الذين يكونون نصف سكان بلجرشي تقريباً من أنهم يعودون بنسبه إلى بني عمر والبعض من أدبائهم كأحمد قشاش، قال إن بني عمر هم بني شكر الذين سكنوا المنطقة قبل ظهور الدين الإسلامي .

وجرش اسم تشترك فيه مدينتان مندثرتان وكل منهما تجاورها مدينة يقال لها نجران . إحداهما جَرَش " بفتح الجيم " وتقع في الشام وتحديداً بالأردن وبجوارها نجران، ذكرها ياقوت، في معجمه فقال : (نجران أيضا موضع بحوران من نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية على العمد الرخام منمقة ينسب إليها يزيد بن عبدالله بن أبي يزيد النجراني يكنى أبا عبدالله من أهل دمشق من نجران التي بحوران) [٤] . والأخرى جُرش "بضم الجيم" وهي المقصودة في مبحثنا هذا، وتقع بمنطقة

---

(١) الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ص ٨٠ .

(٢) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٤١ .

(٣) عثمان، أحمد سالم، ألوان من تراث غامد وزهران . ص ١٨ نقل عن الشيخ الحسيل قوله : " دمرها صقر بن حسان، ولم أجد هذا النص في كتاب الحسيل، ويبدو أنه سمعها منه، وهذا الكلام منقول من كتاب (إمتاع السامر) .

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٧٠ .

عسير بالمملكة العربية السعودية بالقرب من طريق الحج اليمني القديم المسمى (درب البخور) . وجنوب مدينة خميس مشيط بحوالي (١٧) كيلا ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر حوالي (١٩٥٢متر) [١]. ونجران المدينة السعودية المعروفة لا تبعد عنها كثيراً.

ويذكر المؤرخون أن جُرش كانت لجرهم ثم سكنتها قبيلة حمير، ثم ورد عليها أفناء من الناس كما في " صبح الأعشى " : (وأما نجران وجرش فإنهما كانا بيد جرهم من القحطانية ثم غلبهم على ذلك بنو حمير وصاروا ولاة للتبابعة فكان كل من ملك منهم يسمى أفعى) [٢]. وأما سبب تسميتها فاتفق ياقوت الحموي مع أغلب المؤرخين في قوله: (جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة وذكر بعض أهل السير أن تبعاً أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها فخلف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفاً وقال أجرشوا هنا أي البثوا فسميت جرش، وقال أبو المنذر : هشام جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم، وجرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن وليدعون على لحمه فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشياً) [٣]. ومما يدل على أهميتها قبل الإسلام وتوافد العرب عليها كما هو حال مكة وغيرها من البلدان التي يحج إليها الناس قديماً. وجود صنم (يغوث) بها الذي ورد ذكره في قوله تعالى: [وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا]سورة نوح [الآيتان ٢٣، ٢٤] .

واختلف البعض في إسلام أهل جُرش وهل فتحت حرباً أم صلحاً، فذكر ياقوت أنها فتحت صلحاً كما جاء في معجمه : (فتحت جرش في حياة النبي ﷺ في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفيء وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر) [٤]. وكنت أظن أن قول ياقوت يخص جرش " بالفتح " التي في الشام، لكن ورد قول مؤيد لقول ياقوت في " فتوح البلدان " : (أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال فأمرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم

(١) الصوبان، سعد عبدالله وآخرون، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ١٦٢ .
(٢) الفزاري، القلقشندي، أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا . ج٥، ص ٤٣ .
(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦ .
(٤) الحموي، ياقوت معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦ .

ضيافة المسلمين وولي أبا سفيان بن حرب جُرش) [١]. وتبالة ليست بعيدة عن جُرش . وكلاهما موضعان يقعان حالياً في جنوب المملكة العربية السعودية، وفي روايات أخرى شائعة قيل إنها فتحت قسراً [٢] ،وقال ابن كثير: (قدم صرد بن عبدالله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفد من الأزد فأسلم وحسن إسلامه، وأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فذهب فحاصر جُرش وبها قبائل من اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم حين سمعوا بمسيره إليهم، فأقام عليهم قريباً من شهر، فامتنعوا فيها منه، ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريباً من جبل يقال له شكر، فظنوا أنه قد ولى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً) [٣]. وبعد إسلامهم كتب لهم الرسول حمى، كما في السيرة النبوية : (خرج وفد جُرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة وللمثيرة وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت) [٤]. وورد مثله في " الفائق" [٥].

وإذا تأملنا في تاريخ جُرش كونها مركزاً تجارياً كبيراً ونقطة اتصال لحواضر كبرى، وما خلفته من آثار شاهدة على عظمتها . نستنتج أنها طبقت نظرية تقسيم العمل بأسلوب تلقائي طبيعي جعلها تتبوأ مكانة مرموقة في العهود القديمة [٦]، تعددت بها المهن، وكثرت المصانع وازدهرت التجارة، وفاضت الأموال. ولعل وصف أحد شعراء الأزدي يفيدنا بحال هذه البلدة الرائدة . حين غزوا جُرش بقيادة عبدالله بن صرد [٧].

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً في مصانعها ... وجمع خثعم قد ساغت لها النذر
إذا وضعت غليلاً كنت أحمله ... فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا

وعندما قال الشاعر " حتى أتينا حميراً في مصانعها " فإن العرب كانت تسمي

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٧٠ .
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ١٢٥٨ ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٤٧٥، الزهري، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى . ج١، ص ٣٣٧-٣٣٨، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص ٤٢١، الشيباني، علي، الكامل في التاريخ . ج٢ ص ١٦٣ .
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٨٦ .
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥ ص ٢٨٦ .
(٥) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج١، ص ١٧٩ .
(٦) الطبري، تاريخ الطبري . ج ٢، ص ١٩٧ .
(٧) المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٢٦، وكذا في أساس البلاغة، ج١، ص ٣٦٣، وفي تاج العروس، ج٢١، ص ٣٧٣ .

القصور والآبار مصانع كما في " المعجم الوسيط " " (المصنع الموضع تمارس فيه صناعة أو صناعات مختلفة، وشبه الحوض يجمع فيه ماء المطر ونحوه مصانع، والمصانع المباني من القصور والحصون والقرى والآبار وغيرها من الأمكنة العظيمة وفي التنزيل العزيز: [وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ][1]. والشاعر هنا قصد منشآتها، ولكن عُرف عن جرش أنها كانت بلدة صناعية حيث كانت مركزاً لصناعة الأدوات الحربية كالعرادات والمجانيق والضبور، قال ذلك ابن كثير [2]. والطبري : (لم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا بجُرش يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق) [3]. والبعض من المؤرخين يظن أنهما كانا في جرش التي بالشام . ولكن الحقيقة أنه بعد غزوة حنين التي وقعت بين أهل الطائف وجيش المسلمين، مر عروة بن مسعود الثقفي بقومه في الطائف قادماً من جهة الجنوب، وعندما علم بنتائج المعركة اتجه إلى المدينة لمبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام . واشتهرت جُرش أيضاً بإتقان صناعة الأدم أي الجلد المدبوغ . وكان لمنتجاتها شهرة في بغداد والعواصم الإسلامية الكبرى، حتى ارتبط مسمى جُرش بأدمها، بل إن تجار البصرة كانوا يفدون إليها لشراء منتجاتها الجلدية، ونقلها إلى كافة حواضر الجزيرة العربية [4]. وورد في لسان العرب : (جُرش موضع باليمن، ومنه أديم جُرشي) [5]. وفي " نزهة المشتاق " : (مدينة جُرش.. وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة) [6]، وفي موضع آخر من "نزهة المشتاق" : (جُرش ونجران متقاربتان في الكبر وبهما نخل كثير وبهما مدابغ للجلود وهي بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك) [7]. وتحدث الدكتور غيثان بن جريس . في كتابه : "دراسات في تاريخ تهامة والسراة" عن دباغة الجلود في جرش، قال: (وساعدت عوامل كثيرة في ازدهار هذه الصناعة في تلك البلاد وما حولها، وذلك من حيث توفر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي، ومواد التصنيع، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرض الذي يعتبر من أفضل المواد التي تستخدم في الدباغة) [8].

---

(١) سورة الشعراء، آية ١٢٨ .
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ١٧٧ .
(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ١٢٤٠ .
(٤) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١ ص ٢٠٧ نقلا عن " ابن المجاور" .
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٢٧٢ .
(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٥١ .
(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٦ .
(٨) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة . ج١، ص ١١٠ .

كما اشتهرت بنبيذها ورد ذلك في "تاريخ دمشق" قال: ابن أبي الهذيل ما في نفسي من نبيذ الجرشي إلا أن عمر بن عبدالعزيز نهى عنه "[١]. وقول ابن منظور في "لسان العرب" : (والجرشي ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة رقيق صغير الحبة وهو أسرع العنب إدراكاً وزعم أبو حنيفة أن عناقيده طوال وحبه متفرق قال: وزعموا أن العنقود منه يكون ذراعاً وفي العنوق حمراء جرشية ومن الأعناب عنب جرشي بالغ جيد ينسب إلى جُرش) [٢]. وقال البكري في معجم ما استعجم "(وعنب جرشي جيد بالغ) [٣].ولأن جرش بلدة تجارية جاذبة للسكان، فمن الطبيعي أن يقدم إليها كل من يرغب في البيع والشراء، وذلك تواجد الحضارم منذ عهد الدولة الأموية وهم قوم عرفوا بارتياد البلدان التي تنشط فيها التجارة، جاء ذكرهم في "تاريخ دمشق" : (عبدالملك بن محمد بن عطية بن عروة السعدي من أهل دمشق ولي الحجاز واليمن لمروان بن محمد ... بلغ عبدالله بن يحيى الأعور فسار في نحو من ثلاثين ألفاً فنزل ابن عطية بتبالة ونزل الأعور صعدة ثم التقوا فانهزم الأعور فسار إلى جُرش وسار ابن عطية فالتقوا فاقتتلوا حتى حال بينهم الليل وأصبح ابن عطية مكانه فنزل الأعور في نحو من ألف رجل من أهل حضرموت فقاتل حتى قتل ومن معه وبعث برأس الأعور إلى مروان) [٤]. ويؤيد هذا القول ما جاء في "تاريخ ابن خلدون" من أن الخليفة العباسي المأمون بعث محمد بن زياد سنة في أوائل القرن الثالث الهجري ليمهد له أمر اليمن بعد أن كاد يخرج من بين يديه، وكان لابد أن يستولي على بلاد حضرموت والشجر وديار كندة، ودخل في طاعته ولاة العباسيين السابقين والتبابعة " من بقية ملوك حمير، وكان لهم جانب صنعاء، وسنحان ونجران وجُرش[٥]. وبحكم أن جُرش بلدة تجارية نشطة، فإن تواجد الحضارم واستقرارهم بها يبدو مقبولاً طالما أنها وبلادهم حضرموت كان يحكمها والٍ واحد من طرف الدولة العباسية. كما تواجد بها قلة من اليهود والنصارى لممارسة التجارة والصناعة، حيث ورد في "مسند الحارث" قدوم تاجر نصراني من أهلِ جُرش إلى المدينة المنورة كما في الحديث : (قدم رجل نصراني من أهل جرش تاجراً فكان له بيان ووقار فقيل يا رسول الله ما أعقل هذا النصراني فزجر القائل فقال مه إن العاقل من عمل بطاعة الله) [٦]. وقال غيثان بن جريس : (وكان في بلاد جُرش بعض

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص ١٨٩ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٢٧٣ .

(٣) البكري، أبو عبيد عبدالله الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٧٦ .

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص ١٠٠-١٠١ . ترجمة رقم ٤٢٥٥ .

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . ج٤، ص ٢٧٢ .

(٦) أبي أسامة، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث . ج٢، ص ٨١١ حديث رقم (٨٣٦) .

اليهود والنصـارى) [١]. واسـتدل بجزية مقدارها دينار فرضـها الرسول " عليه الصلاة والسلام " على أهل الكتاب، وورد ذلك في " فتوح البلدان " (أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال فأمرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين وولي أبا سفيان بن حرب، جُرش) [٢].

قد لا يأبه البعض بالآثار، لكن التنقيب القائم على أسس علمية، يؤكد أو ينفي بعض المعلومات التاريخية التي تناقلها الـرواة ووثقها المؤرخـون في كتبهم نقلاً عنهم لحقائق مسـلمة . وعلـم التاريخ بطبيعة الحال يعتمد في نقولاتـه على النص المذكور في مصـدر تاريخي متفـق عليه، وعلى الوثيقة الموقعة من شخصـين أو أكـثر، وعلى القول المتواتر " الرواية الشعبية إن شاعت وكانت مقبولة عقلاً " ثم تطور المجتمع ليصبح علم الآثار أحد أهم الروافد للمؤرخين المعاصـرين وساعدهم على تحليل وتفسير الأحداث. ومـن خلال التقارير التي دونت بعـد الزيارات الميدانية لبعض العلمـاء المهتمين بالآثار وكذلك فرق التنقيب العلمية، نجد إجابات لبعض الأسـئلة التي توقف المؤرخون عندها، فهم وإن اتفقوا في وصفهم المشاهد بالعين لبلدة جُرش على أنها لا تزال تحتفظ بالكثير من الشـواهد الأثرية ؛ كأساسـات ومداميك المباني المنحوتة بعناية من صخور البازلت والجرانيـت أو المبنية بقوالب الطين[٣]. وإن آثارها لازالت ماثلة على شـكل آكام ويوجد بها صخور منحوتة، والبلدة مبنية وسط قاع منبسط، غرب جبل شكر، وطولها ألفا متر وعرضـها خمسمائة متر[٤]. وبعض بيوتها مبنية بالحجارة البيضاء وبعض غرفها طوله عشرة أمتار وعرضه خمسة أمتار، وإن بها حفراً واسعة وأفنية رحبة وحطاماً كثيراً من الآجر والفخار، ورحاً عظيمة طولها متران وعرضها متران وسمكها نصف متر . ويقول عبـدالله فلبـي : (وصـلنا إلى تل آخر منخفـض تحيط به بقايا قلعـة قديمة بمتانة من حجارة جرانيتية كبيرة ومشـذبة بعناية . تغطي مسـاحة كبـيرة منها بقايا لمبان قديمة مهجورة، ممثلة لمستوطنة أكبر من أي مستوطنة أخرى في الموقع أو قريباً . ومن بين هذه حجر رحى ضخماً ساقطاً على الأرض منحوتاً من صخرة جرانيتية، كان قطره (٣،٦٩) بوصـة وقطر ثقبه المركزي (٤،١٠) بوصـة . كانت هذه الأطلال - وبكل وضـوح - التي لا يعرف الناس أي شـيء عن تاريخها هي التي أطلقت القصـة الشائعة عن الكنز المخبأ) وعلق الدكتور غيثان بن جريس، بصفته مقدماً لكتاب عبدالله فلبي، "بأن الموقع المشار

---

(١) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة .ج١، ص ١١٣ .

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٧٠ .

(٣) الصوبان، سعد عبدالله وآخرون، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ١٦٢ .

(٤) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران . ص ٤٦ نقله عن الأستاذ هاشم بن سعد النعمي .

إليـه هو بلدة جُرش التاريخية " [١]. ثم نقرأ وصـف الفريق الطبي الأثري التابع لوكالة الآثار قبل دمجها في الهيئة العامة للسياحة، والمستكشف لموقع جُرش الأثري، بأنها كانت مركـزاً محلياً لحضـارة جنوب الجزيرة العربيـة، ومبانيها نوعين : النـوع الأول عبارة عن مبان ضـخمة قائمة على أساسـات حجرية ومشيدة بأسـلوب التثبيت المثلث الزوايا . والنوع الثاني اسـتخدم فيه الآجر المحروق والطين والحجارة الصـغيرة، وأشاروا إلى أنه من الواضـح أنها تعرضـت للتدمير متفقين في ذلك مع رأي الشـيخ حمد الجاسـر، وأزيـل الطين دون أن يمسـ الآجر أو الأحجار . وأصـبحت أنقاضـاً ومخلفات عمرانية يصـل عمقها إلى (٢،٥) متر، كما لاحظوا وجود مبـانٍ مجددة مبنية بالأحجار والآجر غير المحروق[٢]. ونقرأ كذلك وصـف فريق آخر تابع للهيئة العامة للسـياحة والآثار، زار البلدة في سـنة (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، وأجرى عمليـة تنقيب واستكشـاف للموقع ووجد أجزاء كبيرة من حصـنها وأساسات لمسجدين تم بناؤهما على أساسات الحصن الذي يعود لفترة ما قبل الإسـلام، وعثروا على العديد من القطع الأثرية المتنوعة مثل الأواني الفخارية وتشابه ما عثر عليه في موقع الأخدود بنجران من حيث لون العجينة والزخرفة . وعلـى عدد من قدور الطبخ وأواني الشـرب. وأوان مزخرفة بدهان ذي بريق معدني، وقطع من البرونز ومسـامير وقطع لحام أواني، وعدد من الرحى متوسـطة الحجم[٣]. ومن خلال هذه التقارير التي وصـفت البلدة بحالها الراهن، ونقبت لاستكشـاف ما لم يره المؤرخ المدون، يمكننا اسـتخدام هـذه المعلومات ببعض الأخبار الواردة المتناثرة بين أسطر الكتب للإجابة على السؤال الحائر : متى وكيف انتهى دور جُرش ؟ وما هي أسرار نزوح أهلها وتخليهم عن بلدة متحضـرة نسـبياً بالمقارنة بما حولها، والانتقال إلى قرى بدائية في ذلك الوقت؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه في الصفحة التالية .

إضـافة إلى تقارير البعثات الأثرية، سـأذكر هنا آراء سـديدة لبعض المؤرخين الكبار، فالأسـتاذ حمد الجاسـر أشـار إلى أن " قبيلة العواسج التي قطنت جُرش بينها وبـين جيرانها حـروب انتقلت علـى إثرها إلى أعلى وادي بيشـة " [٤]. وأسـند ما قاله

---

(١) فيلبي، عبدالله جون، مرتفعات الجزيرة العربية . ص ٢٥٩ .

(٢) حولية الآثار العربية السعودية "أطلال" عدد ٥، ص ٢٥ .

(٣) صـحيفة الاقتصـادية، العدد ٦٦١٤ الصـادر يوم الأحد (١٤٣٢/١٢/٢٤هـ/ الموافق ٢٠١١/١١/٢٠م). بعنوان:(الموقع تقاطعت عليه طرق التجارة الرئيسـية جنوب الجزيرة العربية وشمالها، جرش السعودية تفتـح خزائنهـا الأثرية لمسـجدين وأوان فخاريـة) تقرير لفريـق التنقيب عن الآثار التابـع للهيئة العامة للسياحة والآثار برئاسة فريق تنقيب آثار جرش الدكتور عوض الزهراني مدير عام المتاحف .

(٤) الجاسر . حمد . في سراة غامد وزهران، ص ٤٧ .

إلى ما ذكره في وصفه : " ومن خلال آثار الدمار يتبين أن البلدة تعرضت للخراب بسبب حرب ضروس "[١] . ويؤيد الجاسر، ما ذكره فريق وكالة الآثار عن وجود مبان مجددة لم تطلها يد التدمير أو الحرق، وأنشئت كمحاولة للعودة لم يكتب لها النجاح. وما ذكره الفريق الآخر التابع لهيئة السياحة في تقريرهم عن وجود الكثير من الآثار المنزلية المحطمة كالقدور والأواني وغيرها . أما الدكتور غيثان بن جريس فقال : " إن جُرش استمرت تؤدي مهمتها السياسية والحضارية في منطقة عسير حتى القرن السابع، وربما الثامن الهجريين " الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين " . ثم يختفي ذكرها بعد ذلك "[٢] . والأستاذ الحسيل، قال: " إنها دمرت بعد أن هاجمها صقر بن حسان اليزيدي وشتت أهلها "[٣] . وأشار الشيخ هاشم بن سعيد النعمي إلى مكانتها التاريخية والصناعية وذكر أن الحروب التي جرت بين عنز بن وائل القبيلة العدنانية، وبين بعض مجاوريهم لأسباب سياسية وثارات قبلية كانت السبب في تدميرها وجلاء سكانها بما فيهم العواسج من حمير[٤] . وأبو داهش في كتابه " أهل السراة " قال: (قيل بخراب جُرش أواخر القرن الرابع الهجري نتيجة للحروب التي وقعت بين عنز بن وائل، وبين أهل مدينة جرش من العواسج، وقيل سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) على يد قوات صقر بن حسان اليزيدي)[٥] . وفي كتاب الدر الثمين[٦] قال محققه وهو الأستاذ عبدالله بن حميِّد : هاجم المماليك بلاد عسير سنة (٩١٩هـ) حيث استخدموا المدافع فلم تسلم منهم معظم القرى والبلدات، فدمروا بلدة الجهوة التي اعتصم فيها أحد أمراء عسير حينها (علي بن وهاس بن حرب) ، ودمروا قلعة خزام قاعدة الأمير صقر بن حسان، أعلى دلقان، التي اتخذها بعد تخريب جُرش، ونزوح القبائل منها أي من جُرش وإحداها قبيلة بنو ضبة (والمحقق نسب نفسه لقبيلة بني ضبة) التي لحقت بقبيلة بني مالك بن عبدالله بن نصر بن الأزد والمقصود ببني مالك عسير وهي غير

---

(١) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٤٧ نقله عن الأستاذ سليمان بن رشيد الهمزاني أحد رجال التعليم في عسير.

(٢) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١ ص ٣٦٨ .

(٣) عثمان أحمد سالم . ألوان من تراث غامد وزهران . ص ١٨ نقل عن الشيخ الحسيل قوله دمرها صقر بن حسان، ولم أجد في كتاب الحسيل ما يثبت ذلك ولكن يبدو أنه نقلها شفهياً منه . وتاريخ (٩٥٣هـ) يبدو فيه رقم تسعة وهو قريب في الرسم من رقم ستة الوارد في قول أبي داهش أن جُرش دمرت سنة (٦٥٣هـ) .

(٤) أبو داهش، عبدالله . أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠هـ/١٢٠٠م) . ص ٩ . القول للقاضي المؤرخ هاشم النعمي .

(٥) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ) . ص ٧٢ .

(٦) اليمني، حسن بن أحمد، الدر الثمين . قول الأستاذ عبدالله بن حميِّد رئيس النادي الأدبي بأبها سابقاً . في معرض تقديم الكتاب وتحقيقه، حيث ينسب نفسه إلى قبيلة بني ضبة التي خرجت من جُرش .

بني مالك بجيلة في الطائف وبني مالك المجاورة لجبال فيفا .

ومن سكان جرش الأصليون الذين ساهموا في رفعتها وعلو شأنها : قبيلتا بني عامر وقريش تواجدوا في جُرش" بضم الجيم وفتح الراء " قبل وبعد ظهور الإسلام وارتبطوا بعلاقات تجارية ومصاهرة اجتماعية مع أهلها . وإليكم ما هو مذكور في المصادر التاريخية : قبل ظهور الإسلام : (١) هند الجرشية لها ابنة تدعى أسماء بنت عميس، أسلمت وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب القرشي[١] . (٢) هند الجُرشية لها ابنة تدعى سلمى من رجل من خثعم وكانت تحت حمزة بن عبدالمطلب القرشي، وأختها الثانية أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث تحت العباس بن عبد المطلب القرشي[٢] . (٣) جاء في" السيرة الحلبية " عن الرسول عليه الصلاة والسلام، أن خديجة رضي الله عنها بعثته إلى جرش "بضم الجيم وفتح الراء " مرتين[٣] وبالطبع كان ذلك قبل نزول الوحي.(٤) امرأة من نسل قشير بن عامر بن كعب بن ربيعة المتواجدون في جُرش وحفيدها عكرمة بن خالد العاصي المخزومي القرشي ممن كان أهله على اتصال دائم بجُرش للتجارة . كما جاء في" الإكمال " : (ظلامة بنت قرة بن محمية أو حمية بن بسرة أو بسير بن جبير من بني قشير وهي جدة عكرمة بن خالد بن العاصي بن هشام المخزومي أم أمه) [٤] وقشير من بني عامر كما جاء في" الأنساب " : (بني قشير وعقيل والجريش وجعدة بني كعب بني ربيعة بن عامر بن صعصعة ومن بني نمير وهلال ابني عامر بن صعصعة ومن بني سلول وهم مرة بن صعصعة وكل من كان من أولاد هؤلاء البطون ينسبون إلى الجد الأعلى فيقال له العامري) [٥].

وبعد ظهور الإسلام (١) تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام بابنة هند الجرشية[٦] "ميمونة" : رضي الله عنها [٧]. بنت الحارث من بني هلال بن عامر بن

---

(١) الزهري، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٨٠- ٢٨١ .

(٢) المكي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم، ج١، ص ٤٧٠ .

(٣) الخطيب . إبراهيم الكناني (برهان الدين)، السيرة الحلبية، ج١، ص٢١١. وهذا القول يحتاج إلى تمحيص ومراجعة .

(٤) ماكولا، علي ؛ الإكمال في رفع الارتياب، ج١، ص ٣٠٤ .

(٥) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٤، ص ١١٤ .

(٦) هند الجرشية: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من ولد حماطة بن حمير، وقد تصحف الاسم إلى عمرو، والصحيح "عوف" .

(٧) ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي من بني هلال بن عامر بن صعصعة .

صعصعة، وهي " أي ميمونة " خالة ابن عباس رضي الله عنهما ورد ذلك في الطبقات الكبرى للزهري[١]. وفي " الطبقات لابن خياط "[٢]. وفي " البداية والنهاية "[٣]. وفي " تاريخ ابن خلدون "[٤]. وفي " المعارف"[٥]. وفي "سمط النجوم "[٦]. وفي "تاريخ مدينة دمشق"[٧]. ولا نستغرب تواجد بني عامر في جُرش واتصالهم بالقرشيين والحميريين أهل جُرش، فهم وإن كانت ديارهم الأفلاج بنجد، إلا أن العديد من المصادر تؤكد أنهم متصلون بجرش ؛ ودليل ذلك ما جاء في "سير أعلام النبلاء "[٨] و" بغية الطلب " حول عدم تحريم الرسول عليه الصلاة والسلام للضب، سنجد هنا ميمونة رضي الله عنها زوج النبي عليه الصلاة والسلام من بني عامر، وأمها هند الجرشية من حمير، وخالد ابن الوليد رضي الله عنه : (دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته وخالة ابن عباس فوجد عندها ضباً محنوذاً قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد فقدمت الضب لرسول الله ﷺ وكان قل ما يقدم يده لطعام حتى يحدث به ويسمى له فأهوى رسول الله ﷺ إلى الضب فقالت امرأة من نسوة الحضور أخبرن رسول الله ﷺ ما قدمتن قلن هذا الضب فرفع رسول الله ﷺ يده فقال خالد بن الوليد أمحرم الضب يا رسول الله قال أراه لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه قال خالد اجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر فلم ينهني "[٩]. (٢) حفيدة عثمان بن عفان رضي الله عنه يقال لها الجرشية، وهي ابنة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان، ولدت في جُرش، وتزوجها الخليفة العباسي هارون الرشيد ورد ذلك في " البداية والنهاية "[١٠] وفي " المنتظم "[١١] وفي "تاريخ الطبري "[١٢] وهي في التسلسل الأسري تأتي الخامسة بعد والدها عبدالله، وجدها الثاني محمد، وجدها الثالث عبدالله، وجدها الرابع عمر، وجدها الخامس الخليفة الراشد عثمان بن عفان

---

(١) الزهري، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى . ج٢، ص ٢٧٦، ج٨، ص ٢٨١ .
(٢) ابن خياط، طبقات ابن خياط، ج١، ص ٣٣٨ .
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٩٢ .
(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . ج٢، ص ٤٥٥ .
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ج١، ص ١٣٧-١٣٨ .
(٦) المكي، سمط النجوم، ج١، ص ٤٧٠ .
(٧) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق . ج٢٧، ص ٢٥٠ .
(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء . ج١، ص ٣٦٨ .
(٩) ابن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب . ج٧، ص ٣١٢١ .
(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ٢٢٢ .
(١١) الجوزي، أبو الفرج، المنتظم . ج٨، ص ٣١٩ .
(١٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص ٢٣ .

- رضي الله عنه -، وهنا سؤال كيف لحفيدة عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تستوطن جُرش، بينما المفترض أن تكون بمكة أو المدينة أو دمشق أو بغداد .

(٣) بعد فتح جرش على يد صرد الأزدي، تولى أبو سفيان بن حرب، علي جُرش[١] وهو ليس بغريب عنها لأن أمه عامرية، ورد ذلك في "تاريخ مدينة دمشق" : (أم أبي سفيان صفية بنت حزن من بني هلال بن عامر بن صعصعة أسلم أبو سفيان قبل يوم الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ الطائف [٢] . واتصال أبي سفيان ووالده بأهل جُرش كان للتجارة رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام، ولا يمنع أن تمت المصاهرة. (٤) الخيزران الجرشية من أهل جُرش هي أم الخليفة العباسي هارون الرشيد . ورد ذلك في عدة مصادر أيضاً [٣] . إذاً القرشيون وبعد أن أصبحوا خلفاءً وحكاماً للدولة الإسلامية، لم ينقطع اتصالهم بالجرشيين، بل المصاهرة لا تزال مستمرة . (٥) أشار الدكتور غيثان بن جريس إلى وجود فئة من موالي قريش في جُرش، قال: (وفي شرق قرية جُرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش) [٤] وهذا دليل على أن تواجد المجتمع القرشي في جُرش لم يكن عابراً، بل كان متأصلاً إلى حد وجود حي يقطنه مواليهم . (٦) بني شكر الجرشيون، هم أيضاً من بني عامر بن صعصعة بربيعة، وكان لهم موضع قدم في جُرش مع بني وائل، قال ابن خلدون : (أما من ربيعة فبنو ثعلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وكافة شعوبهم من بني شكر وبني حنيفة) [٥] صاحب " توضيح المشتبه " نقلاً عن ابن الجوزي : (الشكري ... من بني شكر بن عامر) [٦] وفي قول آخر لبعض أبناء بني عمر أنهم من بني شكر، ذكر ذلك الدكتور ابن قشاش في معرض رده المنشور في جريدة البلاد . (٧) بنو نمير وهلال ابني عامر بن صعصعة ومن بني سلول وهم مرة بن صعصعة وكل من كان من أولاد هؤلاء البطون ينسبون إلى الجد الأعلى فيقال له العامري) [٧].

والسؤال المحير : أين ذهب هؤلاء بعد اندثار جُرش ؟! لا يعقل أبداً أنهم اختفوا، لكن المقبول أنهم انتقلوا ومن المرجح أو شبه المؤكد أنهم انتقلوا إلى الحاضرة الجديدة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٩٧ .
(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص ٤٣٢ .
(٣) الشيباني، الكامل . ج٥، ص ٢٧٧. تاريخ الطبري . ج٤، ص ٦١٧. الوافي بالوفيات، للصفدي . ج١٣، ص ٢٨٠ . ترجمة رقم (٢) .
(٤) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة . ج١ ص ١١١ نقلاً عن الهمداني .
(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . ج٦، ص٤ .
(٦) القيسي، محمد، توضيح المشتبه . ج٥، ص ١٢١ .
(٧) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٤، ص ١١٤ .

بلجرشــي، حيث لازال أهالي بلجرشــي يذكرونهم بلفظ قريش وبني عامر، أو ما يرد في بعض الوثائق بين أهل بلجرشي الحاضرة الحالية عند قولهم (أمراء قريش) [(١)].

ثالثاً : وقفات مع بدايات بلجرشي(غامد) وصلتها بجُرش (عسير) :

عرفنا أن جُرش دمرت وتشتت أهلها وتعرضت لهجمات متكررة ما بين القرنين السـابع والتاسـع الهجريين . ثبت ذلك بما ورد في المصـادر التاريخية، وما ورد في كتب الرحالة والمؤرخين المعاصـرين كالجاسـر وعبدالله فلبي وغيرهمـا، وما قررته البعثات الاستكشـافية لفرق الآثار في السـنوات الأخيرة من خلال الدراسات التي أجريت وتبين وجـود آثـار للتدمـير والحرائق في أوقـات مختلفة . وقد تضـاربت الآراء حـول اختفاء سـكانها، وقد وردت أخبار أن أهل بلجرشـي الحاليين كانوا مع من جرت عليهم أحداث فتـح جُرشـ التاريخيـة في عهد الرسـول عليه الصـلاة والسـلام، فهل انتقلـوا ونقلوا تاريخهم وثقافتهم وما تواتر بينهم من جُرش إلى بلجرشي (المنطقة التي تقع بين بلاد غامـد وخثعم)؟ إنه سـؤال محير ولعلنـا نجد إجابته بين ثنايا هـذه الدلائل التاريخية والجغرافيـة والاجتماعيـة التاليـة : (١) التواتر يعتـبر من القرائن التـي يؤخذ بها في المنهـج التاريخي[(٢)] وأهل الحاضـرة الحالية (بلجرشـي) تواتر الخـبر بينهم وتعارفوا على أنهم المعنيون بالرواية التاريخية الثابتة التي وردت في عدة مصادر حول الصحابي صـرد الأزدي وفتحـه لجُرشـ، ومنهـم إبراهيم الحسـيل، في قوله (بلجرشـي يدعون كابراً عن كابر أنهم أصـحاب القصـة المذكورة في كتاب السـيرة النبوية وكتب التاريخ التـي تتعلق بإسـلام صـرد بن عبـدالله الأزدي وقتاله أهـالي جُرشـ) [(٣)]. ومن المؤكد تاريخيـاً أن المعركة لم تقع في الموضـع الحالي لبلجرشـي، بل وقعـت في الموقع المعروف لجُرش بمنطقة عسـير، ومن الممكن أن أحفادهم توارثـوا الخبر وانتقل معهم فيما بعد إلى الموضـع الحـالي. (٢) ما ذكر في هامشـ كتاب الدر الثمين عن بلجرشـي وأهلها : (ومـن أولاده الذيـن برزوا في المنطقـة وكان لهم مع من جاورهـم الكثير من الجولات (خالد بن عبدالله بن علي بن محمد) الذي وقف بقواته من قبائل الأزد (عسير) ومن

---

(١) يا أسـتاذ عبد الله المغرم الغامدي هذه وجهة نظر يجب أن نحترمها، ولا نفرضـها، وتحتاج منا معاشـر المؤرخـين والآثاريين إلى مزيد من البحث والدراسـة والتحليل، ولا يسـتبعد أن ما ذكرته صـحيح لتقارب لفظـي (جرشـ) و (بلجرشـي) والأهـم من ذلك أن الهجرة مـن جنوب الجزيرة العربية إلى شـمالها كانت سـارية ومسـتمرة عبر عصـور التاريخ، وهناك احتمال كبير جداً أن بعض سكان جرش لم يستقروا في مناطق عسـير، وإنما هاجروا إلى مناطق غامد وزهران والحجاز، ومن المؤكد أن بعضـهم هاجر خارج شبه الجزيرة العربية (ابن جريس) .

(٢) النهاري، عبدالعزيز . وحسن السريحي، مقدمة في مناهج البحث العلمي . ص ٢٣٨ .

(٣) الحسيل، إبراهيم . غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان . ج١، ص ٣٣٧ .

التف معهم من قبائل (الحارث بن كعب) و (بني هلال) و (بني مذحج) (عبيدة) و (يام) و(حمير) و(شهران) و(ناهس) و(منبه) بقيادة أميره على (جُرش) عبدالله بن الأحمر الجرشي) لقد وقفوا بجانب الهيصم بن عبدالرحمن الهمداني) الذي انضمت معه معظم قبائل اليمن . وثار على الخليفة العباسي هارون الرشيد عام (١٨٩هـ/ ٨٠٤م) وانتصر وحليفه الأمير خالد على القوات العباسية في بيشة فجاءت لها قوة كبيرة تدعمها بإمرة حماد البربري حيث انتصر على قوات الهيصم وخالد ولاحقهم فتحصن الهيصم في جُرش فألقي القبض عليه. وأرسل إلى بغداد . فقتل هناك ومن معه . وتحصن خالد في الرهوة حيث قتل بعد مدة . وخربت الرهوة ونقل عبدالله بن الأحمر الجرشي أميراً على بلاد غامد وزهران. وكان من نسله عشيرة الحمران بغامد. وبه عرفت منطقة بلجرشي وتعني (ابن الجرشي) [١].

(٣) المصادر التاريخية كمعجم البلدان وغيره من كتب الرحالة الذين صدرت مؤلفاتهم قبل نهاية القرن الثامن الهجري لم يُشر أي منها إلى قبيلة تدعى بنو الجرشي أو حاضرة تجارية أو صناعية معروفة، كانت تتواجد قبل سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) في المنطقة الواقعة بين بلاد خثعم وبلاد غامد، أو بجوار الشواهد الجغرافية التي ذكروها كجبل حزنة. وبناء عليه اعتقد أن الجرشيون تواجدوا في الموقع الحالي (بلجرشي) ما بين القرن التاسع أو العاشر الهجريين . فالهمداني حين وصف سراة غامد لم يذكر بنو الجرشي أو بلجرشي أو إحدى قراها المعروفة، وجعل بلاد الحجر بين بلاد غامد وجرش، قال: (ثم يتلو معدن البرام ومطار صاعداً إلى اليمن سراة بني علي وفهم ثم سراة بجيلة والأزد بني سلامانٍ بن مفرح وألمع وبارق ودوس وغامد والحجر إلى جرش[٢]. وكذلك ياقوت لم يذكر شيئاً عنها رغم إشارته إلى جبل حزنة[٣] في قوله : (حزنة بالضم ثم السكون، جبل في ديار شكر إخوة بارق من الأزد) [٤]. وجبل حزنة معروف جوار بلجرشي، أما بلدة (زبيد) التي ورد لها إشارة غير مباشرة في " معجم البلدان " فإن ياقوت نسبها إلى خثعم ولم ينسبها لبني الجرشي أو غامد . كما في قوله (غير التي في جبال خثعم) مقارنة بالمشهورة في بلاد اليمن، ونص ياقوت الحموي: (مخلاف زبيد منه قلاع وهو واد فيه نخل غير التي في جبال خثعم) [٥]. (٤)

---

(١) اليمني، حسن بن أحمد، الدر الثمين، ص١٤، تعليق المحقق في الهامش .

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب . ص

(٣) جبل حزنة، أعلى جبال بلجرشي ارتفاعاً يطل عليها وعلى تهامة، كان الرجال ولا يزالون يبرزون قدراتهم وشجاعتهم بالصعود إلى قمته في طريق لا يعرفها سوى القلة .

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥٥ .

(٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان . ج٥، ص ٧٠ .

بالاطلاع على كتاب (وثائق من التاريخ) للأستاذ علي السلوك وكتاب(السيرة في علوم الديرة) الأستاذ ابن حرقوش، لم أجد وثيقة واحدة مؤرخة قبل (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) تشير إلى تواجد سكاني منسوب إلى بني الجرشي أو بلدة بلجرشي، ولكن من سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) وما بعدها يوجد عدةٍ وثائق تفيدنا بدليل واضح لا لبس عليه بأن المنطقة المسماة بلجرشي كانت أرضاً بكراً حتى ذلك الوقت وغير محددة المعالم . وتم اقتسام الجزء الجنوبي من بلجرشي مع قبيلة بني جرة بموجب الوثيقة المؤرخة في سنة (١١٤٨هـ/١٧٣٥م) . وهذا نصها : (الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فإنه انقطع النزاع فيما بين بني جرة وبلجرشي في الفيض حضر من بلجرشي عبدالله بن جاري وعقال بن عقال وأحمد بن علي الهيزي... وعطية بن هتان وحصيني المداني . ومن بني جرة شدا بن عياض ... وبركات بن طاهر ومسفر بن قتف وهندي بن عامر وأحمد بن جربوع ثم بعد حضورهم تصادقوا على الديرة وحدودها وقاموا على حدانها وتقارروا عليها من المدرج إلى غار الجروة ثم عرق الخربة ثم الناب الواسط ثم الصفا ثم ماء الطير ثم النصيلة ثم المسجد رأس أم غيثٍ ثم مقتل السعيدي هذه حدان الديرة بينهم ثم بعد مصادقتهم طلب الجرشي يميناً من بني جرة فحلفوا له بني جرة من طرف الديرة من فوق الحد أيمان خمسين مقدمهم جربوع ثم أيمان خمسين من فوق السوق مقدمهم مسحق بن قتف ثم رضي الجميع وصدروا من فوق السوق راضين جميع شهد هذا الله سبحانه وتعالى وأحمد بادي الجعيدي وأحمد أبو حجر وسفر بن قذذ السعيدي وعبدالله بن قاسم الخفوي وبركات .... ومن الشهود مسفر بن معيض المقموري ومن أهل الرمادة ... وأحمد بن حميش وعيسى بن أحمد بن بشيتي ويحيى بن عاصي والله خير الشاهدين بتاريخ (٨) خلت من شهر الحج الحرام (١١٤٨هـ/١٧٣٥م) ثمان وأربعين ومائة ألف من هجرته صلى الله عليه وسلم، ثم أن هذا الذي وقع بين الجري والجرشي بعدما طلبوا بني جرة أهل مالحة يحضرون معهم ويخاصمون الجرشي معهم فأبوا ويقولون ما عاد لنا ديرة ولا فيض .. أم غيث وإن الديرة ما عادت إلا لك يا جري والجرشي .. وأمن أهل مالحة حسن بن رداد ومسفر الجعيرة ومشعل و... وخضر ومسفر بن الحارثي ومجري ثم إن الذين حضروا من أهل مالحة أقروا وصادقوا أن ماعاد لهم ديرة وأشهدوا على أنفسهم الله ورسوله وخلق كثير من عباد الله وكتب الشهود والحدود حسبما ذكروا الشهود الفقيه محمد... أبلج لطف الله به)[1]. (٥) مرفأ القنفذة لم ينشط تجارياً إل بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، حيث ورد ذكره سنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) في كتاب الصنعاني (تاريخ اليمن) عند تعرضه لمحاولة تخريب

---

(١) حرقوش، السيرة في علوم الديرة، ص ٢٥٩ .

ونهب: (جاء الخبر أن أصحاب حمود غزوا بندر القنفذة وأرادوا انتهابه فحرقوا أطراف البندر ودافعهم أهلها فانكسروا بعد أن ذهب بالقتل ثلاثة أنفار)[١]. والمرافئ تبقى خاملة ولا تتحرك إلا إذا كان هناك نشاط تجاري، لذلك أعتقد أنه بمجرد أن أنشأ الجرشيون حاضرتهم، وبدأوا بممارسة نشاطهم التجاري الصناعي كما هو معروف عنهم تاريخياً، دب النشاط في مرفأ القنفذة . (٦) ما ذكره أحمد قشاش واتفق مع كل ما قاله عدا نسبة بني شكر إلى الأزد[٢]، والأصح حسب قول النسابة أنهم من بني عامر بن كعب " عمريون أو عوامر والأخير صحيحة " قال : (إن مدينة بلجرشي ؛ وأهلها بنو الجرشي، وهو عبدالله بن الأحمر الجرشي، وهو من جرش، وهي اليوم بلدة مندثرة في خميس مشيط، ولاه الخليفة العباسي هارون الرشيد بلاد غامد وزهران وشكر، فاتخذ من ديار شكر قاعدة له، فبنوه اليوم يدعون بالجرشي، ... وكانت بلدتهم تسمى دار السوق، ولما نقلت الإمارة إليها عام (١٣٧١هـ / ١٩٥١م)، غلب اسم القبيلة على البلدة . وكانت سوقاً عامرة يقصدها الناس من جهات شتى ؛ واستوطنتها أسر من قبائل مختلفة غير بني الجرشي من غامد، وزهران، وبجيلة، وبني شهر، وغيرهم ؛ فسكانها خليط من قبائل عدة، ومن هنا كان من أسمائها أيضا الدار المخلطة . وفي بلجرشي اليوم أسر لا تزال تحتفظ بنسبها إلى شكر) . ثم ورد له نص آخر في نفس الصفحة، قال: (وبعد انتقال مشيخة بني عمر إلى تهامة، انتسب أفراد من بني ناشر السراة إلى غامد، وذلك لأسباب منها قرب إدارة الأحوال المدنية وقد حصلوا منها على هويتهم الشخصية، وهي تتبع إمارة بلجرشي ومشيختها، وبلجرشي اليوم في عداد قبيلة غامد . وهناك أسر كثيرة من بني ناشر السراة لم تذيل أسماءها بالانتساب إلى قبيلة غامد، ، وينتسبون إما إلى بني عُمر فيقولون : العُمري وإما إلى قراهم، فيقولون : الحزنوي أو الغيلاني أو المصنعي، وبعضهم يكتفي بلقبه أو شهرته الخاصة، أو باسم جده الأعلى) . ويذكر قشاس قائلاً : (ديار قبيلة بني عمر تتوزع منذ القدم بين السراة وتهامة، وبنو عُمر السراة هم بطون من بني ناشر وهم أهل حزنة والمصنعة وغيلان والربقة، والفقهاء، وكانت ديارٍ بني عُمر قبل حادثة الإجلاء المعروفة في حدود القرن العاشر الهجري تحتل حيزاً كبيراً من السراة، ولا يزال بعض كبار السن من أهل المنطقة يعرفون حدود ديارهم القديمة إلى اليوم، وبنو ناشر في السراة وتهامة جميعهم

---

(١) الصنعاني، ابن الوزير عبدالله، تاريخ اليمن . ج١، ص ٣٣٠ . للمزيد عن بدايات وتاريخ منطقة القنفذة انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ/ ق١٦-ق٢١م) (دراسة تاريخية حضارية) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (٥٢٧صفحة) .

(٢) جريدة البلاد، ملحق التراث- الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (مقال منشور) للدكتور أحمد قشاش من أهالي بلجرشي) .

من بني عُمر، وكان لهم مشيخة مستقلة . ومشيختهم جميعاً حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في حزنة، ومن أشهر شيوخهم محمد بن فرحة، وعبدالرحمن بن قشاش (ت ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م) ولهذا قلت إن بني عُمر في العصر الحاضر إنما هم امتداد لقبيلة شكر، لأن ديارهم اليوم هي ديار قبيلة شكر قديماً، باستثناء بعض الجهات الشرقية التي أصبحت اليوم من ديار غامد . ومن الأماكن التي ذكرت لشكر، وهي في ديار بني عُمر اليوم أو هي قريبة منها: الحال، وقد امتد إليها عمران مدينة بلجرشي "[١]. (٧) الجُرشي : ينسب إلى جُرش، كما ورد في " الأنساب " : (الجُرشي بضم الجيم وفتح الراء وفي آخرها الشين المعجمة هذه النسبة إلى بني جُرش بطن من حمير)[٢] . وكما في " السيرة الحلبية " : (نافع الجرشي نسبة إلى جُرَش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم)[٣] ويجوز إضافة حرف باء أول الاسم . لتصبح (بالجرشي) ويفهم منها نسبة الشخص إلى قبيلته كما هو متعارف عليه في حضرموت وعمان وبعض بلاد السراة كقبائل الحجر وهي بالقرن وبللحمر وبللسمر، وفي ذلك لا نتجاوز ماقاله العسكري في (اللباب في علل البناء والإعراب) من أن بعض العرب يلفظ (بني الفلان) بلفلان، وحذف النون والياء لأن النون تدغم في اللام، ولوجود الياء بينهما، خففوا بالحذف، ولذا أجازها بعض النحويين لشيوع لفظها بين بعض العرب[٤]. ورغم أن الشيخ حمد الجاسر أعاد بنو الجرشي إلى قبيلة غامد في قوله : (بلجرشي " بنو الجرشي " من قبيلة غامد، من قراهم - في السراة - البركة، بنو عامر، الغازي، الحصن، بنو عبيد، حزنة، الفقهاء، غيلان، المكارمة، العطاشين، البكير، جبر)[٥] ؛ إلا أنه أشار إلى أن هذا الأمر كان تحالفاً ومجاورة وليس نسباً وهم في الأصل ينسبون إلى رجل قدم من جُرش، وأن بلجرشي سميت باسم ساكنها وصواب الاسم " بنِو الجرشِي " لأن دخول بعض القبائل تحت مسمى غيرها بالتحالف والجوار كان أمراً شائعاً[٦]. وأيده في قوله إبراهيم الحسيل، قال: (ليس في نسب غامد " بلجرشي " ولعل بلجرشي نسبة إلى جُرش، وسكان جرش سابقاً من قبائل حمير من العرب العاربة) وأضاف أن أصل بلجرشي يعود إلى نزوح بعض أهل مدينة جُرش قرب خميس مشيط بعد أن دمرها صقر بن

---

(١) انظر : أحمد بن سعيد قشاش . (جريدة البلاد - ملحق التراث - الخميس ١٥ جمادى الأولى / ١٤٢٠هـ) .
(٢) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٢، ص ٤٤ .
(٣) الخطيب، إبراهيم الكناني (برهان الدين)، السيرة الحلبية، ج١، ص ٣٢١ .
(٤) العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، ج٢، ص ٤٧٩ .
(٥) الجاسر، حمد . معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ص ٨٠ .
(٦) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٤٢ .

حسان عام (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) [١]. وقول المؤلفين يقبله العقل ويؤيده الواقع .

(٨) لقب (الغامدي) لم يكن يتلقب به معظم أهالي بالجرشي ، فالكثير منهم كان يستخدم لقبه الأصلي (الجرشي) الذي كان متداولاً حتى وقت قريب، حيث أن هناك عدة وثائق كتبت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) أطلق فيها على بلجرشي (قبيلة الجرشي) [٢]. وفي القرن العاشر الهجري أيضاً ورد هذا اللقب في كتاب " سمط النجوم " لرجل من كبار تجار جدة تسبب في عزل شريف مكة بما له من مال ونفوذ ، قال المكي : (وسبب العزل أن رجلاً يسمى جابراً الجرشي من أرباب الأموال بجدة لما تغير عليه الشريف حسين وصادره وأخرجه من جدة لأمر اقتضى ذلك عزم إلى مصر وكدر خاطر السلطان على مولانا الشريف حسين ودبرهم في هذا الأمر) [٣]. وبقي اللقب متداولاً حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) حيث تلقب به غير واحد ، ومنهم أحد الشهود على وثيقة صلح بين أهالي قرية حزنة، وهذا جزء من النص : (الحمد لله وحده، كذلك شهد على سماع لفظ الشاهد المشار إليه محمد بن جلال الجرشي، وعلي بن موسى الحري كاتب تاريخ سطوره سنة (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩هـ) وجاء في "تاريخ اللامع " للعامودي، أن الأزد أقاموا في بلاد بني جرشي . قال : (ومنهم أزد شنوءة بجبال الحجاز بلاد بني جرشي، وادي جرش من اليمن وما والاها : قبيلة مشهورة في عداد النسابين ومنهم كثير بتهامة اليمن ينتسبون إليهم يسمون بالأسديين لغة في الأزد [٤]. والعامودي (من المؤرخين المعاصرين) أطلق على أهل بلجرشي مسمى (بنو جرش) خلال ذكره للحادثة التي وقعت سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م). وأدت إلى انضمام بلجرشي لحكم الملك عبدالعزيز آل سعود . قال : (وفي شهر شعبان سنة أربعين مر الملك ابن سعود على بني جرشي من بلاد غامد بجبل السراة فاقتتلوا معهم، فغلب جيش الملك ابن سعود أهل بلاد غامد وخادعت رجال غامد قبل لانضمامهم إلى رئيسهم عبدالعزيز، لأن بني جرشي في نظارة محمد بن عبدالعزيز ابن أخي عبدالعزيز. وقد كان على ما قيل: أن ابن سعود انحل ابن عبدالعزيز سيماوية[٥].

---

(١) عثمان، أحمد سالم، ألوان من تراث غامد وزهران، ص ١٨ نقلاً عن الشيخ الحسيل قوله دمرها صقر بن حسان، ولم أجده في كتاب الحسيل ويبدو أنه سمعها منه .

(٢) الغامدي، على حرقوش، السيرة في علوم الديرة، وثيقة رقم (٦٤) ص ٢٩٢ : السطر ما قبل الأخير" .

(٣) المكي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم، ج٤، ص ٢٦٩ .

(٤) السلوك، علي، وثائق من التاريخ، ص ٩٣ .

(٥) تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع "فصول من تاريخ الجزيرة العربية، وأدبها من قبل الإسلام إلى سنة (١٣٤١هـ) تأليف القاضي عبدالله بن علي العامودي، تحقيق وتقديم : أ. د . عبدالله بن محمد أبو داهش .

وهـو محمد بـن عبدالعزيز رئيس بني جرشـي، ووفد محمد بـن عبدالعزيز على الملك ابن سعود بالرياض بهدايا جسمية، وأكرمه الملك ابن سعود غاية الإكرام . فبعد مقولة مـن نجد توجه إلى مكة يحاطب الشـريف الحسـين بـن علي عن المأسـورين لديه من غامد، فأغرى به عمه على الملك ابن سـعود، أنه دخل في عهد الشريف الحسين، ونقض عهدكـم، فخرجت إلى بلاده الجيوش النجدية السـعودية، مع القواد العظام، فاحتلها، ومحمـد بـن عبدالعزيز بمكـة في خطاب المأسـورين، فاحتلت النجـود البلاد وذلك في رمضـان من هذه السـنة [1]. وتفرق أصـحاب محمد بن عبد العزيز في اليمن، والشام شـذر مذر، بعد أن كانوا أغنى من ببلاد غامد[2]. (٩) النشـاط الصـناعي والتجاري الذي عرف في بلجرشي، هل نشأ سريعاً وخلال أقل من قرنين هجرية، أي من بعد سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) ؟ هـذا أمر غير معقـول ويتنافى مع آراء علمـاء الاجتماع، ومنهم "ابـن خلـدون" المعتـبر والمعتمد من قبـل علماء علم الاجتمـاع الأوربيين كأسـتاذ لهم وعالم مؤسـس لهذا العلم في قوله : (إن رسـوخ الصـنائع في الأمصـار إنما هو برسوخ الحضـارة والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران، والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال [3]، وأضاف: (أما الفلاحـة فهي متقدمـة عليها كلها بالذات إذ هي بسـيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى نظـر ولا علم . وأما الصـنائع فهـي ثانيتها ومتأخرة عنها لأنها مركبة وعلمية تصـرف فيها الأفكار والأنظار ولهذا لا توجد غالباً إلا في أهل الحضر) [4]. وأضاف أن الصناعة تتطور بتطور الحضـارة والعمارة: (على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع) [5]. إذاً كيف تبوأت بلجرشـي مكانة متقدمة وأتقن أهلها مهن التجارة والسمسرة والحرف اليدوية رغم صـعوبة ذلك، لا يمكن أن تتقن إلا بعلم متراكم متأصـل وممارسة مستمرة ناجحة . إذ نسـتنتج أنٍ الحضـارة والعلم والقوة الاقتصـادية وإتقـان الحرف منقول من الموضع المشهور تاريخياً بـ (بلجرشي) [6].

---

(١) يقصد سنة (١٣٤٠هـ)

(٢) العمودي، عبد الله بن علي، تاريخ اللامع، ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٨، الباب الخامس : الفصل الثامن عشر" .

(٤) ابـن خلـدون، مقدمة ابن خلـدون، صـ ٤١٩/ ٤٢٠ . الباب الخامس، الفصـل الثـاني "في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه)

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٧ . الباب الخامس " الفصل السابع عشر" .

(٦) هـذه وجهة نظر نحترمها يا أسـتاذ عبـدالله، لكنها مازالت تحتاج إلى براهين وشـواهد وأدلة تدعم ما ذكرت، ونرجو منك أو من باحث آخر أن يواصل البحث في هذه الأقوال لعله يثبت أقوالاً وروايات أقوى مما دونت في هذه الصفحات (ابن جريس).

- **الاختلاف بين جبل شكر في بلجرشي وجُرش :**

جبل شكر يقع شمال غرب جبل ضمك كما يسمى الموقع شرقي جبل شكر بالبغث، يقول هاشم بن سعيد النعمي إن جبل حمومة هو جبل شكر. وما ذكروا له أنهم من منطقة جرش قرب جبل كشر فغير النبي محمد - ﷺ الاسم إلى شكر وهو جبل صغير غرب جبل ضمك المعروف في محافظة أحد رفيدة ويسمى اليوم باسم شكر. حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، قال : قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبدالله الأزدي، فأسلم فحسن إسلامه في وفد من الأزد، فأمره رسول الله على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين فحاصروهم بها قريباً من شهر وامتنعوا منهم فيها، ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان إلى جبل يقال له : كُشرَ، ظن أهل جُرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً . وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بأي بلاد الله شكر ؟ " فقام الجرشيان، فقالا : يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له جبل كشر، وكذلك تسميه أهل جرش . فقال: " إن بُدن الله لتنحر عنده الآن " . قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما : ويحكما إن رسول الله الآن لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال: " اللهم ارفع عنهم " فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ماذكر . فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس وللراحلة والمثيرة تثير الحرث، فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سُحت"،

- **أسباب اختيار موقع بلجرشي الحالي :**

كم من المدن دمرت وهجرها أهلها واختفت حضارتها، لكن إن بقي النسيج الاجتماعي مترابطاً ومتناسقاً، وتوفرت الظروف المناسبة، فما الذي يمنعها من استعادة نشاطها مرة أخرى ؟ لذلك أرى من وجهة نظري المستندة على ما قدمته من دلائل اجتماعية وتاريخية في السطور السابقة، أن الجرشيين ابتعدوا عن مصدر الخطر بقصد إعادة تنظيم حياتهم وإقامة حاضرة جديدة في مكان أمين وليس ببعيد عن السابق، مع احتفاظهم بالبناء الاجتماعي وتوفر نفس الظروف التي كانت سبباً في نجاحهم، وهي

وجود مرفأ بحري قريب هو (القنفذة) ، ووجود طريق رئيسي للحج شرق الموقع الجديد، (طريق البخور) ، والتشابه الجغرافي والمناخي والنباتي بين بلاد جرش وبلجرشي[١]. وبالتالي لم يتغير شيء فالمعاهدات القبلية ضمنت لهم الأمن والأمان لممارسة أعمالهم الحضارية، وتم إبرام تحالفات واتفاقات مع القبائل المجاورة مثل خثعم وغامد وبني عمر الشكريين العامريين في المخواة وقبائل زبيد جهة القنفذة لحماية القوافل التجارية. كذلك المسافة بين الموضعين بلجرشي وجرش حوالي (٢٢٧) كيلومتر حسب قياس أدوات جوجل إذا قيست بخط مستقيم بعيداً عن تعرجات الطريق [٢].

- **دور موقع بلجرشي الحالي في ازدهار الاقتصاد الجرشي:**

المدن الحضرية التجارية لا يمكنها البقاء والاستمرار إلا في موقع يسهل لها الاتصال بالمدن والأرياف عبر علاقات منظمة . أو أن تكون عاصمة دولة، أو مقراً لرمز ديني، أو مرفأ بحرياً ذا ظهير اقتصادي أو محطة مرور قوافل دينية وتجارية . وبتطبيق هذا المفهوم على بلجرشي، سنجد موقعها كغيره من مواضع الأسواق الأسبوعية المجاورة التي تتوسط القرى الزراعية في جبال السراة، وتتمتع بحماية قبلية من تباين التضاريس والمناخ في المناطق السهلية التهامية والجبلية السروية، إضافة إلى القرب من البحر الأحمر والمراكز الاستهلاكية . والحركة الاقتصادية التي اشتهرت بها بلجرشي، وأيضاً أهلها أصحاب خبرة من ناحية اتقان العمل التجاري والصناعي، وأعتقد أنها مكتسبة من حضارة جُرش المنقولة[٣].

أما التركيبة السكانية المتجانسة في بلجرشي، فإن معظم الأسر الجُرشية تعود إلى أصول كريمة ذات حسب ونسب، وتمسكهم بعادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم،

---

(١) من يطالع أحوال بلاد السراة من نجران إلى الطائف يجدها متشابهة في تركيبتها الجغرافية والبشرية، وإذا بحثنا في هجرات الأسر والعشائر والأفراد من الجنوب إلى الشمال فهي مستمرة من عصور ما قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي . والذاهب في أرجاء السروات يجد الكثير من الأسر القحطانية والشهرانية وغيرها نزحوا من بلادهم خلال عصور الإسلام المختلفة واستقروا في بلاد السروات الممتدة من أبها إلى الطائف . (ابن جريس) .

(٢) هذه أطروحات ووجهات نظر يا ابن مغرم ومازالت تستحق الدراسة والبحث أكثر، ومن الصعب أن ننسف أقوالك ولا نقبلها لأنها لا تخلو من بعض الإيجابيات، وكون أن هناك أقواماً هاجروا من جُرش إلى سروات غامد فهذا أمر طبيعي، لأننا نجد المصادر والوثائق تذكر أسراً وعشائر وأفراداً كثيرين هاجروا من جُرش إلى سروات غامد فهذا أمر طبيعي، كما نجد المصادر والوثائق تذكر أسراً وعشائر وأفراداً كثيرين هاجروا من اليمن وسروات قحطان وشهران وعسير إلى سروات رجال الحجر، وبلاد غامد وزهران، وبلاد الحجاز وغيرها من البلدان داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. (ابن جريس) .

(٣) هذه وجهة نظر لكنها مازالت ضعيفة وتحتاج إلى براهين أقوى مما تم تدوينه، وبلاد بلجرشي مثلها مثل غيرها من مدن وقرى وحواضر السروات . (ابن جريس) .

وأقول هذا لأن الموضوع الذي سأخوض فيه حساس نوعاً ما، ولكني مجرد ناقل لما يقوله علماء كبار عن بعض المناطق التي غلب عليها التحضر وأحدهم ابن المجاور الذي أشار إلى أن قبائل مختلفة اشتركت في استيطان بلاد السروات، فقال: (أما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشائخ منهم وفيهم، وهم بطون متفرقون)[(١)]. فقال: " وعلق غيثان بن جريس على نصوص: الهمداني بقوله: (ويفهم من حديث الهمداني عندما قال: " ثم سراة زهران من الأزد، ودوس، وغامد، والحجر، نجدها بنو سواءة بن عامر، وغورها لهب، وعويل من الأزد وبنو عامر، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية " بأن الاختلاط والاندماج كان قائماً، فبنو سواءة خليط من أفخاد وعشائر سواءً كانت قحطانية أو عدنانية، وأحياناً يكون خليط مجموعة من العشائر مندرجاً تحت مظلة واحدة أو اسم قبيلة أو عشيرة معينة[(٢)]. وأضاف: (ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة يشاهد عدداً من الأسر والأفخاذ القبلية المنتشرة في هذه البلاد وهي من أصول مضرية عدنانية)[(٣)]. وقد يكون قول ابن جريس فيه شيء من الصحة لأن السمعاني صاحب كتاب "الأنساب" أشار إلى أن هناك قبيلة اختلطت بقبائل السراة تدعى (بني سواءة) والنسبة إليها (السواني) وهي من بني عامر بن صعصعة[(٤)]. وأضاف ابن جريس في موضع آخر قائلاً: (من يتجول في طول وعرض بلاد السراة اليوم يلاحظ بعض العناصر البشرية التي يظهر من أشكال بشرتها، وهيئة شعورهم وتقسيمات وجوههم أنهم يعودون إلى سلالات إفريقية أو تركية وغيرها، وعندما نسأل عن أصولهم نجدهم قد قدموا إلى بلاد السراة منذ مئات السنين)[(٥)]. وفي السطور التالية سوف نذكر بعض القبائل أو العشائر القديمة التي استوطنت سروات بلجرشي وما جاورها.

قدمنا في الصفحات السابقة على أن أهل جُرش يُعتقد أنهم انتقلوا إلى بلجرشي، بسبب حروب وصراعات قبلية، وبما أن قبيلة حمير ممن سكنوا جرش القديمة، كما قال ابن خلدون، في تاريخه: (كان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية ملوك التبابعة استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية ولهم مع صنعاء سنحان ونجران

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، (٦٩٠هـ/١٢٩١م).
(٢) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج٢، ص ١٤٣.
(٣) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٣٣ هامش الكتاب رقم (١٠).
(٤) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٣، ص ٣٣٠.
(٥) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٠٨.

وجرش) [١]. فإني أرجح انتقالهم إلى بالجرشي الحالية أو ضواحيها، [٢].

وقبيلة خثعم من القبائل المعروفة قديماً وحديثاً في المنطقة، وكثير من المواضع الجغرافية تنسب لهم، فجبال بارق وشن وحزنة وشكر وهضبة بعطان، هي في الأصل من ديار خثعم، أما تواجد كثير من القبائل بينهم اليوم فلم يكن إلا بعد حادثة انهيار سد مأرب باليمن، والأزد ومنهم غامد وزهران قدموا بعد انهيار السد كما قال ياقوت الحموي في " معجم البلدان " (أقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من جبال السراة وما ولاها أو قاربها من البلاد في جبل يقال له شن وجبل يقال له بارق وجبال معهما حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سبأ وتفرقهم في البلدان فقاتلوا خثعماً فأنزلوهم من جبالهم وأجلوهم عن مساكنهم ونزلها أزد شنوءة غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد فظهر الإسلام وهم أهلها وسكانها) [٣]. ومن الطبيعي أن تكون بعض الأسر المتواجدة في بلجرشي هي في الأصل من خثعم . استقرت بها للتجارة وطلباً للرزق .

قبيلة شمران : وتقع جنوب بلجرشي، بل إن العمران متصل والتواصل دائم، وهي من قبائل جنب كما قال السمعاني في " الأنساب " : " الجنبي بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذه النسبة إلى جنب قبيلة من اليمن ينتسب إليها جماعة من حملة العلم" وذكر المبرد في كتاب مختصر نسب عدنان وقحطان " أن جنباً عدة قبائل وهم الغلي وسنحان وشمران وهفان ومنبه والحارث بنو يزيد بن حرب بن علة هؤلاء الستة يقال لهم جنب " [٤]. وكما قال ياقوت في " معجم البلدان " : (مخلاف جنب باليمن ينسب إلى القبيلة وهي منبه والحارث والعلي وسنحان وشمران وهفان يقال لهؤلاء الستة جنب وهم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك أدد وإنما سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة) [٥]. ونظراً لقرب ديار قبائل شمران من بلجرشي، فإن بعض الأسر المقيمية في بلجرشي، تعود بأصولها إلى هذه القبيلة، من أشهرها أسرة (آل بن زومة) من خيرة أهل بلجرشي مقيمون في دار السوق ويفخرون بانتسابهم إلى شمران).

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص ٢٧٢ .

(٢) الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ٢٠٨ .

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٣١٩ . قبيلة خثعم من القبائل العريقة المذكورة في كثير من كتب الأنساب، وهي تستحق أن يفرد لها دراسة مطولة في كتاب علمي، ومن يفعل ذلك فإنه سوف يطلعنا معاشر الباحثين على مادة علمية قيمة عن هذه القبيلة العربية الماجدة . (ابن جريس) .

(٤) السمعاني، الأنساب، ج٢، ص ٩١ .

(٥) انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٧ . وأقول يا ابن مغرم أن تذكر أسماء وعشائر متجاورة ومتداخلة، وبدون شك أنه يربطها النسب والمصاهرة، وتستحق البحث والدراسة (ابن جريس) .

وقبيلة بني عُمر : وهم بني ناشر العمريون أو العامريون الذين يسكنون القرى الواقعة على خط الشعاف، شفا بلجرشي، قال السلوك إنهم يعودون في زهران، وأحمد قشاش قال إنهم يعودون في بني شكر الأزدية أخت بارق ونقل قوله من أن شكر أخت بارق عن ياقوت الحموي، والأخير جغرافي وليس نسابة، وإبراهيم الحسيل اكتفى بقول أحد أبناء بني ناشر أنهم من بني عُمر. ومع احترامي لهذه الآراء؛ فأعتقد أنهم عدنانيون من بني شكر بن عامر بن كعب بن صعصعة، وبعضهم انتسب إلى غامد، وآخرون اتخذوا من أسماء القرى ألقاباً لهم كالغيلاني والمصنعي والحزنوي وغيرهم . ويقطن جزء منهم قرى الشعف في بالجرشي، كما قال أحمد بادي " من بلدة غيلان " في رسالته لإبراهيم الحسيل، نشرها بالجزء الثاني من كتابه " غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان " قال: (قبيلة بني ناشر بطن من بني عُمر منهم جزء في السراة وجزء في تهامة، من أبناء ناشر في السراة، ذبيان صاحب قرية حزنة، وثور صاحب قرية غيلان، وسويد صاحب قرية المصنعة، وسمحان صحب قرية الربقة، وأن أهالي هذه القرى هم أحفاد أبناء ناشر المذكورين) وكما قال ابن قشاش في مقالته التي مرت بنا . وهناك وثيقة من شيخ بني عمر " بن موالا " يذكر فيها أن قرى المصنعة وحزنة وغيلان والربقة والمعروفون ببني ناشر الغامدي، ليست من غامد وإنما يعود أهلها إلى بني عمر من زهران[1] .إضافة إلى أن قرى القرنين وشعب الفقهاء ببلجرشي ومطيب والنشم بين السراة وتهامة، يعودون إلى بني عمر وهم اليوم ينتسبون إلى غامد بحكم قربهم من بلجرشي[2]. واستيطانهم بالجرشي بسبب خلاف نشب بين بني عمر من تهامة وقبيلة غامد الزناد، فأيدت قبيلة غامد قبيلة غامد الزناد، وأيدت قبيلة زهران قبيلة بني عمر[3].

وقبيلة غامد: هم من الأزد، وأهل البلاد الأصليون مشاركة مع خثعم، قدموا بعد " انهيار سد مأرب" مع أبناء عمومتهم الأزد، كما ورد في العديد من المصادر التاريخية، وورد ذكر سيل العرم في القرآن الكريم في قول الله تعالى [فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِم]، وحاربوا خثعم إلى أن أنزلوهم ديارهم شرق السروات . وهناك رواية تاريخية وَرَدَت في "تاريخ مدينة دمشق " تدل على تواجد الحضارم في جرش[4]. نصها

---

(١) السلوك، علي، غامد وزهران، ص ٢٤٨ في رسالة موجهة من الشيخ محمد بن عبدالله موالا إلى مؤلف كتاب "غامد وزهران ... السكان والمكان".

(٢) السلوك، علي، غامد وزهران، ص ٣٧-٣٨ .

(٣) السلوك، علي، غامد وزهران، ص ٩٦ .

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق . ج٣٧، ص ١٠٠-١٠١. ترجمة رقم (٤٢٥٥) .

(عبد الملك بن محمد بن عطية بن عروة السعدي من أهل دمشق ولي الحجاز واليمن لمروان بن محمد ... بلغ عبد الله بن يحيى الأعور فسار في نحو من ثلاثين ألفاً فنزل ابن عطية بتبالة ونزل الأعور صعدة ثم التقوا فانهزم الأعور فسار إلى جُرش وسار ابن عطية فالتقوا فاقتتلوا حتى حال بينهم الليل وأصبح ابن عطية مكانه فنزل الأعور في نحو من ألف رجل من أهل حضرموت فقاتل حتى قتل ومن معه وبعث برأس الأعور إلى مروان، وطالما أنهم تواجدوا في جرش، فلا يستبعد أن تكون أسر منهم قد انتقلت إلى بلجرشي الحالية . وبعض الأسر لا تزال تحمل الاسم الذي يدل على انتمائهم القبلي لتلك الجهات من بلاد العرب . وبعض الأسر يعودون في الأصل إلى قبيلة عتيبة، وهي من القبائل القوية والعريقة، تحدثت مع أحد أبناء قبيلة عتيبة، وقال: إن في بلجرشي فرع هاجر وطلب جوار غامد قبل مائتي سنة تقريباً " بداية القرن الثاني عشر الهجري " (الثامن الميلادي) ، وسبب انتقالهم حرب جرت بينهم . وهم الدعاجين جهة العتيق . وقريش وبني عامر المتواجدون في جُرش انتقلوا إلى بلجرشي الحالية . وأسأل أين ذهب القرشيون والعامريون بعد اندثار جُرش؟! وأقول إنهم ربما " انتقل أحفادهم من جُرش إلى بلجرشي الحالية وعرفوا فيما بعد بـ (قريش بلجرشي، وبني عامر بلجرشي) " وعلاقتهم لم تنفصم حتى اليوم، فالوثائق التاريخية التي اطلعت عليها والمتواتر بين الأهالي والشعراء المعروفين يؤيدون هذا الرأي[1]. وإليكم الأدلة : (١) وثيقة تبين الأسماء التي أدت الزكاة الشرعية، وأن بعض العوائل المعروفة في بلجرشي لازالوا يدعون أنفسهم " بني عامر بالجرشي "[2]. (٢) وثيقة تاريخية مهمة تؤكد تواجد القرشيين في بلجرشي وأطلق على زعمائهم (أمراء قريش) . ومختصرها أنه التف أهل بالجرشي يوم الجمعة (١٦/١٢/١٢١٩هـ) بني عامر والبكير والبركة وأهل الركبة والغازي والسلمية والصقاع والمدان والقريع والمكارمة والحصن والحال والمكارمة وأمراء قريش للتشاور في أمر خلافهم مع الشيخ مصبح وأهل الجلحية وانتهى الخلاف بأنها لأهل الجلحية [3].

وهناك بعض التشابه في الأسماء والألقاب التي تؤكد أقوالنا مثل: (١) تواتر الخبر لدى جزء كبير من أبناء قبائل غامد وزهران أن بلجرشي يقال لها (بلجرشي قريش) ويذكر الحسيل أن (المفهوم العام عند غامد وزهران والمجاورين لهم من القبائل أن بلجرشي فخذ من غامد ويقال لبلجرشي قريش. لا أدري لماذا نسب إليهم هذا الاسم وليس لهم أي

---

(١) أورد الباحث العديد من القصائد في بحثه وفيها أقوال وروايات تؤيد الصلة القوية بين سكان جرش القديمة وبلاد بلجرشي الحديثة، لكنني استبعدت هذه الأشعار لأنها تعود إلى العصر الحديث . (ابن جريس) .

(٢) الوثيقة المشهورة وجدت صوراً منها مع عدد من الناس ممن وردت أسماء لأجدادهم فيها .

(٣) عثمان، أحمد سالم . ألوان من تراث غامد وزهران، ص ١٥٧ . وثيقة مصورة .

صلة بنسب قريش القبيلة سكان الحرم) [١]. (٢) هناك بعض الروايات من كبار السن أن أهل بلجرشي هم المعنيون بالرواية التاريخية حول فتح " جُرش " كما في قول الحسيل: (بلجرشي يدعون كابراً عن كابر أنهم أصحاب القصة المذكورة في كتاب السيرة النبوية وكتبِ التاريخ والتي تتعلق بإسلام صرد بن عبدالله الأزدي وقتاله أهالي جُرش) [٢].

رابعا: بعض النظريات الاجتماعية وموافقتها لصفحات من تاريخ بلجرشي الحضاري:

كون الجرشيون مجتمعاً حضرياً قوياً من الناحية الاقتصادية في مكانهم الحالي بلجرشي. فهل يُعقل أن تكون هذه الحضارة قد نشأت دون تراكم معرفي وعمقٍ تاريخي؟! وأين المؤرخون عن حاضرة كهذه لم يُشر أي منهم إليها ؟! وقد ذكرنا سابقاً أن المجتمع القديم في جُرش الأثرية سادته حياة استقرار وتنوع اقتصادي، واتقن أهله المهن اليدوية حتى صار وجهة الطلاب ممن يرغبون تعلم المهن ؛ فطالما أنهم استطاعوا إقامة حضارة قوية في بلدتهم المندثرة، فيمكنهم إقامة حاضرة جديدة، وإعادة تحريك عجلة النشاط الاقتصادي التي توقفت تماماً بعد خروجهم من بلدهم، فاتصالهم تجاوز المناطق المجاورة إلى مدن بعيدة كالبصرة على سبيل المثال فالبصريون كانوا يكثرون التردد على جُرش كما أشار غيثان بن جريس في دراسته العلمية عن جُرش، وكانوا تجاراً لجملة في المنتجات الجلدية ونقلوها من جُرش إلى كافة الحواضر العربية[٣]. وبالنظر إلى الأعمال المهنية في بلجرشي نجد أنها تتشابه مع الأعمال المهنية في جُرش الأثرية فالموضعان اشتهر أهلهما بالتجارة والصناعة، والحسيل أشار إلى تجمع التجار قديماً في بلجرشي ذاتها وأنهم من قبائل مختلفة في قوله : " للتجمع التجاري وتجمع أصحاب الحرف في بالجرشي السبب الذي جعل منها منطقة آهلة بالسكان في مختلف مناطقها واستقروا باستمرار الإقامة عبر العصور، وانتسبوا إلى بلجرشي ولا نستطيع أن نفرق بين هؤلاء السكان. ونقول : هذا من قبيلة كذا، وهذا من قبيلة كذا، فالكل يجمعهم اسم بالجرشي، ومنهم علماء وأدباء وأعيان، وشخصيات بارزة لهم مكانتهم في المجتمع كذلك علماء الاجتماع اتفقوا جميعاً على أنه لا يمكن

---

(١) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٣٧ . هذا القول ينقصه الدليل القاطع وما ذكره الأستاذ الحسيل وجهة نظر لا تقوم على دليل أو مصدر موثوق. وهذه الرواية مازالت تحتاج إلى دراسة وبحث أعمق . وأقول إن ما وثقه الأستاذ عبدالله بن علي المغرم في هذا المحور لا يخلو من الأقوال والآراء المنطقية الجديرة بالتوقف والتأمل، وآمل منه أو من أحد الباحثين والمؤرخين الجادين في بلاد غامد أو بلاد عسير أن ينظر في هذه المدونات ويدرسها دراسة أطول وأعمق مع الحرص على العثور على براهين قوية تؤيد أو تنقض ما أورده هذا الباحث في هذه الورقات . (ابن جريس) .

(٢) الحسيل، المرجع نفسه، ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٣) ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٠٧ .

أن يتحول مجتمع بدائي في ثقافته إلى مجتمع " حضري صناعي " ذو ثقافة متنوعة، إلا بعد زمن طويل يتم فيه تكرار واعتياد نقل الثقافة من جيل إلى جيل . والثقافة هنا تشمل سبل المعيشة وتنوع المهن وتعقد العلاقات الإنسانية ويطلق على هذه العملية مصطلح " المتصل الريفي الحضري " وتعريفه : (مجتمعات محلية تندرج بشكل مستمر ومنتظم من الريفية إلى الحضرية، وفقاً لعدد من الخصائص، وأن التدرج يصاحبه اختلافات أو فروق متسقة في أنماط السلوك) [١] . وأي مجتمع إنساني ينشأ على أساس قوانين اجتماعية عرفها علماء الاجتماع كمصطلحات علمية، منها مصطلح " امتزاج ريفي حضري " وهو : (اندماج الحياة الريفية والحضرية من خلال انتشار السكان الحضريين في المناطق الريفية، وما يترتب على ذلك من نمو الأطراف الكبرى أو المناطق الحضرية الريفية المختلطة التي لا تعتبر ريفية أو حضرية خالصة) [٢] . وبما أن الامتزاج قائم مع الاتجاه إلى التحضر، فإن هذا يعني دخول عنصر متحرك (ديناميكي) جديد على عنصر ثابت (استاتيكي) ليثبت مصطلح " التحضر " الذي نصه : (ظهور بعض الممارسات الثقافية المرتبطة عادة بالمدينة في المنطقة الريفية معناه أن هناك شواهد تدل على أن السكان الريفيين يشهدون عملية تحضر) [٣] .

البناء الاجتماعي في بلجرشي ومصادر ضبطه :

البناء الاجتماعي تفاعل مستمر بين أنساق اجتماعية متعددة، والأنساق هي ظواهر اجتماعية كالعلاقة مع الأبناء والأقارب وتعتبر ظاهرة اجتماعية أسرية قرابية، وفي المقابل فإن العلاقة بين التجار والمستهلكين، تعتبر ظاهرة اجتماعية اقتصادية . والعلاقة بالمؤسسات الدينية، أيضاً ظاهرة اجتماعية دينية . عندما يبرز نسق معين من هذه الأنساق يفرض أفكاره ومعتقداته عليها، مع المحافظة عليها للتوازن[٤] . وذلك يؤدي إلى سقوط رأس البناء ومن ثم انهياره ولذا يحاول النسق المسيطر بقدر المستطاع الموازنة بواسطة مصادر ضبط اجتماعية، وهي تشريعات وقوانين لها قوة جزاء مادية كالحبس أو الغرامة أو الحجز على الأموال، والوصول إلى مصادر الضبط الاجتماعي فإن أي مجتمع غالباً ما يكون تحت إحدى ثلاث بنى اجتماعية، هي: (١) نظام ديني يحكم مجتمعاً متديناً، يرأسه رجل مشهود له بالصلاح ويعتمد على قواعد وتعاليم وتشريعات سماوية من آمن بها واتبعها لا حق له في رفضها أو العودة عنها ولا جدال إلا

(١) غيث . محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص٨٩ نقلاً عن شالين جالين .
(٢) غيث . محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص٤٩٩.
(٣) غيث . محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص٣٩٤، نقلاً عن شالين جالين .
(٤) السيف، محمد، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، ص ٣ .

في تفسيرها وقياسها بما ينص عليه المذهب المتفق عليه (٢) نظام قبلي يحكم مجموعة ذوي أصول واحدة، يرأسه شيخ قبيلة . ويعتمد على قواعد عرفية وعادة القاعدة العرفية تنشأ بالتكرار واتباع سلوك معين يعتقد الأفراد أنه الأفضل فيصبح لازماً، ويتطلب زمناً طويلاً لثباته[١] .ومع مرور الوقت يتحول ليصبح قانوناً ملزماً متى ما اكتملت أركانه، والجهل به لا يعفي من العقاب كما في النص القانوني القائل: (العرف باعتباره متولداً عن اعتياد الناس على نوع معين من السلوك مع الاعتقاد في لزوم اتباعه يعتبر معبراً عن إرادة الجماعة، ولهذا السبب كان العرف أسبق في الظهور باعتباره من مصادر القانون والأنظمة[٢] . والعادة يجب أن يتفق الغالبية على قبولها كما ورد في النص القانوني القائل : (لا تكون العادة ملزمة إلا بالاتفاق عليها) [٣] . والقواعد العرفية تثبت بالاقتناع والقبول لما تواتر إليهم من الآباء والأجداد وتعريف الأحكام العرفية في المصادر القانونية : هي كل عادة أو تقليد تعارف عليه المجتمع وأصبح قانوناً اكتسب قوة بعد أن توارثه الأجيال ولرئيس الجماعة إيقاع الجزاء على من يخالفه . (٣) نظام دولة يحكم مجتمعاً متحضراً ، يرأسه ملك أو رئيس ويساعده برلمان أو مجلس نواب، ويعتمد على قواعد قانونية مدنية وضعية قد تكون مستوحاة من التعاليم الدينية والعُرف والعادة .

وهذه الأنظمة الاجتماعية الثلاث هي الأقوى من حيث فرض تشريعاتها، والمتعارف عليها بين الجماعات الإنسانية، إلا أن المجتمع الجرشي قبل انضمامه تحت لواء حكومة المملكة العربية السعودية لم يعتمد أياً منها ليضبط علاقات القرى فيما بينها . وإذا حللنا البنى الاجتماعية الثلاثة مقارنة بوضع المجتمع الجُرشي، سنجد الآتي : (أ) النظام الأول رجاله لم يكن باستطاعتهم فعل شيء سوى النصح والإرشاد، ويُطلق على الفرد منهم " الفقيه " أو " المطوع " ويستمدون قوتهم من الله أولا ثم من الحاكم إذا كان ملتزماً، ورغم أن الدولة السعودية الأولى والثانية قامتا على مبدأ سيادة النظم والشرائع الإسلامية وتطبيقها، إلا أن أعداءها توالوا عليها، لكنه عاد وبرز عند انضمام بلجرشي إلى الدولة السعودية الثالثة ووجد تأييداً ومساندة شعبية، فنشأت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كجهاز قوي استطاع تغيير كثير من العادات والتقاليد التي لا تتوافق مع الشرع[٤] . (ب) النظام الثاني مفقوداً كون الجرشيين أقاموا في بلاد غامد بالحلف، وإذا نظرنا إلى

---

(١) عمران، محمد . الوسيط في دراسة الأنظمة . ص ١٢٣ .
(٢) عمران، محمد . الوسيط في دراسة الأنظمة، ص ١١٤ .
(٣) عمران، محمد . الوسيط في دراسة الأنظمة، ص ١١٩ .
(٤) أشكرك يا أستاذ عبد الله على هذا الطرح العلمي، وآمل أن تجري بحوثاً أطول وأعمق على تاريخ وحضارة بلادك غامد، أو بلجرشي . (ابن جريس) .

تكوين المجتمع الجرشي وجدناه مكوناً من قرى مستقلة نشأ في كل منها نسق اجتماعي قرابي بسيط ناتج عن المصاهرة بين عدة عوائل صغيرة كونت فيما بينها ما يسمى بـ (اللحمة أو اللحام) [١] وتلقب بعض الأفراد بمسمى قريته كنوع من الاستقلال، ومن خلال هذا النسق نشأت مجموعة من الأعراف والعادات تمارس داخل القرية ولها عقاب جزائي ومعنوي يشرف على تنفيذها رئيس القرية (العريفة) فيدعو المخطئ إلى الاعتذار ودفع تعويض للمتضرر أمام مجتمع القرية وفي مناسبة يُدعى لها الجميع وإذا رفض دعا مجتمع القرية إلى نبذه ورفض التعاون معه ويصل الأمر إلى حد عدم دخول داره أو مصاهرته[٢] . (ج) النظام الثالث مفقود، لأن الدولة المتعددة السابقة التي ضمت الجرشيون تحت لوائها لم تكن مؤثرة، فكل من الأشراف أو الأتراك أو آل عائض أو الأدارسة لم يستقر حكم أي منهم بشكل متواصل حتى يمكن أن يصدروا قواعد وقوانين تنظم وتضبط أسلوب الحياة اليومية . وانحصر اهتمامهم في تحصيل الزكاة، ولم تصرف تلك الإيرادات في مصارفها الشرعية كالاهتمام بالنواحي الاجتماعية و التعليم والصحة وغيرها [٣].

إذاً ما هو النسق الاجتماعي البارز والمؤثر الذي من خلاله تواءم المجتمع الجرشي وكون بنيته واستطاع به أن يضبط علاقاته الاجتماعية قبل الحكم السعودي ؟! والجواب هو: النسق الاقتصادي الاجتماعي . قلنا إنه إذا نما نسق اجتماعي معين فإنه يفرض أفكاره على باقي أنساق البناء الاجتماعي، فعلى سبيل المثال، إذا برز النسق الاجتماعي التعليمي سنجد المجتمع تحول تلقائياً إلى الاهتمام بالنشاط العلمي (جامعات، مدارس، مكتبات، مراكز ثقافية، مدرسون وعلماء وأعمال أدبية) لكنه سيكون في حاجة إلى النسق الاجتماعي الاقتصادي لإدارة هذا النشاط (بناء مراكز علمية ودفع أجور وتمويل أبحاث) وفي حاجة إلى النسق الاجتماعي الديني لمجابهة الأفكار غير المناسبة وبما أن النسق الاقتصادي الاجتماعي أو بمعنى أصح " الرأسمالي " هو البارز في بلجرشي، فإن معتقداته وقيمه طغت على البناء الاجتماعي الجرشي، وهذا الرأي تسانده نظريات كثير من علماء الاجتماع ومنهم المنظر الماركسي " جولوكاش " في قوله : (عند استيلاء النظام الرأسمالي على السلطة يعيد صياغة جميع تفاصيل الحياة

(١) اللحمات : المقصود بها التلاحم أو الالتصاق بين الجماعات .

(٢) هذه عادات وأعراف عرفها ومارسها عموم سكان تهامة والسراة، وهي جديرة بالدراسة والبحث في عدد من البحوث العلمية . (ابن جريس) .

(٣) هذه القوى السياسية التي أوردها الباحث في متن دراسته هي إمارات ودويلات إدارية وسياسية مدت نفوذها على عموم بلاد السروات خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهي مدروسة ومبسوطة في العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة والمنشورة . (ابن جريس) .

الاقتصادية، ويصبح كالساعة، والمنظم الأكبر للسيرورة، وينبغي على الأنماط المخالفة لـه إما أن تتمثل به أو أن تعارضـه [١]، وفي هذا تأكيد لـرأي رجال القانون الذين أكدوا على أن الفكر الاقتصـادي يؤثر على النظام القانوني السـائد [٢]، كما أنه من المتعارف عليه عند علماء الاجتماع أن الحي التجاري يثير في سـكانه آداباً وتقاليد ومعتقدات من النوع السائد فيه، فالتصرفات المعتادة تؤثر على المدى البعيد في قيمه ومعاييره وأنماط سـلوكه [٣] وبالتالي فإنها تصبح عادات وتقاليد يتوارثها الأجيال حتى تتأصل وهذا ليس ببعيد عن رأي المفكر الفرنسي " مونتيين " الذي قال بعد قرنين من ظهور المفكر العربي المسـلم ابـن خلدون : (تتولد قوانين الوعي من التقاليـد، وليس كما يقال من الطبيعة، فـكل فـرد منا يحترم داخليـاً الآراء والعادات التي تجد موافقة وتقبـلاً ممن حوله كما أنه لا يسـتطيع تجاوزها دون توبيخ ضـمير أو تطبيقها دون ارتياح نفسي يغمره [٤]، وإذا نظرنا إلى مكانة الفرد والأسـرة في هذا النسـق الاجتماعي، سنجد أنها تتأثر بالمستوى الاقتصـادي والقدرة على الإنتاج وتؤثر بالتالي على أسلوب الحياة من حيث نوع المسكن والتعليم والتربية والدين والعلاقات .

وهـذا النسـق الاقتصـادي في حاجة إلى النسـق الاجتماعـي التعليمي لإخراج كـوادر قادرة علـى القراءة والكتابـة والإدارة، ويحتـاج إلى النسـق الاجتماعي الديني ليحكم العلاقات من الناحية القانونية والشـرعية وينشـر نوعـاً من الطمأنينة، وكذلك النسـق الاجتماعي الأسـري ليوفر الراحة النفسية لرب النشـاط ويولد منافسة شريفة بـين كل أسـرة وأخـرى . وكل نسـق اجتماعـي له مركز ورجـال يديرونـه . ولا يجب أن نتجاهل دور سـوق السـبت في حاضرة بلجرشـي كونه يتوسـط قرى السلمية والحصن ودار السوق، وهو سوق كبير دائم يقع على ضفاف وادي سيل، ويكثر فيه الباعة والزوار، لأن أصـحاب الدكاكين والتجار الكبار موجودون طوال أيام الأسـبوع، لأن سوقهم يعتبر المركز الرئيسي للأسواق المحلية القائمة في المنطقة ولديهم القدرة على استيراد بضائع جديـدة من أماكن بعيدة وتصـدير الفائض من منتجات المنطقـة، وتتوفر به المنتجات الزراعية والصـناعية والكماليات بكافة أنواعها وبعض أهالي القرى البعيدة التي يقام

---

(١) معتـوق، د. فردريك ود .عبد الباسـط حسـن، علم اجتمـاع المعرفة . ص ١٣١، نقلاً عـن كتاب (التاريخ والوعي الطبقي) سنة (١٩٢٢م) للمنظر الماركسي المجري الأصل جو لوكاش .

(٢) عمران، محمد، الوسيط في دراسة الأنظمة . ص ٢٨-٢٩ .

(٣) خاطر . أحمد مصطفى . الخدمة الاجتماعية . ص ٣٠٥

(٤) معتوق . د . فردريك و د. عبدالباسـط، ص ٢٥ نقلاً عن كتاب (المحاولات) للمفكر الفرنسـي ميشال دي مونتيين (١٥٣٣-١٥٩٢م) .

بها أسواق ينتظرون يوم سبت بلجرشي لجلب بضائعهم وبيعها بسعر أفضل[١].

وتجار بلجرشي يصدرون ويستوردون بضائعهم من وإلى مكة وجدة وبور سودان وعدن والمخا وسواكن ومصوع وزيلع وكل تلك المناطق أصبحت مهجراً للجرشيين بعد أن سيطرت عليها الدولة العثمانية . حيث قرر العثمانيون احتلال سواحل البحر الأحمر في الجانب الإفريقي، بأمر ازدمر باشا والي اليمن سنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) للقضاء على آمال البرتغاليين في السيطرة على أي من مرافئ البحر الأحمر[٢]. وبحكم سهولة الانتقال داخل نطاق دولة واحدة، تواجدً بعض أبناء الأسر الجرشيون ويتم البيع والشراء بواسطتهم ويخبرونهم بأسرار الأسواق العالمية كنفاد المؤن أو زيادة أسعارها أو انخفاضها، واستفاد الجرشيون فائدة عظيمة من عملية الاستيراد والتصدير، لأنها تحتاج إلى حنكة وخبرة وعلاقات قوية للشراء والبيع، ومال لدفع نفقات الحماية والنقل والتخزين، وأشار ابن خلدون إلى ما يشابه هذا الأمر في قوله : (نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحاً وأكفل بحوالة الأسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالأمن فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أكثر الناس أموالاً لبعد طريقهم ومشقة واعتراض المفازات الصعبة المحفوفة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة يهتدي إليها أدلاء الركبان فلا يركب خطر هذا الطريق وبعده إلا الأقل من الناس) [٣].

وكانت البضائع المستوردة من مكة وجدة يتم نقلها عبر طريق الساحل المحاذي للبحر الأحمر حتى تصل المخواة، أما ما يُجلب من الموانئ الخارجية فيستقبلونه في

---

(١) يا أستاذ عبدالله المغرم هذه وجهة نظرك حول النظريات التي أشرت إليها، وقد يظهر من أبناء غامد وبلاد السراة من يعارضك في هذه الآراء والأقوال المدونة في هذه الدراسة . أما الحديث عن سوق السبت الأسبوعي في بلجرشي فهو موضوع جيد ويستحق أن يدرس تاريخياً وحضارياً خلال القرون الهجرية الثلاثة الماضية . بل إن الأسواق الأسبوعية في بلاد السروات الممتدة من الطائف حتى نجران تستحق أن تدرس في مئات الكتب والبحوث العلمية، وآمل من الجامعات المحلية في هذه البلاد، وأيضاً المؤرخين والباحثين الجادين أن يدرسوا مثل هذه الميادين الحضارية المهمة (ابن جريس) .

(٢) عبد المعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر (رسالة ماجستير) ص ٨٢، هامش ٥٢.

(٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٣، الباب الخامس، الفصل الثاني عشر، " في نقل التاجر للسلع "

ميناء البرك والقحمة والقنفذة والأخير كان الأقرب والأضـمن لهم رغم الأخطار التي تتعرض لها قوافلهـم أحياناً في أوقات الفـتن، فمرفأ القنفذة نشـط تجارياً من القرن العاشـر الهجري (السادس عشر الميلادي) ولم يسلم من محاولات الضم المتكررة من قبل الحكام، ففي سـنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) تعرض لمحاولة تخريب ونهب من قبل أحد الحكام الأشـراف كما في "تاريخ اليمن" : (جاء الخبر أن أصحاب حمود غزوا بندر القنفذة وأرادوا انتهابه فحرقوا أطراف البندر ودافعهم أهلها فانكسـروا بعد أن ذهب بالقتل ثلاثة أنفار) [١] . وكذلك اسـتولى قائد الجيش السعودي عثمان المضايفي، ميناء القنفـذة التابع لشـريف مكة غالب سـنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) [٢].وإذا كانت الأوضـاع كالمعتـاد فإن القوافل الجرشـية حال خروجها مـن مرافئ القنفذة والـبرك والقحمة، يتولاهـا مشـائخ القبائل بالحماية من السـلب والنهب نظير مبالغ متفـق عليها، إلى أن تصـل المخواة يوم الثلاثاء ويقام هناك سـوق للقبائل التهامية خاصـة بني عُمر ويسـتمر إلى يـوم الخميس ويغذي أسـواقهم الأسـبوعية بالبضـائع . وبعد أن ينتهي سـوق المخواة تصعد القوافل الجرشية عقبة حميد [٣] حيث يتم تخزينها في مستودعات التجار استعدادا لعرضها صباح يوم السبت [٤]. ومن هنا أخذ اسمه حيث أن وصول القوافل من المخواة يوم الجمعة وعرضها يوم السبت، جعلته سوقاً مشهوراً ونمت أموال القائمين عليه وجعلتهم من كبـار وجهاء المنطقة، ولهم الكلمة النافذة ولم يكن هنـاك منافس قادر على الوقوف أمام هذا الطوفان، لأن كثيراً من الأمور القبلية التي تخفى على العامة كانت تدار بالمال .

والنسـق الاجتماعي الاقتصـادي هو كأي نسـق آخر يفعل المستحيل للمحافظة على قوامه، فهو من تولى قيادة البناء الاجتماعي الجُرشـي ونظم العلاقة بين الأنسـاق الاجتماعية الأخرى، وساعد على إقرار قوانين انبثقت من العرف السائد لتنظيم علاقة المصالح التجارية بين القرى والبلدان المجاورة، وأضفى عليها الطابع الاقتصادي . ولذا لا غرابة في وضـوح الدور الكبير لمعاهدات سـوق السـبت نظراً للقوة الاقتصـادية التي يتمتع بها أهالي وادي سـيل، ولا غرابة في أنهم أقاموا الحروب ضـد بعض القبائل كنوع من الجزاء المادي حين شـعروا بخطورة تصرفات بعض أفرادها على نظامهم . كما في

---

(١) الصنعاني، ابن الوزير، عبدالله، تاريخ اليمن، ج١، ص ٢٣٠ .

(٢) الزيد، إبراهيم، مجلة جامعة الملك عبد العزيز (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) مج ٧ صادرة (١٤١٤هـ) مقال(عثمان المضايقي أمير المظيليف والحجاز في الدولة السعودية الأولى) . ص ٩٩ .

(٣) عقبة حميدة سـميت بهذا الاسـم لمرورها من قرية حميدة الواقعة أسـفل العقبة، تصـعد عبرها قوافل الجمال والحمير محملة بالبضائع ويبلغ ارتفاعها أكثر من (٢٠٠٠) متر عن سطح البحر .

(٤) حكى لي أحد كبار السـن أن أهالي بلجرشـي كانوا ينزلون إلى سوق خميس المخواة في تهامة يوم الأربعاء ويعودون بعد ظهر الجمعة ليحضروا تجمع القوافل الجرشية في سوق السبت .

حادثة سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) حيث اعتدى رجل على أحد رواد سوق السبت وهو في طريقة إلى قريته، ثم قتل المعتدي من قبل أربعة رجال من بني جرة داخل حمى السوق، بينا شرف وعهد سوق السبت يحمي كل من يرده، فأقام المحافظون على سوق السبت من أهل وادي سيل الحرب على بني جرة، وجمعوا لهم قرى المصنعة وحزنة وغيلان وجبر والهيس والحمران وبني سليمان في تهامة [١].

وإذا توقفنا مع التاريخ الاقتصادي القائم في بالجرشي قبل عصر الطفرة الاقتصادية [٢]. فإننا نجد ابن خلدون يقول: " إن أسباب الرزق أربعة : إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة " [٣].وأشار إلى أن المجتمعات المتحضرة تحتاج إلى عدة مهن كما في قوله : " من البين أن أعمال أهل المصر " أي أهل البلد الواحد" يستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الأعمال ويختص ببعض أهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه . وما لا يستدعي في المصر يكون غفلاً إذ لا فائدة لمنتحله في الاحتراف به "[٤]. وإذا نظرنا إلى مكونات النظام الاقتصادي الجُرشي، وجدناه لا يختلف عما أشار إليه ابن خلدون فسكانها يمتهنون عدة مهن، منها الفلاحة ممثلة في الزراعة ورعي وتربية المواشي، والصناعة ممثلة في دباغة الجلود وتشكيل الحديد وعمل وتزيين الأثاث والأبواب والمستلزمات الخشبية الأخرى (النجارة) إلى جانب مهن خفيفة أخرى مساعدة، بينما كانت مهنة التجارة " البيع والشراء " محور هذا النظام ومحركه الرئيسي، وسوق السبت مركزه[٥].

العصر الصناعي :

ومن أهم المهن والصناعات التقليدية التي مارسها أبناء بلجرشي: النجارة وتشتهر بها قرية المكارمة في بالجرشي[٦]. وهي فن لا يجيده سوى شخص موهوب، امتهنها النبي نوح عليه السلام من قبل، وامتهنها حكماء اليونان . ولابن خلدون قول يخالف رأي الجهلاء من أن صناعة النجارة لا يقوم بها إلا أصاغر الناس مقاماً . قال:(هذه الصناعة

(١) هذا السرد التاريخي جيد، والموضوعات المذكورة عن النشاطات الاقتصادية في أجزاء من تهامة والسراة تستحق البحث العميق، ونأمل أن نرى من يدرسها في بحوث علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٢) المقصود بعصر الطفرة الاقتصادية أي من منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس)

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص ٣٨٣ .

(٤) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص ٤١٢-٤١٣، الفصل العشرون .

(٥) نجد الباحث يورد بعض التفصيلات العامة التي تتعلق بالتجارة والصناعة، ولأن هذه المعلومات الواردة لا تخدم الدراسة بشكل مباشر ولهذا تم حذفها . (ابن جريس) .

(٦) عثمان : أحمد سالم، ألوان من تراث غامد وزهران . ص ١٢٠ القرية معروفة لدي تماماً وأثبت المصدر للتأكيد ليس إلا .

من أصلها محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأن إخراج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الإحكام محتاج إلى معرفة التناسب في المقادير إما عموماً أو خصوصا وتناسب المقادير لابد فيه من الرجوع إلى المهندس ولهذا كانت أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أوقليدوس صاحب كتاب الأصول الهندسية نجارا وبها كان يعرف وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال أن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام " [1].

ومعظم مستلزمات البيوت في بلجرشي قديماً تصنع من أخشاب العرعر، ورغم أن عمر بعض البيوت يتجاوز الخمسمائة سنة، إلا أن الأخشاب المستخدمة فيها لا تزال متينة وجيدة بل ويمكن استخدامها وكأنها للتو قطعت . والسؤال : لماذا لم تتآكل مع طول المدة؟! الجواب يكمن في سر بسيط، هو وقت القطع فهم يختارون شجرة ذات عمر معين وينتظرون وقتا معينا تتعامد فيه الشمس وفي يوم معين من السنة للقيام بعملية الاحتطاب أو قطع الأشجار، بخلاف ذلك فلن يمر عدة سنوات إلا والأرضة أو السوس يبدأ في نخرها. أخبرني بذلك الأستاذ عبدالرحمن بلح[2] من أهالي منطقة رغدان بالباحة، وهذا سر من الأسرار التي توارثها أهالي المنطقة كافة ويجب دراسته، ثم وجدت إشارة إلى ذلك في كتاب ذي موضوع مختلف قال مؤلفه : (وتنزل الشمس برج الجدي، وفيه يقطع الخشب، وأما الشتاء فله طوبة يقطع فيه الخشب، وفيه عيد الغدير وفيه يقطع قصب الكرم الفارسي، وينهى فيه عن قطع الخشب كيلا يسوس) [3]. وهذا لا يمنع أن تطلى الأبواب والشبابيك بمادة القار أو القطران[4]. لزيادة الحرص والمحافظة عليها من النخر والتسوس أو التآكل . ومادة القطران مادة سوداء اللون تشبه زيت النفط الخام " وتستخلص من عملية حرق الخشب ويقوم بها أهالي قرية الحريق من قبيلة الهتان [5].

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص ٤١١ .

(٢) عبدالرحمن محمد سالم الغامدي، المعروف بـ عبدالرحمن بلح، ماجستير في الآثار من جامعة سيركيوس، ومدير الآثار والمتاحف بمنطقة مكة المكرمة .له دراسة علمية محكمة بعنوان : (دور الآثار في الحفاظ على المياه) شارك بها في مؤتمر الأمير سلطان بن عبدالعزيز العالمي للمياه الذي أقيم في مدينة الرياض عام (١٤٢٦هـ) وتم قبولها كموضوع نقاش في مجلس وزراء المياه العرب المنعقد في تلك الفترة .

(٣) الدقاق : محمد . الحكم والغايات في تعبير المنامات . مخطوط ٩ ج١، ص ١٤٧ .

(٤) يستخلص من مادة القطران مادة أخرى تسمى المهل وتستخدم لعلاج بعض الأمراض والعاهات والجرب " المصدر: غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج٢، ص ٦٨ وأضيف إلى ما قاله الحسيل : بأن شخصاً يدعى (محمد الهتاني) أخبرني أنهم لايزالون يمارسون المهنة حتى اليوم ويبيعون الجالون سعة (٢٠) لتر بـ (٤٦) ريالا سعوديا، ولكل أسرة موضع متعارف عليه في سفوح الجبال .

(٥) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان . ج٢، ص٦٨ .أشكرك يا ابن مغرم على هذه المعلومات ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الحرف والصناعات التقليدية في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). (ابن جريس) .

ومن أبرز الصناعات الخشبية المرزن أو الزافر، وهو عمود من الخشب المتين والقوي وارتفاعه (٢٨٠) سنتيمتراً، وأبعاده طولاً من (٦٠ـ ٩٠) سنتيمتراً، وعرضاً من (١٥ـ ٣٠) سنتيمتراً، وقد يكون في المنزل الواحد أكثر من اثنين تبعاً لحجمه ومساحته. يقف ثابتاً وسط المنزل لقوته إضافة إلى تميزه بالجمال والروعة في التصميم، يزداد طولاً وعرضاً كلما صعدت بنظرك إلى قمته التي تنتهي بنصف دائرة خشبية مزخرفة تسمى الوسادة أو الفلكة، تضاهي مساحتها مساحة قمة العمود مرتين لتستند عليها الأعمدة الرئيسية التي تحمل أعمدة السقف، وتتدلى من نصف الدائرة سلاسل تنتهي بخطافات أو كلابات تعلق فيها أغراض المنزل المختلفة. كما أن الأبواب والشبابيك التي استخدمت في بيوت بلجرشي القديمة عندما تتأملها تلاحظ كماً من الزخارف والتشكيلات الهندسية لتظهرها في أبهى صورة، فمن أين لشخص محدود الفكر أن يصنع مثل هذا[١].

وتختص مهنة الدباغة بإزالة العفونة والرطوبة النجسة من الجلد[٢]. ويستخدم فيها شجر القرض[٣]. وكانت تمارس في بلجرشي بمهنية عالية، واشتهرت بعض الأسر بإتقانها، كونها مهنة رائجة جداً ومربحة نظراً لكثرة أشجار القرض ببلاد السراة عامة، قال ياقوت: (السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن وهذه الجبال تنبت القرض)[٤]، وفي موضع آخر: قال: (السلم في الأصل شجر ورقه القرض الذي يدبغ به)[٥]. وابن منظور، قال: (السلمة شجرة من العضاه ذات شوك وورقها القرض الذي يدبغ به الأدم ويعسر خرط ورقها لكثرة شوكها)[٦]. وفي موضع آخر: (القرض أجود ما تدبغ به الأهب في أرض العرب)[٧]. وفي مختار الصحاح: (القرض ورق السلم يدبغ به وقيل قشر البلوط)[٨].

---

(١) ياعبدالله المغرم لقد أوردت محاور عديدة جديرة بالبحث والتوثيق، منها البناء والعمارة وبعض المواد المستخدمة في هذه الحرفة، وأيضاً الزخارف والفنون التشكيلية والمعمارية التي مارسها أهالي السروات في صناعة أبوابهم وعمائرهم. كما أشرت إلى مفردات واصطلاحات لغوية محلية، وهي في الواقع ذات أصول عربية صرف. وأقول إن بلاد تهامة والسروات تشتمل على الكثير من الجوانب التاريخية والحضارية الجديرة بالدراسة والبحث والتأصيل. (ابن جريس).

(٢) الجرجاني، علي، التعريفات، ج١، ص ١٣٨.

(٣) القرض: أشجار من فصيلة الطلح، أشواكه أنعم وأعواده أصلب، يستخدم وقوداً ويكثر في شرق سراة الباحة. المصدر: ألوان من تراث غامد وزهران، أحمد سالم عثمان. ص ١١٦.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٤.

(٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٤، ٢٤٠.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٦٠٣.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٤٥٤.

(٨) الرازي، محمد، مختار الصحاح، ج١، ص ٢٢٢.

ولم تكن الدباغة من المهن المعيبة، فكتب التاريخ تذكر كثيراً من العلماء والمشـاهير ومن بيوت الحسب والنسب، ممن يعملون بهذه المهنة، ومنهم : زينب بنت جحش (رضي الله عنها) زوجة الرسول (عليه الصلاة والسلام) كانت تدبغ وتخرز، جاء في الإصابة: (قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكـن بأطولنـا ، فعرفنا حينئـذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصـدقة، وكانت زينب امرأة صَناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله) [١]. وأم سلمة زوج الرسول (عليه الصلاة والسلام) وغيرها من الصحابة وهم أهل شرف ومروءة، كانوا يمارسون الدباغة كمهنة، وابن كثير أشار في " البداية والنهاية " إلى أن أم سلمة حين جاء رسول الله عليه الصلاة والسلام لخطبتها، قالت: (فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي فغسلت يدي من القرض وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشـوها ليف فقعد عليها فخطبني إلى نفسـي) [٢]. وحفيد أبي بكر الصـديق – رضـي الله عنه – ، كان مدبغياً وقاضـياً في مصـر، وجاء عنه في المنتظم (هاشم بن أبي بكر بن عبدالرحمـن بـن أبي بكر بن عبدالله بـن عبدالرحمن بني أبي بكر الصـديق يكنى أبا بكر، مدبغي كان من سـاكني الكوفة فقدم قاضـياً على مصر من قبل الأمين في جمادى الآخرة سـنة أربع وتسـعين) [٣]. وسـلمان الفارسـي (رضـي الله عنه) جاء في تاريخ بغداد عندما ترجم مؤلفه للحارث بن عميرة ولقائه بسلمان الفارسي وهو من الصحابة ومن بيت فارسـي حاكم أنه " أي سـلمان " يعمل بالدباغة بالرغم من أنه كان والياً على المدائن : (الحارث بن عميرة الزبيدي ويقال له الحارثي يعد في الشـاميين سـمع معاذ بن جبل وسـلمان الفارسي قال قدمت إلى سلمان في المدائن فوجدته في مدبغة له يعرك إهاباً له يكفيه فلما سلمت عليه قال مكانك حتى أخرج إليك) [٤]. وورد ذلك أيضاً في " تاريخ مدينة دمشـق " [٥]. وفي الأنسـاب أشير إلى أن من أشراف بيوت العرب من كان يمتهن الدباغة (سـأل معاوية دغفل النسابة أخو بني شيبان بن ذهل ثم من بني عمرو بن شـيبان كم بيتاً في غطفان فقال النسـابة فيهم بيتان وبيتـان، يعني بيت آل زبّان بن منظـور وبيـت حذيفة بن بدر، فزاريان، وبيت سـنان بني أبي حارثـة وبيت الحارث بن

---

(١) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٦٦٩ .
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٩١ .
(٣) الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ج١٠، ص ٣٥، ترجمة رقم (١٠٧٦) .
(٤) البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٨، ص ٢٠٥، ترجمة رقم (٤٣٢٤) .
(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٤٥٨ .

ظالم، مريان، وبيت الربيع بن زياد وبيت زهير بن حذيفة . عبسيان . قال: وبعد هؤلاء بيت مروان بن زنباع، قال وكان لمروان ثلاثة أسماء مروان الحجاز ومروان القرض ومروان بن زنباع، وسمي مروان الحجاز لأنه أكرم أهل الحجاز وسمي مروان القرض لأنه سيد من دبغ بالقرض) [(١)] .

ومهنة البناء من الحرف المحلية، والحصون التي على قمم الجبال تتميز بأسلوب فريد في طريقة البناء، فقاعدة الحصن أوسع من قمته لضمان ثباته وطول عمره، ويبلغ طول بعضها أكثر من (٢٠) متراً، وتكمن فائدته في مراقبة المعتدين ومحاربتهم . فمن أين لمحدود الفكر أن يعمل مثل هذا . وبالنسبة لبناء البيوت، فعند البدء في البناء يتم اختيار موقع البيت ويسمى المدرك وغالباً ما يكون قرب الدار القديمة للاستفادة منها وتكون قريبة من بيوت الأقرباء، وبعد أن يتم تسويتها يتم اختيار مكسر قريب للحصول على الحجارة اللازمة للبناء من قبل اثنين أو ثلاثة رجال يسمون المكسرة . بتشديد السين ـ ويستخدمون الفانوس والمطرقة والقراص والعتلة واللغم لتكسير الصفيان[(٢)] . تقسم الدار أو البيت إلى أقسام رئيسية تسمى العيون . ومكونات الدار: القدم : وهي مقدمة الدار وبها مجلس الرجال، ثم العقب: وهي مؤخرة الدار وبها المعلف، والمحلب، أو مكان للحلال وللمطبخ، ثم العلو: ويطلق على غرفة النوم أو مخزون الأشياء الثمينة، ثم السافلة: إذا كان البيت من دورين، والمقصود به الدور الأرضي، ثم السفل: ويستخدم سكناً كمخبأ للمواشي أو مخزناً للأعلاف، ثم الثمة، وتطلق على المساحة التي أمام الباب فيقال" فلان ينتظرك عند ثمة الباب ". ثم المصراع: الباب الرئيسي عادة . وصوتها يسمى صرير المصراع، ثم البداية: وهي النافذة كما نعرفها اليوم، ثم الصُفّة:. بتشديد الفاء ـ وهي بسطة أمام مدخل العلية، ثم العتبة: وهي مدخل البيت . ويستخدم في البناء الجباهة وهي حجر مستطيل أو مقوس إذا كانت فتحة الباب كبيرة ليخفف الحمل عن الخشب، خاصة . والسدة: باب صغير خلف البيت، ثم يزين البيت من الخارج بما يسمى (الجون) ولا يستطيع استخدامها سوى الأثرياء، ثم العقد: وهو نهاية البناء ويفصل بين هذه البيوت مسارب بعرض مترين . ويستخدم في تسقيف

---

(١) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج١، ص٤٨ . يا أخي عبدالله المغرم أنت تتحدث عن مهنة الدباغة والخرازة . وهي من المهن الرئيسية في جزيرة العرب، وقد شاهدت في العصور الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) بيوتاً عديدة تمارس هذه المهنة في مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران . وهذا الموضوع يستحق الدراسة والتوثيق في عدد من الدراسات العلمية . (ابن جريس) .

(٢) الصفيان : مفردها صفا، وسمي صفا لأنه حجر أصم ليس له عروق، وغالباً من الحجارة القوية الجيدة . انظر : أحمد سالم عثمان، ألوان من تراث غامد وزهران، ص٥٧ .

هذه البيوت والمسارب شجر العرعر والسدر، والبعض يستخدم أشجار العتم (الزيتون البري) لصلابته، بينما يستخدم شجر الطلح والزيتون في صنع الأبواب والنوافذ، والأعمدة التي تنقش عليها نقوش رائعة تتلاءم وبيئة المنطقة [١]، وضمن أسرارهم عملية قطع وتفتيت الصخور، وقد أراد والدي أن ينقل حجراً كبيراً (صفا) ارتفاعه متران وقطره حوالي (٣) أمتار وله أساس في الأرض لم يُعرف عمقه، وجلب عمالاً لتكسيره، وبكل الإمكانيات المعروفة حالياً وحاولوا تفتيته وذهبت جهودهم سدى، فلا بد من اللغم وجهاز التكسير الهوائي وما إلى ذلك، إضافة إلى الوقت الذي سيطول بهم . كل هذه المعوقات انتهت بمجرد مجيء أحد كبار السن الذي راقب ما يفعله العمال قبل أن يتدخل ويقترح أن توقد النار في حطب وإطارات سيارات قديمة بجوار الصفا وفوقه لمدة ساعة . ثم يصب الماء البارد فوق قمته . ونفذوا ما قال فتفتت الصخر وأصبح بالإمكان حمله حجراً حجراً . وتُعرف هذه العملية في علم الجغرافيا بالعملية الميكانيكية لتفتيت الصخور. وبالبرودة يتعرض الصخر للإجهاد ويتفتت .

بالرغم من أن الزراعة أصعب المهن فالله يبارك في رزقها، ومنطقة الحجاز الجنوبي عموماً ومنها بلجرشي، تمتاز بخصوبة أرضها ووفرة منتجاتها الزراعية وجودتها، فحتى عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) كانت الممون الرئيسي للمشاعر المقدسة بمحاصيلها، حيث أشار حمد الجاسر إلى هذا بقوله : (لقد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل، أما الفواكه فقد كانت وسائل النقل في ذلك العهد لا تتمكن من نقل الفواكه وهي صالحة إلى البلاد الأخرى، فكانت هناك تبلغ درجة من الوفرة بحيث كان كثير منها لا يباع بيعاً، بل تناول منه كل من أراد التناول بدون ثمن) [٢]، وابن بطوطة أشار إلى ذلك، قائلاً: (وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز فترخص الأسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة

---

(١) أشكرك يا أستاذ عبد الله على تدوين هذه المعلومات التاريخية والحضارية، وكم نحن في أمس الحاجة إلى دراسة وتوثيق التاريخ الحضاري لأهلنا وبلادنا. ومن يتجول في أرجاء بلاد السروات وتهامة فإنه سوف يجد عشرات الموضوعات الجديدة في أبوابها وتستحق الدراسة والحفظ . وآمل أن نرى طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية وبخاصة في أقسام التاريخ، والآثار، وعلم الاجتماع، والجغرافيا فيدرسوا حياة وتاريخ وحضارة أوطانهم، وإن فعلوا ذلك فهذا من باب الوفاء ورد الجميل لأهلنا وبلادنا التي منحتنا الشيء الكثير. (ابن جريس) .

(٢) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٣٦٩ .

في شظف من العيش، ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع الموت في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت أموالهم)[١]. وأشار ابن جبير[٢] حوالي القرن السادس الهجري إلى وفرة خيرات بلاد السراة عامة، حيث أطلق على أهلها اسم السرو[٣]، وذكر أنهم يهبطون مكة ويعم الخير الأماكن المجاورة للبيت الحرام . قال تعالى : [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ][الآية ٢٧ : سورة إبراهيم] . واليوم لم تعد فلاحة الأرض وإعادة استصلاحها من المهن المرغوبة لدى الكثيرين، وكانت النتيجة أن بارت الأراضي وغارت مياه الآبار وقلت كميات الأمطار، وقد يكون فيما قاله ابن بطوطة شيئ من الصحة من أن انقطاع أرزاق أهل السراة عن مكة المكرمة يصيبهم بالقحط . كذلك ابن خلدون أشار إلى سبب وجيه لهذا الأمر، قال: (الأنهار والعيون ينقطع جريها في القفر لما أن فور العيون إنما يكون بالإنباط والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني كالحال في ضروع الأنعام فما لم يكن إنباط ولا امتراء نضبت وغارت بالجملة كما يجف الضرع إذا ترك امتراؤه وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون لأيام عمرانها ثم يأتي عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كأنها لم تكن)[٤].

خامساً : صفحات من تاريخ بلاد غامد الحديث :

الأحداث والأحوال لم تكن تختلف عما هي عليه في معظم بلدان السراة منذ القدم ولم تخرج عما عبر عنه " ابن المجاور " في قوله : " وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص وكل من أهل القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محيطين بالقصر

---

(١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٤ .

(٢) رحلة ابن جبير (٦١٤هـ/١٢١٧م) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير البلنسي .

(٣) السرو: لفظ السرو يطلق على جنس شجر من فصيلة الصنوبريات، تشمل السرو والعرعر والعفص . ولفظ السرو يقصد به الفضل، السخاء في المروءة والسروات : الظهر . والسراة: أعلى الطريق ومتنه، وسروات القوم : سادتهم ورؤسائهم، والسراة : الارتفاع والعلو . المصدر : المنجد في اللغة والأعلام . ص ٣٣١ .

(٤) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون . ص ٤١٩. الباب الخامس، الفصل الأول " في حقيقة الرزق والكسب ...إلخ " (المغرم). يا أستاذ عبدالله أنت ترصد صوراً من تاريخ بلادنا خلال القرون الماضية المتأخرة وأنا وأنت عاصرنا هذا التدهور في الحياة الزراعية، وفي جوانب اجتماعية واقتصادية أخرى. والواجب علينا أن نجتهد في دراسة هذا الموروث وتوثيقه وحفظه حتى يطلع عليه أبناؤنا وأحفادنا، وهذا من واجبهم علينا أن نطلعهم على شيء من تاريخ وحضارة آبائنا وأجدادنا الذين كابدوا الحياة، وواجهوا الكثير من العقبات والمتاعب في ميادين عديدة . (ابن جريس) .

من أربع ترابيعه، ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها، كبير القدر والسن، وعقل وذو فطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير عليهم، ويحكم فيهم، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجاً، ولا يسلمون قطعة، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه، وبهذا لا يزال القتال دأبهم، ويتغلب بعضهم على مال بعض، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طول الدهر على هذا الفن. وجميع زرعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكرم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات . وأكل السمن والعسل، وهم في دعة الله وأمانه، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب " [١]، وكما أن بلدان السراة تتشابه أرضها في عهد ابن المجاور حوالي سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، فإنها وبعد حوالي (٢٥٠) سنة، لم تتغير كثيراً فقد ورد أيضاً في أحداث سنة (٩٧٩هـ) (وقع القحط والغلاء في أرض الحجاز، وانقطعت المأكولات في الأسواق وهلكت الدواب.. وكثر الموت في الفقراء حتى عجزوا عن أكفانهم) [٢]، وبعد (١٥٠) سنة أشار صاحب كتاب "سمط النجوم" في أحداث سنة (١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) عن كثرة الجراد بأرض الحجاز عامة، قال : (سنة سبعين حصل غلاء بمكة وصلت فيه كيلة الحب إلى سبعة عشر محلقاً وسبب الغلاء كثرة الجراد بأرض الحجاز واليمن وأعقبه الدبا فأكل جميع الأشجار والزراعات) [٣]. وأشار إلى الجدب والقحط في تهامة وبلاد السراة، وفي موضع آخر قال المكي في سياق أحداث شهر جمادى الأولى من سنة (١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) : (أهل الحجاز الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها وغالب أهل القرى والبادية جاءوا إلى مكة هاربين وإلى رب البيت ملتجئين وخاضعين وهم يصيحون الجوع الجوع وفي الطرقات يتضرعون) [٤] .

هكذا كان حال بلاد السراة عامة تنقطع الأمطار وما أن يحل الجفاف حتى يهاجر بعض أبناء المنطقة إلى البلدان المخصبة طلباً للرزق، أو تكثر أعمال النهب والسلب الفردية، فكل يريد أن يسلم بنفسه وأهله، ومن الطبيعي أن تهيج الفتن [٥]، وسأركز

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، (٦٩٠هـ/١٢٩١م) .

(٢) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ)، ص ٩٧، نقلاً عن "السنا الباهر" .

(٣) المكي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي . ج٤، ص ٤٧٥ .

(٤) المكي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم العوالي . ج٤، ص ٥٠٦-٥٠٧ . يا عبد الله المغرم أنت تذكر شذرات من تاريخ بلاد تهامة والسراة في العصر الإسلامي الوسيط وبدايات العصر الحديث، ومن يبحث في كتب التراث الإسلامي المختلفة عن تاريخ هذه الأوطان وبخاصة المجاعات والكوارث البشرية والطبيعية فإنه سوف يعثر على مادة جيدة في هذا الباب، وآمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع دراسة علمية أكاديمية موثقة . (ابن جريس) .

(٥) من يتأمل في تاريخ تهامة والسروات من القرن (٣-١٢هـ/٩-١٨م) فإنه يجد فراغاً كبيراً عن تاريخ

هنا على أحداث بلجرشي وما جاورها ابتداءً من سنة (١١٩٣هـ/١٧٧٩م) وإلى ما قبل انضواء البلاد تحت راية الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، حيث نعمت بالأمن والسلام والخير، وطبقت الشعائر الإسلامية الصحيحة. وسوف أعتمد على بعض المصادر والمراجع المطبوعة بالإضافة إلى المقابلات الشخصية مع بعض كبار السن والعارفين لبعض الأحداث الماضية.

في السابق كانت الحروب المحلية في بلجرشي تندلع شرارتها في أي وقت ولأي سبب كان، وقد وصف الشيخ المنصوري[١]، أحوال بعضها، فقال: في سنة (١١٩٣هـ) حصل فيها غلاء وقحط وسميت الحطمة لأن الناس صار يحطم بعضهم بعضاً، وفي سنة (١٢١١هـ) سميت عام المجدول لأجل الغلاء الذي لم يبق مع الناس إلا المجدول[٢] ونفهم من قوله أن القحط وغلاء الأسعار أدى إلى حدوث صراع بين الناس للبقاء على قيد الحياة، لكن عند وصول الحكم السعودي الأول ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى المنطقة عام (١٢١٢هـ/١٧٩٧م) عم البلاد الأمن رغم أن الأسعار كانت لا تزال مرتفعة نتيجة سوء المناخ، كما قال المنصوري: سنة (١٢١٣هـ و ١٢١٤هـ) أخذ الصيف "الضريب" وحصل فيها غلاء في الأسعار وعم الغلاء الشام إلى اليمن حتى وصل فيها السعر ثلاثة أمداد، والذرة خليفي خمسة أرباع[٣].

ومن سنة (١٢١٤هـ/١٨٩٩م) وإلى ما قبل سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٤م) كانت الأوضاع هادئة سوى ما ذكر عن استيلاء قائد الجيش السعودي عثمان المضايفي، على ميناء القنفذة التابع للشريف غالب "أمير مكة" سنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م)[٤]. والعلاقة هنا هو أن للسعوديين أولوية في أمرين وهما فرض الشريعة وتأمين البلدان والطرقات،

وحضارة هذه البلاد، ومن يجهد نفسه ويطالع كتب التراث الإسلامي المختلفة فإنه يجد فيها لمحات ونتفاً قليلة جداً، ولا يستطيع الباحث أن يخرج بصورة واضحة عن حياة الناس في هذه البلاد، ونأمل أن نجري بعض التنقيبات والدراسات الأثرية في بعض المدن والحواضر القديمة في هذه البلاد لعلنا نجد شيئاً من تاريخها المفقود. (ابن جريس).

(١) محمد بن عبدالله بن أحمد المنصوري. ينتهي نسبه إلى بهاء الدين النقشبندي ثم إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة (١٢٣٣هـ) بقرية المصنعة ببلجرشي، وتوفي سنة (١٣٢٢هـ) بقرية المصنعة ببلجرشي درس في اليمن وأقام بها عشرين سنة لطلب العلم، وتولى القضاء في غامد وزهران، وأجرى سنة (١٢٦٩هـ) صلحاً بين أمير عسير عائض بن مرعي، وعبد المطلب بن غالب بن مساعد، أمير مكة. المصدر: تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١هـ) محمد المنصوري، تحقيق: إبراهيم الزيد، ص٧.

(٢) المنصوري. محمد، تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١هـ)، ص ٣٧.

(٣) المنصوري. محمد، تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١هـ)، ص ٥٣

(٤) الزيد. إبراهيم، مجلة جامعة الملك عبد العزيز (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) مج ٧ صادرة (١٤١٤هـ) مقال: عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى). ص ٩٩.

وعليه فقد استقرت الأوضاع إلى أن تدخلت القوات المصرية بأمر الدولة العثمانية للقضاء على الدولة السعودية، فأرسل محمد علي باشا "والي مصر" جيوشه إلى المنطقة عام (١٢٣٠هـ/١٨١٤م) ولم يفعل بادئ الأمر شيئاً إذ حقق الجيش السعودي بقيادة بخروش بن علاس الزهراني، نتائج جيدة لكن الجيش المصري انتصر في نهاية الأمر نظراً لأنه مزود بمعدات عسكرية متطورة حينذاك . وبعد أحداث تلك الحرب استطاع الأهالي تجاوز آثارها بفضل الله ثم بفضل ما تنعم به المنطقة من مناخ ممطر وأرض خصبة، وعندما نقول "آثارها" فليس مهماً أن تكون البلدان قد تعرضت للدمار أو أن لها مشاركة مباشرة لكن المتعارف عليه أن المستفيدين من الحروب يكونون قلة وأرباحهم تكون هائلة، بينما غالب أفراد المجتمع تتوقف أنشطتهم التجارية وعليهم المساهمة في تموين الجيش إن تعرض لنقص في إمداداته وهم يقدمون ذلك مجاناً بدافع وطني بحت، إضافة إلى أن الحروب توجد القلق والترقب بين الأهالي ولها بعض الآثار السلبية، وقد هطلت الأمطار الكثيرة المسماة في عرف أهل الحجاز عام "أبوصواب" [١]. ونقل محقق كتاب المنصوري في الهامش عن مسعود بن حجر أنه قال: (إن المطر في عام (١٢٣٠هـ) ولكن ظهر في عام (١٢٣٤هـ) [٢] في أسفل وادي بلجرشي من شرب مات إلا ما شاء الله) ونقل عن " فائدة في التاريخ " خبر نزول المطر عام (١٢٣٣هـ) وأنه استمر ثمانية عشر يوماً وانفجر منه عين في بلاد بلجرشي من شرب منه أصابه ألم وذلك في سنة (١٢٣٤هـ) [٣]. ويبدو أن هذا الوضع السيء استمر أكثر من سنتين (١٢٣٤-١٢٣٦هـ) كما بينه الشيخ المنصوري، قال: (سنة ١٢٣٦هـ فيها كانت الحمى العظيمة التي أخذت كثيراً من الناس، ودامت الحمى قريباً من سنتين في هذه والتي قبلها) [٤].

ومنذ سنة (١٢٣٦هـ) وحتى سنة (١٢٥١هـ) لم أجد حدثاً مؤرخاً سوى المعركة التي وقعت بين عائض بن مرعي " أمير عسير" وأحمد باشا قائد الجيش التركي، التي هُزم فيها الأتراك، وعلى إثر ذلك الحدث دخلت غامد وزهران تحت حكم آل عائض، وأشار إليها المنصوري قائلا : (سنة ١٢٥١هـ وقع الغلاء العظيم، وانكسر أحمد باشا من بلاد عسير وتبعه الأمير عائض وملك غامد وزهران) [٥]. وفي سنة (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) أرسل حاكم عسير عائض بن مرعي، إلى الإمام السعودي فيصل بن تركي، للوقوف ضد حكومة الأتراك في الحجاز، وقاد عائض قبائل عسير وقبائل غامد وزهران وقدر عددهم

(١) المنصوري، محمد، تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ-١٣١١هـ)، ص ٣٩ .

(٢) تاريخ الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١م)، المحقق : الزيد، هامش ص ٣٩.

(٣) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ-١٣١١هـ) . ص ٤٠ .

(٤) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ-١٣١١هـ) . ص ٤١ .

(٥) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ-١٣١١هـ)، ص ٤١ .

بحوالي (١٨٠٠٠) رجل، لمهاجمة جيش محمد علي باشا بقيادة حاكم عام الحجاز أحمد باشا يكن وهزموه، لكن الأخير لم يركن للهزيمة فعندما أمره (والي مصر) محمد علي باشا، بالتأني في الرد على التمرد أرسل يكن بتاريخ (١٣شوال/١٢٥٣هـ) رسالة إليه [١] طلب فيها إمدادات لمهاجمة قبيلتي غامد وزهران موضحاً له أنهم يشجعون القبائل المجاورة على الصمود ويتقوى بهما عائض بن مرعي، ولو أهمل في تأديبهم لظنوا أن الجيش ضعيف، كما أوضح له خشيته من التحامهم بآل سعود في نجد . إثر ذلك أرسل حاكم مصر فرقة فرسان معظمهم من المغاربة والترك[٢]. وبدأت الاستعدادات سنة (١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م) ووقعت المعركة وانتصر الأتراك وأسروا شيخ غامد عبد العزيز بن أحمد، وشيخ زهران ابن رقوش وأرسلاهما إلى مصر. لكن ما لبثا أن عادا إلى ديارهما بعد تولي الأشراف حكم البلاد خلفاً لآل عائض، حيث ثبت حضور شيخ بلجرشي وغامد عبد العزيز بن أحمد، إلى المنطقة بموجب وثيقة مؤرخة وإجرائه صلحا سنة (١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م) بين أهالي قرية حزنة من بني ناشر بلجرشي بسبب حدوث فتنة بينهم، وبعث الشريف الحسين بن منصور بممثلين عنه لحضور الصلح وأبدى موافقته على ما ترتب عليه [٣].

وفي (١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ /١٧ فبراير ١٨٤٠م) صدرت أوامر حاكم مصر محمد علي باشا بانسحاب قواته من الحجاز ونجد واليمن، فوضع أحمد باشا يكن ترتيبات لبقاء بعض الحاميات وسحب معظم القوات بالتنسيق مع إبراهيم باشا يكن، فثبت الشريف شنبر في أطراف شمران وبلقرن والشريف زيد في تهامة والشريف منصور في غامد وزهران، على أن ترسل القوات غير النظامية من القنفذة إلى بلاد غامد لملاءمة مناخ المنطقة للجنود[٤]. أما الجيش النظامي فقد عاد إلى مصر سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) وبعض المؤرخين فسر سحب قوات محمد علي، بعدم القدرة على مواصلة التقدم للحاجة إلى الإمدادات وحمل العتاد، لكنه في الحقيقة أراد تركيز جهوده لمجابهة القوات الأوربية في بلاد الشام، وهذا كما ورد في كتاب " انهيار الدولة العثمانية " : (حينما علم محمد علي باشتراك الدول الأوربية في المفاوضات ومن بينها حليفته فرنسا بدأ يستعد لصد العدوان بتدريب الأهلين على استعمال السلاح واستدعى جيوشه

---

(١) وثيقة رقم (٣٩٠) بمحفظة (٢٦١) في دار الوثائق القومية بالقاهرة بعابدين موجهة من أحمد شكري يكن (حاكم عام الحجاز) عام ١٢٥٣هـ إلى محمد علي باشا (والي مصر) .

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن . محمد علي وشبه الجزيرة العربية (١٢٣٤هـ-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م). ص١٢١، ١٢٣، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣ .

(٣) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٩٣ .

(٤) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن . محمد علي وشبه الجزيرة العربية . ص ٢١٩ .

من الحجاز ونجد وتخلى عن بلاد العرب[١]. ثم سحب جيوشه من بلاد الشام، كما جاء في تاريخ "الدولة العثمانية" : (لم ير محمد علي باشا بداً من الإذعان لمطالب أوروبا وإنه من العبث المحض مقاومة الدول المتحدة فأصدر أوامره إلى ولده إبراهيم باشا بعدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائدة وباستدعاء الجنود المعسكرة في حدود الشام والانجلاء عنها مع اتخاذ أنواع الاحتراس الكلي من العرب وسكان الجبل، وكان ابتداء الجيش في الرجوع إلى مصر في (شوال سنة /١٢٥٦هـ أواسط شهر ديسمبر سنة ١٨٤٠م) [٢]. هذه هي أسباب انسحاب الجيش المصري بعد أن حقق بعض النتائج التي مكنت الأشراف من السيطرة على غامد وزهران فأبقوا الشيخ عبدالعزيز بن أحمد شيخاً على بلجرشي وبني ناشر، حيث أصدر شريف مكة "محمد بن عون" أمراً في (١٦/١٢/١٢٥٦هـ) قال فيه : (الذي يعلم به من يراه من بلجرشي وبني ناشر، فإنا قدمنا عليكم عبدالعزيز وملزمينكم له بالسمع والطاعة) [٣]. لم يمر سوى أربع سنوات حتى استعاد عائض بن مرعي حكم المنطقة سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) وأناب مشائخ قبائل غامد كافة إضافة إلى بلجرشي وبني ناشر، شيخ بلجرشي عبدالعزيز بن أحمد، للتفاوض وإبرام صلح معه بتاريخ (١٣/١/١٢٦١هـ) [٤]. بعد هذا التاريخ ثبتت مشيخة بيت الغمد على كافة بلاد غامد وليس بلجرشي وبني ناشر فقط، حيث وردت بتاريخ (٢١/٤/١٢٦١هـ) رسالة من "حاكم عسير" أمر فيها كافة قبائل غامد البدو والقرى بالسمع والطاعة للشيخ عبدالعزيز بن أحمد الغامدي . قال : (وانحن ومرناه عليكم فأنا ملزم عليكم له بالسمع والطاعة) [٥].وبتاريخ (٢٥/٤/١٢٦١هـ) أمر عماله بإعطائه ربع زكاة غامد، قال في رسالة له : (هذا خطنا شاهد بيد الأخ عبدالعزيز بن أحمد الغامدي إنا أعطيناه ربع زكاة غامد الماشية والراسية والعروض)[٦]. وفي سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) تم الاتفاق بين شريف مكة المدعوم من تركيا وعائض بن مرعي، على أن تكون غامد وزهران تابعة لمكة المكرمة وأشار المشرف على جباية الزكاة عبدالحي بن سليمان، عامل الشريف أحمد، في رسالة له بتاريخ (٤/١٠/١٢٦٧هـ) إلى الشيخ عبدالعزيز بن أحمد، باستقطاع جزء من زكاة غامد وكافة بلجرشي لتكون من نصيبه "أي الشيخ عبدالعزيز" [٧]. ولم يستمر الاتفاق سوى ثلاث سنوات، حيث

(١) انهيار الدولة العثمانية، ج١، ص ١٤٣ .
(٢) فريد . محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ج١، ص ٤٦٨ .
(٣) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ١٣١ .
(٤) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٣٧ .
(٥) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ١٣٩ .
(٦) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٣٠٧ .
(٧) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٣١٠ .

عاد جيش عسير سنة (١٢٦٨هـ / ١٨٥١م) وتم تعيين محمد بن عائض أميراً للمنطقة متخذاً من الظفير بالباحة مقراً لإمارته [١].

هدأت الأوضاع السياسية والحربية من سنة (١٢٦٨هـ وحتى سنة ١٢٨١هـ) ولم ينقصها سوى غلاء الأسعار وانتشار الأمراض، حيث ورد في تاريخ المنصوري (سنة ١٢٧٥هـ فيها مرد الغلاء العظيم المعروف " بمسحة " وحصل فيها هم وجدري ومحن كثيرة نسأل الله العافية، وتم قريباً من ثلاث سنين ورفعه الله تعالى [٢] لكن الهدوء السياسي لم يستمر أكثر من ذلك حيث تخلى العسيريون عن غامد وزهران سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)، بعد أن التقى جيشهم بجيش الشريف محمد بن عبد الله بن عون في المخواة[٣]. ولم يتقاتل الفريقان بل تم الصلح بينهما مرة أخرى على أن تبقى البلاد بيد الشريف[٤]. ورغم عودة الهدوء مرة أخرى لمدة سنتين تقريباً إلا أن الأمراض أيضاً كان لها دور في فناء السكان، فقد ورد في تاريخ المنصوري : (سنة ١٢٨٣هـ) جاءت أمطار عظيمة وحصل في الناس حُمى وموت كثير) [٥] لم يهنأ الأشراف والأتراك بحكم المنطقة، فقد حرك محمد بن عائض قواته مرة أخرى بقيادة سعيد بن عائض سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) .للاستيلاء عليها، ورغم وصول حملة تركية بقيادة الشريف حسين بن محمد لمواجهته إلا أن الجيش العسيري انتصر بعد عدة مناوشات . ورد الجيش التركي بحملة على مقر آل عائض في عسير للقضاء على حكمهم، وتم لهم مبتغاهم سنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م) لتكون بلاد غامد وزهران صافية للجيش التركي والأشراف[٦] وبعد استقرار الحكم التركي تعرض السكان لضغوط فحصل بعض اللغط والتمرد، وعلى إثر ذلك صدر أمر من وكيل القائد التركي أمير اللواء / السيد أحمد مختار إلى الشيخ أحمد بن عبد العزيز الغامدي بتاريخ (١٤/٣/١٢٨٨هـ) بمنع قرى غامد من حمل السلاح إلا للراعي والمسافر، حتى يمنعوا مشاركتهم في أي أعمال حربية أو

---

(١) السلوك . علي، غامد وزهران.. السكان والمكان، ص ٢١٥/٢١٦ نقلا عن مخطوطة جعاث.

(٢) المنصوري، علي، تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ)، ص ٤٦. أشكرك يا عبدالله المغرم على هذا السرد الحضاري خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، وهذا الموضوع جدير أن يدرس في كتاب أور سالة علمية . (ابن جريس) .

(٣) المخواة : مدينة صغيرة في تهامة يقام بها سوق الخميس كانت تستريح بها قوافل الجرشيين قبل صعود عقبة حميدة ومن ثم إلى سوق السبت ببلجرشي، يسكنها بنو عمر، وجزء منهم في السراة يدعون بني ناشر " قرى بلجرشي المطلة على تهامة " ويربطها ببلجرشي عقبة جديدة للسيارات سميت (عقبة حزنة) باسم جبل حزنة المجاور. للمزيد عن بلاد المخواة انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ /٢٠١٧م) (الجزء الثاني عشر)، ص ٢٧٧-٢٨٣، ٣٠٤-٣١٠ .

(٤) السلوك . علي، غامد وزهران ... السكان والمكان، ص ٢١٦ . نقلاً عن مخطوطة جعاث .

(٥) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ)، ص ٤٨ .

(٦) السلوك . علي، غامد وزهران ... السكان والمكان، ص ٢١٧. نقلاً عن مخطوطة جعّاث .

إحـداث فـتن[١]. ويبـدو أن الأهالي لم يلتزموا بهذا الأمر حتى بعد سـنتين من صـدوره، عند ذلك فرض الأتراك نفوذهم بالقوة المسـلحة لقمع أعمال الشـغب والفتن نتيجة تغير الوضع السياسي، وحاول الشجعان من أبناء أهل الرهوة وبالشهم عمل شيء لكن لم يكن بمقدورهم مجابهة جيش نظامي مدرب ومجهز بمعدات عسـكرية متطورة بالنسـبة إلى تجهيزاتهم، وقد أشـار المنصـوري إلى تلك الحوادث في قوله: (سنة ١٢٩٠هـ فيها ثارت الفتن بين القبائل في السهل بعد قتل أحمد بن هباد وفي جمادى الآخر من السنة الماضية، ثم جاءنا علي حيدر وراح بالمحابيس بعد القتل والنهب الكثير[٢]. وعلي باشا المشار إليه هو "علي حيدر" وجاء في مخطوطة جعّاث[٣] عن هذه الحملة وعن دور رجال بالشـهم وأهل الرهوة، قال : جعاث: (ثم أن علي باشـا قتل الحسـين ومحمد علي يوم سـبعة وعشـرين من شهر رمضان سنة ١٢٩٠هـ . بشهادة الزور والهوى من غير حق، ثم حط علينا يا أهل الجبال سـتمائة ريال وثلاثين مد سـمن وألف خروف على بني ظبيان جبل وسـهل ثم راح علي باشا بلجرشي يوم السبت ثاني يوم من عيد الفطر، ووصل بلجرشي يوم الأحد ثالث يوم من شوال وأخذ عبدالعزيز وأولاده الثلاثة وعبدالله بن مجدول محابيس، فبدوا على بيوت عبدالعزيز فشاهدوا بالشهم وأهل الرهوة عند بيوت عبدالعزيز ثم الباشة راح بيت ابن مجدول وراح العسـكر "دار الضـلع" ثم يوم الإثنين جو بالشهم ومن معهم، وصبحوا الباشة في بلجرشي ثم انكسروا بلجرشي، وقطعوا (أي الترك) خمسة عشر رأس ووصلوا غيلان وقطعوا رأس محمد بن علي الحرفي عند بيته وهو قريب يوم جاء من زيارة رسـول الله ﷺ ثم أنه (أي الباشـا) اسـتقام ثلاثـة أيام ثم رجع الباحة وأهلـك الناس بأخذ أموالهم وسـبا بيت عثمان وأخذوا منه أربعة آلاف وأربعين ريالا وحلي كثيرة، وفرض على بلجرشي ستة آلاف وخمسمائة من غير ما طمعوا الترك من هوش وغنم ودراهم وحب) .

من الطبيعي أن المحرك الأسـاس لكل ثورة أو هياج شـعبي، يكون في الغالب الجوع، ونتيجة سياسات الأتراك القائمة على استنزاف خيرات المنطقة بالضرائب العامة دون أن يقدمـوا ما هو نافـع للأهالي "مدارس، مستشـفيات، طرق، أمـن وأمان" ونتيجة للظلم وتدني الأوضاع الاقتصادية بعد سنتين من الحادثة التي أشار إليها جعاث، ساءت الأوضـاع إلى الحد الذي وصـفها المنصـوري بـ (العدمة " قال " سـنة ١٢٩٢هـ سميت عدمه " لانعدام القوت فيها [٤]. نتيجة كل ذلك عارض السكان الحكم التركي وامتنعوا

---

(١) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ١٧١ .

(٢) المنصوري . محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣ـ١٣١١هـ) . ص ٤٩ .

(٣) جعاث : هو أحمد بن محمد سـعيد ولد سـنة (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) بقرية دار الجبل في بني ظبيان بمنطقة الباحة، وتوفي سنة (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) . انظر : السلوك، غامد وزهران .. السكان والمكان، ص ١٤٧ .

(٤) المنصوري . محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣ـ١٣١١هـ) . ص ٥٠ .

عن دفع الزكاة، فأرسل أحمد فيض " متصرف وقومندان لواء عسير " رسالة بتاريخ (١٢٩٦/١٢/٢٨هـ) إلى شيخ بلجرشي أحمد بن عبد العزيز الغامدي وابن عمه الشيخ عبد العزيز بن محمد، أخبرهم فيها بإصرار الدولة العثمانية على بسط نفوذها وإفهام الجاهل من الأهالي بذلك " ورد اللفظ هكذا في رسالته " وحثهم على جمع زكاة الذرة، وبطنها بتهديد ووعيد إذ لم ينفذ أمره [١]. لكن سياسة القمع لم تكن تناسب الأهالي، فانفلت حبل الأمن، وحدثت فتن من ضمنها فتنة دار السوق التي أشار لها المنصوري، فقال: (سنة ١٢٩٧هـ، وعلى النصف من رجب حدثت الفتنة في دار السوق[٢] رغم كل هذا العنف لم يتوقف الأهالي عن المطالبة بحقوقهم، ففي سنة (١٣٠٠هـ /١٨٨٢م) وصل قائد تركي يدعى محمد عارف، ومعه طابوران يبلغ عدد كل طابور من ثلاثمائة إلى أربعمائة ووضع جزية على أهل المنطقة ومنهم أهالي بلجرشي وجاء حساب الجبل كما ورد في مخطوطة جعاث أربعة خرفان وأربعين مد حنطة وعشرين شعير وذخيرة وستة وثمانين ريالاً جزية [٣] ولم تجد سياسة العنف شيئاً، فقد تجددت أعمال الشغب وضربت الفوضى أطنابها وازدادت أعمال النهب والاعتداء ووصل إلى حد سرقة الأحرار وبيعهم، ولم تتحسن الأحوال إلا في سنة (١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م) حين هطلت الأمطار وانخفضت الأسعار، حيث أشار المنصوري إليها وإلى فتنة داخلية بين قريتي القريع والمصنعة بسبب جبل شعران [٤]. الذي حكم به الشرع في العهد السعودي لأهالي القريع : سنة (١٣٠٦هـ وثارت الفتنة بين المصنعي[٥]. سنة (١٣٠٧هـ) ووقع الغلاء في ساير الأقطار وتقطعت الأسبال وقلت الأمطار، واسترقوا الأحرار، سنة ١٣٠٨هـ وقع فيها فتنة عظيمة في قرى الحجاز، وحصل الرخص في العقارات وعجز الحي عن قبر الميت من كثرة الأموات، وقطع العزا)[٦]. ولكن عاد وأشار إلى تحسن الأوضاع بعد سنة واحدة، قال: (سنة ١٣٠٩هـ حصل فيها أمطار غزيرة، وصلاح في الحلال) [٧].

---

(١) السلوك، علي، وثائق من التاريخ، ص ١٧٣ .

(٢) محمد المنصوري . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥١ .

(٣) السلوك، علي، غامد وزهران .. السكان والمكان، ص ٢١٧ . نقلاً عن مخطوطة جعّاث .

(٤) شعران : جبل مجاور لقريتي المصنعة والقريع ببلجرشي، حدث خلاف بين أهالي القريتين بسببه في عهد الدولة السعودية الثالثة، وحكم به الشرع كحمى لقرية القريع، بشأنه قال ياقوت : شعران وشيبان، والشويخص والشطير من جبال تهامة، المصدر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٣، ص ٣٤٩ .

(٥) النص كما هو في الأصل، والصحيح (المصنعة) .

(٦) محمد المنصوري . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥٢ .

(٧) محمد المنصوري . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥٢ . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ غامد وزهران في عصر المتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٨-١٣٧٧هـ/ - م)، فهذا موضوع جديد ويستحق البحث والتوثيق. (ابن جريس) .

حـاول الأهــالي رغم همومهـم التفاهم مـع الأتراك ولكـن دون جـدوى والأتراك معروف عنهم قوة الإرادة والإصـرار والمثابرة للوصول إلى أهدافهم، ولذا أرسلوا حملة سنة (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) بقيادة القائد التركي أحمد رمزي ومعه ثلاثة طوابير في شهر ربيع الآخر كما قال جعّاث، عسكرت في بلجرشي وأجبروا الأهالي على دفع الجزية فكان قسـم أهل الجبل ثلاثمائة وخرفان وذخيرة . وبعد أحمد رمزي بسـبع سـنوات وصـلت حملة تركية أخرى سنة (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) قادمة من عسير بقيادة يوسف باشا الملقب بـ (أبو ناب) وحطت في بلجرشي جزية كبيرة قوامها عشرون ألفاً من الدراهم وخرفان وشـعير وضـرمة [١] . وقطـع الله هذا العذاب بآخـر الحملات التركية علـى بلاد غامد وزهران سـنة (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، التي هُزم فيها الأتراك شر هزيمة حيث استطاعت قبيلـة زهـران وقبيلة رغدان من غامد تشـتيت سـتة طوابير هي عـداد الجيش التركي ونهبـوه وقتلوا من لم يسـتطع الهـرب، وغنموا كما قـال جعاث المدافـع والخيل والبغال والجمال والدراهم التي لا يحصيها إلا الله [٢] .

قيل ما قيل فيما يسـمى بـ (هجة خالد) ، واطلعت على عدة مقالات في شـبكة المعلومـات العالميـة " الإنترنـت " إضـافة إلى ما سـمعته مـن هنا وهنـاك، وكل منهم يدعـي أن قوله هـو الحق بعينه، لكـن للأمانة العلمية، فإن نصـوص الوثائـق المتبادلة بين القادة وشـيوخ القبائل بشـأن تلك الحادثة، ستكون هي الفيصل ودوري ينحصر في تحليلها للخروج بموضـوع منطقي مترابط . حتى قول من شـارك أو شـاهد أو عاصـر تلـك الحـوادث، فلن أضـع إلا ما يوافق نصـوص الوثائق بحثت عن مصـدر يذكر تلك الحادثة، وبعد جهد مضـن لم أجد سـوى مصـدر واحد فقط عنوانه " تاريخ اللامع للقاضـي العامودي " المتوفَّى سـنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م) يكاد يكون الإشارة الوحيدة إلى تلك الحرب، والقول فيما بين القوسـين هو للعامودي : (وفي شـهر شـعبان سنة أربعين جهـز الملك ابن سـعود على بني جرشـي من بـلاد غامد بجبل السـراة فاقتتلوا معهم . فغلب جيش الملك ابن سـعود أهـل بلاد غامد .. وخادعت رجال غامد قبل انضـمامهم إلى رئيسـهم عبد العزيز [٣] ، لأن بني جرشـي في نظارة محمد بن عبدالعزيز ابن أخي عبدالعزيـز، وقـد كان على مـا قيل: إن ابن سـعود انحل ابن عبدالعزيز سـماوية، وهو : محمـد بـن عبدالعزيز رئيس بني جرشـي، ووفد محمد بن عبدالعزيـز على الملك بن سـعود بالرياض بهدايا جسـيمة، وأكرمه الملك ابن سعود غاية الإكرام، فبعد قفوله من نجد توجه إلى مكة يخاطب الشريف الحسين بن علي عن المأسورين له لديه من غامد .

---

(١) علي السلوك، غامد وزهران ... السكان والمكان . ص ٢١٨ نقلاً عن مخطوطة جعّاث .
(٢) علي السلوك، غامد وزهران ... السكان والمكان . ص ٢١٩ نقلاً عن مخطوطة جعّاث .
(٣) وردت كلمة (لانضمامهم) والصحيح ما ذكرناه (انضمامهم) .

فأغرى به عمه على الملك ابن سعود أنه دخل في عهد الشريف الحسين، ونقض عهدكم، فخرجت إلى بلاده الجيوش النجدية السعودية، مع القواد العظام، فاحتلها، ومحمد بن عبدالعزيز بمكة في خطاب المأسورين، فاحتلت النجود البلاد وذلك في رمضان من هذه السنة، وتفرق أصحاب محمد بن عبدالعزيز في اليمن، والشام شذر مذر، بعد أن كانوا أغنى من ببلاد غامد)[١] . انتهى النص، والشيخ العامودي وإن أشار إلى الحادثة، لكنه لم يفصلها .

قلت إن الأقوال كثرت، ومنها حدوث خلاف بين خالد بن لؤي وبين الشيخ محمد والتجاء الأخير إلى مكة . وهذا غير صحيح أيضاً، وإنما المحرك لكل حدث هي شكوك القادة والوضع الذي يتطلب أحياناً التصرف السريع لمفاجأة الخصم، ويذكر أن الأحداث كانت على النحو الآتي: بعد أن قدم أهالي بالجرشي الولاء والطاعة في (١١ ذي الحجة ١٣٣٨هـ)[٢]. لخالد بن لؤي قائد جيش الملك عبدالعزيز في الخرمة، أرسل الشيخ محمد بن عبدالعزيز، رسالة إلى الملك عبدالعزيز يخبره فيها بمبايعته وكافة أفراد قبيلته، وأجابه الملك عبدالعزيز بعد (١٣) يوم من تاريخ البيعة بالعلم في رسالة بتاريخ (١٣٣٨/١٢/٢٤هـ)[٣] . وبعد شهرين بعث خالد بن لؤي برسالة إلى الشيخ محمد بن عبدالعزيز بتاريخ (١٣٣٩/٢/٢٢هـ) يطلب منه موافاته في بيشة ليحضر اجتماع الإخوان، وأخبره بأن نيته ستكون السواحل وأوصى بمؤنة للجيش، وفي آخرها تحذير ونذير من التأخير أو التقصير[٤]. وأوفى الشيخ بما طلبه خالد بن لؤي كما ورد في رسالة بتاريخ (١٣٣٩/٤/١٤هـ) حررها عبدالعزيز محيا، وعبدالله بن حمد، وعبد العزيز ابن مسلط (عمال الملك عبدالعزيز المكلفين بجمع الزكاة) تثبت أن الشيخ محمد دفع المستحق الشرعي عن بلجرشي ونصف أهل الرهوة وبني ناشر[٥]. لكن خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد اتخذا من موقف الشيخ محمد عندما ذهب لإطلاق بعض الأسرى من أبناء بلجرشي لدى شريف مكة الملك

---

(١) العمودي، عبدالله بن علي، تاريخ اللامع، ج٢/ص ٣٩٦. السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٦، أشار المؤلف بأن خلافاً حدث بين الشيخ محمد وخالد بن لؤي وأن الشيخ محمد التجأ إلى الحسين في الحجاز . هناك أقوال كثيرة على هجمة خالد بن لؤي على بلاد غامد وبخاصة بلدة بلجرشي ،وآمل أن يظهر باحث جاد ومنصف فيجمع المصادر والوثائق الموثوقة ويدرس هذه الحادثة دراسة علمية منصفة . (ابن جريس) .

(٢) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٣٣ في رسالة من خالد بن لؤي موضح فيها أن قبائل بني عامر قد بايعت، وبالجرشي يدعون أنفسهم (بالجرشي بني عامر) في وثيقة تاريخية لهم، كما أن بعض قبائل زهران تدعو نفسها بني عامر.

(٣) السلوك، وثائق من التاريخ ، ص ٢٣٥ .

(٤) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٠ .

(٥) السلوك، علي، وثائق من التاريخ، ص ٣١٨ .

حسـين، دون إبلاغ الملـك عبد العزيز أو مـن ينوب عنه بما ينوي فعلـه، مبرراً لمهاجمة بلجرشـي في (٢٦شـعبان ١٣٤٠هــ) ومـا كان الأمر ليسـتحق كل هـذا . وكانت بداية الحادثـة كمـا سـمعها والـدي من (رمـزي) المرافق الشخصـي للشـيخ محمـد . قال " عاهد أهالي بالجرشـي قائد جيش الملك عبدالعزيز على الولاء والسـمع والطاعة، وعندما سمع ملك الحجاز "الشريف حسين" بذلك قبض على بعض أبناء بالجرشي في جدة ومكة وسـجنهم وصادر أموالهم، فاجتمع أعيان بالجرشي وطلبوا من الشيخ محمد بن عبدالعزيز زيارة الشريف حسين لفك الأسرى، وبعد تردد وافق الشيخ فذهبت برفقته ومعنا الشـاعر على جماح، وفي الطريق لمحتنا عيون جيش الملك عبدالعزيز واسـتوقفونا فعرفناهم بالشيخ وطلبوا منا زيارة خالد بن لؤي واتجهنا إلى معسكره فاستقبلنا استقبالاً لائقاً وأكرمنا، ثم سـألنا عن وجهتنا فأجابه الشـيخ : إن لنا غرض سنقضيه في الطائف وسـنعود . فأهدانا خالد بن لؤي خيلاً ومنها فرسـاً بيضـاء، وأرسـل خلفنا من يتبعنا، وعلمنـا فيمـا بعد انه بمجرد نزولنا من عقبة الهدى باتجاه مكة المكرمة اعتبر تصـرفنا من أبواب الخيانة وعندما علم من جواسيسـه أن الشـيخ أهدى فرساً للشريف الحسين، ظن أنه اسـتهان به وأهداه الفرس البيضـاء التي أهداها إياه في معسكره، وسمعنا فيما بعد أنه هاجم بالجرشـي[1]، علماً أن الشـيخ العامودي في قوله : (ابن سـعود انحل ابن عبدالعزيز سماوية، وهو : محمد بن عبدالعزيز رئيس بني جرشي[2]. أيد قول (رمزي) المرافق الشخصـي للشـيخ محمد بن عبد العزيز من أن الشـيخ تلقى هدية من خالد بن لؤي قديماً نيابة عن الملك عبدالعزيز وهي عبارة عن " فرس أبيض " .

قبل أن تبدأ الأعمال العسـكرية طلب خالد بن لؤي من الأعيان التخلي عن الشـيخ لأنه سيقبض عليه حين عودته ويصادر أملاكه، فأبى أهالي بالجرشي كونهم هم الذين طلبوا منه زيارة الشريف حسين في مكة فاعتبرهم ناقضين للبيعة وحرك الجيش باتجاه بالجرشي وأصبحت منطقة حربية يحظر الدخول إليها أو مساعدة أهلها، وحذر سلطان بـن بجاد الذي كان يقود جزء من الجيش مع خالد بن لؤي، لبلجرشـي من الاقتراب أو حماية أموال وأملاك الجرشـيون الثابتة والمنقولة وذلك في رسالة بعثها إلى أحد أعيان بني جرة من بني سالم، نورد الجزء الذي يهمنا منها، قال : (بسم الله الرحمن الرحيم من سلطان بن بجاد إلى عبدالرحمن بن حامد من بني سالم، أن حلال بلجرشي إن كان

---

(١) رواية شـفهية من رمزي، المرافق الشخصـي للشـيخ عبدالعزيز الغامدي " شـيخ بالجرشـي " حدث بها والدي .

(٢) العمودي، عبدالله بن علي، تاريخ اللامع، ج٢، ص ٣٩٦ .

أنـه عندكم تخرجونه، لأنها بـلاد حرب ولا يجيها إلا محارب) [١]. وإحدى شـهو العيان على تلك الحادثة، قالت لي : (قدم أول الجيش وأنا أعمل في الوادي وعمري لم يتجاوز الخامسة عشر سنة، فهربت إلى البيت ثم هربوا بنا أهلنا إلى تهامة، مع جملة من الناس حملـوا مـا كان في متناول أيديهم فمنهم من يقود ثوره وحلاله خلفه وبعضـهم حمل معه بعض الجنيهات الذهب وآخرون اكتفوا بالطعام . وكان البعض يتخفى في الليل ويصـعد من تهامة إلى بالجرشي للحصول على طعام من بعض القرى المأمنة ثم يعود)

وللتاريخ فعدا ما تتطلبه فنون الحرب من حصـر لبيوت المشـائخ ومصـادرتها فإن أفراد الجيش لم يرتكبوا شـيئاً من الفضـائح أو أعمال السلب والنهب التي حدث لأنهم كما نعرف جميعاً متدينون جداً ومن المستبعد أن يقوموا بأعمال تخالف الشرع بل إن كبار السن من الأهالي حين يذكرونهم في رواياتهم يطلقون عليهم حتى اليوم لقب (المدينة) أي المتدينون، وكان الضـرر من بعض الطامعين والمستغلين للموقف الذين تتبعوا لخطى الجيش، وهـذا ليس بغريب لأنه مـن خلال اطلاعي على الحـوادث التاريخية في حقب زمنيـة متباعـدة، عادة ما يتبع الجيوش بعض الفئات، ولذا بعد خلو قرى بلجرشـي من أهلها وعودة الجيش إلى معسـكره، دخل هـؤلاء وبحثوا عن المال والمتاع، فوجدوا كميات كبيرة من جنيهات الذهب في صـناديق مقفلة وجرار سـمن وعسـل وخيرات في مخازن البيوت التي تعرض بعضها للحرق، خاصة في دار السوق "سوق السبت" وبالنسبة للقول المتواتـر عـن هروب الأهالي، فيذكر أنهـم كانوا متيقنين من أن كبار القوم قد توصـلوا إلى اتفاق مع قادة الجيشـ، ولذا تفاجأوا بالهجوم المباغت للجيش ولجهلهم بالأهداف السامية التي كان يدعو إليها الملك عبد العزيز، قاوم البعض دون استعداد مسبق دفاعاً عن أرضـه لأن الفكرة العامة عن الجيش وأفراده تكونت معتمدة على ما سـبق وسمعوه من آبائهم عن عنف وشراسة الجيوش الغازية للمنطقة ومن هؤلاء المدافعين عبدالله بن سـفران من قرية القريع، فهذا الرجل تحصن في أحد الحصون الحربية التابعة للقرية وحـده وعاونه ثلاثة أفراد في تعبئة الذخيرة، ولفارق القوة والاسـتعدادات قتل في اليوم الثالث من بدء الهجوم، الموافق لتاريخ (١٣٤٠/٨/٢٨هـ) [٢]. وبعد حادثة بلجرشي أراد

---

(١) الغامدي، علي حرفوش، السيرة في علوم الديرة، ص ٢٥١ .

(٢) عبد الله بن سفران : قتل وعمره اثنان وعشرون عاماً، ولم يعقب ذرية، وهو عم والدة المؤلف، شقيق أبيها أحمد، والأخير كون أسـرة كبيرة يقيم أفرادها في مكة وجدة ومحائل عسـير وينبع . عرف رجالها بالكرم والشـجاعة والنخوة، وهم من خيرة رجال بالجرشـي، فقد كان جدهم سـفران من أشجع أربعة رجال في بالجرشـي، بل كان هؤلاء الأربعة أصـدقاء في السـر، أعداء في العلن كما أشيع عنهم، وأحفاد أخيه اليوم من الموالين المخلصين للدولة، وما أوردته للتاريخ فقط .

قائد الجيش خالد بن لؤي، استفزاز قبائل زهران فبعث إلى راشد بن جمعان بن رقوش رسالة في شهر رمضان من سنة (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) فيها تهديد ووعيد، دون مبرر واضح، والآتي جزء من نصها : (من يوم ذكرت أنك على العهد اللي بيننا وبينك فلا صار معلوم، والبهرجة والكذب نقص على العاقل ديناً وشيمة، ومن يم ذكرت أن بلادك مدهرة، فالمسلمين ماجو على شان حبك جو لقصود (كما هي في النص) نرجو أن الله يبلغهم إياه) [١] وهو هنا حاول اختلاق مبرر لمهاجمة قبائل زهران، ومن جهة أخرى حاول شريف مكة حسن بن علي استغلال الحادثة وإيغار الصدور وإرهاب المشائخ من نتائج بيعتهم لآل سعود واستمالتهم إلى جانبه، فبعث برسالة حملها الشيخ عبدالعزيز بن صقر، إلى الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش، ذكره فيها بما حدث لبلجرشي[٢]. لكن القبيلتين قدمت الولاء والطاعة بإخلاص للملك عبدالعزيز، وهنا الفرق بين التصرفات التي لا يحمد عقباها وبين التصرفات الرزينة والسياسة الحكيمة التي يتبعها الملك عبدالعزيز، فهو لا يستخدم القوة إلا حين يستلزم الأمر .

وأحد أحفاد شيخ بلجرشي واسمه " محمد بن سعيد بن محمد بن عبدالعزيز "[٣]. أخبرني أن جده لم يُسجن في الرياض وإنما أقام لمدة (١٣) سنة [٤]. ورغم أنه لديّ مصدق إلا أنه لم يثبت لي بموجب الوثائق والرسائل صحة هذا القول وإنما هي إشاعة قد سمعها مع السامعين وأنا أحدهم . وعليه فإن الرواية الثابتة بموجب الوثائق والمراسلات هي أنه لم يُقبض على الشيخ محمد بن عبدالعزيز أو تحدد إقامته إطلاقاً بعد معركة هجة خالد كما يظن الكثيرون، وللدلالة على قولنا هذا، فإن تاريخ هجة خالد هي شعبان (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، وبعد (٤) سنوات أرسل الملك عبدالعزيز رداً على رسالة الشيخ المؤرخة في (١٣٤٤/٥/٢٩هـ) أثناء حصار جدة، يطلب فيها مشاركة أبناء غامد في حصار جدة، ورحب به الملك عبدالعزيز هو ومن يتبعه [٥] فكيف يرسل من تكون إقامته

---

(١) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٦ .

(٢) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٨. آمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ وحضارة بلاد غامد وزهران في نهاية عصر المتصرفية العثمانية في عسير، ودخول هذه البلاد تحت لواء الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود . (ابن جريس) .

(٣) حضر محمد بن سعيد بن عثمان إلى مدينة الرياض عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م) لمرافقة خاله محمد الدعموقي " رحمه الله " حينما كان يتلقى علاجاً من سرطان الحنجرة، وقد سعدت برفقة الرجلين الكريمين لمدة شهر وأقاموا عندي بلا فضل أو منة بل لي الشرف والسعد بذلك، وكان حديثي مع الأخ العزيز محمد حول حادثة جده الشيخ وحوادث أخرى تتعلق بالمنطقة .

(٤) سبق وأن زارني الأخ الكريم محمد بن سعيد بن محمد بن عبدالعزيز مع خاله محمد الدعموقي رحمه الله بمدينة الرياض أثناء تلقي الأخير العلاج بالمستشفى التخصصي، وتناولنا هذا الموضوع كثيراً خلال لقاءاتنا التي استمرت مدة أسبوعين .

(٥) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٥٨ .

محددة وليس له أمر على جماعته برسالة يعرض فيها المشاركة في حرب مهمة ويكون الملك راضيا فيرد مرحبا، ورغم حادثة بلجرشي كانت علاقة الملك بالشيخ ممتازة، وقد أمر له الملك فيما بعد بمكافأة سنوية قدرها مائتا ريال، نظير مشاركته ومساعدته للأمير المعين من قبل الحكومة [١]. ويجب أن نعلم أن الملك عبد العزيز رجل حكيم ويعلم أنه من الطبيعي لأي رجل حر أن يدافع عن بلده وأهله بالأسلوب الذي يتوافق وإمكانياته، والمستغرب هو ألا يفعل.

وقد عين الشيخ محمد بن عبدالعزيز مستشاراً للأمير المعين من قبل الحكومة، وبطبيعة الحال لابد من الاختلاف في الرؤى، فأخبر الأمير الحكومة بعدم اتفاقه مع الشيخ ابن عبدالعزيز وعندما صدر أمر الأمير فيصل بن عبدالعزيز (نائب جلالة الملك في الحجاز) في (١٣٥٤/٧/١٣هـ) إلى الشيخ محمد بالتوجه إلى الرياض. ونلاحظ أن هذا الحدث تم بعد مهاجمة بلجرشي بأربعة عشر عاماً [٢]. ومن ثم طلب الشيخ محمد من الملك سعود حينما كان ولياً للعهد العودة إلى بلجرشي، وبعث له الملك سعود رسالة مؤرخة في (١٣٥٥/١١/١٦هـ) رداً على رسالته ووعده بأن ينظر في أمره [٣]. ولو تمعنا في هذا الأمر قليلاً لوجدناه في صالح الدولة وفي صالح الشيخ محمد. فالدولة كانت في طور التأسيس وأهالي بالجرشي عقلاء وتقبلوا الأمر بواقعية، فلو حدث وشاية أو خبر غير صحيح في حق الشيخ فإن الدولة ما كانت لتقف موقفاً سلبياً، فرأى الملك أنه من الصالح أن يستضيف الشيخ في الرياض ولم يكن مسجوناً بل ضيفاً مكرماً معززاً، وحين تبين الخير وعم الأمن والسلام عاد الشيخ إلى أهله[٤].

سادسا: صور تاريخية حضارية من بلجرشي وما حولها قبل عام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م):

هناك رأي لا يُختلف عليه حول مفهوم مناهج البحث العلمي وهو أن الدارس لأي مجتمع مستقر لم يحدث به تغير، عليه أن يخطو خطوة منهجية وموضوعية بالاعتماد على الوثائق والمدونات التاريخية وعلى مرويات كبار السن والأحاديث الشعبية والتراث، ولكن بعد التغير

---

(١) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٣٤٨.

(٢) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٩٤.

(٣) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٩٦.

(٤) أشكرك يا عبدالله المغرم على هذا التدوين التاريخي، فقد طرحت محاور جيدة وهي جديرة بالبحث والدراسة. وأثناء تجوالي في بلادكم (غامد وزهران) وجدت الكثير من الجوانب التاريخية والحضارية القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة وهي تستحق الدراسة والتوثيق، وآمل منكم يا أبناء منطقة الباحة أن تعكفوا على حفظ ودراسة موروثكم التاريخي والحضاري. للمزيد انظر غيثان بن جريس وبخاصة الأجزاء (الخامس، والسابع، والعاشر، والثاني عشر) من موسوعته: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. وانظر للمؤلف نفسه. منطقة الباحة (دراسات، وإضافات، وتعليقات) (ق١ـ ق١٥هـ /ق٧ـ ٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) (الجزء الأول) (٥٣٦ صفحة). (ابن جريس).

فـإن المنهج الوصـفي هو الواجـب اتباعه أي " الملاحظـة والوقائع الإحصـائية " (١). ونجد بعد اكتشـاف البترول في المنطقة الشـرقية من المملكة بكميات تجاريـة، والبدء بتنفيذ الخطط الخمسية التنموية، فقد طرأت تغيرات اقتصادية واجتماعية كان لها تأثير على كافة مناطق المملكة وسـكانها، حيث تسـببت في حدوث نهضـة شملت مختلف مجالات الحياة اعتباراً من سـنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ورغم أن خطط التنميـة ركزت أولاً على المدن الكبيرة وعلى إيصـال الخدمات وشـق الطرق وتوفير المدارس والمستشـفيات، إلا أن أفـراد المجتمع الجرشـي القاطنين في المدن الكبرى لم تفتهم فرصـة تحقيق ثروات شخصـية لأنهـم كانوا مؤهلـين للتفاعل مع الأنشـطة الكثـيرة والمعقدة التي صـاحبت الطفرة الاقتصادية، والكثير منهم أصبحوا من كبار ملاك العقار في المدن الكبرى. أما السكان المقيمون في بلاد بلجرشي فقد شعروا ببعض التغيرات التي كانت تحدث بسرعة غـير عادية، وحتى عام (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) كانت الظواهر الاجتماعية في بلجرشـي على صورتها الأولى مع بعض التطور البطيء جداً تبعاً للإمكانيات المحدودة حين ذاك، وأذكر جيداً بعض رموزها كسـوق سـبت بلجرشـي، وصـناعة الجبة، ووجود البقرة في كل بيت، لأن الكثير من الأهالي كانوا يمارسـون عاداتهم وأعمالهم السـابقة ولا يزالون يمارسـون مهنة الزراعة بشـكل كبير، لكن بنظرة إلى من لم يسـتطع ممارسة النشاط الاقتصـادي، فإن الكثيرين منهم أكملوا تعليمهم بنجاح واتجهوا إلى الوظائف فلا تخلو دائـرة حكوميـة منهم وخاصـة في كل من الرياض والدمام وجدة والطائـف ومكة، بل أصبحت الإدارة المالية والإدارية وكأنها حكر عليهم، فترى المسؤولين يسندونها إليهم في بعض الوزارات أو الدوائر الحكومية الفرعية، كذلك نجحوا في القطاع الخاص، فمعظم التجـار الكبار من أهل مكة وجدة وضـعوا ثقتهم في أبناء بلجرشـي بعد أن تلقوا تعليماً جيداً، وأصبحوا وكلاء عنهم وممثلين لهم.

والواقع أن مادة هذا المحور سـوف تركز على عنصـر ما قبل الطفرة (٢). لكن لابد

---

(١) السيف، محمد، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي.

(٢) يقصد بالطفرة هنا، أي التوسع أو الطفرة الاقتصادية: وهو مصطلح يستخدم في المملكة العربية السعودية، ويطلـق علـى الفـترة المؤرخة من (١٣٩٠-١٤٠٠هـ) الموافـق (١٩٧٠-١٩٨٠م)، وهي الفترة التي شـهد فيها البـترول طلباً متزايداً مـن دول العالم وارتفاعاً في الأسـعار وبالتالي كانت العوائد الماليـة مرتفعة إلى الحد الذي فاضت فيه ميزانية الدولة، وكان لهذه الطفرة المالية نتائج ذات أثر كبير وبسببها حدثت متغيرات قوية في المجتمع السـعودي سـواءً من النواحي المادية أو الثقافية، حيث تحولت البلاد إلى ورشة عمل كبرى ووفدت عليها الشركات العالمية والخبراء والعمال الأجانب للمساهمة في تنفيذ المشاريع الكبرى الحكومية والخاصة، وتم بنـاء العديد من المدارس لنشـر التعليم على أسـس علميـة منهجية بدلاً من الطـرق البدائية التي كانت سـائدة ونتيجة التعليم وتفرع الـوزارات الحكومية في كل البلاد توفرت وظائف لعدد كبير من أفراد الشـعب بأجور مرتفعة، وشقت الطرق لتصل بين المدن وازداد عدد السيارات وأصبح الحصول عليها بالنسبة للأفراد سـهلاً، وكل هذه العوامل أحدثت تغيراً ثقافياً على العادات والتقاليد والعرف السـائد وكذلك المهن التي كان

من المقدمة السابقة لنقارن بين اليوم والأمس . فالدارس لتاريخ المجتمع الجرشي قبل فترة الطفرة، سوف يجد أن التطور كان بطيئاً منذ القدم حتى الوقت الذي بدأ فيه التغير متزامناً مع المرحلة التي أطلق عليها مصطلح الطفرة الاقتصادية ومن حسن الحظ أنني عاصرت بدايات التغير ولم أجد صعوبة في تتبع الفرق بين ما قبله وما بعده، كوني عايشت بعضاً من الأوضاع السابقة أثناء قضاء إجازاتي المدرسية في بلجرشي قبل (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) إلى جانب حصولي على معلومات عن الأحوال الاجتماعية في تلك الأيام لوجود كثيراً من كبار السن الذين لاتزال ذاكرتهم تحتفظ بالكثير عن الماضي الذي يستحق التدوين . وعندما ننظر إلى أي مجتمع سنجد أن حياته الاجتماعية محددة تبعاً لطبيعة البيئة . فإن كانت صحراوية، كان عدم الاستقرار والصراع هو السائد، وإن كانت خصبة ممطرة تميز المجتمع بالاستقرار وتحديد الملكيات وتقسيم العمل . وهي عوامل تدعم النمو الذي يبدأ نتيجة الرغبة في تطوير الأساليب التي تساعد على البقاء مثل (بناء السدود، طرق الري، تربية الحيوانات المستأنسة والطيور الداجنة، وحفظ المنتجات وطرق تصريفها " التصدير والاستيراد.. إلخ) . والحياة الاجتماعية في المجتمعات المستقرة تعتبر تقريباً ذات طبيعة واحدة وتختلف بين كل بلد وبلد تبعاً لوفرة الموارد أو ندرتها ولتقسيم العمل إن كان معقداً أو بسيطاً.

وبما أن بلجرشي كغيرها من بلدان السراة تتميز بمناخ مناسب وأرض خصبة وفائض من المنتجات الزراعية والحيوانية فإن أهلها فعلوا ما كان يفعله السرو منذ زمن بعيد، فقايضوا منتجاتهم مثل (البر والشعير والعدس والحلبة والثفاء " الرشاد " والثوم والبصل والسمن والعسل واللوز والزبيب وبعض الملبوسات كالجباب والصمغ) ببعض ما لا يستطيعون إنتاجه مثل(البهارات والأدوية الشعبية والبن والحلبة والحبة السوداء والفول والعدس والسمسم والزنجبيل الحبشي والهيل، والملابس الجاهزة، والأقمشة بأنواعها، والعطور وأدوات الزينة للنساء والأواني المنزلية والقصدير والصباغ) وهذه الأصناف تستورد عبر ميناء مصوع في إريتريا، وميناء سواكن، وميناء بورسودان، وميناء عدن ومكة المكرمة . ويكون اتجاههم في الغالب إلى مكة المكرمة لقربها منهم، يحضرونها معهم إذا أرادوا أداء الحج والعمرة أو ينقلها تجارهم، وقد أشار صاحب " اللباب في تهذيب الأنساب" إلى السرو حوالي القرن السادس الهجري، (الثاني عشر الميلادي) قال : (السرو هو ناحية باليمن مما يلي مكة وهي قرى كثيرة مجتمعة

يمارسها الشعب في مجال الزراعة والرعي والصناعة وغيرها . (ابن جريس) .

يحضر منها بمكة جماعة كبيرة يجلبون الميرة) [١] وأشار إليهم ابن جبير حوالي القرن السادس الهجري : (وفي يوم الجمعة بعده وصل السرو اليمنيون في عدد كثير مؤملين زيارة قبر الرسول ﷺ وجلبوا ميرة إلى مكة على عادتهم فاستبشر الناس بقدومهم استبشاراً كثيراً حتى أنهم أقاموه عوض نزول المطر ولطائف الله لسكان حرمه الشريف واسعة أنه سبحانه لطيف بعباده لا إله سواه، وفي هذه الأيام السالفة من الشهر المذكور توالى مجيء السرو اليمنيين في رفاق كثيرة بالميرة من الطعام وسواه وضروب الإدام والفواكه اليابسة فأرغدوا البلد ولولاهم لكانوا من اتصال الجدب وغلاء السعر في جهد ومشقة فهم رحمة لهذا البلد الأمين) [٢]. وابن بطوطة أشار إليهم حوالي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) قال: (وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز فترخص الأسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع الموت في مواشيهم ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت أموالهم فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين وبلاد السرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات وأهلها فصحاء بالألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد) [٣] كانت هذه العملية مستمرة منذ القدم وحتى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، حيث تدل وثيقة مصورة في كتاب " وثائق من التاريخ " أن شريف مكة الحسين بن علي، طلب توريد الزائد من المواد الغذائية " الحبوب " في المنطقة عموماً سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، عقب نشوب الحرب العالمية الأولى وانقطاع الواردات من الخارج عن مكة المكرمة وجدة [٤] وأشار حمد الجاسر إلى ذلك في كتابه " سراة غامد وزهران " قائلاً : (لقد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل) [٥].

---

(١) الجزري : أبو الحسن علي الشيباني، اللباب في تهذيب الأنساب . ج ٢، ص ١١٥ .

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج١، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة . ج١، ص ١٨٣ .

(٤) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢١٣ .

(٥) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران . ص ٣٦٩، وزيارة الشيخ الجاسر للمنطقة كانت في العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري .

ولمعرفة كيف كان سكان بلجرشي يعيشون حياتهم نجد أنهم يتشاركون مع عموم أهل السروات في ممارسة الزراعة، لكن التجارة والصناعة الخفيفة تكاد تختص بها بلاد بلجرشي فقط، فالجرشيون مارسوا البيع والشراء وأتقنوا الحرف اليدوية، وهاجروا إلى بلدان استقروا بها بشكل مؤقت أو دائم ليتعلموا وينقلوا كل جديد، لذا حياتهم تنحصر حول السوق وما يُباع ويشترى فيه، وليس من المستغرب أن تتكرر جملة (نهبط السوق) أو(هبط السوق) أثناء الحديث اليومي للأهالي، كما أنه ليس من المستغرب حين تسمع كبار السن حينما يتحدثون عن ذكرياتهم فيقولون حين عاد أو سافر فلان إلى المخواة أو مكة المكرمة أو جدة أو القنفذة أو بعض بلدان إريتريا والحبشة والصومال والسودان (مصوع وسواكن وغيرها) . وكانوا يذهبون إلى مكة المكرمة وجدة عن طريق الساحل، ويقطعون المسافة في عشرة أيام تقريباً، ثم يعودون بقوافلهم محملة بالخيرات لتستقر في سوق الخميس الذي يقام بالمخواة، ويكون في استقبالهم بعض أبناء بلجرشي والمناطق المجاورة لهم الذين اعتادوا على زيارة سوق خميس المخواة في تهامة يوم الأربعاء، ثم يصعدون برفقة القوافل إلى بلجرشي عبر عقبة حميدة[1] ليحضروا سوق السبت . وساق الشيخ الحسيل في كتابه " غامد وزهران " نبذة عن الأسعار السائدة في سوقي المخواة وبلجرشي سنة (١٣٦٠هـ/١٩٤٠م) حيث كانت في المخواة كالآتي: دخن الخبت سعره (٣) سوادي[2] منه بريال واحد، والثور تتراوح قيمته ما بين (١٥ـ٣٠) ريال، والغنم حوالي ريالين، والجفر (التيس) حوالي ريال واحد. وفي سوق سبت بلجرشي كانت كالآتي: المد من البر بحوالي ريالين عربي سعودي، والعشرة أمداد من الشعير بحوالي ريال واحد. والستة عشرة مد من الذرة بحوالي ريال واحد، والعدلة [3] من التمر بأربعة ريالات، وقيمة الجمل تتراوح ما بين (٨٠ـ١٠٠) ريال

---

(١) عقبة حميدة : ارتفاعها عن سطح البحر حوالي (٢٢٠٠) متر، وبها العديد من المغارات والجروف شديدة الانحدار، وبالطبع في مثل هذه البيئة تتواجد بعض الحيوانات المستوطنة في الجانب الإفريقي الآخر من سلسلة الجبال المحاذية للبحر الأحمر، فالنمور والضباع والثعابين والذئاب والثعالب والقرود وكذا الطيور بأنواعها سواءً المهاجرة أو المستوطنة . أما الصدور كمخشوش ومطيب ومالحة وحميدة وغيرها، فتكثر بها أشجار الليمون والموز والحناء والكادي والريحان، كذلك تجري بها المناهل.

(٢) السادية : تزن (٨) رواوري بمكيال سوق المخواة والرورة تزن حوالي (٨) كيلوغرام . وأيضاً السادية تزن مداً ونصفاً بمكيال السراة، والمد يزن حوالي (٥) كيلو غرام . المصدر: غامد وزهران، إبراهيم الحسيل . ج ٢، ص ١٢٠ .

(٣) العدلة : تزن حوالي (٥٠) كيلو جراماً . المصدر : غامد وزهران، إبراهيم الحسيل . ج٢، ص ١٢٠ . أشكرك يا عبدالله المغرم على هذا التدوين التاريخي والحضاري لبلاد بلجرشي . لكن قولك في بداية الفقرة الآنف ذكرها " إن التجارة والصناعات الخفيفة تختص بها بلاد بلجرشي فقط " . فهذا توثيق غير دقيق . فأرض بلجرشي جزء صغير من بلاد السروات الممتدة من الطائف إلى صعدة ونجران، ومن يدرس أحوال المدن والقرى والحواضر في هذه المنطقة الواسعة فإنه سوف يجد أمكنة أقدم وأعرق في تاريخها وحضارتها وما تشتمل عليه من إمكانات اقتصادية وموروثات حضارية أخرى . وآمل من أبناء كل

. والثـور بـ (٥٠) ريال، والخروف بـ(٥) ريالات . كما أشـار إلى أن البعض كان وحتى ذلك الوقت يسـتخدم الريال الفضي الفرنسي (ماريا تريزا) الصادر عام (١٧٨٠هـ) خاصـة في سوق المخواة[١] وبالنسـبة لهجرتهم إلى البلدان البعيدة، فقد كانت الحبشة هي الوجهة الرئيسية لهم، تليها إندونيسيا ثم بلاد الشام [٢] .

ومن أهم معالم بلجرشـي، سـوقها الشـعبي، المعروف بـ (سـوق السبت) ، ويقع في الجزء الشـرقي من المدينة ويتخذ من سـفح جبل زبيدة مركزاً له، سـمي بدار السـوق، وهـذا المكان يشـتمل على أربع قرى هي العـوذة، والركبة، والغازي، والسـلمية، والأخيرة كانت مخزن بضـائع السـوق . وكان سوق السـبت قائماً على المعاملة بنية حسنة، عمليات البيـع والشـراء لا يُعرف عنها إلا الصـدق والثقة ومـن خالف المألوف أو غش يشـهر به، كذلك الباعة والمشترون من خارج بلدة بلجرشي وقراها يتم استقبالهم كضيوف لهم حق الضـيافة والإكرام . لعدم وجود فنادق، وللحفاظ على سـمعة السوق سنت قوانينه التي لا يمكن الخروج عنها، فأهل بلجرشـي عقدوا له العقود والتزموا بالعهود وأقروا بالمواثيق . وأعمال السوق لا تشمل البيع والشراء فقط، بل يُشاع فيه الصلح، ويقال فيه الشعر، ويذاع فيه الخبر بما يعرف بـ (البدوة) وهو شخص من عرفاء السوق وعقاده، يصعد فوق مكان مرتفع، ويبدأ بتنبيه الناس حتى يتجمعوا، ثم يذيع الأخبار وكل ما يتعلق بالسـوق وأخبار التجار . أما الصلح فمن تقاليد السوق القديمة ما يُعرف بـ (النقا) وهو اعتراف الرجل بالخطأ وإقراره بالحق لخصـمه، ولإرضـائه يأخذ الخنجر أو الجنبية ويضرب بها نفسه حتى يخرج الدم، ثم يتدخل الحاضرون والمصلحون لإنهاء الخلاف ومصالحتهم[٣] .

وللسـوق فروع وأجزاء متجاورة وكثيرة، وكل جزء مخصـص لنشـاط معين يتجمع

ناحية في تهامة والسروات وبخاصة المحطات والحواضر والبلدات القديمة التي مازال بعضها ماثلاً للعيان أن يدرسـوا تاريخهـا وتراثها . كما أن منطقة الباحة يوجد فيها الكثير من المعالم التاريخية والحضـارية القديمة الجديرة بالدراسة والتوثيق، ونأمل من أبناء هذه البلاد أن يبذلوا بعض الجهود العلمية في خدمة أرضهم . (ابن جريس) .

(١) الحسـيل، إبراهيـم، غامد وزهران وانتشـار الأزد في البلدان، ج٢، ص (١٢٠/١٢١) . تاريخ التجارة أو الاقتصـاد في سـروات غامد وزهـران خلال القرون (١٢-١٤هـ/ ق ١٨-٢٠م) ، من الموضـوعات الجديدة والجديرة بالدراسة والتوثيق في أكثر من كتاب وبحث . (ابن جريس) .

(٢) ياعبد الله المغرم إن أهالي بلجرشـي لهم بصـمة واضـحة في عالم الهجرة في العصـر الحديث وبخاصة في القرنـين (١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م) وآمل منك أو من أحد الباحثين الجادين في بلاد غامد أن يدرس هذا الموضـوع في هيئة كتاب أو بحوث علمية عديدة، ، ومن يفعل ذلك فإنه سـوف يطلعنا على دورهم التاريخي والحضـاري في البلاد التي هاجروا إليها، كما أنه سـيطلعنا على الجوانب الإيجابية التي حظيت بها بلاد بلجرشي من هجراتهم المتكررة إلى أوطان عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ الأسـواق الأسبوعية في السروات من الموضـوعات الجديدة وتستحق أن تدرس في عشرات البحوث العلمية . (ابن جريس) .

بـه التجـار والحرفيون، فهنـاك متاجر للأقمشـة والعطـور ولوازم النسـاء، والجنابي والسـكاكين والخردوات، والمواشـي والدواجن والطيور بأنواعها، والأصـواف، والسمن والعسـل ، والحبوب والتمور التي يحضـرها تجار من بيشـة ورنية، ويبـاع التمر بالأوقة والعدلـة والتنكـة، أما القسـب[١] وهو النوع اليابس من التمور فيبـاع كالحبوب بالربع والمد، وهناك جزء للخضـار والفواكه الموسمية، تعرض في المناثل ومفرده المنثل[٢] وعلب الصـفيح (التنك)كالتين أو البرشـومي والحماط وغيرها. وبجواره موقع مخصـص للبصـل والثوم والبطاطس، وجزء مخصصـص لبيع منتجات سـفوح السـروات الغربية مثل الموز والكادي والريحان والغلف[٣]، وجزء مخصـص للحرفين كالصباغة والنجارين والحداديـن ومنتجاتهم من الصـاغة والحلي وأدوات النجارة والحطـب، والآت ومعدات الزراعة، ويوجد بالسـوق من يعمل بصـيانة الدراجات أو البسكليتات التي وردت في وقت متأخر، وهناك من تخصـص ببيع الكتب والقرطاسيات وهو محمد المطوع . كذلك المرأة تشـارك في هذا السـوق ببيع الغلف والريحان والكادي، وما يخص المرأة واللحف والخرج ويصـنعن السـدو[٤] وهي كلمة محلية والمعنى المعروف لها النسـيج، والمفارش الصـوفية والبشـوت والأكسـية والجباب، وقد رأيت في طفولتي إحدى النساء تصنع السدو وتمارس عملهـا باحـتراف ومهنية عاليـة ولها أدواتهـا وفنونها . وفي جوانب السـوق تكثر المقاهي وأماكـن الاسـتراحة لرواد السـوق من غير أهـل المنطقة، حيث يرتادهـا من لا يرغب في الإثقال على الناس، من هذه المقاهي : قهوة صالح الزيدي تعلو السوق من جهة جبل زبيدة وقهوة الحزنوي في حوش ابن مستورة وقهوة السعيدي، وقهوة الصعدي وقهوة دوبان[٥] .

وهـذا نص لأحد علماء القرن الحادي عشـر الهجري (السـابع عشـر الميلادي) ، واسـمه الفقيـه أحمد الزيـداني، ويذكر بعض طلبة العلـم أن الأسـتاذ محمد بن ربيع الغامـدي، نقله من مخطوط الفقيه المذكـور ورغم أني لم أطلع على المخطوط ولا أجزم بصحته، لكنني نقلته هنا لأنه يساير الواقع التاريخي الذي سمعناه من الآباء والأجداد،

---

(١) القسـب : كما ذكره ابن منظور في لسـان العرب، هو الشـديد اليابس من كل شـيء، ومنه قسـب التمر، ليبسه، يتفتت في الفم، صلب النواة .

(٢) جاء في لسان العرب لابن منظر : المنثلة : الزنبيل / ونثل كنانته نثلاً: استخرج ما فيها من النبل، وكذلك إذا نفضت ما في الجراب من الزاد .

(٣) جـاء في لسـان العـرب لابن منظور : الغلف شـجر يدبغ به مثل الغـرف، وقيل: لا يدبغ بـه إلا مع الغرف. والغلف، بفتح الغَين وكسر اللام .

(٤) جاء في لسان العرب لابن منظور، عن السدو أنه النسج كما في قوله :الحائك يسدي الثوب ويسذي لنفسه، وأما التسدية فهي له ولغيره، وكذلك ما أشبه هذا .

(٥) أشكرك يا عبدالله على هذا الرصد الجيد، وحبذا أن تتوسع في دراسة الحياتين الاقتصادية والاجتماعية في بلاد بلجرشي خلال الثمانين عاماً الماضية . (ابن جريس) .

وفيه وصف لأهل بلجرشي وسوقهم: "سبت بلجرشي ليس بين الطائف وريدة أكبر منها ولا أظهر [١]، سورها من المرو الأبيض وله باب من جهة اليمن، وسوقها أعلى شأناً من سوق بيشة ورنية ويجلب لها التمر والقسب من بيشة ورنية وتربة، والتمباك الذي شاع في هذه السنين من وديان ريم وسواه في تهامة، والسلاح الذي يصنع في بعض جهاتها، والبر وسكر الشام وسائر مطالب التجار من القنفذة، ولا يجلب الجوخ والصولي إلا تجارها لعلو ثمنه، أهلها من غامد وبينهم من أخلاط الناس من يقيم بينهم حيناً للتكسب في سوقها، وعرافتها لدى الفرحة من غامد، هم عليها من سنين، وفيها جمع من الفقهاء ولهم ولع بالعلم والفقه فتجد داخل السوق معلامة كبيرة وفي أشرافه الشامية معلامة أخرى . هي مثل بلدان السراة لا قيظ يقيظ فيها ولكن شتاؤها شتاء لا يحتمله سوى أهلها ومن جانسهم من غير أهلها، وهم مشتغلون بالتجارة، وفيهم من يمدر المدر فيبذر المابية حنطة عندهم والصوب والشعير والذرة والقضب وربما زرعوا قصب السكر، ومنهم من يكتري الحقنة وأكثر في العذية وسواها يستزرعها للتكسب من طلعها، على ما بأيديهم في السبت وفي أشرافه، حيث الواديين سيل البحري وسيل الشرقي لها في بحريها جبل حزنة الذي يزعمون أن ملكاً شطره بجناحه فانشطر فغار نصفه، ولها في نجديها حمى هو حمى شكر وأظنه المعروف في كتب السير والله أعلم) .

ونجد النساء الجرشيات، أو الغامديات بشكل عام يساعدن الرجل في العمل بالمزرعة إضافة إلى عملهن المنزلي ويذهبن للاحتطاب وجلب المياه من الآبار، ولكل قرية أو عدة قرى حمى تقام الحروب لأجل المحافظة عليه، ومنها جبل شعران، سألت إحدى النساء عن هذا المكان فقالت : (كنا نذهب للاحتطاب من جبل شعران وكان الذهاب إليه مغامرة، فكثير من السبل التي نطرقها تشرف على أماكن غائرة، وحينما نسير على ممر يشرف على هول[٢] . نركز أنظارنا على الطريق حتى لا نصاب بالدوار، وأثناء سيرنا نسمع صوت خرير مياه ينبع من عقبة حزنة، وصوته يصل إلى بيوتنا أثناء الليل بوضوح) . ويمارسن بعض الأعمال الزراعية البسيطة، وكانت تشمل معلاة الوادي إلى أسفل وادي شكران وما يسمى بالسيل البحري والسيل النجدي، لأن بلجرشي يطلق عليها وادي سيل[٣] .

---

(١) هذا الكلام مبالغ فيه، لأنني تجولت في أرجاء بلاد تهامة والسروات، ووقفت على بعض الأسواق الأسبوعية فيها، ووجدت في بعض الوثائق والمصادر والمراجع تفصيلات عن أسواق أسبوعية في مناطق نجران، وجازان، وعسير، والقنفذة، والباحة، ورنية، وتربة، والطائف وغيرها، وجميعا أشهر من سوق السبت ببلجرشي، وأقول إن الأسواق الأسبوعية في عموم البلاد التهامية والسروية تحتاج إلى دراسات عديدة، وعلى المؤرخين في هذه البلاد أن يدرسوا هذا الميدان الحضاري المهم . (ابن جريس) .

(٢) الهول : المخافة من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه كهول الليل وهول البحر والجمع أهوال . المصدر: ابن منظور، لسان العرب. ج١١، ص ٧١١ .

(٣) يا عبدالله على ذكرت موضوعات عديدة : وصوراً من مشاركة المرأة في المجتمع، وبعض العقبات التي تقابل الناس في كسب أرزاقهم، لكنك لم تفصل في هذه الجوانب الحضارية المهمة . وأقول إن تاريخ المرأة

وبعض القرى حتى عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) كانت كما هي وأتذكر أوضاعها جيداً . يوجد بكل قرية مسجد يعتبر مقر التجمع والتشاور ويفتح بابه على ساحة أو باحة، وبعض هذه الباحات يوضع فيها حجارة جرانيتية كبيرة تستخدم للجلوس . وحول المسجد تُبنى البيوت وتكون غالباً متلاصقة وبينها طرق ضيقة يُطلق عليها (عادة) لا يزيد عرضها عن مترين بحيث تسمح للناس والمواشي بالسير عبرها. ويوجد بين كل بيت والآخر طريق ضيق للمارة وهو ما يسمى المسراب ترصفه الأعشاب . ويستخدم لبناء البيت الحجر الجرانيتي الصلب ولتسقيفها خشب العرعر . ويكسى من الداخل بطين ويدهن بمادة الشيدة وهي تربة تؤخذ من الجبال إذا خلطت بالماء أصبح لونها أبيض ناصع، وله توزيع عام متعارف عليه، مقدمة البيت توضع فيه المواشي إن كانت قليلة، أو في السفل أو الدور الأرضي إن كان البيت من دورين وكانت كثيرة [١] .

وأساليب أهل البلاد في حل بعض مشاكلهم، أنه عندما تحدث مشكلة أو حادثة تستلزم عقد اجتماع صلح، والجرشيون لهم أسلوب لا يختلف عما يقوم به أهالي منطقة الباحة عموماً . ففي أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حدث أن استقبل أهالي بني ظبيان أهالي بلجرشي في سوق الإثنين بقرية القرن لإعطاء البيضاء . فقال الشاعر عبدالله بن سعيد الزبير بعد كلمة مختصرة نصها : (لا إله إلا الله محمد رسول الله - ﷺ - وبعد أن أنصت له الجميع قال: اسمعوا يلام يانقالة الكلام، إن البيضاء فال الله، ورسول الله، وفال ملائكة عرش الله، ثم فال رجال الله الصالحين، وفال بلجرشي من جبر الله يسفيه إلى بيت الفقيه ومن هجة البنان إلى شفا غيلان، وقال بني ظبيان من سعيدة إلى البريدة، ومن المشرق إلى المغرب، وفال غامد من رهوة البر إلى النقب الأغبر، وفال زهران من سيحان إلى عيسان، وفال من يبديها ويستبديها، وأقول إن لي حقاً فيها) [٢] . وأنشد قصيدة شعبية طويلة، هذا مطلعها:

في عموم بلاد غامد أو السروات خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات الجديدة، وتستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة . أما الأهوال والمشاكل التي تقابل الناس في حياتهم العامة أثناء ممارسة أعمالهم وكسب أرزاقهم فهي الأخرى جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(١) تاريخ القرى والعمارة في بلاد السروات وتهامة خلال القرون الماضية من الموضوعات المهمة ويجب دراستها، ومازلنا نشاهد بعض القرى التراثية في هذه البلاد وقد أصاب أغلبها الخراب والدمار، وهي تستحق الرعاية والترميم، كما أنها تستحق الدراسة والتوثيق. ونظام العمارة قديماً وحديثاً يستحق أيضاً البحث والمقارنة ثم الحفظ والتوثيق حتى يطلع عليه أبناؤنا وأحفادنا . (ابن جريس) .

(٢) الغامدي، علي حرفوش، السيرة في علوم الديرة، ص ٢٧٥. يا عبدالله أنت فقط تحصر حديثك على أمثلة قليلة من حياة الناس الاجتماعية والحضارية، وهذه الموضوعات التي أشرت إليها مهمة ويجب دراستها وتوثيقها، كما يوجد هناك الكثير من الوثائق المحلية التي تدعم أقوالك ورواياتك . (ابن جريس) .

شلت البيضاء وأنا أقسم وهي محسوبة ألف راس	كورجة في كورجة تغطي بني عامر رجال وحلة
ورجال أولاد بارك كورجة في كورجة لها	ثم للمسعود نص الكورجة والنص بني عبيد
وأهل دارا السوق فيها اربع لحام لهم من أربعين	وأربعين أبا عليها سوق سايل واعتمر سبتانا
وثلاثين من أقصى البدو تدخل ساحة المجدول	والمدان أي قسمهم عشرين راساً والصقاع كماها

ونجد بعض المصادر تذكر دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تغيير بعض الجوانب الاجتماعية والتعليمية في بلجرشي، فقد كان هناك من يشرف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من أهل الرياض عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) [١] وقبل أن تنتظم أعمال الهيئة بشكل رسمي كان السفور شائعاً فالنساء كن يمشين في القرى والأسواق، ولم يكن هناك ما يخل بالشرف، بل كان الدين ثابتاً في الوجدان والمعاملة الحسنة عامة بين الناس، ثم تولى بعض رجال بلجرشي تأسيس حركة الإخوان التي سعت إلى تبديل بعض تلك العادات، وواجهت في البداية معارضة عظيمة من القبائل فتحمل المصلحون في سبيل ذلك كثيراً من الأذى والإهانات واحتسبوا ذلك عند الله ثم حصل لهم الدعم والمساندة من ولاة الأمر فتأسست هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفروعها في المنطقة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) برئاسة الشيخ ناصر بن سعيد آل مغرم بن علي الجعبري [٢] . هذه الإدارة باشرت أعمالها بالنهي عن بعض البدع والمنكرات[٣] كما نهت عن زيارة قبر لقمان في قرية حزنة الذي كان يزار للتبرك به حتى وقت قريب[٤] . وما ساعد الأهالي على الالتزام هو انخراط عدد من كبار رجالات غامد وزهران للعمل في فروع الهيئة بالمنطقة وهي : هيئة الباحة ورئيسها الشيخ علي بن عبدالرحمن بن جنيدي وهيئة المندق ورئيسها الشيخ علي بن عبدالرحمن بن حامد الدلمان، وهيئة العقيق ورئيسها الشيخ محمد بن أحمد المنعي، وهيئة المخواة ورئيسها الشيخ محمد بن علي بن محمد وهيئة بني سالم ورئيسها الشيخ محمد بن عبدالعزيز صقر، وهيئة بني كبير ورئيسها الشيخ محمد بن سعيد بن سويعد، وهيئة البشهم ورئيسها الشيخ عبدالخالق بن سعيد[٥] . وذكر علي بن صالح السلوك صاحب المعجم الجغرافي

---

(١) علي السلوك، وثائق من التاريخ . ص ٤٠٦، ٤٠٧ .

(٢) الشيخ ناصر بن سعيد بن مغرم : عرف بـ ناصر بن مغرم القريعي منسوباً إلى قرية القريع، ذاع صيته كونه من كبار رجال الدين والعقلاء ومن أهل الحل والعقد في المنطقة، وكان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تأسيس المدرسة السلفية مع بعض المشائخ في المنطقة . وكان في مقدمة مستقبلي الملك سعود غفر الله له حين زيارته لبلجرشي عام (١٣٧٣هـ) .

(٣) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج٢، ص ١٤٤/١٤٥ .

(٤) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٨٩ .

(٥) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٦٨/٣٧١/٣٧٤ .

لبلاد غامد وزهران، أن رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية، تأسست سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) وتضم (١٥) مركزاً هي: المندق، وبلجرشي، وقلوة، وغامد الزناد، وبني كبير، وبني ظبيان، والحجرة، والعقيق، وبالشهم، والمخواة، والقرى، وعرا، والرهوة، ودوس، وبني حسن[١]. وقد وجدت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل دعم من قبل الملك سعود، وكان الشيخ ناصر في مقدمة مستقبلي الملك وجلسائه حين زار المنطقة عام (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) أثناء ما كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن السويلم أميراً على المنطقة من (١٥/٩/ ١٣٦٧هـ وحتى ١٠/٩/١٣٧٩هـ)[٢].

عندما بدأ التعليم النظامي لم يكن في المنطقة عموماً سوى مدرسة الريحانية المتوسطة في بني ظبيان[٣]. وفي عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) افتتحت مدرسة زراعية متوسطة في بلجرشي ضمن خمس مدارس في أنحاء المملكة[٤]. وفي عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) أنشأت مندوبية تعليم البنات في الباحة، وكانت مندوبية البنات في بلجرشي تابعة لها[٥]. وفي عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) افتتح المعهد العلمي في بلجرشي، وقد أمر الملك سعود بن عبدالعزيز بمكافآت شهرية يتقاضاها طلاب المعهد والطلاب المغتربون أضيف إلى مخصصاتهم السكن والإعاشة[٦]. وقبل بدء التعليم النظامي كان بعض أبناء المنطقة

---

(١) علي السلوك الزهراني، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد غامد وزهران)، ص ٤٧ .

(٢) علي بن صالح السلوك، غامد وزهران ... السكان والمكان، ص ٢٣٣ . ياعبدالله كعادتك في الصفحات السابقة تذكر موضوعات عديدة ولا تعطيها حقها من البحث والتوثيق، فذكر موضوع الاختلاط بين الرجال والنساء في عموم جنوب المملكة العربية السعودية موضوع كبير، وكان الناس يمارسون حياتهم بشكل جماعي في أعمالهم الزراعية، والرعوية وغيرها . ومثل هذا الموضوع في السابق واللاحق يستحق أن يدرس دراسة علمية منصفة .كذلك حديثك عن بعض المؤسسات الإدارية، وذكرت فقط إدارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك مؤسسات إدارية قديمة وتستحق الدراسة والتوثيق ليس في بلجرشي ولكن في عموم بلاد غامد وزهران . وللمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس)، ص ١١٨-١٥٦، للمؤلف نفسه، منطقة الباحة (دراسات، وإضافات، وتعليقات)، ج١، ص ١١١-١٤٣، محمد بن أحمد معبِّر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-ق١٥هـ/ق٨-ق٢١م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، ج٢، ص ٦٩٧- ٧٩٤. (ابن جريس) .

(٣) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ج٣، ص ١١٩. للمزيد عن بدايات التعليم النظامي في منطقة الباحة، انظر غيثان بن جريس: منطقة الباحة (دراسات، وإضافات، وتعليقات)، ج١، ص ٣٨٧- ٣٨٩. (ابن جريس) .

(٤) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ج٣، ص ١٩٧.

(٥) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ج٣، ص ١١١.

(٦) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ج٣، ص ٢٧٧.

يتلقــون العلم على معلمي ومشــائخ مكة المكرمة كما قال إبراهيم الحســيل : (كنا نحن الجماعة من غامد وزهران نجلس في حلقة الشــيخ صــالح الفلسطيني بالمسجد الحرام في مكــة المكرمة [١] . لأن التعليــم في المنطقة عموما، لم يكن متطوراً كما نراه اليوم، ولم تتوفــر أدواته الحديثة حيث كانوا يســتخدمون ألواحاً تصــنع من خشــب الغرب للكتابة عليهــا بأقلام تؤخذ من نبات الحلفا والقصــب، أو يســتخدم الفحم، والحبر يؤخذ من دخان الســراج بعد تخفيفه بالماء ومن مادة تتكون من آثار دخان المصــابيح (الأتريك) تسمى "الوار" [٢] . ولعل هذا يبين لنا مقدار الجهد الذي بذله أهالي المنطقة لتعليمهم . ورغم الصعوبات نشأت بعض الكتاتيب في عدد من القرى منها كتاب الفقيه الجحفاني، وكتاب آل حســيكي في دار الســوق . وفي قرية البركة كتاب الفقيه حســن بن عبد المعطي وكتاب علي بن عبد المعطي وكتاب عبد الرحمن بن علي عبد المعطي وكتاب حسن بن علي عبد المعطــي. وفي قرية المســعود وكتاب الفقيه عبد الرحمن مســاعد. وفي قرية المكارمة كتــاب الفقيه الأعمى . وفي قرية الجلحية كتاب الفقيه أبو حشــيش . وفي قرية الحمران كتاب الفقيه عبد العزيز قحوش[٣] .وكتاب الشــيخ ســعيد آل مغرم بن علي الجعبري، في قريــة القريــع . كما أن بعض الأســر عرفت باتجاه أبنائها إلى التعليم وتحصــيله، مثل: أسرة آل عبد المعطي بقرية بني عبيد، وأسرة الفقهاء في قرية البركة، وأسرة آل يوسف في قرية مقمور، وأســرة آل زين في بني ســالم، وأسرة آل أبي حشيش في قرية الجلحية، وأســرة آل هباد، وأســرة آل حسيكي[٤] .وأسرة المنصــوري التي تقيم في قرية المصنعة، وتعتبر من أشهر الأسر العلمية في بلجرشي وفي المنطقة عموماً .

ومؤســس المدرســة السلفية في بلجرشــي هو الشيخ ناصــر بن مغرم بصفته رئيساً للهيئات بالمنطقة وقد سار على خطى والده الشيخ سعيد بن مغرم وجده مغرم الجعبري، اللذين أسســا قبله الكتاب المســمى " بيت عنقة " ببلجرشي، فوالده قام بها بصفته من رجال العلم الذين درسوا في زبيد باليمن، وجده تبرع بالمال والمبنى لا يزال قائماً كمبنى من دورين، لكنه مهجور. أما بالنسبة للمدرسة الشهيرة " المدرسة السلفية" التي وجدت كل التأييد والمســاندة من الملك ســعود، ومن ســاعد الشــيخ ناصــر في تأسيسها، الشيخ محمد جماح الذي تولى إدارتها فيما بعد . وهذا القول ثابت في كتاب (غامد وزهران) للأستاذ الحسيل، الذي تحدث عن دور الإخوان المؤسسين لهيئة الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ص ١٢٧ .

(٢) الحريتي، سعدي، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة من عام (١٢٥٠هـ حتى عام ١٤١٨هـ). ص ٣٢ .

(٣) الحريتي، سعد، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة من عام (١٢٥٠هـ حتى عام ١٤١٨هـ) . ص ٣٠.

(٤) الحريتي، سعد، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة من عام (١٢٥٠هـ حتى عام ١٤١٨هـ) . ص ٣٢ .

عن المنكر وتأسيسهم أول مدرسة نظامية في بلجرشي[١] .

ونجد الملك سعود يذكر في خطابه المنشور في جريدة أم القرى عدد (١٥٧٢) في (١٣٧٤/١١/٨هـ) أهمية المدرسة السلفية في بلجرشي، فيقول: "بسم الله الرحمن الرحيم . من سعود بن عبدالعزيز الفيصل آل سعود إلى أبناء شعبه العزيز: إن المدرسة السلفية التي أسست في بلجرشي من قبل ناصر بن مغرم ومحمد بن جماح، والتي مناهجها تعليم الدين الإسلامي والعقيدة السلفية، وإفهام الناس الحق من الباطل واجتناب ما حرم الله وتحليل ما أحل الله . إن هذه المدرسة قد أسسها هؤلاء الرجال على حساب أنفسهم وعلى ما تبرع به أهل الخير . وبعد زيارتنا لهذه المنطقة وتفقدنا لهذه المدرسة، رأينا ما سرنا من أساتذتها وطلابها مما تحلوا به من العقيدة الصالحة والدعوى إلى الله، وإقبال الناس على هذه المبادئ الشريفة السليمة، التي نرجو أن تزداد وتمتد إلى جميع أنحاء المملكة، التي لا قوام لها ولا عز لها إلا بهذه الدعوة والعقيدة الصالحة، والعمل بكتاب الله وشريعة نبيه (ﷺ) وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله ولا يمكن حفظ كيانٍ أو دفاعٍ عدو إلا بالتمسك بدين الله وبأحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ، فإن قمنا به قولاً ونطقاً باللسان وعملاً بالأركان وعقيدة بالجنان، فقد أدينا الرسالة وحصلت لنا المنفعة وكافحنا العدو بالسلاح القوي . ألا وهو السلاح الرباني الذي لا يعادله أي سلاح أو أي قوة، قال الله في كتابه الكريم: [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا]. فإذا دافعنا عن دينه دافع عنا، وإذا أهملناه أو تكلمناً مجرد كلامٍ وتمنٍ، فهذا لا ينفعنا بشيء، كما في الحديث : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) فنرجو أن نكون ممن قال واعتقد بقلبه وصدقته أعماله . وبهذه المناسبة فقد أمرنا أن تكون نفقات هذه المدرسة السلفية الصالحة التي لمسنا منها حب الخير والدعوة إلى الله . أن تكون نفقاتها من أساتذة وطلابه على نفقاتنا الخاصة، وأن نرعاها حق الرعاية، كما أمرنا بإشادة طابق ثان لبنايتها لإيواء النائين عن البلاد من طلابها، كل هذا نرجو به التقرب إلى الله وتعزيز الدين ومن قام بالدين ونرجو أن نرى في أنحاء مملكتنا في المدن والقرى من يقوم بهذه الدعوى على غرار ما أمر الله به ورسوله وتطبيق ما جاء في الكتاب والسنة، ونحن نساعدهم ونؤيدهم لأن المكافح للجهل ولأهل الزيغ والفساد والذين لا يرعون للدين مكانة، هو

---

(١) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٧٣- ٣٧٤ . للمزيد عن التعليم الأهلي والمدرسة السلفية في بلجرشي . انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ٢٤٠-٢٤٦، محمد بن معبِّر، الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي، ج٢، ص ٧٧٣-٧٧٨ . (ابن جريس) .

الجنـد الرادع الأساسـي لهـؤلاء. [وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ]. والذي أوصـي به نفسـي وشـعبي، هو تقوى الله سـبحانه وتعالى في السر والعلانية والميسرة والمعسرة، والاعتصام بديـن الله، وتطبيـق سـنة رسـول الله (ﷺ)، وعدم الميـل إلى ما يخل بالديـن وتقاليد الإسلام ومبادئنا العربية الشريفة التي يؤيدها الإسلام . فإن عملنا بذلك نجحنا في أمر ديننا ودنيانا، وإن تركناه - لا سمح الله - فما أهوننا على الله كما قال الله في كتابه العزيز [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَـيِّرُ مَـا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِـهِمْ]، وهذا لا يمنع من اتخاذ كل قوة في البلاد عسـكرياً أو مادياً أو معنوياً، وكل ما فيه رقي للبلاد والنهوض بها في شـتى مرافق الحياة التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي، وأرجو الله أن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا اتباعـه، ويرينـا وإياكم الباطل باطـلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يريني فيكم ما يسـرني من صلاح دينكم ودنياكم، ويجعلنا وإياكم هداة مهتدين أعواناً على الحق وعلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه فهو حسبنا ونعم الوكيل[١] .

ومن الفنون الشعبية والأدبية في بلاد بلجرشي: فمن العرضة وإلقاء قصائد الشعر، وهي قصـائد مسـجلة للأحداث ومعبرة عن رأي الجماعة إذ لم تجد معارضة في وقتها ومـن الممكن أن تحدث بعض التغيرات الاجتماعية السـلبية والإيجابية[٢] . وأيضـا لعبة المهشـوش أو الشبكي، حيث يلعبها الرجال وبين كل رجل ورجل امرأة لكن يلتزم الجميع فيها بالأخلاق الحميدة فلا يصـدر ما يخدش الحياء العام، وقد منعها الملك سـعود بن عبدالعزيز آل سـعود (رحمه الله)[٣] وهو فن راق بكل ماتعنيه الكلمة، لأن القصـائد التي تُقال في هذه العرضـات ليست كأي قصيدة ولا يمكن لأي شاعر أن يقف في ميدان الاحتفال التي تقال فيه . فالصـعوبة ليسـت في البدع وإنما في الرد، حيث يجب أن تكون قافية الرد هي نفس الحروف الخمسة الأخيرة من البدع ولكن تختلف في المعنى، ومثال ذلك قول الشاعر دغسان أبو عالي[٤] .

---

(١) آل سـعود، سـلمان بن سـعود، تاريخ الملك سـعود " الوثيقة والحقيقة : . ج١، ص ٢٧٨ . يا عبدالله مازال هناك عشـرات الوثائق التي تذكر صـوراً تاريخية وحضارية عن بلاد بلجرشي وآمل منك أو من أي باحث في بلادكم أن يجمع هذه الوثائق ويدرسها ويوثقها . (ابن جريس) .

(٢) العمر، معن خليل، علم اجتماع الفن . ص ٧٧ . من يدرس تاريخ الشـعر الشـعبي في بلاد تهامة والسـراة يجده مليء بالجوانب الإيجابية والسـلبية، لكنه يعد مصـدراً من مصـادر كتابة التاريخ، ومن يسـتخدمه يجب أن يكون حذراً في فهمه وتحليله وغربلته . (ابن جريس) .

(٣) أرسل الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود رسالة طويلة من صفحتين إلى الشيخ ناصر بن مغرم (رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في بلاد غامد وزهران عام (١٣٧٣هـ) . شرح فيها ما وصله عن بعض الأمور الغير حميدة خاصة في لعب المهشوش ونزول النساء إلى الأسواق والتحدث مع الرجال، وأمر بمنعها .

(٤) الغامدي، علي حرقوش، السـيرة في علوم الديرة، ج٨٧، ١١٨. هذه الفنون جديرة بالجمع والدراسـة، وكان للأستاذ السلوك قصب السبق فأصدر بعض المؤلفات الجيدة عن الفنون الشعبية في منطقة الباحة . (ابن جريس) .

البدع

يا سلامي على ذا في جميع المعالي ينوجد
عربته قائمة والمال في كل معنى ما يجنه
ما تسمى من الله عامري لين عمر مذهبه
وإن طلبت الشيم والشور من عندهم فابشر بها
وإن طلبت المجالس تلتقي كيفه وأعلام هيلة
وقريش الهول ترسم على ما يقولوا بني عامر
مثل ما قال الأول سل مجرب ولا تنشد حكيم
يخزي الله كيد إبليس والحساد الله لا يقيمه
كل ما عاين أهل العز يزداد غيظه والردى
من كثير الحزن تبيض عينه وكن أبوه مات
لا نصى الضيف يلقونه معي كنهم يلقوا ملك

الرد

جاك فيفا عريب الخال في نسبته وأبا وجد
لبس أبوصقر ذا ما يكريه شيء وهرجهٍ ما يحنه
عنده الخيل والبندق وعند سيوفاً مذهبه
وبيار الحوادث لا تملت يسوق بشريها
يعرف البجرة المحقا وفيه يهبل أعلام هيلة
وانحن لا قال كيف الشور والله لنبني بني عامر
عندنا الشور وابو صقر في يده الفتل الحكيم
يوم قام المقدر هب لكلا من الشيخان قيمة
قيمته عندنا من حسن طِبعه ذهب وزمردا
لجل حنه كما درعاً وثيقاً صنوعه بوهمات
لنقول افترح وأبشر ترى مالنا والقوم لك

أما الفن المعماري : فلن أستطيع أن أفصل في هذا الجانب أكثر مما جاء في كتاب: " كنوز غامد وزهران العمرانية " للمهندس الحسيل الذي خصصه للفن العمراني بالمنطقة عموماً، وأجاد فيه، ومن يرغب الاستزادة يمكنه الاطلاع على هذا المرجع، ولكن لي تعليق من الناحية الاجتماعية، فأقول إن العوامل الاجتماعية لها دور كبير جداً في أسلوب تصميم المنازل ومساحتها واختيار موقعها، فكلما ازداد رب الأسرة ثراءً أو وجاهة كأن البيت أكبر والزينة الخارجية والداخلية بارزة، إلى جانب حسن اختيار الموقع أما أن يتوسط القرية أو يتخذ موقعاً استراتيجياً دفاعياً، وأورد نصاً من كتاب: "علم اجتماع الفن"، قال فيه : " القيم الاجتماعية العربية التي تؤكد على الحشمة والكرم قد أثرت على طراز الأزياء في الملبس، وصور البناء " تصميم المنازل وهندستها " فالغرف يجب أن تكون واسعة المساحة، وأن تكون هناك غرف خاصة باستقبال الضيوف [1] .

---

(١) العمر، معن خليل، علم اجتماع الفن . ص ٨٥ . يا أستاذ عبدالله أنت تذكر موضوعات مهمة وجديرة وتستحق الجمع والبحث والتوثيق . وما ذكرت عن العمران وما ذكر المهندس الحسيل فقط صور قليلة ومحدودة، ونتطلع منكم أن تدرسوا تاريخ العمارة في بلادكم منذ عصور قديمة، وكيف تطورت، وماهي الفنون والمواد المستخدمة في العمارة، وأنواعها، وأهدافها . ومن يتجول في بلادكم تهامة وسراة فإنه سوف يشاهد مئات الأنواع والأشكال المتباينة في أحجامها، ومواقعها، وفنونها، وطرق الاستفادة منها . وربما لو بحثتم عن مخطوطات أو مدونات أو وثائق في هذا الجانب فقد تفيدكم في دراسة مثل هذا الموضوع الحضاري المهم، الذي يعكس صوراً مهمة من تاريخ الأرض والناس. (ابن جريس) .

ويوجد في بلاد بلجرشي بل منطقة الباحة الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغوية الجديرة بالدراسة والاهتمام، واذكر في الصفحات التالية بعضاً من هذه الكلمات: **(١) الغبرة:** الأرض الزراعية المهملة. والغبرة (بسكون اللام وفتح الغين والباء والراء) وفي مختار الصحاح الغبراء الأرض [١] . وفي لسان العرب: (الغبراء والغبرة أرض كثيرة الشجر) [٢]. **(٢) الجفون:** الشجر الكثيف الملتف . وجاء في المحكم: (الجفن شجر طيب الريح، وهذا الجفن غير الجفن من الكرم، ذلك ما ارتقى من الحبلة في الشجرة فسمي الجفن لتجفنه فيها والجفن أيضاً من الأحرار نبتة تنبت متسطحة وإذا يبست تقبضت واجتمعت. ولها حب كأنه الحلبة وأكثر منبتها الآكام وهي تبقى سنين يابسة وأكثر راعيتها الحمر والمعزى، قال وقال بعض الأعراب هي صلبة صغيرة مثل العيشوم ولها عيدانٍ صلاب رقاق قصار وورقها أخضر أغبر ونباتها في غلظ الأرض وهي أسرع البقل نباتاً إذا مطرت وأسرعها هيجاً) [٣]. **(٣) الكدرة :** التربة الزراعية المعقودة. وفي معجم البلدان ج٤، ص ٣٢٦، القلاعة الضخمة من مدر الأرض المثار. **(٤) الحقينة:** اللبن الحامض ويستخرج منه الزبد. في لسان العرب ج١٣، ص ١٢٦. حقن اللبن في السقاء يحقنه حقناً صبه فيه ليخرج زبدته حقنته أحقنه بالضم جمعته في السقاء وصببت حليبه على رائبه واسم هذا اللبن الحقين . وفي موضع آخر من " لسان العرب " ج١٣، ص ١٢٥ .حقن الشيء يحقنه حقناً فهو محقون وحقين حبسه" . **(٥) الحبلة:** الأرض المحملة بالثمار والحبلة : وهي الأرض الكثيفة الشجر، جاء في " المغرب " : (الحبلة الكرمة وهي شجر العنب واحدته حبلة) [٤]. **(٦) آبة:** لفظ ينادى به الابن أباه ومشهورة في بلجرشي وهي في الأصل لبني هلال بن عامر بن صعصعة، فكما جاء في سير أعلام النبلاء : (سمعت علياً وكان من أفصح الناس يقول دفت إلينا دافة من بني هلال فخرج صبي فقال يا أبة إن فلاناً دفعني في حومة الماء) [٥]. **(٧) أثاره:** قصده أو نيته وأثاره كذا أي قصده كذا. **(٨) أدني:** أعطيني، وأدي لي، إدغام اللام في النون وهي لهجة السودة في جنوب الجزيرة العربية وتنطق حالياً في مصر (اديني). **(٩) أفلح :**بكسر اللام : اذهب في حالة الأمر) وبفتح اللام : راح، وفي التعريفات ج١، ص ٥٦٣) الفلاح الظفر وإدراك البغية. **(١٠) أقبل:** قدم أو أتى وتأتي

---

(١) الرازي، محمد، مختار الصحاح، ج١، ص ١٩٦ .
(٢) لسان العرب، ج٥، ص ٦ .
(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ج٧، ص ٤٥٧ .
(٤) المغرب في ترتيب المعرب، ج١، ص ١٧٨ . لسان العرب، ج١١، ص ٥٧١ .
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٥٧١ .

بصيغة الأمر (أقبل علينا) أي تعال. **(١١) احن:** أي نحن . **(١٢) بالك:** هل تتوقع ؟، وتستعمل في حالة الشك والرجحان مثل قولهم : (بالك يسافر) " هل تتوقع أن يسافر؟ وتستعمل في المغرب ومصر . **(١٣) بد قله :** أي ابدأ بالقول له . **(١٤) بنصلي :** أي سنصلي، ولهجة صنعاء للمخاطب والمتكلمين حين يسألون ماذا تفعلون هنا ؟ يكون الجواب بنصلي وكذلك يستخدمها أبناء حضرموت في اليمن، وتستعمل حالياً في مصر . **(١٥) تكرفس:** تداخلت أرجله في بعضها، وتدحرج الرجل من جبل ولم يعد يسيطر على نفسه . وفي (لسان العرب ج٦، ص ١٩٦) تكرفس الرجل إذا دخل بعضه في بعض . **(١٦) ثاره:** اتبعه، أو خلك في ثاره أي تعقبه أو اقتفي أثره وتأتي من الثأر أي حق مطلوب متابع. **(١٧) ثم:** أي هناك، وتطلق على مكان بعيد نسبياً ومشهور مع الإشارة باليد، وإذا لم يكن معروفاً للسائل استعيض بها بتسمية المكان. فيقال : أين فلان ؟ والجواب : ثم. أو في المكان الفلاني . **(١٨) ثماله :** هي حائط يُبنى على سفح الجبل للأرض الزراعية لتحديدها ولحفظ المياه. وجمعها ثمائل، وهي حوائط من الحجر الجرانيتي، تبنى للحفاظ على التربة الزراعية من التجريف وقد أثبتت جدواها أفضل من الخرسانة المسلحة التي حاول البعض أن يستعيض بها عنها لأنها تسمح بتسرب المياه مع المحافظة على التربة، وتسمى المصاطب في بعض المناطق . وفي (لسان العرب ج١، ص ٩١) الثمالة الماء القليل يبقى في أسفل الحوض أو السقاء أو في أي إناء كان والمثملة مستنقع الماء وقيل الثمالة الماء القليل في أي شيء كان **(١٩) جيد:** أي سحب بقوة، وجذب، جيد الشيء أي جذبه وتستعمل في المغرب. (٢٠) حسّك: أي انتبه .

(٢١) حش بفتح الحاء: تقال للشيء الذي يختفي بسرعة، على سبيل المثال (فأر يهرب إلى جحره) فيقال بفتح الحاء " حَش هنا " أي دخل جحرة " . وحُش بضم الحاء: وبصيغة الأمر فيقال : (حُش هنا) أي (ادخل هنا للاختفاء) واشتقت منها كلمة الحشوة أو المحشي، وتستعمل في المغرب. **(٢٢) الخبزة :** خبزة الملة وفي " لسان العرب ج٥، ص ٣٤٣) خبز الخبزة الطلمة وهي عجين يوضع في الملة حتى ينضج والملة الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار والخبز وفي (مختار الصحاح ج١، ص ١٦٤) الطُرموس بوزن العصفور خبز الملة . **(٢٣) دغل:** أي مزحة ثقيل، بكسر الدال والغين، وتطلق على من يبالغ في المزاح باستخدام يديه، فينتقم مخفياً قصده ويخلط الجد بالمزاح . ويقال: دغله أي ضربه في مقتل، أو طعنه غدراً وليس وجهاً لوجه . **(٢٤) دمن :** أي مخلفات البهائم وتستخدم لتسميد الأرض . والدمنة مرمى الروث، يطلق على المكان الذي ترمى فيه المخلفات الحيوانية **(٢٥) ذيك :** أي تلك، وتعني تلك إشارة للمؤنث

(للشيء البعيد) أما المذكر فالإشارة له بـ (ذاك ذلك) . **(٢٦) رخمة :** طيور جارحة تأكل الجيف، ولا تستطيع أن تصيد، والمعنى هنا أنها تقال للرجل الكسول أو الفاشل . وفي (لسان العرب ج١٢، ص ٣٩) الرخم نوع من الطير واحدته رخمة موصوف بالغدر، وفي (ج٣، ص ٣٩) الرخم طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة وهو اسم جنس وواحدته رخمة، وتطلق على الإنسان الضعيف في قوله وعمله . **(٢٧) الركيب :** الأرض الزراعية التي تسقى بمياه الآبار وهي عكس العثرية التي تسقى بمياه الأمطار، وفي (لسان العرب ج١، ص ٤٣٣) الركيب المشارة وقيل الجدول بين الدبرتين وقيل هي ما بين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي ما بين النهرين من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة . **(٢٨) الرواح :** أي الذهاب، وفي (لسان العرب ج٢، ص ٤٦٤) الرواح قد يكون مصدر قولك راح يروح رواحاً وهو نقيض قولك غدا يغدو غدواً . **(٢٩) الربع :** يطلق على حمى القرية ومرعاها، وغالباً ما يكون تلاً مرتفعاً . في (معجم البلدان ج٣، ص ١٠٩) الربع بالكسر وهو المرتفع من الأرض وقال عمارة هو الجبل الواحد ريعة والجمع رياع ومنه قوله تعالى: [أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ] . وفي (ج٨، ص ١٣٩) الريع المكان المرتفع وقيل الريع مسيل الوادي من كل مكان مرتفع. **(٣٠) زيك :** أي مثل حالك، (اعطه زيك) أي(اعطه مثل حالك) . **(٣١) سرح :** أي خرج في الصباح الباكر، وفي (لسان العرب ج٢، ص٤٧٨) يقال سرحت الماشية أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى سرح المال نفسه إذا رعى بالغداة إلى الضحى السرح المال السارح ولا يسمى من المال سرحاً إلا ما يغدى به ويراح وقيل السرح من المال ما سرح عليك يقال سرحت بالغداة وراحت بالعشي ويقال سرحت أنا أسرح سروحاً أي غدوت. **(٣٢) شعطه أو شحطه :** ضربه بقوة بعصا طويلة أوسوط، ضربة تبين بالجلد أثراً وأساس الكلمة شحطه ولكن بدلت الحاء عيناً وهذه هي لهجة هذيل وتسمى (فحفحة) وقد قرأ ابن مسعود – رضي الله عنه- "عتى" (حتى) . **(٣٣) شعف :** أي حدود الجبال، جهة تهامة، **(٣٤) صدر :** أي ما بين الشعف والسهل وفي (لسان العرب ج٤/ ص ٤٤٥) والصدر مقدمة كل شيء وأوله. **(٣٥) عثري :** الأرض التي تسقى بالأمطار، وفي لسان العرب، ج٤، ص ٥٤١ قيل هو من عثري النخل سمي به لأنه لا يحتاج في سقيه إلى تعب بدالية وغيرها كأنه عثر على الماء عثراً بلا عمل من صاحبه فكأنه نسب إلى العثر، وفي (ج١٤، ص ٣٩٣) المسقوي من الزرع ما يسقى بالسيح والمظمئي ما تسقيه السماء وهو بالفاء تصحيف وفي حديث معاذ في الخراج وإن كان نشر أرض يسلم عليها صاحبها فإنه يخرج منها ما أعطي نشرها ربع المسقوي وعشر المظمئي المسقوي بالفتح وتشديد الياء من الزرع ما يسقى بالسيح والمظمئي ما تسقيه السماء وهما في الأصل مصدراً أسقى وأظمأ أو سقى وظمئ .

(٣٦) علو: أي غرفة خاصة، وفي (مختار الصحاح، ج١، ص ١٩٠) العُلّيّة بضم العين الغُرفة والجمع العَلالي . **(٣٧) عنقل :** أي تعنقل أو عنقله أي أعيق سيره، أو عطله عن سيره. **(٣٨) غداً:** أي اذهب، وفي (لسان العرب ج١٠، ص ٢٩٣) في حديث داحس والغبراء أن قيساً أتى حذيفة بن بدر فقال له حذيفة ما غدا بك قال غدوت لأواضعك الرهان أراد بالمواضعة إبطال الرهان، وفي (ج٦، ص ١٧٦) فأطعمته حتى غدا وكأنه أسير يداني منكبيه كتاف، وفي (ج٨، ص٣) في الحديث اغد عالماً أو متعلماً ولا تكن إمعة، وفي (معجم ما استعجم ج٢، ص ٥٦٥) بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى دومة وأمر عليهم عبدالرحمن بن عوف وعممه بيده وقال اغد باسم الله فجاهد في سبيل الله تقاتل من كفر بالله وأكثر من ذكر الله عسى الله أن يفتح على يديك فإن فتح فتزوج بنت ملكهم . **(٣٩) فية :** أي ظل، ويقال يتفيؤون أو يتظللون من الشمس . **(٤٠) قبعة :** أو غطاء الرأس المحكم . **(٤١) قدوم :** أي فأس، وفي " معجم البلدان " جاء عن اسم الفأس : (القدوم بالفتح وتخفيف الدال وواو ساكنة وميم وهو في لغة العرب الفأس التي ينحت بها الخشب وجمعها قدم[1] . **(٤٢) قصادك :** أي أمامك، أو قدامك. وينطقها الجرشيون وتقال للشخص الذي يبحث أو يسأل عن شيء وهو أمامه . **(٤٣) لك الله :** يمين، وهي يمين يحلف بها أهالي بالجرشي، وهي شائعة في السودان، وقد تكون منقولة مع بعض الأسر الجرشية التي عملت هناك . **(٤٤) لكان:** نعم، تأكيد لأمر حدث، ولازال ينطقها الجرشيون وتذكر حين يستفسر الشخص عن شيء مؤكد أنه سيعمله فحين تسأله يجيب (لا كان)، وتستعمل في لبنان وسورية . **(٤٥) ما شي :** أي لا يوجد أي شيء . **(٤٦) متاع :** أي هذا متاع أو غرض فلان لا تأخذه، واشتقت منها كلمة الأمتعة أو الأغراض و (بتاع) الميم قلبت فيها باء . **(٤٧) المجرة :** أي خندق، وهي شق في الأرض يبدأ بمحاذاة رأس البئر ويتعمق حتى يصل إلى مترين، ويسهل للبقرة أو الثور الهبوط حاملاً المياه من قعر البئر بواسطة السواني، وفي (معجم البلدان ج٥، ص (٥٨) المجرة في اللغة بمنزلة الشيء الذي يجر به أو يجر فيه موضع . **(٤٨) المرزح:** أي عمود من الخشب الصلب جداً " العتم أو الزيتون البري " وينصب وسط الدار ليقوم أودها. وفي (لسان العرب ج٢، ص ٤٤٨) المرزحة الخشبية التي يرفع بها والمِرزح بالكسر الخشب يرفع به الكرم عن الأرض وفي التهذيب يرفع بها العنب إذا سقط بعضه على بعض . **(٤٩) مصراع :** أي جزئاً من الباب . وفي ("لسان العرب" ج٨، ص ١٩٩) مصراعا الباب بابان منصوبان ينضمان جميعاً، وفي (ج ١١/ ص ٢٩٦) المصراع أحد صفقي

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٣١٢ .

الباب . **(٥٠) المهل:** أول ناتج حرق الحطب في عملية استخراج القار. في لسان العرب ج١١، ص٦٤٤) المهل والمهل والمهلة صديد الميت . **(٥١) هاه،** أيوه أي نعم ويستعملها أبناء القبائل بالحجاز عند الإجابة على صوت ينادي من على بعد . **(٥٢) هبط أي:** ذهب إلى مكان منخفض عن المكان الذي خرج منه، وفي (مختار الصحاح، ج١، ص٢٨٧) هبط نزل وبابه جلس وهبطه أنزله وبابه ضرب يتعدى ويلزم يُقال اللهم غبطاً لا هبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا . قلت هذا حديث نقله الأزهري، وأهبطه فانهبط وهبط ثمن السلعة أي نقص وهبطه غيره وأهبطه والهَبوط بالفتح الحدور . وفي (لسان العرب، ج٧، ص ٤٢٣) هبط القوم صاروا في هبوط . **(٥٣) هه:** بمعنى لم أسمع أو لم أفهم أو أعد الكلام، وهي كلمة عربية فصحى تستعمل في اليمن ويستعملها بعض القبائل في السراة وتهامة بالمملكة العربية السعودية عند عدم الفهم أو عندما يكون صوت المتحدث خافتاً، وكذلك عند سماع الخبر الذي لا يمكن تصديقه وهي منتشرة في معظم الأقطار العربية[١].

سابعا : خلاصة القول :

أشكر الباحث على دراسة هذا الموضوع الذي ربما يجعل بعض الباحثين يختلفون معه، ويعارضون قوله بأن سكان بلجرشي هم أساساً من مخلاف جرش في بلاد عسير. كما أنه جمع معلومات قيمة عن بلدة بلجرشي في العصر الحديث . ومازالت هذه الحاضرة تستحق المزيد من أبنائها وبخاصة في تاريخها الإداري، والاجتماعي، والاقتصادي، والفكري والتعليمي والثقافي منذ القرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م) ، فهو ميدان كبير ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث . وأرجو من مؤرخي محافظة بلجرشي، ومن أبناء منطقة الباحة أن يعكفوا على دراسة تاريخ بلادهم وحضارتها، فهي ذات عراقة تاريخية وتراثية وتستحق الخدمة والتفاني فيجمع موروثها ثم يحفظ ويوثق.

---

(١) هذه المفردات أو المصطلحات المذكورة نماذج قليلة من لهجات بلاد بلجرشي أو سروات منطقة الباحة، وأقول إن لهجات هذه البلاد من الموضوعات المهمة والجديدة ويجب بحثها ودراستها في بحوث علمية موثقة، وآمل من أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الباحة أن يخدموا هذا الموضوع بحثياً وعلمياً . (ابن جريس) .

ثالثاً: وقفات مع سوق سبت تنومة الأسبوعي في العصر الحديث.

بقلم: أ. د. صالح بن علي أبو عراد الشهري:[1]

١. تمهيد:

طالعت على مدى السنوات القليلة الماضية عدداً من الدراسات التاريخية وبعض المقالات الصحفية التي تناولت جوانب مختلفة من الحديث التاريخي عن سوق السبت الأسبوعي في محافظة تنومة بني شهر، ومنها الأبحاث والكتابات التالية التي سأشير إليها حسب تاريخ نشرها على النحو التالي: (أ): ما كنت قد كتبته في كتابي: " تنومة بني شهر"، ضمن سلسلة (هذه بلادنا)، رقم (٤٦). الصادر عن الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م). (ب). ما كتبه الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن محمد أبو داهش، بعنوان: " من تاريخ أسواق عسير الأسبوعية [دراسة وثائقية موجزة] "، والمنشور في العدد (٣)، السنة (٣)، الصفحات من (٢٠٠-٢٠٦)، الصادر في عام (١٤١٩هـ/١٤٢٠هـ). ضمن (حوليات سوق حباشة)، الصادر عن نادي جازان الأدبي. (ج) ما دونه الأستاذ / سعيد بن عبدالله بن معيض بعنوان: " سوق سبت تنومة أصالة التاريخ تصدح في جوانبه"، في العدد (١٦٤٦٢) من جريدة (الرياض)، الصادر يوم السبت (١١/٩/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠يوليو / ٢٠١٣م) (د) ماكتبته تحت عنوان: " صفحات من تاريخ محافظة تنومة بمنطقة عسير خلال العصر الحديث"، المنشور ضمن القسم الرابع من كتاب: " القول المكتوب في تاريخ

(١) للمزيد عن سيرة أبو عراد انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، جـ٨، ص ٣٦٨. جـ١٠، ص ٣١٥. جـ١٥، ص ٣٧٨.

الجنوب .. عسير، نجران، جازان، رنية، تربة، الخُرمة" . إعداد : أ. د / غيثان بن علي بن جريس . الجزء(٩) . الرياض: مطابع الحميضي، في الصفحات من (٢٩٨ - ٣٦٣) . الصادر في عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . (هـ) . بحثه ودونه الأستاذ/ رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، بعنوان : " سوق السبت في سروات بني شهر في العصر الحديث والمعاصر" ، والمنشور في الجزء (١١) ، من كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب .. (أجزاء من عسير) . إعداد : أ . د . غيثان بن علي بن جريس . في الصفحات من (١١٤- ١٦١) . الصادر في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) [(١)].

والأسواق الأسبوعية القديمة واحدة من أبرز الظواهر الاجتماعية التاريخية التي عرفها الإنسان في بلادنا منذ القدم ! فإن واقع الحال يُثبت أن لها كثيراً من المظاهر الاجتماعية، وهو ما يُشير إليه أحد الباحثين بقوله: " تُعد تلك الأسواق من أبرز المظاهر الاجتماعية الحية ذات المجال التجاري المحلي، والمنطلق الاقتصادي المحدود، إلى جانب كونها المواطن الأساسية التي يتعارف فيها الناس ؛ ويتبادلون فيها المنافع والحاجات " (عبدالله أبو داهش، ١٤١٩هـ/١٤٢٠هـ، ص ٢٠١) . من هنا فإنني أجزم أن تلك الأسواق الأسبوعية كانت ظاهرة اجتماعية تشتهر بها أنحاء مختلفة في الجزيرة العربية بعامة، وفي المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية خاصة ؛ حيث توارث الأجيال فيها هذا النمط الحياتي المميز الذي يقوم على تخصيص أحد أيام الأسبوع للقيام بمهمة التسوق، وممارسة مهنة البيع والشراء لمختلف السلع الاستهلاكية التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية داخل مجتمعه الذي يعيش فيه، إضافة إلى ما يمارس في تلك الأسواق من المهام الحياتية المتنوعة سواءً أكانت دعوية، او اقتصادية، أو اجتماعية، أو قبلية، أو غير ذلك [(٢)].

---

(١) بلاد تنومة بني شهر من المستوطنات البشرية القديمة، ومازالت من الحواضر الرئيسية في بلاد السروات . وإذا كان صدر عنها بعض الدراسات القليلة والمختصرة، فمازالت بحاجة إلى دراسات أطول وأشمل وأعمق في أصولها التاريخية، وأنساب قبائلها، ودورها التاريخي والحضاري منذ عصر ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. وهذه الناحية جرى على أرضها الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية خلال العصر الحديث (ق١٠- ١٤هـ/ق ١٦- ٢٠م) ، ونأمل أن نرى من أبنائها من يوثق تاريخها السياسي والإداري والحضاري منذ العصور الإسلامية الوسيطة حتى عصرنا الحاضر. أما هذه الوقفات التي يدونها الأستاذ أبو عراد وبخاصة عن سوقها الأسبوعي، فالفضل في ذلك يعود لابن تنومة الأستاذ رشاد الطنيني الذي عكف على بحث علمي عن هذا السوق أثناء دراسته درجة الماجستير في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، وكان بعنوان : سوق السبت في سروات بني شهر في العصر الحديث والمعاصر. وهذا البحث هو الذي انطلق منه أبوعراد وذكر بعض أقواله ووجهات نظره، وقد يظهر في المستقبل من يجري دراسة أشمل وأوسع عن تنومة وأسواقها، ومعالمها الحضارية والتاريخية.(ابن جريس) .

(٢) بلاد تهامة والسراة مليئة بالأسواق الأسبوعية القديمة، ومازال بعضها قائماً حتى وقتنا الحاضر . وهي من المواضع التي تعكس العديد من الصور الحضارية التي عاشها سكان هذه البلاد منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث .(ابن جريس) .

والأسواق الأسبوعية كانت ولازالت تحظى إلى حد ما بعناية واهتمام أبناء هذه المنطقة على وجه الخصوص منذ القدم ؛ وليس أدل علىً ذلك من أن كل قبيلة أو بلدة تختص في الغالب بأحد أيام الأسبوع ليكون يوم السوق لها ؛ حيث كان كل سوق يسمى في الغالب باسم اليوم الذي يقام فيه، فيقال: سوق السبت، أو سوق الإثنين، وهكذا، وقد يُضاف إلى اسم اليوم اسم المكان أو القبيلة كأن يقال: سبت تنومة، اثنين بللسمر، ثلوث المنظر، .. إلخ . والجدير بالذكر أن تلك الأسواق الأسبوعية كانت تخضع للعديد من الأعراف القبلية والأنظمة الصارمة التي تُعنى في المقام الأول بتنظيم شؤونها، وتكفل حمايتها، وتقوم بحل وإصلاح ما قد يقع فيها من خصومات أو خلافات بين المتسوقين من روادها، ونحو ذلك . لم تكن مهمة تلك الأسواق محصورة في عملية البيع والشراء ؛ فقد كان للسوق في الماضي الكثير من الوظائف والمهام الاجتماعية، والتعليمية، والسياسية، والدينية، والدنيوية، فهو يوم المقاضاة، والمحاكمة، ومحل إعلان قواعد القبائل للناس، وهو يوم تأديب المُجرمين وتطبيق العقوبات بحقهم، ومكان إبلاغ إعلانات الحكومة لأفراد المجتمع، كما أنه يوم قضاء الحوائج، وتناقل الأخبار، وتحديد مواعيد المناسبات العامة المختلفة [١].

وكان يوم السوق في تنومة إلى عهد قريب يُمثل العيد الأسبوعي الذي يلتقي فيه أبناء القبائل من أهل تنومة وغيرهم لغرض البيع، والشراء، وقضاء الحاجات، وتبادل المنافع، فكانوا يجلبون الأغنام، والأبقار، والجمال، وغيرها من الدواب، إضافة إلى المنتجات الزراعية والحيوانية، وعرض المصنوعات المحلية، لغرض بيعها وشراء ما يحتاجون إليه من طعام، وكساء، ومواش، وأغراض منزلية أخرى [٢].

---

(١) هكذا كانت طبيعة الأسواق الأسبوعية عند العرب قديماً، وبخاصة الجزيرة العربية، فكل ناحية أو قبيلة أو عشيرة تعقد سوقاً أسبوعياً في بلادها لخدمة سكانها في شتى مناحي الحياة . ومن يطالع الوثائق التي تعكس تاريخ تلك الأسواق فسوف يجدها متنوعة في بنودها وتواريخها والفئات البشرية التي أشرفت عليها ودونت معلوماتها . وقد جمعت خلال الأربعين عاماً الماضية الكثير من الوثائق التاريخية التي تفصل الحديث عن أسواق أسبوعية في مناطق نجران، وجازان، وعسير، والقنفذة، والباحة، وحواضر الحجاز الرئيسية . وآمل أن أجد الوقت حتى أصدرها في عمل علمي يخدم المؤرخين والباحثين وطلاب الدراسات العليا . وليس سوق سبت تنومة الأسبوعي إلا واحداً من تلك الأسواق الأسبوعية الكثير التي عرفها التهاميون والسرويون في الماضي، وقد تلاشت في عصرنا الحاضر وحل محلها أسواق يومية حديثة .(ابن جريس) .

(٢) شاهدت منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي العديد من الأسواق الأسبوعية في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف، وكانت مكتظة بالسلع المحلية والمستوردة . وموضوع الأسواق في أرض السروات يحتاج إلى عشرات الدراسات العلمية الموثقة . (ابن جريس) .

٢ـ سوق السبت في تنومة بني شهر:

يُعد سوق السبت في تنومة بني شهر واحداً من أكبر الأسواق الأسبوعية التي عُرفت قديماً، والتي مازالت إلى حد ما محافظة على جزء كبير من طابعها التراثي القديم في المنطقة الجنوبية بعامة، وفي بلاد سراة الحجر بخاصة. ويشير إليه أحد الباحثين بقوله: "وهو سوق يُقام في باحة تنومة كل يوم سبت، أكبر أسواق بني شهر" (محمد عمر رفيع، ١٧٧٣هـ، ص ١٠٨). كما ذكر سوق السبت في بعض الكتب التاريخية، فقد جاء في كتاب (مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير) قوله: "وقد أطلقنا في سوق السبت مدافع التحية من ثلاثة مواقع، واحداً وعشرين مدفعاً من كل موقع إعلاماً للأهالي بوصولنا" (محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٥هـ، ص ١٧٤). وأضاف قائلاً: "إن سوق السبت من منازل (بني أثلة) أحد أفخاذ بلحارث" (محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٥هـ، ص ١٨٢). وذكر السوق الكابتن كيناهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis) فقال: "هي السوق الرئيسي لبني شهر، ومركز تجاري هام للبدو الشرقيين الذين يجلبون البلح والخيول والجمال، ويقايضونها بالقمح والحبوب" (كورنواليس، ١٤٣٢هـ، ص ٥٨). وذكره فؤاد حمزة في كتابه (في بلاد عسير) فقال: "ولقبيلة بني شهر أسواق أسبوعية شهيرة".. ذكر منها: "سوق تنومة في قرية آل صفوان. يوم السبت" (فؤاد حمزة، ١٣٨٨هـ، ص ١٦٢). وموقع السوق ليس كما ذكر فؤاد حمزة في قرية آل صفوان، ولكنه في موقع متوسط بين ثلاث قبائل هي: (آل صفوان من الجهة الجنوبية، وآل حسين من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية، وآل بن يعلى من الجهة الغربية والشمالية الغربية)[1].

أما سبب تسمية سوق السبت بهذا الاسم فيرجع في الأصل إلى ارتباطه الزماني بيوم السبت من كل أسبوع، التي تشير إلى أن سوق سبت تنومة بني شهر "يقع في بلدة (سبت تنومة) التي سميت به، والتي تتوسط قرى تنومة" (صالح بن علي أبو عراد. ١٤١٤هـ، ص ٦١). ويؤكد ذلك ما جاء من ذكر هذا السوق ضمن (مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير)، فقال: "وإنما سُميت هذه البلدة (سوق السبت)؛

---

(١) نعم ذكر هذا السوق بعض المؤرخين والباحثين في القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن هذا السوق أقدم من هذا التاريخ، ومن يطالع الوثائق غير المنشورة منذ القرن (١٢هـ/١٨م) فإنه سوف يجد ذكراً لسوق سبت تنومة وأسواق أخرى في بلاد السروات الممتدة من الطائف إلى نجران. كما أن الأرشيف العثماني يشتمل على مئات الوثائق التي تخدم تاريخ وحضارة السرويين والتهاميين في العصر الحديث. والتجارة، والأسواق، والصادرات والواردات من الموضوعات المذكورة في تلك الوثائق. كما يوجد كتب عربية وأجنبية أشارت إلى أسواق السروات الأسبوعية خلال القرون الثلاثة الماضية. وآمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ تلك الأسواق من القرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م). (ابن جريس).

لأنه قام فيها في كل يوم سبت سوق عظيمة تقصدها القبائل من جميع الأطراف لتبيع فيها ما تأتي به من نتاجها، وتشتري ما يعرض فيها من الأقمشة، والغاز [أي الجاز أو القاز كما في التسمية المحلية، ويُقصد به الوقود أو الكيروسين]. والبنادق الحربية، والرصاص" (محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٥هـ، ص ١٨٢-١٨٣) . وجاء التأكيد على هذا المعنى في كتاب : (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية - منطقة عسير، للأستاذ علي إبراهيم ناصر الحربي، فقال: "سبت تنومة على اسم أحد أيام الأسبوع مضاف إلى تنومة بني شهر" (علي إبراهيم ناصر الحربي، ١٤١٧هـ، ص ٧٩٤). كما أشار الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس في كتابه : (بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩-٢٠م) ، إلى هذا السوق، فقال: "يوجد بمنطقة السراة بوسط أرض تنومة، وهو السوق الذي أشار إليه كل من كورنواليس والشريف" (غيثان بن علي بن جريس، ١٤٢٩هـ، ص ١٥٨) [١].

٣. نشأة السوق وتاريخه :

لا يوجد دليل تاريخي حقيقي يُثبت بداية هذا السوق، ونجد الأستاذ الدكتور/عبدالله أبوداهش في كتابه (أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة ٤٠٠- ١٢٠٠هـ) ، كما أن أحد الباحثين الشباب في مجال التاريخ قد تطرق إلى ذلك فقال : " أما التاريخ الموثق لسوق سبت تنومة فيعود إلى الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري وبدايات القرن العشرين الميلادي" (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٢٠) [٢].

٤. موقع السوق :

يأتي موقع سوق السبت في مكان متوسط بالنسبة لمحافظة تنومة الإدارية، فلا هو في الجهة الشمالية منها، ولا هو في الجهة الجنوبية، كما أنه في موقع متوسط تقريباً بين الجهتين الشرقية والغربية لتنومة، وقد أكدت إحدى الدراسات الحديثة توسط موقع

---

(١) نتطلع إلى من يدرس تاريخ هذا السوق أو بلاد تنومة منذ القرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م) ، وآمل أن نرى أحد الباحثين أو المؤرخين من أبنائها من يقوم بهذا العمل العلمي . (ابن جريس) .

(٢) يورد أبو عراد قول أبو داهش الذي بُني على الظن والتخمين، فهو يورد كلمة (يقال) ، ولا ندري من هو القائل، وهل هذا القول قديم، أو حديث، أو مكتوباً، أو سمعه مشافهة ؟ وقد علقت على هذه الرواية في دراسة علمية سابقة . وفي بلاد السراة أسواق أقدم، و أكبر، وأشهر من سوق سبت تنومة، ولا نعرف أيضاً بداية نشأتها . كما أشار الأستاذ صالح أبو عراد إلى رواية رشاد الطنيني الذي يذكر أن هذا السوق ورد ذكره في مصادر ومراجع في بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) وهذا كلام صحيح وقد أشار ابن عراد إلى بعضها في بداية دراسته هذه، لكن بداية السوق أسبق من هذا التاريخ الذي ذكره الطنيني، فهناك وثائق منذ القرن (١٢هـ/١٨م) تذكر بعض أسواق السروات، ومنها أسواق منطقة تنومة، وهذا الذي نريد معرفته ودراسته، ونأمل أن نرى من المؤرخين الجادين من يدرس جميع أسواق سروات بني شهر، أو أسواق بلاد رجال الحجر (بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) . (ابن جريس) .

السوق لقرى محافظة تنومة، وهو ما يشير إليه أحد الباحثين بقوله: " ولتحديد موقعه بدقة أكثر استخدام الباحث وسائل التقنية الحديثة، فعند قياس طول تنومة الحاضرة من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وجدنا طولها حوالي (١٠كم)، ولها من العرض مثل ذلك، وعلى ضوء ذلك يُمكن تحديد موقع السوق، فنجده يبعد عن أقصى نقطة من الجنوب (٥،٥كم)، ومن جهة الشمال يبعد حوالي (٤،٥كم)، أما من الشرق إلى الغرب فنجده يبعد عن أقصى نقطة من حدود تنومة شرقاً حوالي (٦كم)، ويبعد عن أقصى نقطة غرباً حوالي (٤كم). ويستنتج الباحث من ذلك وقوع هذا السوق في قلب تنومة تقريباً، ونجد موقعه مناسباً جداً سواءً للسكان المحليين، أو القبائل المجاورة لتنومة، ولباقي المناطق في السراة " (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١١٨) [١].

ولأن هذا السوق يُعد السوق الأسبوعي الوحيد في مجموع قرى تنومة بني شهر التي تمتد من عقبة دهناء جنوباً حتى عقبة القامة شمالاً، فقد كان يقام يوم السبت من كل أسبوع، وكانت له أسماء عديدة نظراً لمنزلته في النفوس، حيث كان أبناء القبائل يعتزون كثيراً بسوقهم، ولذلك فإنه يعرف عندهم منذ القدم باسم (السوق)، أو (السبت)، أو (سبتان)، وقد يسمى (سوق السبت) [٢].

وقد أشار الأستاذ رشاد إلى أن تسمية هذا السوق باسم (سبتان) ترجع إلى اعتزاز أبناء المنطقة بسوقهم؛ ومما قال: " وأطلق عليه هذا الاسم بين عامة الناس كنوع من المديح والتدليل، لتوفر أنواع السلع فيه يوم السبت؛ فيقال للشخص إذا أراد سلعة ما: (عليك بسبتان)، وفي الغالب أن التسمية محلية بين أبناء تنومة، وربما المناطق المجاورة لها " (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٢٢) [٣].

٥. لمحات من تاريخ السوق:

ليس هناك ما يثبت التاريخ الحقيقي الذي يُمكن الاعتماد عليه في الجزم بتاريخ بداية سوق سبت تنومة، وإن كنا نجزم أنه سوق معروف منذ أزمان قديمة؛ إلا أن الجزم

(١) إنني أشكر الأستاذ رشاد الطنيني الذي أورد هذه المسافات التي تحدد موقع سوق سبت تنومة. وعمله هذا يتوقف عند ما ذكره أبو عراد، لكنه فتح مجالاً للنقاش وتدوين أقوال ودراسات حول هذا السوق، ونأمل أن نرى من أبناء سروات تنومة، أو بلاد بني شهر، أو رجال الحجر من يدرس أسواقها الأسبوعية التي عرفها أهل هذه البلاد منذ القرن (١٠-١٤هـ / ق١٦-٢٠م). (ابن جريس).

(٢) أشك في هذا القول، فأرض تنومة واسعة ويستوطنها العديد من القبائل والعشائر منذ القدم، ولا يستبعد أن فيها أسواقاً أسبوعية أخرى غير سوق السبت. (ابن جريس).

(٣) ما ذكره رشاد الطنيني بأن سبتان يقصد بها المدح، فذلك قول مقبول وبخاصة إذا كان يتوفر فيه كل ما يحتاجه الناس من السلع والتجارات. أما كلمة (التدليل) فلا موقع لها ويفضل استبعادها من النص المذكور أعلاه. (ابن جريس).

بتاريخ معلوم يستلزم الاستناد إلى ما يثبت ذلك . وعلى الرغم من أن هناك من الباحثين من يرى أن سوق سبت تنومة يعد واحداً من أقدم الأسواق الأسبوعية التي عرفت في شبه الجزيرة العربية، وهو ما أشار إليه داهش في معرض حديثه عن تاريخ أسواق عسير الأسبوعية بقوله: "إلى غير ذلك من الأسواق الأسبوعية الشهيرة في جبال السراة مثل سوق (السبت) بتنومه بني شهر الذي يعود قيامه إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة " (عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٩هـ/١٤٢٠هـ، ص ٢٠٦). وحقيقة الأمر تفرض علينا عدم التسليم بمثل هذا القول دون دليل تاريخي مقبول . ومع أنني كنت قد أبديت هذا القول في فترة مضت كما أشار إلى ذلك الأستاذ/ سعيد بن عبدالله بن معيض في تحقيق صحفي مصور عن السوق تحت عنوان: "سوق سبت تنومة أصالة التاريخ تصدح في جوانبه "، ونشر في العدد (١٦٤٦٢) من جريدة (الرياض) الصادر يوم السبت ١١/٩/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠يوليو ٢٠١٣هـ؛ إلا أنني تراجعت عن ذلك عندما تبين لي عدم دقته التاريخية، ولأن الجزم بمثل هذا القول لا يمكن أن يكون مقبولاً بدون أدلة تبرهن على صحته، وهو ما يؤيدني عليه غيثان بن جريس الذي قال في تعليقه على هذا الموضوع: "سوق السبت في تنومة من الأسواق الأسبوعية القديمة ؛ بل إن بلاد تهامة والسراة عرفت أسواقاً أسبوعية كثيرة وقديمة، ولكن القول بأن تأسيسه كان في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، فهذا قول غير دقيق، لأني حاولت الاطلاع على جميع المصادر والكتب وبعض الوثائق التي أشارت إلى تجارات أهل السراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة، فلم أجد أي رواية تقول بذلك" (غيثان بن علي بن جريس، ١٤٣٧هـ، ص ٣٣٠)[1].

وهنا أقول: إنني بعد كثير من التأمل والتدبر اتفق مع هذا الرأي الذي ذكره ابن جريس لكونه ينطلق من منطلق علمي بحت ؛ إذ أن هناك عدداً من الملحوظات التي ينبغي التنبه لها وأخذها في الحسبان، ويأتي من أبرزها التالي : (أ) يثبت التاريخ أن بلاد السروات مأهولة بالسكان منذ قرون طويلة، ومنها (تنومة) التي يقول عنها الهمداني: " وتنومة واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار، وأعلاه لبلحارث بن شهر" (الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ١٣٩٧هـ، ص

---

(١) إن أوطان السروات وتهامة ذات ثقل حضاري قديم، فهي مستوطنات بشرية منذ آلاف السنين، كما أنها ذات موارد طبيعية متنوعة، ولهذا انتشرت الأسواق الأسبوعية في أرجائها منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . ونجد كتب التراث الإسلامي المبكرة (التاريخية، واللغوية والأدبية، والجغرافية وكتب الرحالة، وغيرها) تذكر الكثير من الأسواق والمحطات التجارية في طول البلاد وعرضها، لكن المشكلة الكبرى أننا لا نملك تواريخ واضحة ودقيقة عن بدايات تلك المحطات أو الأسواق، ولا نعرف الأحداث التاريخية والحضارية لكل مكان أو سوق تجاري. ونأمل أن تكشف لنا الدراسات الأثرية معلومات دقيقة وحقيقية، وهي ما لا نجده في المصادر التقليدية . (ابن جريس) .

٢٦١). واعتماداً على ذلك فإن من المسلمات أن مثل هذا العدد من القرى وما فيها من التجمعات البشرية والعمران لابد لها من سوق تجاري يخدم أغراضهم الحياتية، وهذا يدعم وجود سوق تجارية، بل إنها ربما كانت أكثر من سوق، ولكن الأمر المؤكد أنه ليس بالسوق الحالي، ولا يمكن أن يكون ذلك السوق بالكيفية التي ذكرت عن السوق المذكور والمعروف في عصرنا . وأكد هذا المعنى الأستاذ رشاد الطنيني فقال: " من الواضح أنه لم يكن في تنومة سوق مشهور عند مرور الهمداني، ولو كان كذلك لذكره، ولاسيما أن وصفه لتنومة كان وصف المشاهد لا السامع " (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٢٠) [١].

(ب) كلنا نعلم أن أقدم المعلومات التاريخية التي أشارت إلى هذا الجزء من بلادنا قد جاءت فيما ذكره الهمداني في كتابه الشهير (صفة جزيرة العرب) ، الذي يرجع إلى القرن الرابع الهجري، والذي يعد مرجعاً أساسياً لكل من كتب عن تاريخ المنطقة، ومع ذلك فإن كتاب الهمداني يخلو من أي إشارة إلى هذا السوق، مع العلم بأن الهمداني كان دقيقاً في غالب وصفه، وكان يُشير وبالتفصيل لكثير من الجوانب التي شاهدها آنذاك كالعقبات، والأودية، والجبال، والمراعي، والحصون، والمناهل، ونحوها، ولا يمكن أن يتجاهل ذكر سوق كبيرة تخدم عدداً كبيراً من القرى .(ج) لا يمكن التسليم بأن سوقاً شهيراً يقارب عمره (٩٩١عاماً) لم يذكر في أي مرجع تاريخي قديم، وليس بصحيح أبداً أن كل من كتب عن تاريخ المنطقة في الماضي قد أغفل ذكره وتناساه، ثم إن من غير الممكن الاعتماد على مجرد الروايات الشفهية أو الظنية في هذا الشأن [٢]. والخلاصة : أنني لا أتفق مع القول بأن السوق الحالي المعروف بسوق (السبت) في تنومة بني شهر يعود في تاريخ قيامه ونشأته إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة .

وقبل أن أتحدث عن بعض التفاصيل حول سوق السبت في تنومة سأتناول بالشرح أحد أبرز معالمه، وهو المسجد الجامع القديم الذي كان قائماً حتى عام

---

(١) هناك بعض الكتب والرحالة اليمنيين الذين كانوا يجتازون السروات منذ بداية العصر الحديث، ومن يبحث في هذا النوع من المصادر فقد يجد ذكراً للسروات وأسواقها، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ وحضارة تهامة والسراة في المصادر المحلية اليمنية والحجازية . وأرض السروات والتهائم كانت حلقة وصل مهمة بين حواضر اليمن والحجاز . (ابن جريس) .

(٢) بلدان السروات وتهامة مليئة بالأحداث السياسية، والعسكرية، والحضارية منذ عصور ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحديث، لكن عزلة هذه البلاد، وعدم ارتيادها من مدوني التراث الإسلامي جعلها تفقد الكثير من تاريخها . والمعول على بحوث التنقيب والآثار التي قد توثق شيئاً من تاريخها الضائع والمفقود . (ابن جريس) .

(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) تقريباً في سوق السبت بمدينة تنومة، وكانت تؤدى فيه الصلوات جُمعاً وجماعات، فأقول كان من أبرز المعالم القديمة في سوق السبت بتنومة مسجد جامع قديم الشكل والبنيان، يأخذ على وجه العموم شكلاً مستطيلاً، ويمتد من الشرق إلى الغرب في الجهة الشمالية لسوق سبت تنومة المعروف، وتبلغ "مساحته حوالي (ستين متراً مربعاً" (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٥) [١]. ومع أن هذه المساحة تقديرية من الباحث الذي اجتهد في هذا الشأن لعدم وجود ما يؤكد منذ بداية التسعينيات الهجرية؛ فأنا من أبناء سبت تنومة وكنت ممن صلى فيه، وشهدت مع جماعته صلوات الجمعة والجماعة مرات كثيرة عندما كنت طالباً في المرحلتين المتوسطة والثانوية [٢].

كان المسجد يقع في الجهة الشمالية الغربية لسوق السبت، ويبدو أنه مرَّ عبر تاريخه الزمني بمراحل مختلفة فيما يخص شكله العام، تُظهر بعض الصور الفوتوغرافية القديمة التي التقطها المصور الرحالة البريطاني ويلفرد باتريك تسيجر (Wilfred Patrick Thesiger) (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) أنه لم يكن محاطاً بالدكاكين في جهته الجنوبية المُطلة على باحة السوق، وأنه كان للمسجد وحرمه باب رئيس واحد في الجهة الجنوبية منه، وأن ذلك الباب يفتح على باحة السوق مباشرة، وكان للمسجد في السبعينيات الهجرية وما قبلها باب وحيد يقع في وسط المسجد من جهته الجنوبية، ويفتح بدوره على حرم المسجد، وأن هذا الباب كان ينفرد بشكل مميز، كان هناك شكل جمالي واضح يعلو فتحة الباب؛ وهو ما لم يعرفه من شاهد المسجد في الثمانينيات الهجرية؛ فقد اختفى الشكل المميز للباب الأوسط، إضافة إلى حصول بعض التغيرات الشكلية التي طرأت على بنيان المسجد في نهاية السبعينيات أو بداية الثمانينيات تقريباً، بحيث تمت زيادة عدد الأبواب التي تفتح من المسجد على الحرم لتصبح ثلاثة أبواب خشبية تفتح جميعها في حرم المسجد، كما تم الاستغناء عن الباب الرئيسي الذي كان في الجهة الجنوبية من حرم المسجد، وتم غلقه تماماً وتم بناء عدد من الدكاكين في الجهة

---

(١) أكرر شكري للأستاذ رشاد الطنيني الذي خلق هذا التفاعل والحراك البحثي عن سوق تنومة الأسبوعي. وآمل من ابن الطنيني أن يواصل دراساته عن سروات تنومة أو بلاد الحجر أو سروات عسير في العصر الحديث، وبخاصة إنني أعلم أنه يواصل حالياً درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعة القصيم، حبذا أن تكون أطروحته العلمية عن أي جانب تاريخي أو حضاري في منطقة عسير (تهامة أو سراة)، أو في سروات رجال الحجر (بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) التي مازالت تحتاج الكثير من البحوث العلمية والتوثيقية. (ابن جريس).

(٢) المسافات التي ذكرها ابن الطنيني قريبة من الواقع، لأنني زرت حاضرة تنومة وتجولت في أرجائها وسألت رشاد عن قياس تلك المسافات فوجدتها إلى حد ما صحيحة. (ابن جريس).

الجنوبية للمسجد بشكل ملاصق لجدار الحرم وتفتح على السوق مباشرة، إضافة إلى أن هناك منارة (مئذنة) قصيرة تشرف في الجهة الجنوبية من الحرم تشرق على السوق، وكانت تلك المنارة صغيرة نسبياً وقليلة الارتفاع . وكان في حرم المسجد بركة ماء " تُجلب لها المياه من إحدى الآبار القريبة " (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٥) [1].

وهنا أقول : إن المئذنة كانت فوق مساحة البركة التي لم تكن كبيرة في حجمها حيث كانت أبعادها التقريبية (٣متر ×٢متر) ، وكانت هذه البركة (مجصوصة) ، أي مطلية من داخلها بمادة الجص التي تشبه الإسمنت في قوة التماسك غير أنها ذات لون أبيض، لأنها تستخرج في الأصل بعملية معينة من حجر المرو الأبيض . أما طريقة جلب الماء إلى بركة المسجد فكانت عن طريق ما يعرف محلياً بـ (القايد) الذي يقصد به مجرى الماء الممتد من بئر (المَدَرَة) الواقعة في المزارع التي في الجهة الشمالية للمسجد حتى البركة للمتوضئين باستخدام (الدلاء) جمع (دلو) ، ثم تصب تلك الدلاء فيما يشبه الحوض الذي يسرب الماء منه إلى مجموعة من الأحواض الصغيرة المتعددة ليتمكن أكبر عدد من الناس من الوضوء في وقت واحد[2]. أما تصريف ماء الوضوء فقد ذكر أحد الباحثين أنه " يخرج الماء المستخدم عبر قناة صغيرة إلى الخارج [أي خارج حرم المسجد] " رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٥) .

اللافت للنظر أن المسجد كان مبنياً بالحجارة والطين، وتُغطى جدرانه الخارجية في الغالب بمادة إسمنتية بيضاء اللون كانت معروفة في الماضي، وتسمى محلياً (الجص) . ومسقوفاً بالأخشاب التي تُعرف محلياً بالعمير، التي اعتاد أهل المنطقة استخدامها في تشييد أسقف منازلهم، وتكون في الغالب من أشجار العرعر والعتم والطلح التي تتوافر في البيئة المحلية . وكان لهذا المسجد في فترة الثمانينيات

---

(١) نشكر الأستاذ رشاد الذي بحث هذا الموضوع في بحثه الرئيسي الذي قدمه لقسم التاريخ، وحصل به على درجة الماجستير، والجميل في تلك الدراسة أنها مدعومة ببعض الصور الفوتوغرافية التي التقطها أحد الرحالة الأوربيين في منتصف الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ونجد الأستاذ أبو عراد يورد ما ذكره رشاد، ونأمل من الأستاذين أبوعراد وابن الطنيني أو غيرهما أن يعكفوا على دراسة شاملة عن مساجد وجوامع محافظة تنومة، أو سروات رجال الحجر أو منطقة عسير . وموضوع الجوامع والمساجد تستحق أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية الموثقة . (ابن جريس) .

(٢) نشكرك يا أبو عراد على هذه الإضافة الجديدة، وآمل منك أو من أحد الباحثين في منطقة تنومة أن يخرج لنا دراسة عن جوامع ومساجد هذه الناحية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، أو خلال الأربعين عاماً الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) ، وهي موضوعات جديدة في بابها وتستحق الدراسة والتوثيق في أكثر من كتاب أو دراسة . (ابن جريس) .

الهجريـة مدخلان صـغيران نسـبياً ومتقابلين تقريبـاً، أحدهما من الجهة الشـرقية، والآخر من الجهة الغربية، وكلاهما يؤديان إلى حرم المسجد المكشوف، الذي كان محل اجتماع مشائخ وأعيان قبائل (الشعفين)، ومكان تشاورهم أو اجتماعهم الذي عادة ما يكون بعد صلاة الجمعة، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك [1].

وهنـا أشـير إلى أن أحد الباحثين ذكر أن حرم المسـجد كان " بنفس مسـاحة المسـجد " (رشـاد بن عبدالله الطنيني الشـهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٥). والحقيقة أن حرم المسـجد كان أكبر قليلاً في مسـاحته واتسـاعه من مساحة المسـجد . كما أن حرم المسـجد كان قليل الارتفاع نسـبياً من الجهـات الغربية والجنوبية والشـرقية، ولم يكن بمسـاواة مبنى المسـجد في الجهة الشمالية . وكان في داخل المسـجد (ثمانية) أعمدة خشبية تحمل سقفه الخشبي المغطى بالطين، وتقدر المسافة بين كل عمود والآخر بأربعة أمتار تقريباً، ويُسمى كل عمود منها محلياً (الدعمة)، وهذا يشير إلى أن طول المسجد التقريبي (٣٦) متراً، أما عرضـه فربما كان (١٠) أمتار تقريباً. وأنه لم يكن للمسـجد نوافذ من أي جهة من جهاته، وكان مفروشاً بالحصير الذي يُعرف محلياً بالخصف، ثم تم فرشـه بالحنابل فيما بعد. وتعاقب على إمامة المصـلين في هذا المسجد الجامع عدد من الأئمة، ومنهم : الشيخ القاضي عبدالرحمن بن محمد الملقب (جدعان)، وعائض بن لافي، والشـيخ القاضـي فايز بن عبدالرحمن بن جدعان، والشـيخ سعد بن شبيلي، كما أن هناك الكثير من الدعاة والوعاظ وطلبة العلم الذين كانوا يمرون به فيلقون على المصلين فيه بعض المواعظ والكلمات التذكيرية [2].

٦. جغرافية السوق، وأوقاته، ورواده، وأقسامه :

كان هذا السـوق يأخذ شـكلاً مربعاً تقريباً، حيث كان يشـغل مسـاحة واسـعة ومنبسـطة من الأرض التي يفترشها كثير من الباعة لعرض بضائعهم وسلعهم المختلفة

(١) تاريخ العمارة بأنواعها في عموم السروات من الموضوعات التي لم تدرس وتستحق البحث والتوثيق في أكثر من عمل علمي. ونأمل من المؤرخين والباحثين الجادين في هذه البلاد أن يولوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً في دراسـاتهم وأطروحاتهم العلمية. كما نأمل من أقسـام التاريخ في جامعات الجنوب السعودي أن تشجع أساتذتها وطلابها لدراسة أنماط العمارة في مناطق ومدن وحواضر تهامة والسراة . (ابن جريس) .

(٢) أشـكرك يا دكتور أبو عراد فلقد ذكرت إشـارات عديدة مثل: أسماء بعض مواد البناء، أو أجزاء العمارة . كما ذكرت أسـماء بعض الدعاة والأعلام الذين عملوا في خدمة المسـجد والمصلين . وأقول: نحن نحتاج إلى من يدرس مجتمع محافظة تنومة مثل: العمارة بأنواعها، عادات اللباس والزينة، والطعام والشراب، والفنـون والأعراف والتقاليد المختلفة، واللهجات المحلية، كمـا نتطلع إلى من يترجم لأعلام هذه الناحية (١٢-١٤هـ/ق١٨-٢٠م) . وهذه العناوين والإشارات قد تشجع من يدرسها ويدون شيئاً من تاريخها . (ابن جريس) .

،وينصب بعضهم ما يشبه المظلات المصنوعة من الخشب أو قطع القماش فوق مكان البضاعة ليستظلوا بها من أشعة الشمس الحارة وسط النهار، وكانت مساحة باحة السوق في نهاية الثمانينيات الهجرية وبداية التسعينيات من القرن الرابع عشر الهجري محاطة من جميع الجهات الأربع بعدد غير قليل من الدكاكين الصغيرة المبنية بالحجر والطين، والمسقوفة بالأخشاب التي تُجلب من بعض أنواع الأشجار المحلية . وكانت بعض تلك الدكاكين لاتزال قائمة إلى فترة قريبة رغم قدم بنائها، وطابعها العمراني الأثري [(١)] . وبناء الدكاكين ووجودها في السوق لم يكن قديماً، وهو ما ألمح إليه ابن الطنيني، فقال: " من الملاحظ في الصور التي التقطها ويلفرد ثسيجر [(٢)]، أنه لا يوجد دكاكين في تلك الفترة، ويظهر السوق ساحة واحدة مكتظة بالمتسوقين، يُطل عليها بعض البيوت القريبة منها، وهذا دليل على أن السوق إلى عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) لم يكن به دكاكين أبداً، ومما يؤيد ذلك شهادات من عاصروا السوق في تلك الفترة وما بعدها . ويعرض الباعة بضائعهم على الأرض وفوق دوابهم، ولم تشيد الدكاكين إلا بعد ذلك، ومن المرجح أنها بنيت في منتصف السبعينيات الهجرية من القرن الماضي" (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٦) .

وكان يحيط بالسوق بعض المنازل السكنية التي تطل على باحة السوق مباشرة من الجهة الغربية ؛ ومنها منازل أسرة (آل عريف) الذين تقع فيهم مشيخة قبائل بني أثلة في الجهتين الغربية، والجنوبية الشرقية . كما أن هناك بعض المنازل التابعة لأبناء قبيلة (آل حسين) من الجهتين الشرقية والشمالية الشرقية، وقد أكد ذلك بعض الصور الفوتوغرافية القديمة التي التقطها المصور الرحالة الإنجليزي (ويلفرد ثسيجر.(Welfred Patrick Thesiger الملقب (مبارك بن لندن)، لسوق السبت في تنومة، والتي يرجع تاريخ التقاطها إلى (اليوم التاسع من شهر رجب عام ١٣٦٥هـ

---

(١) شاهدت بعض هذه الدكاكين وأجزاء من السوق في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبقيت معظمها قائمة إلى نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(٢) ويلفرد ثسيجر من الرحالة الغربيين الذين زاروا الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ودون معلومات جيدة والتقط صوراً فوتوغرافية يصعب أن نجدها في مصدر أو مرجع آخر، ومعظم الصور التي أخذها وتتعلق بأفراد أو معالم جغرافية في بلاد تهامة والسراة توجد على الشبكة العنكبوتية، ومنها صور ورقية في متحف إكسفورد في بريطانيا . وللمزيد عن هذا الرحالة، انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الأجزاء ج٣، ص ٣٧٣.ج١١ ص١١٤ وما بعدها، للمؤلف نفسه بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ/ق١٦-٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ص ١٩٩ وما بعدها .

الموافق ١٩٤٦/٦/٨م) أي قبل ما يزيد على (٧٤) عاماً [١].

ومن معالم السوق التي عرفت قديماً شجرتان ضخمتان من نوع (الرُّفاع)، وكانتا تمتازان باللون الأخضر معظم أيام السنة، إضافة إلى كثرة الفروع، واتساع المساحة التي تغطيها تلك الفروع، وكانتا تقعان في زاويتين من زوايا السوق هما: الزاوية الشمالية الشرقية، والزاوية الجنوبية الغربية للسوق . ويُعد هذا النوع من الشجر مثمراً، ويسمى محلياً " الرُّقاع "، وله ثمر صغير يؤكل ويسمى " تين الرقاع "، كما أن لأوراقه العريضة نسبياً سائل أبيض يشبه اللبن، ويُعرف بدم الرُّقاع [٢]. وكان رواد السوق يقصدون هاتين الشجرتين وقت التسوق ليستظلوا تحتهما من حرارة الشمس، أو لأخذ قسط من الراحة . وكان الرُّقاعة التي في الزاوية الجنوبية الغربية من السوق هي الأضخم مساحة وتُعرف بـ (الرَّاية)، ويُقصد بها المكان الذي يجتمع فيه الناس يوم السوق لسماع ما قد يُلقى على أسماعهم من المواعظ الدينية، والنصائح والكلمات التذكيرية، أو الأخبار الهامة، أو الإعلان عن أمر ما يهم الجميع، ولاسيما في الشؤون القبلية المختلفة، أو تعميم البيانات الحكومية، أو نحو ذلك . وقد "أزيلت تلك الشجرة لتوسعة ساحة السوق في بدايات القرن (١٥هـ/٢٠م) " (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٢). أما الرُّقاعة الثانية الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من السوق فلا تزال موجودة إلى وقتنا الحاضر، وقد كانت في مساحتها وحجمها أصغر من الأولى، وكان بعض أصحاب المهن (الحدادون على وجه التحديد) يتخذون منها مكاناً ثابتاً لممارسة عملهم في مهنة الحدادة خلال ساعات يوم السوق، إضافة إلى عرض وبيع منتجاتهم للمتسوقين [٣].

---

(١) للمزيد انظر هذه الصور على الشبكة العنكبوتية (النت) ،وانظر الصور الورقية في متحف إكسفورد في بريطانيا . ومازالت بعض المنازل القديمة قائمة في السوق أو قريبة منه حتى الآن . وتاريخ المنازل والقرى القديمة في محافظة تنومة من الموضوعات الجديدة الجديرة بالبحث والتوثيق في عدد من الكتب والبحوث العلمية . (ابن جريس) .

(٢) شكراً لك يا أبو عراد، كما نشكر رشاد الطنيني حيث ذكرتما شيئاً من معالم السوق، وأشرتما إلى أشجار الرقاع الموجودة في السوق . وهذه الإشارات تفتح لنا مجالات أوسع، فالذاهب في أرجاء السروات من نجران إلى الطائف يجد أشجاراً كبيرة في بعض الأسواق الأسبوعية، وهناك من يسميها (تالقة) وآخرون (رقاعة)، وربما كان هناك أسماء أخرى لا نعرفها لهذه الأشجار. وقد زرت أسواقاً عديدة في منطقة الباحة، والطائف، وعسير، وأجزاء من تهامة ووجدت بعض هذه الأشجار مازالت قائمة على أراضي الأسواق الأسبوعية القديمة . وأقول : إن هناك موضوعات جديدة تستحق البحث والدراسة والتوثيق مثل : النباتات بأنواعها في عموم تهامة والسراة، أشكالها، فوائدها، أهميتها، ما سجلته بعض كتب التراث عن هذه النباتات . أيضاً أهمية هذه الأشجار القائمة في الأسواق، وما هي أهميتها التاريخية، والاقتصادية، والاجتماعية . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ الحرف والمهن في تنومة أو غيرها من مناطق السروات وتهامة موضوع جديد ويستحق بحثه في هيئة كتب أو رسائل علمية . (ابن جريس) .

أ ـ أوقات السوق وروادها :

يخبر كبار السن من أبناء المنطقة أن السوق كانت فيما مضى تبدأ مع بداية النهار وتستمر إلى قبيل الغروب من يوم السبت، وروادها يأتون إليها مشياً على الأقدام،، أو باستخدام الركائب) من الحيوانات كالخيول، أو الجمال، أو الحمير، التي كانت لها أماكن مخصصة تبقى فيها حتى ينتهي أصحابها من تسوقهم. ومن جميل الذكريات التي تروى عن كبار السن في سبت تنومة وما جاورها، أن رواد السوق من خارج قرى تنومة كانوا يأتون إليه مساء يوم الجمعة، ثم يقصد كل شخص منهم منزل صديقه، أو قريبه، أو عانيته، أو من يتوسم فيه الخير من جيران السوق ليتعشى عنده ويبيت ليلته ثم يتوجه إلى السوق مع فجر يوم السبت، ولأن السوق في الماضي لم يكن ينتهي إلا قبيل الغروب ؛ فإنه يعود في الغالب إلى بيت صاحبه ليتعشى عنده وينام، ثم يُغادر إلى مكانه الذي يعيش فيه مع فجر يوم الأحد، وهكذا [١]. وأبناء المنطقة يرتادون سوق السوق من جميع القرى المجاورة قريبة كانت أم بعيدة لغرض الحصول على ما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة ومستلزماتها، أو لبيع أو شراء السلع التي يمتلكونها أو يحتاجون إليها. وكان معظم رواد هذا السوق من الذكور، إضافة إلى بعض الإناث اللواتي تدعوهن الحاجة إلى الذهاب إلى السوق إما للشراء، أو لبيع بعض المنتجات النباتية والحيوانية كالحبوب والسمن والعسل، أو الأعلاف، أو بعض النباتات العطرية كالرياحين والورود والبرك ... إلخ . أو بعض المنتجات المصنوعة من الخزف والسعف وما في حكمها.

وكان رواد السوق يفدون إليه في الماضي مع القوافل التجارية من بيشة وبادية بني أثلة شرقاً، وقرى تهامة غرباً، وأبها وبللسمر وبللحمر جنوباً، والنماص وبني عمرو شمالاً، وغيرها . وكان هناك من يُسمون " الجَلاَبَة)، وهم الأشخاص الذين يقومون بجلب البضائع والسلع من الجهة الشرقية ممثلة في بيشة إلى تنومة وما جاورها، وعادة ما يكون جلبهم مقصوراً على التمر، والفُرُش الطُفي (الحصير)، وحبال الليف، ونحوها ؛ مقابل بيعهم للحبوب بأنواعها المختلفة (البُر، والذرة، والشعير، والبِلسن (العدس)، والدُّبُر (اللوبيا) في أسواق بيشة، وهذا معناه أن الأسواق في الجهة الشرقية مثل بيشة

---

(١) ظاهرة ارتياد رواد السوق منازل الساكنين قريباً من الأسواق الأسبوعية والإقامة عندهم الليلة السابقة لقيام السوق من العادات التي كانت معروفة عند سكان الجزيرة العربية . وقد عاصرت هذه العادة في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حيث كان أهل البوادي، أو أهل تهامة يذهبون إلى الأسواق الأسبوعية في السراة، ويتعرفون على بعض الأصدقاء الذين ينامون عندهم الليلة السابقة لقيام السوق، وبعضهم قد يعود في نهاية يوم السوق عند السروي وينام عنده أيضاً، ثم يغادر إلى موطنه في اليوم التالي . وهذه العادات تدل على التعاون والتآخي والتآزر بين سكان المجتمع، والعلاقات الاجتماعية بين أهل السراة أنفسهم أو من يتصل بهم من التهاميين والبدو الشرقيين الذين يعيشون عند سفوح السروات الشرقية من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً وتستحق أن توثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية . (ابن جريس).

وما جاورها كانت تعتمد اعتماداً رئيسياً على تنومة وما جاورها في توفير الحبوب لأهلها " (صالح بن علي أبو عراد الشهري، ١٤٣٧هـ، ص ٣٢٩-٣٣٠) [١].

وتشير بعض الوثائق التاريخية أن بلاد سراة الحجر ومنها تُنومه وما حولها كانت مصدراً رئيسياً لتصدير بعض السلع الأسواق الأخرى، وهو ما أورده ابن جريس، فقال: " من أهم السلع التي كان يُصدرها سكان بلاد بني شهر وبني عمرو بأقسامهم السروية والتهامية سلعة الحبوب ؛ فكانوا يصدرونها إلى الأسواق الأسبوعية ببلاد عسير، أو إلى بعض المُدن الرئيسية في منطقتي اليمن والحجاز"، ومما تؤكد عليه بعض المصادر المُبكّرة تواجد الحبوب وغيرها من المحصولات الزراعية الأخرى، فيقول: " وبسراة الحجَر [ومنها تُنومة] البُر والشعير والبَلس (أي التين ، وهو غير العدس الذي يُسمى محلياً البلسن) ، والعتر، واللوبياء، واللوز، والتفاح، والخوخ، والكُمثرى، والأجاص، والعسل في غربها ،والبقر وأهل الصيد، وشرقيها من نجد أهل الغنم والإبل وخيل للأصابغة لا غير " (الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ١٣٩٧هـ، ص ٢٦٢) .

"أما النوع الآخر من (الجلابة)، فكانوا يصدرون البضائع من الجهة الغربية ممثلة في منطقة تهامة (محايل، أو القنفذة التي كانت تُسمى البندر) إلى سروات بني شهر على ظهور الإبل والحمير، ومعظم سلعهم: (القهوة، والسكر، والقماش المبروم، والمصائف، والبهائم، والقاز (الكيروسين) ، والنيل، وغيرها) من السلع التي تأتي عن طريق بعض القوافل التجارية من اليمن . وكان أولئك الجَلابة يقايضونها بأنواع من الحبوب المختلفة، والتمور المجلوبة أصلاً من بيشة، وما يُعرف بالخميسّ، وهو (الدهن المُذاب من شحوم الدواب) ، وعَجَم التمر " (صالح بن علي أبو عراد الشهري، ١٤٣٧هـ، ص ٣٣٠) [٢].

ب. أقسام السوق :

كانت مساحة السوق مقسمة إلى أماكن مُخصصة لبيع مختلف أنواع البضائع والسلع ؛ فهناك مكان خاص يجتمع فيه من يقومون ببيع أنواع الحبوب : البر (القمح)

---

(١) تاريخ تجارة السروات مع اليمن أو الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة، أو الوسيطة، أو الحديثة، أو المعاصرة من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل أن توثق في كتب أو بحوث علمية . (ابن جريس) .

(٢) يوجد في حوزتنا مئات الوثائق الحديثة التي تذكر أسماء الكثير من السلع والبضائع التي كانت تصدر من موانئ البحر الأحمر إلى أجزاء تهامة الداخلية أو إلى البلاد السروية الممتدة من الطائف إلى ظهران الجنوب ونجران. وجل هذه الوثائق في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، وآمل أن نجد من طالباتنا أو طلابنا في الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد من يتخذ هذا الموضوع (الصادرات والواردات من (أو) إلى السروات) في الفترة الآنف ذكرها عنوانا لبحثه، فهو موضوع جديد لم يسبق دراسته . (ابن جريس) .

بأنواعه، والذرة بأنواعها، والشعير بأنواعه، والبلسن (العدس)، والدُّبُر، وغيرها) . ومكان لبيع أنواع التمور التي ترد إلى سوق السبت من بيشة . وقسم مخصص لبيع المواشي يُسمى (المَجْلبة)، وتعد من أهم أقسام السوق، وتُعرض المواشي قديماً خارج ساحة السوق نحو الجنوب، وبعد بناء الدكاكين أصبح للمواشي مكان مُخصص فسيح في شرق السوق " (رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري، ١٤٣٨هـ، ص ١٣٨) [١]. وهناك مكان لبيع منتجات السمن والعسل ونحوهما، وآخر مُخصص لبيع الحطب والأعلاف والنباتات العطرية كالرياحين، والبرك، والكادي، وأنواع الورود وغيرها. وأشارت إحدى الصور التي التقطها ويلفرد تسيجر خلال شهر رجب من عام (١٣٦٥هـ /١٩٤٦م)، أن مكان تجمع بائعات النباتات العطرية كان عند مدخل الجامع في الجهة الشمالية الغربية من السوق، ومعلوم أن ذلك كان مقصوداً حتى يحصل الإنسان على بعض النباتات الطيبة الرائحة كالريحان والكادي والورد ونحوها، فيتجمل بها وبرائحتها العطرية قبيل الدخول إلى الجامع . وهناك أماكن خاصة لبيع وصناعة وصيانة الأدوات الحديدية التي تُصنع محلياً على أيدي حدادين مهرة، ومن ثم تستعمل في أعمال الرعي والزراعة، إضافة إلى أدوات الزينة للنساء، والأسلحة الشخصية كالجنابي والسيوف والخناجر [٢].

وكان يتبع السوق أماكن خارج مساحته وأحياناً بعيدة عن موقع السوق نسبياً لذبح وسلخ أنواع المواشي كالبقر والغنم، وأحياناً الجمال ثم بيعها للراغبين عن طريق الجزارين الذين يمتهنون ذلك ومعظمهم من أبناء تهامة، ويُسمون تلك العملية (الشركة)، حيث كان يشترك في شراء الذبيحة أكثر من شخص على حسب حاجتهم منها . وجرت العادة في الماضي أن يتم تقسيم الذبيحة المُخصصة للبيع في السوق إلى أجزاء تقديرية متساوية، يُسمى كل جزء منها قسماً وتُباع، ومع مرور الوقت عُرفت وحدات الأوزان التي تم استخدامها في عمليات البيع والشراء، وبدأت بوحدة وزن تُسمى (الأقة)، ثم (الكيلو غرام) [٣]. ومما أدركته في سوق السبت في نهاية الثمانينيات وبداية

---

(١) مازلت أنادي في الباحثين من أبناء منطقة تنومة وأحثهم على دراسة حياة هذه البلاد الاقتصادية خلال القرون الثلاثة الماضية، فهو موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

(٢) مفردات الرعي، والزراعة، والأسلحة، وأدوات الزينة وغيرها من الأعمال والمصنوعات المحلية تستحق أن تجمع وتدرس لغوياً، وتعرف أسماؤها، وأشكالها، وفوائدها، وطرق صنعها واستخدامها. وأقول : نحن في حاجة كبيرة إلى جمع موروثنا اللغوي، والتاريخي والحضاري خلال القرون الماضية، لأن عصر التطور والتنمية الذي نعيشه جلب أدوات وأعراف وعادات حديثة وأحياناً دخيلة علينا، وحل التراجع والاندثار للكثير من موروث الآباء والأجداد، والواجب علينا جمعه وحفظه وتشجيع توثيقه ودراسته، ونقله إلى أجيال الحاضر والمستقبل . (ابن جريس) .

(٣) أشكرك يا أبو عراد على هذه الإشارات المحدودة لبعض العادات، والأوزان والمكاييل وغيرها، ونحن نطلع إلى من يدرسها في بحوث علمية مطولة وموثقة . (ابن جريس) .

التسعينيات الهجرية تلك الشاحنات الكبيرة التي كانت تُسمى محلياً (مورسدس) ؛ ولعل ذلك راجع إلى أن معظمها إن لم تكن كلها كانت من طراز (مرسيدس Mercedes) الألمانية الصنع وكانت لأفراد معروفين من أبناء تنومة ومن غيرهم، ومنهم: آل فرحان، وآل منشط، وآل أبو مزحف، وفايز بن شباب، وسلمان الغامدي، ورغم أنها كانت تُعد على الأصابع ؛ إلا أنها كانت تزود السوق بكامل احتياجاته من المواد الاستهلاكية، ومواد البناء، وما في حُكمها بشكل أسبوعي، وكانت تفي بحاجة المجتمع التنومي وما حوله من مختلف المتطلبات الحياتية [١]. وأصحاب تلك الشاحنات كانوا يتبعون طريقة معينة تكاد تكون ثابتة في رحلاتهم الأسبوعية للذهاب والإياب، فلكل شاحنة من هذه الشاحنات سائق أو أكثر، وهناك شخص آخر يُسمى (المعاون) ، وهو المسؤول عن تفقد أدوات ومُتطلبات الشاحنة وتنظيفها، وتلبية احتياجات السفر ومستلزماته، وتلبية طلبات السائق، ومتابعة أحوال المسافرين إن وجدوا . كما أنه ينوب عن السائق في قيادة السيارة إذا دعت الحاجة إلى ذلك . وتخرج هذه الشاحنات من تنومة صباح يوم الأحد من كل أسبوع سالكه الطريق البري الذي لم يكن ممهداً، متجهة إلى مدينة الطائف، ومنها إلى مدينتي مكة المكرمة وجدة لنقل المسافرين، وجلب مختلف أنواع البضائع والسلع التي يوفرونها لمُحتاجيها في هذه الأجزاء من بلاد السراة، وبطبيعة الحال كان ذلك يستلزم منهم البقاء في طريق السفر عدة أيام ذهاباً وإياباً ؛ إلا أن من المسلم به أنهم يعودون مساء يوم الجمعة إلى تُنومه ليكونوا صباح يوم السبت في سوق السبت[٢] .

ومما ينبغي الإشارة إليه في شأن هذا السوق أن هناك من كانوا يقومون بممارسة عملية البيع خارج مساحة هذا السوق في غير يوم السبت، وإن كان ذلك على نطاق محدود إلا أنه موجود .

---

(١) أشرت يا دكتور صالح إلى جزئيات مهمة مثل بداية وصول السيارات الكبيرة إلى بلاد تنومة، وأسماء بعض الأعلام الذين كان لهم دور في جلبها إلى الأسواق، وما يحملون معهم في ذهابهم وإيابهم إلى السروات، ويقودنا ذلك إلى شيء من تاريخ المواصلات والطرق التي كانت تربط تنومة مع غيرها . وكل هذه الموضوعات ليس في بلاد تنومة ولكن في عموم تهامة والسروات خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة بالدراسة في التوثيق في عشرات الكتب والبحوث العلمية . وآمل من بناتنا وأبنائنا في برامج الدراسات العليا في أقسام التاريخ في الجامعات السعودية أن يلتفتوا إلى هذه الموضوعات الجديدة في أبوابها، والسهلة إلى حد ما في جمع مادتها لوفرتها وحداثة عصرها . (ابن جريس) .

(٢) سمعت وشاهدت بعض المسافرين والسيارات الكبيرة والثقيلة التي كانت تجوب بلاد تهامة والسراة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكان يقابلهم الكثير من العقبات ولهم روايات ومغامرات وقصص عديدة، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع الجديد في بابه . (ابن جريس)

وكان السكان قديماً يعتمدون على الأسواق الأسبوعية في قضاء حاجاتهم، وتوفير متطلباتهم ؛ إلا أن عملية البيع والشراء لم تكن محصورة في تلك الأسواق، بل كان هناك بعض الباعة المتجولين ـ من أبناء تنومه وغيرهم ـ الذين يتجولون طيلة أيام الأسبوع في القرى لعرض وبيع بضائعهم البسيطة التي يحملونها إما باستخدام الدواب أو سيراً على الأقدام " . وهناك أيضا نفر قليل من التجار الذين كانوا يمارسون مهنة البيع في مقر سكنهم الذي يسكنون فيه ؛ وعادة ما تكون البضاعة التي عندهم محدودة ومن النوع الذي يخف حمله ويغلب عليه أن يكون نسائياً، كالأقمشة، والعطور، والأطياب، والشيال، والمناديل النسائية، والحناء، وبعض أنواع الملبوسات الأخرى . وبعض السلع الهامة والضرورية للحياة اليومية[1] . و أخيراً فإن هذا السوق بتاريخه العريق ليس إلا واحداً من الأسواق الأسبوعية الكثيرة، التي تنتشر في قرى ومدن بلادنا الغالية ؛ لتحكي للأجيال فصولاً من تاريخ عريق زاخر بكل معاني الأصالة والشموخ، وتحمل بين طياتها الكثير من قصص تراثنا الشعبي الخالد الذي نحن في أمس الحاجة إلى معرفته وتسليط الضوء عليه[2] .

٧ـ المصادر والمراجع :

١. الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، صفة جزيرة العرب، تحقيق / محمد بن علي الأكوع الحوالي . وأشرف على طبعه / حمد الجاسر . الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

٢. رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) . سوق سبت تنومة في سروات بني شهر في العصر الحديث والمعاصر. ضمن القسم الثاني من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) . إعداد أ. د. غيثان بن علي بن جريس . الجزء (١١) . الرياض : مطابع الحميضي .

٣. صالح بن علي أبوعراد الشهري (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . صفحات من تاريخ

---

(١) تلك التجارات في بيوت بعض الأسر محدودة، لكنها موجودة في بعض القرى السروية والتهامية، وقد شاهدت بعضها وعرفت أصحابها في سروات بني شهر وبني عمرو خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . كما كان هناك تجار متجولون بين القرى يعرفون باسم (فرقنا) ، ويحملون بضائعهم على رؤوسهم، ويعرضونها على النساء والأطفال وبعض الرجال في القرى التي يمرون عليها. وكان غالبية العاملين في هذه المهنة من اليمن وهم مقيمون مع سكان البلاد . (ابن جريس) .

(٢) أؤكد على قولك يا أبو عراد فالأسواق الأسبوعية من الصور التاريخية والحضارية التي تعكس جزءاً من حياة الناس. وبلاد تهامة والسراة مليئة بتلك الأسواق تحتاج إلى الدراسات التاريخية والأثرية الجادة . (ابن جريس).

محافظة تنومه بمنطقة عسير خلال العصر الحديث . ضمن القسم الرابع من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ـ نجران ـ جازان ـ رنية ـ تربة ـ الخرمة). إعداد : أ. د. غيثان بن علي بن جريس . الجزء(٩) . الرياض: مطابع الحميضي.

٤. صالح بن علي أبو عراد (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) . تُنومه بني شهر، ضمن سلسلة (هذه بلادنا)، رقم (٤٦)، الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب. الإدارة العامة للنشاطات الثقافية .

٥. عبدالله بن محمد أبوداهش.(١٤١٩هـ-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م- ٢٠٠٠م) . من تاريخ أسواق عسير الأسبوعية [دراسة وثائقية موجزة ؟] . حوليات سوق حُباشة، جازان: نادي جازان الأدبي . العدد (٣)، السنة (٣) .

٦. عبدالله بن محمد أبو داهش. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) . أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ) . ط(٢) . أبها : نادي أبها الأدبي .

٧. علي إبراهيم ناصر الحربي.(١٤١٧هـ/١٩٩٧م). المُعجم الجغرافي للبلاد السعودية- منطقة عسير . ج(٢) . د. ن .

٨. غيثان بن علي بن جريس .(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩-٢٠م) . ط(٢) . الرياض : مطابع الحميضي .

٩. فؤاد حمزة . (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) . في بلاد عسير . الرياض: مكتبة النصر الحديثة .

١٠. محمد بن أحمد العقيلي . (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) . مذكرات سليمان شفيق باشا - متصرف عسير . أبها: نادي أبها الأدبي .

١١. محمد عمر رفيع . (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) . في ربوع عسير ذكريات وتاريخ. القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة .

٢١. موقع متحف إكسفورد على الشبكة العنكبوتية يوم الخميس (١٤٣٩/١٢/٢٦هـ الموافق ٦ سبتمبر ٢٠١٨م) . الساعة السادسة مساءً، على الرابط

(http://www.prmprints.com/image/801987/portrait-of-a- (crowd-of).

رابعاً: قـراءات وتعقيبات على بعض مؤلفات غيثان بن علـي بن جريس.

بأقلام مجموعة من أساتذة جامعة الملك خالد :

١ـ إطلالـة علـى موسوعة ابن جريـس (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب)

بقلم :أ. د. قاسم بن أحمد عبدالله آل قاسم[1]

الحمد لله وكفى، وصـلاة وسلاماً على النبي المصـطفى، والرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، واستن بسنته واهتدى.

أما بعد ؛ فقد تلقيت من سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس خطابه المؤرخ في ٢٤ من شـهر الله المحرم سـنة ١٤٤٠هـ، وكان معه هدية قيمة هي نسـخة من مؤلفين جديدين صدرا عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، هما:

١. **القـول المكتـوب في تاريخ الجنـوب (الحجاز واليمن ومـا بينهما)** الجزء الرابع عشر.
٢. **الرحـلات والرحالـة في الجنـوب السعـودي في مؤلفـات غيثـان بـن جريس (ق٢ـ١٥هـ/ ق٨ـ٢١م)** جزءان، إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر القحطاني.

كمـا تزامنت كتابة هـذا المقال مع هدية كبرى قدمها الأسـتاذ الدكتور/ غيثان بن جريـس للباحثين والباحثات في المجـالات التاريخية عبر حقبه المتعاقبة بل هدية للوطن

---

(١) الدكتور قاسـم من مواليد رجال ألمع عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، يعمل الآن على درجة أسـتاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية العلوم الإنسانية . جامعة الملك خالد . للمزيد عن ترجمته انظر غيثان بن جريس. القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب) (الرياض : مطابع الحميضـي، ١٤٣٣.٣٢هـ/٢٠١٠.٢٠١١م) (الجزء الثالث)، ص ٥٦ .

بأجمعه ؛ حيث دشن سعادته موقعه الإلكتروني في حفل احتضنته صحيفة " الوطن " وقد جعل محتوى ذلك الموقع وقفاً لله .

وبدوري أثمن لسعادته ذلك العمل المبارك ؛ حيث إن مواد ذلك الموقع باتت متاحة للباحثين ؛ وهي تشتمل على كتب ووثائق مهمة ومخطوطات وبحوث عنيت بجنوب بلادنا الحبيبة، وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بذلك الموقع، وأن يجزي من أوقفه خير الجزاء في الأولى والآخرة. وبالعودة إلى الموسوعة الكبرى التي أصدرها المؤلف الكبير نجد أنها قد عمت محافظات منطقة عسير تقريباً، وشملت بالإضافة إلى ذلك مناطق جازان ونجران والباحة والطائف وأجزاء من الحجاز واليمن .

والموسوعة بعامة تتوافر على معلومات مهمة قد لا توجد في غيرها ؛ حيث إن من منهجية المؤلف استكتاب أرباب القلم من المؤرخين والعلماء والأدباء بالإضافة إلى الأكاديميين من أبناء تلك المناطق المختلفة، وما ينبئك مثل خبير، ثم يقوم الباحث بالتعليق على ذلك كله .

بالإضافة إلى تركيز الموسوعة على الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي التي أفرد لها الباحث الأستاذ محمد معبِّر مجلدين حفلا بما أودعه ابن جريس في موسوعته القيمة، سواءً أكانت تلك الرحلات مما قام به الباحث نفسه حيث وقف على أماكن كثيرة من تلك القرى والأماكن الأثرية وغيرها ؛ أم كانت من قبل الرحالة المسلمين أم كانت من قبل الرحالة الغربيين المستشرقين .

وقد تنوعت موضوعات تلك الموسوعة ما بين الأبعاد التاريخية وهي تمثل البعد الزمني لحركة التاريخ أم الأبعاد الجغرافية التي ترسم المعالم المكانية أم الأبعاد الثقافية والمعرفية التي تمثل نتاجات العقول البشرية العلمية والثقافية والنتاجات المدنية والحضارية أم الأبعاد السياسية وأنظمتها عبر التاريخ .

كما ركزت على الآثار، وعلى العادات والتقاليد والأسواق والمنتجات وغيرها مما يشخص حركة الإنسان عبر تلك الجبال والوهاد والصحراء والسهول وغيرها، وكيفية تأقلم إنسان المكان مع بيئته، واستثمار طاقات تلك الأماكن بكل تشكيلات منتوجاتها الزراعية والمعمارية والصناعية والرعوية، ومدى مشاركة الذكور والإناث في عمارة المنازل، وتزيينها بشتى أنواع الزينة كما كشفت عن أفراحهم وأتراحهم وكل مناسباتهم، وعن حيواتهم الجادة وما يعتري ذلك من وسائل الترفيه والتسلية في مسامراتهم، وما يعتري مناشطهم عند البذور والحصاد ومن الأهازيج والأناشيد التي تدفع بهم إلى مزيد من النشاط في العمل .

بالإضافة إلى الكشف عن سير خط التاريخ الجنوبي منذ القدم حتى عصرنا الحاضر، ومدى ما صاحب ذلك من تطور في النواحي التعليمية سواءً أكان ذلك في التعليم العام أم في التعليم الجامعي.

وكذلك كشفت عن الأنظمة والقوانين سواءً فيما يتعلق بالبعد القبلي أم في الأنظمة بعد أن تحول المجتمع إلى مجتمع حضاري مدني وانعكاس ذلك على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، وما صاحب ذلك من شق الطرق وتعبيدها، ومن حراك بشري في مجالات التنمية.

وكذا وثقت الموسوعة مجموعة كبيرة من الألوان الشعبية، والألعاب التي كادت تنقرض مع فضاءات المعرفة الحديثة، ومع ما كاد يذهب بكل ذلك التراث من انشغال الناشئة بوسائل التقنية الحديثة بكل تشكيلاتها التي لم تدع للشاب ولا للشابة السعة في الوقت للتعرف على تراث الآباء والأجداد، مما يعرضه لخطر الانمحاء، واندغام الخصوصيات لكل منطقة مع المنجز العالمي؛ بحيث أنها قد تفقد هويتها وخصوصيتها التي هي مجال انطلاقاتها إلى العالمية والكونية والإنسانية.

ولعل من البين التوجه العالمي إلى المحافظة على التراث والهوية وكل ما يشكل الثقافة ويجد الذات المجتمعية والشعبية.

وأكاد أجزم أن هذه الموسوعة العلمية والمعرفية أبرزت أشياء كثيرة من خصوصيات تلك المناطق في بعد تاريخي مائز، وإدراكية عالية في أهمية التأريخ لتلك الحقب التي كادت تندثر، بل إن اللسان اللهجي وتلك المفردات في الألفاظ وغيرها لكل محافظة تكاد تمحى بموت الأجداد والآباء.

وأدعو من هذه الإطلالة إلى محاولة حفظ ذلك التراث الشعبي بالصورة والصوت؛ حيث إن على الأقسام اللغوية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية وغيرها كل فيما يخصه أن يلاحق الزمن لتسجل ما تبقى من ذلك التراث الشفاهي والحركي قبل أن تنقرض تلك الأجيال وننندم ولات ساعة مندم؛ ففي ذلك المحافظة على الوحدة وعلى تعليم الناشئة تراث الرعيل الأول، وربطه ببنائه المجتمعي والأسري وأعرافهم في كل مناحي الحياة، ومن ثم وصل الماضي العريق بالحاضر المجيد بالمستقبل في دينامية تاريخية، وصيرورة كينونية مستمرة لا تعرف الانبتات عن جذورها، ولا الانقطاع عن تراثها في ديمومة تراثية معرفية حضارية تؤسس عليها الانطلاقة إلى غد مشرق يبنى على المنجزات الحضارية والثقافية والمعرفية التي تجمع بين أصالة الماضي وحداثة المستقبل. كتبه أ. د. قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم. أستاذ الأدب والنقد بكلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد. ووكيل الكلية للدراسات العليا سابقاً. (حرر في ١٦ من ربيع الأول سنة ١٤٤٠هـ).

٢ـ من وحي الرحلات والرحالة في مؤلفات غيثان بن جريس . بقلم . أ. د . عباس علي السوسوة [١] .

كنت قرأت بعض هذه الأبحاث مفرقة في أجزاء مختلفة من (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، ثم قرأتها مع غيرها مجموعة بفضل الأستاذ ابن معبر في (١١٠٤) صفحة، وأكبرت هذا الجهد في التصنيف لابن معبِّر، ولمؤلف القول المكتوب غيثان بن جريس براعته في التحليل والتفسير . وكان من ضمن ملاحظات المؤلف المتفرقة أن بعض الرحالة اليمنيين كالسلطان الرسولي وإسماعيل جَغمان وغيرهم مروا في أثناء رحلاتهم للحج بمناطق كثيرة من الجنوب، وكانت ملاحظاتهم عليها نزرة .

ولست هنا معلقاً على عمل الدكتور غيثان هذا ـ لا مادحاً ـ رغم أنه يستاهل المدح الصادق ـ ولا قادحاً، فهو عمل طيب . بل ما أوحى إلينا عنوان العمل وبعض الأبحاث جملة، لاسيما قلة هذه الملاحظات الرحلية، وسوء تفسيرهم لبعض الأمور، والاعتماد على الأقوال الشائعة المبالغ فيها، وغيرها من أمور .

وأحب أن أعلق على أعمال الرحالين جملة، فقد يكون همهم غير ما نتوقع منهم نحن معشر القراء المعاصرين . فمثلاً همّ الحجاج الوصول إلى الأماكن المقدسة، بل إنهم حتى في هذا الهمّ قد تكون ملاحظاتهم قليلة، وبعضهم جعل همّه أن يستعرض مهارته الشعرية كأن ينظم أرجوزة في مقصده / رحلته، وبالتأكيد لا نتوقع أن يأتي فيها على كل ما وقعت عليه عيناه من أماكن وشخوص وحوادث، ناهيك عن أن بعضها لا يستجيب لوزن الشعر حتى لو استعمل الراجز كل الضرورات الشعرية التي أوصلها بعضهم إلى ثمان وأربعين[٢] .

وأقرر إن أكثر الرحلات القديمة ـ سواءً ما جمع في هذا السفر الجليل أم في غيره ـ يغلب عليها الإيجاز، باستثناء بعض الرحلات البحرية التي يكون غرضها سرد العجائب والغرائب، الذي هو مسوغ للإسهاب فلدينا رحلة ابن بطوطة التي صاغها ابن جُزيّ الكلبي مثال لما نقول ؛ فرغم طول المدة الزمنية التي قضاها في الترحال فإن كلامه

---

(١) الدكتور عباس السوسوة من مواليد محافظة تعز، ويعمل حالياً أستاذ اللسانيات في جامعة الملك خالد بأبها، له العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة، للمزيد عن سيرته الذاتية انظر محمد بن أحمد مُعَبِّر . سيرة كتاب : احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ، ص ٣٠٣ـ ٣٠٤. غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ، ص ٤٠١ . (ابن جريس) .

(٢) مع هذا يا دكتور عباس نجد في رجز الكثير منهم معلومات تاريخية مهمة وبخاصة في الجانب الحضاري مثل الإشارة إلى مواقع أو أفراد أو جماعات أو بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية المهمة . (ابن جريس) .

موجز جداً إلا في ذكر العجائب والغرائب فإنه يطيل، حتى لو افترضنا أن كثرة الأماكن التي زارها وأقام فيها مدداً قد تطول وتقصر، وهي تشمل معظم العالم القديم في القرن الثامن الهجري. قد أجبرته على ذلك ليتسع الكتاب لها جميعاً .

وبعض الرحالة أطلق على عمله وصف التاريخ، مثل ابن المجاور الشيباني الدمشقي (ت ح ٦٣٠هـ) ، فقد سمى عمله. أو سماه من جاء بعده. " صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز. تاريخ المستبصر " . هذا العمل نسيج وحده في التأليف، فهو يأتي بخريطة تجريدية (كروكي) للمكان الذي يتحدث عنه، ويذكر صفاته، وأهم ما يُزرع فيه، وطرق معايش أهله، ويزيد فيتحدث عن أغلب الأسماء الشائعة للأهالي كغلبة التكنية بـ (با) على الحضارمة وأهل الشحر . مثل أبا لالكة، وأبا هالكة، وأبا فارس، وأبا راسن وأبا عري وأبا عوف وأبا دفوق وأبا فيل وأباريق وأبا كنيف[١] . ويتحدث عن ملابسهم، وعاداتهم في الزواج وغيره من المناسبات الاجتماعية، وفيه ملاحظات لغوية كثيرة نثرها . تفيد المؤرخ اللغوي الذي يقصد إلى معرفة التغير في اللغة دلالاتها وألفاظها وأبنيتها ...إلخ، مثل وجود وزن مفعال ومفعالة للدلالة على اسم المكان كالمملاح والمصلابة [٢] . ومثل استعمال باء قبل الفعل المضارع للدلالة على المستقبل كقول أهل قلهات: بازق الغريب بالجندل[٣] . وبعضها ظواهر في كتابته هو، هي السائدة في عصرنا، في اللهجات، مثل: عدم حذف النون من الجمع السالم حين يُضاف : كثيرين العشاير صحيحين اللغة، قليلين المال، قليلين الذمة ... [٤]، وبناء الجمع السالم بالياء في كل حالاته الإعرابية، ولغة أكلوني البراغيث[٥] . غير أن ابن المجاور. على تفرده في التاريخ الاجتماعي والإناسي. شاب عمله هنات كثيرة، في مواطن ليست قليلة يذكر حكايات وغرائب مثل : منع والي صنعاء أن يباع الفجل إلا مشقّقاً أربعاً لأسباب جنسية[٦]، ومثل وصلات (الردح النسائي) الفاحش المسجوع بين نساء بين الصورين ونفّاطات الموصل[٧]، مما يعد سبّاقاً لبرامج الفضائيات في عصرنا هذا، مثل : الاتجاه المشاكس، والاتجاه المعاكس وما شاكلها .

---

(١) ابن المجاور الشيباني (يوسف بن يعقوب) : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر لوفغرين، ليدن : مطبعة بريل ١٩٥١م، ص ٥٤) (السوسوة) .
(٢) ابن المجاور، ص ٥٦ و ١٢٠ . (السوسوة) .
(٣) ابن المجاور، ص ٣٨٣ . (السوسوة) .
(٤) ابن المجاور صفحات : ٥، ٨٥، ٨٨، ٩٠، ١٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤ . (السوسوة) .
(٥) ابن المجاور، ص ٨٨، ٨٩، ١١٧ . (السوسوة) .
(٦) ابن المجاور، ص ١٨٦. وانظر بلايا أخرى في صفحة ٥٦ . (السوسوة) .
(٧) ابن المجاور، ص ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦ . (السوسوة) .

بعض الرحالة قد نجد لديه معلومات خطيرة جداً، تتمثل خطورتها في أنها ستغيّر كثيراً من قناعتنا المستقرة حول بعض الأشخاص المشهورين في تاريخنا الأدبي. وبالطبع فالرحالة أوردها عن مشاهدة شخصية. من ذلك أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ) في رحلته مر بمدينة معرّة النعمان في الحادي عشر من رجب سنة (٤٨٣هـ) ووصفها وتحدث عن فيلسوف المعرة في حدود صفحتين، سنقتصر في النقل على الكلام حول أبي العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ) وسنجعله على فقرات: (أ) " في المدينة رجل يقال له أبو العلاء المعري. وهو رجل كفيف، وقد انتهت إليه رئاسة المدينة. (ب) وهو غني جداً، وله عبيد وعمال كثيرون يأتمرون بأمره، وكل المدينة في خدمته ورهن إشارته " (ج) اختار طريق الزهد فكان يلبس ملابس الصوفية الخشنة، وهو رهين منزله، ولا يزيد طعامه عن نصف رغيف من الشعير يتبلغ به، وذلك كل زاده. (د) سمعت أن بابه مفتوح دائماً وله نواب ووكلاء يقومون بإدارة أمور المدينة ولا يرجعون إليه إلا في المهمات التي تتطلب تدخله وإبداء الرأي الأخير. (هـ) نعمته ميسورة لكل طارق وطالب مع أن أبا العلاء "صائم الدهر قائم الليل ولا يشغله أمر من أمور الدنيا (!!). (و) وهو رجل شاعر، ولقد وصل في الشعر والأدب درجة لا يدانيه فيها أحد، وقد اعترف له بذلك أفاضل الشام والمغرب والعراق. (ز) يجتمع في محاضراته ما لا يقل عن مئتي طالب علم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ليقرأوا عليه الأدب والشعر. وسمعت أن له أكثر من مئة ألف بيت من الشعر. (ح) عندما وصلت إلى معرة النعمان كان هذا الرجل قيد الحياة (٤٣٨هـ).

خطورة هذه المعلومات أنها تزلزل قناعاتنا عن هذا الشاعر الموصوف برهين المحبسين، نقصد - ويقصدون - أنه سجين عماه وسجين منزله الذي لا يغادره. بل إنه نفسه يثّبت هذه الأوهام عندنا ويزيد سجناً ثالثاً بقوله:

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسم الخبيث

ونحن نتساءل: كيف يكون معتزلاً المجتمع والناس من كان على هذه الأوصاف: رئيس مدينة معرة النعمان، له عمال كثيرون يأتمرون بأمره، بابه مفتوح ونعمته ميسورة للجميع، ويجتمع في محاضراته ما لا يقل عن مئتي طالب علم؟ إن رجلاً كهذا لابد أن يدخل في مفاوضات مع الجهات المؤثرة كالقبائل والحكام المختلفين لحل مشاكل. ولماذا نذهب بعيداً وفي مقدماته لبعض كتبه كرسالة الغفران ورسالة الصاهل والشاحج مدح يقدمه بين يدي من هم أكبر منه مقاماً سياسياً، سواء كانوا ولاةً أم شيوخ قبائل في قضايا نزاع وما أشبه. بل إنه رَحَل شاباً في طلب العلم في أرجاء الشام والعراق، وكان ممن ذهب إلى بغداد لتعزية الشريفين الرضي والمرتضى في وفاة أبيهما نقيب الطالبيين.

كيف يقال عنه إنه معتزل الناس؟ ولا دخل لقسوته على نفسه في مأكله وملبسه - رغم ثرائه - بالعُزلة، وبالتأكيد لا علاقة للعزلة بأنه كان نباتياً، فالنباتي والحيواني قد يكون مخالطاً أو معتزلاً .

قد يبدي الرحّالة على منطقة ما ملاحظات ربما جاءت على غير ما يعتقده أهلها في أنفسهم ؛ فأفكاره اصطبغت بل تشبعت بتصورات مختلفة، لكن رؤيته - إن نظرنا إليها بحياد - أصدق من أهل البلد أو الوطن، فليس عنده تحيزات محلية ضد فلان أو علان كالتي تكون عند البلديين . من ذلك ما جاء في الرحلة اليمنية للسياسي التونسي عبدالعزيز الثعالبي (ت ١٩٤٤م)، التي قام بها عام (١٩٢٤م) [١] .

هذه الرحلة ليست موجزة بل فيها وصف مسهب لبعض الأمور تحدث الرحالة عن وصوله إلى قرية الضيق قرب يَريم، وكيف أن عامل يَريم كان في استقبالهم ومعه جنوده وطلاب المعلامة، ومنهم (الرهائن) الذين اختبر بعضهم في قراءة القرآن الكريم وبعض أمور الفقه فكانت النتيجة طيبة . فعجب لذلك أشدّ العجب، ومصدر العجب أنهم - الرهائن - مساجين ويُسمح لهم بالدراسة، ويسمح لهم ببعض التنقل . ثم أخذ يوضح لقارئ كتابه أن الرهائن على نوعين[٢]، أولهما - وهو الأكثر - أن يقدم شيخ قبيلة ما أحد أولاده - أو أكثر - للإمام إعلاناً لخضوعه التام . وهذا معناه أن الرهينة يتلقى التعليم التقليدي الذي كان سائداً حينذاك، فإذا كان طموحاً فإنه سيكون صاحب علم ومعرفة أفضل من أقرانه الأحرار . والنوع الثاني : الاعتقال المؤقت بسبب قضية أو غرم أو تأديب، ويطلق سراحه بزوال السبب .

ولقد شنّع الثوريون - ومازالوا - على حكم الإمامين أحمد بن يحيى حميد الدين (ت ١٩٦٢م)، وأبيه (قتل ١٩٤٨م) بأنه حكم ظالم يقوم على نظام الرهائن! ولا نريد أن يُفهم أننا مع نظام الرهائن، بل نريد أن نضع الأمر في سياقه الزمني، حيث كان معمولاً به ومقبولاً من الجميع[٣]، بل إن المشايخ كانوا يتنافسون على إعلان ولائهم بتسليم أولادهم وإخوتهم رهائن لدى الحكومة . وقد كان من الرهائن شخصية قبلية وسياسية

---

(١) عبد العزيز الثعالبي : الرحلة اليمنية، ط٢ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ١١١-١١٣ . (السوسوة) . وكم نحن في حاجة الحقيقة وتدوين المصداقية . ونجد بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين حفظوا لنا تفصيلات علمية جيدة يصعب أن نجدها في أي مصدر أو مرجع آخر . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد انظر، عبدالعزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية، ص ١١١-١١٣. (ابن جريس) .

(٣) هذه طريقة من طرق تعليم القراءة والكتابة، وربما كانت موجودة في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية، حبذا أن نرى باحثا يتقصى أخبار هذه الطريقة ويوثقها سواءً في بلاد اليمن أو غيرها من بلاد العرب . (ابن جريس) .

لا يجهل أحد قدرها في الجزيرة العربية على الأقل، هو الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر ـ رحمه الله ـ فهو نفسه يقر أنه تعلم مع غيره من الرهائن في الحبس[١] . وعلى كل حال فالمتنقدون لا يذكرون أن هذا النظام كان معمولاً به عند ولاة العثمانيين في اليمن، قبل وجود الإمامين بأكثر من مئتين وخمسين عاماً، بصورة غاية في الشناعة . فعبد الصمد بن إسماعيل الموزعي (ت ١١١١هـ) ـ وهو كاتب العثمانيين في تعز ـ متحيز لهم بشكل مطلق[٢] ، فهو يمتدح القائد العثماني في تعز على سياسته الحكيمة إذ جعل الرهائن في مناطق الحُجَرية مثلثة ولداً وبنتاً وزوجة[٣] ، إي والله ! وأي عدالة تريد أكثر من هذا . كانت هذه ملاحظات من وحي الرحلات والرحالة في مؤلفات د. غيثان بن جريس .أسأل الله السداد، وأسأله أن يغفر لنا زلات أقلامنا. والسلام[٤]. (٢/٢٥ / ١٤٤٠هـ) .

٣ـ تعقيبات ابن حميِّد على كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الرابع عشر) . بقلم : أ. د. أحمد بن محمد بن حميِّد [٥] .

سعادة أخي الكبير الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس حفظه الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: وصلتني ـ وصلك الله بلطفه وإحسانه ـ بالمجلد الرابع عشر من سلسلة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من الحجاز واليمن وما بنيهما) [٦] ، مضموماً مع كتاب الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي للأستاذ

---

(١) اقرأ مذكراته على الأقل . وليست بين يدي لأرجع إليها، لكنني سمعتها منه في لقاء تلفزيوني . وفي رأيي أنه كان رمانة الميزان في السياسة اليمنية لأكثر من أربعين عاما، وبوفاته تدهورت الأوضاع، إذ خلف من بعده خلف.. . (السوسوة).

(٢) دلالة عنوان كتابه تغنيك " الإحسان في دخول اليمن في ظل عدالة آل عثمان " تحقيق عبدالله الحبشي، ط٢ دار التنوير، بيروت ١٩٨٦م . أما طبعة وزارة الأوقاف اليمنية فعنوانها " الإحسان في دخول اليمن تحت مملكة آل عثمان " ولا عجب!

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢ـ١٠٨ .

(٤) حبذا يا دكتور السوسوة أنك أسهبت في الحديث عن الرحالة والرحالين الذين تجولوا في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولهم مدونات لا تخلو من الفائدة للباحث وطالب العلم . (ابن جريس) .

(٥) يحتوي هذا التعقيب على شكر الدكتور أحمد بن حميِّد لابن جريس الذي أهداه نسختين من كتابين جديدين صدرا عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، ثم يورد بعض التصويبات ووجهات النظر على الجزء (١٤) من كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، مثل: تقسيم الفهرست العام، وبعض العناوين الرئيسية والفرعية وغيرها من الإشارات . وابن حميِّد الوارد ذكره في العنوان هو: الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد بن عبدالله بن حميِّد، من مواليد أبها، ويعمل الآن أستاذ جامعي في قسم السنة وعلومها . بجامعة الملك خالد، وله العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة، وهو على قدر كبير من الأدب وحسن الخلق . ولطف المعشر. وهذا العنوان المدون في بداية هذا العنصر من عمل صاحب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (ابن جريس) . وللمزيد عن الدكتور أحمد بن حميِّد انظر: محمد بن أحمد معبِّر . سيرة كتاب : احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، ص ٢٧٩ـ ٢٨١. (ابن جريس) .

(٦) الطبعة الأولى (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) .(٥٨٣صفحة) .(ابن جريس) .

الفاضـل/ محمد بـن أحمد معبِّر [١] . ولسـت في مقام التنويه بالقيمـة العلمية لكتبكم بعامة، وسلسـلة القول المكتوب بخاصـة، فقد نوهت بهذا مراراً وتفضلتم بإثبات التنويه في جملة من إصـداراتكم، كما سـرني سـرعة اسـتجابتكم لجملة مـن المقترحات التي اقترحتها ونشرت في كتاب " سيرة كتاب " (ص ٣٥٥) مما يدل على كريم خلقكم، وجليل فضـلكم، وسـعة صدركم، وهذه أخلاق أهل العلم والفضـل والنبل، فلا أملك إلا توجيه الشـكر الجزيل على جهودكم المبذولة في خدمة تاريخ وجغرافية المنطقة، سـائلاً الله لكم التوفيق والسداد .

(*) أخي الكبير:

على قلة البضـاعة، وكثرة المشـاغل، فسـأتناول في هذه الرسـالة جملةٍ مما علقته حين قراءتي للمجلد الآنف ذكره الذي حوى أربعة أقسـام رئيسـة وهي : **أولاً:** محافظة أحد رفيدة (جرش قديماً) في بعض المصادر والوثائق والمراجع والمدونات . وفيه أربعة مباحـث عن العنوان المذكور: (١) بقلمكم . (٢) بقلم الأسـتاذ محمد بن أحمد معبِّر . (٣) بقلم بعض المستكتبين من أبناء المحافظة . (٤) مشاهدات في المحافظة بقلمكم .

ثانياً: دراسـات وحوارات وتصويبات وإضافات على موضوعات تتعلق ببلاد تهامة والسـراة . وتضمن ثلاثة موضوعات رئيسة : (١) الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية بقلم أ. د محمد بن منصور حاوي . (٢) لقاء وحوار صحفي مع الأستاذ محمد بن أحمد معبر . (٣) تصويبات وإضافات على ما ورد في المجلد ١٢/ من السلسلة فيما يتعلق بمنطقة العرضيات للأستاذ عبدالهادي القرني .

ثالثاً: بحث عن المخاليف في كتاب معجم البلدان وغيره للأسـتاذ محمد بن أحمد معبِّر . (١) دراسـة في العمـران الريفي بمحافظة ظهران الجنوب. (٢) اسـتخدامات الأراضي الريفية في قرية آل عبيدية وكلاهما للدكتور محمد القحطاني . (٣) ذكرياتكم ومشاهداتكم في القريتين (١٣٧٩ـ ١٣٩٦هـ) .

وبداية فقد حوت البحوث العلمية المكتوبة على أساس منهجي إضافات علميةٍ جيدة لـن أناقش ما ورد فيها، مع ما في المدونات من إضـاءات مهمة يشـكرون جميعاً عليها . ويسـرني إثراء البحـوث المتعلقة بجرش بهذيـن النقلين من كتب رجـال الحديث . قال الإمام أحمد بن عبدالله بن صـالح العجلي رحمـه الله (ت ٢٦١هـ) في كتابه الثقات [٢]

---

(١) صدر هذا الكتاب في جزئين (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠٠٨م) (١١٠٤صفحة) (ابن جريس) .

(٢) معرفـة الثقـات من رجال أهـل العلم والحديث من الضـعفاء وذكر مذاهبهم للعجلـي تحقيق عبدالعليم البستوي، مكتبة الدار المدينة المنورة ٣١٣/٢ . (ابن حميِّد).

. " النضر بن محمد اليمامي سكن جرش، كنيته أبو محمد ثقة، وهو من أروى الناس عن عكرمة بن عمار اليمامي سمع من عكرمة بن عمار ألف حديث، رحلت إليه من مكة فوصلت في خمسة عشر يوماً " والنضر توفي بين (٢٠١- ٢١٠هـ) [١] . وهذا نص جليل يبين المسافة من مكة المكرمة إلى جرش، ويبين مدى الصلة العلمية بينهما [٢]. وعيسى بن ميمون المكي أبو موسى الجرشي المعروف بابن داية، من رواة كتب التفسير لمجاهد بن جبر كان ينزل جرشاً [٣] . وفي باب أنساب المحدثين إلى جرش كثير جداً .

بقيت هذا أخي الكبير جملة ملحوظات منهجية على المجلد وطريقة كتابته، فظني أن الكتاب مادام أنه وصل القارئ فلم يعد ملكاً لكاتبه ومؤلفه، فمن حقه أن يلحظ عليه ملحوظات، لو خلا مما لوحظ عليه فيها لكان أكمل وأجمل ولعل صدركم يتسع لها :

أولاً : في عناوين الأقسام والمدونات:

من المعلوم في لغة البحث العلمي أن يكون العنوان منطبقاً على المضمون ؛ مناسباً لما ورد فيه، حتى لا يحمل الموضوع والكاتب ما لا يحتملان، ولو أخذ عنوان القسم الأول مثلاً فنصه كما وضع " محافظة أحد رفيدة (جرش قديماً) في بعض المصادر والوثائق والمراجع والمدونات " ولي على هذا العنوان ملحظان: (١) ابتدأ العنوان بمحافظة أحد رفيدة ثم وضعت جُرش بين قوسين كأنه تعريف للمحافظة، وهذا لا يصح لأن مفهوم المحافظة وحدودها امتداد معاصر، فكيف يفسر بامتداد تاريخي ؟ وما مدى تطابق الامتدادين جغرافياً وإدارياً وتاريخياً في الزمان والمكان ؟ وأيهما سابق في الوجود جرش المدينة أم جرش الإنسان؟ (٢) ثم تمم العنوان بـ " في بعض المصادر والوثائق والمراجع والمدونات " ظاهر من العنوان أنه جمع لما ذكر عن أحد رفيدة وجرش من المصادر والوثائق .. إلخ . وعليه فهل البحوث والمدونات المكتوبة تتناول المحافظة وجرش معاً ؟ وما هو مكتوب أهو تاريخ أم جغرافيا أم أنساب أم مشاهدات ؟ وقبل ذلك هل المكتوب بحوث أم مدونات أم مقالات ؟ وهل استوفت كل ما كتب عليها ؟ وحقيقة الوارد في القسم بحثان علميان مبنيان على الاستقراء والتحليل، ومدونات . فواقع الحال أن العنوان غير مطابق للمضمون، والعنوان المطابق " محافظة أحد رفيدة بحوث ومدونات " .

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ٢٠٩/٥) (ابن حميِّد) .

(٢) من يستقري كتب السنن وغيرها من مصادر التراث الإسلامي فإنه سيجد ذكراً جيداً لبلاد جرش، وقد خرج عنها بعض البحوث العلمية الموثقة، ومازالت بحاجة إلى دراسات أكثر تاريخية وحضارية وأثرية . (ابن جريس).

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ) تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ط/الأولى ١٤٠٠هـ ٤٦/٣٢ . (ابن حميِّد) .

ثانياً : واضح من تقدمة الأستاذ ص/١٠٦ أنه استكتب مجموعة من مواطني المحافظة للكتابة عن محافظتهم وأهلها، وهذا أمر يشكر عليه فلهذه المدونات أهمية قصوى خاصة إذا اعتمد كاتبها وثائق ولقاءات ومصادر، أو كان على جانب من الأهلية العلمية . وقد عنون الدكتور المدونات بعنوان لا يطابق حال هذه المدونات فقد سماها " ورقات من تاريخ أحد رفيدة " وقد حمل كاتبيها ما لا يحتملون لأن المدون فيها كتابة انطباعية وليست تاريخية بالمعنى العلمي . فلو كان العنوان " ورقات عن أحد رفيدة " لكان أولى.

ثالثاً : مدن وقرى منطقة عسير الإدارية تتشابه - إن لم تتماثل - في العادات والتقاليد ونرى أن المؤلف - وفقه الله - يحرص على إثبات ما لدى هذه الجهات من عادات وتقاليد لا تتميز عما هو معلوم في باقي أنحاء المنطقة، ويتم تكريره في سائر حلقات سلسلة الكتاب، وتشابه الحال كذلك في ظل النهضة العمرانية واتساع الحركة التجارية وتنامي المشاريع التنموية، فلا ينفك من تعداد وجود المدارس والمصالح الحكومية، والأسواق وما يباع فيها، أو وصف ما هو معلوم مثل وجود الحمامات والكهرباء والمصاعد الكهربائية في البيوت ! [1] . ولبس المشالح والأكوات واختلاف أنواع الأحذية والملابس !! وامتلاك الناس للجوالات والنظارات والسيارات والخواتم في الأيادي والأقلام في الجيوب ووجود محلات لخياطة الملابس .. إلخ مما لا فائدة منه لعدم اختصاص تلك الجهات بها [2] ، ثم ما وجه الغرابة فيها ؟ وربما لحقه شيء من المؤاخذة الاجتماعية مثل قوله ص/١٦٦ " وأخبرتني بعض القريبات الساكنات في مدينة الأحد عن مبالغة النساء في ألبستهن وبخاصة في الحفلات واللقاءات الاجتماعية !! فهل برئت نساء باقي نساء المنطقة من هذا ؟ وهل اختص النساء بهذا دون الرجال؟[3] .

رابعاً : معلوم لدى الباحثين أهمية الحواشي التي يضعها المؤلف في توثيق المعلومات، أو توضيح الغامض، أو التعليق على ما يحتاج إليه، إلا أني لحظت في المجلدات الأخيرة من السلسلة كثرة الحواشي بحيث لا تخلو صفحة من عدة حواشي وأكثرها لا فائدة منها وهي على أنواع :
(أ) ما يمكن أن يوضع ضمن التقديم من الدكتور للبحث والمدونة، أو مع التعقيب النهائي بعد عرض البحث والمدونة، وهذا سيكسب النشر في الكتاب قيمة علمية، حيث سيكون الكلام علمياً محدداً بعيداً عن التكرار، ويمنع من أن تكون من باب عفو الخاطر !! ففي البحث الذي كتبه الأستاذ محمد آل شيبان الذي استغرق من ص / ١٢٦-١٤٠ تضمن (٤٦) حاشية منها (١٤)

---

(١) ينظر مثلاً ما هو مكتوب، ص/١٥٩، وما بعدها إلى ص ١٧٠ .

(٢) هذا الكلام يا دكتور غير صحيح فالمعلومات التي تم رصدها تدخل تحت مظلة التاريخ المعاصر، وأهميتها في الوقت الحاضر قليلة، أو لا فائدة منها، كما أشرت لكنها في المستقبل سوف تكون نصوصاً تاريخية مهمة لأنها دونت من خلال المشاهدة، وأرجو أن تكون صحيحة وتعكس جزءاً من حياة عصرنا الحاضر. (ابن جريس) .

(٣) يا دكتور أحمد هذه صور من الحياة التي تعيشها مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، وهي من الجوانب الحضارية التي يجب رصدها وتوثيقها حتى ترى الأجيال القادمة شيئاً من حياة وتاريخ آبائهم وأجدادهم . (ابن جريس) .

حاشـية للثناء على الكاتب والمكتوب، وثلاث حواشـي للتعقب على الكاتب وكان يمكن أن تجمع في المقدمة باختصـار ويلحظ هذا في سـائر المدونات والبحوث . (ب) ما يمكن أن تساق في مقال أو بحث خاص حيث يكثر المؤلف من مناداة الباحثين كلما مر موضـوع يسـتحق البحث في نظره، فلا تخلو أكثر الحواشـي من اقتراح دراسـة جادة عن هذا الموضوع، فكان يمكن أن تكتب في الخاتمة المتضـمنة للنتائـج والتوصـيات. مـع أن جملة من هذه الموضـوعات المقترحة موضـوعات نظرية وبعضـها لا علاقـة لها بالتاريخ . (ج) ومن الحواشـي مـا هو تعقب على الباحـث ومكانها إما في تقديمه للمدونة أو في آخرها، ويلحظ أن الحواشـي تصدر عند التعقب والتعقيب بقوله : يا فلان، ويا ابن فلان، أو يا أستاذ فلان، أو يا أخي فلان مما لم أره إلا في هذا الكتاب !!

وقد تتطلب الحواشي إلى محاورة مع صاحب المدونة أو البحث، ولا تخلو من طرافة تنظر مدونة آل شـيبان، ومدونة الأسـتاذ عبدالرحمن القحطاني، وتصويبات الأستاذ عبدالهادي القرني . ولا تخلو بعض الحواشي من أمور شخصية لا علاقة للقارئ بها مثل الحاشـية (١) ص/٢٧٣، والحاشـيتان (١-٢) ص/٤١١، والحاشـية (٦) ص/٤١٢[1]. وهناك حواش لا أعلم ما الفائدة منها مثل (٤، ٦، ٧) ص/٤١٥؛ فما الجديد في تعداد مـا تبيعـه البقالات، وما الغريب في دكان يبيع خبز التميس والفول؟! [2] . وهناك حواش -وهـي كثـيرة جـداً- خرجت عن معنى الاسـتطراد، فلو حذفت لم يكـن لحذفها تأثير . هذه الملحوظات، لا أبرئ نفسـي من الوقوع في مثلها، لكني إن رجعت لنفسـي وجدت أنه لا يصـح إثباتها ولا الاسـتمرار عليها، فكيف بمثل الدكتور الـذي له عند محبيه المنزلة الرفيعة، ولعل مرجع إثباتها العجلة في سرعة إخراج الكتاب، ورغبة كاتبها في الاستمرار في خدمة المنطقة وتراثها التي نذر نفسه لها .

وختاماً أهنئكم بهذا النشـاط والهمـة العلمية الدائبة، التـي يزينها كريم خلقكم وتواضعكم، وأعتذر عما ند به القلم في حقكم، فلكم عندي كل التقدير والإجلال، وأسلم لأخيكم المحب/ أحمد بن محمد بن حميِّد . الأستاذ بقسم السنة وعلومها بجامعة الملك خالد، وعميد كلية الشريعة وأصول الدين سابقاً. (١٤٤٠/٢/٢٠هـ) (التوقيع) [3] .

---

(١) يـا أسـتاذ أحمد هـذه معلومات قيمة في قادم الأيام، وتعكس شـيئاً مـن حياة الناس الاقتصـادية، ويجب أن تصـدر دراسات من هذا النوع ترصد ما نفتقده عند مدوني التراث الإسلامي المبكر فقد ركزوا على الجوانب السياسية والعسكرية، وقصروا في توثيق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والحضاري . (ابن جريس) .

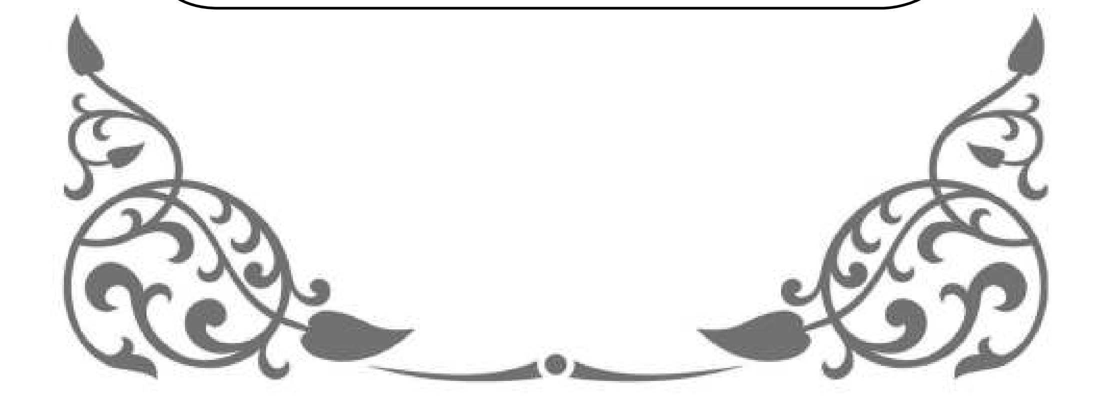
(٢) حديث الدكتور أحمد عن كثرة الحواشي صحيح إلى حد ما، فالإسهاب في الحواشي يصيب القارئ بالملل، وقد تتكرر حواش لا فائدة لها، كما أشار . (ابن جريس) .

(٣) أشـكر الدكتور أحمد على هـذه التعقيبات، ولا ندعي الكمال فيما تم تدوينـه وتوثيقه . ونحن جميعاً طلاب علم نصـوب بعضـنا البعض، ونسعى جميعا للوصول إلى الحقيقة، وهذا الذي يجب العمل عليه، أو الاجتهاد من أجله . والله أسـأل أن يخلص نياتنا وأعمالنا، وأن يجعل ما نقوم به في خدمة العلم والمعرفة حجة لنا لا حجة علينا . (ابن جريس) .



القسم السادس

الخاتمة
النتائج والتوصيات



القسم السادس

الخاتمة ، النتائج والتوصيات

نشرت في هذا المجلد رقم (١٦) من سلسلة : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، خمسة أقسام رئيسية تاريخية وحضارية عن بعض الموضوعات في بلاد تهامة والسراة. والقسمان الأولان يدرسان موضوعات علمية واقتصادية واجتماعية في منطقة جازان حلال العصر الحديث . أما القسم الثالث فجل مادته العلمية تناقش جوانب تاريخية في بلاد السروات الممتدة من صعدة ونجران إلى حاضرة الطائف . والقسم الرابع يوثق بعض المفردات والمصطلحات اللغوية في أجزاء من جنوب البلاد السعودية، بالإضافة إلى بعض المقامات الأدبية الحديثة في هذه الناحية نفسها . والقسم الخامس والأخير يشتمل على إضافات وتصوييات لبعض الكتب والبحوث الحديثة التي صدرت عن موضوعات في بلاد السروات وتهامة، وهناك أيضاً دراسة ووجهة نظر عن أوضاع جُرش وبلجرشي في التاريخ والحضارة . وآمل أن أكون نشرت ووثقت بعض التفصيلات والتحليلات الجديدة في بابها، كما آمل أن يأتي بعدنا من يستكمل ما لم نستطع دراسته ونشره، أو يصوب ما وقعنا فيه من قصور أو أخطاء علمية ومنهجية[١] .

ومن تدوين ونشر هذه المحاور التاريخية التي تدرس جوانب عديدة في بلاد السروات وتهامة، فإنني قد خرجت ببعض النتائج والتوصيات التي أدرج أهمها في النقاط الآتية .

١. تحدثت في القسمين الأولين من هذا الجزء عن مواضيع حضارية في منطقة جازان خلال القرنين (١١، ١٤هـ/ ١٧، ٢٠م)، ولا أدعي الكمال فيما درست ونشرت . وأقول إن هذه الناحية ذات تاريخ قديم ومتنوع في شتى الجوانب، وآمل أن نرى من مؤرخي جازان، ومن جامعة جازان جهوداً جيدة وإيجابية تدرس تراث وتاريخ هذه البلاد عبر عصور التاريخ من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر[٢] .

---

(١) نحن نعمل بكل جد واجتهاد من أجل حفظ تراثنا وتاريخنا وموروثنا الحضاري، ولا ندعي الكمال، وأرجو من كل باحث أو قارئ نابه أن يصوب ما أخطأنا فيه، كما أرجو أن يأتي بعدي من يستكمل مالم أدونه أو أطلع عليه، وهذا ما آمله وأتطلع إليه .

(٢) هناك بعض الدراسات والجهود الفردية التي وثقت شيئاً من تاريخ هذه البلاد، لكننا نتطلع إلى أعمال مؤسسية

٢. بلاد السـروات هي الأخرى لا تقل أهمية عن منطقة جازان، وإذا كانت الأرض والسكان في البلاد الجازانية قد حظيت ببعض المؤرخين والعلماء والأدباء في القرون الماضية المتأخرة[١] . فالسروات والسرويون لم يحظوا بهذه المنقبة منذ القرن (٢ - ١٣هـ/ ٨ - ١٩م)، أما القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فقد صدر عنها بعض الكتب والبحوث العلمية المحدودة[٢] . والجميل اليوم أنه يوجد في هذه الأراضي السروية، من الطائف إلى نجران، خمس جامعات حكومية، ويجب على هذه المؤسسات التعليمية أن تستشعر دورها تجاه هذه البلاد وأهلها فتؤسس مراكز بحوث علمية جيدة تقوم على البحث والتوثيق والدراسة والحفظ لتراث وحضارة هذه الأوطان العريقة في تاريخها وتراثها واستيطانها البشري.

٣. القسمان الرابع والخامس بحوث في اللغة والأدب والتاريخ في موضوعات تهامية وسروية . وفيها من التفصيلات والإشارات ما يفتح أبواباً جديدة جديرة بالبحث والدراسة والتحليل. وآمل أن يجد المؤرخون والباحثون بعض النقاط الغامضة أو الناقصة التي تفتح لهم مجالات بحثية جديدة .

٤. لا يخلو كل قسم من اقتراحات وآراء سُجلت على ضوء ما تم رصده وتدوينه، ونأمل من الباحثين الجادين أن يطلعوا على هذه النتائج والتوصيات التي ربما يجدون في بعضها مفاتيح لموضوعات جديدة تستحق الدراسة والتوثيق [٣] .

ومراكز بحوث علمية يكون هدفها التخطيط والدعم لدراسة وحفظ تراث هذه المنطقة في شتى الجوانب السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية والتعليمية والثقافية، والآثارية وغيرها .

(١) من يستقرئ تاريخ وحضارة جازان خلال القرون الأربعة الماضية (ق١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م) فإنه سيجد العديد من الكتب المطبوعة والمخطوطة التي تذكر شيئاً من تراث وحضارة وتاريخ هذه البلاد التهامية .

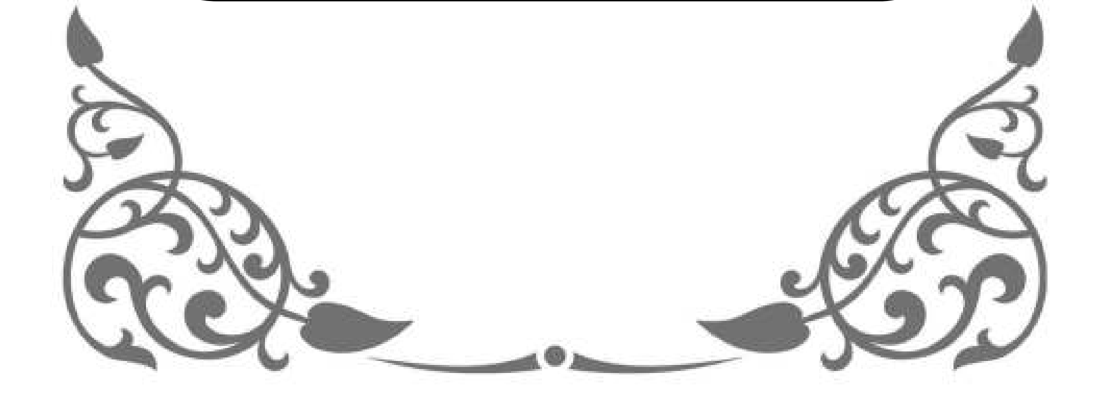
(٢) تأتي بلاد السروات ضمن البلدان الفقيرة في تدوين وتوثيق تاريخها وموروثها الحضاري، وبخاصة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وأوائل الحديثة وربما السبب صعوبة تضاريسها، وعزلة أهلها وانشغالهم بممارسة حياتهم العامة من أجل كسب أقواتهم .

(٣) بلدان جنوب المملكة العربية السعودية: (الطائف، والباحة، وعسير، ونجران، وجازان، والقنفذة، والليث، وسفوح السروات الغربية) ميادين جديدة لمن رغب البحث في تاريخها، وتراثها، وحضارتها، وآثارها، وأنسابها، وتركيبة سكانها الجغرافية. والبشرية . وآمل أن نرى من بناتنا وأبنائنا في برامج الدراسات العليا من يتخذها ميداناً لبحوثهم العلمية.



القسم السابع

ملاحق الكتاب العامة



ملاحق الكتاب العامة

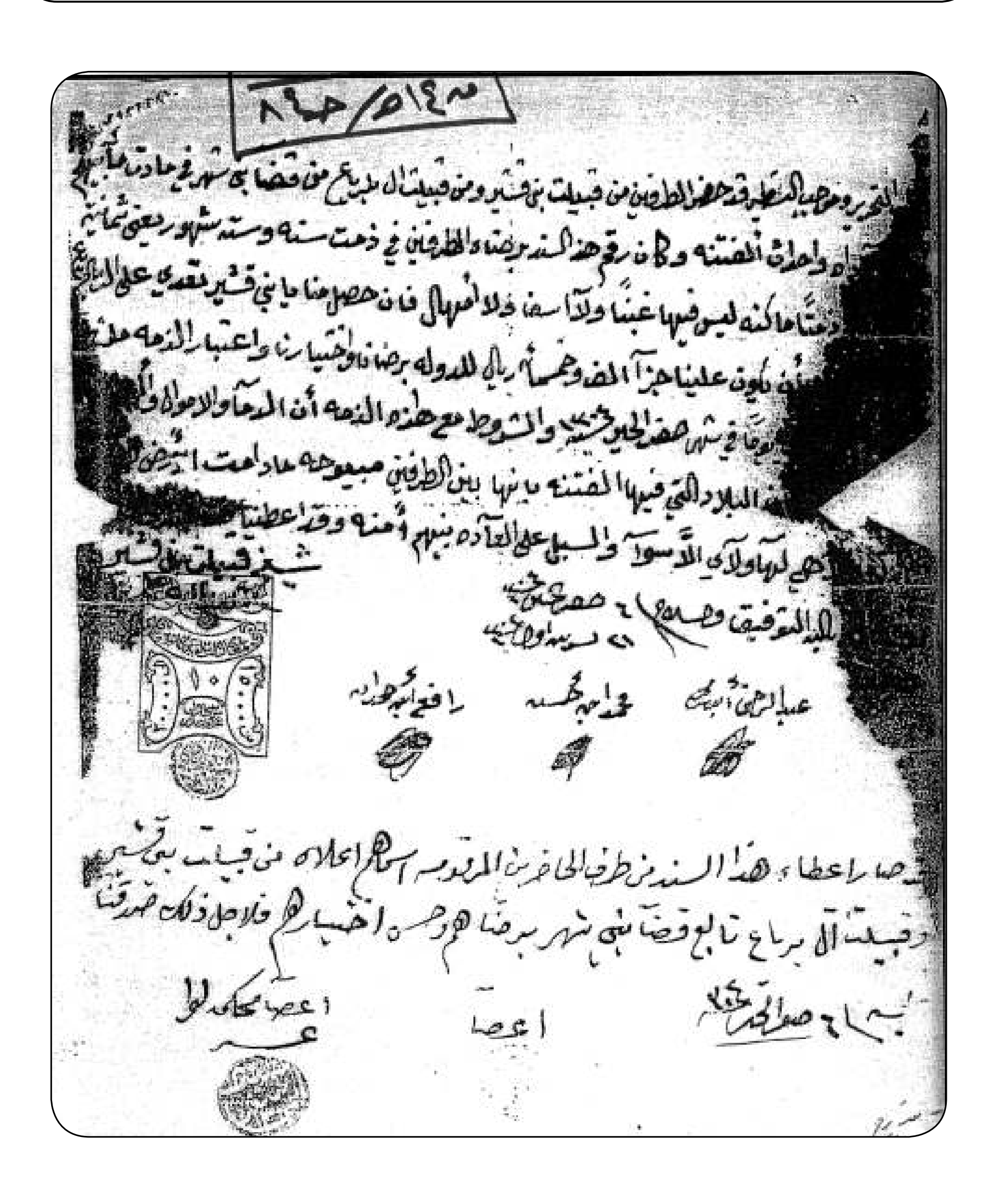
ملحق رقم (١): وثيقة تذكر بعض الضرائب الكثيرة التي فرضتها المتصرفية العثمانية على قبائل رجال ألمع ، وتذمر السكان من تلك الضرائب . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٧١.

ملحق رقم (٢): وثيقة من أهالي سبت بني مالك عسير إلى وكيل لواء متصرف عسير، يطلبون رفع الضرائب المفروضة على سوقهم (السبت). المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص١٧٢.



الى جناب الاجل الاكرم وكيل متصرف لواء عسير محاسبجي افندي دام اقباله

ملحق رقم (٣): وثيقة بتاريخ (١٣٠٤هـ) بين بعض قبائل بني شهر السروية تنص على التزام الجميع بنشر الأمن في بلادهم وحماية الأنفس، والأموال، والطرقات. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٤٨، ص١٧٤ .



١٤٢٥/ ج٨٤

[illegible] الحرر وموجب التسطير قد حضر الطرفين من قبيلة بني قشير ومن قبيلة آل بريج من قضا بني شهر في مادة ما بينهم

من حوادث الفتنه وكان رقم هذا السند برضاء الطرفين في مدة سنه وسته شهور [illegible] ثمانية

[illegible] ما كنه ليس فيها غبنا ولا آسفا ولا اهمال فان حصل منا بني قشير تعدي على [illegible]

أن يكون علينا جزا الف وخمسمائة ريال للدوله برضانا واختيارنا واعتبار الذمه [illegible]

[illegible] في شهر صفر الخير سنه ١٣٠٤ والشروط مع هذه الذمه أن الدما والاموال [illegible]

[illegible] البلاد التي فيها الفتنه ما بينها بين الطرفين [illegible]

[illegible] والسبل على العاده بينهم آمنه وقد اعطينا

شيخ قبيلة بني قشير

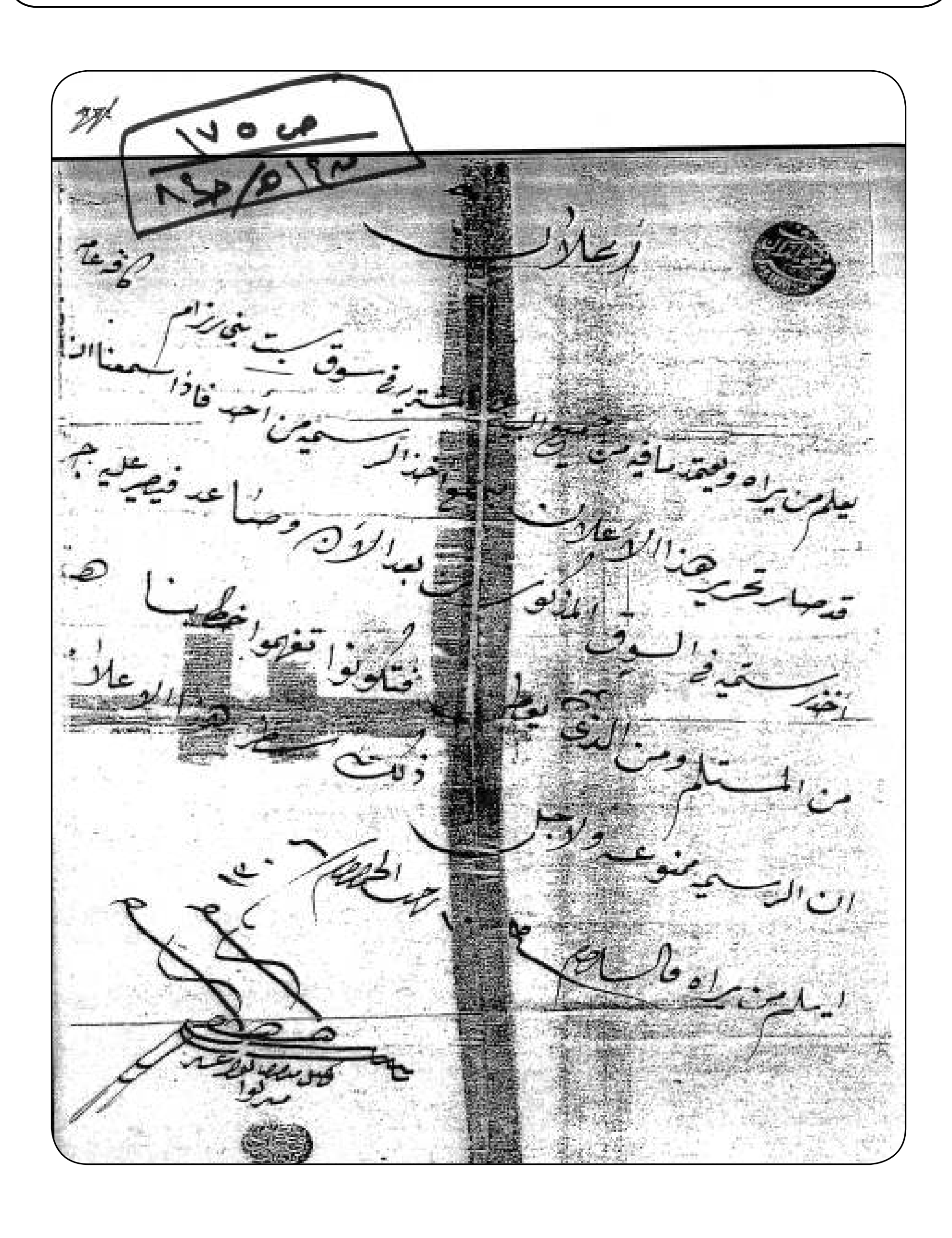
[illegible]

عبد الرحمن [illegible] — محمد [illegible] — رافع [illegible]

[illegible] صار اعطاء هذا السند من طرف الحاضرين المقدم اسمائهم اعلاه من قبيلة بني قشير وقبيلة آل برياح تابع قضا بني شهر برضاهم وحسن اختيارهم فلاجل ذلك [illegible]

[illegible]

ملحق رقم (٤): وثيقة بتاريخ (١٣٠٦هـ) توضح منع متصرفية عسير لجمع الضرائب من سوق سبت بني رزام . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٧٥ .



ص ١٧٥

إعلان

في سوق سبت بني رزام

يعلم من يراه ويعتمد ما فيه من جميع

أخذ الرسمية من أحد فاذا سمعنا

قد صار تحرير هذا الاعلان

المذكور بعد الآن وصاعد فيصير عليه

أخذ رسمية في السوق فتكونوا تفهموا اخطرنا

من المستلم ومن الذي يعطي

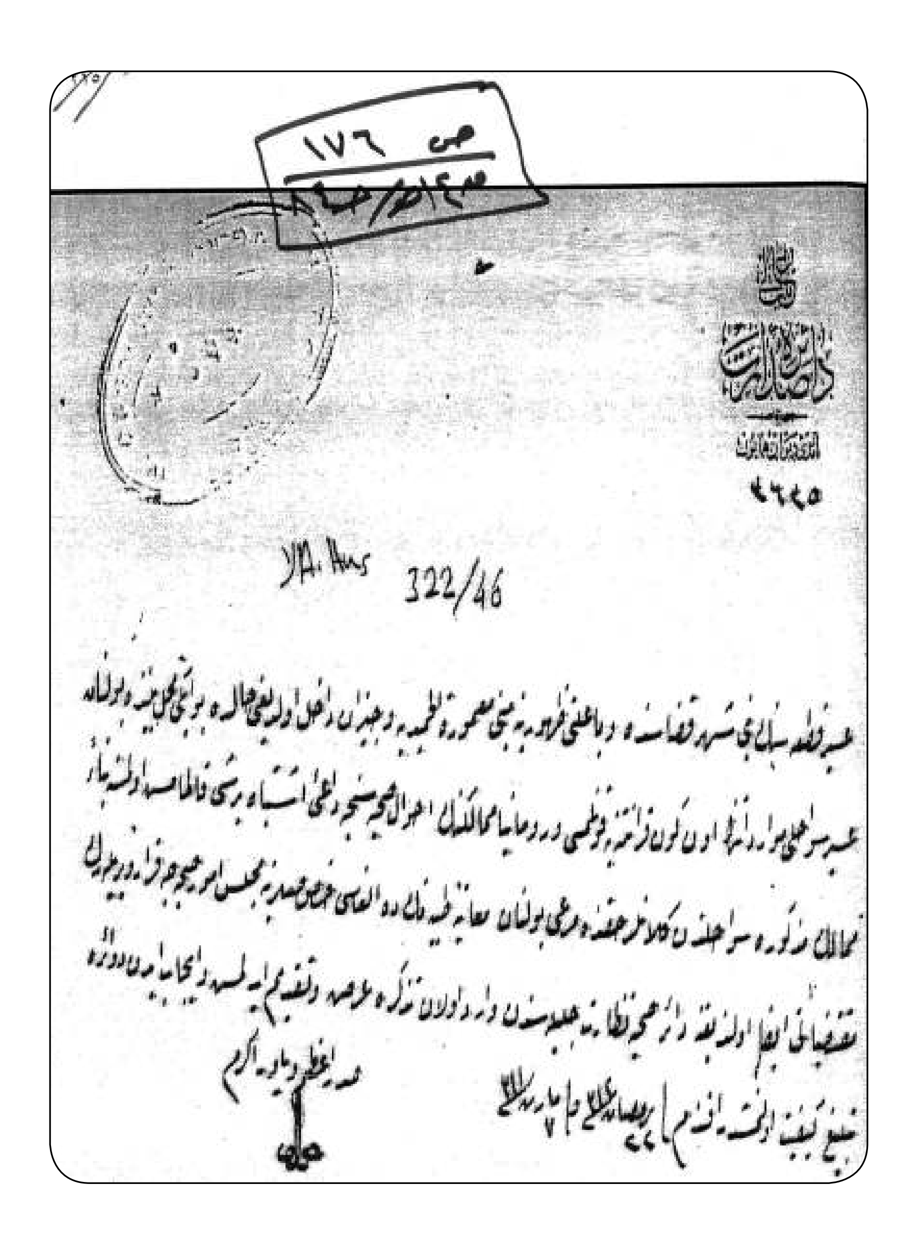
ذلك

ولاجل

ان الرسمية ممنوعه

ليعلم من يراه فالسلام

ملحق رقم (٥): وثيقة بتاريخ (٢٢/رمضان/١٣١٢هـ) تذكر تطبيق الدولة العثمانية للحجر الصحي في الموانئ عند ظهور الأوبئة. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٤، ص ١٧٦-١٧٧.

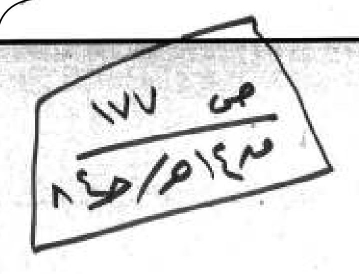


ص ١٧٦

٤٦٢٥

YA. Hus 322/46

تابع : ملحق رقم (٥):



YA. Hus

322/46

الباب العالي

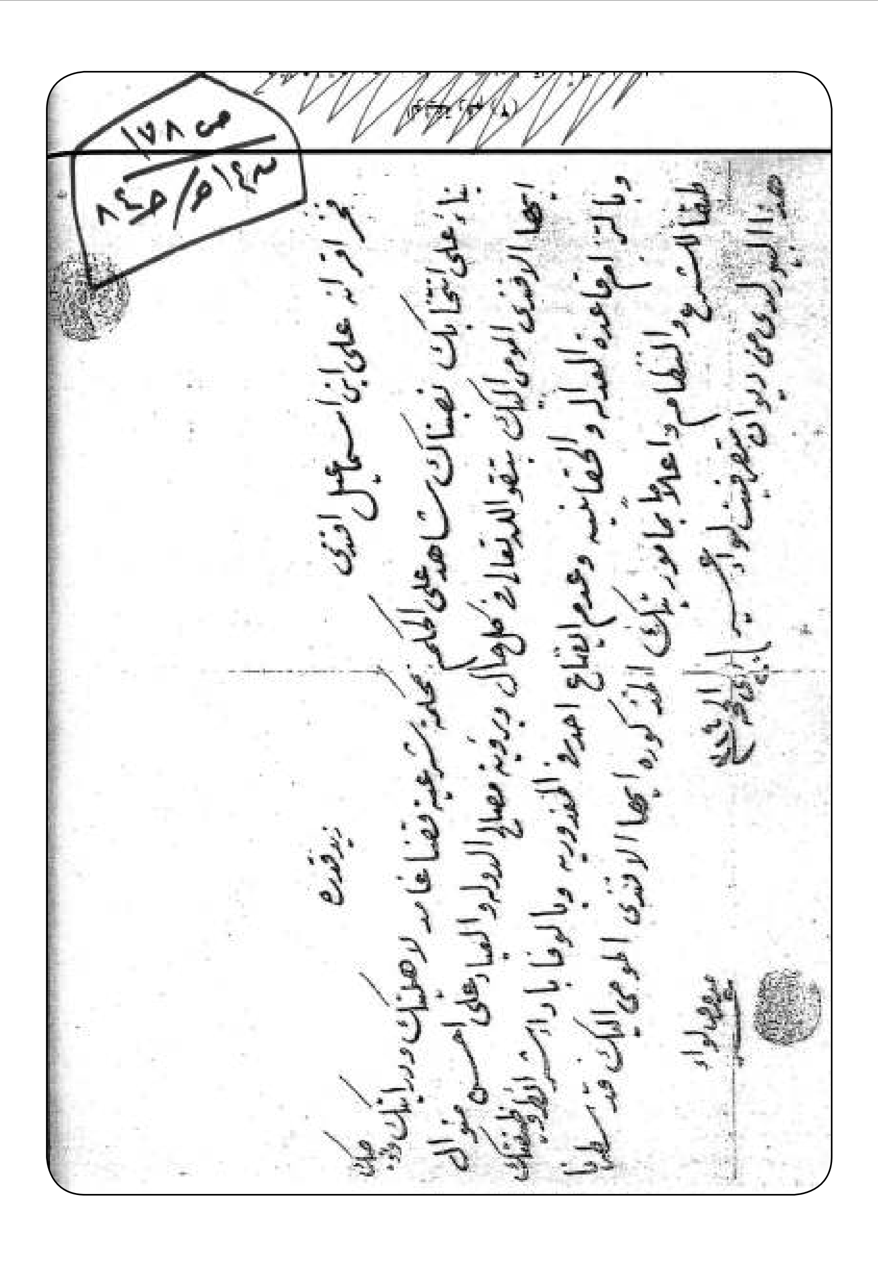
دائرة الصدارة

نظرا لظهور الوباء في قضاء بني شهر التابع لمنطقة عسير فقد قرر مجلس الأمور الصحية تطبيق الحجر الصحي لمدة عشرة أيام على كل مايرد من سواحل عسير بما فيها معمورة الحميدية وما بينهما ،ونظرا لعدم وجود أي داع للاشتباه في الأحوال الصحية في الممالك الرومانية ،قرر مجلس الأمور الصحية الغاء المعاينة الطبية المطبقة على القادمين من سواحل الممالك المذكورة. وتم عرض المذكرة الواردة من وزارة الصحة الجليلة بتنفيذ مقتضياته وأبلغت الدوائر ذات العلاقة بذلك.

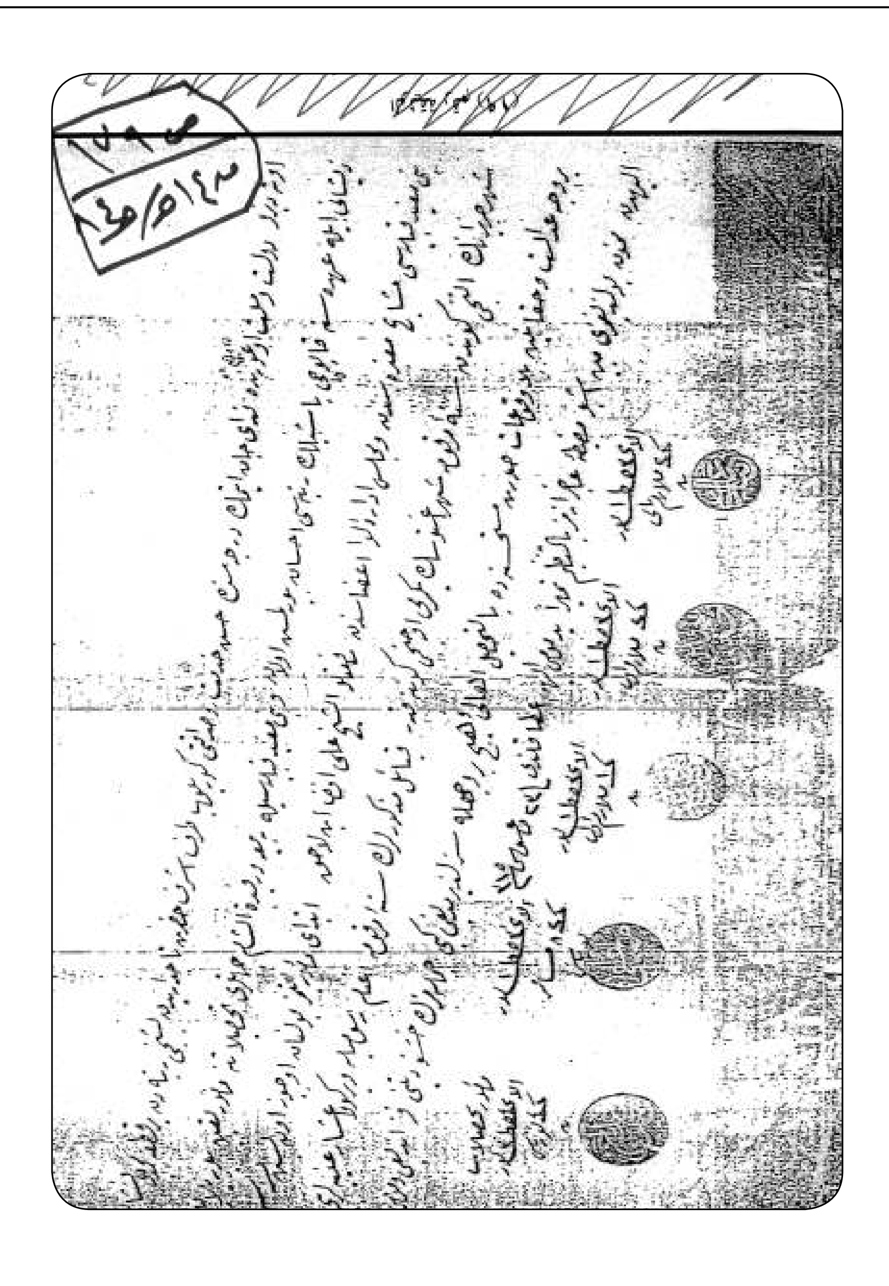
٢٢ رمضان ٣١٢ و٧ مارس ٣١١

الصدر الأعظم والياور الأكرم

ملحق رقم (٦): قرارٍ بتاريخ (١٣١٤/١٢/٢٠هـ) من متصرف لواء عسير يعين فيه علي بن إسماعيل أفندي قاضياً في قضاء غامد. المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٧٨ .



ملحق رقم (٧): خطاب شكر وتقدير بتاريخ (١٣١٥هـ) من بعض مؤسسات الدولة العثمانية إلى علي أفندي لاحق على جهوده التي بذلها في تحصيل الضرائب والرسوم المالية من بعض القبائل العسيرية . المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٧٩- ١٨٠ .

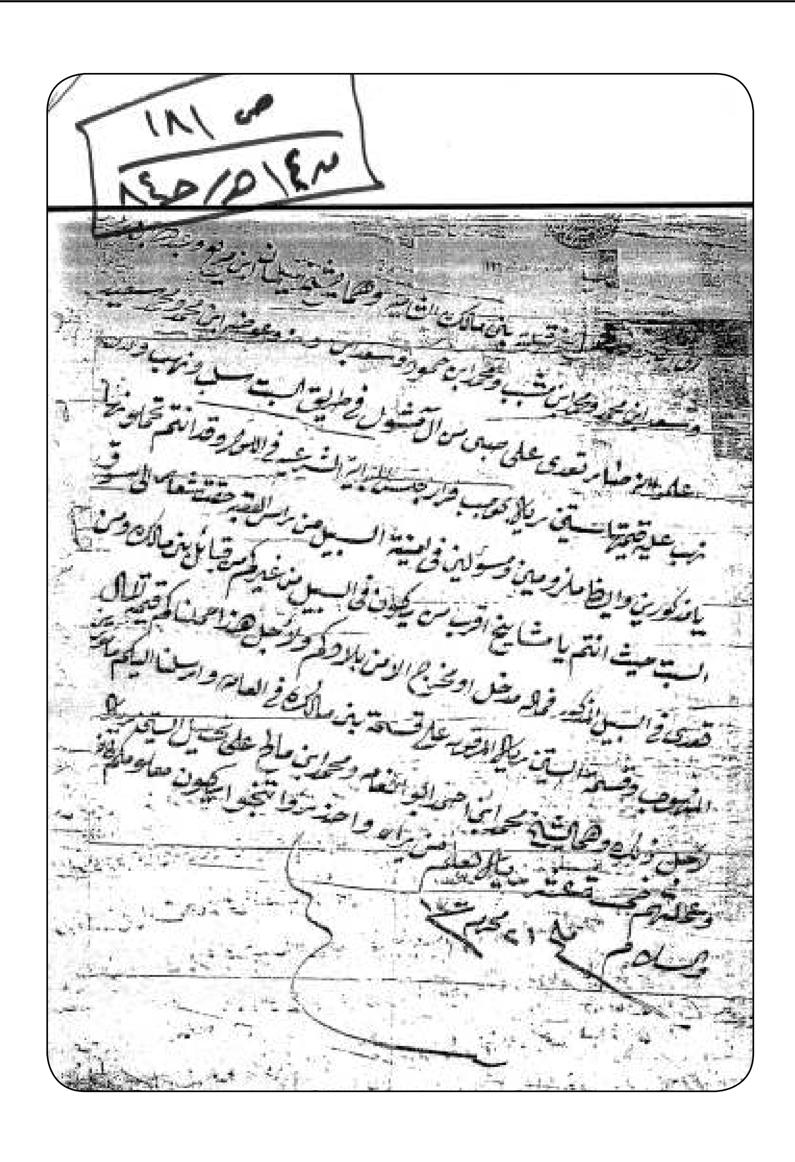


تابع : ملحق رقم (٧) ، (ترجمة الوثيقة):

ص ١٨٠
١٤٣/١/٣٤٢٨

لقد كان علي أفندي بن لاحق متعاون مع الدولة العثمانية والجيش العثماني منذ القدم وقد حصل على الوسام المجيدي من الدرجة الخامسة ووجهت اليه رتبة رئاسة الباب العالي وأنه سبق أنه وجه إلى قبيلة بني مغيد وربيعة ورفيدة الشام لتحصيل الرسوم حيث قام بتحصيل الرسوم من القبائل المذكورة من السادس حزيران وحتى ٢٣ أغسطس من هذا العام ١٣١٥ رومي .

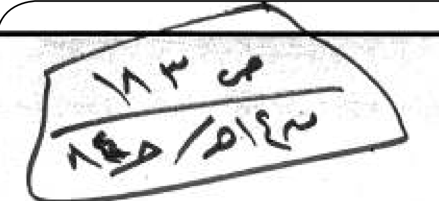
ملحق رقم (٨): وثيقة من متصرفية لواء عسير تنص على معاقبة قبيلة بني مالك عسير وتحميلها مسؤولية السلب والاعتداء على صبي من عشيرة آل مشول أثناء ذهابه في الطريق المؤدية إلى سوق سبت بني رزام. المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٤، ص ١٨١.



ملحق رقم (٩): وثيقة عثمانية تبين القحط والمجاعة في بلاد عسير ، وارتفاع الأسعار ، وتؤكد على سرعة إمداد الأوطان العسيرية بالمؤن والأطعمة. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٨٢-١٨٣.



تابع : ملحق رقم (٩) ، (ترجمة الوثيقة):



YA Res 126/80 b

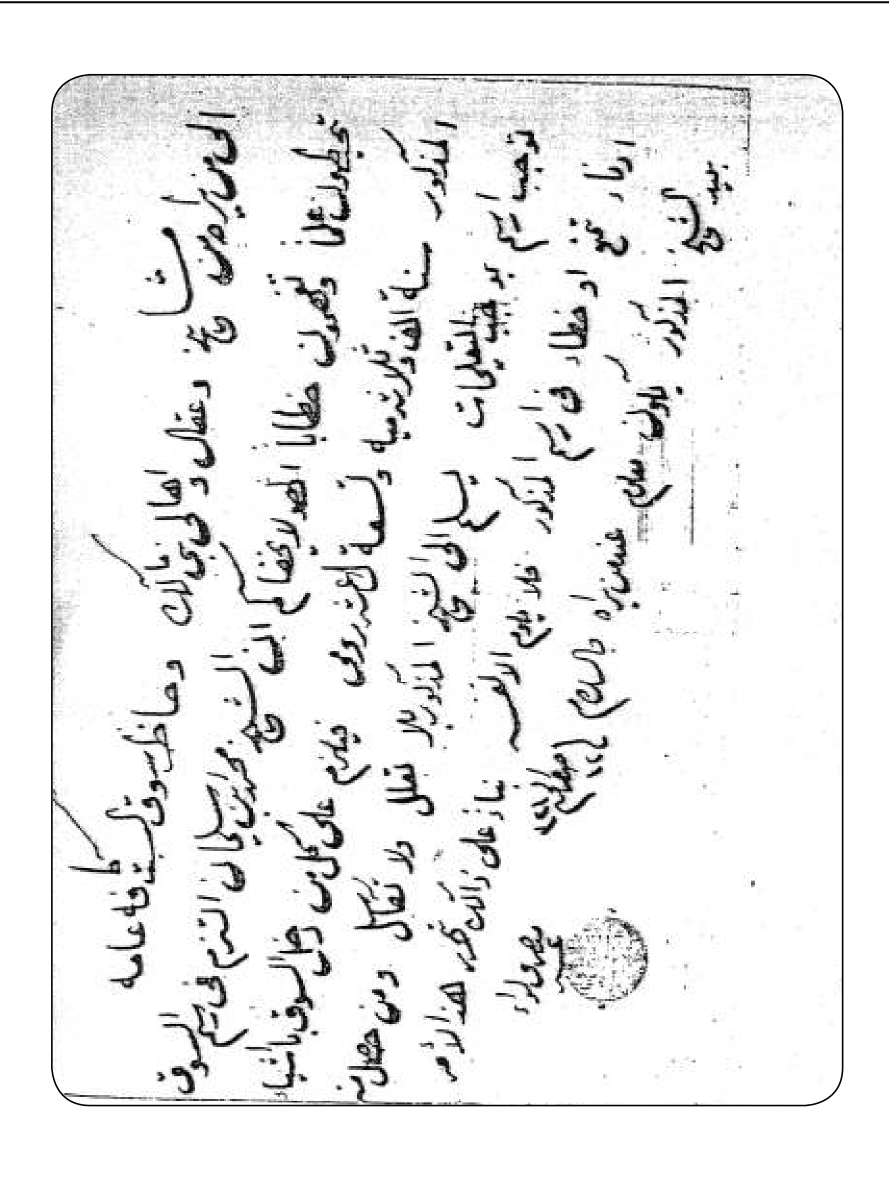
قيادة الجيش

صورة البرقية الواردة من مشيرية الجيش السابع

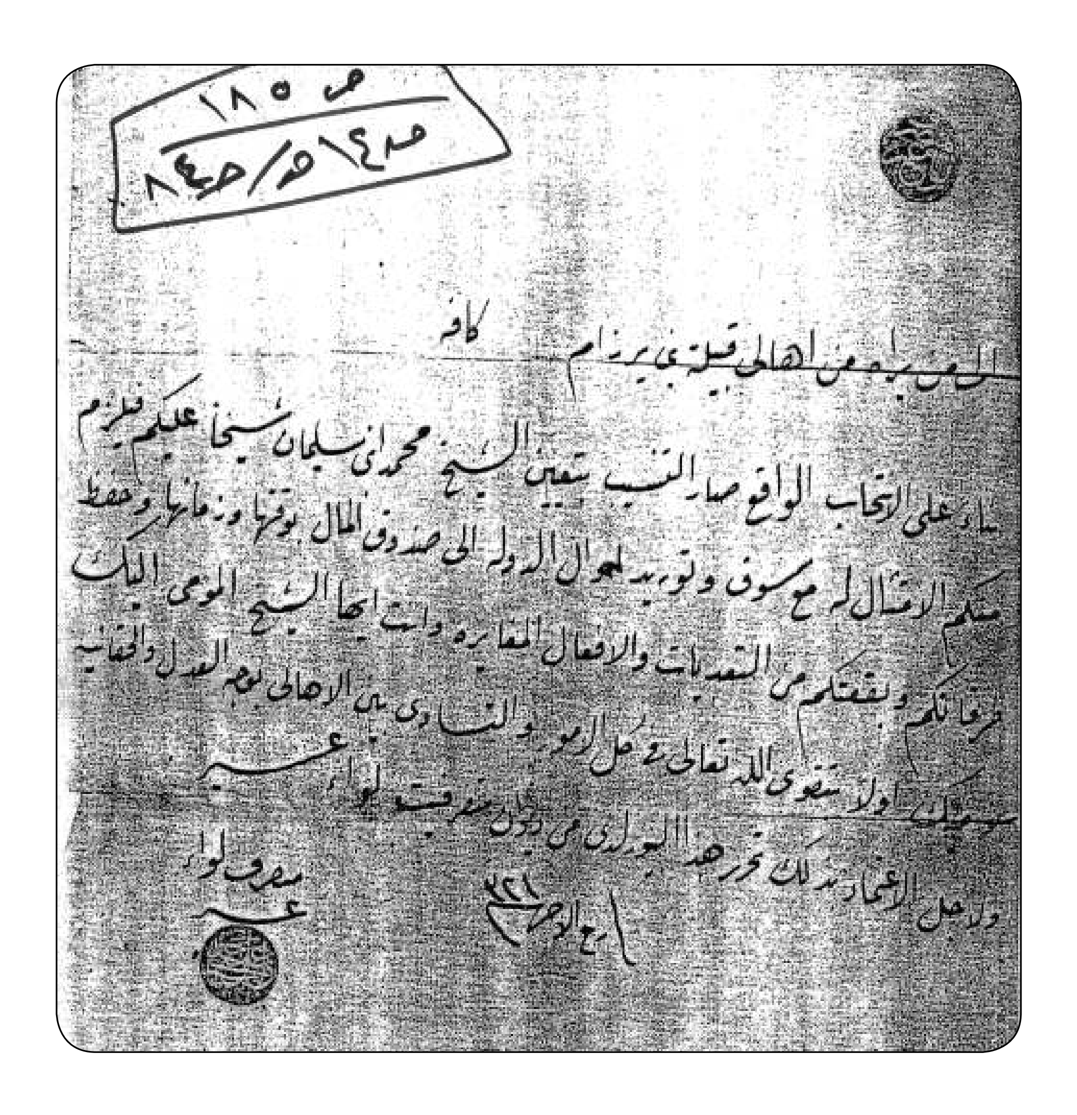
بتاريخ ٦ حزيران ٣٢٠

تبين من البرقية التي تلقيناها الآن أن سبعين ألف قية دقيق ومائة الف قرش المرسلة الى عسير مع المتصرف والقائد الجديد قد تم تقسيمه على المواقع وأن الدقيق الموجود حاليا لايكفي أكثر من عشرة أيام، وأن العسيريون قد وصلوا الى درجة الهلاك والموت بتأثير القحط والغلاء ،وأن تأمين المؤن غير ممكن حتى وإن توفرت النقود،فيتعين شراء المؤن من الخارج. ولعدم وجود امكانية تأمين الأقوات اليومية في حجة وحجور لنفس السبب فقد طلب من آلاتيني بسلانيك ستمائة ألف قيه دقيق على أن يتم تسديد قيمته على اقساط وقد بلغ تأمين أثمانه من قبل دار السعادة وارسال نصفه الى عسير درجة الوجوب . ولم تسفر كل المعروضات الإحتياطية عن أي نتيجة حتى الآن ونظرا لاستبعاد وقوع حالات مؤسفة غير مرضية في عسير وسائر المواقع بتأثير المجاعة والعياذ بالله، فإن المهم الآن عمل مايمكن عمله والإبلاغ بالنتيجة.

ملحق رقم (١٠): وثيقة بتاريخ (١٢/صـفر/١٣٢١هـ) من متصـرف لواء عسير إلى شيوخ وأعيان قبيلة بني مالك عسير، وهي تنص على وجوب أخذ الضريبة من كل من يرتاد سوقهم (السبت) وإرسالها إلى خزينة الدولة العثمانية. المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٤، ص١٨٤.



ملحق رقم (١١): وثيقة بتاريخ (١٣٢١/٥/١هـ) من متصرف لواء عسير إلى أهالي قبيلة بني رزام في عسير يذكرهم باسم شيخهم ، وهو المسؤول عن جمع الضرائب من السوق والأهالي وإرسالها إلى صندوق مال الدولة. ولم ينس شيخ القبيلة أيضاً من النصح والتوجيه .
المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٤٨، ص١٨٥ .



ص ١٨٥
ق١٤هـ/ج٨٤

كافه

الى من يلزم من اهالي قبيلة بني رزام

بنا على الانتخاب الواقع صار التنسيب بتعيين الشيخ محمد ابن سليمان شيخاً عليكم فيلزم

بذلكم الامتثال له مع سوق وتوريد اموال الدولة الى صندوق المال بوقتها وزمانها وحفظ

تملكم ونفسكم من التعديات والافعال المغايره وانت ايها الشيخ الموصى اليك

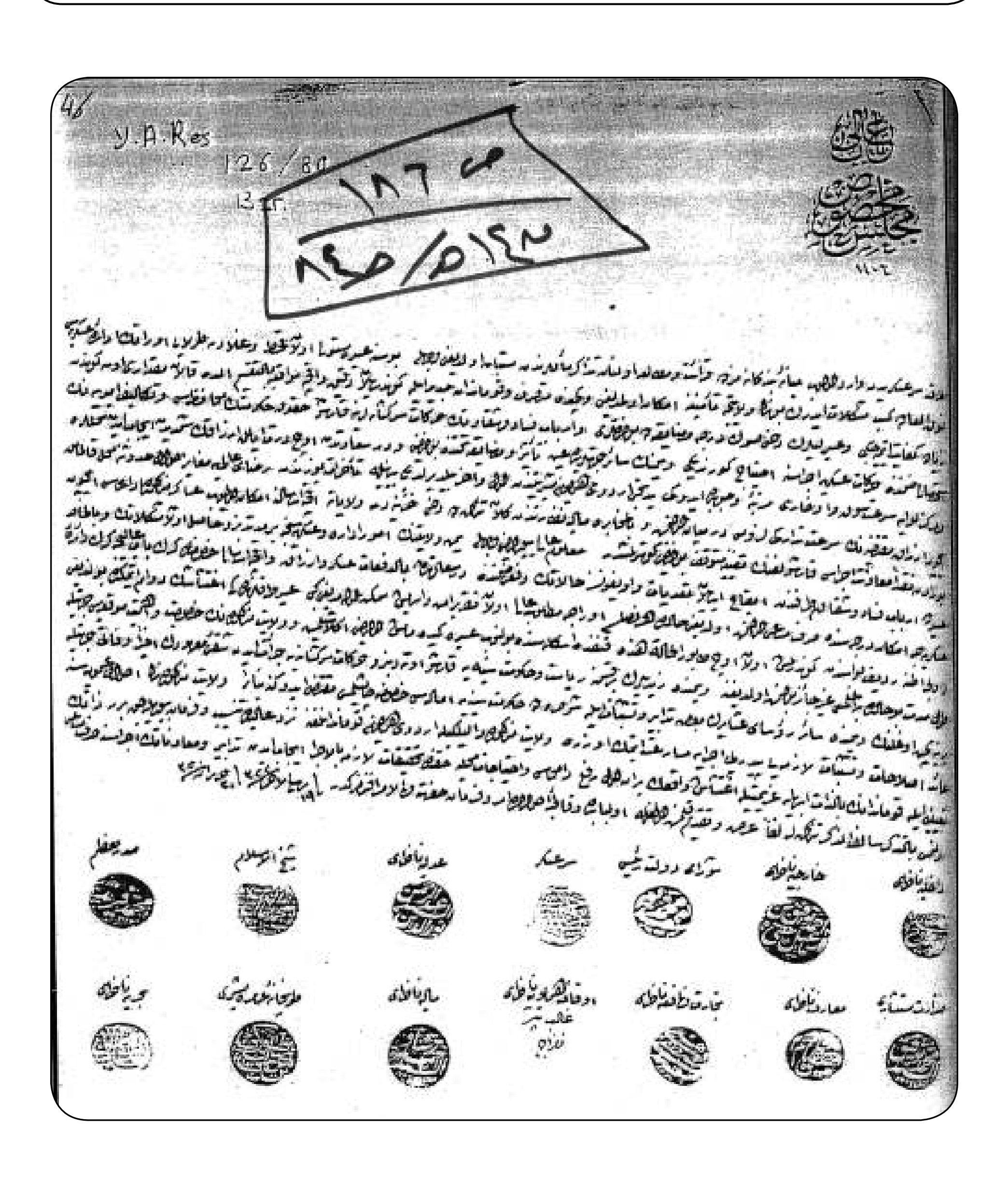
ترعى لكم اولاً بتقوى الله تعالى في كل الامور والتساوي بين الاهالي بوجه العدل والحقانيه

ولاجل الاعتماد بذلك تحرر هذا البيورلدي من ديوان متصرفية لواء عسير

في ٢١ ربيع الاخر ١٣٢١

متصرف لواء عسير

ملحق رقم (١٢): وثيقة عثمانية بتاريخ (١٩/٤/١٣٢٢هـ) توضح ظهور القحط وندرة الأطعمة في بلاد عسير وما جاورها ، وتحث الدولة على الإسراع في احتواء الوضع حتى لا تتدهور الأوضاع السياسية والأمنية في الأوطان العسيرية . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٨٦-١٨٧ .



Y.A.Res

126/80

تابع : ملحق رقم (١٢) ، (ترجمة الوثيقة):

YA. Res 126/80

الباب العالي

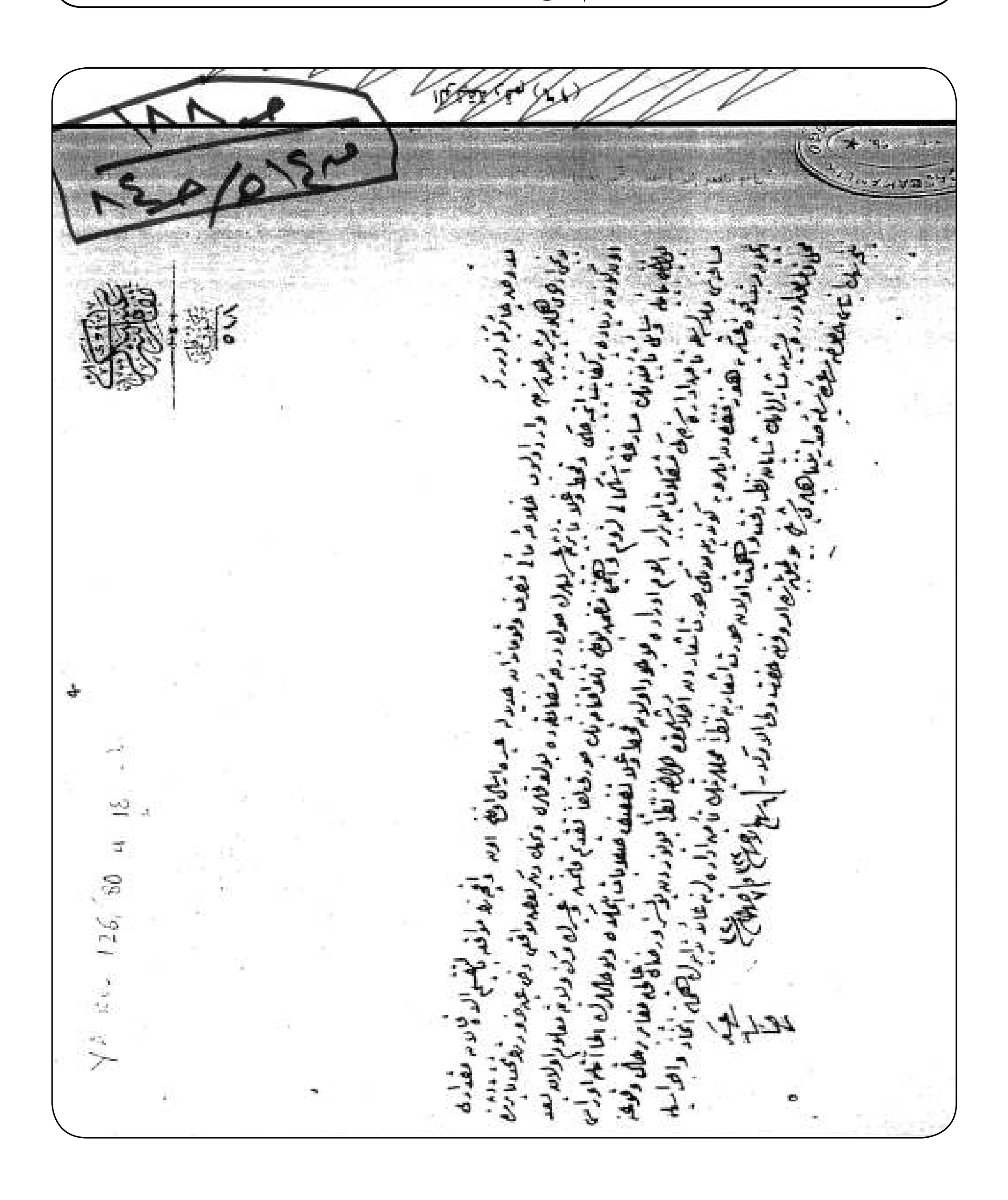
المجلس المخصوص

تبين مما ورد في مذكرة قيادة الجيش التي تليت في مجلسنا، أن القحط والغلاء الذي انتشر هذه السنة في عسير أديا الى وقوع الدائرة العسكرية في مشكلات غير عادية بحيث لايمكن للولاية أن تحتويها، وأن الدقيق والنقد الذي ارسل من المتصرف والقائد الجديد قسم على المواقع وأن الباقي لن يكفي أكثر من عشرة أيام وأن العسيريين متضايقون جدا. وأن هنالك حاجة ماسة لاجراء تحركات عسكرية ضد الحركات التي يقوم بها أرباب الفساد والإجرام ، حماية لحقوق الدولة واستحصالا للتكاليف الأميرية. وأن سائر الجهات في اليمن تتعرض لنفس المضايقات، وأنه يتطلب منذ الآن تأمين مؤن من اسطنبول تكفي لثلاثة أو أربعة شهور وسرعة سوقها الى مركز اللواء وادخارها هنالك وأن تلك الحاجة ماسة وضرورية ، كما ورد في مذكرة وزارة المالية أنه لاإمكانية لإرسال النقود الى الولايات من الخزينة وأن تأمين احتياجات العساكر هناك يتوقف على القيام بالمساعدات وتعيين مايقابلها . وكما هو معلوم بأن المشكلات التي تواجهها امور الإدارة العسكرية منذ مدة ، خاصة وأن الجهود الممكنة بذلت من قبل الباب العالي وكذلك من قبل الدائرة العسكرية لتأمين المؤن والمبالغ التي أرسلتها دار السعادة بهدف دفع التعديات والأحوال غير الصحيحة التي يقوم بها أرباب الفساد والشقاق في عسير ولكن لم يتحقق الأمن المطلوب بحال من الأحوال. وأن أعمال التعديات مستمرة في عسير. وتبين أن الطوابير الثلاثة التي ارسلت من لواء أسنة الإحتياطي والحالة هذه موجودة في ميناء القنفذة ولم تستطع السفر الى عسير . ولخصوصية الولاية وأهمية موقعها، وأن تركها على هذه الحال مدة طويلة أمر غير جائز ، ولوفاة الشقي المعروف الذي ترأس قسما من الزيديين في اليمن وتجرأ على القيام بتحركات ضد الحكومة السنية ،ولضرورة استمالة ابنه الذي تولى مكانه وكذلك استمالة سائر رؤساء العشائر ببعض التدابير والمبادرات ، فإنه يتعين المسارعة في القيام بالإصلاحات اللازمة في اليمن على مراحل . وتعيين مفتشين للولاية المذكورة ولقيادة الجيش الهمايوني وارسال القائد شخصيا الى أبها في أقصر وقت ممكن لاجراء الدراسة عن الاحتياجات المحلية واتخاذ التدابير بشأنها .

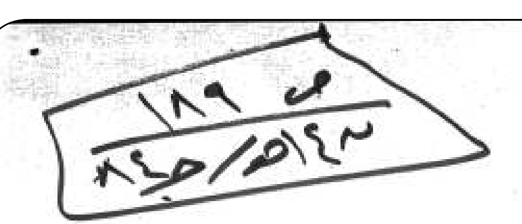
١٩ ربيع الآخر ١٣٢٢ و ٢٠ حزيران ١٣٢٠

تواقيع أعضاء المجلس المخصوص

ملحق رقم (١٣): وثيقة عثمانية بتاريخ (٦/ربيع الآخر/١٣٢٢هـ) من قائد الجيش العثماني في عسير وما جاورها يشرح فيها سوء الأحوال الاقتصادية في البلاد، وصعوبة تضاريسها، وتباعد المسافات بين عسير ومراكز السلطة في الإمبراطورية العثمانية، وينادي بسرعة معالجة الفقر والقحط والمجاعات في الأوطان العسيرية. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٤، ص ١٨٨-١٨٩.



تابع : ملحق رقم (١٣) ، (ترحمة الوثيقة):



YA Res 126/80 a:18 -b-

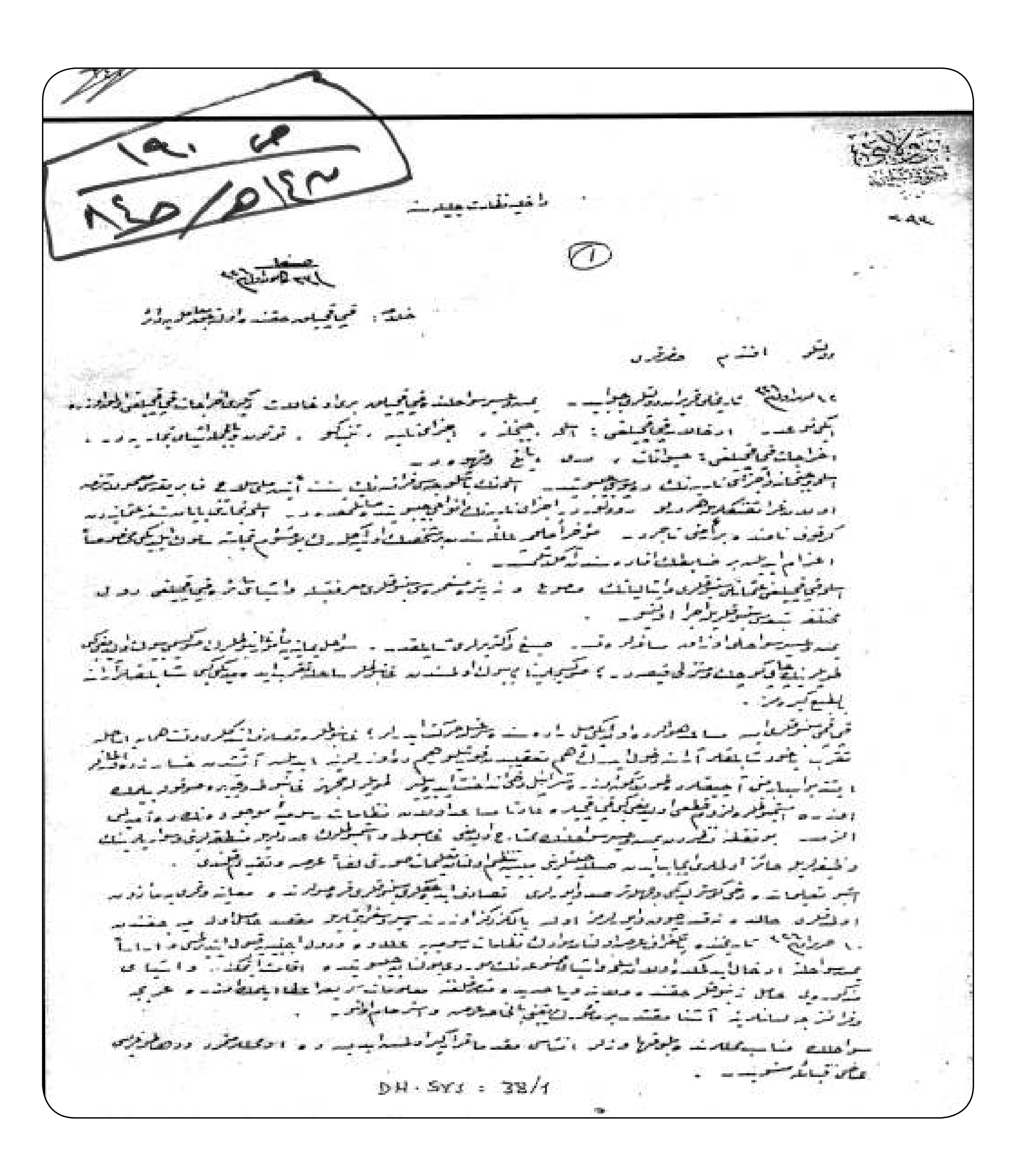
قيادة الجيش

لقا تم تقديم صورة البرقية الواردة من مشيرية الجيش السابع وخلاصتها أن الدقيق والنقد الذي أرسل الى عسير مع المتصرف والقائد الجديد تم تقسيمه على المواقع.وأن الذي بقي لايكفي أكثر من عشرة أيام وأن العسيرين في ضيق شديد بسبب القحط والغلاء.وأن بعض المواقع الأخرى في اليمن تعاني من الوضع ذاته ، وأنه يتعين المسارعة الى تأمين الاحتياجات. وفهم من صورة البرقية أيضا أن تأمين احتياجات عسير يصادف كثيرا من المشكلات بسبب بعد المسافة بينها وبين مركز الولاية بالإضافة الى أن القحط والغلاء يضاعفان من الصعوبات وقد منعت هذه الأحوال من ارسال القوة العسكرية المتوجهة الى هناك من التقدم الى مابعد القنفذةونظرا لأهمية مأشارت اليه تلك المشيرية لمنع وقوع مايغاير الرضا العالي فإنه يرجى الأمر السامي باتخاذ التدابير الفورية لتأمين الاحتياجات هناك والإبلاغ بالنتيجة. والأمر لحضرة ولي الأمر. ٦ ربيع الآخر ٣٢٢ و٧ حزيران ٣٢٠

قائد الجيش

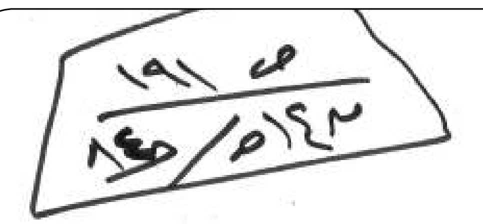
رضا

ملحق رقم (١٤): وثيقة عثمانية في عام (١٣٢٦هـ) من والي اليمن إلى وزير الداخلية يذكر فيها استيراد وتصدير سلع عديدة في موانئ اليمن وعسير. ويحث التصدي لهذه التجارة المشبوهة التي تُمارس من خلال التهريب. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٤، ص ١٩٠-١٩١.



DH . SYS : 38/1

تابع : ملحق رقم (١٤) ، (ترجمة الوثيقة):



نوع الوثيقة : داخلية سياسية

رقمها : ٣٨/١

تاريخها : ٢٣ ديسمبر ١٣٢٦ رومي

محل وجودها : الأرشيف العثماني باستانبول

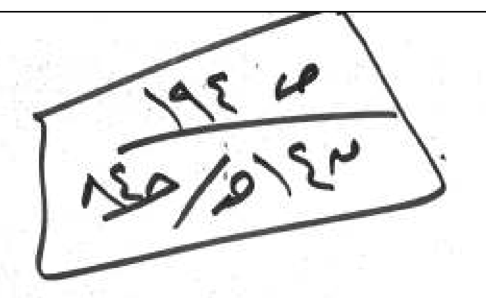
مذكرة جوابية بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٣٢٦ رومي من والي اليمن الى وزارة الداخلية في تهريب الأسلحة والمواد الممنوعة في سواحل اليمن وعسير. وذكر الوالي في مذكرته أن التهريب في هذه السواحل على قسمين: تهريب استيرادي وتهريب تصديري وقال ان المهربين يستوردون الأسلحة والذخائر الحربية ، والمواد النارية ، والتبغ ، والدخان ، وجميع السلع التجارية بينما يصدرون الحيوانات ، والجلود ، والسمن ، والقهوة . كما ذكر الوالي الأماكن الرئيسية لتهريب هذه المواد وما يجب اتخاذه من تدابير للحيلولة دون ذلك .

ملحق رقم (١٥): وثيقة عثمانية بتاريخ (٢٥/صفر/١٣٢٩هـ) . من وزارة البحرية إلى وزارة الداخلية وتشير إلى رصد السفن العثمانية للبواخر الأجنبية في السواحل اليمنية ومنعها من التجارة في تهريب الأسلحة والمواد الممنوعة. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٩٣-١٩٤ .

ص ١٩٣

DH.SYS 38/2

تابع : ملحق رقم (١٥) ، (ترجمة الوثيقة):



نوع الوثيقة : داخلية سياسية

رقمها : ٣٨/٢

تاريخها : ٢٥ صفر ١٣٢٩ هـ

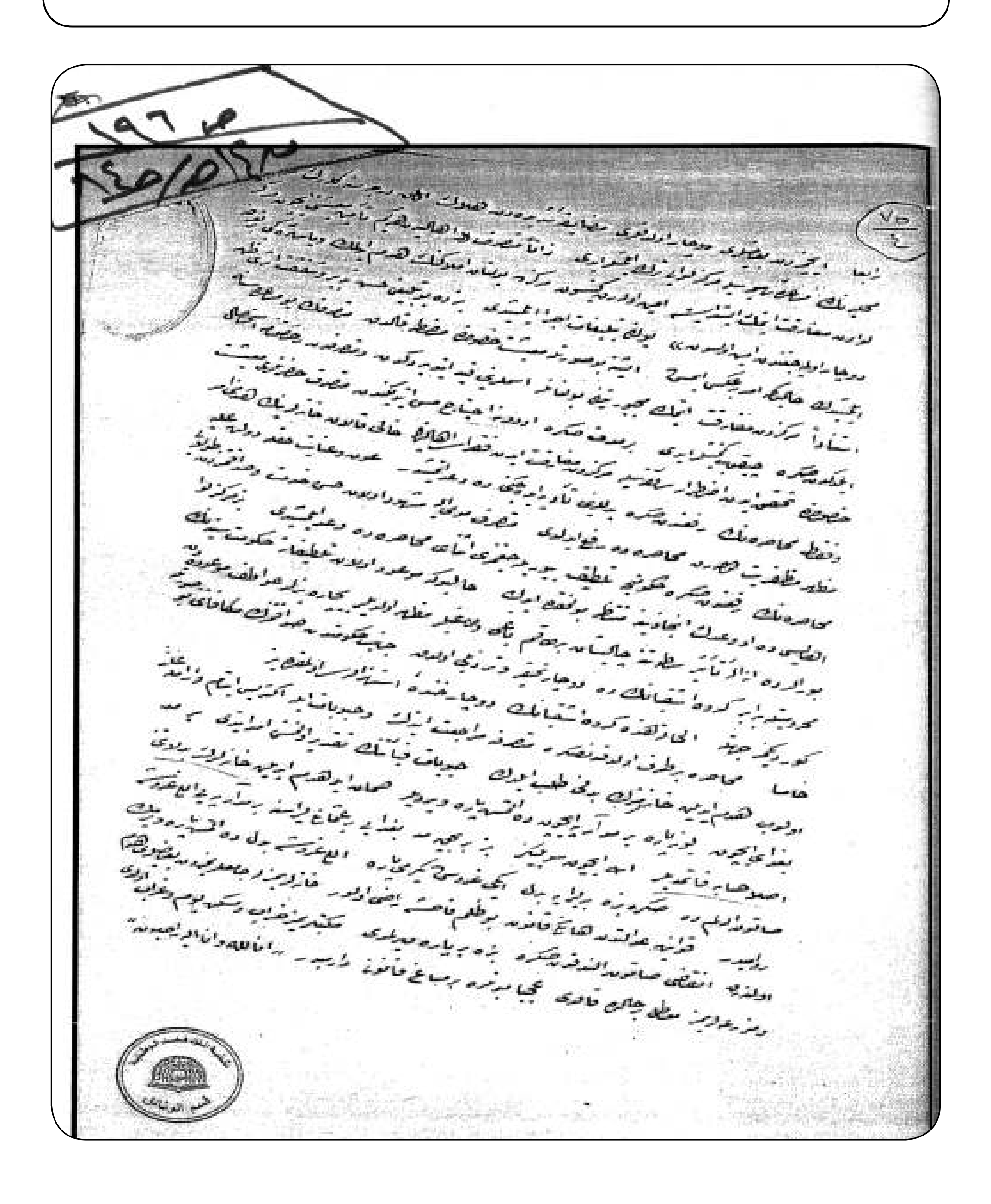
محل وجودها : الأرشيف العثماني باستانبول

مذكرة بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٢٩ هـ من وزارة البحرية الى وزارة الداخلية ردا على مذكرتها المؤرخة ٥ فبراير ١٣٢٦ رومي في ترصد السفن العثمانية في السواحل اليمنية للبواخر الأجنبية لتجارية فيها منعا لتهريب الأسلحة والمواد الممنوعة .

ملحق رقم (١٦): وثيقة محلية بتاريخ (٢٦/٤/١٣٣٠هـ) من أعيان وشـيوخ مدينة أبها إلى القيـادة الحربية العليا في الدولة العثمانية وفيها يذكرون جور وظلم متصـرف لواء عسـير (سـليمان شفيق باشا) لهم ، أثناء محاصـرة الإدريسي لأبها ، ويطلبون العدل والإنصاف ورفع الظلم عنهم .. المصـدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص ١٩٥ـ ١٩٩.



تابع : ملحق رقم (١٦) ، (ترجمة الوثيقة):



تابع : ملحق رقم (١٦) ، (ترجمة الوثيقة):

تابع : ملحق رقم (١٦) ، (ترجمة الوثيقة):



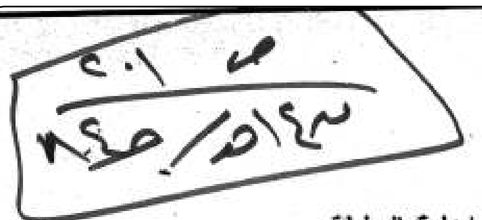
تابع : ملحق رقم (١٦) ، (ترحمة الوثيقة):



ملحق رقم (١٧): وثيقة عثمانية بتاريخ (١٣٣١/١٢/١٥هـ) من مستشار الصدر الأعظم إلى وزير الداخلية تشير إلى تحويل بعض الأموال عن طريق مصر إلى متصرف لواء عسير ، ولو جرى تحويلها مباشرة إلى عسير ففي ذلك خسارة في نسبة الصرف . المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٤، ص٢٠٠-٢٠١ .



تابع : ملحق رقم (١٧) ، (ترجمة الوثيقة):



الباب العالي

دائرة الصدارة

الى وزارة الداخلية الجليلة

حول ارسال عشرة آلاف ليرة الى عسير

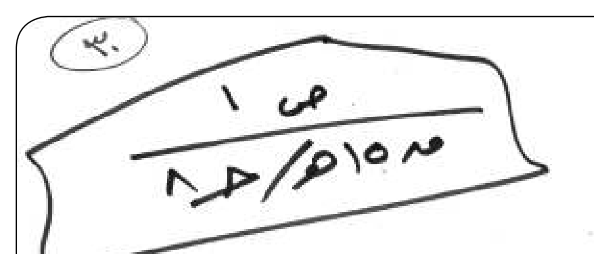
جواب المذكرة العلية رقم ١٣٥٤ وتاريخ ٩ تشرين الأول ٣٢٩.

أبلغت وزارة المالية الجليلة بأنه بناء على ماورد من وزارة الحربية الجليلة من أن تحويل الليرة الى ريال في عسير يؤدي الى الخسارة وأنه يتعين تحويل عشرة آلاف ليرة الى ريالات في مصر وارسالها الى محي الدين بك قائد عسير بوساطة كوميسيرية مصر ،فقد تم ارسال المبلغ المذكور مع بوليصة برقية البنك العثماني بتاريخ ٢٤ تشرين الأول الى الكوميسيرية المشار اليها ،وأن المبلغ أخذ من البنك وأوصل الى محي الدين بك.وتم ابلاغ وزارة الحربية بذلك. ١٥ ذي الحجة ٣٣١ و٢ تشرين الثاني ٣٢٩

عن الصدر الأعظم

المستشار

ملحق رقم (١٨): مذكرة بتاريخ يوم السبت (١٤٣٩/٦/٢٩هـ) ، وهي وقفة مع نفسي آخر يوم في عملي بجامعة الملك خالد . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١) ، ج٨، ص ١-٥ .

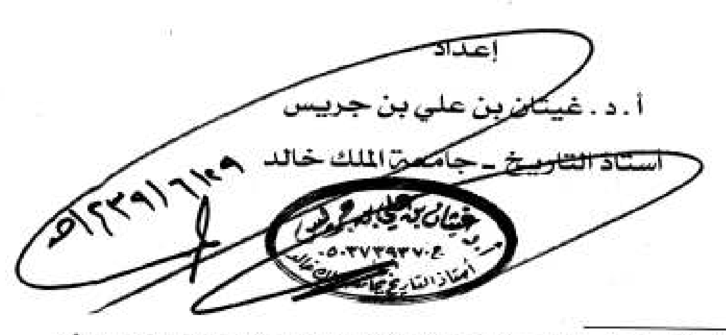


وقفة مع نفسي آخر يوم في عملي الرسمي بجامعة الملك خالد يوم السبت (١٤٣٩/٦/٢٩هـ/الموافق ١٧/مارس/٢٠١٨م)(*)

إعداد

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد



(*) هذه الوقفة هي تجارب قليلة رأيت تدوينها للتاريخ والعبرة . والقول إن الدنيا دار فناء ، والعاقل من اعتبر واجتهد وجاهد

تابع : ملحق رقم (١٨):



وقفه مع نفسي آخر يوم في عملي الرسمي بالجامعة يوم السبت (١٤٣٩/٦/٢٩هـ/١٧/مارس/٢٠١٨م)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ولدت في بلدة والدتي رحمة بنت محمد بن سعيد العمري، قرية آل مقبول من بلاد بني عمرو منطقة عسير ، عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وبقيت في حضانتها حوالي خمس سنوات ، ثم انتقلت إلى قرية آل رزيق ، وهي بلدة والدي علي بن عبدالله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الأزدي ، في عشيرة بني جبير الشهرية ، وقضيت مراحل تعليمي الأدبي في بلدة النماص ، حاضرة سروات بني شهر ، حتى تخرجت في الثانوية العامة عام (١٣٩٦- ١٤٠٠هـ/١٩٧٦- ١٩٨٠م) ، ثم واصلت دراستي الجامعية في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها ، وتخرجت فيها عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، بعدها تعينت معيداً في قسم التاريخ ، ثم ذهبت لدراسة الماجستير في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدأت دراسة اللغة في مدينة أوستن تكساس (Austin Texas)، ثم انتقلت بعد عامين إلى جامعة إنديانا بيلومنجتون (Bloomington) ، وحصلت على الماجستير عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ثم عدت إلى أبها وعملت في التدريس عامي (١٤٠٥-١٤٠٧هـ/١٩٨٥-١٩٨٧م) ، ثم ذهبت إلى جامعة مانشستر (University of Manchester) في بريطانيا ، وحصلت على الدكتوراه في نهاية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، وعدت إلى كلية التربية في أبها ، وعملت في التدريس ورئاسة قسم التاريخ سنوات عديدة ، وحصلت على الأستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، وهكذا استمرت بي الحال في فرع جامعة الملك سعود بأبها حتى عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ثم انتقلت إلى جامعة الملك خالد في

-٢-

تابع : ملحق رقم (١٨):

ص ٣
٢٨/٥/١٥٨

المدينة نفسها حتى أحلتُ على التقاعد في (١٤٣٩/٧/١هـ الموافق ١٨/ مارس/٢٠١٨م) .

إنها رحلة طويلة عشتها منذ ولادتي عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) إلى عام (١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م) ؛ أي ستون عاماً من العمر تقلبت بنا الحياة يميناً ويساراً ، ومنّ الله علينا بهبات وأرزاق لا تعد ولا تحصى ، فلله الحمد والفضل والمنة . إنها ستة عقود خالطت فيها آلاف البشر من جنسيات عديدة ، وسافرت إلى بلدان ومواطن كثيرة ومتنوعة في جغرافيتها وتاريخها وسكانها، إنها فترة زمنية بدأت بالطفولة ، ثم بداية الشباب وزهرته حتى سن الشيخوخة . والآن والحمد لله دخلت العقد السابع من عمري والحمد لله أتمتع بذاكرة حسنة، وأمارس حياتي بشكل جيد ، وهذا من فضل الله عليّ ، فلا أقول إلا الحمد لله رب العالمين على ما أنعم به علينا من نعم كثيرة . إنها سنوات طويلة فقد سافرت وتعلمت، ورحلت، وناقشت، وشاهدت ، وكسبت علوماً وخبرات ومعارف كثيرة .

بعد هذا العمر الطويل والحمد لله . أسأل الله ـ عز وجل ـ حسن العمل وحسن الخاتمة، وأذكر بعض النتائج والنصائح والرؤى في النقاط الآتية :

١ـ أن هذه الدنيا دار رحيل لا دار بقاء ، وخلقنا الله عز وجل لنعيش عيشة الخائفين من عقوبة رب العالمين ، الراجين رحمته وعفوه وغفرانه .

٢ـ يجب على كل فرد أن يحرص على التقى والصلاح في أعماله الظاهرة والباطنة ، وأن يكون ليناً سهلاً متواضعاً رحيماً في تعاملاته العامة والخاصة ، وأن يحرص على كسب رزقه من سبل الحلال ، ويبتعد عن أي رزق أو عمل فيه شبهة ، أو ريب.

٣ـ يتذكر الإنسان كيف كان في طفولته وصباه ، فربما كان طائشاً ، أو مندفعاً، أو متجاوزاً في بعض سلوكياته أو أعماله ، أو مقصراً في عباداته وما بينه وبين خالقه ، ثم منّ الله عليه بطول العمر حتى أصبح راشداً عاقلاً ؛ فهو يزن الأمور ، ويتريث في كل تصرفاته وأقواله والواجب عليه أن يسلك الطريق القويم والمستقيم في كل أعماله ، وهذا فضل من الله عز وجل على هذا العبد الذي مر في هذه المراحل العمرية المختلفة

١٤٣٩/٦/٢٩

ـ ٣ ـ

تابع : ملحق رقم (١٨):

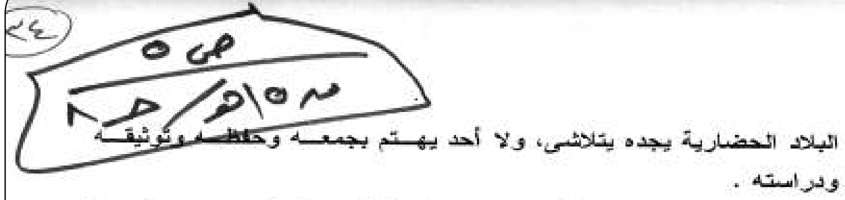
٤- ينظر الواحد في أهل عصره من الزملاء والإخوان والأقارب وغيرهم الذين عرفهم خلال سنوات عمره، التي تجاوزت العقود الستة،فمنهم الذي اختطفه الموت بطرائق متعددة ، ومنهم المريض المقعد، أو المريض الذي فقد أحد أطرافه أو عقله، ومنهم الذي تولاه الشيطان، فسار في طرق الشر والحرام، ومنهم الذين عاشوا حياة الأسوياء المستقيمين ، وهذا التنوع وتلك المآلات يستخلص منها الإنسان دروساً وعبراً كثيرة .

٥- شاهد الإنسان أنواعاً من الناس ، فمنهم أصدقاء المنفعة وأصحابها، وعندما تنتهي المصلحة الوقتية تراهم يتنكرون لمن عاصرهم وعاشرهم وجالسهم وأحسن إليهم . وهناك أناس — لكنهم قليل — يعيشون لمبادئهم الصادقة الواضحة التي لا تتغير مهما واجههم من النكبات أو التبدلات ، وهذه سنة الحياة ، فالناس ليسوا سواسية في أخلاقهم وسلوكهم ومبادئهم وتربيتهم .

٦- أن الجانب الاقتصادي يؤثر في الناس كثيراً ، فهناك أناس كانوا فقراء ثم أغناهم الله فتغيروا في أخلاقهم وتصرفاتهم ، وهناك أناس بقوا على قيمهم الأولى، وهذا النوع قليل، فالمشاهد أحوال بلدنا خلال الخمسين سنة الماضية يجد أن هناك أسراً وأفراداً في الماضي كانوا أصحاب الحل والعقد في بلادهم ، ثم جاء غيرهم ، وهم أقل منهم ، لكنهم حصلوا على المال والثراء ، فأصبحوا هم الآمرين الناهين في أقوامهم ومجتمعاتهم ، وأولئك الأوائل انكفؤوا على أنفسهم، وأصبحوا يعيشون في عزلة أو وضع متواضع خلاف ما كانوا يعيش أسلافهم .

٧- تحسنت أحوال الناس الاقتصادية خلال الأربعة عقود الماضية ، ومن ثم دخل إلى حياتهم كثير من المتغيرات في عاداتهم ، وتقاليدهم ، وألبستهم وأعرافهم ولغاتهم ولهجاتهم، وتعاملاتهم العامة والخاصة، ومنها الشيء الكثير السلبي، ومازال هناك بعض القيم والمبادئ الإيجابية لكنها قد تنقرض مع مرور الزمن، وانفتاح العالم بعضه على بعض . والناظر في موروث

تابع : ملحق رقم (١٨):



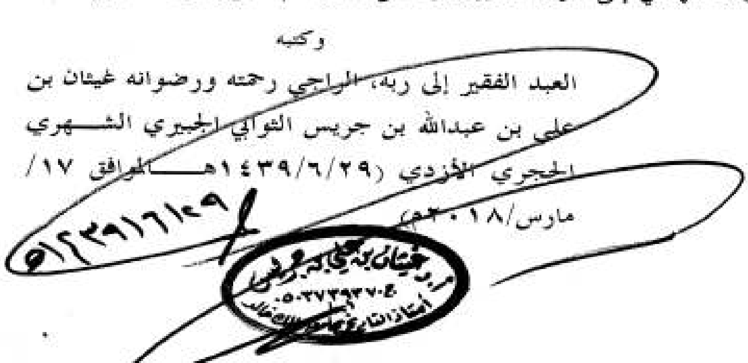
البلاد الحضارية يجده يتلاشى، ولا أحد يهتم بجمعه وحفظه وتوثيقه ودراسته .

٨- نشاهد مستوى العلم والثقافة يركز على الكم أكثر من الكيف ، ومن ثم لا نرى حباً كبيراً لخدمة العلم والمعرفة من أجل الفائدة العامة، وإنما أصبح ميدان العلم والمعرفة محكوماً بأهواء وتأثيرات مادية ومعنوية .

٩- الملاحظ على صلات الناس بعضهم ببعض وتعاونهم وتقاربهم من باب الحب في الله، والخوف من الله أصبح قليلاً مقارنة بالماضي، وهذه المتغيرات ناتجة عن تقارب أجزاء العالم بعضها من بعض، ثم تداخل كثير من الثقافات والمعارف، التي جاءت مع الإعلام الذي يسود الكرة الأرضية، وأيضاً انفتاح الدنيا على الناس ، وكثرة الفتن والرزايا التي يعيشها العالم اليوم.

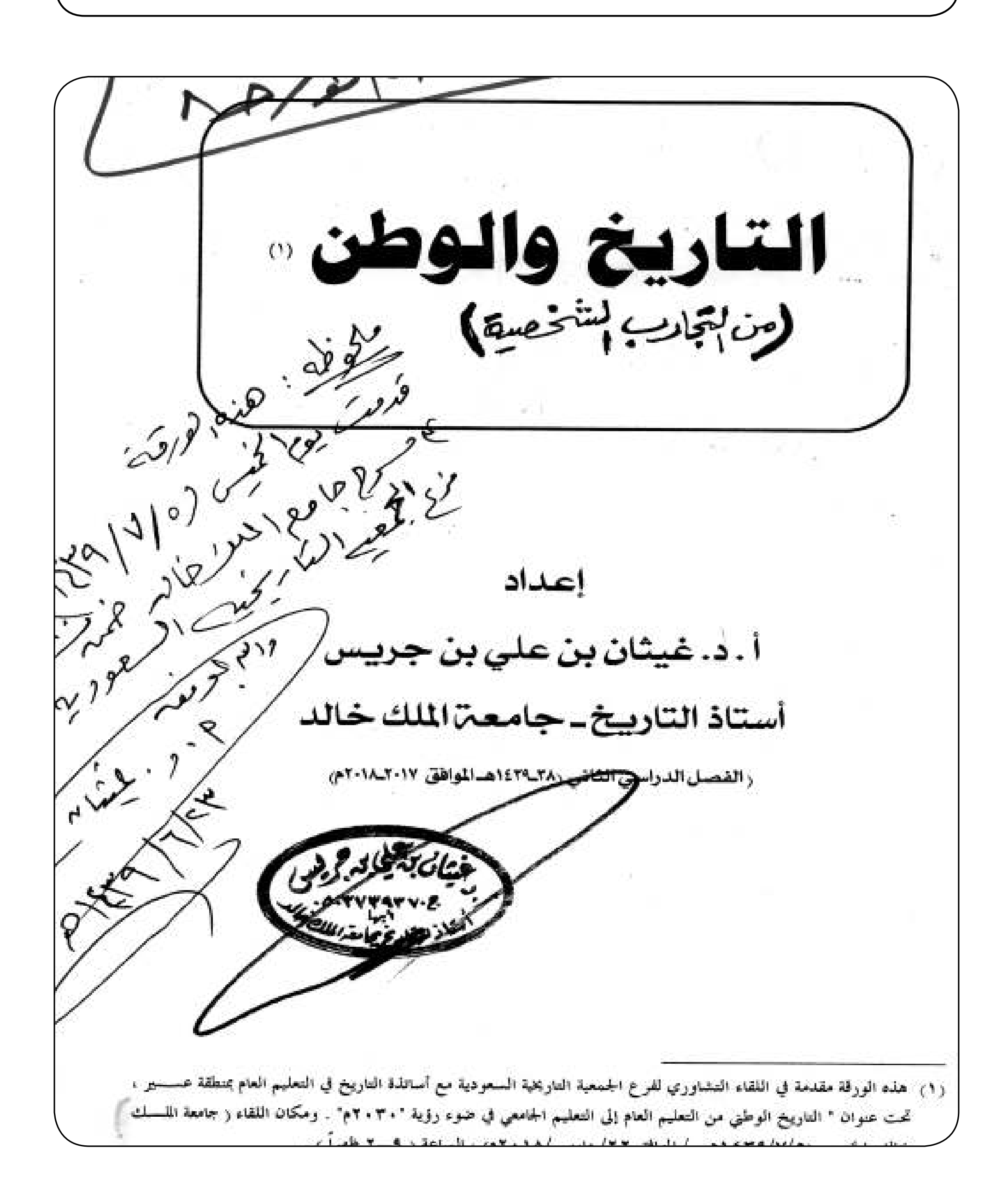
١٠- في الختام: أقول إنه لا يعيش الفرد سعيداً مطمئناً إلا بالرجوع إلى ما أمر الله به في كتبه ، وما جاء به الرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ ومن يعارض هذه السنن،أو يحاول الخروج عما ذكرت، ورسمت للإنسان فإنه ـ بلاشك ـ سوف يكون تعيساً مضطرباً مهزوزاً في حياته العامة والخاصة .
والله الهادي إلى سواء السبيل. وصلى الله وسلم على رسوله الكريم .

وكتبه



العبد الفقير إلى ربه، الراجي رحمته ورضوانه غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس التوابي الجبيري الشهري الحجري الأزدي (١٤٣٩/٦/٢٩هـ الموافق ١٧/ مارس/٢٠١٨م)

ملحق رقم (١٩): مذكرة بتاريخ (١٤٣٩/٧/٥هـ) بعنوان : التاريخ والوطن (من التجارب الشخصية) . المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م)، ج٨، ص ٦ – ١٣ .



التاريخ والوطن [1]

(من التجارب الشخصية)

إعداد

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

(الفصل الدراسي الثاني ١٤٣٨-١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧-٢٠١٨م)

(١) هذه الورقة مقدمة في اللقاء التشاوري لفرع الجمعية التاريخية السعودية مع أساتذة التاريخ في التعليم العام بمنطقة عسير ، تحت عنوان " التاريخ الوطني من التعليم العام إلى التعليم الجامعي في ضوء رؤية "٢٠٣٠م" . ومكان اللقاء (جامعة الملك

تابع : ملحق رقم (١٩):

لن نفصل الحديث في معنى الوطن والتاريخ ، لأن هناك عشرات المؤلفات والعلماء الذين أسهموا في الحديث عن هذين المصطلحين، ولا يمكن دراسة التاريخ أو تدريسه بدون وطن جرت على أرضه وبين سكانه أحداث التاريخ السياسي والحضاري . وفي هذه الورقة ومع معاشر أساتذة التاريخ في التعليم أود أن أذكر عدداً من النقاط التي تدور في فلك بعض أهداف التاريخ و ما يتعلق بكيفية تدريسه ، ثم الإشارة إلى بعض الخطوات العملية التي عشتها مع الوطن تاريخاً وهوية خلال خمسين عاماً مضت .

أولاً: أقول إن التاريخ درس للوطن والوطنية التي تقوم على فهم الحاضر والمشاركة في خصائصه عن طريق المعرفة والإسهام في تطويره ورُقيّه ، ودراسة تُكسب القدرة على مواجهة المواقف الجديدة. ويجب أن نكون أساتذة مربين في فهمنا وتدريسنا للتاريخ ، وألا يكون هم الواحد منا ملء فراغ في معلوماتنا التاريخية ، فالمربي أستاذ التاريخ معاً ، يكون هدفه إيضاح حقيقة تاريخية غير معروفة ، أو تصحيح حقيقة تاريخية خاطئة . ويجب على معلم التاريخ أن يعطي المعلومات التاريخية الصحيحة ، وألا يُغْفِل الجانب الأخلاقي، وأن يعمل جاهداً على هدم المفاهيم الخاطئة وتقويض الأفكار السلبية التي ترسبت في الأذهان من عصور سابقة ، ويسعى إلى استبدالها بقيم تربوية جديدة وسليمة تعطي الطالب قدراً كبيراً من المشاركة التي تنمي شخصيته المستقلة ، وتساعده على مواجهة المشكلات وإيجاد الحلول لها ، كما يجب على أساتذة التاريخ أن يحرصوا على تقديم الزاد المعرفي إلى طلابهم، إلى جانب الإدراك بأن التعليم في جوهره ليس الحصول على الشهادات ، والتخرج في مرحلة معينة ، بل هو عملية إعداد الفرد إعداداً يمكّنه من التفاعل مع المجتمع فيفيد ويستفيد، وبقدر ما يكون نمو الأفراد صالحاً وسوياً يكون تقدم الوطن وازدهاره .

ثانياً: صاحبتُ علم التاريخ منذ كنت طالباً في المرحلة المتوسطة قبل خمسين عاماً ، وأحببت هذا المجال بفضل الأستاذ إسماعيل الفلسطيني الذي كان ينتقل بنا في رياض الأحداث التاريخية العربية والإسلامية بأسلوب جيد ، جرب فيه طرائق عديدة لكي نفهم ما يقول ونتعلم دروساً وعبراً ساعدت في بناء شخصيتنا الفكرية [illegible] الأخلاقية .

تابع : ملحق رقم (١٩):

...ع جامعة الملك سعود بأبها ، وأصبحت معيداً ، وبعد عشر سنوات أخرى صرت أستاذاً في قسم التاريخ بأبها حتى وقتنا الحاضر .

ثالثاً: في هذه الرحلة الطويلة عشت للتاريخ ومع التاريخ دراسة وتدريساً وبحثاً ، وعرفت أهمية هذا العلم، الذي يرى كثيراً من الناس بأنه علم يهتم بالماضي ، ولا فائدة منه، وهو عكس ذلك تماماً . فالتاريخ أساس العلوم ، ولا نستطيع معرفة أي مجال أو ميدان إلا بمعرفة مراحله التاريخية ، وقد شاهدت مؤسسات التعليم العالية في الغرب أثناء دراسة مرحلتي الماجستير والدكتوراه كيف يولون علم التاريخ أهمية كبرى في بناء دولهم وحضاراتهم . ومن يطلع على مئات المصادر والمراجع عندهم يجدها مليئة بالتفصيلات التاريخية التي اعتمدوا عليها في توسيع مستعمراتهم ومحاربة العقائد والشعوب التي لا تتفق معهم .

رابعاً: قضيت الثلاثين عاماً الأخيرة (١٤٠٩-١٤٣٩هـ /١٩٨٩-٢٠١٨م) في التعامل مع التاريخ مدرساً ، ومشرفاً ، ورحالاً ، وباحثاً، وخرجت بالعديد من الرؤى والنتائج والتوصيات التاريخية والوطنية في هذه العقود الثلاثة ، **وأذكر بعضاً منها في الفقرات التالية :**

١- تخرج آلاف الطلاب من أقسام التاريخ في جنوب البلاد السعودية ، وأنتم من أولئك المتخرجين ، ثم انخرطوا في خدمة دينهم ووطنهم وذلك بالعمل في ميدان التعليم وغيره . وما من شك فيه أنكم أسهمتم في حضارة هذه البلاد العربية الإسلامية ، لكن يجب على كل واحد منا أن يسأل نفسه ، ماذا قدم في رحلته التعليمية والعملية لخدمة التاريخ والحضارة التي تعود بالفائدة الإيجابية على هذا الوطن المعطاء . ؟ نعم إن وطننا وولاة امره قدموا لنا الشيء الكثير ، وعلينا أن نبادر إلى رد الجميل لوطننا وأهلنا . لقد قمت بعشرات الرحلات في عموم بلاد تهامة والسراة وفي أجزاء من المملكة العربية السعودية والتقيت بالعديد من أساتذة التاريخ [illegible] وجدت الكثير منهم في مراكز القيادة ومن القدوات الحسنة في أعمالهم ، لكنني لم أجد أحداً اهتم بمجال تخصص التاريخ ، مع أن بعضهم يعيش في قرى وبلدات ومدن لها تاريخ وحضارة عريقة ، وإذا [illegible] لا يُجمع بعض

تابع : ملحق رقم (١٩):

غير مقنعة ؟.

٢ـ جميعكم يدرك تاريخ هذه البلاد كيف كانت خلال القرون الإسلامية الوسيطة إلى عهد قريب ، فلم تكن موحدة ، وكان أهلها يعيشون في فقر وخوف وصراعات مستمرة، ثم جاء مؤسس هذه الدولة ، الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله). فوحد أرضها وشعبها حتى صاروا أمة واحدة دستورها القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم سعى هذا الملك الموفق وأبناؤه من بعده على تنمية البلاد وتطويرها في شتى المجالات ، حتى أصبحت اليوم في مصاف الدولة المتطورة . هذا التاريخ ندرسه وندرسه بشكل عام في مدارسنا وجامعاتنا ، لكننا لا نستشعر الجهد والمعاناة التي بذلها الأوائل في حفظ الدين والبلاد، وهذا دورنا نحن أساتذة التاريخ أن نجتهد وندرس ونجمع تراث أمتنا ثم نحفظه حتى ينتقل إلى أجيالنا القادمة .

٣ـ أرجو من الجميع ألا نكون تقليديين في تدريس طلابنا ، وأن نطلعهم على بعض الموروث الحضاري الموجود في بلادنا والمتمثل في التاريخ المادي . ومن يتجول في أرجاء مناطق عسير، وجازان ، ونجران والباحة ، والطائف وغيرها من بلاد المملكة العربية السعودية فإنه يشاهد القرى القديمة ومرافقها ، ويلحظ الكثير من المخطوطات والوثائق الموجودة عند بعض الأسر والبيوتات العلمية القديمة ، وكذلك الأدوات الحضارية القديمة في ميادين الصيد ، والرعي ، والزراعة ، والتجارة ، والتعليم والكتاتيب وغيرها . والوعي بأهمية هذا الموروث ثم حفظه ودراسته يدل على وعي الفرد والمجتمع بمجالات خدمة الدين والوطن .

٤ـ أنتم يا معاشر المعلمين تعملون في نواح عديدة في هذا الجنوب السعودي ، وإذا سألكم أحد عن تاريخ البلاد التي تعيشون فيها تقولون : لا نعلم ، وربما يقول بعضكم ليس لها تاريخ وحضارة . وهذا كلام غير صحيح ، وكنت أقول مثل قولكم قبل ثلاثين عاماً ؛ لكن بعد أن تجولت في أرجاء هذه الأوطان الجنوبية، واطلعت على بعض نقوشها ورسوماتها الصخرية ، وجمعت الكثير من مخطوطاتها ووثائقها ، وقابلت بعض أعلامها ووجهائها والمسنين فيها وسمعت بعض رواياتهم وأخبارهم عن [illegible] أن زرت

تابع : ملحق رقم (١٩):

معاشر الأساتذة والباحثين في علوم التاريخ والحضارة بأننا لم نسع ونجتهد في معرفة تراثها وتاريخها السياسي والإداري والحضاري . وأقول من على هذا المنبر: إن عليكم يا أساتذة التاريخ في التعليم العام ، ويا أساتذة التاريخ في التعليم العالي مسؤولية كبيرة تجاه أهلكم وبلادكم ؛ فاعملوا على جمع موروثها وحفظه ودراسته إذا أمكن ، أو دفعه إلى من يدرسه ويحفظه .

٥- نحن اليوم على مشارف العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين ، ونرى عالم النت والتقنية يكتسح المجتمعات أفراداً وجماعات ، وفي هذا العالم من الإيجابيات الشيء الكثير، لكن معظم الناس يسخرونها في إهدار الأوقات وفيما لا يفيد . وعلم التاريخ يعتمد أساساً على مصادر رئيسية مثل الوثيقة ، والمذكرة ، والمخطوطة ، والرواية الشفاهية وغيرها ، وسوف يأتي اليوم الذي تفقد فيه هذه المصادر ، ومن ثم يدون التاريخ من مصادر ضعيفة وواهية . والواجب علينا يا أساتذة التاريخ أن ننتبه لهذا الأمر فنسجل أخبارنا ورواياتنا وأحداثنا . وأقول لكم هذا القول من واقع التجربة فمنذ عشر سنوات وأنا أريد تدوين تاريخ رواد التعليم في بلاد تهامة والسراة ، وأيضاً تاريخ التعليم العالي في هذه البلاد، وقد زرت كثيراً من الإدارات المسؤولة فلم أجد عندهم من السجلات والأوراق والمدونات الموثوقة ما يفيد ، و لم أجد من يتعاون معي من المعلمين القدماء الذين عاصروا التعليم العام والعالي منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبذلت جهوداً مع بعض المدرسين الأوائل ليكتبوا لنا بعض المدونات عن تجاربهم في التعليم ، وكل هذه الجهود باءت بالفشل ، فأرجو منكم جميعاً أن لا تتصفوا بهذه الصفات الآنف ذكرها، ودونوا مذكراتكم وخبراتكم التي عشتموها في الميدان .

٦- أبنائي وإخواني أساتذة التاريخ في التعليم العام والعالي في منطقة عسير اعلموا أن هذه البلاد الجنوبية السعودية ، والمسماة أيضاً (بلاد تهامة والسراة) ذات تاريخ عريق وقديم ، فقد استوطنتها أمم من قبلكم ، ومن قبل الإسلام بآلاف السنين ، واستمرت مأهولة بالسكان عبر عصور التاريخ القديم الإسلامي المبكر والوسيط [illegible] المعاصر، وفيها

تابع : ملحق رقم (١٩):

حضارة ؛ فالواجب أن نعمل ونجتهد على جمع تاريخ هذه البلاد ودراسته وحفظه ؛ كما يجب علينا أن ننشر الوعي والثقافة بين أبنائنا وبناتنا وأسرنا وأفراد مجتمعنا . واليوم والحمد لله نشاهد في هذا الجزء العربي السعودي الأصيل ست جامعات فيها العديد من الأساتذة والأقسام الأكاديمية ، والواجب على هذه المؤسسات الأكاديمية أن تستشعر مسؤولياتها تجاه أرض هذه الأوطان وسكانها ، فتؤسس مراكز بحوث جيدة ، وتستقطب لها أساتذة مميزين في تخصصاتهم وعلومهم ، كما يجب عليها أن تشجع أساتذتها على دراسة ما يخدم تاريخ هذه البلاد وحضارتها . وعلينا أيضاً يا معاشر أساتذة التاريخ أن نحمل هم خدمة بلادنا وأهلنا من خلال مهنة التدريس والبحوث ، واللقاءات ، والندوات العلمية والاجتماعية وغيرها .

٧ـ إنني أشكر فرع الجمعية التاريخية السعودية في عسير الذي سعى جاهداً إلى جمعنا بطلابنا وإخواننا وأحبابنا الذين عرفناهم على مقاعد الدراسة في جامعات الجنوب السعودي وغيرها من قبل عشرين أو ثلاثين عاماً ، وهذا ـ وأيم الله ـ فائدة عظيمة أن نلتقي في معاقل جامعة الملك خالد اليوم وندرس ونتدارس ما يصب في خدمة بلادنا وتاريخنا وحضارتنا ، ونتطلع إلى لقاءات قادمة تكون أكثر نضجاً وإيجابية .

٨ـ إنني أرى فيكم أيها الجمع المبارك أساتذة التاريخ في الجامعة يلتقون بأبنائهم وإخوانهم أساتذة التاريخ في التعليم العام ، وهذه فائدة وإيجابية أن يلتقي الجميع على مائدة من موائد العلم والمعرفة ، وأرجو أن يكون هناك تواصل وتعاون بين هذه الشرائح في ميادين العلم والتعليم والبحث والتدوين. وأكرر ندائي لزملائي في قسم التاريخ بهذه الجامعة المباركة ، وأقول عليكم أن تتصلوا بالناس في هذا المجتمع الجنوبي السعودي الكبير لتعرفوا وتتأملوا وتجمعوا وتدرسوا شيئاً من تاريخهم وحضارتهم . ويجب على كل قسم أكاديمي في أي جامعة بل على جميع مؤسسات الجامعة العلمية أن لا يكونوا بمعزل عن حياة الناس وما عندهم من تراث وفكر وحضارة .

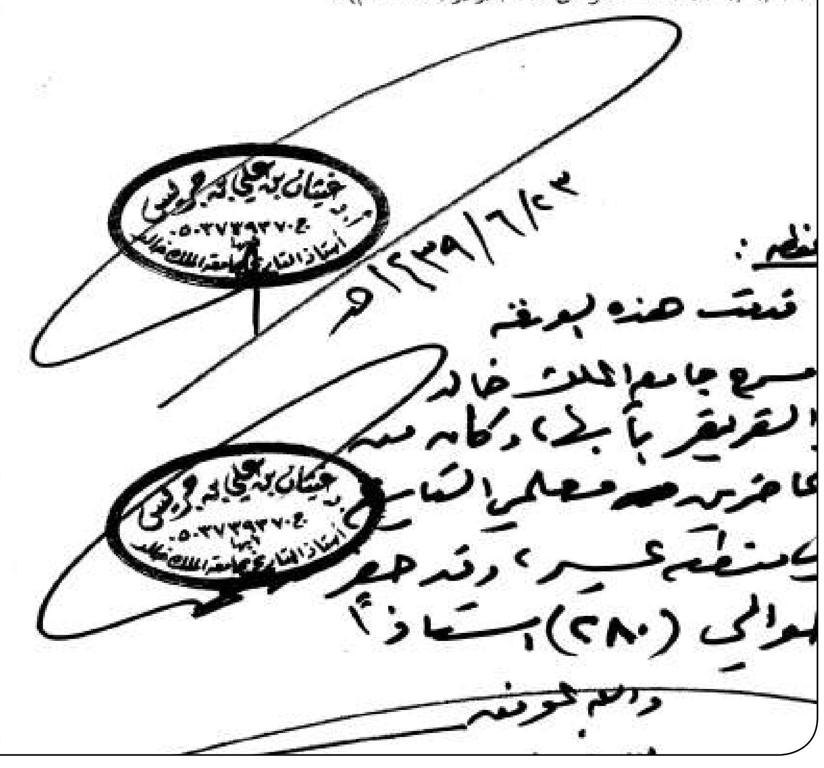
٩ـ أهمس في آذانكم يا أبنائي وإخواني أساتذة التاريخ في التعليم العام في منطقة عسير وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية أن تكونوا عناصر [illegible] من أهليكم

تابع : ملحق رقم (١٩):

والمصداقية فيما تجمعونه أو تدونونه . وأؤكد على هذا النداء لما شاهدته من تكاسل وانصراف عن دراسة عموم مناطق تهامة والسراة ، وفي مناطق أخرى عديدة زرتها وشاهدتها خلال الأربعين عاماً الماضية .

وخلاصة القول :

إن التاريخ وطن والوطن تاريخ ، والاهتمام بالتاريخ اهتمام بالوطن وحفظ لذاكرته حتى لا تسطوا عليها عوادي الزمن . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (حرر في ١٤٣٩/٦/١٢هـ الموافق ٢٨/فبراير/٢٠١٨م) .



ملحق رقم (٢٠): تقرير بتاريخ (١٤٣٩/٧/٦هـ) عن حضوري معرض الرياض الدول عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م). المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م) ،ج٨، ص ١٤ – ١٥

ص ١٤

ق١٥هـ/٢١م

(٤٠)

تقرير مختصر عن حضوري معرض الرياض الدولي عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)

وصلني دعوة من وزارة الثقافة والإعلام في المملكة العربية السعودية ، لحضور معرض الرياض الدولي الثالث عشر المنعقد في الرياض لمدة عشرة أيام (٦/٢٦ـــ ١٤٣٩/٧/٦هـــ الموافق ١٤ــــ ٢٣/مارس/٢٠١٨م)، وتجاوبت مع هذه الدعوة ، وحضرت لمدة خمسة أيام (٦/٢٨ـــ١٤٣٩/٧/٣هـــ) ، وكان ضيف الشرف في هذه السنة دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد شاركنا في حضور عدد من المحاضرات والندوات والمداخلات . والظاهر على المعرض في هذا العام انخفاض عدد الزوار مقارنة بالسنوات الماضية ، وبخاصة في الأيام الأولى من تاريخ المعرض . كما أن دور النشر المشاركة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها تجاوزت (٥٥٠) مشاركاً ، ويلاحظ أن الناشرين المهتمين بالروايات والقصص من أكثر دور النشر ارتياداً وبخاصة من الشباب والنساء . وأقول إن فعاليات المعرض جيدة علمياً ، وثقافياً ، وتوعوياً ، واجتماعياً ، وهذا ما عرفته ولمسته وأنا أحضر وأشارك في موسم هذا المعرض الدولي منذ نشأته عام (١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٦م) ، وهناك معرض دولي في جدة يسبق هذا المعرض المقام في الرياض ، وقد زرت معرض جدة ، وهو أقل بكثير من معرض الرياض من حيث دور النشر المشاركة ، وأعداد الزوار، وكذلك التنسيق والإمكانات التي يقوم عليها معرض جدة ، مع أن معرضي الرياض وجدة يتولى الإشراف عليهما وزارة الثقافة والإعلام .

ومما شاهدته في معرض الرياض الدولي كثيراً من الخدمات الفنية ، والبريدية ، والاجتماعية ، والرسمية . كما أن هناك مؤسسات أهلية وجمعيات متنوعة في خدماتها وأهدافها وجميعها تصب في خدمة

١٤٣٩/٧/١٦هـ

-١-

غيثان بن علي بن جريس
٠٥٠٣٧٧٣٩٣٧٠
أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد

تابع : ملحق رقم (٢٠):



الأرض والسكان في المملكة العربية السعودية . وهناك بعض دور النشر التي جاءت من مصر، والشام ، وبعض البلاد العربية والإسلامية ، والقائمين عليها رجالاً ونساءً ، كما أن بعض الأمكنة التوعوية والثقافية والإعلامية في المعرض يقوم عليها فتيات وشباب سعوديون ، وهم جميعاً يعملون بجد وإخلاص من أجل الإبداع والتفوق في أعمالهم .

كما أن وزارة الثقافة والإعلام تخفف وطأة الفحص والرقابة على المؤلفات والإصدارات ، التي تجلب إلى المعرض من خارج البلاد ، وقد تحدثت مع بعض المسؤولين في الوزارة عن هذه النقطة ، فقالوا: إن مدة المعرض عشرة أيام ، ولابد أن نتغاضى ونتجاهل ، إلا في حالة أن هناك كتباً تسعى إلى تجاوز الخطوط الحمراء دينياً ، أو سياسياً، أو الخوض في تاريخ القبائل وأنسابها ، وبخاصة في كل ما يثير النعرات القبلية ، أو يخلق بعض الفتن السياسية والاجتماعية وغيرها .

وكتبه :

غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الوابي الجبيري الشهري الحجري الأزدي في يوم الجمعة (١٤٣٩/٧/٦هـ الموافق ٢٠١٨/٣/٢٣م) .

ملحق رقم (٢١): تقرير نقدي بتاريخ (١٤٣٩/٨/٥هـ) عن كتاب : (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثالث عشر).بقلم أ. د.عباس السوسوة. المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية. الوثائق العامة ، (ق١٥هـ/٢١م)، ج٨ ، ص ١٦- ١٨ .

(٤٤)

ص ١٦
م١٥هـ/ح٨

عين الرضا والسخط

نقدات في مجلد (١٣) من كتاب : (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) .
بقلم أ.د.عباس علي السوسوة
أستاذ اللسانيات في جامعتي تعز و الملك خالد بأبها

أبدأ بتحية المناضل في سبيل البحث العلمي ، عاشق جنوب الجزيرة ــ وكل بلاد العرب أيضاً ــ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، فالإنصاف يقتضينا أن نشيد به ؛ فهو دعوب لا يمل ولا يصيبه الكلال . يكفي أنه يقوم بعمل مؤسسة ثقافية كاملة ذات ميزانية مرصودة وهيئة إدارية ذات عدد ؛ فقد وصل بهذه السلسلة **"القول المكتوب في تاريخ الجنوب"** إلى المجلد الرابع عشر ، مما يعني أربع عشرة سنة من التفكير في المحاور والموضوعات ، واستكتاب من يتوسم فيهم العلم والمعرفة . وهو لا يستنكف من سماع النقد ، نقد أبحاثه ، أو نقد ما في السلسلة ، بل إنه ينشره دون حذف ولا (مونتاج) . ومن باب الصديق من صَدَقك لا من صدّقك) نهديه هذه النقدات .

أولا: تحسن مستوى اللغة ، لغة الأبحاث ، لاسيما من بعد المجلد العاشر، وهذه نقطة إيجابية .

ثانيا: ذكرنا في مجلد سابق أن أسلوبه أو طريقته أو منهجه في هذه السلسلة تشبه طريقة (المحرر) في الكتب الأوروبية والأمريكية .

ثالثا: المحرر في هذه السلسلة يسمح لنفسه بالتعليق على المكتوب في الهوامش كثيراً . وهذا أمر لا بأس به ، لكنه يسرف فيه كثيراً ، وآية ذلك أن بعض التعليقات في المقال / البحث الواحد يتكرر بطريقة تبعث على الضيق . وليته اتّبع سنة المصطفى ﷺ في الوضوء بأنّ ما زاد على الثلاث إسراف .

عباس السوسوة
١٤٣٩/٨/٥هـ

-١-

تابع : ملحق رقم (٢١):

(٤٥)

ص ٢٧

رابعا: يسرف المحرر في مناشدة الجامعات الوطنية ومراكز البحث والباحثين، أن يدرسوا هذا الموضوع في شكل رسائل ماجستير أو دكتوراه ، وقد يناشد الجهات الحكومية أن تنشئ مراكز بحثية من أجله. وفي ظني أنه — إذا كان ولابد من المناشدة — الاكتفاء بمرّة واحدة في بداية الموضوع أو نهايته .

خامسا: محرر السلسلة متأثر بكتاب ابن المجاور:" تاريخ المستبصر"— وهو كتاب واحد لا ثاني له —. وابن المجاور — دون قدح ولا مدح — نسيج وحده في التأليف التاريخي الإقليمي (مكة والحجاز وبعض بلدان اليمن)؛ إذ يقوم في جزء لا يستهان به منه على المشاهدة الذاتية والسماع من الآخرين ، وإلحاق رسم (كروكي) للمكان المتحدث عنه. وهو يتحدث عن أهالي الإقليم من حيث أسماؤهم وألقابهم السائدة ، وعن أنشطتهم في كسب العيش ، وعن بعض التقاليد في الأفراح ونحوها. بل إن كتاب ابن المجاور يعدّ وثيقة لغوية ، وثيقة لغوية للغة مؤلفة ، وللتأليف التاريخي في القرن السابع الهجري ، فالكتاب يحتوي على ظواهر صرفية ونحوية ومعجمية ليست بالقليلة . وقد استفدت منه في تتبع بعض الظواهر في أبحاثي عن وزن مفعال / مفعالة اسماً للمكان ومصدراً ، وعن ظواهر لهجية أخرى لا تكاد تجدها عند غيره ، وهي الآن منتشرة في كثير من محكيات الجزيرة العربية وخارجها .

سادسا: كان تأثر الدكتور غيثان بابن المجاور تأثراً محموداً في رحلاته واهتماماته بالأمور الاجتماعية واللغوية . ويمتاز عن سابقه في أنه انصرف عن البذاءات والأمور الأسطورية ونحوها.

سابعا: ليس المحرر من علماء اللغة ، لكنّا نحمد له اهتمامه بإيراد وحدات دلالية — في المنطقة موضوع الدراسة — وقد يعود إلى معاجم قديمة

-٢-

(١٤٢٩/٨/٥)

تابع : ملحق رقم (٢١):

(٤٦)

ص ١٨

لبيين وجود اللفظ بمعناه ، أو بمعناه مع تغيير طفيف في بعض أصواته ومواضعها ، أو يتغير طفيف في دلالته . المهم أنه في المجلد الثالث عشر شرحَ (٢٨) مادة من منطقة الطائف شرحاً وصفيّاً متوسطاً كافياً (ص١٦٥ـ١٧٠) ، ولا عيب فيه إل كثرة التعليقات في الهامش (مع أنه الكاتب وليس غيره) وبعض التعليقات يمكن الاستغناء عنه. وفي الصفحات (٣٣٧ـ٣٦٠) يورد (٢٦٢) مادة من لهجات جازان ـ دون تحديد ـ ولم يكن موفقاً أحياناً في ذكر المقابل القاموسي ، بل يكون المقابل المذكور مختلفاً تماماً عنه . ولم يكن موفقاً كذلك في ذكر قيمة بعضها من حيث حظها من الفصاحة .

وكل ما نرجوه التأني في إصدار أحكام القيمة على هذه المواد اللغوية مستقبلاً .

تاما: هذه نظرات باردة ـ إن صح التعبير ـ في المجلد الثالث عشر. نسأل الله للمحرر التوفيق . ونسأله ـ تعالى ـ أن يغفر لنا زلات أقلامنا وألسنتنا . آمين ! عباس بن السوسوة .حرر في (١٤٣٩/٨/٥هـ الموافق ٢١/٤/٢٠١٨م) .

عباس السوسوة
١٤٣٩/٨/٥هـ

ملحوظة :
هذه المقالة وصلتني من صاحبها
أ.د. عباس السوسوة في منتصف
شهر شعبان عام (١٤٣٩هـ)
وكانت مكتوبة بخط يد الكاتب
وقمنا بطباعتها في هذه النسخة
ووقع المرسلة أ.د. عثمان
١٤٣٩/٨/١٣هـ

-٣-

ملحق رقم (٢٢): خطاب بتاريخ (١٦/٨/١٤٣٩هـ) من الدكتور عبدالله الحميِّد بمناسبة هدية كتاب وصله من الدكتور غيثان بن جريس . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م)، ج٨، ص١٩.

(٤٧)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
مكتب المدير

KING KHALID UNIVERSITY

الرقم :
التاريخ : ١٤٣٩/٨/١٦
المرفقات :

ص ١٩
ق١٥هـ/٢١م

سعادة الأستاذ الدكتور/
غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فقد تلقيت ببالغ الغبطة والسرور إصداركم القيّم من كتاب :
[الشيخ سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط شيخ قبائل شهران وابنه عبدالعزيز في ذاكرة التاريخ] في طبعته الثانية الفاخرة لهذا العام الهجري ١٤٣٩هـ .

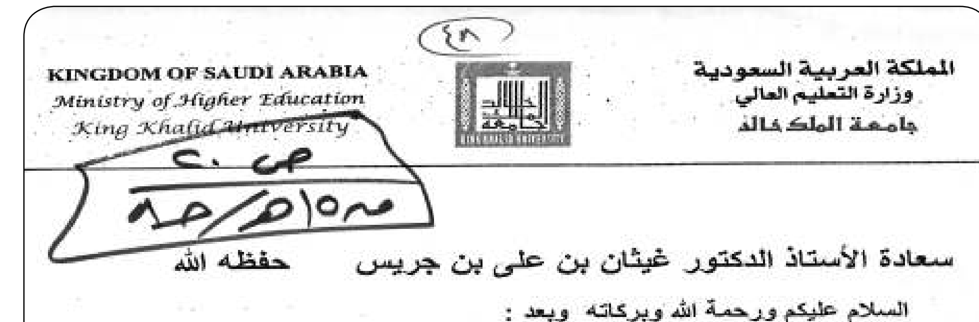
وإنني إذ أشكر لسعادتكم هذا الإهداء الغالي لأثمّن ما بذلتم فيه من جهد في المراجعة الدقيقة وما أبديتموه من إضافات ممتازة وملحوظات قيمة .

سائلاً المولى سبحانه لسعادتكم بدوام التوفيق والنجاح .. وتقبلوا أسمى تحياتي

محبكم
د. عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حميد
المستشار بمكتب معالي مدير جامعة الملك خالد
١٦/٨/١٤٣٩هـ

Abha - P.O.Box 418 Tel.: 07 241-9991 Fax: 07 241-9990
أبها - ص.ب ٤١٨ هاتف: ٠٧٢٤١٩٩٩١ فاكس: ٠٧٢٤١٩٩٩٠

ملحق رقم (٢٣): خطاب بتاريخ (١٦/٨/١٤٣٩هـ) من الدكتور سعيد مشبب القحطاني بمناسبة هدية كتاب وصله من الدكتور غيثان بن جريس . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م)، ج٨، ص٢٠ .



(٤٨)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
King Khalid University

ص ٢٠
ق١٥هـ/٢١م

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن على بن جريس حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

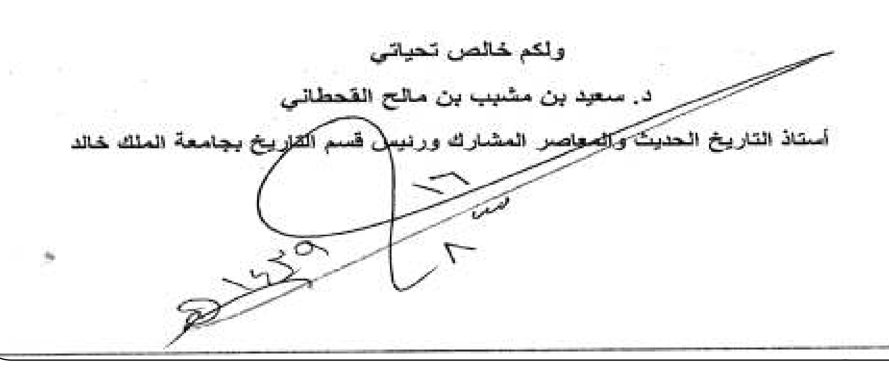
لقد كنتُ في غاية السعادة لتلقي هديةً قيمةً ثمينة من أستاذ كريم بتاريخ ١٤٣٩/٨/١٤هـ ، تبلورت في كتاب صدر حديثاً بعنوان (الشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط شيخ شمل قبائل شهران وابنه عبدالعزيز في ذاكرة التاريخ) من إعداد الأستاذ / عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط (محافظ حميس مشيط سابقاً ومن تقديمكم ومراجعتكم وقد وجدت أنه ملئ بالمعلومات القيمة، والأحداث في سيرة الشيخ عبدالعزيز وابنه سعيد التي تفيد القارئ في منطقة عسير وغيرها من مناطق المملكة والتي سوف يكون لها الأثر البالغ في إثراء المكتبة الوطنية، وجميع المكتبات بل سوف يتعدى ذلك بالاستفادة منه لطلاب وطالبات مرحلة الماجستير . من حيث قيمة المعلومات التي أوردها الكاتب والتي ستكون داعماً لدراسة تاريخ وتراث المنطقة بشكل عام ، وقد كان لكم أ. د غيثان بن على جريس، الحظ الأوفر في المشاركة في هذا الكتاب بالمقدمة الرائعة وبالمراجعة الكاملة .

ونتمنى لك دوام التوفيق. وأتقدم إلى سعادتكم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم على هذه الهدية القيمة، سائلاً المولى عز وجل لكم دوام الصحة والعافية، والرقي العلمي والاستمرار في العمل العلمي المتميز .

ولكم خالص تحياتي

د. سعيد بن مشبب بن مالح القحطاني

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك ورئيس قسم التاريخ بجامعة الملك خالد



١٦ / ٨ / ١٤٣٩

ملحق رقم (٢٤): تقرير عن رسالة ماجستير في التاريخ ، نوقشت بتاريخ (١٤٣٩/٨/٢٤هـ) . المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م) ، ج٨، ص ٢١- ٢٤ .

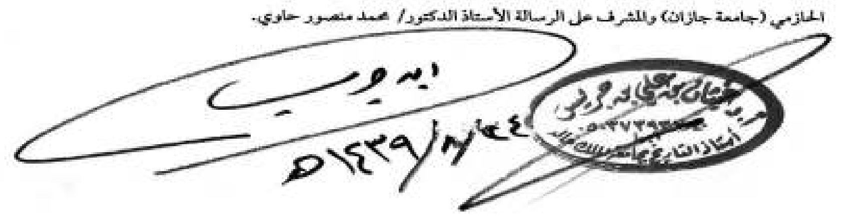


(٤٩)

تقرير عن رسالة ماجستير بعنوان:
عبدالله بن طاهر ودوره في الجوانب الحضارية في خراسان
(١٨٢-٢٣٠هـ/٧٩٨-٨٤٤م) (١)
للطالبة/ نورة علي ناصر آل بريق

إعداد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ – جامعة الملك خالد

المشرف على الرسالة
أ.د. محمد منصور حاوي



(١) نوقشت هذه الرسالة في قسم التاريخ – كلية العلوم الإنسانية- جامعة الملك خالد يوم الخميس (٢٤/ ٨/ ١٤٣٩هـ الموافق ١٠/ مايو/ ٢٠١٨م). ولجنة المناقشة مكونة من الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس ، والدكتور ناصر الحازمي (جامعة جازان) والمشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/ محمد منصور حاوي.

١٤٣٩/٨/٢٤هـ

تابع : ملحق رقم (٢٤):

٥٠

ص ٢٢
م١٥/٥/ح٢٨

فهرست التقرير

م	الموضوع	رقم الصفحة
أولاً:	**مدخل**	١
ثانياً:	**الملحوظات الرئيسية**	١
ثالثاً:	**الملحوظات الفرعية**	٣
رابعاً:	**خلاصة القول**	٣

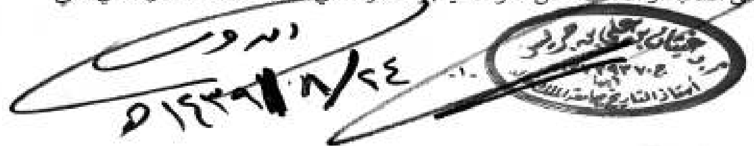
أولا: مدخل:

الدولة الطاهرية من أول الدول الإسلامية التي سعت إلى الاستقلال عن الدولة العباسية، ومن يستقري تاريخها يجدها استقلت إلى حد ما داخلياً في بلاد خراسان، لكنها كانت على صلات سياسية وإدارية وطيدة مع الخلافة العباسية. ومؤسس هذه الدولة هو طاهر بن الحسين، وهو من مشاهير رجالات الدولة العباسية، وجاء بعده ابنه عبدالله بن طاهر الذي كان على قدر كبير من الشجاعة، والكرم، وحسن الإدارة. وعبدالله بن طاهر موضوع هذه الرسالة مذكور في عشرات المصادر والمراجع، وله إسهامات تاريخية وحضارية كبيرة. والطالبة نوف آل بريق قدمت هذا البحث لنيل درجة الماجستير. وهناك ملحوظات رئيسية وفرعية، إيجابية وسلبية، وسوف نذكر بعضاً منها في السطور التالية:

ثانيا: الملحوظات الرئيسية:

١- نعلم جميعاً أن بحث الماجستير هو خطوة أولى تقود الطالبة أو الطالب إلى السير في الطريق الصحيح، ولا نتوقع من يلج في هذا الاتجاه، ويدرس مرحلة الماجستير في أي علم من العلوم أنه سوف يصبح ملماً بكل المناهج والطرق العلمية المعتبرة، وإنما هذه درجة تعليمية تساعد من يحصل عليها إلى الترقي في سلم المعرفة والمناهج الأكاديمية الجيدة.

٢- هذه الرسالة العلمية التي تناقشها اليوم لا تخلو من بعض الإيجابيات؛ فالطالبة بذلت جهودًا حسنةً في تجميع مادتها من مصادر ومراجع عديدة، ثم رتبت فصولها، ومقدمتها وخاتمتها، وأرفقت في نهايتها قائمة طويلة من المصادر والمراجع. ورأيي الشخصي أننا يا معاشر العرب، وبخاصة أقسامنا العلمية، وأساتذة جامعاتنا نبالغ كثيراً في منهجنا ومطالبنا لدرجة الماجستير. وقد عشت أكثر من عشر سنوات في أمريكا وأوربا، وخالطت الكثير من الأكاديميين هناك، وزرت عشرات الأقسام العلمية، فوجدتهم يكتفون بأعمال صغيرة وبحوث محدودة يفرضونها على طلاب الماجستير، ونحن نبقي الطالبة أو الطالب خمس سنوات لينجزا دراسة في مئات الصفحات، وهذا في ظني



-١٠-

تابع : ملحق رقم (٢٤):

مبالغ فيه. نعم قد تجعل الطالبة أو الطالب يمضي هذه السنوات الطوال في دراسة ومراجعة الدكتوراه، أما الماجستير فأيم الله عن هذا كثير جداً.

٣. **من المؤكد أن هناك ملحوظات سلبية رئيسية على هذه الرسالة، وأذكر بعضها في النقاط التالية:**

أ – عنوان الرسالة غير دقيق وكان الأفضل أن يقال (خراسان) في عصر عبدالله بن طاهر (١٨٢–٢٣٠هـ/ ٧٩٨–٨٤٤م) (دراسة تاريخية حضارية). ومن خلال قراءة الرسالة من أولها إلى آخرها وجدت في صياغتها ركاكة، وكان الأجدر أن تكون في مستوى أفضل مما هي عليه. وقد عدلت كثيراً من هذه الصياغات، وذلك مدون على جميع صفحات البحث. كما تكررت كلمات (**قد، دور، حيث، عبارة عن**) عشرات المرات على صفحات الدراسة، وشطبت الكثير منها، ويجب على الطالبة مراجعة ذلك وإصلاحه حتى يتحسن وضع الرسالة.

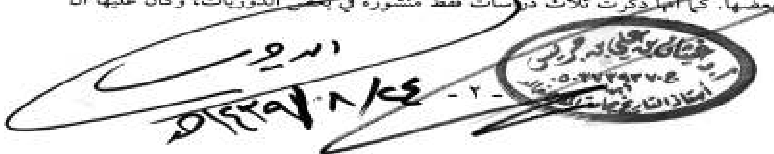
ب– الناظر في مداخل الفهرسة العام، والفهارس الداخلية يجدها غير متوافقة في مفرداتها، ومداخلها، فأحياناً تكون في الفهرست العام مذكورة بطريقة، وفي داخل الرسالة لا تكون العناوين متطابقة، كما جاءت في المحتويات العامة للبحث، ويجب توحيد ذلك وإصلاحه. انظر الصفحات (٩، ٣٠، ٥٤، ٩٢، ١٤٥، ١٤٦).

ج–هناك بعض الفقرات المكررة، أو الخارجة عن صلب البحث ولا تخدمه، وقد حذفناها، كما يوجد بعض المقدمات في بداية بعض المحاور وليس ثمة ضرورة لتدوينها، والدخول إلى صلب النقطة التي يراد الحديث عنها مباشرة، وأحياناً تكتب الطالبة خلاصة بعض المحاور عند الانتهاء من المحور، وهذا لا يخدم البحث؛ لأن ما ذُكر في المحور نفسه يكفي. ومن الأمثلة على ما سبق ينظر الصفحات (٣٧–٣٨، ٤٩، ٥٢، ٧٣، ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١١٢، ١١٩، ١٢٠).

د– التمهيد في بداية الرسالة جاء في صفحات كثيرة، وكان الأفضل أن تختصر في صفحات محدودة، ثم الدخول في صلب موضوع الرسالة انظر (ص٩–٢٩).

هـ– هناك كثير من أسماء الأمكنة والأعلام في الرسالة، والواجب تدوين تعريفات مختصرة لهذه الجوانب، وذلك لصلحة البحث والارتقاء بمستواه. انظر الصفحات: (٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ٩٧، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٣).

و– قائمة المصادر والمراجع يشوبها بعض النقص في الترتيب، وعلى الطالبة أن تعود إلى ذلك وتعيد ترتيب بعضها. كما أنها ذكرت ثلاث دراسات فقط منشورة في بعض الدوريات، وكان عليها أن



- ٢ -

تابع : ملحق رقم (٢٤):

ص ٢٤
١٥م/ج/٨٥

(٥٢)

تعود إلى دراسات أكثر لأن عبدالله بن طاهر والدولة الطاهرية عموماً درست في موضوعات ودراسات علمية محكمة عديدة، وبعضاً من هذه البحوث منشورة في مجلات عربية وأخرى أجنبية.

ز- أوردت الطالبة خاتمة دراستها في صفحة واحدة، وذكرت خلاصات مختصرة جداً لمحاور الرسالة، وكان عليها أن تدون ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وهذا مما يرفع من قيمة البحث ومستواه العلمي.

ح- ذُكر التاريخ الهجري فقط في صفحات عديدة من البحث، ويجب أن يدون ما يقابله من التاريخ الميلادي.

ط- ذكرت الطالبة ملخصين في صفحتي (١٢٩، ١٣٠) وأقول لا ضرورة لهذين الملخصين وعليها توظيف مادتها في صلب البحث. كما أوردت خارطة في صفحة (١٣١)، ولم تذكر مصدرها، وأيضاً لا فائدة منها ولا تخدم البحث كثيراً.

ي- عدم توافق الحواشي مع الأرقام في المتن في بعض الصفحات ويجب إصلاح ذلك، ينظر الصفحات (١١، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤٤، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٥، ٩٦).

ثالثاً: الملحوظات الفرعية:

قمت بكتابة ما رأيته يفيد الدراسة، ولا تخلو أي صفحة من صفحات البحث من ملحوظات جانبية، ويجب على الطالبة الاطلاع والاستفادة من كل ملحوظة تصب في خدمة بحثها.

رابعاً: خلاصة القول:

البحث في مجمله لا بأس به، وعلى الطالبة أن تراجع ما تم تدوينه من ملحوظات رئيسية وفرعية. ونسأل الله أن يجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على رسوله الأمين. حرر هذا التقرير في (١٤٣٩/٨/٢٤هـ الموافق ١٠/مايو/٢٠١٨م).

ابها
١٤٣٩/٨/٢٤هـ

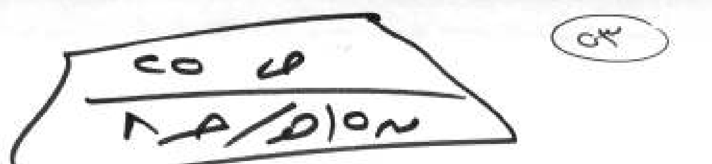
إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

صباح الخميس (١٤٣٩/٨/٢٤هـ)

ملحق رقم (٢٥): ورقة علمية بعنوان : تاريخ وحضـارة بيشة بين المكتوب والمأمول. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ / ٢١) ، ج٨، ص ٢٥-٣٢ .



تاريخ وحضارة بيشة بين المكتوب والمأمول[1]

إعداد

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

(١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)



(١) ورقة علمية قُدمت في لقاء فرع الجمعية التاريخية السعودية في عسير الذي عقد في محافظة بيشة يوم الخميس (٢٥/٥/١٤٤٠هـ الموافق ٣١ يناير /٢٠١٩م)، الساعة (٩-٢).

تابع : ملحق رقم (٢٥):



تاريخ وحضارة بيشة بين المكتوب والمأمول . بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	رقم الصفحة
أولاً:	مدخل:	٢
ثانياً:	تاريخ وحضارة بيشة المكتوب.............	٣
ثالثاً:	المأمول من تاريخ بيشة وحضارتها.....	٥
رابعاً:	الخاتمة : النتائج والتوصيات............	٧

أولاً: مدخل:

إن شبه الجزيرة العربية موطن العرب والعربية الأصلي ، والمتأمل في تاريخها وتراثها عبر أطوار التاريخ يجدها مرت بأحداث وتحولات تاريخية وحضارية متنوعة . والحواضر الرئيسية في هذه البلاد نالت النصيب الأوفر من الذكر والتوثيق ، ومدن الحجاز واليمن الرئيسية أكبر الحواضر المذكورة في المصادر الكلاسيكية والتراثية القديمة . أما البلدان النائية أو المعزولة فهي أقل النواحي ذكراً . وبلاد السروات وتهامة الواقعة بين اليمن والحجاز من البلدان التي لم تنل حقها من الدراسات والتوثيق عند المتقدمين . وإذا قصرنا اهتمامنا على الحواضر والبلدات في هذه الناحية فإنها أيضاً تتفاوت فيما قيل عنها أو كتب ، فنجران ، وجرش، وتبالة ، والطائف ، والسرين ، وعشم وغيرها ربما كانت معروفة أكثر من غيرها عند مدوني التراث الأوائل. كما أن محطات الطرق التجارية القديمة نالت بعض الاهتمام والذكر عندهم . ومن تلك النواحي بلاد بيشة ، فهناك مصادر قديمة ذكرتها على طريق البخور، بل كانت من المحطات الرئيسية على الطريق الجبلي الذي يربط بين اليمن والحجاز . وفي الصفحات الآتية نذكر صوراً من التاريخ المكتوب عن هذه الناحية عند المتقدمين والمتأخرين .

ثانياً: تاريخ وحضارة بيشة المكتوب :

لا نملك صورة جلية عن بيشة قبل الإسلام ، مع أن بعض المصادر التراثية أشارت إلى موقعها التجاري ، وأنها كانت محطة تجارية يرتادها التجار المحليون والعالميون الذين يسلكون طريق البخور التي الرابطة بين الشمال والجنوب ، بل إن تلك المصادر نفسها ذكرت نتفاً قليلة جداً عن صلات دول



تابع : ملحق رقم (٢٥):

اليمن القديمة مع السروات حتى الحجاز ، و أشارت كتب الأنساب أيضاً إلى بعض القبائل العربية التي استوطنت بيشة وعموم السروات قبل الإسلام [١].

وبعد ظهور الإسلام وعبر قرونه العشرة الأولى (ق١ــ ق١٠هــ/ق٧ــ ق١٦م) نجد علماء العرب والمسلمين يؤلفون تاريخهم وتراث أمتهم ، ويكتبون لنا مصادر شرعية وفقهية وسيراً ، وفيها شيء من تاريخ وحياة أهل الجزيرة العربية منذ تلقيهم الدعوة الإسلامية ، ثم دخولهم في معترك الحياة السياسية والحضارية الداخلية والخارجية ، وفي هذه المصادر نجد ذكراً لبعض سكان بيشة ، قبل إسلامهم وبعده ، وكيف اعتنقوا الإسلام ، وما جرى لهم من تحولات سياسية وعقدية وفكرية وثقافية بعد معرفتهم شرائع الدين الإسلامي ، والتزامهم بأركان الإسلام وتطبيقه في حياتهم العامة والخاصة [٢].

وإذا بحثنا في مصادر التاريخ العام مثل: مؤلفات الطبري ، وابن الأثير ، وابن مسكويه، وابن خلدون ، وابن الفرات ، واليافعي ، وابن الجوزي وغيرهم فإنها لا تخلو من شذرات قليلة عن تاريخ أهل السروات ، ومنطقة بيشة جزء من هذه البلاد [٣] ، ومصادر التاريخ المحلي وأخص بذلك المؤلفات الحجازية واليمنية قد تكون أفضل من غيرها فهي تحتوي على إشارات ومعلومات ذات علاقة ببلاد بيشة وصلاتها مع أهل اليمن والحجاز ، بل إن بعض هذه المصادر يذكر بعض الأفراد أو الأسر أو القوى الإدارية أو السياسية الحجازية أو اليمنية التي كانت على صلات ببيشة وأهلها ، وكذلك بعض البلدان في مناطق تهامة والسروات [٤].

ولا تخلو كتب التراجم والطبقات مثل: مؤلفات ابن خياط ، وابن سعد ، والخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، والفاسي ، وابن خلكان ، وابن الأثير ، والسبكي ، والسيوطي ، والسخاوي ، وابن فرحون، والذهبي وغيرهم ، من ذكر أعلام داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وهم أساساً من بلاد بيشة أو ما جاورها من بلدان السروات الممتدة من الطائف إلى نجران . وتحتوي كتب اللغة والأدب والمعاجم على معلومات قيمة وجيدة عن ملامح حضارية لأرض بيشة وما جاورها . ومن يطالع المعاجم

---

(١) هناك العديد من المصادر الكلاسيكية والتراثية الإسلامية التي أشارت إلى بلاد السروات ، وبعض المدن الرئيسية فيها مثل: نجران ، وجرش ، وتبالة والطائف وغيرها .

(٢) نجد بعض كتب السنن والسير تذكر وفود قبائل بيشة على الرسول ﷺ ، وكيف استقبلهم وبين لهم شرائع الدين الإسلامي ثم كتب لهم كتباً توضح لهم منهج حياتهم في بلادهم، وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم من المسلمين وغير المسلمين .

(٣) هذه المصادر تذكر أحداثاً وتواريخ عامة ، وفيها بعض المعلومات السياسية والحربية التي جرت في بلاد الحجاز واليمن وما بينهما ، وفي هذه المعلومات إشارات لبعض مدن وحواضر السروات مثل الطائف ، وتبالة ، وبيشة ، وجرش ، ونجران وغيرها.

(٤) يوجد في هذه المصادر الحجازية واليمنية معلومات لابأس بها عن السروات وبخاصة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذه الصلات ويوثقها في [illegible]

تابع : ملحق رقم (٢٥):

٥٦

اللغوية الكبيرة ، وأيضاً كتب الأدب والدواوين الشعرية المبكرة نجدها مليئة بالكثير من المعلومات النثرية والشعرية التي مصدرها بيشة أو السروات وأهلها[١].

وكتب الجغرافيا والرحلات والمعاجم اللغوية تكاد تكون من أفضل مصادر التراث الإسلامي التي تحدثت عن المدن والحواضر في العالم الإسلامي . وكون بيشة محطة تجارية مهمة على طريق اليمن والحجاز السروي فهي مذكورة في هذه المؤلفات العامة والخاصة مثل كتب أبي علي الهجري ، والحربي ، واليعقوبي ، والأصمعي ، والمسعودي، وابن الفقيه ، وابن خرداذبة ، والاصطخري ، وقدامة ، والبكري، وياقوت الحموي، وابن المجاور وغيرهم . وجميع هذه المصادر أشارت إلى أهمية بيشة اقتصادياً، كما ذكر بعضها صوراً من تاريخها الاجتماعي والحضاري[٢].

وكتب الأنساب مثل النسب الكبير لابن الكلبي ، أو التنويه بالأنساب للأشعري، أو جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، أو الأنساب للسمعاني . وأيضاً الموسوعات التاريخية كنهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العُمري ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والمقصد الرفيع المنشا للخالدي جميعها لا تخلو من معلومات جيدة عن عشائر وسكان بيشة وعموم سكان السروات ، بل إن بعضها أورد تفصيلات قيمة عن خيرات هذه البلاد ، وتركيبتها الجغرافية وما تشتمل عليه من معالم طبيعية ، وأحياناً تذكر بعض الأعراف والتقاليد والعادات فيها[٣].

وهناك مصادر أخرى مثل : كتاب النبات للدينوري ، وكتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين (الصفراء والبيضاء) الذهب والفضة للهمداني ، وكتاب الأنواء لابن قتيبة الدينوري وغيرها فيها بعض المعلومات الحضارية الجيدة التي تتعلق ببلدان السروات مثل بيشة وتبالة وجرش وما جاورها[٤].

وتاريخ بيشة في العصر الحديث والمعاصر يكاد يكون أفضل حالاً من عصور ما قبل الإسلام ، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وذلك يعود لعدة أسباب نذكر أهمها في البنود الآتية :

١- تبدّل الأحوال السياسية والإدارية محلياً ، وإقليمياً ، وعالمياً. ففي السابق كان في الجزيرة العربية قوى سياسية متمركزة في الحواضر الرئيسية في الحجاز واليمن وبلاد البحرين ، وتركت الأوطان

---

(١) إن الناظر في معجمي لسان العرب ، وتاج العروس، وأيضاً كتاب الأغاني للأصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ودواوين شعراء العصرين الأموي والعباسي ، وبعض شعراء اليمن والحجاز في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة فإنه سوف يجد فيها مادة علمية جيدة عن بلدان السروات وتهامة ، وبيشة إحدى الحواضر التي احتضنت بعضاً من الشعراء والأدباء الأوائل.

(٢) بلاد بيشة في كتب الجغرافيا والرحلات الإسلامية المبكرة والوسيطة موضوع جيد يستحق البحث والدراسة في بحث علمي، ونأمل أن نرى أحد أساتذة قسم التاريخ في جامعات الطائف ، أو الباحة ، أو بيشة ، أو الملك خالد فيدرسه في هيئة بحث علمي موثق .

(٣) الموسوعات التاريخية الآنف ذكرها تشتمل على معلومات لابأس بها عن التركيبة الجغرافية والبشرية لبلاد السروات ، وذكر بعض الثروات الطبيعية في هذه الأوطان .

(٤) هذه الحواضر الثلاث تستحق أن تدرس في هيئة كتاب أو رسائل علمية



-٤-

تابع : ملحق رقم (٢٥):

المعزولة أو النائية مثل بيشة وغيرها من بلدان السروات تعيش تحت نفوذ أهلها وشيوخها. وعند القرنين (١١ـــ١٢هـــ/١٧ـــ١٨م) جاءت الدولة العثمانية التي مدت نفوذها إلى نواحي عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها .

٢ـــ وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى أرض السروات وبلاد اليمن وغيرهـــا في بدايـــة القـــرن (١٣هـــ/١٩م) ، ثم ظهور قوى محلية في عسير استطاعت مد نفوذها إلى بلاد بيشـــة وغيرهـــا مـــن السروات وتهامة ،ثم توالت الأحداث والقوى السياسية التي حكمت منطقة عسير حتى دخولها تحت لواء الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في ثلاثينيات القرن (١٤هـــ/٢٠م) [1].

٣ـــ صارت بيشة جزءاً من كيان الوطن الكبير ، المملكة العربية السعودية ، منـــذ أربعينيـــات القـــرن (١٤هـــ / ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر ، وهي اليوم تنعم بنعمة الأمن والتطور والتنمية التي تعيشها هـــذه البلاد العربية الأصيلة .

وفي هذا العصر الحديث نجد بيشة أكثر حظاً وذكراً وحضوراً في عدد من الكتب والبحـــوث التي صدرت في القرون الأربعة الماضية ، وتعد المصادر اليمنية الحديثة وأيضاً بعض المصادر الحجازية من أكثر المؤلفات التي أشارت إلى شيء من تاريخها. كما ورد لها ذكر في بعض الكتب والتقـــارير العربيـــة والأجنبية التي وصلتنا من خارج الجزيرة العربية . وفي المائتي عام الأخيرة نجد بعض الرحالة الأجانـــب والمؤرخين العرب يدونون صوراً من تاريخ هذه الحاضرة وبخاصة في القرنين (١٣ـــ١٤هـــ/١٩ـــ٢٠م) . وفي العقود الخمسة الأخيرة صدر بعض الكتب ، والبحوث، والرسائل العلمية التي دونت فصولاً أو صفحات من تاريخ وحضارة منطقة بيشة في العصر الحديث والمعاصر [2].

ثالثاً: المأمول من تاريخ بيشة وحضارتها :

إذا كان هنالك بعض التاريخ والتراث المكتوب عن بلاد بيشة قديماً وحديثاً ، فذلك لا يشـــفي الغليل، ولا يعطينا صورة مكتملة عن هذه الناحية عبر عصور التاريخ ، ومازلنـــا نتطلـــع إلى بحـــوث ودراسات علمية شاملة ودقيقة في شتى مناحي الحياة . وفي السطور التالية أذكر شيئاً مما نتطلـــع إليـــه ونأمل معرفته عن هذه الأوطان .

١ـــ إن تاريخ بيشة القديم مجهول ، وإن ورد عنه صور قليلة في بعض النصوص النثرية أو الشـــعرية أو بعض الكتب الكلاسيكية القديمة . والوضع نفسه يكاد يكون غامضاً أو مبعثراً خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . وإذا أجهدنا أنفسنا وبحثنا عن هذه البلاد في كتب التراث الإسلامي فلا نحصـــل إلا

---

(١) هذه الفترة الحديثة تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية ، ومازال هناك الكثير من المصـــادر والوثـــائق الجديدة التي تفيد في دراسة مثل هذه الفترة .

(٢) هناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل والمدونات التي صدرت عن تاريخ أو تراث وحضارة بيشة خلال الخمسين عاماً الماضية ، ومازالت تستحق مزيداً من البحث والدراسة والتوثيق.

تابع : ملحق رقم (٢٥):

٥٨

على صور تاريخية وحضارية مشتتة وغير مكتملة ولا مترابطة . ولذا فإننا [illegible] نعول على الدراسات والتنقيبات الأثرية في باطن الأرض ، وربما لو جرى شيئٌ من ذلك فقد نحصل على معلومات وتفصيلات تاريخية جيدة لا نجدها في المصادر التقليدية . كما أن آثار منطقة بيشة السطحية المتمثلة في قراها وأسواقها وطرقاتها القديمة، وأيضاً في آبارها ، ومقابرها ، وأحميتها ، وسدودها ، ونقوشها ورسوماتها الصخرية وغيرها قد تكون رافداً جيداً لمعرفة صفحات من تاريخ هذه البلاد .

٢ـ إنّ من يعكف على كتب التراث الإسلامي ويجمع كل ما يتعلق بأرض وسكان منطقة بيشة في شتى الجوانب خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى فإنه بدون شك سوف يخرج لنا صفحات علمية لا بأس بها. نعم لن تكون صورة هذه الأوطان مكتملة في هذا الصنف من المصادر ، وذلك يعود إلى التجاهل أو عدم الاهتمام عند مدوني كتب التراث لهذه البلاد النائية أو المعزولة ، وأقصد بذلك بلاد السروات من الطائف إلى نجران ، وبيشة إحدى النواحي في هذه الأوطان[1] .

٣ـ إن العصر الحديث والمعاصر منذ القرن العاشر إلى الخامس عشر الهجري (١٦ـ٢١م) الميلادي يستحق منا معاشر المؤرخين والباحثين جهوداً كبيرة ومكثفة فندرس التاريخ السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والفكري والعلمي والثقافي لمنطقة بيشة . ولن يكون هناك صعوبات كثيرة تواجه الباحث مقارنة بعصور ما قبل الإسلام ، أو القرون العشرة الأولى من تاريخ الإسلام ، فالمادة التاريخية في العصر الحديث والمعاصر متوفرة ، والعثور عليها أسهل وأسرع ، وإنما تحتاج إلى الدعم المعنوي والمادي ثم الرغبة والهمة العالية عند الباحثين فيعكفون على جمع ودراسة وتوثيق تاريخ وحضارة هذه القرون المتأخرة . ومصادر هذه الفترة موجودة في أماكن عديدة داخل البلاد وخارجها ، وأهمها: المخطوطات والوثائق غير المنشورة ، والآثار والتراث المادي الذي مازلنا نشاهده في أماكن عديدة من هذه البلاد وكذلك الرواة ، والمشاهدات ، والرحلات عند المتقدمين والمتأخرين كلها روافد مهمة في جمع وتوثيق تاريخ منطقة بيشة الحديث والمعاصر .

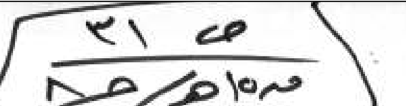
٤ـ إذا حصرنا حديثنا في تاريخ وحضارة بيشة خلال الثمانية أو السبعة عقود الأخيرة فإنها تستحق تكاتف الجهود لحفظ تاريخ هذه البلاد ، لأنها أصبحت ناحية صغيرة ضمن منظومة كبيرة هي المملكة العربية السعودية ، ومن ثم تعددت المؤسسات الإدارية في هذه الناحية ، وصارت تقوم على خدمة الأرض والعباد في شتى مناحي الحياة . وبالتالي توفرت المصادر المدونة التي تساعد المؤرخ على تدوين وحفظ تراث وحضارة هذه البلاد . كما أن الكثير من العاملين وصناع القرار في هذه المحافظة مازالوا على قيد الحياة ، وعن طريق بعضهم نستطيع جمع وحفظ شيء من موروثها التاريخي والحضاري.

---

(١) لم تنل بلاد غامد والسروات حظاً وافراً عند مدوني التراث الإسلامي في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وإنما أشارت إليها في شذرات مبعثرة [illegible]

-٦-

تابع : ملحق رقم (٢٥):



(٥٩)

رابعًا : الخاتمة : النتائج والتوصيات :

لقد استعرضنا بشكل مختصر جداً ما نظنه مكتوباً عن منطقة بيشة عبر أطوار التاريخ ، ومما نأمل أن يُعمل لحفظ تاريخ وحضارة هذه البلاد ، ولا ندعي الكمال والاستيفاء فيما تم طرحه ، لكن الذي أنا متأكد منه أن أرض بيشة ذات تاريخ وتراث وحضارة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا المعاصر ، والمسؤولية علينا اليوم كبيرة فالواجب على الجميع التكاتف ، والتعاون والعمل الجاد لحفظ موروثنا وتراثنا التاريخي والحضاري ، وأذكر بعض التوصيات التي خرجت بها من دراسة هذا الموضوع في النقاط الآتية :

١ـ تتحمل جامعة بيشة المسؤولية الكبرى في خدمة أرض وسكان محافظة بيشة ، وقضايا التنمية فيها . والجامعات في أي مكان لا تؤسس إلا لخدمة العباد والبلاد التي قامت فيها . والسعي إلى جمع ، ودراسة، وحفظ ، وتوثيق تاريخ وحضارة بيشة لا يمكن إنجازه إلا من خلال كليات ، وأقسام ، ومراكز بحوث علمية تنال الدعمين المادي والمعنوي من مؤسسة أكاديمية ، وذلك لا يتم إلا في إطار الجامعة ، وأرجو أن تجد هذه التوصية أذناً صاغية عند صناع القرار في الجامعة فتترجم إلى عمل حقيقي يهدف إلى حفظ تراث وتاريخ وحضارة هذه الناحية العريقة .

٢ـ نحن لا ننادي بالعكوف فقط على جمع ودراسة وحفظ التاريخ السياسي والإداري لمنطقة بيشة ، وإنما نتطلع إلى دراسة تاريخها الاجتماعي ، والاقتصادي ، والتعليمي والفكري والثقافي . كما نأمل أن نرى من يدرس موروثها الأدبي واللغوي كالشعر ، واللهجات ، وفنون العلوم اللغوية كالأهازيج ، والأحاجي ، والنوادر والفكاهة وغيرها . أما آثارها المادية والمعنوية فهي الأخرى تستحق الاهتمام . وقد يظهر من المؤرخين والباحثين الجيدين من يحقق شيئاً من ذلك ، لكن لابد من توفر القرار والدعم المعنوي والمادي والجامعة من المؤسسات والهيئات العلمية والثقافية فهي التي تستطيع دفع عجلة هذا الموضوع حتى يصبح حقيقة عملية .

٣ـ إن على أصحاب المال والثروات في منطقة بيشة أو غيرها من مناطق المملكة العربية السعودية مسؤولية كبيرة في تخصيص شيء من أموالهم لخدمة الفكر والعلم وحفظ التراث ، وإن فعلوا ذلك فهم يخلدون ذكرهم، ويدعمون أقوامهم لحفظ شيء من تراثهم وحضارتهم ، وبالتالي فهم يردون الجميل ، فقد حصلوا على المال الوفير من أرض وعباد يستحقون خدمة تراثهم وحضارتهم .

٤ـ من خلال تجوالي في عموم بلاد تهامة والسراة ، ومنها منطقة بيشة ، وجدت بعض الأفراد أو البيوتات يمتلكون بعض الوثائق أو المدونات أو المخطوطات التي يوجد فيها شيء من تاريخ وحضارة البلاد ، يرفضون إخراجها ، وربما أخرج بعضهم شيئاً يعود عليه بالفائدة الشخصية فحسب . وأقول لمثل هؤلاء اتقوا الله ولا تحجبوا مصادر تحتوي على شيء من تاريخ وحضارة البلاد . كما زرت الكثير من المؤسسات الإدارية في جنوب البلاد السعودية ووجدتها مُهملةً في حفظ وثائقها التاريخية بل البعض

تابع : ملحق رقم (٢٥):

(٦٠)

من هذه المؤسسات كانت تملك وثائق وتقارير وسجلات ومذكرات قيمة ترصد شيئاً من تاريخ البلاد خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وقد رأيت شيئاً من ذلك في تسعينيات القرن الهجري الماضي ، ثم زرتها في السنوات العشر الأخيرة فلم أجد شيئاً من تلك المصادر ، وعندما سألت القائمين عليها قالوا " تم إحراقها وإتلافها" . وهذا الخبر لا ينطبق على مؤسسة بعينها ، وإنما وجدته في كثير من المؤسسات في عموم مناطق تهامة والسراة ، وأعتقد أن الوضع نفسه سارٍ في أي ناحية من نواحي المملكة العربية السعودية ، ويجب على صناع القرار في هذه البلاد المباركة أن يفعلوا شيئاً تجاه هذا الموروث والعمل على حفظ كل شيء مدون ومكتوب يعكس صورة من صور تاريخ الأرض والسكان.

٥ ـ أدعو كل من تبوأ عملاً قيادياً إدارياً في منطقة بيشة ، أو كل معلم قديم ، أو من لديه الذاكرة الجيدة والقدرة الروائية أو الكتابية أن يدون مذكراته وبخاصة ماله علاقة بمنطقة بيشة وما جاورها من بلدان السروات . وأعرف الكثير من الزملاء ، والأصدقاء ، والأعيان والوجهاء ، وكذلك القراء والحفاظ لديهم مخزون كبير من الخبرات والتجارب والتاريخ الذي عاصره وعرفه ، وكم نحن في أمس الحاجة لتدوين مثل هذا النوع من المعرفة التي قد لا يكون لها أهمية كبيرة في عصرنا الحاضر. لكنها سوف تكون مادة علمية تاريخية وحضارية مهمة تعكس شيئاً من تراث وتاريخ وحضارة البلاد في قادم الأيام . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



ملحق رقم (٣٦): استبانة مشروع كتاب: تاريخ بيشة الحديث والمعاصر (١٣٤٠-١٤٤٠هـ) . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م)، ج٨، ص ٣٣-٣٧ .

(٦١)

ص ٣٣

ق١٥هـ/م/ج٨

استبانة مشروع كتاب :

تاريخ بيشة الحديث والمعاصر

(١٣٤٠-١٤٤٠هـ/١٩٢١-٢٠١٩م)[1]

إعداد

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

ج/٠٥٠٣٧٢٣٩٣٧٠

١٤٤٠/١/٢٢

(١) مشروع هذا الكتاب سوف يقوم على مصادر متنوعة كالمصادر، والمراجع، والوثائق، والمدونات، والتقارير، والمقابلات والرواية الشخصية، والرحلات الميدانية، والصور الفوتوغرافية، والخرائط وغيرها.

تابع : ملحق رقم (٢٦):

م ٣٤

١٥/١٠/١٤٤٠هـ

(٢)

هذه الصفحات تدور حول التطلع إلى إصدار كتاب عن منطقة بيشة في العصر الحديث والمعاصر خلال قرن من الزمان (١٣٤٠-١٤٤٠هـ/١٩٢١-٢٠١٩م)

وآمل أن أجد التعاون ممن يستطيع المساعدة في هذا المشروع العلمي ، ونسأل الله له الأجر والثواب .

أخي العزيز تعلم أن بلاد بيشة إحدى البوابات الرئيسية التي تربط بين نجد والسروات ، كما أنها إحدى المحطات الحضارية التجارية الرئيسية الواقعة على الطريق التجاري بين اليمن والحجاز ، وهي تستحق عشرات البحوث التاريخية والحضارية العلمية على مر العصور التاريخية . وأنا وأنت نرغب أن ندون ونحفظ شيئاً من تراث هذه الحاضرة العربية العريقة ، وحتى نكون عمليين وعلميين حصرنا موضوعنا في هذه الدراسة على العشرة العقود الماضية المتأخرة (١٣٤٠-١٤٤٠هـ/١٩٢١-٢٠١٩م) ، وأرجو منك التعاون معي في تحقيق هذا الهدف العلمي ، وفي النقاط الآتية سوف أحدد لك بعض الجوانب التي قد تستثير حفيظتك وتشجيعك على أن تقدم لي بعض المعلومات العلمية الجديدة التي تفيد في إنجاز مثل هذه الدراسة العلمية ، وأرجو منك الاحتساب ، والدقة ، والإنصاف ، والحيادية في كل ما تقدر على جمعه ، أو استذكاره ، أو تدوينه .

١- لقد حددت بداية هذا العمل العلمي بعام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) ، وهذا لا يعني أن تستبعد أي مادة علمية أو معلومة قبل هذا التاريخ . فالكتاب لابد أن يكون له مدخل يشير إلى الزمن السابق لعام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) ، وأهم شيء نريد الحصول عليه قبل هذا العام هي الوثائق أو الصور الفوتوغرافية عن أية جزئية تدور حول تاريخ وحضارة منطقة بيشة وبخاصة في القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فأرجو من لديه أي شيء في هذا الباب أن يزودنا بصورة منها ، وسوف نكون أمناء في حفظ أي حق فكري وعلمي .

٢- أما زمن الدراسة المحصور في قرن من الزمان (١٣٤٠-١٤٤٠هـ/١٩٢١-٢٠١٩م) ، فالذي نسعى للعثور عليه وهو مكتوب يتمثل في الوثيقة غير المنشورة ، أو المدونة أو المذكرة الشخصية العامة أو الخاصة ، أو المخطوطة ، أو التقارير ، أو السجلات ، أو أية مادة علمية مهما

-٢-

٢٢/١٠/١٤٤٠هـ

تابع : ملحق رقم (٢٦):

كان حجمها ، ولا تحتقر من الأمر شيئاً ، فالمؤرخ يرى كل شيء من هذه المصادر مهما وقد تفيد في حفظ تاريخ وحضارة وموروث يعكس شيئاً من حياة البلاد والعباد . وقد يقول قائل: إن هناك بعض الوثائق المنشورة أو الكتب أو المدونات المطبوعة والمتداولة بين أيدي الناس ، وأنا أتفق مع هذا القول ، لكنني على يقين أن هناك آلاف الأوراق والصفحات المجهولة ، وقد تكون في ملك بعض الأفراد أو الأسر أو البيوتات العلمية ، أو حتى في بعض الإدارات والمؤسسات الرسمية والأهلية ، ونحن بهذه الآلية نسعى إلى جمع شيء منها ودراستها وحفظها لأبنائنا وأحفادنا .

٣ـ أخي العزيز تعلم أن بلاد بيشة مثلها مثل غيرها من المدن والحواضر والنواحي الأخرى في المملكة العربية السعودية ، فهي بلاد دخلت تحت لواء الدولة السعودية الثالثة ، ثم حظيت بالرعاية والتمدن والتطوير في شتى المجالات . وهذه التنمية الحضارية الحديثة والمعاصرة تستحق الحفظ والتدوين والتوثيق ، وهناك الكثير من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفكرية التي واكبت هذا النمو الحضاري ، وكل هذه الجوانب جديرة بالاهتمام فتدون معلوماتها وتدرس وتوثق .وأنت من المؤكد رأيت وعاصرت وساهمت في شيء من هذا التطور الحضاري ، بل تعرف تفصيلات ومعلومات في بعض الجوانب ، وربما كنت مساهماً أو صانع قرار في أي مجال من هذه المجالات ، بل ربما أنك تمتلك بعض المذكرات أو الوثائق أو الصور الفوتوغرافية ، أو بعض القصص أو الروايات التاريخية والحضارية ، فأرجو من تقع في يده هذه المذكرة ويستطيع أن يقدم شيئاً ذا فائدة ، ويحفظ شيئاً من تاريخ هذه البلاد في العصر الحديث أو المعاصر أن يوافينا بها ، ولا يحتقر من الأمر شيئاً ، فربما معلومات أو روايات أو مدونات قليلة ومحدودة قد تعكس لنا شيئاً من تاريخ وتراث هذه الناحية ، والأهم من ذلك النية والاحتساب وأيضاً الرغبة في حفظ موروثنا التراثي والحضاري .

٤ـ قد يقول قائل أنا لست من كتبة التاريخ ، بل عملي بعيد كل البعد عن الحياة العلمية والبحثية والثقافية والتعليمية ، وأقول أنا لا أشترط أن تكون من هذا الصنف ، والتعاون الذي أريده منك أن تكتب لي عن أي جانب أو موضوع تعرفه وعاصرته مهما كان مجاله ، إلا أنه يروي أو يحفظ صورة من تاريخ وحياة الأرض والسكان في منطقة بيشة خلال المئة سنة الماضية . وقد تكون صغيراً في السن فأكثر ما تعرفه يدور في بحر الأربعين أو الخمسين سنة الماضية المتأخرة ، وهذه فترة تاريخية معاصرة حدث خلالها الكثير من التبدلات والتحولات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعلمية والفكرية والثقافية ، والعمرانية وهي تستحق أن يكتب عنها آلاف الصفحات ، بل إنها جديرة بالتأمل والتدوين والتوثيق ، وأنت وأنا ممن يجب عليهم تسجيل هذه التحولات الحضارية ، بل المؤسسات العلمية مثل الجامعة، وكذلك مراكز البحوث العلمية عليها

-٣-

تابع : ملحق رقم (٢٦):

ص ٣٦

(٦٤)

مسؤولية لرصد كل ما جرى ويجري على الأرض والناس وحفظه ؛ حتى تكون [illegible] لأجيالنا الحاضرة والمستقبلية . وقد تستهويك يا أخي أية جزئية من هذا النمو والتغيرات [illegible] لنا عنها ما تراه من معلومات وحقائق صحيحة ، ولا يمنع أن تطرح رأيك ووجهة نظرك من خلال ما سمعت ، أو شاهدت ، أو عرفت وعاصرت .

٥ـ هذه الاستبانة أوزعها اليوم على صنف معظمهم من العاملين في سلك التربية والتعليم العام والعالي ، وهم الذين يرتجى منهم التعاون والتجاوب في إنجاز مثل هذا العمل العلمي ، وذلك لأنهم يمتلكون من التجربة والخبرة وأيضاً معاصرة الأحداث والتحولات الحضارية التي جرت على الأرض والناس خلال الخمسين والستين وربما السبعين عاماً الماضية ، ومن المؤكد أنهم يعرفون الشيء الكثير ، ويستطيعون أن يقدموا شيئاً معرفياً وحضارياً ذا فائدة ، فأرجو منهم جميعاً التجاوب معنا وتزويدنا بأشياء مكتوبة عن أشياء عرفوها وعاصروها في منطقة بيشة ، وهي تعكس صوراً من تاريخ البلاد الإداري ، أو الاجتماعي ، أو الاقتصادي ، أو المعرفي والتعليمي والعلمي والفكري والثقافي ، أو السياحي ، أو أي جانب من جوانب التنمية الحديثة .

٦ـ في هذا المحور أوجه نداءً إلى كل معلم أو أستاذ جامعي ، وأخص منهم القدماء الذين لهم تجربة طويلة أن يسجلوا مذكراتهم ، وإن فعلوا ذلك فإنهم سوف يحفظون لنا صفحات جيدة من تاريخ وحضارة هذه البلاد ، وقد لا تكون مثل هذه المذكرات محصورة على ناحية بعينها ؛ لأن صاحب المذكرة عاش في مواطن عديدة داخل المملكة العربية السعودية ، ولديه مخزون تاريخي وحضاري جيد ، وإذا دونه وحفظه فإنه يعكس صورة من تاريخ وتنمية وحضارة بلادنا. وأقول لك يا أخي العزيز إنني بدأت منذ عامين في مشروع جمع مادة تحت عنوان: (**مذكرات معلم**)، وأخرى (**مذكرات أستاذ جامعي**) ودوري أنني أقوم بإرسال خطاب(استبيان)، مثل الذي بين يديك الآن وأطلب من كل معلم أو أستاذ جامعي أراسله أن يدون لي مذكراته، لكن بشرط أن تكون مركزة على ما عاصره وشاهده وعرفه في المجتمعات أو القرى أو المدن التي عاش فيها ، وأن لا تكون هذه المذكرات ترجمة لشخصه هو ، فهي غير مقبولة ، لأن هدفي حفظ شيء من تاريخ بلادنا وحضارتها من خلال هؤلاء الأعلام (المعلم ، والأستاذ الجامعي) ، وحتى الآن وصلني مجموعة من المذكرات الجيدة ومازال المشروع سارياً ، فإذا كان أحد ممن يطلع على هذه الاستبانة وله الرغبة أن يتعاون معي في مشروع هذه المذكرات ويدون لنا مذكراته فعليه أن يراسلني أو يتصل بي على رقم جوالي (٠٥٠[illegible]٧٣٩٣٧٠) ، وسوف أكون ناقلاً أميناً لحفظ الحقوق العلمية الفكرية ، وأعلم أنني فقط خادم للعلم ، وكل ما يعود على ديننا وبلادنا وأهلنا بالنفع والفائدة .

-٤-

تابع : ملحق رقم (٢٦):

٧ـ أنا على يقين أن معظمكم بل ربما جميعكم يمتلكون صوراً فوتوغرافية تعكس شيئاً من تاريخ بيشة وحضارتها خلال المئة سنة الماضية ، فالذي عنده شيء من هذه المصادر أرجو أن يوصلها حتى تحفظ وتنشر ، وأعتقد أن الواجب علينا جميعاً أن نتعاون في كل ما يصب في خدمة تاريخنا وموروثنا الثقافي والعلمي والبحثي والحضاري .

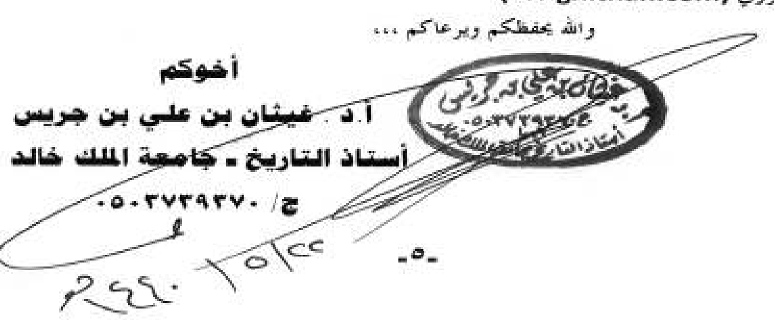
٨ـ إن التاريخ الشفهي من المصادر المهمة في حفظ تراث البلاد والعباد ، وقد يكون هناك من لديه موروث حضاري وتاريخي يحفظه ، ولا يستطيع تدوينه لعدم رغبته أو قدرته على الكتابة ؛ فالواجب عليه أن يسجل ما يراه ويرسله إلينا حتى ندونه وندرسه ونوثقه .

٩ـ أعلم أن منطقة بيشة متنوعة في تضاريسها وتركيبتها السكانية ، وهناك موضوعات حضارية كثيرة تستحق الحفظ والتدوين مثل: تدوين سير ذاتية لبعض أعلامها الأوائل ، وبخاصة الذين عاشوا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهناك الكثير من الأعراف والعادات والتقاليد في ميادين الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعلمية والثقافية وغيرها تستحق الدراسة والتوثيق، فالذي يجد لديه القدرة على الكتابة لنا عن أي جانب من هذه الجوانب فليعلم أنه يساهم في حفظ شيء من تاريخ منطقة بيشة وتراثها وحضارتها وسكانها .

١٠ـ هناك الكثير من الفنون الشعبية ، والأحاجي ، والأهازيج ، والفكاهة ، والاصطلاحات اللغوية ، واللهجات وجميع هذه المحاور جيدة وتستحق الدراسة والتوثيق ، وأرجو من الباحثين والمؤرخين وأيضاً الأقسام العلمية والمراكز البحثية في جامعة بيشة أن تلتفت لمثل هذه الميادين الجميلة والجديرة بالبحث والدراسة .

١١ـ أكرر للجميع رغبتي في التعاون معي حتى يصدر هذا الكتاب الآنف ذكره في مقدمة هذه الاستبانة ، وكل من يتعاون معنا بأية طريقة من الطرق سوف نحرص على حفظ حقه العلمي وتدوين مقدار مشاركته مهما كان حجمها. وأسهل وسيلة للاتصال معي هي الواتس على الجوال رقم (٠٥٠٣٧٣٩٣٧٠) ، أو عن طريق وسائل التواصل الأخرى الموجودة في موقعي الإليكتروني (Prf-ghithan.com)

والله يحفظكم ويرعاكم ...



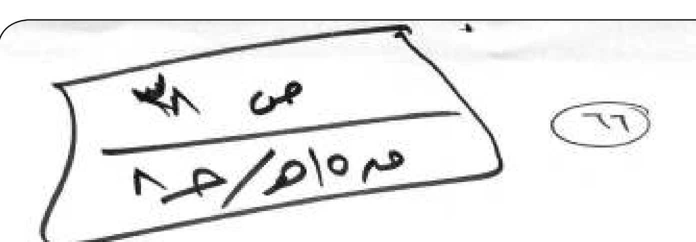
أخوكم

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

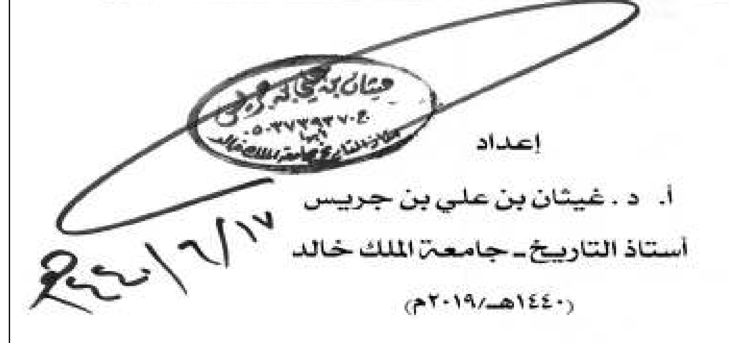
أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

ج/ ٠٥٠٣٧٣٩٣٧٠

ملحق رقم (٢٧): ملخص لقاء علمي بتاريخ (١٦/٦/١٤٤٠هـ) في ديوانية السلامة بحي العزيزية في مدينة الرياض . المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١م) ،ج٨، ص ٣٨-٤١ .



ملخص لما دار في اللقاء العلمي الودي
في ديوانية السلامة بحي العزيزية بمدينة
الرياض
يوم الخميس (١٦/٦/١٤٤٠هـ الموافق
٢١/٢/٢٠١٩م)[١]



إعداد

أ. د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

(١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)

(١) تم تدوين هذه الخلاصة يوم الأحد (١٩/٦/١٤٤٠هـ الموافق ٢٤/٢/٢٠١٩م) ، وحفظت ضمن أوراق مكتبة الدكتور غيثان بن علي بن جريس العلمية . (ابن جريس)

- ١ -

تابع : ملحق رقم (٢٧):

(٦٧)

ملخص لما دار في اللقاء العلمي ودي
في ديوانية السلامة بحي العزيزية بمدينة الرياض
يوم الخميس (١٦/٦/١٤٤٠هـ الموافق ٢١/٢/٢٠١٩م

ذهبت يوم الإثنين (١٣/٦/١٤٤٠هـ الموافق ١٨/٢/٢٠١٩م) من مدينة أبها إلى مدينة الرياض لإنجاز بعض المصالح العلمية المتعلقة ببعض مؤلفاتنا الجديدة في مطابع الحميضي . وتم الحصول على الفسح النهائي من وزارة الثقافة لكتابين جديدين هما: (١) **منطقة الباحة (دراسات،وإضافات ، وتعليقات)** (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) . **(الجزء الأول)** . (٢) **المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات من (١٤٠٧-١٤٤٠هـ / ١٩٨٧-٢٠١٨م)** . إعداد الدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي ، الأستاذ المساعد في جامعة نجران .

وسبق لي أن زرت مدينة الرياض في شهر ربيع الأول عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) ، والتقيت بالأخ العزيز الأستاذ عبدالعزيز بن سلامة السلامة ، من سكان مدينة الرياض [١] ، وأخبرني أن لديه ديوانية السلامة بحي العزيزية[٢] ، وقد طلب مني زيارته والالتقاء ببعض الزملاء ورفاق العمر ، فوافقت له ؛ لكن في وقت آخر. وفي أثناء زيارتي الأخيرة إلى مدينة

---

(١) الأستاذ عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن بخيت بن سلامة السلامة من مواليد الرياض في (٢٢/١٠/١٣٩٢هـ) ، نال شهادة الكلية التقنية في الرياض عام (١٤١٩هـ) ، ويعمل حالياً موظفاً في وزارة الإعلام منذ عام (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، وهو مؤذن مسجد الشيخ عبدالعزيز الجميح بمدينة الرياض من عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .

(٢) اسم الديوانية (ديوانية السلامة بحي العزيزية) بدأت بين بعض الأصدقاء والزملاء في حي العزيزية عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) وكان اللقاء فيها كل يوم أربعاء عندما كانت إجازة نهاية الأسبوع (الخميس والجمعة) ، ثم تغير موعدها إلى يوم الخميس . والمجتمعون في هذه الديوانية هم مجموعة أصدقاء وزملاء عمل ودراسة ، وأيضاً من الجيران في حي العزيزية . وذكر الأستاذ عبدالعزيز بن سلامة بعض الإخوان والزملاء الذين أسسوا هذه الديوانية ، ومازالوا يرتادونها حتى الآن ، ومنهم (١) ناصر عبدالعزيز زيدان الحربي ، (٢) محمد حمد السالم ، (٣) عبدالعزيز مبارك البهيجي ، (٤) ناصر بن علي الريس ، (٥) خالد بن عبد العزيز الزيدان ، (٦) داود سلمان المطير ، (٧) عبدالله محمد الريس ، (٨) أحمد عبدالله الخيشل ، (٩) ناصر عبدالله العسيل ، (١٠) علي غانم الحسين ، (١١) محمد إبراهيم الزيدي ، (١٢) عبدالله يوسف العمران ، (١٣) عثمان عبد الله الصويبع ، (١٤) وليد محمد الصويبع ، (١٥) عثمان إبراهيم الصويبع ، (١٦) عبدالعزيز ناصر الفرحان ، (١٧) سعد مبارك المسن ، (١٨) محمد عبدالله الغيلان ، (١٩) محمد إبراهيم الريس ، (٢٠) فهد عبدالعزيز السويح ، (٢١) عبدالعزيز عبدالمحسن البخيت ، (٢٢) سليمان علي العمير ، (٢٣) محمد سليمان القديان ، (٢٤) [illegible] علوان ، (٢٥) أحمد إقسيمي أبومعاذ ، (٢٦) خالد يسلم باعليان ، (٢٧) محمد عبيد أبو[illegible] .

- ٢ -

غيثان بن علي بن جريس
٠٥٠٣٧٧٣٩٣٧٠٤
١٤٤٠/٦/١٧

تابع : ملحق رقم (٢٧):

(٦٨)

ص ٤٠
٢٠١٥/١٢/٢٨ م

الرياض في (١٤٤٠/٦/١٣هـ) اتصل بنا الأستاذ عبدالعزيز بن سلامة ، وحدد موعد اللقاء يوم الخميس (١٤٤٠/٦/١٦هـ الموافق ٢٠١٩/٢/٢١م) .

وبعد صلاة المغرب من يوم الخميس المذكور أعلاه ذهبت من حي المغرزات إلى مقر الديوانية في حي العزيزية ، ووجدت الأستاذ عبدالعزيز بن سلامة في استقبالي، وهو صاحب الديوانية ، وبعد صلاة العشاء بدأ الإخوان والزملاء يتوافدون إلى الديوانية ، وبعد الساعة التاسعة بدأ اللقاء بتلاوة القرآن الكريم ، ثم استمر اللقاء العلمي حوالي ساعتين ، بدأته بذكر رحلتي العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها خلال خمسين عاماً ، ثم تحدثت بشكل مقارن عن الحياة العلمية والبحثية في الدول العربية والغربية ، وذكرت أن البحث العلمي لا ينال حقه كما يجب في عالمنا العربي . كما أشرت إلى شيء من صلات الغرب والشرق بالعالم العربي عبر عصور التاريخ الإسلامي، وذكرت بعض السلبيات والايجابيات من هذا التواصل الحضاري . وأيضاً تحدثنا عن جمع دول الغرب لتراث الأمة العربية والإسلامية . وحفظه في مكتباتهم ومراكزهم العلمية الكبيرة ، وهذه إيجابية أنهم حفظوا هذا التراث من الضياع ، مع أنهم استعمروا بلاد العرب والمسلمين عقوداً عديدة ، وقد فصلت الحديث عن آثارهم السلبية أثناء عصر الاستعمار.

وبعد الانتهاء من الحديث في محاور عديدة دار النقاش مع الحضور في قضايا علمية وفكرية وثقافية عديدة ، كما درج تبادل الآراء ووجهات النظر عن أحوال العرب والمسلمين في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وبخاصة في عصر الحروب الصليبية ، وغزو المغول لبلاد المسلمين وما جرى من صراعات وويلات خلال العصر الإسلامي الوسيط . ودار النقاش أيضاً على أحوال المسلمين في العصر الحديث والمعاصر وما يقوم به الشرق والغرب من مؤامرات ومكائد ضد الإسلام والمسلمين.

وفي الختام : خرجنا بالعديد من النتائج والتوصيات التي نذكرها في النقاط التالية :

١ـ كنت أتحدث مع لفيف من الأساتذة والزملاء الذين عملوا في مجالات وقطاعات عديدة، وأقول إن علينا جميعاً مسؤولية كبيرة فالواجب أن نكون أعضاء فاعلين صالحين في أنفسنا ، وأهلينا وبلادنا.

١٤٤٠/٦/١٧

- ٣ -

تابع : ملحق رقم (٢٧):

(٦٩)

٢ـ شكرت الإخوة الحضور ، الذين زاد عددهم عن ثلاثين شخصاً ، وقلت إن ما يقومون به في هذه الديوانية شيء جميل ؛ فهم يحثون على الترابط والالتقاء والتشاور والتعاون في كل صالح ومفيد. ولم ينسوا أنفسهم وديوانيتهم من البرامج واللقاءات الهادفة التي تنير القلب والعقل بكل ما هو صالح ومثمر .

٣ـ أرجو من هذه الكوكبة الموفقة في هذه الديوانية أن يوثقوا أعمالهم ومحاضراتهم وندواتهم ورقياً وإلكترونياً ، وإذا فعلوا ذلك فإن التاريخ سوف يذكرهم بخير ؛ لأنهم حفظوا صورة من الحراك الثقافي الذي تعيشه مدينة الرياض . وللأسف فنحن جميعاً مقصرون في توثيق جميع أعمالنا ونشاطاتنا العلمية والثقافية ، وهذه سلبية وجدتها في كل المؤسسات العلمية الحكومية والأهلية وحتى الأسرية والفردية .

٤ـ كوني قدمت من جنوب الجزيرة العربية ومن منطقة عسير تحديداً ، فإنني قد وفقت كثيراً من الالتقاء برواد الديوانية وسمعت منهم آراء وأقوالاً ونقاشات موفقة وسديدة ، وأرجو لهم التوفيق والسداد في جميع أعمالهم وأقوالهم .

أشكر من كان له الفضل في إقامة هذا اللقاء وهو الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بخيت السلامة الذي عرفني على إخوة أفاضل من بلدان عديدة في الجزيرة العربية . والله أسأل أن يرزقنا جميعا التوفيق والسداد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على رسوله الأمين .

إعداد

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ ـ جامعة الملك خالد

(١٤٤٠/٦/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٢/٢٤م)





History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(1st - 15th H. / 7th- 21st G.)



Volume: 16



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

King Khalid University Publications

Second edition

1442 H /2020

Riyadh : Al Homaidhi Press